البداية والنهاية

للحافظ عماد الدين أبى الفداء إسماعيل
ابن عمر بن كثير القرشى الدمشقى
٧٠١ - ٧٧٤ هـ

تحقيق

الدكتور عبد الله بن عبد المحسن التركى

بالتعاون مع
مركز البحوث والدراسات العربية والإسلامية
بدار هجر

الجزء الثانى عشر

هجر
للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان

حقوق الطبع محفوظة

الطبعة الأولى

١٤١٨ هـ - ١٩٩٨ م

المكتب : ٤ ش ترعة الزمر - المهندسين - جيزة

☎ ٣٢٥٢٥٧٩ - فاكس ٣٢٥١٧٥٦

المطبعة : ٢ ، ٦ ش عبد الفتاح الطويل

أرض اللواء - ☎ ٣٢٥٢٩٦٣

ص . ب ٦٣ إمبابة

البداية والنهاية



بسم الله الرحمن الرحيم

ثم دخلت سنةُ سِتٍّ وستين

وفيها[1] وثَب المختارُ بنُ أبي عُبيدٍ الثَّقفيُّ الكذَّابُ بالكوفةِ ؛ ليأخذَ بثأرِ الحُسينِ بنِ عليٍّ - فيما يَزعُمُ - وأخْرَج منها عامِلَها عبدَ اللَّهِ بنَ مُطيعٍ ؛ وكان سببَ ذلك أنَّه لمَّا رجَع أصحابُ سليمانَ بنِ صُرَدَ مَغلوبين[2] إلى الكوفةِ ، وجَدوا المختارَ بنَ أبي عُبيدٍ الكذّابَ مسجونًا ، فكتَب إليهم يُعزِّيهم[3] ويعِدُهم ويُمنِّيهم ، وما يَعِدُهم الشيطانُ[4] إلا غُرورًا ، وقال لهم فيما كتَب إليهم خِفْيَةً[5] : أبشِروا فإنِّي لو قد خرَجتُ إليكم[6] جرَّدْتُ فيما بينَ المشرقِ والمغربِ مِن أعدائِكم السيفَ ، فجعَلتُهم بإذنِ اللَّهِ رُكامًا ، وقتَلْتُهم فَذًّا[7] وتوْأمًا ، فرَحَّب اللَّهُ بمَن قارَب منكم[8] واهتدَى ، ولا يُبعِدُ اللَّهُ إلَّا مَن أبَى وعصَى . فلمَّا وصلَهم الكتابُ

---

(١) تاريخ الطبرى ٦/ ٧، والكامل ٤/ ٢١١، والمنتظم ٦/ ٥١، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٦١ - ٨٠هـ) ص ٥٠.

(٢) فى الأصل ، ٣١، ٢١، ص : « فعلولين ».

(٣) فى ص : « يغرهم » . وبعده فى م ، ٣١، ٢١: « فى سليمان بن صرد ويقول : أنا عوضه وأنا أقتل قتلة الحسين . فكتب إليه رفاعة بن شداد وهو الذى رجع بمن بقى من جيش التوابين : نحن على ما تحب فشرع المختار » . وانظر ما تقدم فى ١١/ ٧٠١، ٧٠٢ .

(٤) فى الأصل ، ص : « الكذاب » .

(٥) تاريخ الطبرى ٦/ ٧.

(٦) فى م : « إليهم » .

(٧) فى ٣١: « أقدادا » ، وفى ٢١، م : « أفرادا » .

(٨) فى م : « منهم » .

قرءُوه سرًّا وردُّوا إليه : إنا كما تُحِبُّ ، فمتى أحبَبْتَ أخرَجناك مِن مَحْبِسِك[1] . فكرِه أن يُخرِجوه مِن مكانِه على وجهِ القهرِ لنُوَّابِ الكوفةِ ، فتلطَّف فكتَب إلى زوجِ أختِه صفيَّةَ - وكانتِ امرأةً صالحةً - وهو عبدُ اللَّهِ بنُ عمرَ بنِ الخطابِ ، يسألُه أن يَشفَعَ فى خروجِه مِن مَحْبِسِه عندَ نائِبَى الكوفةِ ؛ عبدِ اللَّهِ بنِ يزيدَ[2] ، وإبراهيمَ بنِ محمدِ بنِ طلحةَ ، فكتَب ابنُ عمرَ إليهما يَشْفَعُ عندَهما فيه [3]فلم يُمكِنْهما ردُّه ، وكان فيما كتَب إليهما ابنُ عمرَ : قد علِمتُما ما بينى وبينَكما مِن الوُدِّ ، وما بينى وبينَ المختارِ مِن القرابةِ والصِّهْرِ ، وأنا أُقسِمُ عليكما لمَا خلَّيتُما سبيلَه ، والسلامُ[3] . فاستدعيَا به فضمِنه جماعةٌ مِن أصحابِه ، واستحْلَفه عبدُ اللَّهِ ابنُ يزيدَ إن هو بغَى للمسلمين غائلةً فعليه ألفُ بدنةٍ يَنحَرُها تُجاهَ الكعبةِ ، وكلُّ مملوكٍ له - مِن عبدٍ وأمةٍ - حرٌّ ، فالتزَم لهما بذلك ، ولزِم منزلَه ، وجعَل يقولُ : قاتلَهما اللَّهُ ، أمَّا حَلِفِى[4] باللَّهِ ، فإنِّى لا أحلِفُ على يمينٍ فأرَى غيرَها خيرًا منها إلَّا كفَّرْتُ عن يَمِينى ، وأتيتُ الذى هو خيرٌ ، وأمَّا إهدائى ألفَ بدنةٍ فيسيرٌ ، وأمَّا عِتقى مماليكى فودِدْتُ أنَّه قد استتمَّ لى هذا الأمرُ ولا أملِكُ مملوكًا واحدًا .

واجتمَعَتِ الشيعةُ عليه ، وكثُر أصحابُه وبايَعوه فى السرِّ . وكان الذى يأخُذُ البيعةَ له ويُحرِّضُ الناسَ عليه خمسةً ؛ وهم السائبُ بنُ مالكٍ الأشعرىُّ ، ويزيدُ ابنُ أنسٍ ، وأحمرُ بنُ شُمَيطٍ ، ورفاعةُ بنُ [٧/ ٢٩ظ] شَدَّادٍ ، [5]وعبدُ اللَّهِ بنُ شدَّادٍ[5] الجُشَمِىُّ . ولم يزَلْ أمرُه يَقْوَى ويَشتدُّ ويَستفحِلُ ويرتفِعُ ، حتى عزَل

---

(١) فى الأصل : « مجلسك » . وفى م : « محسبك » .

(٢) بعده فى ٣١، ٢١، م : « الخطمى » .

(٣ - ٣) زيادة من : ٣١، ٢١، م .

(٤) فى م : « حلفانى » .

(٥ - ٥) سقط من : ص . وانظر تاريخ الطبرى ٦/ ٩.

عبدُ اللَّهِ بنُ الزبيرِ عن الكوفةِ عبدَ اللَّهِ بنَ يزيدَ ، وإبراهيمَ بنَ محمدِ بنِ طلحةَ ، وبعَث عبدَ اللَّهِ بنَ مُطِيعٍ نائبًا عليها ، وبعَث الحارثَ بنَ عبدِ اللَّهِ بنِ أبى ربيعةَ نائبًا على البصرةِ .

فلمَّا دخَل عبدُ اللَّهِ بنُ مُطيعٍ المخزوميُّ إلى الكوفةِ ، فى رمضانَ سنةَ خمسٍ وستين ، خطَب الناسَ ، وقال فى خُطبتِه[1] : إنَّ أميرَ المؤمنين عبدَ اللَّهِ بنَ الزبيرِ أمَرنى أن أسيرَ فيكم[2] بسيرةِ عمرَ بنِ الخطابِ ، وعثمانَ بنِ عفانَ . فقام إليه السائبُ[3] بنُ مالكٍ الأشْعَرِىُّ[4] فقال[5] : لا نَرْضَى إلَّا بسيرةِ علىِّ بنِ أبى طالبٍ التى سار بها فى بلادِنا ، ولا نريدُ سيرةَ عثمانَ - وتكلَّم فيه - ولا سيرةَ عمرَ ، وإن كان لا يريدُ للناسِ إلَّا خيرًا . وصدَّقه على ما قال بعضُ أمراءِ الشيعةِ ، فسكَت الأميرُ وقال : إنِّى سأسيرُ فيكم بما تُحِبُّون مِن ذلك .

وجاء صاحبُ الشُّرْطَةِ ، وهو إياسُ بنُ مُضَارِبٍ العِجْلِىُّ[6] إلى ابنِ مُطِيعٍ فقال له[7] : إنَّ هذا الذى ردَّ عليك مِن رُءوسِ أصحابِ المختارِ ، ولستُ آمَنُ[8] المختارَ ، فابعَثْ إليه فارْدُدْه إلى السِّجْنِ ؛ فإنَّ عيونى قد أخبَرونى أنَّ أمرَه قد استجمَع له ، وكأنَّك به وقد وثَب بالمِصْرِ . فبعَث إليه عبدُ اللَّهِ بنُ مُطِيعٍ زائدةَ بنَ قُدامةَ ، وأميرًا آخرَ معه ، فدخَلا على المختارِ فقالا له : أجبِ الأميرَ . فدعا بثيابِه وأمَر بإسراجِ

---

(١) تاريخ الطبرى ٦/ ١٠، ١١، والكامل ٤/ ٢١٢، ٢١٣.

(٢) فى م، ص: « فى فيئكم » .

(٣) فى الأصل: « ثابت » .

(٤) فى الأصل، م، ص: « الشيعى » . وفى ١٣، ٢١: « السبيعى » . والمثبت من تاريخ الطبرى ٦/ ١١.

(٥) المصدر السابق.

(٦) فى م: « البجلى » . وانظر تاريخ الطبرى ٦/ ١٠.

(٧) الطبرى ٦/ ١١.

(٨) بعده فى م: « من » .

دابَّتِه ، وتهيَّأ للذَّهابِ معهما ، فقرأ زائدةُ بنُ قُدامةَ : ﴿ وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ ﴾ الآية [الأنفال : ٣٠] . فألقى المختارُ نفسَه وأمَر بقطيفةٍ أن تُلْقَى عليه ، وأظهَر أنَّه مريضٌ ، وقال : أَخْبِرا الأميرَ بحالى ، فرجَعا إلى ابنِ مُطِيعٍ فاعتذَرا عنه ، فصدَّقهما ولَهَا عنه .

فلمَّا كان المحرَّمُ مِن هذه السنةِ عزَم المختارُ على الخروجِ لطلبِ ثأرِ[1] الحُسَينِ ، فيما يَزعُمُ . فلمَّا صمَّم[2] على ذلك اجتمعَتْ عليه[3] الشيعةُ وثبَّطُوه عنِ الخروجِ الآنَ إلى وقتٍ آخرَ ، ثم أنفَذوا طائفةً منهم إلى محمدِ ابنِ الحَنَفِيَّةِ يسألونَه عن أمرِ المختارِ وما دعاهم[4] إليه ، فلمّا اجتمَعوا به كان مُلَخَّصُ ما قال لهم[5] : إنا لا نكرَهُ أنْ يَنصُرَنا اللَّهُ بمَن شاء مِن خلقِه . وقد كان المختارُ بلَغه مخرَجُهم إلى محمدِ ابنِ الحَنَفِيَّةِ ، [6]فكرِه ذلك ، وخَشِى أن يُكذِّبَه فيما أَخبَر به عنه ؛ فإنَّه لم يكُنْ بإذنِ محمدِ ابنِ الحنفيَّةِ[6] ، وهَمَّ بالخروجِ قبلَ رجوعِ أولئك ، وجعَل يَسْجَعُ لهم سَجْعًا مِن سَجْعِ الكُهّانِ بذلك ، ثم كان الأمرُ على مَا سجَع به . فلمَّا رجَعوا أخبَروه بما قال ابنُ الحنفيَّةِ ، فعندَ ذلك قوِى عَزْمُ[7] الشيعةِ على الخروجِ [٧/ ٣٠و] مع المختارِ ابنِ أبى عُبيدٍ .

وقد روَى أبو مِخْنَفٍ[8] أنَّ أمراءَ الشيعةِ قالوا للمختارِ : اعلَمْ أنَّ جميعَ أمراءِ

---

(١) فى ا٣١، ا٢١، م : « الأخذ بثأر » .

(٢) فى ص : « حثهم » .

(٣) فى الأصل ، ص : « إليه » .

(٤) فى ا٣١، ا٢١، م: « دعا » .

(٥) انظر : تاريخ الطبرى ٦/ ١٢ - ١٥، والكامل ٤/ ٢١٤، ٢١٥.

(٦ - ٦) سقط من : الأصل، ا٣١، ا٢١.

(٧) فى ا٣١، ا٢١، م : « أمر » .

(٨) أخرجه الطبرى فى تاريخه ٦/ ١٥ من طريق أبى مخنف بنحوه، وانظر الكامل ٤/ ٢١٥، ٢١٦.

الكوفةِ مع عبدِ اللَّهِ بنِ مُطِيعٍ وهم أَلْبٌ[1] علينا ، وإنَّه إنْ بايعَك إبراهيمُ بنُ الأشترِ النَّخَعىُّ وحدَه أغْنانا عن جميعِ مَن سِواه . فبعَث إليه المختارُ جماعةً مِن أصحابِه يدعُونَه إلى الدُّخولِ معهم فى الأخذِ بثأرِ الحُسَينِ ، وذكَّروه سابقةَ أبيه مع علىٍّ ، رَضِى اللَّهُ عنه ، فقال : قد أجبتُكم إلى ما سألتُم ، على أن أكونَ أنا وَلِىَّ أمرِكم . فقالوا : إنَّ هذا لا يُمكِنُ ؛ لأنَّ المَهْدِىَّ قد بعَث المختارَ إلينا وزيرًا له وداعيًا إليه . فسكَت عنهم إبراهيمُ بنُ الأشترِ ، فرجَعوا إلى المختارِ فأخبَروه ، فمكَث ثلاثًا ثم خرَج فى جماعةٍ مِن رءوسِ أصحابِه إليه ، فدخَل على ابنِ الأشترِ فقام له واحترَمه وأكرَمه وجلَس إليه ، فدعاه المختارُ إلى الدخولِ معهم ، وأخرَج له كتابًا على لسانِ ابنِ الحنفيَّةِ يدعوه إلى الدُّخولِ مع أصحابِه مِن الشيعةِ ، فيما قاموا فيه مِن نُصرةِ آلِ بيتِ النبىِّ ﷺ ، والأخذِ [2]بثأرِ الحسينِ[2] . فقال إبراهيمُ بنُ الأشترِ : إنَّه قد جاءتْنى كتبُ محمدِ ابنِ الحنفيَّةِ بغيرِ هذا النظامِ . فقال المختارُ : إنَّ هذا زمانٌ وذاك زمانٌ . فقال إبراهيمُ بنُ الأشترِ : فمَن يَشهَدُ أنَّ هذا كتابُه . فتقدَّم جماعةٌ مِن أصحابِ المختارِ فشهِدوا بذلك . فقام ابنُ الأشترِ مِن مجلسِه وأجلَس المختارَ فيه وبايَعه ، ودعا لهم بفاكِهةٍ وشرابٍ مِن عَسَلٍ .

قال الشعبىُّ[3] - [4]وكان حاضِرًا ذلك مِن أمرِهم هو وأبوه[4] : فلمَّا انصرَف المختارُ ، قال لى إبراهيمُ بنُ الأشتَرِ : يا شَعْبىُّ ، وماذا ترَى فيما شهِد به هؤلاءِ ؟ فقلتُ : إنَّهم قرَّاءٌ وأمراءُ ووجوهُ الناسِ ، ولا أراهم يشهَدون إلَّا بما يعلَمون . قال :

---

(١) الألْب ، والإلب : القوم يجتمعون على عداوة إنسان .

(٢ - ٢) فى ١٣، ٢١، م : «بثأرهم» .

(٣) أخرجه الطبرى فى تاريخه ١٧/٦ من طريق الشعبى بنحوه .

(٤ - ٤) فى م : «وكنت حاضرًا أنا وأبى أمر إبراهيم بن الأشتر ذلك المجلس» .

وكتمتُه ما فى نفسِى مِن اتِّهامِهم ، ولكنِّى كنتُ أُحِبُّ أن يَخْرُجوا للأخذِ بثأرِ الحُسَينِ ، وكنتُ على رأيِ القومِ .

ثم جعَل إبراهيمُ[1] يختلِفُ إلى المختارِ فى منزلِه هو ومَن أطاعه مِن قومِه ، ثم اتَّفق رأىُ الشيعةِ على أن يكونَ خروجُهم ليلةَ الخميسِ لأربعَ عشْرةَ ليلةً خلَت [2]مِن ربيعٍ الأولِ[2] مِن هذه السنةِ ؛ سنةِ سِتٍّ وستِّينَ .

وقد بلَغ ابنَ مُطِيعٍ أمرُ القومِ وما اشتوَروا عليه ، فبعَث الشُّرَطَ فى كلِّ جانبٍ مِن جوانبِ الكوفةِ ، وألزَم كلَّ أميرٍ بحفْظِ ناحيتِه مِن أن يخرُجَ منها أحدٌ ، فلمّا كان ليلةُ الثلاثاءِ خرَج إبراهيمُ بنُ الأشترِ قاصدًا إلى دارِ المختارِ فى مائةِ رجلٍ مِن قومِه ، وعليهم الدروعُ تحتَ الأَقْبِيَةِ [٧/ ٣٠ظ] فلقِيَه إياسُ بنُ مُضاربٍ فقال له[3] : أين تريدُ يا ابنَ الأشتَرِ فى هذه الساعةِ ؟ إنَّ أمرَك لَمُريبٌ ، فواللَّهِ لا أدَعُك حتى أُحضِرَك إلى الأميرِ فيرَى فيك رأيَه . فتناوَل إبراهيمُ بنُ الأشتَرِ رُمْحًا مِن يدِ رجلٍ فطعَنه به فى ثُغْرةِ نَحرِه ، فسقَط ، وأمَر رجُلًا فاحتَزَّ رأسَه ، وذهَب به إلى المختارِ فألقاه بينَ يديْهِ ، فقال له المختارُ : بشَّرَك اللَّهُ بخيرٍ ، فهذا طائرٌ صالحٌ . ثم طلَب إبراهيمُ مِن المختارِ أن يخرُجَ فى هذه الليلةِ ، فأمَر المختارُ بالنارِ أن تُرفَعَ ، وأن يُنادَى بشعارِ أصحابِه : يا منصورُ أمِتْ ، يا ثاراتِ الحُسينِ . ثم نهَض المختارُ فجعَل يَلْبَسُ درعَه وسلاحَه وهو يقولُ[4] :

---

(١) سقط من : الأصل ، ص .

(٢ - ٢) سقط من : ٣١، ٢١، م . وانظر تاريخ الطبرى ٦/ ١٨.

(٣) تاريخ الطبرى ٦/ ١٩، ٢٠.

(٤) تاريخ الطبرى ٦/ ٢٠.

قَدْ عَلِمَتْ بَيْضَاءُ حَسْنَاءُ الطَّلَلْ

وَاضِحَةُ الخَدَّيْنِ عَجْزَاءُ الكَفَلْ

أَنِّى غَدَاةَ الرَّوْعِ مِقْدَامٌ بطَلْ

وخرَج بينَ يدَيه إبراهيمُ بنُ الأشترِ ، فجعَل يتقصَّدُ الأمراءَ الموكَّلين بنواحِى البلدِ ؛ فيطرُدُهم عن أماكنِهم واحدًا واحدًا ، ويُنادِى بشعارِ المختارِ . وبعَث المختارُ أبا عثمانَ النَّهْدِىَّ فنادَى بشعارِ المختارِ : يا ثاراتِ الحُسينِ . فاجتمَع الناسُ إليه مِن هلهنا وهلهنا ، وجاء شَبَثُ[1] بنُ رِبْعِىٍّ فاقتَتل هو والمختارُ عند دارِه وحصَره حتى جاء إبراهيمُ بنُ الأشترِ فطرَده عنه .

فرجَع شَبَثٌ إلى ابنِ مُطيعٍ ، وأشار عليه بأن يجمَعَ الأمراءَ إليه ، وأن ينهَضَ بنفسِه ؛ فإنَّ أمرَ المختارِ قد قَوِى واستفحَل ، وجاءتِ الشيعةُ مِن كلِّ فجٍّ عميقٍ إلى المختارِ ، فاجتمَع إليه فى أثناءِ الليلِ قريبٌ مِن أربعةِ آلافٍ ، فأصبَح وقد عبَّى جيشَه وصلَّى بهم الصبحَ ، فقرأ فيها : ﴿ وَالنَّـٰزِعَـٰتِ غَرْقًا ﴾[2] و﴿ عَبَسَ وَتَوَلَّىٰٓ ﴾[3] فى الثانيةِ . قال بعضُ مَن سمِعه[4] : فما سمِعتُ إمامًا أفصحَ لهجةً منه . وقد جهَّز ابنُ مُطيعٍ جيشًا ؛ ثلاثةَ آلافٍ عليهم شَبَثُ بنُ رِبْعِىٍّ ، وأربعةَ آلافٍ أخرَى مع راشدِ بنِ إياسَ بنِ مُضاربٍ ، فوجَّه المختارُ إبراهيمَ بنَ الأشترِ فى ستِّمائةِ فارسٍ وستِّمائةِ راجلٍ إلى (٥راشدِ بنِ إياسَ ، وبعَث نُعَيمَ بنَ هُبَيرةَ فى ثلاثِمائةِ فارسٍ وستِّمائةِ راجلٍ إلى٥) شَبَثِ بنِ رِبعِىٍّ . فأمَّا إبراهيمُ بنُ الأشترِ فإنَّه هزَم قِرنَه راشدَ

---

(١) فى الأصل ، ١ ، ٢ : « شيث » . وكذا فيما يأتى من مواضع . وانظر تاريخ الطبرى ٦/ ٢٠ ، وتهذيب الكمال ١٢/ ٣٥١ .

(٢) أى : سورة النازعات .

(٣) أى : سورة عبس .

(٤) تاريخ الطبرى ٦/ ٢٣ .

(٥ - ٥) سقط من : الأصل ، ص .

ابنَ إياسَ ، وقتَله وأرسَل إلى المختارِ يُبشِّرُه ، وأمَّا نعيمُ بنُ هُبَيرةَ فإنه لَقِى شَبَثَ بنَ رِبْعِىٍّ فهزَمه شَبَثُ بنُ رِبعىٍّ وقتَله ، وجاء فأحاط بالمختارِ بنِ أبى عبيدٍ وحصَره ، وأقبَل إبراهيمُ بنُ الأشتَرِ (١نحوَ المختارِ بنِ أبى عبيدٍ١) ، فاعترَض له حسَّانُ بنُ فائدٍ العَبْسىُّ(٢) فى نحوٍ مِن ألفَىْ فارسٍ مِن جهةِ ابنِ مُطيعٍ ، فاقتَتَلوا ساعةً ، فهزَمه إبراهيمُ ، ثم أقبَل نحوَ المختارِ ، فوجَد شَبَثَ بنَ رِبْعىٍّ قد حصَر [٧/ ٣١و] المختارَ وجيشَه ، فما زال حتى طرَدهم عنه(٣) وكَرُّوا راجعين . وخلَص إبراهيمُ إلى المختارِ ، وارتحَلوا مِن مكانِهم ذلك إلى غيرِه فى ظاهرِ الكوفةِ ، فقال له إبراهيمُ بنُ الأشترِ : اعمِدْ بنا إلى قصرِ الإمارةِ ؛ فليس دونَه أحدٌ (٤يرُدُّ عنه٤) . فوضَعوا ما معهم مِن الأثقالِ ، وأجلَسوا هنالك ضَعَفَةَ المشايخِ والرجالِ .

واستخلَف المختارُ(٥) علَى مَن هنالك أبا عثمانَ النَّهْدِىَّ ، وبعَث بينَ يديْهِ إبراهيمَ بنَ الأشترِ ، وعبَّأ المختارُ جيشَه كما كان ، وسار نحوَ القصرِ ، فبعَث ابنُ مُطيعٍ عمرَو بنَ الحَجّاجِ فى ألْفَىْ رجلٍ ، فبعَث إليه المختارُ يزيدَ بنَ أنسٍ ، وسار هو وابنُ الأشتَرِ أمامَه حتى دخَل الكوفةَ مِن بابِ الكُناسَةِ(٦) ، وأرسَل ابنُ مُطيعٍ شَمِرَ ابنَ ذى الجَوْشَنِ - (٧الذى قتَل الحُسَينَ٧) - فى ألفيْنِ آخرَيْنِ ، فبعَث إليه المختارُ سعيدَ(٨) بنَ مُنْقِذٍ الهَمَذانىَّ(٩) ، وسار المختارُ حتى انتهى إلى سِكَّةِ شَبَثٍ ، وإذا

(١ - ١) فى ٣١، ٢١، م : « نحوه » .
(٢) فى ٣١، ٢١، م : « بن العبس » . انظر تاريخ الطبرى ٦/ ٢٧.
(٣) سقط من : م ، ص .
(٤ - ٤) سقط من : الأصل ، ص .
(٥) سقط من : م .
(٦) فى ٣١: « الكباسة » . والكناسة : محلة بالكوفة . معجم البلدان ٤/ ٣٠٧.
(٧ - ٧) زيادة من : ٣١، ٢١، م .
(٨) فى النسخ : « سعد » . والمثبت من تاريخ الطبرى ٦/ ٢٩.
(٩) فى الأصل ، ٣١، م ، ص : « الهمدانى » . وانظر تاريخ الطبرى ٦/ ٢٩.

نَوْفَلُ بنُ مُسَاحِقِ بنِ عبدِ اللَّهِ بنِ مَخْرَمَةَ فى خمسةِ آلافٍ ، وخرَج ابنُ مُطيعٍ مِن القصرِ فى النَّاسِ ، واستخلَف عليه شَبَثَ بنَ رِبْعِىٍّ ، فتقدَّم إبراهيمُ بنُ الأشتَرِ إلى الجيشِ الذى مع نَوْفَلِ بنِ مُسَاحِقٍ . فهزَمهم ، وأخَذ بلِجامِ دابَّةِ ابنِ مُساحِقٍ[(1)] فمَتَّ إليه بالقرابةِ ، فأطلَقه ، فكان لا يَنْساها بعدُ لابنِ الأشترِ .

ثم تقدَّم المختارُ بجيشِه إلى الكُناسَةِ وحصَروا ابنَ مُطيعٍ بقصرِه ثلاثًا ، ومعه أشرافُ الناسِ سِوى عمرِو بنِ حُرَيْثٍ ، فإنَّه لزِم دارَه ، فلمّا ضاق الحالُ على ابنِ مُطيعٍ وأصحابِه استَشارَهم فأشار عليه شَبَثُ بنُ رِبْعِىٍّ أن يأخُذَ له ولهم مِن المختارِ أمانًا ، فقال : ما كنتُ لأفعَلَ هذا وأميرُ المؤمنين مطاعٌ بالحجازِ وبالبصرةِ . فقال له : فإن رأيتَ أن تذهَبَ بنفسِك مختَفِيًا حتى تلحَقَ بصاحبِك فتُخبرَه بما كان مِن الأمرِ ، وبما كان منّا فى نَصرِه وإقامةِ دولتِه . فلمّا كان الليلُ خرَج ابنُ مُطِيعٍ مختَفِيًا حتى دخَل دارَ أبى موسى الأشعرىِّ ، فلمّا أصبَح الناسُ أخَذ الأمراءُ لهم أمانًا مِن أميرِهم ابنِ الأشترِ فأمَّنهم ، فخرَجوا مِن القصرِ وجاءوا إلى المختارِ فبايَعُوه . وجاء المختارُ فدَخَل القصرَ فبات فيه ، وأصبَح أشرافُ الناسِ فى المسجدِ وعلى بابِ القصرِ ، فخرَج المختارُ إلى المسجدِ فصعِد المنبرَ فخطَب الناسَ خُطبةً بليغةً ، ثم دعا الناسَ إلى البيعةِ وقال[(2)] : فوالذى جعَل السماءَ سَقْفًا مكفُوفًا والأرضَ فِجَاجًا سُبُلًا ، ما بايعتُم بعدَ بيعةِ علىٍّ أهدَى منها . ثم نزَل فدخَل ودخَل الناسُ يُبايعونَه على كتابِ اللَّهِ وسنَّةِ رسولِه ، والطلبِ بثأْرِ [(3)] الحسينِ و[(3)] أهلِ البيتِ ، وجاء رجُلٌ إلى المختارِ فأخبرَه أنَّ ابنَ مُطيعٍ فى دارِ [٧/ ٣١ظ] أبى موسى ،

---

(١) بعده فى ٣١، ٢١، م : « فكان بينهم قتال شديد قتل فيه رفاعة بن شداد أمير جيش التوابين الذين قدم بهم عبد اللَّه بن سعد بن قيس وجماعة غيرهم ، ثم انتصر عليهم ابن الأشتر » .

(٢) تاريخ الطبرى ٦/ ٣٢.

(٣ - ٣) سقط من : ٣١، ٢١، م.

فأَراه أنَّه لا يَسمَعُ قولَه ، (١حتى كرَّر١) ذلك ثلاثًا (٢كلُّ ذلك يُريه أنه لا يسمعُ قولَه٢) . فسَكَت الرجلُ ، فلمَّا كان الليلُ بعَث المختارُ إلى ابنِ مُطيعٍ بمائةِ ألفِ درهمٍ وقال له : اذهَبْ فقد أُخبِرْتُ[٣] بمكانِك - وكان له صديقًا قبلَ ذلك - فذهَب ابنُ مُطيعٍ إلى البصرةِ وكرِه أن يرجِعَ إلى عبدِ اللَّهِ بنِ الزُّبيرِ وهو مغلوبٌ[٤] . وشرَع المختارُ يتحبَّبُ إلى الناسِ بحُسْنِ السِّيرةِ . ووجَد فى بيتِ المالِ تسعةَ آلافِ ألفٍ ، فأَعْطَى الجيشَ الذين حضَروا معه القتالَ نفقاتٍ كثيرةً . واستعمَل على شُرْطتِه عبدَ اللَّهِ بنَ كاملٍ الشاكرىَّ[٥] ، وقرَّبَ أشرافَ الناسِ فكانوا جُلساءَه ، فشقَّ ذلك على الموالى الذين قاموا بنَصْرِه ، وقالوا لأبى عَمْرَةَ كَيْسانَ مولى عُرَيْنَةَ[٦] ، وكان على حرسِه : قدَّم واللَّهِ أبو إسحاقَ العربَ وترَكَنا . فأَنْهَى ذلك أبو عَمْرةَ إليه ، فقال : بل هم مِنِّى وأنا منهم . ثم قال : ﴿ إِنَّا مِنَ ٱلْمُجْرِمِينَ مُنتَقِمُونَ ﴾ [السجدة : ٢٢] . فقال لهم أبو عَمْرةَ : أبشِروا فإنَّه سيَقْتُلُهم[٧] ويُقرِّبُكم . فأعجبَهم ذلك وسكَتوا .

ثم إنَّ المختارَ بعَث الأمراءَ إلى النواحى والبُلدانِ (٨والأقاليمِ٨) والرَّساتيقِ ، مِن أرضِ العراقِ وخُراسانَ ، وعقَد الألويَةَ والراياتِ . وقرَّر الإمارةَ والولاياتِ ، وجعَل يجلِسُ للناسِ غُدوةً وعَشيَّةً يحكُمُ بينَهم ، فلمّا طال ذلك عليه استقْضَى شُرَيْحًا

(١ - ١) فى م : « فكرر » .

(٢ - ٢) سقط من : ٣١، ٢١، م .

(٣) فى م : « أخذت » .

(٤) فى الأصل، ٣١، ٢١، ص : « مغلول » .

(٥) فى النسخ : « اليشكرى » . والمثبت من تاريخ الطبرى ٦/ ٣٣، والكامل ٤/ ٢٧٧.

(٦) فى م : « غزينة » . وانظر تاريخ الطبرى ٦/ ٣٣.

(٧) فى ٣١، ٢١، م : « سيدنيكم » .

(٨ - ٨) سقط من : ٣١، ٢١، م .

فتكلَّم فى شُرَيحٍ طائفةٌ مِن الشيعةِ ، وقالوا : إنَّه شهِد على[1] حُجْرِ بنِ عدِيٍّ ، وإنَّه لم يُبلِّغْ عن هانئَ بنِ عُرْوةَ ما[2] أرسَله به ، وقد كان علىُّ بنُ أبى طالبٍ عزَله عن القضاءِ . فلمَّا بلَغ شُرَيْحًا ذلك تمارَض ولزِم بيتَه ، فجعَل المختارُ مكانَه عبدَ اللَّهِ بنَ عُتْبَةَ بنِ مسعودٍ ، ثم عزَله وجعَل مكانَه عبدَ اللَّهِ بنَ مالكٍ الطَّائىَّ قاضيًا .

فصلٌ

ثم شرَع المختارُ يتتبَّعُ قتَلَةَ الحسينِ مِن شريفٍ ووَضيعٍ فيقتُلُه ، وكان سببَ ذلك أنَّ عبيدَ اللَّهِ بنَ زيادٍ كان قد جهَّزه مَرْوانُ بنُ الحكَمِ مِن دمشقَ ليدخُلَ الكوفةَ ، فإنْ هو ظَفِر بها فلْيُبِحْها ثلاثةَ أيامٍ ، [3]وجعَل له ما غلَب عليه مِن البلادِ[3] ، فسار ابنُ زيادٍ قاصدًا الكوفةَ فلقِى جيشَ التوَّابين [4]بعَيْنِ الوَردةِ - كما ذكَرْنا - ثم سار[4] حتى انتهَى إلى الجزيرةِ فوجَد بها قيسَ عَيْلانَ[5] ، وهو مِن أنصارِ ابنِ الزبيرِ ، وقد كان مَرْوانُ أصاب منهم قتلَى كثيرةً يومَ مرجِ راهطٍ ، وهم أَلْبٌ عليه ، وعلى ابنِه عبدِ الملكِ مِن بعدِه ، فتعوَّق عن المسيرِ سنةً وهو محاصِرٌ[6] قيسَ عَيْلانَ[7] بالجزيرةِ ، ثم وصَل إلى الموصلِ ، فانحازَ نائبُها عنه إلى تَكْريتَ ، وكتَب

---

(١) سقط من : م .
(٢) فى م : « كما » .
(٣ - ٣) سقط من : ٣١، ٢١، م، ص . وانظر تاريخ الطبرى ٦/ ٣٨.
(٤ - ٤) فى ٣١، ٢١، م : « فكان من أمرهم ما تقدم ثم سار من عين وردة » .
(٥) فى الأصل ، ص : « بن غيلان » . وفى ٣١، ٢١، م : « غيلان » . والمثبت من تاريخ الطبرى ٦/ ٣٨، والكامل ٤/ ٢٢٨.
(٦) فى م : « فى حرب » .
(٧) فى النسخ : « غيلان » .

إلى المختارِ يعلِمُه بذلك ، فندَب المختارُ يزيدَ بنَ [٣٢/٧و] أنسٍ فى ثلاثةِ آلافٍ اختارها ، وقال له : إنّى سأُمِدُّك بالرجالِ بعدَ الرجالِ . فقال له : لا تُمِدَّنى إلَّا بالدعاءِ . وخرَج معه المختارُ إلى ظاهرِ الكوفةِ فودَّعه ودعا له ، وقال له : لِيكُنْ خبرُك فى كلِّ يومٍ عندِى ، وإذا لَقِيتَ عدوَّك فناجِزْهم[(١)] ، ولا تؤخِّرْ فرصَةً .

ولمَّا بلَغ خبرُ مخرجِهم مِن الكوفةِ عبيدَ اللَّهِ بنَ زيادٍ جهَّز بينَ يدَيْه سَرِيَّتَين ؛ إحداهما مع ربيعةَ بنِ مُخارقٍ ثلاثةُ آلافٍ ، والأخرى مع عبدِ اللَّهِ بنِ حَمْلةَ ثلاثةُ آلافٍ ، وقال : أيُّكم سبَق فهو الأميرُ ، وإن سبَقتما معًا فالأميرُ [(٢)]على الناسِ[(٢)] أسَنُّكما . فسبَق ربيعةُ بنُ مُخارقٍ إلى يزيدَ بنِ أنسٍ فالتَقيا فى طرَفِ أرضِ المَوْصِلِ ممَّا يلِى الكوفةَ ، فتواقَفا هنالك ، ويزيدُ بنُ أنسٍ مريضٌ مُدْنَفٌ ، وهو مع ذلك يُحرِّضُ قومَه على الجهادِ ويدُورُ على الأَرباعِ وهو محمولٌ مضْنًى [(٣)]راكبٌ على حمارٍ ، وهو يقولُ لقومِه : يا شُرْطةَ اللَّهِ ، اصبِروا تُؤْجَروا ، وقاتِلوا عدوَّكم تَظْفَروا ، ثم نزَل فوُضِع له سريرُه بينَ الصفَّينِ ، وقال لقومِه : قاتِلوا عن أميرِكم إن شئتُم أو فِرُّوا عنه[(٣)] . وقال للناسِ : إن هلكتُ فالأميرُ على الناسِ عبدُ اللَّهِ بنُ ضَمْرةَ العُذْرِيُّ[(٤)] رأسُ[(٥)] الميمنةِ ، فإن هلَك [(٦)]فسِعْرُ بنُ أبى سِعْرٍ[(٦)] رأسُ الميسرةِ . وكان وَرْقاءُ بنُ عازبٍ[(٧)] الأسَدىُّ على الخيلِ ، وهو وهؤلاء ، الثلاثةُ أمراءُ

---

(١) فى م : « فناجزك فناجزه » .

(٢ - ٢) فى ٣١ ، ٢١ ، م : « عليكم » .

(٣ - ٣) زيادة من : الأصل . وانظر تاريخ الطبرى ٦/ ٤١ .

(٤) فى ٣١ ، ٢١ ، م : « الفزارى » . وانظر تاريخ الطبرى ٦/ ٤١ .

(٥) فى ٣١ ، ٢١ ، م : « وهو رأس » .

(٦ - ٦) فى ٣١ ، ٢١ ، م ، ص : « فمسعر بن أبى مسعر » . وانظر تاريخ الطبرى ٦/ ٤١ .

(٧) فى الأصل ، ص : « عامر » . وفى ٣١ ، ٢١ ، م : « خالد » . والمثبت من تاريخ الطبرى ٦/ ٤١ .

الأَرباعِ ، وكان ذلك فى يومِ عرفةَ مِن سنةِ ستٍّ وستِّين عندَ إضاءةِ الصبحِ ، فاقتتَلوا هم والشاميون قتالًا شديدًا ، واضطرَبت كلٌّ مِن الميمنتَيْن والميسرَتيْن ، ثم حمَل وَرْقاءُ على الخيلِ فهزَمها ، وفرَّ الشاميون وقُتِل أميرُهم ربيعةُ بنُ مخارقٍ ، واحتازَ جيشُ المختارِ ما فى عسكرِهم[1] ، ورجَع فُرّارُهم فلَقُوا الأميرَ الآخَرَ عبدَ اللَّهِ بنَ حَمْلَةَ ، فقال : ما خبرُكم ؟ فأخْبَروه ، فرجَع بهم معه وسار بهم نحوَ يَزيدَ ابنِ أنسٍ ، فانتهَى إليهم عِشاءً ، فبات الناسُ مُتَحاجِزين ، فلمَّا أصبَحوا تواقَفوا على تعبئَتِهم ، وذلك يومَ الأضحى مِن سنةِ ستٍّ وستين ، فاقتتَلوا قتالًا شديدًا ، فهزَم جيشُ المختارِ جيشَ الشاميين أيضًا ، وقتَلوا أميرَهم عبدَ اللَّهِ بنَ حَمْلَةَ ، واحتوَوْا على ما فى معسكرِهم ، وأسَروا منهم ثلاثَمائةِ أسيرٍ ، فجاءوا بهم إلى يزيدَ بنِ أنسٍ وهو على آخرِ رمَقٍ ، فأمَر بضَرْبِ أعناقِهم .

ومات يزيدُ بنُ أنسٍ مِن يومِه ذلك ، وصلَّى عليه خليفتُه ورقاءُ بنُ عامرٍ ودفَنه ، وسُقِط فى أيدى أصحابِه وجعَلوا يتسلَّلون راجعين إلى الكوفةِ ، فقال لهم ورقاءُ : يا قومُ ماذا تَرَوْن ؟ إنَّه قد بلَغنى أنَّ ابنَ زيادٍ قد أقبَل فى ثمانين ألفًا مِن الشامِ ، ولا أرَى لكم بهم طاقةً ، وقد هلَك [٧/ ٣٢ظ] أميرُنا وتفرَّق عنا طائفةٌ مِن الجيشِ مِن أصحابِنا ، فلو انصرَفنا راجعين إلى بلادِنا ونُظْهِرُ أنَّا إنَّما انصرَفنا حَزَنًا منَّا على أميرِنا ، لكان خيرًا لنا مِن أن نَلْقاهم فيهزِمونا ونرجعَ مغلوبين . فاتفَق رأىُ الأمراءِ على ذلك ، فرَجعوا إلى الكوفةِ .

فلمَّا بلَغ خبرُهم أهلَ الكوفةِ [2]وأنَّهم قد كرُّوا راجعين ، وبلَغهم[2] أنَّ يزيدَ بنَ أنسٍ قد هلَك ، أرجَف أهلُ الكوفةِ بالمختارِ وقالوا : قُتِل يزيدُ بنُ أنسٍ فى المعركةِ

---

(١) فى ٣١، ٢١، م : « معسكر الشاميين » .

(٢ - ٢) سقط من : ٣١، ٢١، م .

وانهزَم جيشُه ، وعمَّا قليلٍ يقدَمُ عليكم عبيدُ اللَّهِ بنُ زيادٍ فيستأْصِلُكم ويَشْتَفُّ خَضْراءَكم . ثم تمالَئوا على الخروجِ على المختارِ (١ وقالوا : هو كذابٌ ، واتفقوا على حربِه ١) وقتالِه وإخراجِه مِن بينِ أظهُرِهم ، وقالوا : هو كذّابٌ قد قدَّم مواليَنا على أشرافِنا ، وزعَم أنَّ محمَّدَ ابنَ الحنفيَّةِ قد أمَره بالأَخذِ بثأرِ الحسينِ ، وهو لم يأمُرْه بشيءٍ ، وإنَّما هو مُتَقوِّلٌ عليه . وانتظَروا بخروجِهم عليه أن يخرُجَ مِن الكوفةِ إبراهيمُ بنُ الأَشترِ فإنَّه قد عيَّنه المختارُ أن يخرُجَ فى سبعةِ آلافٍ للقاءِ ابنِ زيادٍ[٢] ، فلمَّا خرَج إبراهيمُ بنُ الأشترِ اجتمَع أشرافُ الناسِ مِمَّن كان فى جيشِ قتلةِ الحسينِ وغيرِهم فى دارِ شَبَثِ بنِ رِبْعِيٍّ ، وأجْمَعوا أمرَهم على قتالِ المختارِ ، ثم وثَبوا فركِبتْ كلُّ قبيلةٍ مع أميرِها فى ناحيةٍ مِن نواحى الكوفةِ ، وقصَدوا قصرَ الإمارةِ ، وبعَث المختارُ عمرَو بنَ توبةَ[٣] بريدًا إلى إبراهيمَ بنِ الأَشترِ ليرجِعَ إليه سريعًا ، وبعَث المختارُ إلى أولئك يقولُ لهم : ماذا تنقِمون ؟ فإنِّى أُجيبُكم إلى جميعِ ما تطلُبون . وإنَّما يُريدُ أن يثبِّطَهم عن مناهضتِه حتى يقدَمَ إبراهيمُ بنُ الأَشترِ ، وقال : إنْ كنتم لا تُصدِّقونى فى أمرِ محمدِ ابنِ الحنفيةِ فابعَثوا مِن جهتِكم وأبعَثُ مِن جهتى مَن يسألُه عن ذلك . ولم يزَلْ يُطاوِلُهم حتى قدِم إبراهيمُ بنُ الأَشترِ بعدَ ثلاثٍ ، فانقسَم هو والناسُ فِرْقَتين ، فتكفَّل المختارُ بأهلِ اليمنِ ، وتكفَّل إبراهيمُ بنُ

(١ - ١) زيادة من : م .

(٢) بعده فى الأصل : « وقال له سر حتى تلقى جيش ابن أنس فردهم معك وسر بهم حتى تلقى عدوك عبيد الله بن زياد فناجزه فخرج بن الأشتر بمجموعه فلما بلغ ساباط جاءه كتاب المختار يأمره بالرجوع فرجع وكان المختار قد حصن قصر الإمارة واستعد للقتال وخرج أولئك الذين اتفقوا على قتاله فعسكروا بجبانة السبيع وهم شبث بن ربعى وشمر بن ذى جوشن ومحمد بن الأشعث وعبد الرحمن بن سعيد بن قيس وكعب الخثعمى وزحر بن قيس الجعفى وإسحاق بن محمد بن الأشعث وبشر بن جرير وحجار بن أبجر وعمرو بن الحجاج الزبيدى وغيرهم » .

(٣) فى الأصل ، ص : « ثوبة » ، وفى ص : « بويه » . وانظر تاريخ الطبرى ٦/ ٤٦ .

الأَشترِ بمُضَرَ[1] وعليهم شَبَثُ بنُ رِبْعِيٍّ ، وكان ذلك بإشارةِ [٣٣/٧و] المختارِ ، حتى لا يتولَّى ابنُ الأَشترِ النَّخَعِيُّ قتالَ[2] قومِه مِن أهلِ اليمنِ فيحنُوَ عليهم ، وكان المختارُ شديدًا عليهم .

ثم اقتتَل الناسُ فى نواحى الكوفةِ قتالًا عظيمًا ، وكثُرتِ القتلَى بينَهم مِن الفريقَين ، وجرَت فصولٌ وأحوالٌ حربيةٌ يطولُ استقصاؤُها ، وقُتِل جماعةٌ مِن الأشرافِ ؛ منهم عبدُ الرحمنِ بنُ سعيدِ بنِ قيسٍ الكندىُّ[3] ، وسبعُمائةٍ وثمانون رجلًا مِن قومِه ، وقُتِل مِن مُضَرَ بضعةَ عَشَرَ رجلًا ، ويُعرَفُ هذا اليومُ بجَبّانةِ السَّبِيعِ . وكان ذلك يومَ الأربعاءِ لستٍّ بقِين مِن ذى الحِجةِ سنةَ ستٍّ وستِّين ، ثم كانتِ النُّصرةُ للمختارِ عليهم ، وأسَر منهم خمسَمائةِ أسيرٍ ، فعُرِضوا على المختارِ فقال : انظُروا مَن كان منهم شهِد مقتلَ الحسينِ فاقتُلوه . فقُتِل منهم مائتان وأربعون رجلًا ، وقتَل أصحابُه منهم مَن كان يُؤْذِيهم ويُسىءُ إليهم بغيرِ أمرِ المختارِ ، ثم أطلَق الباقين ، وهرَب عمرُو بنُ الحجّاجِ الزُّبيدىُّ ، وكان ممَّن شهِد قتلَ الحسينِ فلا يُدرَى أين ذهَب مِن الأرضِ .

ذكرُ مقتلِ شَمِرِ بنِ ذى الجَوْشَنِ ،
أميرِ السَّرِيَّةِ التى قتَلت حُسينًا

وهَرَبِ أشرافِ الكوفةِ إلى البصرةِ إلى مصعبِ بنِ الزبيرِ . وكان ممَّن هرَب

---

(١) فى ٣١، ٢١، ص : « بمصر » . وانظر تاريخ الطبرى ٦/ ٤٧.

(٢) زيادة من : ٣١، ٢١، م .

(٣) فى تاريخ الطبرى ٦/ ٥٦: « الهمدانى » .

لقصدِه شَمِرُ بنُ ذى الجَوْشَنِ - قبَّحه اللَّهُ - فبعَث المختارُ[1] فى أَثَرِه غلامًا له يُقالُ له : زَرْبِىٌّ[2] . فلمَّا دنا منه قال شَمِرٌ لأصحابِه : تقدَّموا وذرونى وراءَكم بصفةِ أنَّكم قد هرَبتُم[3] وترَكْتمونى حتى يطمَعَ فىَّ هذا العِلْجُ . فساقوا وتأخَّر شَمِرٌ ، فأدرَكه زَرْبِىٌّ فعطَف عليه شَمِرٌ ، فدقَّ ظهرَه فقتَلَه ، وسار شَمِرٌ وترَكه ، وكتَب كتابًا إلى مصعبِ بنِ الزبيرِ وهو بالبصرةِ يُنذِرُه بقُدومِه عليه ، ووِفادتِه إليه ، وكان كلُّ مَن فرَّ مِن هذه الوقعةِ يهرُبُ إلى مصعبٍ بالبصرةِ ، وبعَث شَمِرٌ الكتابَ مع عِلْجٍ مِن علوجِ قريةٍ قد نزَل عندَها يُقالُ لها : الكَلْتانِيَّةُ[4] . عند نَهْرٍ إلى جانبِ تلٍّ هناك ، فذهَب ذلك العِلْجُ فلقِيَه عِلْجٌ آخرُ فقال له : إلى أين تذهَبُ ؟ قال : إلى مصعبٍ . قال : ممَّن ؟ قال : مِن شَمِرٍ . فقال : اذهَبْ معى إلى سيِّدى . وإذا سيِّدُه أبو عَمْرةَ أميرُ حرسِ المختارِ ، وهو قد ركِب فى طلبِ شَمِرٍ ، فدلَّه العِلْجُ على مكانِه فقصَده أبو عَمْرةَ . وقد أشارَ أصحابُ شَمِرٍ عليه أن يتحوَّلَ مِن مكانِه ذلك فقال لهم : هذا كلُّه فَرَقٌ مِن الكذّابِ ، واللَّهِ لا أرتحِلُ مِن هاهنا إلى ثلاثةِ أيامٍ حتى أَمْلَأَ قُلوبَهم رُعْبًا ، فلمَّا [٥/٢٣٣ظ] كان الليلُ كابَسهم أبو عَمْرةَ فى الخيلِ ، فأَعْجَلهم أن يَرْكَبوا أو يَلْبَسوا أسْلِحتَهم ، وثار إليهم شَمِرُ بنُ ذى الجَوْشَنِ فطاعَنَهم برُمْحِه وهو عُرْيانٌ ، ثم دخَل خيمتَه ، فاسْتَخْرَج منها سيفًا ، وهو يقولُ[5] :

---

(١) انظر الخبر فى تاريخ الطبرى ٦/٥٢ وما بعدها ، والكامل ٤/ ٢٣٦.

(٢) فى الأصل ، ٣١، م : « زرنب » ، وفى ٢١: « زربن » ، وفى ص : « دزيب » ، وكذا فيما يأتى من مواضع . والمثبت من تاريخ الطبرى ٦/ ٥٢. وانظر الكامل ٤/ ٢٣٦.

(٣) فى الأصل : « ذهبتم » .

(٤) فى م ، ص : « الكلبانية » . والكلتانية: ما بين السوس والصيمرة . انظر معجم البلدان ٤/ ٢٩٩.

(٥) الأبيات فى تاريخ الطبرى ٦/ ٥٤، والكامل ٤/ ٢٣٧.

نَبَّهْتُمُ لَيثَ عَرِينٍ باسِلا   جَهْمًا مُحيَّاهُ يدُقُّ الكاهِلا

لم يُرَ يومًا عن عدُوٍّ ناكِلا   إلا كذا[1] مقاتِلًا أو قاتِلا

* يُبَرِحْهُمْ[2] ضربًا ويُرْوِى العامِلا[3] *

ثم ما زال يُناضِلُ عن نفسِه حتى قُتِل ، فلمَّا سَمِع أصحابُه ، وهم مُنْهَزِمون ، صوتَ التَّكْبيرِ وقولَ أصحابِ المُخْتارِ : اللَّهُ أكبرُ ، قُتِل الخَبيثُ . عَرَفوا أنه قد قُتِل ، قَبَّحه اللَّهُ .

قال أبو مِخْنَفٍ ، عن يونُسَ بنِ أبى إسحاقَ قال[4] : ولمَّا خرَج المُخْتارُ مِن جَبَّانةِ السَّبيعِ ، وأقْبَل إلى القَصْرِ - يعنى[5] مُنْصَرَفَه مِن القِتالِ - ناداه سُراقةُ بنُ مِرْداسٍ بأعْلى صوتِه ، وكان فى الأسْرَى :

امْنُنْ علىَّ اليومَ يا خيرَ مَعَدّْ   وخيرَ مَن حَلَّ بِشِحْرٍ[6] والجَنَدْ[7]

* وخيرَ مَن (8) لَبَّى وصام (8) وسَجَدْ *

قال : فبعَثه إلى السجنِ ، فاعْتَقَله ليلةً ، ثم أطْلَقَه مِن الغدِ ، فأقْبَل إلى المُخْتارِ ، وهو يقولُ :

---

(١) فى ٣١، م : « أنحر » ، وفى ٢١: « فكن » .

(٢) فى النسخ : « يزعجهم » . والمثبت من مصادر التخريج .

(٣) فى ٣١، ٢١: « الكاهلا » .

(٤) أخرجه الطبرى فى تاريخه ٦/٥٤ من طريق أبى مخنف به .

(٥) فى الأصل : « بعد » .

(٦) فى الأصل ، ٣١، ٢١، ص : « بسبح » . والشِّحْر : ساحل اليمن . تاج العروس (ش ح ر) .

(٧) فى الأصل ، ٣١، ٢١: « بالجند » . وفى ص : « فالحيد » . والجند : مدينة باليمن بين عدن وتعز . تاج العروس (ج ن د) .

(٨ - ٨) فى تاريخ الطبرى : « حيا ولبى » .

أَلَا أخبِرْ[1] أبا إسحاقَ أَنَّا نَزَوْنا نَزْوةً كانت علينا
خرَجْنا لا نَرَى الضُّعفاءَ شيئًا وكان خُروجُنا بَطَرًا وحَيْنًا[2]
نَراهم فى مَصافِهِمُ[3] قليلًا وهم مثلُ الدَّبا[4] حينَ الْتَقَيْنا
برَزْنا إذ رأَيْناهم فلمَّا رَأَيْنا القومَ قد بَرَزوا إلينا
رَأَيْنا منهمُ ضَرْبًا وطَحْنًا[5] وطَعْنًا صائبًا حتى انْثَنَيْنا[6]
نُصِرْتَ على عدوِّكَ كلَّ يومٍ بكلِّ كَتيبةٍ تَنْعَى حُسينًا
كنصرِ محمدٍ فى يومِ بدرٍ ويومِ الشِّعْبِ إذ لاقَى حُنينًا
فأَسْجِحْ إذ مَلَكْتَ فلو مَلَكْنا لجُرْنا فى الحُكومةِ واعْتَدَيْنا
تقَبَّلْ تَوْبةً منى فإنِّى سأَشْكُرُ إذ جَعَلْتَ النقدَ[7] دَيْنا

وجعَل سُراقةُ بنُ مِرْداسٍ يَحْلِفُ أنه رأَى المَلائكةَ تقاتِلُ[8] على الخُيولِ البُلْقِ[9] بينَ السماءِ والأرضِ ، وأنه لم يَأْسِرْه إلا واحدٌ مِن أولئك المَلائكةِ ، فأمَره المُخْتارُ أن يَصْعَدَ المِنْبرَ فيُخْبِرَ الناسَ بذلك . فصَعِد المنبرَ فأخْبَر الناسَ بذلك ، فلمَّا نزَل خَلا به المُخْتارُ ، فقال له[10] : [٧/ ٣٤و] إنى قد عَرَفْتُ أنك لم تَرَ المَلائكةَ ، وإنما أرَدْتَ

(١) فى تاريخ الطبرى ٦/ ٥٤: «أبلغ».
(٢) فى م: «شينا». والحين: الهلاك.
(٣) المصاف؛ بفتح الميم وتشديد الفاء: جمع مصف؛ وهو موضع الحرب الذى يكون فيه الصفوف. وتخفف الفاء هنا لضرورة الشعر. ويجوز أن تقرأ على الإفراد «فى مصفِّهم» وحينئذ لا ضرورة.
(٤) فى ٣١: «الثرا»، وفى ٢١، م: «الربا»، وفى ص: «الدياجير». والدبى: أصغر الجراد والنمل. القاموس المحيط (د ب ى).
(٥) فى الأصل، ٣١، ٢١، ص: «طلحنا»، وفى تاريخ الطبرى: «طلحفا».
(٦) فى الأصل، ٣١، ٢١، ص: «انتهينا».
(٧) فى الأصل، ٣١، ٢١، ص: «العقد»، وفى م: «العفو». والمثبت من تاريخ الطبرى ٦/ ٥٤، والكامل ٤/ ٢٣٨.
(٨) سقط من: م، ص.
(٩) البُلْق، واحدتها أبلق: وهو الفرس فيه سواد وبياض.
(١٠) بعده فى الأصل، ص: «فيما بينه وبينه». انظر تاريخ الطبرى ٦/ ٥٥.

بقولِك هذا أنّى لا أَقْتُلُك، (١ولستُ أَقْتُلُك فاذْهَبْ١) حيث شئتَ؛ لا[٢] تُفْسِدْ علىَّ أصْحابى. فذَهَب سُراقةُ إلى البَصْرةِ إلى مُصْعَبِ بنِ الزبيرِ، وجعَل يقولُ:

ألَا أبلِغْ[٣] أبا إسحاقَ أنّى ... رأيْتُ البُلْقَ دُهْمًا مُصْمِتاتِ

كَفَرْتُ بوَحْيِكم وجعَلْتُ نَذْرًا ... علىَّ قتالَكم حتى المَماتِ

رأَت عيناىَ ما لم تُبْصِراه[٤] ... كِلانا عالِمٌ بالتُّرَّهاتِ

إذا قالوا أقولُ لهم كذَبْتُم ... وإن خرَجوا لَبِسْتُ لهم أَداتى

قالوا[٥]: ثم خَطَب المختارُ أصحابَه، فحرَّضهم فى خُطْبتِه تلك على تتَبُّعِ[٦] مَن قتَل الحسينَ مِن أهلِ الكوفةِ المُقِيمين بها، فقال[٧]: (٨ما دِينُنا ترْكُ قومٍ٨) قَتَلوا حُسينًا يَمْشون فى الدنيا أحْياءً آمِنين، بئس ناصرُ آلِ محمدٍ، إنى إذًا كَذَّابٌ كما سَمَّيْتُمونى أنتم، فإنى باللَّهِ أَسْتَعِينُ عليهم، فالحمدُ للَّهِ الذى جَعَلنى سيفًا أَضْرِبُهم[٩]، ورُمْحًا أَطْعَنُهم[٩]، وطالبَ وَتْرِهم[١٠]، والقائمَ بحقِّهم، وإنه كان حَقًّا على اللَّهِ أن يَقْتُلَ مَن قتَلهم، وأن يُذِلَّ مَن جَهِل حقَّهم، فسَمُّوهم ثم اتَّبِعوهم حتى تَقْتُلوهم، فإنه لا يَسوغُ لىَ الطَّعامُ والشَّرابُ حتى أُطَهِّرَ الأرضَ

(١ - ١) فى ص: «ولكن اذهب».

(٢) فى ٣١، ٢١، م: «لئلا».

(٣) فى ٣١، ٢١، م: «أخبر».

(٤) يرويه النحويون: أُرِى عينىَّ مالَم تَرْأَياهُ. انظر الخصائص ٣/ ١٥٣، وديوانه سراقة ص ٧٨.

(٥) انظر تاريخ الطبرى ٦/ ٥٧، والكامل ٤/ ٢٣٩.

(٦) سقط من: ٣١، ٢١، م.

(٧) فى م: «فقالوا».

(٨ - ٨) فى م، ص: «ما ذنبنا نترك أقواما».

(٩) بعده فى الأصل، ص: «به».

(١٠) الوَتْر: الجناية التى يجنيها الرجل على غيره من قتل وغيره.

منهم ، وأنْفِيَ مَن فى المِصْرِ منهم . ثم جعَل يَتَتَبَّعُ مَن [(1] فى الكوفةِ منهم [(2)] وكانوا يأْتون بهم [1)] حتى يُوقَفوا بيـنَ يدَيه فيَأْمُرَ بقَتْلِهم على أنْواعٍ مِن القِتْلاتِ مما يُناسِبُ ما فعَلوا ؛ ومنهم مَن حرَّقه بالنارِ ، ومنهم مَن قَطَّع أطْرافَه وترَكه حتى مات ، ومنهم مَن يُرْمَى بالنِّبالِ حتى يَموتَ ، فأتَوْه بمالكِ بنِ بَشيرٍ [(3)] ، فقال له المُخْتارُ : أنت الذى نَزَعْتَ بُرنُسَ الحسينِ عنه ؟ فقال : خرَجْنا ونحن كارهون ، فامْنُنْ علينا . فقال : اقْطَعوا يدَيه ورجلَيه . ففعَلوا به ذلك ، ثم ترَكوه يَضْطَرِبُ حتى مات ، وقَتَل عبدَ اللَّهِ بنَ أَسِيدٍ الجُهَنِىَّ وغيرَه شَرَّ قِتْلةٍ .

مَقْتَلُ خَوْلِىِّ بنِ يزيدَ الأَصْبَحِىِّ الذى احْتَزَّ رأسَ الحسينِ ، رَضِىَ اللَّهُ عنه

بعَث [(4)] إليه المُخْتارُ أبا عَمْرةَ صاحبَ حَرَسِه ، فكَبَس بيتَه ، فخرَجَت إليهم امرأتُه ، فسأَلوها عنه ، فقالت : لا أدْرِى أين هو . وأشارَتْ بيدِها إلى المكانِ الذى هو مُخْتَفٍ فيه ، وكانت تُبْغِضُه مِن ليلةِ قَدِم برأسِ الحسينِ معه إليها ، وكانت تَلومُه على ذلك ، واسمُها العَيُوفُ [(5)] بنتُ مالكِ بنِ نهارِ بنِ عَقْرَبٍ الحضرمىِّ ، فدَخَلوا عليه فوجَدوه قد وَضَع على رأسِه قَوْصَرَّةً [(6)] ، فحمَلوه إلى المُخْتارِ ، فأمَر بقتلِه قريبًا مِن دارِه ، وأن يُحْرَقَ بعد ذلك .

(1 - 1) فى الأصل ، ص : « ذكر له منهم وهو بالكوفة فيؤتون » .

(2) سقط من : م .

(3) فى ا ٢ : « شير » ، وفى م : « بشر » ، وفى تاريخ الطبرى ٦/ ٥٧ : « النسير » . انظر الكامل ٤/ ٢٣٩ .

(4) تاريخ الطبرى ٦/ ٥٩ ، ٦٠ .

(5) فى ا ٣ ، م : « العبوق » .

(6) القوصرة : وعاء للتمر من قصَب . الوسيط (ق ص ر) .

وبعَث المختارُ إلى حَكيم بنِ فُضَيْلِ السِّنْبِسِيِّ - وكان قد سَلَب العباسَ بنَ عليِّ بنِ أبى طالبٍ يومَ قُتِل الحسينُ - فأُخِذ، فذَهَب أهلُه إلى عَدِىِّ بنِ حاتمٍ، فرَكِب ليَشْفَعَ فيه عندَ المختارِ، فخشِى [٣٤/٧ظ] أولئك [(١] الذين أخَذوه [١)] أن يَسْبِقَهم عَدِىٌّ إلى المختارِ فيُشَفِّعَه فيه، فقتَلوا حَكِيمًا قبلَ أن يَصِلَ إلى المختارِ، فدَخَل عدىٌّ، فشَفَع فيه فشَفَّعه فيه، فلمَّا رَجَعوا وقد قَتَلوه شَتَمهم عدىٌّ، وقام مُتَغَضِّبًا عليهم، وقد تَقَلَّد مِنَّةَ المختارِ. وبعَث المختارُ إلى [(٢] زيدِ بنِ رُقَادٍ [٢)]، وكان قد قَتَل عبدَ اللَّهِ بنَ مسلمِ بنِ عَقيلٍ، فلمَّا أحاط الطَّلَبُ بدارِه خرَج فقاتَلهم فرَمَوْه بالنَّبْلِ والحِجارةِ حتى سَقَط، ثم حرَّقوه وبه رَمَقُ الحَياةِ، وطَلَب المختارُ سِنانَ بنَ أنسٍ، الذى كان يَدَّعى أنه قَتَل الحسينَ، فوَجَدوه قد هَرَب إلى البَصْرةِ، [(٣] فأمَر بدارِه فهُدِمت. فهكذا صنَع بكلِّ مَن هرَب مِن هؤلاء إلى البصرةِ [٣)] أو الجزيرةِ، فهُدِمَت دارُه. وكان محمدُ بنُ الأشْعَثِ بنِ قيسٍ ممَّن هَرَب إلى مُصْعَبٍ، فأمَر المختارُ بهَدْمِ دارِه، وأن يُبْتَنى بها دارُ حُجرِ بنِ عَدِىٍّ التى كان زِيادٌ هدَمها.

مَقْتَلُ عمرَ بنِ سعدِ بنِ أبى وَقَّاصٍ
أميرِ الجيشِ الذين قَتَلوا الحسينَ

[(٤] قال الواقدىُّ [(٥)]: كان سعدُ بنُ أبى وَقَّاصٍ، رَضِى اللَّهُ عنه، جالسًا ذاتَ يومٍ؛ [٤)]

(١ - ١) سقط من: الأصل، ص.
(٢ - ٢) فى م: «يزيد بن ورقاء».
(٣ - ٣) سقط من: م.
(٤ - ٤) سقط من: ص.
(٥) لم نجده عن الواقدى، وقد أخرجه بنحوه، عن أبى المنذر، ابن أبى الدنيا فى كتابه «مجابو الدعوة» ٧٣، ومن طريقه ابن عساكر فى تاريخه ١٣/٢٢٠ - ٢٢١ (مخطوط)، والمزى فى تهذيب الكمال ٢١/٣٥٨.

(١) إذ جاء غُلامٌ له ، ودَمُه يَسِيلُ على عَقِبَيْه ، فقال له سعدٌ : مَن فعَل بك هذا ؟ فقال : ابنُك عمرُ . فقال سعدٌ : اللهم اقْتُلْه وأَسِلْ دمَه . وكان سعدٌ مُسْتَجابَ الدَّعْوةِ ، فلمَّا ظهَر (٢) المختارُ على الكوفةِ اسْتَجار عمرُ بنُ سعدٍ بعبدِ اللَّهِ بنِ جَعْدَةَ ابنِ هُبَيْرَةَ ، وكان صَديقًا للمُخْتارِ مِن قَرابتِه مِن عليٍّ ، فأَتَى المختارَ فأخَذ منه لعمرَ ابنِ سعدٍ أمانًا ؛ مَضْمونُه أنه آمِنٌ على نَفْسِه وأهلِه ومالِه ما أطاع ولَزِم رَحْلَه ومِصْرَه ، ما لم يُحْدِثْ حَدَثًا ، وأراد المختارُ ما لم يَأْتِ الخَلاءَ فيَبولَ أو يَغوطَ . ولمَّا بَلَغ عمرَ بنَ سعدٍ أن المختارَ يُريدُ قَتْلَه خرَج مِن مَنْزِلِه ليلًا يُريدُ السفرَ نحوَ مُصْعَبٍ أو عُبَيْدِ اللَّهِ بنِ زيادٍ ، فنَمَى للمُخْتارِ بعضُ مَواليه ذلك . فقال المختارُ : وأيُّ حَدَثٍ أعْظَمُ مِن هذا ؟ وقيل : إن مَوْلاه قال له ذلك ، وقال له : تَخْرُجُ مِن منزلِك ورَحْلِك ؟ ارْجِعْ . فرَجَع . ولمَّا أصْبَح بعَث إلى المختارِ يقولُ له : هل أنت مُقيمٌ على أمانِك ؟ وقيل : إنه أتَى المختارَ يَتَعَرَّفُ منه ذلك ، فقال له المختارُ : اجْلِسْ . وقيل : إنه أرْسَل عبدَ اللَّهِ بنَ جَعْدَةَ إلى المختارِ يقولُ له : هل أنت مُقيمٌ على أمانِك له ؟ فقال له المختارُ : اجْلِسْ . فلما جَلَس قال المختارُ لصاحبِ حرسِه : اذْهَبْ فأْتِني برأسِه . فذَهَب إليه فقتَله ، وأتاه برأسِه (١) .

(٣) وفى روايةٍ (٤) أن المختارَ قال (٣) ليلةً : لأَقْتُلَنَّ غدًا رجلًا عَظيمَ القدَمَيْن ، غائرَ العَيْنَيْن ، مُشْرِفَ الحاجبَيْن ، يُسَرُّ بقتلِه المؤمنون والملائكةُ المُقَرَّبون . وكان الهَيْثَمُ ابنُ الأسْودِ حاضرًا ، فوَقَع فى نفسِه أنه أراد عمرَ بنَ سعدٍ ، فبعَث إليه ابنَه

(١ - ١) سقط من : ص .

(٢) فى م : « خرج » .

(٣ - ٣) فى ص : « قال المختار » .

(٤) تاريخ الطبرى ٦/ ٦٠، والكامل ٤/ ٢٤١.

العُريانَ[1] ، فأنْذَره ، فقال : كيف يكونُ هذا بعدَما أعْطانى مِن العُهودِ والمَواثِيقِ ؟ وكان المختارُ حينَ قَدِم الكوفةَ أحْسَنَ [٧/ ٣٥و] السِّيرةَ إلى أهلِها أولًا ، وكتَب لعمرَ بنِ سعدٍ كتابَ أمانٍ إلَّا أن يُحْدِثَ حَدَثًا . قال أبو مِخْنَفٍ[2] : وكان أبو جعفرٍ الباقرُ يقولُ : إنما أراد المختارُ إلَّا أن يَدْخُلَ الكَنيفَ فيُحْدِثَ فيه . ثم إنَّ عمرَ ابنَ سعدٍ قَلِق أيضًا ، ثم جعَل يَتَنَقَّلُ مِن مَحَلَّةٍ إلى مَحَلَّةٍ ، ثم صار أمْرُه أنه رَجَع إلى دارِه ، وقد بَلَغ المُختارَ انتقالُه مِن مَوْضِعٍ إلى مَوْضِعٍ فقال : كلَّا واللَّهِ إن فى عُنُقِه سِلْسِلةً تَرُدُّه لو جهِد[3] [4]أن يَنْطَلِقَ ما اسْتطَاع . ثمَّ أصبَح فبعَث إليه أبا عَمْرةَ فدَخل عليه ، فقال : أَجِبِ الأَميرَ . فقَام عُمَرُ[4] ، فعثَر فى جُبَّتِه ، فضرَبه أبو عَمْرةَ بالسيفِ حتى قَتَله ، وجاء برأسِه فى أسفلِ قَبائِه حتى وَضَعه بينَ يدَيِ المختارِ ، فقال المختارُ لابنِه حفصِ بنِ عمرَ - وكان جالسًا عندَ المختارِ[5] : أتَعْرِفُ هذا الرأسَ ؟ فاسْتَرْجَع وقال : نعم ولا خيرَ فى العيشِ بعدَه . فقال : صَدَقْتَ ، ثم أمَر به[6] فضُرِبَت عنقُه ، ووُضِع رأسُه مع رأسِ أبيه ، ثم قال المختارُ : هذا بالحسينِ ، وهذا بعليِّ بنِ الحسينِ الأكبرِ ، ولا سَواءَ ، واللَّهِ لو قتَلْتُ به ثلاثةَ أرْباعِ قريشٍ ما وَفَّوْا أُنْمُلةً مِن أنامِلِه . ثم بَعَث المختارُ برأسَيْهما إلى محمدِ ابنِ الحَنَفيةِ ، وكتَب إليه كتابًا فى ذلك[7] :

---

(١) فى م : « الغرثان » .

(٢) أخرجه الطبرى فى تاريخه ٦/ ٦١ به .

(٣) فى م ، ص : « لوجهه » .

(٤ - ٤) فى ا ٣، ا ٢، م : « إن يطير لأدركه دم الحسين فأخذ برجله ثم أرسل إليه أبا عمرة فأراد الفرار منه » .

(٥) بعده فى م : « فقال » .

(٦) سقط من : ا ٣، م .

(٧) تاريخ الطبرى ٦/ ٦٢ .

بسمِ اللَّهِ الرحمنِ الرحيمِ ، للمهدىِّ محمدِ بنِ علىٍّ مِن المُخْتارِ بنِ أبى عُبَيدٍ ، سَلامٌ عليك أيُّها المَهْدىُّ ، فإنى أَحْمَدُ إليك اللَّهَ الذى لا إلهَ إلا هو ، أمّا بعدُ : فإن اللَّهَ بَعَثَنى نقمةً على أعدائِكم ، فهم بينَ قَتيلٍ وأَسيرٍ وطَريدٍ وشَريدٍ ، فالحمدُ للَّهِ الذى قتَل قاتِلَكم ، ونصَر مُؤازِرَكم ، وقد بَعَثْتُ إليك برأسِ عمرَ بنِ سعدٍ وابنِه ، وقد قتَلْنا مَن شرَك فى دمِ الحسينِ وأهلِ بيتِه كلَّ مَن قَدَرْنا عليه ، ولن يُعْجِزَ اللَّهَ مَن بَقِى ، ولسْتُ بمُنْحَجِمٍ عنهم حتى لا يَبْلُغَنى أنَّ على أديمِ الأرضِ منهم إِرَمِيًّا(1) [٧/ ٣٥ظ] فاكْتُبْ إلىَّ أيُّها المَهْدىُّ برأيِك أَتَّبِعْه وأَكُنْ عليه ، والسلامُ عليك أيُّها المَهْدىُّ ورَحمةُ اللَّهِ وبركاتُه .

ولم يَذْكُرِ ابنُ جَريرٍ أن محمدَ ابنَ الحَنَفيةِ رَدَّ جَوابَه ، مع أن ابنَ جَريرٍ قد تَقَصَّى هذا الفصلَ وأطال شَرْحَه ، ويَظْهَرُ مِن غُبونِ كلامِه (2)ونظامِه(2) قوةُ وَجْدِه به وغَرامِه ، ولهذا تَوَسَّع فى إيرادِه برِواياتِ أبى مِخْنَفٍ لُوطِ بنِ يَحْيَى ، وهو مُتَّهَمٌ فيما يَرْوِيه ، ولاسيما فى بابِ التَّشَيُّعِ ، وهذا المَقامُ للشِّيعةِ فيه غَرامٌ وأىُّ غَرامٍ ؛ إذ فيه الأخذُ بثأْرِ الحسينِ (3)وأهلِه مِن قَتَلَتِهم ، والانْتقامُ منهم(3) . ولاشَكَّ أن قَتْلَ قَتَلَتِه كان مُتَحَتِّمًا ، والمُبادَرةُ إليه كان مَغْنَمًا ، ولكن إنَّما قَدَّره اللَّهُ على يدِ المُخْتارِ الكَذَّابِ الذى صار بدَعْواه إتيانَ الوَحْىِ إليه كافرًا ، وقد قال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « إنَّ اللَّهَ لَيُؤَيِّدُ هذا الدينَ بالرَّجلِ الفاجرِ »(4) . وقال تعالى فى كتابِه الذى هو أفضلُ ما يَكْتُبُه الكاتبون : ﴿ وَكَذَٰلِكَ نُوَلِّى بَعْضَ ٱلظَّٰلِمِينَ بَعْضًۢا بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴾

---

(1) فى الأصل : « أديما » ، وفى ٣١، ٢١، م : « أحد » ، وفى ص : « آدميا » . والمثبت من مصدر التخريج . وإرميًّا : يعنى أحدًا . وانظر لسان العرب (أ ر م) .

(2 - 2) سقط من : ٣١، ٢١، م .

(3 - 3) فى الأصل ، م : « والانتقام » .

(4) تقدم فى ٦/ ٢٧٥ .

[الأنعام: ١٢٩] . وقال بعضُ الشُّعراءِ :

وما مِن يدٍ إلا يدُ اللَّهِ فوقَها ... ولا ظالمٍ إلا سيُبْلَى بظالمِ

وسيأْتى فى تَرْجَمةِ المخْتارِ ما يَدُلُّ على كَذِبِه وافْتِرائِه ، وادِّعائِه نُصْرةَ أهلِ البيتِ ، وهو فى نفسِ الأمرِ مُتَسَتِّرٌ بذلك ليَجْمَعَ عليه رَعاعًا مِن الشِّيعةِ الذين بالكوفةِ ؛ ليُقيمَ لهم دَوْلةً ويَصولَ بهم ويَجُولَ على مُخالِفيه صَوْلةً .

ثم إنَّ اللَّهَ تعالى سَلَّط عليه مَن انْتَقَم منه ، وهذا هو الكَذَّابُ الذى قال فيه الرسولُ ﷺ فى حديثِ أسْماءَ بنتِ الصديقِ : « إنه سَيَكونُ فى ثَقِيفٍ كَذَّابٌ ومُبيرٌ »[1] . فهذا هو الكَذابُ ، وهو يُظْهِرُ التَّشَيُّعَ ، وأمَّا المُبيرُ فهو الحَجَّاجُ بنُ يوسُفَ الثَّقَفِىُّ ، وقد وُلِّى الكُوفةَ مِن جهةِ عبدِ الملكِ بنِ مَرْوانَ ، كما سيأْتى . وكان الحَجَّاجُ عكسَ هذا ؛ كان ناصِبيًّا[2] جَلْدًا ظالمًا غاشمًا ، ولكن لم يَكُنْ فى طبقةِ هذا ، يُتَّهَمُ على دينِ الإسْلامِ ودَعْوى النُّبوةِ ، وأنه يَأْتِيه الوَحْىُ مِن العلىِّ العَلَّامِ .

قال ابنُ جَريرٍ[3] : وفى هذه السنةِ بَعَث المخْتارُ المُثَنَّى بنَ مُخَرِّبةَ[4] العَبْدىَّ إلى البَصْرةِ يَدْعو إليه مَن اسْتَطاع مِن أهْلِها ، فدَخَلها وابْتَنى بها مسجدًا يَجْتَمِعُ إليه فيه قومُه ، فجعَل يَدْعو إلى المخْتارِ ، ثم أَتَى مدينةَ الرِّزقِ[5] ، فعَسْكَر عندَها ، فبعَث إليه الحارثُ بنُ عبدِ اللَّهِ بنِ أبى[6] رَبيعةَ القُباعُ - وهو أميرُ البَصْرةِ قبلَ أن يُعْزَلَ

---

(١) تقدم فى ٩/ ٢٥١.

(٢) الناصبيَّة وأهل النَّصْب: المتدينون ببِغْضَة علىٍّ ؛ لأنهم نَصَبوا له الخلاف ، وهم طائفة من الخوارج . تاج العروس (ن ص ب) .

(٣) تاريخ الطبرى ٦/ ٦٦.

(٤) فى النسخ : « مخرمة » ، والمثبت من تاريخ الطبرى ٦/ ٦٦، والكامل ٤/ ١٦١، وانظر أنساب الأشراف « دار الفكر » ٦/ ٤١٥، والإكمال ٧/ ٢١١.

(٥) فى الأصل ، ٣١، ٢١، م: « الورق » ، وفى ص : « المورق » . والمثبت من تاريخ الطبرى .

والرزق : هى إحدى مسالح العجم بالبصرة قبل أن يختطها المسلمون . معجم البلدان ٢/ ٥٧٥.

(٦) سقط من: م. وانظر نزهة الألباب ٢/ ٨٤.

بمُصْعَبٍ - جيشًا مع عَبَّادِ بنِ الحُصَينِ [٧/ ٣٦و] أميرِ الشُّرْطةِ، وقيسِ بنِ الهَيْثمِ. فقاتَلوه وأخَذوا منه المَدينةَ، وانْهَزم أصحابُه، وكان قد قام بنُصْرتِهم بنو عبدِ القيسِ، فبعَث إليهم الجيشَ، فبعَثوا إليه، فأرْسَل الأحْنَفَ بنَ قيسٍ وعمرَو بنَ عبدِ الرحمنِ المخْزوميَّ ليُصْلِحا بينَ الناسِ، وساعَدهما مالكُ بنُ مِسْمَعٍ، فانْحَجز الناسُ بعضُهم عن بعضٍ، ورجَع إلى المختّارِ فى نَفَرٍ يَسيرٍ مِن أصحابِه مَغْلولًا مَغْلوبًا مَسْلوبًا، وأخْبَر المختّارَ بما وقَع مِن الصُّلْحِ على يدَيِ الأحْنَفِ وغيرِه مِن أولئك الأُمراءِ، وطمِع المختّارُ فيهم، وكاتَبهم فى أن يَدْخُلوا معه فيما هو فيه مِن الأمْرِ.

وكان كِتابُه إلى الأحْنَفِ بنِ قيسٍ: مِن المختّارِ إلى الأحْنَفِ بنِ قيسٍ ومَن قِبَلَه، فسِلْمٌ[1] أنتم، أمَّا بعدُ فوَيْلُ أُمِّ[2] رَبيعةَ مِن مُضَرَ، وإن الأحْنَفَ يُورِدُ قومَه سَقَرَ، حيث لا يَسْتَطِيعُ لهم الصَّدَرَ، وإنى لا أمْلِكُ لكم ما قد خُطَّ فى القَدَرِ، وقد بَلَغنى أنكم [3]تسمُّونى كذابًا[3]، وقد كُذِّب الأنْبياءُ مِن قَبْلى ولستُ بخيرٍ منهم.

وقال ابنُ جَريرٍ[4]: حَدَّثنى أبو السائبِ سَلْمُ بنُ جُنادةَ، ثنا الحسنُ بنُ حَمَّادٍ، عن حِبَّانَ[5] بنِ عليٍّ، عن مُجالِدٍ، عن الشعبيِّ قال: دَخَلْتُ البَصْرةَ، فقَعَدْتُ إلى حَلْقةٍ، فيها الأحْنَفُ بنُ قيسٍ، فقال بعضُ القومِ: مَن أنت؟ فقلتُ: رجلٌ مِن أهلِ الكوفةِ. فقال: أنتم مَوالٍ لنا. قلتُ: وكيف؟ قال: قد[6]

(١) فى ا ٣، ا ٢، م: «من الأمراء أفسلم».
(٢) فى النسخ: «لبنى»، والمثبت من تاريخ الطبرى.
(٣ - ٣) فى ا٣، ا٢، م: «سميتمونى الكذاب».
(٤) تاريخ الطبرى ٦/ ٦٩.
(٥) فى النسخ: «حماد». والمثبت من تاريخ الطبرى، وانظر تهذيب الكمال ٥/ ٣٣٩.
(٦) سقط من: م.

أنقَذْناكم مِن أيدى عَبيدِكم مِن أصحابِ المختّارِ. قلتُ: تَدْرِى ما قال شيخٌ مِن هَمْدانَ فينا وفيكم؟ فقال الأحْنَفُ: وما قال؟ قلتُ: قال:

أَفَخَرْتُم أنْ قَتَلْتُم أَعْبُدًا ... وهَزَمْتُم مَرةً آلَ عَزَلْ[1]

فإذا فاخَرْتُمونا فاذْكُروا ... ما فعَلْنا بكُمُ يومَ الجَمَلْ

بينَ شيخٍ خاضبٍ عُثْنُونَه[2] ... وفتًى أبيضَ[3] وضَّاحٍ[4] رِفَلّْ[5]

جاءنا[6] يَهدِجُ فى سابغةٍ ... فذَبَحْناه ضُحًى ذَبْحَ الحَمَلْ[7]

وعَفَوْنا فنَسِيتُمْ عَفْوَنا ... وكفَرْتُم نعمةَ اللَّهِ الأجَلّْ

وقتَلْتُم [8]بحُسَيْنٍ منهمُ[8] ... بدلًا مِن قومِكم شَرَّ بَدَلْ

قال: فغَضِب الأحْنَفُ، وقال: يا غلامُ، هاتِ الصَّحيفةَ. فأُتِى بصَحِيفةٍ فيها: بسمِ اللَّهِ الرحمنِ الرحيمِ، مِن المختّارِ بنِ أبى عُبَيدٍ إلى الأحْنَفِ بنِ قيسٍ، أمّا بعدُ فوَيْلُ أمِّ[9] رَبيعةَ مِن مُضَرَ، فإن الأحْنَفَ يُورِدُ قومَه سَقَرَ، حيث لا يَقْدِرون على الصَّدَرِ، [٧/٣٦ظ] وقد بَلَغَنى أنكم تُكَذِّبونى، فإن كُذِّبْتُ فقد كُذِّبَ رُسُلٌ مِن قَبْلى، ولستُ بخيرٍ منهم. ثم قال الأحْنَفُ: هذا منَّا أو منكم.

---

(١) فى النسخ: «عدل». والمثبت من تاريخ الطبرى.
(٢) فى م: «عثبونه».
(٣) فى م: «البيضاء».
(٤) فى م: «وضاحا».
(٥) فى الأصل، ٣١، ٢١، ص: «وقل»، وفى م: «دقل». والمثبت من تاريخ الطبرى.
(٦) فى م: «جاء».
(٧) فى النسخ: «الجمل». والمثبت من تاريخ الطبرى.
(٨ - ٨) فى تاريخ الطبرى: «خشبيين بهم».
(٩) فى م: «لبنى».

فصــلٌ

ولمّا علِم المختارُ أنَّ ابنَ الزبيرِ لا ينامُ عنهم ، وأنّ جيشَ الشامِ مِن قِبَلِ عبدِ الملك ابنِ مروانَ يقصِدونه مع عبيدِ اللَّهِ بنِ زِيادٍ فى جمعٍ كثيرٍ لا يُرامُ ، شرَع يُصانِعُ ابنَ الزبيرِ ، يريدُ خِداعَه والمكرَ به[1] ، فكتَب إليه : إنِّى كُنتُ بايعتُك على السمعِ والطاعةِ والنصحِ لك ، فلمّا رأيتُك قد أعرضْتَ عنى تباعدْتُ عنك ، فإن كنْتَ على ما أعهَدُ منك فأنا على السمعِ والطاعةِ لك . والمختارُ يُخفِى هذا كلَّ الإخفاءِ عن الشيعةِ ، فإذا ذكَر له أحدٌ شيئًا مِن ذلك أظهَر لهم أنه أبعدُ الناسِ مِن ذلك . فلمَّا وصَل كتابُه إلى ابنِ الزبيرِ أراد أنْ يعلَمَ أصادقٌ هو أم كاذبٌ ؟ فدعا عمرَ بنَ عبدِ الرحمنِ بنِ الحارثِ بنِ هشامٍ المخْزُوميَّ ، فقال له : تجهَّزْ إلى الكوفةِ فقد ولَّيْتُكها . فقال : وكيف وبها المُختارُ ؟ فقال : إنَّه يزعُمُ أنَّه سامعٌ لنا مُطيعٌ . وأعطاه قريبًا مِن أربعين ألفًا يتجهَّزُ بها ، فسار فلمّا كان ببعضِ الطريقِ لَقِيه زائدةُ بنُ قُدامةَ مِن جهةِ المختارِ فى خَمسِمائةِ فارسٍ مُلبسةٍ ، ومعه سبعون ألفًا مِن المالِ ، وقد تقدَّمَ إليه المختارُ فقال له : أعطِه المالَ ، فإنْ هو انصرفَ وإلّا فأَرِهِ الرجالَ فقاتِلْه حتى ينصرِفَ . فلمَّا رَأَى عمرُ بنُ عبدِ الرحمنِ الجِدَّ قبَض المالَ وسار إلى البصرةِ فاجتمَع هو وابنُ مُطيعٍ بها عند أميرِها الحارثِ بنِ عبدِ اللَّهِ بنِ أبى رَبِيعةَ ، وذلك قبلَ وُثوبِ المُثَنَّى بنِ مُخَرِّبَةَ - كما تقدَّم - وقبلَ وصولِ مُصعبِ بنِ الزبيرِ إليها .

وبعَث عبدُ الملكِ بنُ مَرْوانَ ابنَ عمِّه عبدَ الملكِ بنَ الحارثِ بنِ الحكَمِ فى جيشٍ إلى وادى القُرى ؛ ليأخُذوا المدينةَ مِن نوّابِ ابنِ الزبيرِ . وكتَب المختارُ إلى

(١) انظر تاريخ الطبرى ٦/ ٧١، والكامل ٤/ ٢٤٦.

ابنِ الزبيرِ[1] : إنْ أحببْتَ أنْ أمُدَّك بمَدَدٍ . وإنَّما يُريدُ المختارُ خديعتَه ومُكايدَتَه ، فكتَب إليه ابنُ الزبيرِ : إنْ كنْتَ على طاعتى فلَستُ أكرَهُ ذلك ، فابعَثْ بجُندٍ إلى وادى القُرَى ؛ ليكونوا مدَدًا لنا على قتالِ الشاميِّين . فجهَّزَ المختارُ ثلاثةَ آلافٍ عليهم شُرَحْبيلُ بنُ وَرْسٍ الهَمْدانيُّ ، ليس فيهم مِن العربِ إلَّا سَبعُمائةٍ ، وقال له : سِرْ حتى تدخُلَ المدينةَ ، فإذا دخَلْتَها فاكتُبْ إلىَّ حتى يأتيَك أمرى . وإنَّما يُريدُ أخذَ المدينةِ مِن ابنِ الزبيرِ ، ثم يركَبُ بعدَ ذلك إلى مكَّةَ ليحاصِرَ ابنَ الزبيرِ بها . وخَشِى ابنُ الزبيرِ [٧/٣٧و] أنْ يكونَ المختارُ بعَث ذلك الجيشَ مكْرًا ، فبعَث العبَّاسَ بنَ سَهْلِ بنِ سعدٍ السَّاعِدِيَّ فى ألفيْنِ ، وأمَرَه أنْ يستعينَ بالأعرابِ ، وقال لهم : إنْ رأيتُموهم فى طاعتى وإلا فكايدوهم حتى نُهلِكَهم[2] .

فأقبَل العبَّاسُ بنُ سهلٍ حتى لَقِى ابنَ وَرْسٍ بالرَّقِيمِ ، وقد تَعَبَّى[3] ابنُ وَرْسٍ فى جيشِه ، فاجتَمعا على ماءٍ هنالك ، فقال له العبَّاسُ : ألستُم فى طاعةِ ابنِ الزبيرِ؟ فقال : بلى . قال : فإنَّه قد أمَرنى أنْ نذهَبَ إلى وادى القُرى فنقاتِلَ مَن به مِن الشاميِّين . فقال له ابنُ وَرْسٍ : فإنِّى لم أُومرْ بطاعتِك ، وإنَّما أُمِرتُ[4] أنْ أدخُلَ المدينةَ ، ثم أكتُبَ إلى صاحبى فيأمُرَنى[5] بأمرِه . ففهِم عبَّاسٌ مَغْزاه ، ولم يُظْهِرْ له أنه فطِن لذلك ، فقال له : رأيُك أفضَلُ ، فاعْمَلْ ما بَدا لك . ثم نهَض العبَّاسُ مِن عندِه ، وبعَث إليهم الجزُرَ والغنمَ والدَّقيقَ ، وقد كان عندَهم حاجةٌ أكيدةٌ[6] إلى

---

(١) انظر هذه المكاتبات فى تاريخ الطبرى ٦/ ٧١، ٧٢. والكامل ٤/ ٢٤٦، ٢٤٧.
(٢) فى ا ٢، م : « يهلكهم الله » .
(٣) فى م : « بقى » ، وفى ص : « تعد » .
(٤) فى م : « أمرنى » .
(٥) فى م : « فإنه يأمرنى » .
(٦) فى م : « شديدة » .

ذلك ، وجوعٌ كثيرٌ ، فجعَلوا يذبَحون ويطبُخون ويختَبِزون ويأْكُلون على ذلك الماءِ ، فلمّا كان الليلُ بيَّتَهم عبَّاسُ بنُ سهلٍ فقتَل أميرَهم وطائفةً منهم نحوًا مِن سبعين ، وأسَر منهم خَلْقًا كثيرًا ، فقتَل أكثرَهم ، ورجَع القليلُ منهم (١إلى المختارِ ، و١) إلى بلادِهم خائبين .

قال أبو مِخْنَفٍ[٢] : فحدَّثنى أبو[٣] يوسُفَ أنَّ عبَّاسَ بنَ سهلٍ انتهى إليهم وهو يقولُ :

أنا ابنُ سهلٍ فارسٌ غيرُ وَكَلْ ... أرْوَعُ مِقدَامٌ إذا الكَبْشُ نَكَلْ
وَأَعْتَلى رأسَ الطِّرِمَّاحِ البَطَلْ ... بالسَّيْفِ يومَ الرَّوْعِ حتَّى يُنْخَزَلْ[٤]

فلمَّا بلَغ خبرُهم المختارَ قام فى أصحابِه خَطيبًا فقال : إنَّ الفُجَّارَ الأشرارَ قتَلوا الأبرارَ الأخيارَ ، ألَا إنَّه كان أمرًا مأتيًّا ، وقضاءً مقضيًّا . ثم كتَب إلى محمدِ ابنِ الحنفيَّةِ مع صالحِ بنِ مسعودٍ الخَثْعَمِىِّ كتابًا يذكُرُ فيه أنَّه بعَث إلى المدينةِ جيشًا لنُصرتِه فغدَر بهم جيشُ ابنِ الزبيرِ ، فإنْ رأيتَ أنْ أبعَثَ جيشًا آخرَ إلى المدينةِ وتبعثَ مِن قِبَلِك رُسلًا إليهم فافعَلْ . فكتَب إليه ابنُ الحنفيَّةِ : أمَّا بعدُ فإنَّ أحبَّ الأمورِ كلِّها إلىَّ ما أُطيعَ اللَّهُ فيه ، فأطعِ اللَّهَ فيما أعلنتَ وأسررتَ ، واعلَمْ أنّى لو أردْتُ القتالَ لوجدْتُ الناسَ إلىَّ سراعًا ، والأعوانَ لى كثيرةً ، ولكنِّى أعتزلُهم وأصبِرُ حتى يحكُمَ اللَّهُ لى وهو خيرُ الحاكمين . وقال لصالحِ بنِ مسعودٍ : قلْ للمختارِ فَلْيتَّقِ اللَّهَ وليكفُفْ عنِ الدماءِ . فلمّا انتهى إليه كتابُ محمدِ ابنِ الحنفيَّةِ

(١ - ١) زيادة من : ٣١، ٢١، م .

(٢) أخرجه الطبرى فى تاريخه ٦/٧٤ من طريق أبى مخنف به .

(٣) سقط من : ٣١، ٢١، م .

(٤) فى النسخ : « ينجدل » . والمثبت من تاريخ الطبرى .

قال : إنِّى قد أُمِرْتُ بجمعِ البِرِّ واليُسْرِ ، وبطرحِ الكفرِ والغدرِ .

وذكَر [٧/ ٣٧ظ] ابنُ جريرٍ[1] ، مِن طريقِ المدائنىِّ وأبى مِخْنَفٍ أنَّ عبدَ اللَّهِ بنَ الزبيرِ عمَد إلى ابنِ الحنفيةِ وسبعةَ عشرَ رجلًا مِن أشرافِ أهلِ الكوفةِ فحبَسهم حتى يُبايعوه ، فكرِهوا أنْ يُبايعوا إلّا مَن اجتَمعتْ عليه الأُمَّةُ ، فتهدَّدَهم وتوعَّدَهم واعتقَلهم بزمزمَ ، فكتَبوا إلى المختارِ بنِ أبى عبيدٍ يستصرِخونه ويستنصِرونه ، ويقولون له : إن ابنَ الزبيرِ قد توعَّدنا بالقتلِ والحريقِ ، فلا تخذُلونا كما خذَلتُم الحسينَ وأهلَ بيتِه . فجمَع المختارُ الشيعةَ وقرأ عليهم الكتابَ وقال : هذا كتابُ المهدىِّ وصريخُ أهلِ البيتِ ، [2]قد أصبحوا محصورِين ينتظِرون القتلَ والحريقَ[2] ، وقال : لستُ أبا[3] إسحاقَ إن لم أنصُرْهم[4] نصرًا مُؤَزَّرًا ، وإن لم أسرِّبْ[5] إليهم الخيلَ كالسيلِ يتلوه السيلُ ، حتى يَحُلَّ بابنِ الكاهليَّةِ الويلُ . ثم وجَّه أبا عبدِ اللَّهِ الجَدَلىَّ فى سبعينَ راكبًا مِن أهلِ القوةِ ، وظَبْيانَ بنَ عُمارةَ[6] التميمىَّ[7] فى أربعِمائةٍ ، وأبا المعتمرِ فى مائةٍ ، وهانئَ بنَ قيسٍ فى مائةٍ ، وعُميرَ بنَ طارقٍ فى أربعين ، [8]ويونسَ[9] بنَ عِمرانَ فى أربعين[8] ، وكتَب إلى محمدِ ابنِ الحنفيةِ مع

---

(١) تاريخ الطبرى ٦/ ٧٥.

(٢ - ٢) فى ١٣، ٢١، م : « يستصرخكم ويستنصركم فقام فى الناس بذلك » ، وفى ص : « فقام فى الناس بذلك » .

(٣) فى ١٣، ٢١، م : « أنا بأبى » .

(٤) فى م : « أنصركم » .

(٥) فى ١٣، ٢١، م : « أرسل » .

(٦) فى الأصل ، ١٣، ٢١، ص : « عمران » ، وفى م : « عمر » . والمثبت من تاريخ الطبرى والكامل ٤/ ٢٥٠. وانظر التاريخ الكبير ٤/ ٣٦٨، والجرح والتعديل ٤/ ٥٠٢.

(٧) فى الأصل ، ١٣، ٢١، م : « التيمى » .

(٨ - ٨) سقط من : م .

(٩) فى النسخ : « فارس » . والمثبت من تاريخ الطبرى والكامل .

الطُّفيلِ بنِ عامرٍ بتوجيهِ الجنودِ إليه ، فنزَلَ أبو عبدِ اللَّهِ الجَدَليُّ بذاتِ عِرقٍ حتى تلاحقَ به نحوٌ مِن مائةٍ وخمسينَ فارسًا ، ثم سارَ بهم حتى دخَل المسجدَ الحرامَ نهارًا جِهارًا ، وهم يقولون : يا ثاراتِ الحسينِ . وقد أعدَّ ابنُ الزبيرِ الحطبَ [(1)] لابنِ الحنفيَّةِ وأصحابِه [1)] ليحرقَهم به إن لم يبايعوا ، وقد بَقِيَ مِن الأجلِ يومان ، فعمدوا - يعنى أصحابَ المختارِ - إلى محمدِ ابنِ الحنفيةِ فأطلقوه مِن سجنِ ابنِ الزبيرِ ، وقالوا : إن أذِنتَ لنا قاتلْنا ابنَ الزبيرِ . فقال : إنِّى لا أرَى القتالَ فى المسجدِ الحرامِ . فقال لهم ابنُ الزبيرِ : ليس يبرحُ وتبرَحون حتى يُبايعَ وتُبايعوا معه . فامتنَعوا عليه ثم لحِقَهم بقيةُ أصحابِهم ، فجعَلوا يقولون وهم داخلون الحرَمَ : يا ثاراتِ الحسينِ . فلمَّا رأى ابنُ الزبيرِ ذلك مِنهم خافهم وكفَّ عنهم ، ثم أخَذوا محمدَ ابنَ الحنفيةِ ، وأخَذوا مِن الحجيجِ مالًا كثيرًا فسار بهم حتى دخَل شِعبَ عليٍّ ، واجتمَع معه أربعةُ آلافِ رجلٍ ، فقسَم بينَهم ذلك المالَ .

هكذا أورَد ذلك ابنُ جريرٍ ، وفى صحتِها نظرٌ . واللَّهُ أعلمُ .

قال ابنُ جريرٍ [(2)] : وحجَّ بالناسِ فى هذه السنةِ عبدُ اللَّهِ بنُ الزبيرِ وكان نائبُه بالمدينةِ أخاه مصعبَ بنَ الزبيرِ ، ونائبُه على البصرةِ الحارثَ بنَ عبدِ اللَّهِ بنِ أبى ربيعةَ ، وقد استحوذ المختارُ على الكوفةِ ، وعبدُ اللَّهِ بنُ خازمٍ [(3)] على بلادِ خراسانَ . [٣٨/٧و] وذكَر حروبًا جرَت فيها لعبدِ اللَّهِ بنِ خازمٍ [(4)] يطولُ ذكرُها [(5)] .

(١ - ١) زيادة من : ا٣، ا٢، م .

(٢) تاريخ الطبرى ٨٠/٦ - ٨١.

(٣) بعده فى الأصل : « وعبد الملك بن مروان على الشام وأخوه محمد بن مروان على الجزيرة وأرمينية وأخوه عبد العزيز على مصر » .

(٤) فى ا٣، ا٢، ص : « حازم » .

(٥) انظر تاريخ الطبرى ٧٧/٦ - ٨٠.

فصل

قال ابنُ جريرٍ[1] : وفى هذه السنةِ شخَص[2] إبراهيمُ بنُ الأَشترِ إلى عبيدِ اللَّهِ ابنِ زيادٍ ، وذلك لثمانٍ بقِين مِن ذى الحِجةِ . وقال أبو مِخْنَفٍ عن مشايخِه[3] : ما هو إلَّا أن فرَغ المختارُ مِن جَبّانةِ السَّبيعِ وأهلِ الكُناسةِ ، فما نزَل[4] إبراهيمُ بنُ الأشترِ إلَّا يومين حتى أشْخَصه إلى الوجهِ الذى كان وجَّهه له لقتالِ أهلِ الشامِ ؛ فخرَج يومَ السبتِ لثمانٍ بقِين مِن ذى الحِجةِ سنةَ ستٍّ وستين ، وخرَج معه المختارُ يودِّعُه فى وجوهِ أصحابِه ، وخرَج معهم خاصةُ المختارِ ، ومعهم كرسيُّ المختارِ على بغلٍ أَشْهَبَ ليَستنصِروا به على الأعداءِ ، وهم حافّون به يدْعون ويستصرِخون ويستنصِرون ويتضرَّعون ، فرجَع المختارُ بعدَ أن وصّاه بثلاثٍ ؛ قال : يا ابنَ الأَشترِ ، اتقِ اللَّهَ فى سرِّك وعلانيتِك ، وأَسْرِع السَّيْرَ ، وعاجِلْ عدوَّك بالقتالِ . واستمرَّ أصحابُ الكرسىِّ سائرين مع ابنِ الأَشترِ ، فجعَل ابنُ الأَشترِ يقولُ : اللهمَّ لا تؤاخِذْنا بما فعَل السفهاءُ منَّا ، سُنَّةُ بنى إسرائيلَ ، والذى نفسى بيدِه ، إذ عكَفوا على عِجلِهم . فلمَّا جاوَز القنطرةَ إبراهيمُ وأصحابُه انصرَف[5] أصحابُ الكرسىِّ .

قال ابنُ جريرٍ[6] : وكان سببُ اتخاذِ هذا الكرسىِّ ما حدَّثنى به عبدُ اللَّهِ بنُ

---

(1) تاريخ الطبرى ٦/ ٨١.
(2) فى ٣١، ١٢، م : « سار » .
(3) أخرجه الطبرى فى تاريخه ٨١/٦ من طريق أبى مخنف به بنحوه .
(4) فى النسخ : « ترك » . والمثبت من تاريخ الطبرى .
(5) فى ٣١، ١٢، م : « رجع » .
(6) تاريخ الطبرى ٦/ ٨٢.

أحمدَ بنِ شَبُّوَيْهِ[1]، حدَّثنى أبى، ثنا سليمانُ، ثنا عبدُ اللَّهِ بنُ المباركِ، عن إسحاقَ بنِ يحيى بنِ طلحةَ، حدَّثنى مَعْبَدُ[2] بنُ خالدٍ، حدَّثنى طُفَيْلُ بنُ جَعْدَةَ ابنِ هُبيرةَ قال: أَعْدَمْتُ مَرَّةً مِن الوَرِقِ فإِنِّى لكذلك إذ مررتُ ببابِ[3] جارٍ لى له كرسىٌّ قد ركِبه وَسَخٌ شديدٌ، فخطَر على بالى أنْ لو قلتُ فى هذا، فرجَعتُ فأرسَلتُ إليه أن أرْسِلْ إلىَّ بالكرسىِّ. فأرسَلَ به، فأتيتُ المختارَ فقلتُ له: إنِّى كنتُ أكتُمُك شيئًا وقد بدا لى أنْ أذكُرَه لك. قال: وما هو؟ قال: قلتُ: كرسىٌّ كان جَعْدَةُ بنُ هبيرةَ يجلِسُ عليه كأنَّه[4] يرَى أنَّ فيه أَثَرَةً مِن علمٍ[5]. قال: سبحانَ اللَّهِ! فأخَّرتَ[6] هذا إلى اليومِ؟ [7]ابعَثْ إليه[7]. قال: فجِئْتُ به وقد غُسِل فخرَج عُودًا نُضارًا وقد تشرَّب الزيتَ، فأمَر لى باثنَىْ عشَر ألفًا، ثم نودِى فى الناسِ: الصلاةَ جامعةً. قال: فخطَب المختارُ الناسَ فقال: إنَّه لم يكُنْ فى الأممِ الخاليةِ أمرٌ إلَّا وهو كائنٌ فى هذه الأمةِ مثلُه، وإنَّه قد كان فى بنى إسرائيلَ التابوتُ [8]يُنْصَرون به[8]، وإنَّ هذا مثلُه. ثم أمَر فكُشِف عنه أثوابُه، وقامتِ السبئيَّةُ[9] فرفَعوا أيدِيَهم وكبَّروا ثلاثًا، فقام شَبَثُ بنُ رِبْعِىٍّ فأنكَر على الناسِ وكاد أن يُكفِّرَ مَن يصنَعُ [٧/٣٨ظ] بهذا التابوتِ هذا التعظيمَ، وأشار بأنْ يُكْسَرَ

---

(١) فى ٣١: «شنويه»، وفى ٢١: «سيبويه»، وفى م: «شيبويه». وانظر الإكمال ٥/ ٢٢.

(٢) فى م: «معد».

(٣) بعده فى م، ص: «رجل هو».

(٤) بعده فى ٣١، ٢١، م: «كان».

(٥) بعده فى ٢١: «ويذكر أن على بن أبى طالب كان يجلس عليه».

(٦) فى ٣١، ٢١، م: «فلم أخرت».

(٧ - ٧) فى ٣١، ٢١، م: «ابعثه إلى». والمثبت كما فى الطبرى ٦/ ٨٢.

(٨ - ٨) زيادة من: ٣١، ٢١، م.

(٩) فى الأصل، ٣١: «الشباشية»، وفى م: «السبائية»، وفى ص: «السائية». والسبئية: أتباع عبد اللَّه بن سبأ الذى غَلَا فى على، رضى اللَّه عنه، وزعم أنه كان نبيًّا، ثم غلا فيه حتى زعم أنه إله، ودعا إلى ذلك قومًا من غُواة الكوفة. الفرق بين الفرق، صفحة ٢٣٣.

ويُخْرَجَ مِن المسجدِ ويُرْمَى به فى الحُشِّ . فشكَرها الناسُ لشَبَثِ بنِ ربعيٍّ ، فلمَّا قيل : هذا عبيدُ اللَّهِ بنُ زيادٍ قد أقبَلَ . وبعَث المختارُ إبراهيمَ بنَ الأشترِ ، بعَث معه بالكرسيِّ يُحْمَلُ على بغلٍ أَشْهَبَ قد غُشِّى بأثوابِ الحريرِ ، عن يمينِه سبعةٌ وعن يسارِه سبعةٌ ، فلمَّا تواجَهوا مع الشاميِّين - كما سيأتى - وغلَبوا الشاميِّين وقتَلوا ابنَ زيادٍ ، ازداد تعظيمُهم لهذا الكرسيِّ حتى بلَغوا به الكفْرَ ، قال الطُّفيلُ بنُ جَعْدَةَ : فقلتُ : إنَّا للَّهِ وإنَّا إليه راجعون . وندِمتُ على ما صنَعتُ . وتكلَّم الناسُ فى هذا الكرسيِّ ، وكثُر عيبُ الناسِ له ، فغُيِّبَ حتى لا يُرَى بعدَ ذلك .

وذكَر ابنُ الكلبيِّ[1] أنَّ المختارَ طلَب مِن آلِ جَعْدَةَ بنِ هُبَيْرَةَ الكرسيَّ الذى كان عليٌّ يجلِسُ عليه ، فقالوا : ما عندَنا شيءٌ مِمَّا يقولُ الأميرُ . فألَحَّ عليهم حتى عِلموا أنَّهم لو جاءوا بأىِّ كرسيٍّ كانَ لقَبِلَه منهم ، فحمَلوا إليه كرسيًّا مِن بعضِ الدُّورِ ، فقالوا : هذا هو . فخرَجتْ شِبامٌ[2] وشاكرٌ وسائرُ رءوسِ المختارِ به وقد عصَّبوه بالحريرِ والدِّيباجِ .

وحكَى أبو مِخْنَفٍ[3] أنَّ أولَ مَن سَدَنَ هذا الكرسيَّ موسى بنُ أبى موسى الأشعرىُّ ، ثم إنَّه عُتِب عليه فى ذلك ، فدفَعه[4] إلى حَوْشَبٍ البُرْسُمِيِّ ، فكان صاحبَه حتى هلَك المختارُ ، قبَّحه اللَّهُ .

ويروَى أنَّ المختارَ كان يُظْهِرُ أنَّه لا يعلَمُ بما يعظِّمُ أصحابُه هذا الكرسيَّ[5] .

---

(١) تاريخ الطبرى ٨٤/٦ ، ٨٥.

(٢) فى ٣١، ٢١: «سبا»، وفى م: «شيام».

(٣) تاريخ الطبرى ٨٤/٦ ، ٨٥ ولكن من قول أبى الأشعر لا أبى مخنف.

(٤) فى م : «فرفعه» .

(٥) تاريخ الطبرى ٦/ ٨٥.

وقد قال فى هذا الكرسىِّ أعْشَى هَمْدانَ[1] :

شَهِدتُ عليكم أنكم سَبَئِيَّةٌ[2] وإنِّى بكُم يا شُرْطَةَ الشِّرْكِ عارِفُ

وأُقْسِمُ ما كرسيُّكم بسَكينَةٍ وإن كان قد لُفَّتْ عليه اللفائفُ

وأنْ ليس كالتابوتِ فينا وإن سعتْ شِبامٌ حَوالَيه ونَهدٌ وخارِفُ

وإنِّى امرُؤٌ أحببتُ آلَ محمدٍ وتابَعتُ وحيًا ضُمِّنَتْهُ المصاحفُ

وتابَعْتُ عبدَ اللَّهِ لمَّا تتابَعَتْ عليه قُرَيشٌ شُمطُها والغطارِفُ

وقال المتوكِّلُ اللَّيْثِىُّ[3] :

أَبْلِغْ أبا إسحاقَ إن جئتَه أنِّى بكرسيِّكُمْ كافِرُ

تَنزُوا شِبامٌ حولَ أعوادِه وتحمِلُ الوحْىَ لهُ شاكِرُ

مُحْمَرَّةً أعينُهم حولَه كأنَّهُنَّ الحِمَّصُ الحادِرُ

[٧/ ٣٩و] قلتُ : وهذا وأمثالُه ممَّا يدلُّ على قلةِ عقلِ المختارِ وأتباعِه ، وضعفِه وقلةِ علمِه وكثرةِ جهلِه ، ورداءةِ فهمِه ، وترويجِه الباطلَ على أتباعِه ، وتشبيهِه الباطلَ بالحقِّ ليُضِلَّ به الطَّغامَ ، ويجْمَعَ عليه جُهّالَ العوامِّ .

(*)قال الواقدىُّ[4] : وفى هذه السنةِ وقَع فى مصرَ طاعونٌ هلَك فيه خلقٌ كثيرٌ مِن أهلِها . وفيها ضرَب الدنانيرَ عبدُ العزيزِ بنُ مَرْوانَ بمصرَ ، وهو أولُ مَن ضرَبها بها .

---

(١) تاريخ الطبرى ٦/ ٨٣ ، ٨٤.

(٢) فى ٢١، م، ص: « سبائية » .

(٣) المصدر السابق ٦/ ٨٤.

(*) من هنا إلى ما قبل سنة سبع وستين سقط من: ص .

(٤) انظر تاريخ خليفة ١/ ٣٣٢، وتاريخ الإسلام ٥/ ٥٣. ولم ينسب إلى أحد .

قال صاحبُ مرآةِ الزمانِ : وفيها ابتدأَ عبدُ الملكِ بنُ مَرْوانَ ببناءِ[(١)] القبةِ على صخرةِ بيتِ المقدسِ ، وعمارةِ الجامعِ الأقصَى ، وكمَلتْ عمارتُه فى سنةِ ثلاثٍ وسبعين ، وكان السببَ فى ذلك أنَّ عبدَ اللَّهِ بنَ الزبيرِ كان قد استولَى على مكةَ ، وكان يخطُبُ فى أيامِ منًى وعرفةَ ، ومُقامَ الناسِ بمكةَ ، وينالُ مِن عبدِ الملكِ ويَذْكُرُ مساوِئَ بنى مَرْوانَ ، ويقولُ : إنَّ النبىَّ ﷺ لعَن الحكَمَ وما نسَل ، وأنه طريدُ رسولِ اللَّهِ ﷺ ولعينُه . وكان يدعو إلى نفسِه ، وكان فصيحًا ، فمال معظمُ أهلِ الشامِ إليه ، وبلَغ ذلك عبدَ الملِكِ فمنَع الناسَ مِن الحجِّ فضجّوا ، فبنَى لهم[(٢)] القبةَ على الصخرةِ والجامعَ الأقصَى ؛ ليشغَلَهم بذلك عن الحجِّ ويستعطِفَ قلوبَهم ، وكانوا يقِفون عندَ الصخرةِ ويطُوفون حولَها كما يطُوفون حولَ الكعبةِ ، ويَنْحَرُون يومَ العيدِ ويحلِقُون رءُوسَهم . ففتَح بذلك على نفسِه[(٣)] بابَ تشنيعِ[(٣)] ابنِ الزبيرِ عليه ، فكان يُشَنِّعُ عليه بمكةَ ويقولُ : ضاهَى بها فعلَ الأكاسرةِ فى إيوانِ كسرَى ، والخضراءَ كما فعَل معاويةُ ، ونقَل الطوافَ مِن بيتِ اللَّهِ إلى قبلةِ بنى إسرائيلَ . ونحوَ ذلك .

ولمّا أراد عبدُ الملكِ[(٤)] بناءها سار مِن دمشقَ إلى[(٤)] بيتِ المقدسِ ومعه[(٥)] الأموالُ والعمالُ ، ووكَّل بالعملِ رجاءَ بنَ حَيْوةَ ، ويزيدَ بنَ سلامٍ مولاه ، وجمَع الصُّنّاعَ[(٦)] والمهندسين فأمرَهم فصوَّروا له القبةَ فى صحنِ المسجدِ فأعجبَه ، وبنى للمالِ بيتًا شَرقىَّ القبةِ ، وشحَنه بالمالِ[(٦)] ، وأمَر رجاءَ بنَ حيوةَ ، ويزيدَ أنْ يُفْرِغا

---

(١) فى الأصل : « فى عمارة » .

(٢) سقط من : م .

(٣ - ٣) فى م : « بأن شنع » .

(٤ - ٤) فى ٣١، ٢١، م : « عمارة » .

(٥) فى ٣١، ٢١، م : « وجه إليه » .

(٦ - ٦) فى ٣١، ٢١، م : « من أطراف البلاد وأرسلهم إلى بيت المقدس وأرسل إليه بالأموال الجزيلة الكثيرة » .

المالَ[1] إفراغًا ولا يتوقَّفا فيه، فبثّوا النفقاتِ وأكثَروا، فبنَوْا القبةَ [2]التى هى اليومَ قائمةٌ، وبنَوْا مِن ناحيةِ القبلةِ سبعَ قِبابٍ، والقُبَّةُ التى باقيةٌ اليومَ على المحرابِ هى أوسطُها، ولمّا تمَّ بناءُ القبَّةِ عمِل لها[2] جلالين؛ أحدَهما مِن [3]لُبُودٍ أحمرَ[3] للشتاءِ، والآخرَ مِن أُدُمٍ للصيفِ، [4]وحفَّ [٣٩/٧ظ] الصخرةَ بدرابزينَ من الساجِ المُطَعَّمِ باليَشْمِ[5]، وخلفَ الدرابزين ستورٌ من الديباجِ مرخاةٌ بينَ العُمُدِ، وكانت السدنةُ كلَّ خميسٍ واثنين يذوِّبون المسكَ[4] والعنبرَ والماوردَ والزعفرانَ، ويعمَلون منه غاليةً[6] ويُخمِّرونَها مِن الليلِ، ثم يدخُلُ الخدمُ الحمَّامَ مِن الليلِ

---

(١) فى م: «الأموال».
(٢ - ٢) فى ٣١، ا٢، م: «فجاءت من أحسن البناء وفرشاها بالرخام الملون وعملا للقبة».
(٣ - ٣) فى م: «اليود الأحمر».
(٤ - ٤) فى ٣١، ا٢، م: «وحفا القبة بأنواع الستور، وأقاما لها سدنة وخداما بأنواع الطيب والمسك».
(٥) اليشم: نوع من الأحجار الكريمة الشبيهة بالعقيق. المعجم الذهبى ٦٢٠.
(٦) بعده فى ٣١، ا٢، م: «ويبخرون القبة والمسجدَ مِن الليلِ، وجعَل فيها مِن قناديلِ الذهبِ والفضةِ والسلاسلِ الذهبِ والفضةِ شيئًا كثيرًا، وجعَل فيها العودَ القَمارِيَّ المغلف بالمسكِ وفرَشها والمسجدَ بأنواعِ البُسُطِ الملونةِ، وكانوا إذا أطلقوا البخورَ يُشَم مِن مسافةٍ بعيدةٍ، وكان إذا رجَع الرجلُ مِن بيتِ المقدسِ إلى بلادِه توجدُ منه رائحةُ المسكِ والطيبِ والبخورِ بعدَ أيامٍ، ويُعْرَفُ أنه قد أقبَلَ مِن بيتِ المقدسِ، وأنَّه دخَل الصخرةَ، وكان فيه مِن السَّدَنَةِ والقومِ القائمين بأمورِه خلقٌ كثيرٌ، ولم يكنْ يومئذٍ على وجهِ الأرضِ بناءٌ أحسنُ ولا أبهى مِن قبةِ صخرةِ بيتِ المقدسِ، بحيث إنَّ الناسَ التهَوْا بها عن الكعبةِ والحجِّ، بحيث كانوا لا يلتفِتون فى مواسمِ الحجِّ وغيرِه إلى غيرِ المسيرِ إلى بيتِ المقدسِ، وافتتَن الناسُ بذلك افتتانًا عظيمًا، وأتَوْه مِن كلِّ مكانٍ، وقد عمِلوا فيه مِن الإشاراتِ والعلاماتِ المكذوبةِ شيئًا كثيرًا مما فى الآخرةِ؛ فصوَّروا فيه صورةَ الصراطِ وبابَ الجنةِ، وقَدَمَ رسولِ اللَّهِ ﷺ، ووادِى جهنمَ، وكذلك فى أبوابِه ومواضعَ منه، فاغترَّ الناسُ بذلك، وإلى زمانِنا، وبالجملةِ أن صخرة بيتِ المقدسِ لمَّا فُرِغ مِن بنائِها لم يكنْ لها نظيرٌ على وجهِ الأرضِ بهجةً ومنظرًا، وقد كان فيها مِن الفصوصِ والجواهرِ والفسيفساءِ وغيرِ ذلك شىءٌ كثيرٌ، وأنواعٌ باهرةٌ. ولما فرَغ رجاءُ بنُ حيوةَ ويزيدُ بنُ سلامٍ مِن عمارتِها على أكملِ الوجوهِ فضَل مِن المالِ الذى أنفقاه على ذلك ستُّمائةِ ألفِ مثقالٍ، وقيل: ثلاثُمائةِ ألفِ مثقالٍ. فكتَبا إلى عبدِ الملكِ يُخْبِرانه بذلك، فكتَب إليهما: قد وهبته منكما. فكتبا إليه: إنا لو استطَعْنا لزدْنا فى عمارةِ هذا المسجدِ مِن حَلْيِ نسائِنا. فكتَب إليهما: إذ أبيتُما أن تقبلاه فأفرِغاه على القبةِ والأبوابِ. فما كان أحدٌ يستطيعُ أن يتأمَّلَ القبةَ مما عليها مِن الذهبِ =

فيغتسِلونَ ويتطيَّبونَ ، ويلبَسُون ثيابَ الوشْيِ ، ويشُدُّون أوساطَهم بالمناطِقِ المحُلَّاةِ بالذَّهبِ ، ويُخلِّقونَ الصَّخرةَ ثم يضَعُون البَخُورَ فى مجامرِ الذَّهبِ والفضَّةِ ، وفيها العودُ القماريُّ المغليُّ بالمسكِ ويرخِي السَّدنةُ الستورَ فتخرُجُ تلك الرائحةُ فتملأُ المدينةَ كلَّها ، ثم ينادِى منادٍ : أَلَا إنَّ الصّخرةَ قد فُتِحتْ فمن أراد الزيارةَ فليأتِ ، فيقبِلُ الناسُ مبادرين ، فيصلُّون ويخرُجون ، فمَن وُجِدتْ منه رائحةُ البَخورِ قال الناسُ : هذا كان اليومَ فى الصخرةِ .

وأبوابُ الصَّخرةِ أربعةٌ ؛ على كلِّ بابٍ عشَرةٌ مِن الحَجَبَةِ ، البابُ الشَّماليُّ يُسمَّى بابَ الجنَّةِ ، والشَّرقيُّ بابَ إسرائيلَ ، والغربيُّ بابَ جبريلَ ، والقبليُّ بابَ الأَقْصَى . وكانوا يشعِلونها بدُهْنِ البانِ ، ولا يدخُلُها أحدٌ غيرَ أيامِ الزيارةِ سوى الخدَمِ ، وكان للحرمِ عشرون بابًا ، وكان فيه ألفُ عمودٍ مِن الرُّخامِ ، وفى السُّقُوفِ ستون ألفَ خشبةٍ مِن السَّاجِ المنقوشِ ، ومِن القناديلِ خمسةُ آلافِ قنديلٍ ، وكان فيه أربعُمائةِ سلسلةٍ ، كلُّ سلسلةٍ ألفُ رطلٍ شاميٍّ ، طولُ السلاسلِ ثلاثون ألفَ ذراعٍ ، وكان يُوقَدُ فى الصّخرةِ كلَّ ليلةٍ مائةُ شمعةٍ ، وكذا فى الأَقْصى ، وكان يُوقَدُ فى القناديلِ كلَّ ليلةٍ مِن الزَّيتِ المفتولِ قنطارٌ ، وكان فى الحرمِ خمسون قُبّةً ، ومِن ألواحِ الرَّصاصِ سبعون ألفَ لوحٍ ، وكان فى الحرمِ ثلاثُمائةِ خادمٍ ابتاعوا مِن بيتِ المالِ من الخُمْسِ ، كُلَّما مات واحدٌ قام ولدُه بعدَه مقامَه ، ويقبِضُون أرزاقَهم مِن بيتِ المالِ شهرًا بشهرٍ ، وكان فى الحرمِ مائةُ

= القديمِ والحديثِ . فلمَّا كان فى خلافةِ أبى جعفرِ المنصورِ قدِم بيتَ المقدسِ سنة أربعين ومائةٍ ، فوجَد المسجدَ خرابًا ، فأمر أن يُقلعَ ذلك الذهبُ والصفائح التى على القبةِ والأبوابِ ، وأن يعمروا بها ما تشعَّث فى المسجدِ ، ففعَلوا ذلك . وكان المسجدُ طويلًا فأمَر أن يُؤخذَ مِن طولِه ويُزادَ فى عرضِه ، ولما كمَل البناءُ كتَب على القبةِ مما يلى البابَ القبليَّ : أمَر ببنائِه بعد تشعيثِه أميرُ المؤمنين عبدُ الملكِ سنةَ اثنتين وسبعين مِن الهجرةِ النبويةِ ، وكان طولُ المسجدِ مِن القبلةِ إلى الشمالِ سبعمائةٍ وخمسة وستين ذراعًا ، وعرضُه أربعمائةٍ وستين ذراعًا ، وكان فتوح القدس سنة ستة عشر » .

صِهْريجٍ ، وكانت صفائحُ القُبّةِ ، وسقفُ الأَقْصى مِن صفائحِ الذَّهبِ عوضَ الرَّصاصِ ، وكذلك أبوابُ القُبّةِ صفائحُها ، وذلك أنه لما كمَل البناءُ فَضَل مِن المالِ ثلاثُمائةِ ألفِ دينارٍ ، وقِيل : ستُّمائةِ ألفٍ . وكتَب رجاءُ بنُ حَيْوةَ ويزيدُ إلى عبدِ الملكِ يُعرِّفانِه بذلك ، فكتَب إليهما : قد جعلتُه لكُما عِوضًا عن تعبِكما . فكتَبا إليه : إنّما قُمْنا بهذا البيتِ للّه تعالى ، فلا نَقْبَلُ على ذلك عرَضَ الدُّنيا ولوَدِدْنا أنْ نزيدَ فيه مِن حَلْيِ نسائِنا . فكتَب إليهم : [٧/ ٤٠و] إذا أبيتُم ذلك فأَفْرِغاه على القبّةِ والأبوابِ . فما كان أحدٌ يستطيعُ أنْ يتأمَّلَ القبةَ مما عليها مِن الذّهبِ . فلمّا كان فى خلافةِ أبى جعفرٍ المنصورِ قدِم القدسَ سنةَ أربعين ومائةٍ فوجَد الأَقْصى وقِبابُه تشكو إليه الخرابَ ، فأمَر بقَلْعِ الصفائحِ التى على القُبّةِ والأبوابِ ، وأنْ يُعمَّرَ بها ما تشعَّثَ فى الحرمِ . ففعلوا ذلك . وكان المسجدُ طويلًا ، فأمَر أنْ يؤخَذَ مِن طولِه ويُزادَ فى عرضِه ، ولما كمَل البناءُ كتَبوا على القُبّةِ مِمّا يلى البابَ القبليَّ مِن جهةِ الأَقْصى بالنصِّ بعدَ البسملةِ : بنَى هذه القُبّةَ عبدُ اللّهِ عبدُ الملكِ أميرُ المؤمنين سنةَ اثْنتَيْن وسبعينَ مِن الهجرةِ النبويةِ . وكان طولُ المسجدِ مِن القبلةِ إلى الشّمالِ سبعَمائةٍ وخمسةً وستين ذِراعًا ، وعرضُه أربعَمائةٍ وستينَ ذِراعًا . وكان فتحُ القدسِ سنةَ ستَّ عشْرةَ واللهُ سبحانه وتعالى أعلمُ(*) .

(*) إلى هنا نهاية السقط فى : ص .

ثم دخلت سنةُ سبعٍ وستين

ففيها كان مقتلُ عبيدِ اللَّهِ بنِ زيادٍ على يدَىْ إبراهيمَ بنِ الأشترِ النَّخَعِىِّ ؛ وذلك أنَّ إبراهيمَ بنَ الأشترِ خرَج مِن الكوفةِ يومَ السبتِ لثمانٍ بقِين مِن ذى الحِجَّةِ فى السنةِ الماضيةِ ، ثم استهلَّتْ هذه السنةُ وهو سائرٌ لقصدِ ابنِ زيادٍ فى أرضِ الموصلِ ، فكان اجتماعُهما بمكانٍ يقالُ له : الخازِرُ[1] . بينَه وبينَ الموصلِ خمسةُ فراسِخَ[2] ، فبات ابنُ الأشترِ تلك الليلةَ ساهرًا لا يغتمِضُ بنومٍ ، فلمَّا كان قريبَ الصبحِ نهَض فعَبَّأَ جيشَه وكتَّب كتائبَه ، وصلَّى بأصحابِه الفجرَ فى أولِ وقتٍ ، ثم ركِب فناهَض جيشَ ابنِ زيادٍ ، وزحَف بجيشِه رويدًا وهو ماشٍ فى الرَّجَّالةِ حتى أشرَفَ مِن فوقِ تلٍّ على جيشِ ابنِ زيادٍ ، فإذا هم لم يتحرَّكْ منهم أحدٌ ، فلمَّا رأَوْهم نهَضوا إلى خيلِهم وسلاحِهم مَدهوشين ، فركِب ابنُ الأشترِ فرسَه وجعَل يقِفُ على راياتِ القبائلِ فيحرِّضُهم على [٧/ ٤٠ظ] قتالِ ابنِ زيادٍ ويقولُ : هذا قاتلُ ابنِ بنتِ رسولِ اللَّهِ ﷺ ، قد جاءكم اللَّهُ به وأمكَنكم اللَّهُ منه اليوم ، فعليكم به ؛ فإنه قد فعَل فى ابنِ بنتِ رسولِ اللَّهِ ﷺ ما لم يفعَلْه فرعونُ فى بنى إسرائيلَ ! هذا ابنُ زيادٍ قاتلُ الحسينِ الذى حالَ بينَه وبينَ الفُراتِ[3] أن يشرَبَ منه هو وأولادُه ونِساؤُه ، ومنَعه أن ينصرِفَ إلى بلدِه ، أو يأتِىَ يزيدَ بنَ

---

(١) فى الأصل : « الجاور » ، وفى ٣١، ص : « الحازر » ، وفى ٢١ : « الجازر » .

وخازرٌ نهر بين إِرْبِل والموصل ثم بين الزاب الأعلى والموصل . معجم البلدان ٢/ ٣٨٨.

(٢) بعده فى الأصل : « وكان ابن الأشتر فى ثمانية آلاف وابن زياد فى أربعين ألفا من أهل الشام وكان ابن الأشتر لا يسير إلا على نفسه فلما قاربوا أرسل عمير بن الحباب السلمى أنى معك وأتى إلى ابن الأشتر ليلًا فبايعه وأخبره أنه على ميسرة ابن زياد ووعده أنه ينهزم بالناس وقال له لا تطاول القوم فإنهم أضعافكم ولكن ناجزهم فإنهم قد ملئوا منكم رعبا فقال ابن الأشتر الآن علمت أنك ناصح ثم انصرف » .

(٣) فى ٣١، ٢١ : « الماء الفرات » . وفى م : « ماء الفرات » .

معاويةَ حتى قتَلَه ! [1] ويحَكم ، اشْفُوا صدورَكم منه ، وارْوُوا رماحَكم وسيوفَكم مِن دمِه ، هذا الذى فعَل فى آلِ نبيِّكم ما فعَل ، قد جاءَكم اللَّهُ به . ثم أكثَر مِن هذا القولِ وأمثالِه [1] ، ثم نزَل تحتَ رايتِه .

وأقبَلَ ابنُ زيادٍ [2] فى جيشٍ كثيفٍ قد جعَل على ميمنتِه حُصَينَ بنَ نُمَيرٍ ، وعلى الميسرةِ عُمَيرَ بنَ الحُبابِ السُّلَمىَّ - وكان قد اجتمَع بابنِ الأشترِ ووعَده أنه معه وأنه سينهزِمُ بالناسِ غدًا - وعلى خيلِ ابنِ زيادٍ شُرَحْبِيلُ بنُ ذِى [3] الكَلاعِ ، وابنُ زيادٍ فى الرَّجّالةِ يمشِى معهم ، فما كان إلّا أن تواقَفَ الفريقان حتى حمَل حصينُ بنُ نميرٍ بالميمنةِ على ميسرةِ أهلِ الكوفةِ [4] فهزَمها ، وقُتِل أميرُها علىُّ بنُ مالكٍ الجُشَمِىُّ ، فأخَذ رايتَه مِن بعدِه ولدُه قُرَّةُ [5] بنُ علىٍّ فقُتِل أيضًا ، واستمَرَّتِ [6] الميسرةُ ذاهبةً ، فجعَل ابنُ [7] الأشترِ يُنادِيهم : إلىَّ يا شرطةَ اللَّهِ ، أنا ابنُ الأشترِ . وقد كشَف عن رأسِه ليعرِفوه ، فالْتاثُوا به وانعطَفوا عليه ، واجتمَعوا إليه ، ثم حمَلتْ ميمنةُ أهلِ الكوفةِ على ميسرةِ أهلِ الشامِ . وقيل : بل انهزَمتْ ميسرةُ أهلِ الشامِ وانحازَتْ إلى ابنِ الأشترِ . ثم حمَل ابنُ الأشترِ بمَن معه وجعَل يقولُ لصاحبِ رايتِه : ادخُلْ برايتِك فيهم . وقاتَلَ ابنُ الأشترِ يومَئذٍ قتالًا عظيمًا ، وكان لا يضرِبُ بسيفِه رجلًا إلا صرَعه ، وكثُرتِ القتلَى بينَهم ، وقيل : إن

(١ - ١) فى الأصل : « فواللَّه ما عمل فرعون فعاله وقد جاءكم اللَّه به وإنى لأرجو أن يشفى صدوركم ويسفك دمه على يديكم » .

(٢) بعده فى ٣١، ٢١، م : « فى خيله ورجله » .

(٣) سقط من : م .

(٤) فى ٣١، ٢١، م : « العراق » .

(٥) فى النسخ : « محمد » . والمثبت من تاريخ الطبرى ٦/ ٨٩، والكامل ٤/ ٢٦٣. وانظر تاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٦١- ٨٠ هـ) ص ٥٦.

(٦) فى الأصل : « انفمرت » ، وفى ٣١: « انتشرت » ، وفى ٢١: « انشمرت » .

(٧) سقط من : الأصل، ٢١ ، م .

ميسرةَ أهلِ الشامِ ثبَتوا وقاتَلوا قتالًا شديدًا بالرماحِ ثم بالسيوفِ . ثم أردَفَ الحَمْلَةَ ابنُ الأشترِ ، فانهزَم جيشُ الشامِ بينَ يدَيه ، فجعَل يقتُلُهم كما تُقتَلُ الحُمْلانُ ، وأتْبَعهم بنفسِه ومَن معه مِن الشجعانِ ، وثبَت عبيدُ اللَّهِ بنُ زيادٍ فى موقفِه حتى اجتازَ به ابنُ الأشترِ فقتَله وهو لا يعرِفُه ، لكن قال لأصحابِه : التمِسُوا فى القتلَى رجلًا ضرَبْتُه بالسيفِ فنفَحنى منه ريحُ المسكِ ، شرَّقتْ يداه وغرَّبتْ رجلاه ، وهو واقفٌ عندَ رايةٍ منفردةٍ على شاطئ نهرِ خازِرَ[1] . فالتَمسُوه فإذا هو عبيدُ اللَّهِ بنُ زيادٍ ، وإذا هو قد ضرَبه ابنُ الأشترِ فقطَعه نصفَين ، [٧/ ٤١و] فاحتَزُّوا رأسَه وبعَثوه إلى المختارِ إلى الكوفةِ مع البِشارةِ بالنصرِ والظفرِ بأهلِ الشامِ . وقُتِل مِن رءوسِ أهلِ الشامِ أيضًا حصينُ بنُ نميرٍ وشرحبيلُ بنُ ذِى الكَلاعِ[2] ، وأتبَعَ الكوفيون أهلَ الشامِ فقتَلوا منهم مقتلةً عظيمةً ، وغرِق منهم أكثرُ ممَّن قُتِل ، واحْتازُوا ما كان فى معسكرِهم مِن الأموالِ والخيولِ .

وقد كان المختارُ بشَّر أصحابَه بالنصرِ قبل أن يجىءَ الخبرُ ، فما ندرِى أكان ذلك تفاؤُلًا منه أو اتفاقًا وقَع له ، أو كهانةً – وأمَّا على ما كان يزعُمُ أصحابُه مِن أنه أُوحِى إليه بذلك فلا ، فإنَّ مَن اعْتقَد ذلك كفَر ، ومَن أقَرَّهم على ذلك كفَر – لكن قال : إنَّ الوقعةَ كانت بنَصِيبِينَ . فأخطَأ مكانَها ، فإنَّها إنَّما كانت بأرضِ المَوْصلِ ، وهذا ممَّا انتقَدَه عامرٌ الشعبىُّ على أصحابِ المختارِ حينَ جاءَه الخبرُ بالفتحِ[3] ، وقد خرَج المختارُ[4] مِن الكوفةِ ليتلَقَّى البِشارةَ ، فأتَى المدائنَ فصعِد

---

(١) فى الأصل ، ص : « حازر » ، وفى ٣١ ، ٢١ : « جار » .
(٢) بعده فى الأصل : « فأرسلها المختار إلى ابن الزبير فنصبت بمكة » .
(٣) سقط من : ٣١ ، ٢١ ، م .
(٤) سقط من : الأصل ، ص . وانظر تاريخ الطبرى ٦/ ٩١ .

منبرَها ، فبينما هو يخطُبُ إذ جاءَتْه البِشارةُ وهو هنالك . قال الشعبيُّ[١] : فقال لى بعضُ أصحابِه : أمَا سمِعتَه بالأمسِ يخبِرُنا بهذا ؟ فقلتُ له : [٢]إنَّه زعَم أنَّ الوقعةَ كانتْ[٢] بنصيبينَ مِن أرضِ الجزيرةِ ، وإنَّما قال البشيرُ : إنَّهم كانوا بالخازِرِ[٣] مِن أرضِ الموصلِ . فقال : واللَّهِ لا تؤمِنُ يا شعبيُّ حتى ترَى العذابَ الأليمَ .

ثم رجَع المختارُ إلى الكوفةِ ، وفى غيبتِه هذه تمكَّن جماعةٌ ممَّن كان قاتَله يومَ جَبّانةِ السَّبِيعِ والكُناسةِ مِن الخروجِ إلى البصرةِ ؛ ليجتَمِعوا بمصعبِ بنِ الزبيرِ ، وكان منهم شَبَثُ بنُ رِبْعِيٍّ . وأمَّا ابنُ الأشترِ فإنَّه بعَث بالبشارةِ ورأسِ [٤]عبيدِ اللَّهِ إلى المختارِ ، واستقَلَّ هو فى تلك البلادِ فبعَث أخاه لأمِّه عبدَ الرحمنِ بنَ عبدِ اللَّهِ على نيابةِ نصيبينَ[٤] ، وبعَث عمالًا إلى الموصلِ ، وأخَذ سِنْجارَ[٥] ودارا[٦] وما والاها[٧] مِن الجزيرةِ .

وقال أبو أحمدَ الحاكمُ[٨] : كان مقتلُ عبيدِ اللَّهِ بنِ زيادٍ يومَ عاشوراءَ [٩]سنةَ ستٍّ وستين . والصوابُ سنةَ سبعٍ وستين[٩] .

---

(١) تاريخ الطبرى ٦/ ٩٢.

(٢ - ٢) فى الأصل ، ص : « أما سمعته يقول : إنهم قتلوا الشاميين » .

(٣) فى الأصل ، ٣١ ، ٢١ : « بالجازر » . وفى ص : « بالحازر » .

(٤ - ٤) فى ٣١ ، ٢١ ، م : « ابن زياد وبعث رجلا على نيابة نصيبين واستمر مقيما فى تلك البلاد » .

(٥) مدينة مشهورة من نواحى الجزيرة بينها وبين الموصل ثلاثة أيام .

(٦) بلدة فى لحف جبل بين نصيبين وماردين .

(٧) فى م : « ولاها » .

(٨) تاريخ دمشق (ط . مجمع اللغة العربية بدمشق) ٤٤/ ٢١٣.

(٩ - ٩) فى الأصل : « سنة ست وستين » . وفى ٣١ ، ٢١ : « سنة سبع وستين » . وفى حاشية الأصل فوق كلمة (ست) : (كذا والصواب سنة سبع وسبعين) .

وقد قال سراقةُ بنُ مِرداسٍ البارقىُّ يمدَحُ[1] ابنُ الأشترِ على قتلِه ابنَ زيادٍ[2] :

أَتاكمْ غُلامٌ مِنْ عَرانِينِ مَذحِجٍ جَرِىٌّ على الأَعداءِ غَيرُ نَكولِ

فَيا ابنَ زيادٍ بُؤْ بأَعْظمِ مالِكٍ[3] وذُقْ حَدَّ ماضى الشَّفْرَتَيْنِ صَقِيلِ

[٧/٤١ظ] ضَرَبْناك بالعَضْبِ الحُسامِ بحَدِّه[4] إذا ما أَبَأْنا[5] [6]قاتِلًا بِقَتيلِ[6]

جَزَى اللَّهُ خيرًا شُرْطَةَ اللَّهِ إنَّهم شَفَوْا مِنْ عُبَيْدِ اللَّهِ أَمْسِ غليلى

وهذه ترجمةُ ابنِ زيادٍ

هو عبيدُ اللَّهِ بنُ زيادِ بنِ عبيدٍ ، المعروفُ بابنِ زيادِ بنِ أبى سفيانَ ، ويُقالُ له : زيادُ بنُ أبيه ، وابنُ سُمَيَّةَ[7] . أميرُ العراقِ بعدَ أبيه زيادٍ . وقال ابنُ معينٍ[8] : ويُقالُ له : عبيدُ اللَّهِ ابنُ مَرْجانةَ - وهى أمُّه . وقال غيرُه[9] : وكانت مجوسيةً . وكنيتُه [10]أبو حفصٍ[10] ، وقد سكَن دمشقَ بعدَ يزيدَ بنِ معاويةَ ، وكانت له دارٌ عندَ

---

(١) بعده فى الأصل : « مروان » .
(٢) الأبيات فى تاريخ الطبرى ٩٢/٦ . وديوان سراقة ص ٨١، ٨٢.
(٣) فى ١٣، ٢١ ، م : « هالك » . وفى الديـوان : مَأْبأً .
(٤) فى تاريخ الطبرى : « بحِدَّةٍ » .
(٥) فى النسخ : « أتانا » . والمثبت من تاريخ الطبرى والديوان . والبواء : القصاص .
(٦ - ٦) فى م : « قتيلا بقتيل » . وفى ص : « قتيلا يقتل » .
(٧) ترجمته فى : التاريخ الكبير ٥/ ٣٨١، وتاريخ دمشق (ط . مجمع اللغة العربية بدمشق) ٤٤/ ٢١١، وسير أعلام النبلاء ٣/ ٥٤٥، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٦١ - ٨٠ هـ) ص ١٧٥.
(٨) تاريخ يحيى بن معين ٣٨٢/٢ بنحوه .
(٩) ذكر ابن عساكر بسنده عن المرزبانى أن أمه مرجانة سبية من أصبهان . ونقل الخطابى أنها كانت بنت بعض ملوك فارس . انظر تاريخ دمشق (ط. مجمع اللغة العربية بدمشق) ٤٤/ ٢١٤، ٢١٩ ، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٦١- ٨٠) ص ١٧٨.
(١٠ - ١٠) فى ص : « عبيد الله أبو جعفر » .

الديماسِ[١] تُعْرَفُ بعدَه بدارِ ابنِ عجلانَ ، وكان مولدُه سنةَ تسعٍ وثلاثين فيما حَكاه ابنُ عساكرَ عن أبى العباسِ أحمدَ بنِ يونسَ الضبىِّ[٢] .

قال ابنُ عساكرَ[٣] : وروَى الحديثَ عن معاويةَ وسعدِ بنِ أبى وقاصٍ ومَعْقِلِ ابنِ يسارٍ . وحدَّث عنه[٤] الحسنُ البصرىُّ وأبو المُليحِ بنُ أسامةَ . وقال أبو نعيمٍ الفضلُ بنُ دُكَينٍ[٥] : ذكَروا أنَّ عبيدَ اللَّهِ بنَ زيادٍ حينَ قتَل الحسينَ كان عمرُه ثمانيًا وعشرين سنةً . قلتُ : فعلى هذا يكونُ مولدُه سنةَ ثلاثٍ وثلاثين . واللَّهُ أعلمُ .

وقد روَى ابنُ عساكرَ[٦] أنَّ معاويةَ كتَب إلى زيادٍ أنْ أوفِدْ إلىَّ ابنَك . فلمَّا قدِم عليه لم يسأَلْه معاويةُ عن شىءٍ إلَّا نفَذ منه ، حتى سأَله عن الشِّعْرِ فلم يعرِفْ منه شيئًا ، فقال : ما منَعك مِن تعلُّمِ الشعرِ ؟ فقال : يا أميرَ المؤمنين ، إنِّى كرِهْتُ أن أجْمَعَ فى صدْرِى مع كلامِ اللَّهِ[٧] كلامَ الشيطانِ . فقال[٨] : اغرُبْ[٩] ، فواللَّهِ ما منعَنى مِن الفِرارِ يومَ صِفينَ إلَّا قولُ ابنِ الإِطْنابةِ حيثُ يقولُ[١٠] :

---

(١) زقاق الديماس النافذ إلى سوق الأساكفة العُتُق . تاريخ دمشق (ط . مجمع اللغة العربية بدمشق) ٤٤/ ٢١١.

(٢) تاريخ دمشق (ط . مجمع اللغة العربية بدمشق) ٤٤/ ٢١٢.

(٣) تاريخ دمشق (ط . مجمع اللغة العربية بدمشق) ٤٤/ ٢١٢، بدون ذكر (معقل بن يسار) . لكنه ذكر بأسانيده سماع عبيد اللَّه بن زياد معقلا . انظر ٤٤/ ٢٣٠، ٢٣١.

(٤) انظر تاريخ دمشق ٢١٣/٤٤ (ط . مجمع اللغة العربية بدمشق) .

(٥) فى ٣١ : « ذكين » . والخبر بنحوه فى تاريخ دمشق (ط . مجمع اللغة العربية بدمشق) ٤٤/ ٢١٢.

(٦) تاريخ دمشق (ط . مجمع اللغة العربية بدمشق) ٤/ ٢١٤، ٢١٥ بنحوه .

(٧) فى ٣١ ، ٢١ ، م : « الرحمن » .

(٨) بعده فى ٣١ ، ٢١ ، م : « معاوية » .

(٩) فى ٢١ : « اغربت » . وفى ص : « اعزب » .

(١٠) الأبيات تقدمت فى ١٠/ ٥٢٣، ٥٢٤.

أبتْ لى عِفَّتى وأَبَى بَلائى ... وأخذِى الحمدَ بالثَّمنِ الرَّبيحِ
وإعطائى على الإعدامِ مالى ... وإقْدامِى على البطلِ المُشِيحِ
وقَولِى كُلَّما جشَأَتْ وجاشَتْ ... مكانَكِ تُغْذَرِى[1] أو تَسْتَرِيحى
لأَدْفَعَ عنْ مآثِرَ صالحاتٍ ... وأحْمِىَ[2] بَعْدُ عن أَنْفٍ صَحِيحِ

ثم كتَب إلى أبيه : أنْ رَوِّه مِن الشعرِ ، فرَوّاه حتى كان لا يَسْقُطُ عنه منه شىءٌ[3] .

ومِن شعرِه بعدَ ذلك[4] :

سَيَعْلمُ مَرْوانُ ابنُ نسوةٍ أَنَّنى ... إذا التَقَتِ الخَيلانِ أَطْعَنُها شَزْرا[5]
وأَنّى إذا حَلَّ الضيوفُ ولم أجِدْ ... سوى فَرَسِى أوسَعْتُه لهمُ نَحْرا

وقد سأَل معاويةُ يومًا أهلَ البصرةِ عن ابنِ زيادٍ فقالوا[6] : إنَّه لظريفٌ ولكنَّه يَلْحَنُ . فقال : أَوَليسَ اللحنُ أظرفَ له ؟ قال ابنُ قتيبةَ وغيرُه[7] : إنَّما أرادوا أنَّه يَلْحَنُ فى كلامِه ، أى يُلْغِزُ . وهو أَلْحَنُ بحجَّتِه كما قال الشاعرُ :

منطقٌ رائعٌ وتَلْحَنُ أحيا ... نًا وخيرُ الحديثِ ما كانَ لَحْنًا

---

(١) فى ٢١ ، م : « تحمدى » .
(٢) فى الأصل : « أجمى » .
(٣) بعده فى ٣١ ، ٢١ ، م : « بعد ذلك » .
(٤) البيتان فى تاريخ دمشق (ط . مجمع اللغة العربية بدمشق) ٤٤/ ٢١٤ .
(٥) فى ٣١ : « شررا » . والطعن الشُّزْر : ما طَعَنْتَ بيمينك وشمالك . تاج العروس (ش ز ر)
(٦) الخبر مطولاً فى تاريخ دمشق (ط . مجمع اللغة العربية بدمشق) ٤٤/ ٢١٦ .
(٧) غريب الحديث لابن قتيبة ٢/ ٤١٧ - ٤١٩ بنحوه . وانظر تاريخ دمشق (ط . مجمع اللغة العربية بدمشق) ٤٤/ ٢١٦ .

وقيلَ : إنَّهم إنَّما[1] أرادوا أنه يلحَنُ [2]في قولِه لحنًا وهو ضدُّ الإعرابِ . وقيل : أرادوا اللحنَ الذى هو ضدُّ الصوابِ . وهو الأشبهُ واللَّهُ أعلمُ[2] . فاستحسَنَ معاويةُ منه السهولةَ فى الكلامِ وأنَّه لم يكنْ ممَّن يَتَغَنَّى[3] فى كلامِه ويفخِّمُه ، ويتشدَّقُ فيه ، وقيل : أرادوا أنَّه كانت فيه لُكْنةٌ مِن كلامِ العجمِ ؛ فإنَّ أمَّه مَرْجانةَ كانت سُرِّيَّةً[4] ، وكانت بنتَ بعضِ ملوكِ الأعاجمِ ؛ يَزْدَجِردَ أو غيرِه . قالوا : وكان فى كلامِه شىءٌ مِن كلامِ العجمِ ؛ قال يومًا لبعضِ الخوارجِ : أَهَرُورِىٌّ أنت ؟ يعنى : أَحَرُورِىٌّ أنت ؟ وقال يومًا : مَن كاتَلَنا كاتَلْناه . أى : مَن قاتَلَنا قاتَلْناه . وقولُ معاويةَ : ذاك أظرفُ له . أى أجودُ له حيثُ نزَع إلى أخوالِه ، وقد كانوا يوصَفون بحسنِ السياسةِ وجودةِ الرعايةِ ومحاسنِ الشيمِ .

ثمَّ لمَّا ماتَ زيادٌ سنةَ ثلاثٍ وخمسين ولَّى معاويةُ على البصرةِ سَمُرَةَ بنَ جُنْدُبٍ سنةً ونصفًا ، ثمَّ عزَله وولَّى عليها عبدَ اللَّهِ بنَ عمرِو بنِ غَيْلانَ بنِ سلمةَ ستةَ أشهرٍ ، ثم عزَله وولَّى [٧/ ٤٢و] عليها ابنَ زيادٍ سنةَ خمسٍ وخمسين . فلمَّا تولَّى يزيدُ الخلافةَ جَمَع له بينَ البصرةِ والكوفةِ ، فبنَى فى إمارةِ يزيدَ البيضاءَ[5] ، وجعَل بابَ القصرِ الأبيضِ الذى كان لكسرَى عليها ، وبنَى الحمراءَ وهى على سكةِ المِرْبَدِ ، فكان يشتُو فى الحمراءِ ويصيفُ فى البيضاءِ .

قالوا[6] : وجاءَ رجلٌ إلى ابنِ زيادٍ فقال : أصلَحَ اللَّهُ الأميرَ ، إنَّ امرأتِى ماتَتْ ،

---

(١) سقط من : م .
(٢ - ٢) فى الأصل ، ص : « فى كلامه اللحن الذى هو ضد الإعراب » .
(٣) فى م ، ص : « يتعمق » .
(٤) فى م ، ص : « سيرويه » . والسُّرِّيَّة : الأمة التى بوأتها بيتًا منسوبة إلى السر بالكسر للجماع من تغيير النسب . القاموس المحيط (س ر ر) .
(٥) البيضاء : دار عمّرها عبيد الله بن زياد بن أبيه بالبصرة . معجم البلدان ١/ ٧٩٢.
(٦) انظر تاريخ دمشق (ط. مجمع اللغة العربية بدمشق) ٤٤/ ٢٢٤.

وإنِّى أُريدُ أن أتزوَّجَ أمَّها[1] . فقال له : كم عطاؤُك فى الديوانِ ؟ فقال : سبعُمائةٍ . فقال : يا غلامُ حُطَّه مِن عطائِه أربعَمائةٍ . ثم قال له : يكفِيك مِن فِقْهِك هذا ثلاثُمائةٍ ! .

قالوا : وتخاصَمَتْ أمُّ الفُجَيْعِ[2] وزوجُها إليه وقد أحبَّتِ المرأةُ أن تفارِقَ زوجَها ، فقال أبو الفُجَيْعِ[2] : أصلَحَ اللَّهُ الأميرَ ، إنَّ خيرَ شطرىِ الرجلِ آخرُه ، وإنَّ شرَّ شطرىِ المرأةِ آخرُها . فقال له : وكيف ذاك ؟ فقال : إنَّ الرجلَ إذا أسنَّ اشتدَّ عقلُه ، واستحكَمَ رأيُه ، وذهَب جهلُه ، وإنَّ [٧/٤٢ظ] المرأةَ إذا أسنَّتْ ساءَ خلقُها[3] ، وعقِم رحمُها ، واحتَدَّ لسانُها . فقال : صدقْتَ ، خُذْ بيدِها وانصرِفْ .

وقال يحيى بنُ معينٍ[4] : أمَر ابنُ زيادٍ لصفوانَ بنِ مُحْرِزٍ بألفَىْ درهمٍ فسُرِقَتْ ، فقال : عسَى أن يكونَ خيرًا . فقال أهلُه : كيف يكونُ هذا خيرًا ؟ فبلَغ ذلك ابنَ زيادٍ ، فأمَر له بألفينِ آخَرين ، ثم وجَد الألفين[5] فصارَتْ أربعةَ آلافٍ فكان خيرًا .

وقيل لهندَ بنتِ أسماءَ بنِ خارجةَ - وكانتْ قد تزوَّجَتْ [6]بعدَّةِ أزواجٍ[6] مِن نوّابِ العراقِ : مَن أعزُّ أزواجِك عندَكِ وأكرمُهم عليكِ ؟ فقالَتْ[4] : ما أُكرِم النساءُ[7] إكرامَ بشرِ[8] بنِ مروانَ ، ولا هابَ النساءُ هيبةَ الحجاجِ بنِ يوسفَ ،

---

(١) بعد هذا فى تاريخ دمشق : « وليس عندى تمام صداقها فأعِنّى » .

(٢) فى م : « الفجيج » . انظر تاريخ دمشق (ط . مجمع اللغة العربية بدمشق) ٤٤/ ٢٢٣ .

(٣) بعده فى ٣١، ٢١، م : « وقل عقلها » .

(٤) تاريخ دمشق (ط . مجمع اللغة العربية بدمشق) ٤٤/ ٢٢٤ .

(٥) أى اللذين سُرِقا .

(٦ - ٦) فى ٢١ ، م : « بعده أزواجا » . وفى ص : « بعده بأزواج » .

(٧) بعده فى ٣١ ، ٢١ ، م : « أحد » .

(٨) فى م : « بشير » .

وَوَدِدْتُ أنَّ القيامةَ قد قامَتْ ، فأَرَى عبيدَ اللَّهِ بنَ زيادٍ وأشتَفِى مِن حديثِه والنظرِ إليه . وكان (١)أبا عُذْرِها(١) . وقد تزوَّجَتْ بالآخَرِين أيضًا .

وقال عثمانُ بنُ أبى شيبةَ ، عن جريرٍ ، عن مغيرةَ ، عن إبراهيمَ قال[٢] : أولُ مَن جهَر بالْمُعَوِّذتين فى المكتوبةِ ابنُ زيادٍ . قلتُ : يعنى - واللَّهُ أعلمُ - فى الكوفةِ ، فإنَّ ابنَ مسعودٍ كان لا يكتبُهما فى مصحفِه ، وكان فقهاءُ الكوفةِ عن كبراءِ[٣] أصحابِ ابنِ مسعودٍ يأخُذون . واللَّهُ أعلمُ .

وقد كان فى ابنِ زيادٍ جرأةٌ وإقدامٌ (٤)ومبادرةٌ إلى ما لا يجوزُ ، وما لا حاجةَ له به(٤) . ثبَت فى الحديثِ الذى رَواه أبو يعلَى ومسلمٌ ، كلاهما عن شَيْبانَ بنِ فَرُّوخَ ، عن جريرٍ ، عن الحسنِ[٥] ، أنَّ عائذَ[٦] بنَ عمرٍو دخَل على عبيدِ اللَّهِ بنِ زيادٍ فقال : أىْ بُنَىَّ ، إنِّى سمِعْتُ رسولَ اللَّهِ ﷺ يقولُ : « إنَّ شَرَّ الرِّعاءِ الْحُطَمَةُ ، فإيَّاكَ أنْ تكونَ منهم » . فقالَ له : اجْلِسْ ، فإنَّما أنت مِن نُخالَةِ أصحابِ رسولِ اللَّهِ ﷺ . فقالَ : وهَلْ كانَتْ فيهم نُخالةٌ ؟ إنَّما كانتِ النُّخالةُ بعدَهم وفى غيرِهم . وقد روَى غيرُ واحدٍ ، عن الحسنِ[٧] ، أنَّ عبيدَ اللَّهِ بنَ زيادٍ دخَل على مَعْقِلِ بنِ يَسارٍ يعودُه فقال : إنِّى محدِّثُك بحديثٍ سمِعْتُه مِن رسولِ اللَّهِ ﷺ ؛

(١ - ١) فى م : « أتى عذارتها » . والمراد أنه تزوجها بكرًا .

(٢) أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق (ط . مجمع اللغة العربية بدمشق) ٤٤/ ٢٢٥.

(٣) فى الأصل : « كثير من » .

(٤ - ٤) فى الأصل : « على سفك الدماء قتل خلقا كثيرًا صبرا وكان سفيها شديدا وكان فيه مبادرة إلى ما لا حاجة له به » . وفى ص : « ومبادرة إلى ما لا حاجة له به » .

(٥) مسلم (٢٣/ ١٨٣٠) . وابن عساكر فى تاريخ دمشق ٤٤/ ٢٣١، ٢٣٢ من طريق أبى يعلى .

(٦) سقط من : م ، ص .

(٧) أخرجه بنحوه البخارى (٧١٥٠، ٧١٥١) ، ومسلم (٢٢٧/ ١٤٢، ٢١/ ١٤٢ باب فضيلة الإمام العادل ...، من كتاب الإمارة) ، وانظر تاريخ دمشق (ط . مجمع اللغة العربية بدمشق) ٤٤/ ٢٣٠.

أنَّه قال : « ما مِن رجلٍ استرعاه اللَّهُ رعيَّةً ، يموتُ يومَ يموتُ وهو غاشٌّ لهم ، إلَّا حرَّم اللَّهُ عليه الجنةَ » . فذكَر غيرُ واحدٍ أنَّه لمَّا ماتَ مَعْقِلٌ صلَّى عليه عبيدُ اللَّهِ بنُ [٤٣/٧و] زيادٍ ولم يشهَدْ دفنَه ، واعتذَرَ بما ليس يُجْدِى شيئًا وركِب إلى قصرِه .

ومِن جراءَتِه إقدامُه على الأمرِ بإحضارِ الحسينِ إلى بينِ يدَيْه وإنْ قُتِل دونَ ذلك . وكان الواجبُ عليه أن يُجيبَه إلى سؤالِه الذى سألَه فيما طلَب مِن ذَهابِه إلى يزيدَ ، أو إلى مكةَ ، أو إلى أحدِ الثغورِ ، فلمَّا أشارَ عليه شَمِرُ بنُ ذى الجوشنِ بأنَّ الحزمَ أنْ يُحْضَرَ عندَك وأنت تسيِّرُه بعدَ ذلك إلى حيثُ شئتَ مِن هذه الخصالِ أو غيرِها ، فوافَقَ شمرًا على [(١)] ما أشارَ به مِن إحضارِه بينَ يدَيْه ، فأبَى الحسينُ أن يحضُرَ عندَه ليقضِىَ فيه بما يراه ابنُ مَرْجانةَ ، وقد تعِس وخابَ وخسِر ، فليسَ لابنِ بنتِ رسولِ اللَّهِ ﷺ أن يحضُرَ بينَ يدَيِ ابنِ مَرْجانةَ الخبيثِ .

وقد قالَ [(١)] محمدُ بنُ سعدٍ [(٢)] : أنا الفضلُ بنُ دُكَيْنٍ ومالكُ بنُ إسماعيلَ قالا : [(٣)] حدَّثَنا عبدُ السلامِ بنُ حَرْبٍ ، عن عبدِ الملكِ [(٣)] بنِ كُرْدُوسٍ ، عن حاجبِ عبيدِ اللَّهِ بنِ زيادٍ قال : دخَلْتُ معه القصرَ حينَ قُتِل الحسينُ ، قال : فاضْطَرَم فى وجْهِه نارًا - أو كلمةً نحوَها - فقال بكُمِّه هكذا على وجهِه ، وقال : لا تحدِّثَنَّ بهذا [(٤)] أحدًا .

وقال شريكٌ ، عن مغيرةَ قال [(٥)] : قالتْ مَرجانةُ لابنِها عبيدِ اللَّهِ : يا خبيثُ ، قتَلْتَ ابنَ بنتِ رسولِ اللَّهِ ﷺ ، لا ترَى الجنةَ أبدًا .

(١ - ١) فى الأصل ، ص : « ذلك وبعثه به فقتل الحسين كما قدمنا فقال » .
(٢) أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ٢٣٢/٤٤ من طريق محمد بن سعد به .
(٣ - ٣) فى ص : « ثنا عبد الله بن سلام بن حرب عن عبد الله » .
(٤) فى الأصل، ٣١، ٢١، م : « بها » .
(٥) أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ٤٤/ ٢٣٢.

وقد قدَّمْنا[1] أنَّ يزيدَ بنَ معاويةَ لمَّا مات بايعَ الناسُ فى المِصرَين لعبيدِ اللَّهِ حتى يجتمعَ الناسُ على إمامٍ، ثم خرَجوا عليه فأخرَجوه مِن بينِ أظْهُرِهم، فسارَ إلى الشامِ فاجْتمَعَ بمروانَ، وحسَّن له أنْ يتولَّى الخلافةَ ويدعو إلى نفسِه، ففعَل ذلك، فكان مِن أمرِه ما تقدَّم مع الضحاكِ بنِ قيسٍ. ثم سيَّره مروانُ فى جيشٍ إلى العراقِ، فالتقَى بعينِ الوردةِ مع سليمانَ بنِ صُرَدَ ومَن كان معه مِن الجيشِ الذين يُسمَّون جيشَ التوَّابين فكسَرهم، واستمَرَّ قاصدًا الكوفةَ فى ذلك الجيشِ، فتعوَّقَ فى الطريقِ بسببِ مَن كان يمانِعُه [2]فى أرضِ[2] الجزيرةِ مِن الأعداءِ ممَّن بايَعَ لابنِ الزبيرِ. ثم اتَّفَق خروجُ ابنِ الأشترِ إليه فى سبعةِ آلافٍ، وكان مع ابنِ زيادٍ أضعافُ ذلك، ولكن ظفِر به ابنُ الأشترِ، فقتَله شرَّ قِتلةٍ، على شاطئِ نهرِ الخازِرَ[3] قريبًا مِن الموصلِ بخمسِ مراحلَ.

[٧/٤٣ظ] قال أبو أحمدَ الحاكمُ[4]: وكان ذلك يومَ عاشوراءَ. قلتُ: وهو اليومُ الذى قُتِل فيه الحسينُ.

ثم بعَث ابنُ الأشترِ برأسِه إلى المختارِ ومعه رأسُ حصينِ بنِ نميرٍ وشرحبيلِ بنِ ذى الكَلاعِ وجماعةٍ مِن رؤساءِ أصحابِهم، فسُرَّ بذلك المختارُ.

وقال يعقوبُ بنُ سفيانَ[5]: حدَّثنى يوسفُ بنُ موسى، حدَّثنا[6] جريرٌ، عن

---

(١) تقدم فى ١١/ ٦٧٠، ٦٧١ .
(٢ - ٢) فى ٣١، ٢١، م: «من أهل».
(٣) فى الأصل، ٣١، ٢١: «الجازر».
(٤) تاريخ دمشق ٢١٣/٤٤.
(٥) المعرفة والتاريخ ٤٢٨/٣.
(٦) فى م: «بن». وهو جرير بن عبد الحميد بن قُرْط الضَّبِّىُّ، روى عن يزيد بن أبى زياد، وروى عنه يوسف بن موسى. انظر تهذيب الكمال ٤/ ٥٤٢، ٥٤٣، ١٣٧/٣٢.

يزيدَ بنِ أبى زيادٍ قال : لمَّا جِيءَ برأسِ ابنِ مَرجانةَ وأصحابِه ، طُرِحَتْ بينَ يدَيِ المختارِ ، فجاءَتْ حَيَّةٌ دقيقةٌ[1] تخلَّلتِ الرءُوسَ حتى دخَلَتْ فى فمِ ابنِ مَرجانةَ وخرَجَتْ مِن مِنْخَرِه ، ودخَلَتْ فى منخرِه وخرَجَتْ مِن فمِه ، وجعَلَتْ تدخُلُ وتخرُجُ مِن رأسِه مِن بينِ الرءوسِ . ورَواه الترمذىُّ[2] مِن وجهٍ آخرَ بلفظٍ آخرَ ؛ فقال : حدَّثنا واصلُ بنُ عبدِ الأعلى ، [3]حدَّثنا أبو[3] معاويةَ عن الأعمشِ ، عن عُمارةَ بنِ عميرٍ ، قال : لمَّا جىءَ برأسِ عبيدِ اللَّهِ وأصحابِه نُضِّدَتْ[4] فى المسجدِ فى الرَّحَبَةِ ، فانْتَهَيْتُ إليهم[5] وهم يقولون : قد جاءَتْ ، قد جاءَتْ . فإذا حَيَّةٌ قد جاءَتْ تَخَلَّلُ الرءوسَ حتى دخَلَتْ فى مِنْخَرَىْ عبيدِ اللَّهِ بنِ زيادٍ ، فمكَثَتْ هُنَيْهَةً ثم خرَجَتْ فذهَبَتْ حتى تغيَّبَتْ ، ثم قالوا : قد جاءَتْ ، قد جاءَتْ . ففعَلَتْ ذلك مرَّتين أو ثلاثًا . قال الترمذىُّ : وهذا حديثٌ حسنٌ صحيحٌ .

وقال أبو سليمانَ بنُ زَبْرٍ[6] : وفى سنةِ ستٍّ وستين قالوا : فيها قُتِل عبيدُ اللَّهِ ابنُ زيادٍ والحُصينُ بنُ نُميرٍ ، وَلِيَ قتْلَهما إبراهيمُ بنُ الأشترِ ، وبعَث برءوسِهما[7] إلى المختارِ فبعَث بهما إلى ابنِ الزبيرِ ، فنُصِبَتْ بمكةَ والمدينةِ . وهكذا حكَى ابنُ عساكرَ ، عن أبى أحمدَ الحاكمِ وغيرِه[8] ، أنَّ ذلك كان فى سنةِ ستٍّ وستين - زاد أبو أحمدَ : فى يومِ عاشوراءَ - وسكَت ابنُ عساكرَ عن ذلك ، والمشهورُ أنَّ

---

(١) فى ٣١، ٢١: «دقيقة ثم». وفى م: «رقيقة ثم».

(٢) الترمذى (٣٧٨٠) .

(٣ - ٣) فى م: «بن أبى». وانظر تهذيب الكمال ١٢/ ٨٣.

(٤) فى الأصل: «نصبت». وفى م: «فنصبت». وفى ص: «فصبت».

(٥) فى م: «إليها». والمثبت كما فى الترمذى.

(٦) فى الأصل، ٣١ ، م، ص: «زيد» وفى ٢١: «يزيد». والمثبت من تاريخ دمشق ٤٤/ ٢٤٧.

(٧) فى تاريخ دمشق : « برءوسهم » .

(٨) تاريخ دمشق ٤٤/ ٢٤٧.

ذلك كان فى سنةِ سبعٍ وستين، كما ذكَره ابنُ جريرٍ وغيرُه[1]. ولكنَّ بعْثَ الرءُوسِ إلى ابنِ الزبيرِ فى هذه السنةِ متعذِّرٌ؛ لأن العداوةَ كانت قد قَوِيَتْ وتحقَّقَتْ بينَ المختارِ وابنِ الزبيرِ فى هذه السنةِ [2]كما ذكَرنا[2]، وعمَّا قليلٍ [3]أمَرَ ابنُ الزبيرِ أخاه مصعبًا أن يسيرَ[3] مِن البصرةِ إلى الكوفةِ لحصارِ المختارِ وقتالِه. واللَّهُ أعلمُ.

مقتلُ المختارِ بنِ أبى عبيدٍ الثقفىِّ الكذابِ[4] على يَدَىْ مصعبِ بنِ الزبيرِ [5]وأهلِ البصرةِ[5]

كان عبدُ اللَّهِ بنُ الزبيرِ قد عزَل فى هذه السنةِ عن نيابةِ البصرةِ الحارثَ بنَ [6]عبدِ اللَّهِ[6] بنِ أبى ربيعةَ المخزوميَّ المعروفَ بالقُبَاعِ، وولّاها لأخيه مصعبِ بنِ الزبيرِ؛ ليكونَ رِدْءًا وقِرْنًا وكُفُؤًا للمختارِ، فلمَّا قدِم مصعبٌ البصرةَ دخَلها مُتَلَثِّمًا [٧/٤٤و] فيمَّمَ المنبرَ، فلمَّا صعِده قال الناسُ: أميرٌ أميرٌ. فلمَّا كشَف اللِّثامَ عرَفه الناسُ فأَقْبَلوا إليه، وجاء القُبَاعُ فجلَس تحتَه بدرجةٍ، فلمَّا اجتمَع الناسُ قامَ مصعبٌ خطيبًا، فاستفْتَح «القصصَ» حتى بلَغ ﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا﴾ [القصص: ٤]. وأشارَ بيدِه نحوَ الشامِ أو الكوفةِ، ثم قال:

---

(١) تاريخ الطبرى ٦/ ٩٠، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٦١- ٨٠ هـ) ص ١٧٩.
(٢ - ٢) سقط من: ٣١، ٢١، م.
(٣ - ٣) فى الأصل: «سير مصعب». وفى ص: «فسير مصعب».
(٤) انظر تاريخ الطبرى ٦/ ٩٣، والكامل ٤/ ٢٦٧، والمنتظم ٦/ ٦٤.
(٥ - ٥) سقط من: م.
(٦ - ٦) فى ٢١: «عبيد الله». وانظر سير أعلام النبلاء ٤/ ١٨١.

﴿ وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ ﴾ [القصص: ٥]. وأشارَ إلى الحجازِ، وقال[١]: يا أهلَ البصرةِ، إنّكم تُلَقَّبون أُمراءَكم، وقد سمَّيتُ نفسى الجزّارَ. فاجتمَع عليه الناسُ وفرِحوا به. ولمَّا انهزَمَ أهلُ الكوفةِ حينَ خرَجوا على المختارِ فقهَرهم وقتَل منهم مَن قتَل، كان لا ينهزِمُ أحدٌ مِن أهلِها إلَّا قصَد البصرةَ، ثم لمَّا[٢] خرَج المختارُ [٣]لتلَقِّى ابنِ الأشترِ حينَ بلَغه أنه قتَل ابنَ زيادٍ[٣]، اغتنَم مَن بقِى بالكوفةِ مِن أعداءِ المختارِ غَيبتَه، فذهَبوا إلى البصرةِ فِرارًا مِن المختارِ؛ لقلَّةِ دِينِه وكفرِه ودَعْواه أنَّه يأتِيه الوحىُ، وأنَّه قدَّم الموالىَ على الأشرافِ. واتَّفَق أنَّ ابنَ الأشترِ حينَ قتَل ابنَ زيادٍ اشتَغَل[٤] بتلك النواحِى، فأَحْرَز بلادًا وأقاليمَ ورَساتيقَ[٥] لنفسِه، واستهانَ بالمختارِ، فطمِع مصعبٌ فيه وبعَث محمدَ بنَ الأشعثِ بنِ قيسٍ على البريدِ إلى المُهَلَّبِ بنِ أبى صُفْرَةَ، وهو نائبُهم على خراسانَ، فقدِم فى تجملٍ عظيمٍ ومالٍ ورجالٍ وعَدَدٍ وعُدَدٍ وجيشٍ كثيفٍ، ففرِح به أهلُ البصرةِ وتقوَّى به مصعبٌ، فركِب فى أهلِ البصرةِ ومَن اتَّبَعهم مِن أهلِ الكوفةِ فركِبوا [٦]فى البحرِ والبرِّ[٦] قاصدِين الكوفةَ.

[٧]وقدَّم مصعبٌ بينَ يدَيه عَبّادَ بنَ الحُصَيْنِ، وجعَل على ميمنتِه عمرَ بنَ عُبيدِ اللَّهِ بنِ مَعْمَرٍ، وعلى الميسرةِ المُهَلَّبَ بنَ أبى صُفْرَةَ، ورتَّب الأمراءَ[٧]

---

(١) تاريخ الطبرى ٦/ ٩٣.
(٢) سقط من: م.
(٣ - ٣) فى ٣١، ٢١، م: «ليلتقى بالذى جاء بالرءوس والبشارة».
(٤) فى الأصل: «واشتغل». وفى م: «واستقل».
(٥) جمع (رُسْتاق)، وهو السَّواد والقُرى. تاج العروس (ر س ت ق) و (ر ز د ق).
(٦ - ٦) فى الأصل، ص: فى البر وساروا».
(٧ - ٧) فى الأصل، ص: «فسمع المختار بأمرهم».

(١) على راياتِها وقبائِلِها (١) ؛ كمالكِ بنِ مِسْمَعٍ ، والأحنفِ بنِ قيسٍ ، وزيادِ بنِ عمرَ ، وقيسِ بنِ الهيثمِ وغيرِهم . وخرَج المختارُ بعسكَرِه فنزَل المَذارَ[٢] ، وقد جعَل على مقدِّمَتِه أبا كاملٍ الشَّاكِريَّ[٣] ، وعلى ميمنتِه عبدَ اللَّهِ بنَ كاملٍ ، وعلى ميسرتِه عبدَ اللَّهِ بنَ وهبٍ الجُشَمِيَّ ، وعلى الخيلِ وزيرَ بنَ عبدِ اللَّهِ السَّلُوليَّ ، وعلى الموالى أبا عَمْرَةَ صاحبَ شرطتِه[١] . ثم خطَب الناسَ وحثَّهم على الخروجِ ، وبعَث بينَ يدَيه الجيوشَ ، وركِب هو وخَلْقٌ مِن أصحابِه وهو يبشِّرُهم بالنصرِ . فلمَّا انتهَى مصعبٌ إلى قريبِ[٤] الكوفةِ لقِيَتْهم الكتائبُ المختاريةُ ، فحمَلتْ عليهم الفرسانُ الزبيريةُ ، فما لبِثتِ المختاريةُ إلَّا يسيرًا حتى هرَبوا على حِمْيَةٍ ، وقد قُتِل منهم جماعةٌ مِن الأمراءِ ، وخَلْقٌ مِن القُرَّاءِ ، وطائفةٌ كثيرةٌ مِن الشيعةِ الأغبياءِ[٥] ، ثم انتهَتِ الهزيمةُ إلى المختارِ .

وقال الواقديُّ[٦] : لمَّا انتهَتْ مقدِّمةُ المختارِ إليه ، جاءَ مصعبٌ فقطَع الدجلةَ إلى الكوفةِ وقد حصَّن المختارُ القصرَ واستعمَلَ عليه عبدَ اللَّهِ بنَ شَدّادٍ ، وخرَج المختارُ بمَن بقِي معه فنزَل حَرُوراءَ ، فلمَّا قرُب جيشُ مصعبٍ منه جهَّز إلى كلِّ قبيلةٍ كُرْدوسًا ، فبعَث إلى بكرِ بنِ وائلٍ سعيدَ بنَ مُنْقِذٍ ، وإلى عبدِ القيسِ مالكَ

(١ - ١) فى الأصل ، ص : « فسمع المختار بأمرهم » .

(٢) فى النسخ : « المدار » . والمثبت من الطبرى ٦/ ٩٦، والكامل ٤/ ٢٦٨.

والمذار فى مَيْسان بين واسط والبصرة وهى قصبة ميسان بينها وبين البصرة مقدار أربعة أيام . (معجم البلدان ٤/ ٤٦٨) .

(٣) نصَّ السمعانى فى الأنساب على ضم الكاف ، وقال : هكذا رأيت ضم الكاف من كتاب « الجرح والتعديل » لابن أبى حاتم مقيَّدًا مضبوطًا . ٧/ ٢٥٨. وقال ابن الأثير : الصحيح كسر الكاف من « شاكر » ومن ضمه فقد أخطأ . اللباب ٢/ ٦. وانظر لب اللباب ٢/ ٤٥.

(٤) سقط من : الأصل ، ص .

(٥) بعده فى الأصل ، ص : « وثلة من أصحاب المختار ذى القول الفراء » .

(٦) أورده الطبرى فى تاريخه ٦/ ١١٤، ١١٥. وانظر الكامل ٤/ ٢٧٧.

ابنَ المنذرِ[1] ، وإلى العاليةِ عبدَ اللَّهِ بنَ جَعْدَةَ ، وإلى الأزدِ مسافرَ بنَ سعيدٍ ، وإلى بنى تميمٍ سُلَيْمَ بنَ يزيدَ الكِنْدىَّ ، وإلى محمدِ بنِ الأشعثِ السائبَ بنَ مالكٍ ، ووقَف المختارُ فى بقيةِ أصحابِه ، فاقتتَلوا قتالًا شديدًا إلى الليلِ ؛ فقُتِل أعيانُ أصحابِ المختارِ ، وقُتِل تلك الليلةَ محمدُ بنُ الأشعثِ ، [2]وعبيدُ اللَّهِ[2] بنُ علىٍّ بنِ أبى طالبٍ .

وتفرَّقَ عن المختارِ باقى أصحابِه ، فقيل له : القصرَ القصرَ . فقال[3] : واللَّهِ ما خرَجتُ منه وأنا أريدُ أن أعودَ إليه ، ولكنَّ هذا حكمُ اللَّهِ . ثم سارَ إلى القصرِ فدخَله ، وجاءَه مصعبٌ ففرَّق القبائلَ فى نواحِى الكوفةِ ، واقتسَموا المَحالَّ ، وخلَصوا إلى القصرِ . وقد منَعوا المختارَ المادةَ والماءَ ، وكان المختارُ يخرُجُ فيُقَاتِلُهم ثم يَعودُ إلى القصرِ . ولمَّا اشتدَّ عليه الحصارُ قال لأصحابِه[4] : إنَّ الحصارَ لا يَزيدُنا إلا ضَعْفًا ، فانزِلُوا بنا حتى نقاتِلَ حتى الليلِ حتى نموتَ كرامًا . فوَهَنوا ، فقال : أمَّا أنا[5] ، فواللَّهِ لا أُعْطِى بيدِى . ثم اغتَسَل وتطيَّبَ وتحنَّطَ وخرَج ، فقاتَل هو ومَن معه حتى قُتِلوا .

وقيل : بل أشارَ عليه جماعةٌ مِن أساورتِه بأن يدخُلَ القصرَ دارَ إمارتِه ، فدخَله وهو ملومٌ مذمومٌ ، [٧/ ٤٤ظ] وعن قريبٍ ينفُذُ فيه القدَرُ المحتومُ ، فحاصَرَه مصعبٌ فيه وجميعَ أصحابِه ، حتى أصابَهم مِن جهدِ العطشِ ما اللَّهُ به عليمٌ ،

---

(١) فى م : « منذر » .

(٢ - ٢) فى النسخ : « وعمير » . والمثبت من الطبرى ٦/ ١٠٤، والكامل ٤/ ٢٧٢. وانظر نسب قريش ٤٣، ٤٤.

(٣) تاريخ الطبرى ٦/ ١٠١.

(٤) تاريخ الطبرى ٦/ ١٠٦ ، ١٠٧ .

(٥) سقط من : م .

وضيَّق عليهم المسالكَ والمقاصدَ، وانسَدَّتْ عليهم أبوابُ الحيلِ، وليس فيهم رجلٌ رشيدٌ ولا حليمٌ، ثم جعَل المختارُ يُجيلُ فكرتَه ويكرِّرُ رَوِيَّتَه فى الأمرِ الذى قد حلَّ به[1]، واستشارَ مَن عندَه [2]مِن الموالى والعبيدِ[2]، ولسانُ القدَرِ والشرعِ يُناديه ﴿قُلْ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَمَا يُبْدِئُ ٱلْبَٰطِلُ وَمَا يُعِيدُ﴾ [سبأ: ٤٩]. ثم قوَّى عزمَه قوةُ الشجاعةِ المركبةِ فيه على أن أَخرَجَتْه مِن بينِ أظْهُرِ[3] مَن كان يُحالِفُه ويُوَاليه، ورأَى أن يموتَ على فرسِه، حتى يكونَ عليها انقضاءُ آخرِ نَفَسِه، فنزَل حَمِيَّةً وغضبًا، وشجاعةً وكَلَبًا، وهو مع ذلك لا يجِدُ مناصًا ولا مفرًّا ولا مهربًا، وليس معه مِن أصحابِه سوى تسعةَ عشرَ. ولعلَّه إن كان قد استمرَّ على ما عاش عليه أن لا يُفارقَه التسعةَ عشرَ الموكَّلون بسَقَرَ. [4]ولمَّا خرَج مِن القصرِ قالَ لأصحابِ مصعبٍ: أتُؤَمِّنونى؟ قالوا: لا، إلَّا على حُكْمِ الأميرِ. فقالَ: إلَّا حُكْمَ نفسى أبدًا. ثم قاتَلَ قتالًا شديدًا، وتقدَّم[4] إليه رجلان شقيقان أخوان؛ وهما طَرَفَةُ وطرّافٌ[5] ابنا عبدِ اللَّهِ بنِ دَجاجةَ مِن بنى حَنيفةَ، فقتَلاه بمكانِ الزّيّاتين مِن الكوفةِ، واحتزَّا رأسَه وأتَيا به إلى مصعبِ بنِ الزبيرِ، وقد دخَل قصرَ الإمارةِ[6]، فوُضِع بينَ يدَيه، كما وُضِع رأسُ ابنِ زيادٍ بينَ[7] يدَىِ المختارِ، [8]وكما وُضِع[8]

---

(١) بعده فى ص: «والأمر الجلل الذى قد اتصل سببه السيئ بسببه».

(٢ - ٢) فى الأصل: «من جهة الموالى والعبيد». وفى ٣١، ٢١: «فى هذا السبب السيئ الذى قد اتصل سببه بسببه من الموالى والعبيد».

(٣) سقط من: ٣١، ٢١، م.

(٤ - ٤) فى ٣١، ٢١، م: ولما خرج من القصر سأل أن يخلى سبيله فيذهب فى أرض اللَّه فقالوا له إلا على حكم الأمير والمقصود أنه لما خرج من القصر تقدم». وفى ص: «والمقصود أنه تقدم».

(٥) فى الأصل: «طرافة». وانظر الطبرى ٦/ ١٠٨.

(٦) بعده فى الأصل، ص: «من الكوفة».

(٧) فى م: «بنى».

(٨ - ٨) فى الأصل، ص: «قبل ذلك قريبا».

(١) رأسُ الحسينِ بينَ يدَي ابنِ زيادٍ - وكما سيُوضَعُ رأسُ مصعبٍ بينَ يدَىْ عبدِ الملكِ بنِ مروانَ - فلمَّا وُضِع رأسُ المختارِ بينَ يدَىْ مصعبٍ أمَر لهما بثلاثين ألفًا(١).

وقد قتَل مصعبٌ جماعةً مِن المختاريةِ فى المعركةِ وأسَر منهم خمسَمائةِ أسيرٍ، فضُرِبَتْ أعناقُهم عن آخِرِهم فى يومٍ واحدٍ. وقد قُتِل مِن(٢) أصحابِ مصعبٍ فى الوقعةِ محمدُ بنُ الأشعثِ بنِ قيسٍ.

وأمَر مصعبٌ بكفِّ المختارِ فقُطِعَتْ وسُمِرَتْ إلى جانبِ المسجدِ، فلم يزلْ هنالك حتى قدِم الحجاجُ، فسأَلَ عنها فقيل له: هى كفُّ المختارِ. فأمَر بها فرُفِعَتْ وانتُزِعَتْ مِن هنالك؛ لأنَّ المختارَ كان مِن قبيلةِ الحجاجِ - فالمختارُ هو الكذّابُ، والمبيرُ الحجاجُ - ولهذا أخَذ الحجاجُ بثأرِه مِن ابنِ الزبيرِ فقتَله وصلَبه شهورًا.

وقد سأَل مصعبٌ أمَّ ثابتٍ بنتَ سَمُرَةَ بنِ جُندبٍ امرأةَ المختارِ عنه فقالت(٣): ما عسى أن أقولَ فيه إلَّا ما تقولون أنتم فيه؟ فترَكها واستَدْعَى بزوجتِه الأُخرى؛ وهى عَمْرَةُ بنتُ النعمانِ بنِ بشيرٍ، فقالَ لها: ما تقولين فيه؟ فقالَتْ(٣): رَحِمَه اللَّهُ، لقد كانَ عبدًا مِن عبادِ اللَّهِ الصالحين. فسَجَنَها وكتَب إلى أخيه: إنَّها [٧/ ٤٥و] تقولُ إنَّه نبيٌّ. فكتَب إليه أن أَخرِجْها فاقْتُلْها. فأَخرَجَها إلى ظاهرِ البلدِ فضُرِبَتْ ضَرَباتٍ حتى ماتَتْ، فقال فى ذلك عمرُ بنُ أبى ربيعةَ(٤) المخزوميُّ:

(١ - ١) فى الأصل، ص: «قبل ذلك قريبا».

(٢) بعده فى الأصل، ٣١، ٢١، ص: «عيون».

(٣) تاريخ الطبرى ٦/ ١١٢، والكامل ٤/ ٢٧٥.

(٤) فى ٣١، ٢١، م: «رمثة». والأبيات فى تاريخ الطبرى ٦/ ١١٢، والكامل ٤/ ٢٧٥، ٢٧٦. وانظر ديوانه ٤٩٨، مع اختلاف فى الرواية.

إنَّ مِنْ أَعْجَبِ العجائبِ عندِى قَتْلَ بَيْضاءَ حُرَّةٍ عُطْبُولِ[1]

قُتِلَتْ هكذا على غيرِ جُرْمٍ إنَّ للَّهِ دَرَّهَا مِنْ قَتِيلِ

كُتِبَ القَتْلُ والقِتالُ عَلَيْنَا وعَلَى الغانياتِ[2] جَرُّ الذُّيُولِ

وقال أبو مِخْنَفٍ[3]: حدَّثنى محمدُ بنُ يوسفَ أنَّ مصعبًا لقِى عبدَ اللَّهِ بنَ عمرَ[4] فسلَّم عليه، [5]فقال ابنُ عمرَ: من أنت[5]؟ فقال له: أنا ابنُ أخيك، مصعبُ بنُ الزبيرِ. فقالَ له ابنُ عمرَ: نعم، أنت القاتلُ سبعةَ آلافٍ مِن أهلِ القبلةِ فى غداةٍ واحدةٍ؟ عِشْ ما استطَعْتَ! فقال[6] مصعبٌ: إنَّهم كانوا كفرةً سَحَرةً. فقال ابنُ عمرَ: واللَّهِ لو قَتَلْتَ عِدَّتَهم[7] غَنَمًا مِن تُراثِ أبيك لكان ذلك سَرَفًا.

وهذه ترجمةُ المختارِ بنِ أبى عُبيدِ الكذابِ

هو المختارُ بنُ أبى عبيدِ بنِ مسعودِ بنِ عمرِو بنِ عُميرِ بنِ عوفِ بنِ عُقْدَةَ[8] بنِ غِيَرَةَ[9] بنِ عوفِ بنِ ثقيفٍ الثقفىُّ[10]، أسلمَ أبوه فى حياةِ النبىِّ ﷺ، ولكن لم يرَه، فلهذا لم يذكرْه أكثرُ الناسِ فى الصحابةِ، وإنما ذكَره ابنُ الأثيرِ فى الغابةِ[11]،

---

(1) العُطْبُولُ من النساء: الحسنةُ التامَّة. الصحاح (ع ط ب ل).

(2) فى الطبرى، والكامل، والديوان: «المحصنات».

(3) أخرجه الطبرى فى تاريخه ٦/ ١١٢، ١١٣ من طريق أبى مخنف به.

(4) بعده فى ٣١، ٢١، م: «بن الخطاب».

(5 - 5) زيادة من: ٣١، ٢١، م.

(6) بعده فى ٣١، ٢١، م: «له».

(7) فى م: «عدلهم».

(8) فى الأصل، ص: «عبدة»، وفى م: «غفرة». وانظر جمهرة أنساب العرب ٢٦٨، وأسد الغابة ٦/ ٢٠٥.

(9) فى الأصل: «عنزة»، وفى ٣١، ٢١، م: «عميرة». وانظر المصدرين السابقين، وتبصير المنتبه ٣/ ١٠٤٠.

(10) الاستيعاب ٤/ ١٤٦٥، وأسد الغابة ٥/ ١٢٢، والإصابة ٦/ ٣٤٩.

(11) أسد الغابة ٦/ ٢٠٥.

وقد كان عمرُ بعَثه فى جيشٍ كثيفٍ فى قتالِ الفرسِ سنةَ ثلاثَ عشرةَ ، فقُتِل يومَئذٍ شهيدًا ، وقُتِل معه نحوٌ مِن أربعةِ آلافٍ مِنَ المسلمين - كما قدَّمنا - وعُرِف ذلك الجسرُ به ، وهو جِسرٌ على دجلةَ ، فيقالُ له إلى اليومِ : جسرُ أبى عبيدٍ . وكان له مِن الولدِ صفيةُ بنتُ أبى عبيدٍ ، وكانت مِن الصالحاتِ العابداتِ ، وهى زوجةُ عبدِ اللَّهِ ابنِ عمرَ بنِ الخطابِ ، وكان عبدُ اللَّهِ لها مكرِمًا ومحِبًّا ، وماتت فى حياتِه . وأمَّا أخوها المختارُ هذا ، فإنه كان أولًا ناصِبيًّا يُبْغِضُ عليًّا بُغضًا شديدًا ، وكان عند عمِّه بالمدائنِ ، وكان عمُّه نائبَها ، فلمَّا دخَلَها الحسنُ بنُ علىٍّ يومَ[1] خَذَله[2] أهلُ العراقِ وهو سائرٌ إلى الشامِ لقتالِ معاويةَ بعدَ مقتلِ أبيه علىٍّ ، فلمَّا أحسَّ الحسنُ منهم بالغدرِ ، فرَّ منهم إلى المدائنِ فى جيشٍ قليلٍ ، فقال المختارُ لعمِّه : لو أخذتَ الحسنَ فبعَثتَه إلى معاويةَ لاتَّخذْتَ عندَه بذلك[3] اليدَ البيضاءَ أبدًا . فقال له عمُّه : بئسَ ما تأمُرُنى به يا بن أخى .

فمازالتِ الشيعةُ تُبْغِضُه حتى كان مِن أمرِ [٧/٤٥ظ] مسلمِ بنِ عقيلٍ بالكوفةِ[4] ما كان ، وكان المختارُ مِن الأمراءِ بالكوفةِ ، فجعَلَ يقولُ : أمَا لأنصُرَنَّه . فبلَغ ابنَ زيادٍ ذلك فحبَسه بعدَما[5] ضرَبه مائةَ جلدةٍ ، [6]فأرسلَ ابنُ عمرَ[6] إلى يزيدَ بنِ معاويةَ [7]يشفَعُ فيه ، فأرسَل يزيدُ[7] إلى ابنِ زيادٍ فأطلَقه[8] وسيَّرَه إلى

---

(١) سقط من : م .
(٢) فى الأصل : « ظعنه » وفى ص : « طعنة » .
(٣) سقط من الأصل ، ص ، م .
(٤) فى ٣١، ٢١، م : « بن أبى طالب » .
(٥) سقط من : م .
(٦ - ٦) فى الأصل ، ص : « فسألت أخته زوجها فكتب » .
(٧ - ٧) فى الأصل ، ص : « فأرسل » .
(٨) فى الأصل ، ص : « ليخرجه فأخرجه » .

الحجازِ فى عباءةٍ ، فضَوَى[1] إلى ابنِ الزبيرِ بمكةَ ، فقاتَل معه حينَ حصَره [2]أهلُ الشامِ[2] قتالًا شديدًا ، ثم بلَغ المختارَ ما[3] أهلُ العراقِ فيه مِن التخبيطِ ، فسارَ إليهم وترَكَ ابنَ الزبيرِ ، ويقالُ : إنَّه سألَ [4]ابنَ الزبيرِ[4] أن يكتُبَ له كتابًا إلى ابنِ مُطيعٍ نائبِ الكوفةِ ففعَلَ ، فسار إليها .

وكان يُظهِرُ مدحَ ابنِ الزبيرِ فى العلانيةِ ويَسبُّه فى السرِّ ، ويمدَحُ محمدَ ابنَ الحنفيةِ ويدعو إليه ، وما زال حتى استحوذَ على الكوفةِ بطريقِ التَّشَيُّعِ وإظهارِ الأخذِ بثأرِ الحسينِ ، وبسببِ ذلك التفَّتْ عليه جماعاتٌ كثيرةٌ مِن الشيعةِ [5]حتى قاومَ نوابَ ابنِ الزبيرِ على الكوفةِ[5] ، وأخرجَ عاملَ ابنِ الزبيرِ منها ، واستقرَّ مُلكُ المختارِ بها ، ثم كتَب إلى ابنِ الزبيرِ يعتذِرُ إليه ويخبِرُه أنَّ ابنَ مُطيعٍ كان مُداهِنًا لبنى أُميةَ ، وقد خرَج مِن الكوفةِ ، وأنا ومَن بها فى طاعتِك ، فصدَّقه ابنُ الزبيرِ ؛ لأنَّه كان يدعو له على المنبرِ يومَ الجمعةِ على رءُوسِ الناسِ ، ويُظْهِرُ طاعتَه .

ثم شرَع فى تَتبُّعِ قتلةِ الحسينِ ومَن شهِد الوقعةَ بكربلاءَ مِن ناحيةِ ابنِ زيادٍ ، فقتَل منهم خلقًا كثيرًا ، وظفِر برءُوسِ كبارٍ منهم ؛ كعمرَ بنِ سعدِ بنِ أبى وقاصٍ أميرِ الجيشِ الذين قتَلوا الحسينَ ، وشَمِرِ بنِ ذى الجَوْشَنِ أميرِ الألفِ الذين وَلُوا قتلَ الحسينِ ، وسنانِ بنِ أبى أنسٍ ، وخَوْلىِّ بنِ يزيدَ الأصبحىِّ ، وخلقًا غيرَ هؤلاءِ ، وما زال حتى بعَث سيفَ نِقْمَتِه إبراهيمَ بنَ الأشترِ النخعىَّ فى عشرين ألفًا

---

(1) فى م ، ص : « فصار » . وضَوَى : مال وانضم .

(2 - 2) فى الأصل ، ص : « حصين بن نمير » .

(3) بعده فى م ، ص : « قال » .

(4 - 4) فى ص : « من مروان » .

(5 - 5) سقط من : 31 ، 21 ، م .

إلى ابنِ زيادٍ ، (١ وهو ١) فى جيشٍ أعظمَ مِن (٢ جيشِ المختارِ بأضعافٍ ٢) ، كانوا سِتِّين ألفًا ، وقيلَ : ثمانين ألفًا . فقتَل ابنُ الأشترِ ابنَ زيادٍ وكسَر جيشَه ، واحتازَ ما فى مُعسكَرِه - (٣ واتفَق ذلك فى يومِ عاشوراءَ سنةَ سبعٍ وسِتِّين ٣) - ثم بعَث برأسِ ابنِ زيادٍ ورءوسِ أصحابِه مع البشارةِ إلى المختارِ ، ففرِح بذلك فرحًا شديدًا . ثم إنَّ المختارَ بعَث [٧/٤٦و] برأسِ عُبيدِ اللَّهِ بنِ زيادٍ ورأسِ حصينِ بنِ نُميرٍ ومَن معهما إلى عبدِ اللَّهِ بنِ الزبيرِ بمكةَ فأمَر ابنُ الزبيرِ بها فنُصِبَتْ على عَقَبةِ الحَجُونِ ، وقد كانوا نصَبوها بالمدينةِ .

وطابت نفسُ المختارِ بالمُلكِ ، وظنَّ أنَّه لم يَبْقَ له عدوٌّ ولا مُنازِعٌ .

ثم إنَّ ابنَ الزبيرِ تبيَّنَ خداعَه ومكرَه وسوءَ مذهَبِه ، فبعَث أخاه مصعبًا أميرًا على العراقِ ، فسار إلى البصرةِ فاجتَمع إليه أهلُها ، ووفَد إليه جماعاتٌ مِن الكوفةِ ، فلم يَتِمَّ سُرورُ المختارِ حتى ركِب إليه مصعبُ بنُ الزبيرِ مِن البصرةِ فى جيشٍ هائلٍ فحاصَرَه بالكوفةِ وضيَّق عليه ، ومازال حتى أمكَن اللَّهُ منه ، فقتَله (٤ واحتزَّ رأسَه ٤) ، وأمَر بصلبِ كفِّه على بابِ المسجدِ ، وبعَث مصعبٌ برأسِ المختارِ مع رجلٍ مِن الشُّرَطِ على البريدِ إلى أخيه عبدِ اللَّهِ بنِ الزبيرِ ، فوصَل مكةَ بعدَ العشاءِ فوجَد (٥ عبدَ اللَّهِ ٥) يتنفَّلُ ، فما زال يصلِّى حتى أسحَر ولم يَلتفِتْ إلى البريدِ الذى جاء بالرأسِ ، فلمّا كان قَريبَ الفجرِ قال : ما جاء بك ؟ فألقَى إليه الكتابَ فقرَأه ، فقال[٦] : يا أميرَ المؤمنين ، معى الرأسُ . فقال : ألقِهْ على بابِ

(١ - ١) فى ٣١، ا٢١، م : « وكان ابن زياد حين التقاه » .
(٢ - ٢) فى ٣١، ا٢١، م : « جيشه بأضعاف مضاعفة » .
(٣ - ٣) سقط من : ا٣١، م .
(٤ - ٤) فى الأصل : « وأحضر رأسه إلى بين يديه » .
(٥ - ٥) فى الأصل : « عبيد الله » .
(٦) الأخبار الطوال ٣٠٨.

المسجدِ . فألقاه ثم جاء فقال : جائزتي يا أميرَ المؤمنين . فقال : جائزتُك الرأسُ الذى جئتَ به تأخذُه معك إلى العراقِ .

ثم زالت دولةُ المختارِ كأنْ لم تكنْ ، وكذلك سائرُ الدُّوَلِ ، وفرِح المسلمون بزوالِها ؛ وذلك لأنَّ الرجلَ لم يكنْ فى نفسِه صادقًا ، بل كان كاذبًا (١ وكاهنًا ، وكان ١) يزعُمُ أنَّ الوحىَ ينزِلُ عليه على يدِ جبريلَ يأتى إليه .

قال الإمامُ أحمدُ[٢] : حدَّثَنا ابنُ نميرٍ ، حدَّثنا عيسى القارئُ[٣] أبو (٤ عمرَ بنُ عمرَ ، ثنا ٤) السُّدِّىُّ ، عن رفاعةَ القِتْبانىِّ[٥] قال : دخَلتُ على المختارِ فألقَى لى وسادةً وقال : لولا أنَّ أخى جبريلَ قام عن هذه لألقَيْتُها لك . قال : فأردتُ أن أضرِبَ عُنقَه . قال : فذكَرتُ حديثًا حدَّثَنيه أخى عمرُو[٦] بنُ الحَمِقِ ، قال : قال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « أيما مؤمنٍ أمَّن مؤمنًا على دمِه فقتَلَه ، فأنا مِن القاتلِ برىءٌ » .

وقال الإمامُ أحمدُ[٧] : حدَّثَنا يحيى بنُ سعيدٍ القطانُ ، عن حمادِ بنِ سَلمةَ ، حدَّثَنى عبدُ الملكِ بنُ عميرٍ ، عن رفاعةَ بنِ شدّادٍ ، قال : كنتُ أقومُ على رأسِ المختارِ ، فلمّا عرَفتُ كَذِبَه هَمَمتُ أن أسُلَّ سَيْفى فأضرِبَ عُنُقَه ، فذكَرتُ حديثًا حدَّثَناه عمرُو بنُ الحَمِقِ قال سمِعتُ رسولَ اللَّهِ ﷺ يقولُ : « مَن أمَّن رجلًا على نفسِه فقتَلَه ، أُعطِى لواءَ غدرٍ يومَ [٧/٤٦ظ] القيامةِ » . ورَواه النسائىُّ وابنُ ماجه

(١ - ١) سقط من : م .

(٢) المسند ٥/ ٢٢٣.

(٣) بعده فى ص : « ثنا » .

(٤ - ٤) فى م : « عمير بن » .

(٥) فى النسخ : « القبانى » . والمثبت من المسند ، وانظر تقريب التهذيب ١/ ٢٥١.

(٦) فى م : « عمر » .

(٧) المسند ٥/ ٢٢٤.

مِن غيرِ وجهٍ ، عن عبدِ الملكِ بنِ عُميرٍ به[1] . وفي لفظٍ لهما[2] : « مَن أمَّن رجلًا على دمِه[3] فقتَله ، فأنا برىءٌ مِن القاتلِ ، وإن كان المقتولُ كافرًا » . وفي سندِ هذا الحديثِ اختلافٌ . وقد قيلَ لابنِ عمرَ[4] : إنَّ المختارَ يزعُمُ أنَّ الوحىَ يأتيه . فقال : صدَق ، قال اللَّهُ تعالى : ﴿ وَإِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰٓ أَوۡلِيَآئِهِمۡ ﴾ [الأنعام : ١٢١] . وروَى ابنُ أبى حاتمٍ[5] ، عن عكرمةَ قال : قدِمْتُ على المختارِ فأكرَمنى وأنزَلنى حتى[6] كان يتعاهَدُ مَبيتى بالليلِ ، قال : فقال لى : اخرُجْ فحدِّثِ الناسَ . قال : فخرَجتُ فجاء رجلٌ فقال : ما تقولُ فى الوحيِ ؟ فقلت : الوحىُ وَحيانِ ، قال اللَّهُ تعالى : ﴿ بِمَآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانَ ﴾ [يوسف : ٣] . وقال تعالى : ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلۡنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوّٗا شَيَٰطِينَ ٱلۡإِنسِ وَٱلۡجِنِّ يُوحِي بَعۡضُهُمۡ إِلَىٰ بَعۡضٖ زُخۡرُفَ ٱلۡقَوۡلِ غُرُورٗاۚ ﴾ [الأنعام : ١١٢] . قال : فهَمُّوا بى أن يأخُذُونى ، فقلتُ : ما لكم وذاك ، إنِّى مُفتيكم وضَيْفُكم ، فترَكونى . وإنَّما أراد عكرمةُ أن يُعَرِّضَ بالمختارِ وكذبِه فى ادِّعائِه أنَّ الوحىَ ينزِلُ عليه .

(7) وروَى الطبرانىُّ[8] ، مِن طريقِ أُنَيْسةَ بنتِ زيدِ بنِ أرقمَ ، أنَّ أباها دخَل (7)

---

(١) النسائى فى الكبرى (٨٧٣٩، ٨٧٤٠، ٨٧٤١) ، ابن ماجه (٢٦٨٨) . صحيح (صحيح سنن ابن ماجه) .

(٢) لم نجد هذا اللفظ عندهما . وانظر تحفة الأشراف ٨/ ١٤٩.

(٣) فى م : « دم » .

(٤) لم أجده . وقد ذكره المصنف فى كتاب التفسير ٣/ ٣٢٠ وعزاه لابن أبى حاتم فى تفسيره -وتفسيره غير كامل- وقد أورده القرطبى فى تفسيره ٧/ ٧٧، وعزاه لعبد الله بن الزبير . وأخرجه أيضا السيوطى فى الدر المنثور ٣/ ٤٣.

(٥) لم أجده عند ابن أبى حاتم . وقد ذكره المصنف فى تفسيره ٣/ ٣١٤.

(٦) فى م « عنده » .

(٧ - ٧) سقط من : الأصل ، ص .

(٨) المعجم الكبير ٥/٢٤١ (٥١٢٧) .

(1) على المختارِ بنِ أبى عبيدٍ فقال له: يا أبا عامرٍ لو سبقتَ[2] رأيتَ[3] جبريلَ ومِيكائيلَ. فقال له زيدٌ: حُقِرتَ[4] وتَعِستَ[5]، أنت أهونُ على اللَّهِ مِن[6] ذلك، كذابٌ مُفْترٍ على اللَّهِ ورسولِه (1).

وقال الإمامُ أحمدُ[7]: حدَّثَنا إسحاقُ[8] بنُ يوسفَ، ثنا ابنُ عوفٍ، (9) عن أبى (9) الصِّدِّيقِ الناجِىِّ، أنَّ الحجّاجَ بنَ يوسفَ دخَل على أسماءَ بنتِ أبى بكرٍ الصِّدِّيقِ، بعدَما قتِل ابنُها عبدُ اللَّهِ بنُ الزبيرِ، فقال: إنَّ ابنَكِ ألْحَدَ فى هذا البيتِ، وإنَّ اللَّهَ أذاقَه مِن عذابٍ أليمٍ، وفعَل به وفعَل. فقالت: كذَبْتَ، كان بَرًّا بالوالدَين، صَوَّامًا قَوَّامًا، واللَّهِ لقد أخبرَنا رسولُ اللَّهِ ﷺ أنَّه سيَخْرُجُ مِن ثَقيفٍ كَذّابان؛ الآخِرُ منهما شَرٌّ مِن الأوَّلِ، وهو مُبيرٌ. هكذا رَواه أحمدُ بهذا السَّندِ واللَّفظِ.

وقد أخرَجه مسلمٌ[10] فى «صحيحِه»، فى كتابِ الفضائلِ، عن عُقبةَ بنِ مُكْرَمٍ العَمِّىِّ البصرىِّ، عن يعقوبَ بنِ إسحاقَ الحضرَمىِّ، عن الأسودِ بنِ شيبانَ، عن أبى نوفلٍ، عن أبى عَقربٍ - واسمُه معاويةُ بنُ مُسلمٍ[11] - عن

(1 - 1) سقط من: الأصل، ص.

(2) فى م: «شفت».

(3) فى ا ٣١: «راية». وفى م: «رأى».

(4) فى م: «خسرت». وفى الطبرانى: «حفرت».

(5) فى الطبرانى: «نقرت».

(6) فى الطبرانى «منى».

(7) المسند ٦/ ٣٥١.

(8) فى م: «ابن إسحاق».

(9 - 9) سقط من: م.

(10) مسلم (٢٥٤٥).

(11) فى ٣١، ٢١، م: «سلم». وانظر الجرح والتعديل ٨/ ٣٧٩.

أسماءَ بنتِ أبى بكرِ الصِّدِّيقِ أنَّ رسولَ اللَّهِ ﷺ قال: «إنَّ فى ثَقيفٍ كذَّابًا ومُبيرًا». وفى الحديثِ قصةٌ طويلةٌ فى مقتَلِ الحَجّاجِ ولدَها عبدَ اللَّهِ بنَ الزبيرِ فى سنةِ ثلاثٍ وسبعِين، كما سيأتى. وقد ذكَر البيهقىُّ هذا الحديثَ فى دلائلِ النُّبوةِ[1].

وذكَر العلماءُ أنَّ الكَذّابَ هو المختارُ بنُ أبى عبيدٍ، وكان يُظهِرُ التشيُّعَ ويُبطِنُ الكَهانةَ، ويُسِرُّ إلى أخِصّائِه [٤٧/٧و] أنَّه يوحَى إليه. ولكنْ ما أدرِى هل كان يدَّعِى النُّبوةَ أم لا؟ وكان قد وضِع له كرسىٌّ يُعَظَّمُ ويُحَفُّ بالرجالِ ويُستَرُ بالحريرِ، ويُحمَلُ على البغالِ، وكان يُضاهِى به تابوتَ بنى إسرائيلَ المذكورَ فى القرآنِ، ولا شَكَّ أنَّه كان ضالًّا مُضِلًّا، أراح اللَّهُ المسلمين منه بعدَما انتقَم به مِن قومٍ آخَرين مِن الظالِمين، كما قال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ نُوَلِّي بَعْضَ ٱلظَّٰلِمِينَ بَعْضًۢا بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ﴾ [الأنعام: ١٢٩]. وأمَّا المُبيرُ فهو القَتّالُ وهو الحَجّاجُ بنُ يوسفَ الثَّقفىُّ، نائبُ العراقِ لعبدِ الملكِ بنِ مَرْوانَ، الذى انْتزَع العراقَ مِن يدِ مصعبِ بنِ الزبيرِ، كما سيأتى بيانُه قريبًا.

وذكَر الواقدىُّ[3] أنَّ المختارَ لم يزَلْ مظهِرًا موافقةَ ابنِ الزبيرِ حتى قدِم مصعبٌ إلى البصرةِ فى أوَّلِ سنةِ سبعٍ وستِّين، وأظهَر مخالفتَه، فسار إليه مصعبٌ فقاتَله، وكان المختارُ فى نحوٍ مِن عشرِين ألفًا، وقد حَمَل عليه المختارُ مرَّةً فهزَمه، ولكنْ لم يَثْبُتْ جيشُ المختارِ حتى جعَلوا ينصرِفون إلى مصعبٍ ويَدَعون المختارَ،

---

(١) الدلائل ٤٨٦/٦ .

(٢) بعده فى م: «به».

(٣) تاريخ الطبرى ١١٤/٦ - ١١٥، الكامل ٢٧٧/٤.

وينقِمون عليه ما هو فيه مِن الكَهانةِ والكذِبِ . فلمّا رأى المختارُ ذلك انصرَف إلى قصرِ الإمارةِ ، فحاصَره مصعبٌ فيه أربعةَ أشهرٍ ، ثم قتَله فى رابعَ عشَرَ رمضانَ سنةَ سبعٍ وستِّين ، وله مِن العُمُرِ سبعٌ وستُّون سنةً فيما قِيل .

فصلٌ

ولمّا استقَرَّ مصعبُ بنُ الزبيرِ بالكوفةِ بعَث إلى إبراهيمَ بنِ الأشتَرِ ليَقدَمَ عليه ، وبعَث عبدُ الملكِ بنُ مَرْوانَ إليه ليَقدَمَ عليه ، فحار ابنُ الأشتَرِ فى أمرِه ، وشاوَر أصحابَه إلى أيِّهما يذهَبُ ، ثم اتفَق رأيُهم على الذَّهابِ إلى بلدِهم الكوفةِ ، فقدِم ابنُ الأشتَرِ على مصعبِ بنِ الزبيرِ فأكرَمه وعظَّمه واحترَمه كثيرًا ، وبعَث مصعبٌ المُهَلَّبَ بنَ أبى صُفْرةَ على المَوْصِلِ والجزيرةِ وأذْرَبيجانَ (١وأرمينِيَةَ - وكان قد استَخلف على البصرةِ حينَ خرَج منها عبيدَ اللَّهِ بنَ ١) (٢عبدِ اللَّهِ ٢) بنِ مَعْمَرٍ - وأقام هو بالكوفةِ . ثم لم تنسلِخْ هذه السنةُ حتى عزَله أخوه عبدُ اللَّهِ بنُ الزبيرِ عن البصرةِ ووَلَّى عليها ابنَه حمزةَ بنَ عبدِ اللَّهِ بنِ الزبيرِ ، وكان شجاعًا جَوَادًا مُخلِّطًا ؛ يُعطِى أحيانًا حتى لا يَدَعَ شيئًا ، ويمنَعُ أحيانًا ما لا يُمنَعُ مثلُه ، وظهَرتْ خِفَّتُه وطَيْشٌ فى عقلِه وسرعةٌ فى أمرِه ، فبعَث الأحنفُ إلى عبدِ اللَّهِ بنِ الزبيرِ ، فعزَله وأعاد إلى وِلايتِها أخاه مصعبًا مُضافًا إلى ما بيدِه مِن وِلايةِ الكوفةِ ، قالوا[٣] : وخرَج حمزةُ بنُ عبدِ اللَّهِ بنِ الزبيرِ مِن البصرةِ بمالٍ كثيرٍ مِن بيتِ مالِها ، فعرَض له مالكُ [٤٧/٧ظ] بنُ مِسْمَعٍ ، فقال : لا ندَعُك تذهَبُ بأعطياتِنا . فضَمِن له

(١ - ١) سقط من : الأصل.
(٢ - ٢) فى تاريخ الطبرى ١١٧/٦ «عبيد الله».
(٣) تاريخ الطبرى ٦/ ١١٨، والكامل ٤/ ٢٧٩.

عبيدُ اللَّهِ بنُ (١عبدِ اللَّهِ بنِ١) معمرٍ العطاءَ، فكَفَّ عنه، فلمّا انصرَف حمزةُ لم يَقدَمْ على أبيه مكةَ، بل عدَل إلى المدينةِ، فأودَع ذلك المالَ رجالًا، فكُلُّهم غلَّ ما أودَعه وجَحَده، سِوى رجلٍ مِن أهلِ الكتابِ، فأدَّى إليه أمانتَه، فلمّا بلَغ أباه ما صنَع، قال: أبعدَه اللَّهُ، أردتُ أن أُباهىَ به بنى مَرْوانَ فنكَص.

وذكَر أبو مخنفٍ[٢] أنَّ حمزةَ بنَ عبدِ اللَّهِ بنِ الزبيرِ وَلِى البصرةَ سنةً كاملةً. فاللَّهُ أعلمُ.

قال ابنُ جريرٍ[٣]: وحجَّ بالناسِ فى هذه السَّنةِ عبدُ اللَّهِ بنُ الزبيرِ، وكان عامِلُه على الكوفةِ أخاه مصعبًا، وعلى البصرةِ ابنَه حمزةَ، وقِيل: بل كان رجَع إليها أخوه. وعلى خُراسانَ وتلك البلادِ عبدُ اللَّهِ بنُ خازمٍ[٤] السُّلَمِىُّ (٥مِن جهةِ ابنِ الزبيرِ. واللَّهُ سبحانَه أعلمُ.

ومِمَّن تُوفِّى فيها مِن الأعيانِ:

الوليدُ بنُ عقبةَ بنِ أبى مُعَيْطٍ[٦]، **وأبو الجَهْمِ**[٧]، وهو صاحبُ الأنبَجانيَّةِ[٨] المذكورةِ فى الحديثِ الصحيحِ[٩].

وفيها قُتِل خلقٌ كثيرٌ يَطُولُ ذِكرُهم٥).

(١ - ١) سقط من: م.

(٢) أخرجه الطبرى فى تاريخه ١١٨/٦ به.

(٣) تاريخ الطبرى ٦/ ١١٨.

(٤) فى الأصل، ٣١، ص: «حازم».

(٥ - ٥) سقط من الأصل، ص. وليس فى الطبرى.

(٦) الاستيعاب ١٥٥٢/٤، وأسد الغابة ٤٥١/٥، والإصابة ٦/ ٦١٤.

(٧) الاستيعاب ١٦٦٢/٤، وأسد الغابة ٥٧/٦، والإصابة ٧/ ٧١.

(٨) الأنبجانية: بفتح الباء وكسرها، نسبة إلى منبج على غير القياس، وقيل: نسبتها إلى أنبجان، وهى كساء من الصوف له خَمْل ولا عَلَم له، وهى من أدون الثياب الغليظة. التاج (ن ب ج).

(٩) البخارى (٣٧٣، ٧٥٢، ٥٨١٧)، مسلم (٦١، ٦٢، ٦٣ /٥٥٦).

ثم دخَلَت سنةُ ثمانٍ وستّين

ففيها رَدَّ عبدُ اللَّهِ أخاه مصعبًا إلى إمرَةِ البصرةِ ، فأتاها فأقام بها . واستخلَف على الكوفةِ الحارثَ بنَ عبدِ اللَّهِ بنِ أبى ربيعةَ المخزوميَّ ؛ قُباعًا[1] ، واستعمَل على المدينةِ جابرَ بنَ الأسودِ الزُّهْرىَّ ، وعزَل عنها عبدَ الرحمنِ بنَ الأشعثِ ؛ لكَوْنِه ضرَب سعيدَ بنَ المسيَّبِ ستِّين سَوْطًا ، فإنَّه أراد منه أن يُبايعَ لابنِ الزبيرِ فامتنَع مِن ذلك فضرَبه ، فعزَله ابنُ الزبيرِ .

وفيها هلَك ملكُ الرومِ قُسطَنْطِينُ بنُ قُسْطَنْطِينَ ببلدِه ، لعنَه اللَّهُ .

وفيها كانت وَقْعةُ الأزارقةِ . وذلك أنَّ مصعبًا كان قد عزَل عن ناحيةِ فارسَ المهلبَ بنَ أبى صُفرةَ ، وكان قاهرًا لهم ، وولَّاه الجزيرةَ[2] ، ووَلَّى على فارسَ عمرَ ابنَ عبيدِ اللَّهِ بنِ معمرٍ ، فثاروا عليه ، فقاتَلهم عمرُ بنُ عبيدِ اللَّهِ فقهَرَهم وكسَرهم ، وكانوا مع أميرِهم الزبيرِ بنِ الماحوزِ[3] ، ففَرُّوا بينَ يدَيْه إلى إصْطَخْرَ ، فاتَّبَعهم فقتَل منهم مَقتَلةً عظيمةً ، وقتَلوا ابنَه ، ثم ظفِر بهم مرةً أُخرَى ، ثم هرَبوا إلى بلادِ أصبهانَ ونواحِيها ، فتقَوَّوْا[4] هنالِك وكثُر عَدَدُهم وعُدَدُهم ، ثم أقبَلوا يريدون البصرةَ ، فمَرُّوا ببعضِ بلادِ فارسَ وترَكوا عمرَ بنَ عبيدِ اللَّهِ بنِ معمرٍ[5] وراءَ ظهورِهم ، فلمّا سمِع مصعبٌ بقُدومِهم ركِب فى الناسِ ، وجعَل يلومُ عمرَ بنَ عبيدِ اللَّهِ بتركِه هؤلاء يجتازون ببلادِه إلى البصرةِ ، وقد ركِب عمرُ بنُ عبيدِ اللَّهِ

---

(١) القباع : هو لقب للحارث . الكامل ٢٨٣/٤ .

(٢) بعده فى الأصل : « وأذْرَبيجان » .

(٣) فى الأصل ، ٢١ ، ص : « الماحور » . وفى م : « الماجور » . وانظر تاريخ الطبرى ١١٩/٥ ، والكامل ٢٨٢/٤ .

(٤) فى الأصل ، ٣١، ٢١: « فتفرقوا » . وانظر تاريخ الطبرى ٦/ ١٢٠.

(٥) فى الأصل: « عمر » .

ابنِ معمرٍ فى آثارِهم، فبلَغ الخوارجَ أنَّ مصعبًا أمامَهم وعمرَ بنَ عبيدِ اللَّهِ وراءَهم، فعدَلوا إلى المدائنِ فجعَلوا يقتُلون النساءَ والوِلدانَ، [٤٨/٧و] ويبقُرون بطونَ الحَبالَى، ويفعَلون أفعالًا لم يفعَلْها غيرُهم، فقصَدَهم نائبُ الكوفةِ الحارثُ بنُ عبدِ اللَّهِ بنِ أبى ربيعةَ ومعه أهلُها وجماعاتٌ مِن أشرافِها؛ منهم ابنُ الأشترِ، وشَبَثُ بنُ رِبْعِىٍّ، فلمّا وصَلوا (١إليهم عندَ١) جسرِ الصَّراةِ، قطَعه الخوارجُ بينَهم وبينَ الناسِ، فأمَر الأميرُ بإعادتِه، فأُعيدَ(٢)، ففرَّتِ الخوارجُ هاربين بينَ يدَيْه، فاتَّبَعهم عبدُ الرحمنِ بنُ مِخْنَفٍ فى سِتَّةِ آلافٍ فمَرُّوا على الكوفةِ، ثم صاروا إلى أرضِ أصبهانَ، فانصرَف عنهم ولم يقاتِلْهم، ثم أقبَلوا فحاصَروا عَتّابَ بنَ وَرقاءَ شهرًا، بمدينةِ جُبًّا(٣) حتى ضيَّقوا على الناسِ، فنزَلوا إليهم فقاتَلوهم فكشَفوهم وقتَلوا أميرَهم الزبيرَ بنَ الماحُوزِ(٤) وغنِموا ما فى معسكَرِهم، وأمَّرتِ الخوارجُ عليهم قَطَرِىَّ بنَ الفُجاءَةِ، ثم ساروا إلى بلادِ الأهوازِ، فكتَب مصعبُ بنُ الزبيرِ إلى المُهَلَّبِ بنِ أبى صُفرةَ - وهو على المَوْصِلِ - أن يسيرَ إلى قتالِ الخوارجِ، وكان أبصَرَ الناسِ بقتالِهم، وبعَث مكانَه إلى المَوْصِلِ إبراهيمَ بنَ الأشترِ، فانصرَف المهلبُ إلى الأهوازِ فقاتَل فيها الخوارجَ ثمانيةَ أشهرٍ قتالًا لم يُسمَعْ بمثلِه.

قال ابنُ جريرٍ(٥): وفى هذه السنةِ كان القحطُ الشديدُ ببلادِ الشامِ؛ بحيثُ لم يتمَكَّنوا معه مِن الغزوِ لضعفِهم وقلَّةِ طعامِهم ومِيرتِهم.

(١ - ١) فى ٣١، ٢١، م: «إلى».

(٢) سقط من: م.

(٣) فى الأصل، ٢١: «حبا». وبعده فى ٢١: «عتاب».

وجبًا بالضم ثم التشديد والقصر بلد أو كورة من عمل خوزستان. وجبا أيضا قرية من أعمال النهروان. معجم البلدان ٢/ ١٢، ١٣.

(٤) فى ٢١: «الماجون». فى م: «الماجور». وفى ص: «الماجوز».

(٥) تاريخ الطبرى ٦/ ١٢٧.

قال ابنُ جريرٍ[1] : وفيها قتِل عبيدُ اللَّهِ بنُ الحرِّ ؛ وكان مِن خبرِه أنَّه كان رجلًا شجاعًا تنقَّلَتْ به الأحوالُ والأيامُ والآراءُ ، حتى صار مِن أمرِه أنَّه لا ينطاعُ لأحدٍ مِن بنى أميةَ ولا لآلِ الزبيرِ ، وكان يمُرُّ على عاملِ الكُورةِ مِن العراقِ وغيرِه ، فيأخُذُ منه جميعَ ما فى بيتِ مالِه [2]مِن الحواصلِ[2] قهرًا ويكتُبُ له براءةً ويذهَبُ فيُنفِقُه على أصحابِه ، وكان الخلفاءُ والأُمراءُ يبعَثُون إليه الجيوشَ فيطرُدُها ويكسِرُها ، قلَّتْ أو كثُرَتْ ، حتى كاع[3] فيه مصعبُ بنُ الزبيرِ وعُمّالُه ببلادِ العراقِ ، ثم إنَّه وفَد على عبدِ الملكِ بنِ مَرْوانَ فبعَثه فى عَشَرَةِ نفرٍ ، وقال : ادخُلِ الكوفةَ فأعلِمْهم أنَّ الجنودَ ستصِلُ إليهم سريعًا . فبعَث فى السِّرِّ إلى جماعةٍ مِن إخوانِه فظهرَ على أمرِه ، فأعلَم به أميرَ الكوفةِ الحارثَ بنَ عبدِ اللَّهِ ، فبعَث إليه جيشًا فقتَلوه فى المكانِ الذى هو فيه ، وحمِل رأسُه إلى الكوفةِ ، ثم إلى البصرةِ ، واستراح الناسُ منه .

قال ابنُ جريرٍ[4] : وفيها شهِد موقِفَ عرفةَ أربعُ راياتٍ متباينةٌ ، كلُّ واحدةٍ منها لا تأتَمُّ بالأُخرَى ؛ الواحدةُ لمحمدِ ابنِ الحنفيةِ [٧/٤٨ظ] فى أصحابِه ، والثانيةُ لنَجْدةَ الحرُوريِّ[5] وأصحابِه ، والثالثةُ لبنى أميةَ ، والرابعةُ لعبدِ اللَّهِ بنِ الزبيرِ ، وكان أولَ مَن دفَع رايةُ ابنُ الحنفيةِ ، ثم نَجْدَةُ ، ثم بنو أميةَ ، ثم دفَع ابنُ الزبيرِ فدَفَع الناسُ معه ، وكان عبدُ اللَّهِ بنُ عمرَ فى مَن انتظَر دَفْعَ ابنِ الزبيرِ ، ولكنَّه تأخَّر دفعُه ، فقال ابنُ عمرَ : أشبهَ بتأخيرِه دَفْعَ الجاهليةِ . فدفَع ابنُ عمرَ فدفَع ابنُ الزبيرِ ، وتحاجَز الناسُ فى هذا العامِ فلم يكنْ بينَهم قتالٌ . وكان على نيابةِ المدينةِ

---

(١) تاريخ الطبرى ٦/١٢٧- ١٣٥.

(٢ - ٢) سقط من : م.

(٣) كاع كَوْعا . إذا عُقر فمشَى على كوعه لأنه لا يقدر على القيام. الوسيط (ك و ع) .

(٤) تاريخ الطبرى ٦/ ١٣٨.

(٥) فى م : «الجرورى».

لابنِ الزبيرِ جابرُ بنُ الأسودِ بنِ عوفٍ الزُّهْرىُّ ، وعلى الكوفةِ والبصرةِ أخوه مصعبٌ ، وعلى مُلكِ الشامِ[1] عبدُ الملكِ بنُ مَرْوانَ . واللَّهُ أعلمُ .

وممَّن تُوفِّى فى هذه السنةِ مِن الأعيانِ

[2] **عبدُ اللَّهِ بنُ يزيدَ الأوسىُّ**[3] ، شهِد الحُدَيْبِيَةَ .

وعبدُ الرحمنِ بنُ الأسودِ بنِ عبدِ يغوثَ[4] .

وعبدُ الرحمنِ بنُ زيدِ بنِ الخطّابِ العدوىُّ[5] ، ابنُ أخى عمرَ بنِ الخطابِ ، أدرَك النَّبىَّ ﷺ . وتوفِّىَ بالمدينةِ عن نحوِ سبعينَ سنةً .

عبدُ الرحمنِ بنُ حسّانَ بنِ ثابتٍ الأنصارىُّ[6] .

عدىُّ بنُ حاتمِ بنِ عبدِ اللَّهِ بنِ سعدِ بنِ امرئِ القَيْسِ[7] ، صحابىٌّ جليلٌ ، سكَن الكُوفَةَ ثم سكَن قَرْقِيشياءَ[8] .

زيدُ بنُ أرقمَ بنِ زيدٍ[9] ، صحابىٌّ جليلٌ[2] .

---

(1) بعده فى ٣١، ا ٢، م : « ومصر » .

(٢ - ٢) سقط من : الأصل، ص .

(3) الاستيعاب ٣/ ١٠٠١، وأسد الغابة ٣/ ٤١٦، والإصابة ٤/ ٢٦٧.

(4) الاستيعاب ٢/ ٨٥٦، وأسد الغابة ٣/ ٤٢٧، والإصابة ٤/ ٢٨٦.

(5) الاستيعاب ٢/ ٨٣٣، وتهذيب الكمال ١٧/ ١١٩، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٦١- ٨٠هـ) صفحة ١٧٤.

(6) انظر ترجمته فى طبقات ابن سعد ٥/ ٢٦٦، وتهذيب الكمال ١٧/ ٦٤، وسير أعلام النبلاء ٥/ ٦٤، تاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٦١- ٨٠ هـ) صفحة ١٧٠، الإصابة ٥/ ٣١.

(7) الاستيعاب ٣/ ١٠٧٥، وأسد الغابة ٤/ ٨، والإصابة ٤/ ٤٦٩.

(8) فى م : « قوميسيا » .

(9) الاستيعاب ٢/ ٥٣٥، وأسد الغابة ٢/ ٢٧٦، والإصابة ٢/ ٥٨٩.

وفيها تُوفى عبدُ اللَّهِ بنُ عباسٍ[1]، تُرجُمانُ القرآنِ، [2]وابنُ عمّ رسولِ الملكِ الديّانِ[2]

هو عبدُ اللَّهِ بنُ عباسِ بنِ عبدِ المطلبِ بنِ هاشمِ بنِ عبدِ منافِ بنِ قُصَيٍّ، أبو العباسِ الهاشميُّ، ابنُ عمِّ رسولِ اللَّهِ ﷺ، حَبْرُ هذه الأُمَّةِ، ومفَسِّرُ كتابِ اللَّهِ وتُرْجُمانُه، وكان يقالُ له: الحَبْرُ، والبَحْرُ. روَى عن رسولِ اللَّهِ ﷺ شيئًا كثيرًا، وعن جماعةٍ مِن الصحابةِ، وأخَذ عنه خَلْقٌ مِن الصحابةِ وأُمَمٌ مِن التابعينَ، وله مفرداتٌ ليست لغيرِه مِن الصحابةِ؛ لاتِّساعِ علْمِه، وكَثْرَةِ فَهْمِه، وكمالِ عقلِه، وسَعَةِ فَضلِه، ونُبلِ أصلِه، رضِى اللَّهُ عنه وأرْضَاه.

وأُمُّه أُمُّ الفَضْلِ لُبابةُ بنتُ الحارثِ الهلاليَّةُ، أختُ مَيمونةَ بنتِ الحارثِ أُمِّ المؤْمنينَ، وهو والدُ الخُلَفاءِ العباسيِّينَ، وهو أحدُ[3] إخوةٍ عَشَرَةٍ ذكورٍ للعباسِ مِن أمِّ الفَضْلِ، [4]وهو آخرُهم مولدًا[4]، وقد مات كلُّ واحدٍ منهم فى بلدٍ بعيدٍ مِن الآخرِ جدًّا، كما سيأتى ذلك.

قال مسلمُ بنُ خالدٍ الزَّنْجِيُّ المكِّيُّ، عن ابنِ أبى[5] نَجيحٍ، عن مجاهدٍ، عن ابنِ عباسٍ قال[6]: لمّا كان رسولُ اللَّهِ ﷺ فى الشِّعْبِ جاء أَبى إلى رسولِ اللَّهِ

---

(1) الاستيعاب ٣/ ٩٣٣، وأسد الغابة ٣/ ٢٩٠، والإصابة ٤/ ١٤١.

(٢ - ٢) سقط من: م.

(3) فى الأصل: «آخر». وفى ٣١، ٢١، م: «أخو».

(٤ - ٤) سقط من: الأصل، ص.

(5) سقط من: م، ص، وانظر تهذيب الكمال ١٦/ ٢١٥.

(6) أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ٢٩/ ٢٨٨ به.

ﷺ فقال: يا محمدُ، أرَى[1] أمَّ الفضلِ قد اشتَمَلَتْ على حَمْلٍ، فقال: «لعلَّ اللَّهَ أن يُقِرَّ أعيُنَكم»[2]. قال: فأُتِيَ[3] بي رسولَ اللَّهِ ﷺ وأنا في خِرْقةٍ فحنَّكَني[4] بريقِه. قال مجاهدٌ: فلا نعلَمُ أحدًا حنَّكه رسولُ اللَّهِ ﷺ بريقِه غيرَه. وفي روايةٍ أُخرَى[5]: فقال رسولُ اللَّهِ ﷺ: «[6]لعلَّ اللَّهَ[6] أن يُبيِّضَ وجوهَنا بغلامٍ». فولَدتْ عبدَ اللَّهِ [٧/٤٩و] بنَ عبّاسٍ. وعن عمرِو بنِ دينارٍ قال[7]: ولِد ابنُ عباسٍ عامَ الهجرةِ.

وروَى الواقديُّ، مِن طريقِ شعبةَ، عن ابنِ عباسٍ أنه قال[8]: وُلِدتُ قبلَ الهجرةِ بثلاثِ سنينَ ونحنُ في الشِّعْبِ، وتُوفِّي رسولُ اللَّهِ ﷺ وأنا ابنُ ثلاثَ عَشْرةَ سنةً. ثم قال الواقديُّ[9]: وهذا ما لا خِلافَ فيه بينَ أهلِ العلْمِ. واحتجَّ الواقديُّ بأنَّه كان قد ناهَزَ الحُلُمَ عامَ حَجَّةِ الوَداعِ.

وفي «صحيحِ البخاريِّ» عن ابنِ عبَّاسٍ، قال[10]: تُوفِّي رسولُ اللَّهِ ﷺ وأنا مختونٌ، وكانوا لا يَختِنون الغلامَ حتى يحتَلِمَ. وقال شعبةُ وهُشَيْمٌ[11]

---

(١) في ص: «إني أرى».

(٢) في الأصل: «عينك»، وفي ص: «عينكما».

(٣) في ١، ٣، م: «فلما ولدتني أتي».

(٤) في تاريخ دمشق: «يحنكني».

(٥) أخرجها يعقوب بن سفيان في المعرفة والتاريخ ١/ ٥٤١. ومن طريقه أخرجها ابن عساكر في تاريخ دمشق ٢٩/ ٢٨٨، ٢٨٩.

(٦ - ٦) في ص: «لعل». وفي المعرفة والتاريخ، وتاريخ دمشق: «عسى».

(٧) تاريخ دمشق ٢٩/ ٢٨٩.

(٨) مختصر تاريخ دمشق ١٢/ ٢٩٤.

(٩) المصدر السابق.

(١٠) البخاري (٦٢٩٩).

(١١) في م: «هشام»، وانظر تهذيب الكمال ٣٠/ ٢٧٢، ٢٧٣.

وأبو[1] عَوانةَ ، عن أبى بشرٍ ، عن سعيدِ بنِ جُبيرٍ ، عن ابنِ عبَّاسٍ ، قال[2] : تُوفِّى رسولُ اللَّهِ ﷺ وأنا ابنُ عشرِ سنينَ ، مختونٌ . زاد هُشَيْمٌ[3] : وقد جمَعتُ المُحْكَمَ على عهدِ رسولِ اللَّهِ ﷺ . قلتُ : وما المحكَمُ ؟ قال : المفصَّلُ .

وقال أبو داودَ الطَّيالِسىُّ[4] ، عن شعبةَ ، عن أبى إسحاقَ ، عن سعيدِ بنِ جُبَيْرٍ ، عن ابنِ عباسٍ قال : قبِض رسولُ اللَّهِ ﷺ وأنا ابنُ خمسَ عشْرةَ سنةً مختونٌ . وهذا هو الأصحُّ ، ويؤيِّدُه[5] صحةُ ما ثبَت فى « الصحيحيْنِ »[6] ، ورَواه مالكٌ[7] ، عن الزُّهرىِّ ، عن [8]عبيدِ اللَّهِ[8] [9]بنِ عبدِ اللَّهِ[9] ، عن ابنِ عبَّاسٍ قال : أقبَلْتُ راكبًا على حمارٍ[10] أتانٍ ، وأنا يومَئذٍ قد ناهَزْتُ الاحتلامَ ، ورسولُ اللَّهِ ﷺ يُصلِّى بالناسِ بمِنًى إلى غيرِ جِدارٍ ، فمرَرْتُ بينَ يدَى بعضِ الصفِّ ، فنزَلتُ وأَرسَلتُ الأتانَ ترتَعُ ودخَلتُ فى الصفِّ ، فلم يُنكِرْ ذلك علىَّ أحدٌ . وثبَت عنه فى « الصحيحِ »[11] أنَّه قال : كنتُ أنا وأمِّى مِن المُستضعَفِين ؛

---

(١) فى م : « ابن » ، وانظر أطراف المسند ٣/ ٦٧.

(٢) أخرجه الإمام أحمد فى المسند ١/ ٢٥٣، ٢٨٧، ٣٣٧ (إسناده صحيح) .

(٣) فى م : « هشام » ، وانظر تهذيب الكمال ٣٠/ ٢٧٢، ٢٧٣.

(٤) مسند أبى داود الطيالسى (٢٦٤٠) .

(٥) فى الأصل : « يزيده » .

(٦) البخارى (٧٦، ٤٩٣، ٨٦١، ١٨٥٧، ٤٤١٢) ، ومسلم (٢٥٤/ ٢٥٥/ ٥٠٤) .

(٧) الموطأ ١/ ١٥٥.

(٨ - ٨) فى ٣١، ٢١ : « عبد الله » .

(٩ - ٩) سقط من : م .

(١٠) سقط من : م .

(١١) البخارى (٤٥٨٧) ، وليس فيه : « كانت أمى من النساء وكنت أنا من الولدان » . قال الحافظ فى الفتح ٨/ ٢٥٥: أخرجه الإسماعيلى من طريق إسحاق بن موسى عن ابن عيينة بهذا اللفظ .

كانت أمِّى مِن النساءِ، وكنتُ أنا مِن الوِلدانِ. وهاجَر مع أبيه قبلَ الفتحِ، فاتَّفَق لُقْياهما النبىَّ ﷺ بالجُحفةِ وهو ذاهبٌ لفتحِ مكَّةَ، فشهِد الفتحَ وحُنينًا والطائفَ عامَ ثمانٍ، وقيل: كان فى سنةِ تسعٍ وحَجَّةُ الوَداعِ سنةَ عشْرٍ. وصحِبَ النبىَّ ﷺ مِن[1] حينئذٍ ولزِمَه، وأخَذ عنه وحفِظ، وضبَط الأقوالَ والأفعالَ والأحوالَ، وأخَذ عن الصحابةِ عِلْمًا عظيمًا مع الفَهمِ الثاقبِ والبلاغةِ والفصاحةِ والجمالِ والملاحةِ والأصالةِ والبيانِ، ودعا له رسولُ الرحمنِ ﷺ، [2]وذلك[2] كما ورَدَتْ به الأحاديثُ الثابتةُ الأركانِ [2]عندَ الأئمةِ الحفّاظِ المرضيِّين[2]؛ أنَّ رسولَ اللَّهِ ﷺ دعا له [3]بأن يُعلِّمَه اللَّهُ[3] التأويلَ، وأن يُفقِّهَه فى الدِّينِ.

وقال الزُّبيرُ بنُ بكَّارٍ[4]: حدَّثنى ساعدةُ بنُ عبيدِ اللَّهِ المُزَنىُّ، عن داودَ [٧/٤٩ظ] بنِ عطَاءٍ، عن زيدِ بنِ أسلمَ، عن ابنِ عمرَ أنَّه قال: إنَّ عمرَ كان يدعو عبدَ اللَّهِ بنَ عبَّاسٍ فيُقرِّبُه ويقولُ: إنِّى رأيتُ رسولَ اللَّهِ ﷺ دعاك يومًا فمسَح رأسَك، وتفَل فى فِيك وقال: «اللهمَّ فقِّهْه فى الدِّينِ، وعلِّمْه التأويلَ». وبه أنَّ رسولَ اللَّهِ ﷺ قال: «اللهمَّ بارِكْ فيه وانشُرْ منه»[5].

وقال حمَّادُ بنُ سلَمةَ[6]، عن عبدِ اللَّهِ بنِ عثمانَ بنِ خُثَيْمٍ[7]، عن سعيدِ بنِ جُبيرٍ، عن ابنِ عبَّاسٍ، قال: بتُّ فى بيتِ خالتى ميمونةَ فوَضَعْتُ للنبىِّ ﷺ

---

(١) سقط من: م.
(٢ - ٢) زيادة من: الأصل، ص.
(٣ - ٣) فى الأصل، ص: «بعلم»، وفى م: «بأن يعلمه».
(٤) أخرجه الذهبى فى سير أعلام النبلاء ٣/ ٣٣٧.
(٥) أورده ابن منظور فى مختصر تاريخ دمشق ٢٩٩/١٢ عن ابن عمر.
(٦) أخرجه الإمام أحمد فى المسند ١/ ٣٢٨، ٣٣٥ (إسناده صحيح).
(٧) فى م، ص: «خيثم». (وكذا فى المواضع التالية)، وانظر تهذيب الكمال ١٥/ ٢٧٩.

غُسْلًا ، فقال : « مَن وضَع هذا ؟ » قالوا : عبدُ اللَّهِ بنُ عبّاسٍ . فقال : « اللهمَّ علِّمْه التأويلَ ، وفقِّهْه فى الدينِ » . وقد رَواه غيرُ واحدٍ ، عن ابنِ خُثَيْمٍ بنحوِه[1] .

وقال الإمامُ أحمدُ[2] : حدَّثَنا عبدُ اللَّهِ بنُ[3] بكرٍ ، [4]ثنا حاتمُ بنُ أبى صَغِيرةَ[4] أبو يونُسَ ، عن عمرِو بنِ دينارٍ أنَّ كُرَيْبًا أخبَره أنَّ ابنَ عبّاسٍ قال : أتيتُ رسولَ اللَّهِ ﷺ مِن آخرِ الليلِ فصلَّيتُ خلفَه ، فأخَذ بيدِى فجرَّنى حتى جعَلنى حِذاءَه ، فلمّا أقبلَ رسولُ اللَّه ﷺ على صلاتِه خَنَسْتُ ، فصلَّى رسولُ اللَّهِ ﷺ ، فلمّا انصرَف[5] قال لى : « ما شأنى أجعَلُك[6] حِذائى فتَخْنِسُ ؟ » فقلتُ : يا رسولَ اللَّهِ أوينبغى لأحدٍ أنْ يُصلِّىَ[6] حذاءَك وأنتَ رسولُ اللَّهِ الذى أعطاك اللَّهُ عزَّ وجلَّ ؟ قال : فأعجبتُه ، فدعا اللَّهَ لى أنْ يَزيدَنى عِلمًا وفَهمًا ، قال : ثم رأيتُ رسولَ اللَّهِ ﷺ نام حتى سمِعتُه يَنفُخُ ، ثم أتاه بلالٌ فقال : يا رسولَ اللَّهِ ، الصلاةُ . فقام فصلَّى ما أعاد وُضوءًا .

وقال الإمامُ أحمدُ وغيرُه[7] : حدَّثنا هاشمُ بنُ القاسمِ ، ثنا وَرقاءُ ، سمِعتُ عبيدَ اللَّهِ بنَ أبى يزيدَ يُحدِّثُ عن ابنِ عبَّاسٍ ، قال : أتَى رسولُ اللَّهِ ﷺ الخلاءَ فوَضَعْتُ له وَضوءًا ، فلمَّا خرَج قال : « مَن وضَع ذا ؟ » فقيل : ابنُ عبَّاسٍ . فقال : « اللهمَّ فقِّهْه فى الدينِ ، وعلِّمْه التأويلَ » .

---

(١) أخرجه الإمام أحمد فى المسند ١/ ٢٦٦، ٣١٤ (إسناده صحيح).
(٢) المسند ١/ ٣٣٠ (إسناده صحيح».
(٣) فى ص: «بن أبى».
(٤ - ٤) فى م: «بن أبى صفرة». وانظر تهذيب الكمال ٥/ ١٩٤، ١٩٥ .
(٥) بعده فى ٣١، ٢١، م: «من صلاته».
(٦) بعده فى م: «فى».
(٧) المسند ١/ ٣٢٧، والبخارى (١٤٣)، وليس عندهما: «وعلمه التأويل». ومسلم (٢٤٧٧) بلفظ: «اللهم فقهه» فقط.

وقال الثَّوْرِىُّ وغيرُه[1] ، عن لَيْثٍ ، عن أبى جَهْضَمٍ موسى بنِ سالمٍ ، عن ابنِ عبّاسٍ ، أنّه رأَى جبريلَ ، وأنَّ رسولَ اللَّهِ ﷺ دعا له بالحِكْمةِ - وفى روايةٍ بالعلمِ - مرّتين .

وقال الدارقطنىُّ : حدّثنا حمزةُ بنُ القاسمِ الهاشمىُّ وآخرون ، قالوا : حدَّثنا العباسُ بنُ محمدٍ ، حدّثنا محمدُ بنُ مُصعبٍ ، [2]حدّثنا أبو مالكٍ[2] النَّخَعىُّ ، عن أبى إسحاقَ ، عن عكرمةَ ، عن ابنِ عبَّاسٍ قال : رأيتُ جبريلَ مرَّتين ، [٧/ ٥٠و] ودعا لى رسولُ اللَّهِ ﷺ بالحكمةِ مرَّتين . ثم قال : غريبٌ مِن حديثِ أبى إسحاقَ السَّبيعىِّ ، عن عكرمةَ . تفرَّد به عنه أبو مالكٍ النَّخَعِىُّ عبدُ الملكِ بنُ حُسيْنٍ[3] .

وقال الإمامُ أحمدُ[4] : حدَّثنا هشيمٌ[5] ، عن خالدٍ ، عن عكرمةَ ، عن ابنِ عبّاسٍ قال : ضمَّنى رسولُ اللَّهِ ﷺ وقال : « اللهمَّ علِّمْه الحكمةَ » . ورَواه أحمدُ[6] أيضًا ، عن إسماعيلَ ابنِ عُليّةَ ، عن خالدٍ الحَذّاءِ ، عن عكرمةَ عنه ، قال : ضمَّنى إليه رسولُ اللَّهِ ﷺ وقال : « اللهمَّ علِّمْه الكتابَ » . وقد رَواه البخارىُّ[7] ، والترمذىُّ ، والنَّسائىُّ ، وابنُ ماجه[8] ، من حديثِ خالدٍ - وهو ابنُ مِهرانَ

---

(١) أخرجه الترمذى (٣٨٢٢) ، والإمام أحمد فى فضائل الصحابة (١٥٦١) . ضعيف (ضعيف سنن الترمذى ٨٠١) .

(٢ - ٢) فى م : « بن أبى مالك » . وانظر تهذيب الكمال ٢٦/ ٤٦٠ .

(٣) أخرجه الذهبى فى تاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٦١- ٨٠ هـ) ص ١٥٣ .

(٤) المسند ٢١٤/١ (إسناده صحيح) .

(٥) فى م : « هاشم » .

(٦) المسند ٣٥٩/١ (إسناده صحيح) .

(٧) سقط من : ٣١، ٢١ .

(٨) البخارى (٧٥، ٣٧٥٦، ٧٢٧٠) ، والترمذى (٣٨٢٤) ، والنسائى فى الكبرى (٨١٧٩) ، وابن ماجه (١٦٦) .

الحذَّاءُ - عن عكرمةَ عنه به . وقال الترمذيُّ : حسنٌ صحيحٌ .

وقال الإمامُ أحمدُ[1] : حدّثنا أبو سعيدٍ ، ثنا سليمانُ بنُ بلالٍ ، ثنا حسينُ بنُ عبدِ اللَّهِ ، عن[2] عكرمةَ ، عن ابنِ عبّاسٍ ، أنَّ رسولَ اللَّهِ ﷺ قال : « اللهمَّ أعطِ ابنَ عبّاسٍ الحكمةَ وعلِّمْه التأويلَ » . تفرَّد به أحمدُ .

وقد روَى هذا الحديثَ غيرُ واحدٍ عن عكرمةَ بنحوِ هذا . ومنهم مَن أرسَله عن عكرمةَ ، والمتَّصلُ هو الصحيحُ ؛ فقد رواه غيرُ واحدٍ مِن التابعين عن ابنِ عبّاسٍ ، ورِوى مِن طريقِ أميرِ المؤمنين المَهديِّ ، عن أبيه[3] ؛ أبي جعفرٍ المنصورِ عبدِ اللَّهِ بنِ محمدِ بنِ عليِّ بنِ عبدِ اللَّهِ بنِ عبّاسٍ ، عن أبيه ، عن جدِّه ، عن عبدِ اللَّهِ بنِ عبّاسٍ ، أنَّ رسولَ اللَّهِ ﷺ قال : « اللهمَّ علِّمْه الكتابَ وفقِّهْه فى الدِّينِ » .

وقال الإمامُ أحمدُ[4] : حدّثنا أبو كاملٍ وعفَّانُ ، المعْنَى[5] ، قالا : ثنا حمادٌ ، ثنا عمارُ بنُ أبى عمّارٍ ، عن ابنِ عبّاسٍ قال : « كنتُ مع أبى عندَ النبيِّ ﷺ وعندَه رجلٌ يُناجيه ، قال عفَّانُ : وهو كالمُعْرِضِ عن العبّاسِ ، فخرَجنا مِن عندِه فقال العبّاسُ[5] : ألم[6] ترَ إلى[6] ابنِ عمِّك كالمُعرِضِ عنِّى ؟ فقلتُ : إنَّه كان عندَه رجلٌ

---

(١) المسند ١/٢٦٩ (ضعيف) .

(٢) فى م : « بن » . وانظر تهذيب الكمال ٦/ ٣٨٣ .

(٣) بعده فى الأصل، ٣١، ٢١، م : « عن » وانظر سير أعلام النبلاء ٧/ ٤٠٠ .

(٤) المسند ١/٣١٢ (إسناده صحيح) .

(٥) زيادة من : ٣١، ٢١، م . وهى ليست فى المسند .

(٦ - ٦) فى ٣١، ٢١، م : « أر » .

يُناجيه . قال عفَّانُ : قال[1] : أوَكان عندَه أحدٌ ؟ قلتُ : نعم . قال[2] : فرجَع إليه فقال : يا رسولَ اللَّهِ ، هل كان عندَك أحدٌ[3] ؛ فإنَّ عبدَ اللَّهِ أخبَرنى أنَّه كان عندَك رجلٌ تُناجيه[4] ؟ قال : « هل رأيتَه يا عبدَ اللَّهِ ؟ » قال[5] : نعم . قال : « ذاك جبريلُ عليه السلامُ » . وقد روِى مِن حديثِ المهدِىِّ عن آبائِه ، وفيه أنَّ رسولَ اللَّهِ ﷺ قال له : « أمَا إنَّك ستُصابُ فى بصرِك » . فكان كذلك . وقد روِى مِن وجهٍ آخرَ أيضًا[6] . واللَّهُ أعلمُ .

ذِكرُ صفةٍ أُخرَى لرُؤْيتِه جبريلَ[7] ، رَواها قتيبةُ ، عن الدراوَرديِّ ، عن ثَوْرِ ابنِ زيدٍ[8] ، [٧/٥٠ظ] عن موسى بنِ مَيْسرةَ أنَّ العبَّاسَ بعَث ابنَه عبدَ اللَّهِ فى حاجةٍ إلى رسولِ اللَّهِ ﷺ ، فوجَد عندَه رجلًا ، فرجَع ولم يُكلِّمْه مِن أجلِ مكانِ ذلك الرجلِ ، فلَقِى العباسُ رسولَ اللَّهِ ﷺ بعدَ ذلك ، فقال العبَّاسُ[9] : أرسلْتُ إليك ابنى فوجَد عندَك رجلًا فلم يستطِعْ أن يُكلِّمَك فرجَع وراءَه . فقال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « يا عمِّ ، تدرى مَن ذاك الرجلُ ؟ » قال : لا . قال : « ذاك[10] جبريلُ ،

---

(١) بعده فى ٣١، ٢١، م : « عباس » .

(٢) سقط من : ٣١، ٢١، م .

(٣) بعده فى ٣١، ٢١، م : « آنفًا » .

(٤) فى ٣١، ٢١، م : « يناجيك » .

(٥) بعده فى ٣١، ٢١، م : « قلت » .

(٦) أخرجه الطبرانى فى الكبير ٢٩٢/١٠ (١٠٥٨٦) من طريق على بن عبد العزيز مطولًا . وأورده الهيثمى فى المجمع ٢٧٦/٩، وعزاه للطبرانى ، وقال : وفيه من لم أعرفه .

(٧) أورده الذهبى فى سير أعلام النبلاء ٣٤٠/٣.

(٨) فى م ، ص : « يزيد » وانظر تهذيب الكمال ٤١٦/٤.

(٩) بعده فى ٣١، ٢١، م : « يا رسول الله » .

(١٠) سقط من الأصل.

ولن يموتَ ابنُك حتى يذهَبَ بصرُه ويُؤتَى عِلمًا » . ورواه سليمانُ بنُ بلالٍ ، عن ثَوْرِ بنِ زيدٍ[١] كذلك[٢] ، وله [٣]طريقٌ أخرَى[٣] . وقد ورَد فى فضائلِ ابنِ عبّاسٍ أحاديثُ كثيرةٌ منها ما هو منكَرٌ جدًّا ، أضرَبْنا عن كثيرٍ منها صفحًا ، وذكَرْنا ما فيه مَقنعٌ وكِفايةٌ عمَّا سواه .

وقال أبو بكرٍ البيهقىُّ[٥] : أخبَرَنا أبو عبدِ اللَّهِ الحافظُ ، أنبأَ عبدُ اللَّهِ بنُ الحسنِ القاضِى بمَرْوَ ، ثنا الحارثُ بنُ محمدٍ ، أخبرَنا يزيدُ بنُ هارونَ ، أخبرَنا جريرُ بنُ حازمٍ ، عن يَعْلَى بنِ حكيمٍ ، عن عكرمةَ ، عن ابنِ عبَّاسٍ قال : لمَّا قُبِض رسولُ اللَّهِ ﷺ قلتُ لرجلٍ مِن الأنصارِ : هلمَّ فلنسأَلْ أصحابَ رسولِ اللَّهِ فإنَّهم[٦] اليومَ كثيرٌ . فقال : يا عجبًا لك يا ابنَ عبَّاسٍ ! أترَى الناسَ يفتقِرون إليك وفى النّاسِ مِن أصحابِ رسولِ اللَّه ﷺ مَن فيهم ؟ قال : فترَك ذلك ، وأقبلْتُ أنا أسألُ أصحابَ رسولِ اللَّهِ ﷺ ، فإن كان لَيَبلُغُنى الحديثُ عنِ الرجلِ فآتِى بابَه وهو قائِلٌ ، فأتوَسَّدُ ردائى على بابِه يَسفِى الريحُ علىَّ مِن الترابِ ، فيخرُجُ فيرانى فيقولُ : يا ابنَ عمِّ رسولِ اللَّهِ ، ما جاء بك ؟ هلَّا أرسلْتَ إلىَّ فآتِيَكَ ؟ فأقولُ : لا[٧] ، أنا أحقُّ أنْ آتِيَك . قال : فأسألُه عن الحديثِ . قال :

---

(١) فى م ، ص : « يزيد » .

(٢) انظر سير أعلام النبلاء ٣/ ٣٤٠، ٣٤١.

(٣ - ٣) فى الأصل، ص : « طرق أخر » . وانظر سير أعلام النبلاء ٣/ ٣٤١.

(٤) أخرجه ابن سعد فى الطبقات ٢/ ٣٦٧، ٣٦٨، والحاكم فى المستدرك ٣/ ٥٣٨، من طريق سعيد ابن جبير عن ابن عباس ، وقال الحاكم : هذا حديث صحيح على شرط البخارى ولم يخرجاه . كما أخرجه الإمام أحمد فى فضائل الصحابة (١٩٢٥).

(٥) فى الأصل، ص : « فأنتم » .

(٦) سقط من : الأصل .

فعاش هذا الرجلُ الأنصاريُّ حتى رآنى وقد اجتمَع الناسُ حولى يسألونى، فيقولُ: هذا الفتى كان أعقلَ منى.

وقال محمدُ بنُ عبدِ اللَّهِ الأنصاريُّ[1]: ثنا محمدُ [2]بنُ عمرٍو[2] بنِ علقمةَ، ثنا أبو سلمةَ، عن ابنِ عبّاسٍ، قال: وجَدتُ عامَّةَ[3] عِلْمِ رسولِ اللَّهِ ﷺ عندَ هذا الحيِّ مِن الأنصارِ، إنْ كنتُ لأَقيلُ ببابِ أحدِهم، ولو شِئْتُ أن يُؤذَنَ لى عليه لأَذِن[4]، ولكنْ أبتَغِى بذلك طِيبَ نفسِه.

وقال محمدُ بنُ سعدٍ[5]: أخبَرَنا محمدُ بنُ عمرَ، حدَّثنى قُدامةُ بنُ موسى، عن أبى سَلَمَةَ الحضْرَمىِّ قال: سمِعْتُ ابنَ عبّاسٍ يقولُ: كنتُ أَلْزَمُ الأكابرَ [٧/٥١و] مِن أصحابِ رسولِ اللَّهِ ﷺ؛ مِن المهاجرين والأنصارِ، فأسألُهم عن مَغازى رسولِ اللَّهِ ﷺ وما نزَل مِن القرآنِ فى ذلك، وكنتُ لا آتى أحدًا منهم إلا سُرَّ بإتيانى[6]؛ لقُربى مِن رسولِ اللَّهِ ﷺ، فجعَلتُ أسألُ أُبَىَّ بنَ كَعْبٍ يومًا - وكان مِن الرّاسخينَ فى العلمِ - عمَّا نزَل مِن القرآنِ بالمدينةِ. فقال: نزَل سبعٌ وعشرون سورةً وسائرُها بمكَّةَ[7].

وقال أحمدُ[8]: عن عبدِ الرزّاقِ، عن مَعْمَرٍ قال: عامَّةُ علمِ ابنِ عبّاسٍ مِن

---

(١) أخرجه يعقوب بن سفيان فى المعرفة والتاريخ ١/ ٥٤٠، عن محمد بن عبد اللَّه الانصارى بنحوه.
(٢ - ٢) سقط من: ص.
(٣) سقط من: الأصل.
(٤) بعده فى ٣١، ٢١، م «لى».
(٥) الطبقات ٢/ ٣٧١.
(٦) بعده فى ٣١، ٢١، م: «إليه».
(٧) فى ٣١، م: «مكى»، وفى ٢١: «نزل بمكة».
(٨) أخرجه يعقوب بن سفيان فى المعرفة والتاريخ ١/ ٥٤١. وانظر مختصر تاريخ دمشق ١٢/ ٣٠١.

ثلاثةٍ ؛ مِن عمرَ وعليٍّ وأُبيِّ بنِ كعبٍ . وقال طاوسٌ[1] عن ابنِ عبّاسٍ أنَّه قال : إنْ كنتُ لأسألُ عن الأمرِ الواحدِ[2] ثلاثينَ مِن أصحابِ رسولِ اللَّهِ ﷺ . وقال مغيرةُ ، عن الشعبيِّ قال[3] : قيل لابنِ عبّاسٍ : أنَّى أصبْتَ هذا العِلمَ ؟ قال : بلسانٍ سئولٍ ، وقلبٍ عقولٍ . وثبَت عن عمرَ بنِ الخطّابِ[4] أنّه كان يُجلِسُ ابنَ عبّاسٍ مع مشايخِ الصحابةِ ، ويقولُ : نِعْمَ تُرجمانُ القرآنِ عبدُ اللَّهِ بنُ عبّاسٍ . وكان إذا أقبَل يقولُ عمرُ[5] : جاء فتَى الكُهولِ ، وذو اللسانِ السَّئولِ والقلبِ العَقولِ . وثبَت فى « الصحيحِ »[6] أنّ عمرَ سأل الصحابةَ عن تفسيرِ ﴿ إِذَا جَآءَ نَصۡرُ ٱللَّهِ وَٱلۡفَتۡحُ ﴾ [النصر: ١] . فسكَت بعضٌ وأجاب بعضٌ بجوابٍ لم يرتَضِه عمرُ ، ثم سأَل ابنَ عبّاسٍ عنها فقال : أجَلُ رسولِ اللَّهِ ﷺ نُعِى إليه . فقال : لا أعلمُ منها إلّا ما تعلَمُ . [7]وأراد عمرُ بذلك أن يُقرِّرَ عندَهم جلالةَ قَدْرِه ، وكبيرَ منزلَتِه فى العلمِ والفَهْمِ[8][7] . وسأَله مرّةً عن ليلةِ القَدْرِ ، فاستنبَط أنّها فى الليلةِ[9] السابعةِ مِن العَشْرِ الأخيرِ ، فاستحسَنه عمرُ واستجاده ، كما ذكَرنا

---

(١) أخرجه الذهبى فى سير أعلام النبلاء ٣/ ٣٤٤.

(٢) بعده فى م : « من » .

(٣) أخرجه الإمام أحمد فى فضائل الصحابة ١٨٧٧ (إسناده ضعيف) .

(٤) الجزء الأول من الأثر أخرجه ابن سعد فى الطبقات ٣٦٥/٢ من طريق ابن عباس ، وأخرج الجزء الثانى ابن سعد أيضًا فى الطبقات ٣٦٦/٢ من طريق عبد اللَّه بن مسعود ، كما أخرجه أيضًا - الجزء الثانى - الحاكم فى المستدرك ٥٣٨/٣ مرفوعًا . وقال : حديث صحيح على شرط البخارى ولم يخرجاه .

(٥) أخرجه عبد الرّزاق فى المصنف (٨١٢٣) مطولًا ، والطبرانى فى الكبير ٣٢٣/١٠ (١٠٦٢٠) ، كلاهما من طريق أبى بكر الهذلى ، وقال الهيثمى فى المجمع ٩/ ٢٧٧: رواه الطبرانى ، وأبو بكر الهذلى ضعيف .

(٦) تقدم تخريجه فى ٦/ ٦٢٣.

(٧ - ٧) سقط من : الأصل .

(٨) سقط من : ص .

(٩) سقط من : ٣١، ٢١، م .

فى التفسيرِ[(١)] .

وقد قال الحسنُ بنُ عرَفةَ[(٢)] : حدَّثنا يحيى بنُ اليَمانِ ، عن عبدِ الملكِ بنِ أبى سُليمانَ ، عن سعيدِ بنِ جُبَيْرٍ [(٣)] قال : قال[(٣)] عمرُ[(٤)] لابنِ عبَّاسٍ : لقد علِمْتَ علمًا ما علِمناه . وقال الأوزاعىُّ[(٥)] : قال عمرُ لابنِ عبّاسٍ : إنك لأصبحُ فتيانِنا وجهًا ، وأحسنُهم عقلًا ، وأفقَهُهم فى كتابِ اللَّهِ عزَّ وجلَّ . وقال مجالدٌ ، عن الشعبىِّ ، عن ابنِ عباسٍ قال[(٦)] : قال لى أبى : إنَّ عمرَ بنَ الخطابِ يُدنِيك ويُجلِسُك مع أكابرِ الصحابةِ ، فاحفَظْ عنِّى ثلاثًا ؛ لا تُفشِيَنَّ له سرًّا ، ولا تغتابَنَّ عندَه أحدًا ، ولا يُجرِّبَنَّ عليك كذِبًا . قال الشعبىُّ : قلتُ لابنِ عبَّاسٍ : كلُّ واحدةٍ خيرٌ مِن ألفٍ . فقال [(٧)] ابنُ عبّاسٍ[(٧)] : بل كُلُّ واحدةٍ خيرٌ مِن عشَرةِ آلافٍ .

وقال الواقـديُّ[(٨)] : حدَّثنا [٧/ ٥١ظ] عبدُ اللَّهِ بنُ الفَضْلِ[(٩)] بنِ أبى عبدِ اللَّهِ ، عن أبيه ، عن عَطاءِ بنِ يَسارٍ ، أنَّ عمرَ وعثمانَ كانا يَدْعُوان ابنَ عبّاسٍ

---

(١) التفسير ٨/ ٤٦٩.

(٢) أخرجه الذهبى فى تاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٦١- ٨٠ هـ) ص ١٥٥.

(٣ - ٣) فى ٣١، ٢١، م: «عن».

(٤) بعده فى ٣١، ٢١، م: «أنه قال».

(٥) أخرجه يعقوب بن سفيان فى المعرفة والتاريخ ١/ ٥٣٤.

(٦) أخرجه الإمام أحمد فى فضائل الصحابة (١٨٦٢)، والطبرانى فى الكبير ٣٢٢/١٠ (١٠٦١٩)، قال الهيثمى فى المجمع ٤/ ٢٢١: فيه مجالد بن سعيد وثقه النسائى وغيره وضعفه جماعة، وانظر الجرح والتعديل ٨/ ٣٦١.

(٧ - ٧) سقط من: ص.

(٨) أخرجه ابن سعد فى الطبقات ٢/ ٣٦٥، ٣٦٦.

(٩) فى الطبقات: «الفضيل».

فيُشيرُ[1] مع أهلِ بدرٍ ، وكان يُفتى فى عهدِ عمرَ وعثمانَ إلى يومِ مات . قلتُ : وشهِد فتحَ إفريقيَّةَ سنةَ سبعٍ وعشرين مع ابنِ أبى سَرْحٍ[2] . وقال الزُّهرىُّ ، عن علىِّ بنِ الحُسَيْنِ ، عن أبيه قال : نظَر أبى إلى ابنِ عبَّاسٍ يومَ الجملِ يمشى بينَ الصفَّيْن ، فقال : أقرَّ اللَّهُ عينَ مَن له ابنُ عمٍّ مثلُ هذا . وقد شهِد مع علىٍّ أيضًا[3] صِفِّينَ ، وكان أميرًا على الميسرةِ ، وشهِد معه قتالَ الخوارجِ ، وكان ممَّن أشار على علىٍّ بأن يستَتيبَ معاويةَ على الشامِ ، وأن لا يعزِلَه عنها فى بادئِ الأمرِ ، حتى قال له فيما قال : إن أحببْتَ عزْلَه فولِّه شهرًا واعزِلْه دهرًا . فأَبَى عليه[4] علىٌّ إلَّا أن يُقاتِلَه ، فكان ما كان ممَّا قد سبَق بيانُه[5] . ولمَّا تراوَض الفريقان على تحكيمِ الحكَميْن ، طلَب ابنُ عباسٍ أن يكونَ مِن جهةِ علىٍّ ؛ لِيُكافِئَ عمرَو ابنَ العاصِ ، فامتَنعَتْ مَذْحِجُ وأهلُ اليمنِ إلَّا أن يكونَ مِن جهةِ علىٍّ أبو موسى الأشعرىُّ ، فكان مِن أمرِ الحكَمَيْن ما سلَف أيضًا[6] .

وقد استنابه علىٌّ على البصرةِ ، وأقام للناسِ الحجَّ فى بعضِ السنينَ ، فخطَب بهم فى عرفاتٍ خُطبَةً ، وفسَّر فيها سورةَ البقرةِ ، وفى روايةٍ : سورةَ النورِ . قال مَن سمِعه : فسَّرَ ذلك تفسيرًا لو سمِعَتْه الرومُ والتُّركُ والدَّيْلَمُ لأسلَموا .

وهو أوَّلُ مَن عرَّف بالناسِ بالبصرةِ ، فكان يصعَدُ المِنبرَ ليلةَ عرَفةَ ، ويجتمِعُ أهلُ البصرةِ[7] حولَه فيُفسِّرُ شيئًا مِن القرآنِ ، ويُذكِّرُ الناسَ مِن بعدِ العصرِ إلى

---

(1) فى م : « فيسير » .

(2) انظر ما تقدم فى ١٠/ ٢٢٦. ولم يذكر هناك من العبادلة الذين شهدوا فتح إفريقية مع ابن أبى السرح غير عبد الله بن عمر ، وعبد الله بن عمرو بن العاص ، وعبد الله بن الزبير .

(3) فى ٣١، ٢١، م : « الجمل و » .

(4) سقط من : ٣١، ٢١، م .

(5) زيادة من : ٣١، ٢١، م . وانظر ما تقدم فى ١٠/ ٤٩٠ وما بعدها .

(6) زيادة من : الأصل ، ص . وانظر ما تقدم فى ١٠/ ٥٥٤. وما بعدها .

(7) فى ص : « المصر » .

الغروبِ ، ثم ينزِلُ فيصلِّى بهم المغربَ . وقد اختلَف العلماءُ بعدَه فى ذلك ؛ [(١] فمنهم مَن كرِه ذلك وقال : هو بدعةٌ لم يعمَلْها رسولُ اللَّهِ ﷺ ولا أحدٌ مِن الصحابةِ إلَّا ابنَ عبَّاسٍ ، ومنهم مَن استحبَّ ذلك لأجلِ ذكرِ اللَّهِ وموافقةِ الحُجَّاجِ [١)] .

وقد كان ابنُ عبَّاسٍ ينتقِدُ على علىٍّ فى بعضِ أحكامِه فيرجِعُ إليه علىٌّ فى ذلك ، كما قال الإمامُ أحمدُ[(٢)] : حدَّثنا إسماعيلُ ، حدَّثنا أيوبُ ، عن عكرمةَ ، أنَّ عليًّا حرَّق ناسًا ارتدُّوا عن الإسلامِ ، فبلَغ ذلك ابنَ عبَّاسٍ فقال : [(٣] لم أكنْ لأُحرِّقُهم [٣)] بالنَّارِ ؛ إنَّ رسولَ اللَّهِ ﷺ قال : « لا تُعذِّبوا بعذابِ اللَّهِ » . [(٤] وكنتُ [٤)] قاتِلَهم ؛ لقولِ رسولِ اللَّهِ ﷺ : « مَنْ بدَّلَ دِينَه فَاقْتُلُوه » . فبلَغ ذلك عليًّا فقال : ويحَ ابنِ عبَّاسٍ ! وفى روايةٍ[(٥)] : [(١] ويحَ ابنِ عباسٍ [١)] ، إنَّه لغوَّاصٌ[(٦)] على الهَنَاتِ . وقد كافأَه علىٌّ ، فإنَّ ابنَ عبَّاسٍ كان يرى إباحةَ المُتعةِ[(٧)] ، وتحليلَ الحُمُرِ[(٨)] الإنْسيَّةِ ، فقال له علىٌّ : إنَّك امرؤٌ تائهٌ[(٩)] ؛ إنَّ رسولَ اللَّهِ ﷺ نهَى عن نِكاحِ المتعةِ ، وعن لحومِ الحُمُرِ الإنْسيَّةِ [٧/٥٢و] يومَ خَيْبرَ . وهذا الحديثُ مُخرَّجٌ فى « الصحيحيْنِ » وغيرِهما[(١٠)] ، وله ألفاظٌ هذا مِن أحسنِها . واللَّهُ سبحانه وتعالى أعلمُ .

(١ - ١) سقط من : الأصل، ص.

(٢) المسند ١/٢١٧، ٢٨٢، ٢٨٣ (إسناده صحيح).

(٣ - ٣) فى ٣١، ٢١، م: «لو كنت أنا لم أحرقهم».

(٤ - ٤) فى م: «بل كنت».

(٥) أخرجها يعقوب بن سفيان فى المعرفة والتاريخ ١/٥١٦.

(٦) فى الأصل: «تعراض».

(٧) بعده فى ٣١، ٢١، م: «وأنها باقية».

(٨) فى الأصل: «الخمر».

(٩) أى متكبّر، أو ضالّ متحيّر. النهاية ١/٢٠٣.

(١٠) تقدم تخريجه فى ٦/٢٨٢ - ٢٨٤.

وقال البيهقيُّ[(1)] : أنبأَ أبو عبدِ اللَّهِ الحافظُ قال : سمِعتُ أبا بكرِ بنَ المُؤَمَّلِ يقولُ : سمِعتُ أبا نصرِ بنَ أبى ربيعةَ يقولُ : ورَد صَعْصَعةُ بنُ صُوحانَ[(2)] على عليِّ بنِ أبى طالبٍ مِن البصرةِ ، فسأَله عن ابنِ عبَّاسٍ - وكان على خلافتِه بها - فقال صَعْصَعةُ : يا أميرَ المؤمنين ، إنَّه آخِذٌ بثلاثٍ وتاركٌ لثلاثٍ ؛ آخذٌ بقلوبِ الرجالِ إذا حَدَّث ، وبحُسنِ الاستماعِ إذا حُدِّث ، وبأيسرِ الأمريْنِ إذا خُولِف . وترْك المِراءِ[(3)] ومقارنةِ اللئيمِ ، وما يُعتَذَرُ منه .

وقال الواقديُّ[(4)] : ثنا أبو بكرِ بنُ أبى سَبْرَةَ ، عن موسى بنِ سعدٍ[(5)] ، عن عامرِ ابنِ سعدِ بنِ أبى وقّاصٍ عن أبيه قال : ما رأيتُ أحدًا أحضَرَ فَهمًا ولا أَلَبَّ لُبًّا ، ولا أكثَرَ عِلْمًا ، ولا أوسَعَ حِلمًا مِن ابنِ عبَّاسٍ ، ولقد رأيتُ عمرَ يدعوه للمعضِلاتِ ثم يقولُ : عندَك ، قد جاءَتك معضِلةٌ . ثم لا يُجاوِزُ قولَه ، وإنَّ حولَه لأَهلُ بدرٍ مِن المهاجِرين والأنصارِ . وقال الأعمشُ[(6)] ، عن أبى الضُّحَى ، عن مسروقٍ قال : قال عبدُ اللَّهِ بنُ مسعودٍ : لو أدرَك ابنُ عبَّاسٍ أسنانَنا ما عشَّرَه[(7)] منَّا أحدٌ . وكان يقولُ : نِعمَ تُرْجمانُ القرآنِ ابنُ عبَّاسٍ . وعن ابنِ عمرَ أنَّه قال[(8)] : ابنُ عبّاسٍ أعلمُ

---

(1) انظر مختصر تاريخ دمشق ١٢/ ٣١٣.
(2) فى الأصل، ا٣١، م: «صوجان»، وانظر تهذيب الكمال ١٣/ ١٦٧.
(3) فى ص: «المرآة».
(4) أخرجه ابن سعد فى الطبقات ٢/ ٣٦٩.
(5) فى م: «سعيد».
(6) أخرجه الحاكم فى المستدرك ٣/ ٥٣٧، والإمام أحمد فى فضائل الصحابة (١٨٦٣)، وابن سعد فى الطبقات ٢/ ٣٦٦، ويعقوب بن سفيان فى المعرفة والتاريخ ١/ ٤٩٥.
قال الحاكم : صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه . ووافقه الذهبى .
(7) فى المستدرك : «عاشره» . والمعنى : ما بلغ أحدٌ منا عشر عِلمه . النهاية ٣/ ٢٤٠.
(8) مختصر تاريخ دمشق ١٢/ ٢٩٦.

النَّاسِ بما أنزَل اللَّهُ على محمدٍ ﷺ .

وقال محمدُ بنُ سعدٍ[1] : حدَّثنا محمدُ بنُ عمرَ ، حدَّثنى يحيى بنُ العلاءِ ، عن يعقوبَ بنِ زيدٍ ، عن أبيه قال : سمِعتُ جابرَ بنَ عبدِ اللَّهِ يقولُ حينَ بلَغه موتُ ابنِ عبَّاسٍ ، وصفَّق بإحدَى يدَيه على الأخرى : ماتَ اليومَ أعلمُ النّاسِ وأحلمُ الناسِ ، ولقد أصيبَتْ به هذه الأمةُ مصيبةً لا تُرْتَقُ . وبه[1] إلى يحيى بنِ العلاءِ ، عن عمرَ بنِ عبدِ اللَّهِ ، عن أبى بكرِ بنِ محمدِ بنِ عمرِو بنِ حَزْمٍ ، قال : لمَّا مات ابنُ عبَّاسٍ قال رافعُ بنُ خَديجٍ : مات اليومَ مَن كان يحتاجُ إليه مَن بينَ المشرقِ والمغربِ فى العلمِ .

قال الواقدىُّ[2] : وحدَّثنى أبو بكرِ بنُ عبدِ اللَّهِ بنِ أبى سَبْرةَ ، عن عمرِو بنِ أبى عمرٍو ، عن عكرمةَ قال : سمِعتُ معاويةَ يقولُ : مَوْلاك[3] واللَّهِ أفقهُ مَن مات ومَن عاش .

وروَى ابنُ عساكرَ[4] ، عن ابنِ عباسٍ قال : دخَلتُ على معاويةَ حينَ كان الصُّلحُ (٥) وأولَ (٥) ما التقَيتُ أنا وهو ، فإذا عندَه أناسٌ ، فقال : مرحبًا يا ابنَ عبَّاسٍ ، ما تحاكَتِ الفتنةُ بينى وبينَ أحدٍ كان أعزَّ علىَّ بُعدًا ولا أحبَّ إلىَّ قُربًا ، الحمدُ للَّهِ الذى أمات عليًّا . فقلتُ له : [٧/ ٢٥ظ] إنَّ اللَّهَ لا يُذَمُّ فى قضائِه ، وغيرُ هذا

---

(١) طبقات ابن سعد ٢/ ٣٧٢.
(٢) أخرجه ابن سعد فى الطبقات ٢/ ٣٦٩، ٣٧٠.
(٣) فى م : « مات » .
(٤) تاريخ دمشق ٢٩/ ٢٨٧، ٢٨٨.
(٥ - ٥) فى ٣١، ٢١، م : « وهو أول » .

الحديثِ أحسنُ منه ، ثم قلت له : إنِّى أُحِبُّ أن تُعفيَنى مِن ابنِ عمِّى وأُعفيَك مِن ابنِ عمِّك . قال : ذلك لك . وقالت عائشةُ وأمُّ سلَمةَ[1] حينَ حجَّ [2]ابنُ عباسٍ[2] بالنَّاسِ : هو أعلمُ النَّاسِ بالمناسِكِ . وقال ابنُ المباركِ[3] ، عن داودَ بنِ أبى هِنْدٍ ، عن الشَّعبىِّ قال : ركِب زيدُ بنُ ثابتٍ فأخَذ ابنُ عبَّاسٍ بركابِه ، فقال : لا تفعَلْ يا ابنَ عمِّ رسولِ اللَّهِ ﷺ . قال : هكذا أُمِرْنا أنْ نفعَلَ بعلمائِنا . فقال له زيدٌ : [4]أرِنى يديك . فأخرَج يدَيه ، فقبَّلَهما[4] ، وقال : هكذا أُمِرْنا أنْ نفعَلَ بأهلِ بيتِ نبيِّنا .

وقال الواقدىُّ[5] : حدَّثنى [6]داودُ بنُ جُبَيْرٍ[6] ، سمِعتُ ابنَ المسيَّبِ يقولُ : ابنُ عبَّاسٍ أعلمُ الناسِ . وحدَّثنى عبدُ الرحمنِ بنُ أبى الزِّنادِ ، عن أبيه ، عن عبيدِ اللَّهِ [7]ابنِ عبدِ اللَّهِ[7] بنِ عُتْبَةَ قال : كان ابنُ عبَّاسٍ قد فات[8] الناسَ بخِصالٍ ؛ بعلمِ ما سبَقه[9] ، وفقهٍ فيما احتيجَ إليه مِن رأيِه ، وحِلمٍ ونسَبٍ ونائلٍ[10] ، وما رأيتُ أحدًا كان أعلمَ بما سبَقَه مِن حديثِ النبىِّ ﷺ منه ، ولا بقضاءِ أبى بكرٍ وعمرَ وعثمانَ

---

(١) طبقات ابن سعد ٢/ ٣٦٩.

(٢ - ٢) سقط من : الأصل، ص.

(٣) مختصر تاريخ دمشق ١٢/ ٣٠٧.

(٤ - ٤) فى ٣١، ٢١: «أرنى يدك فأخذ يده فقبلها».

(٥) أخرجه ابن سعد فى الطبقات ٢/ ٣٦٨، ٣٦٩.

(٦ - ٦) فى الأصل: «داود بن حرب»، وفى ٢١: «داود بن أبى هند عن سعيد بن جبير»، وفى م: «داود بن هند عن سعيد بن جبير». وانظر التاريخ الكبير ٣/ ٢٣٩، والجرح والتعديل ٣/ ٤٠٨.

(٧ - ٧) سقط من: ٣١، ٢١، م.

(٨) فى الأصل: «فاق».

(٩) فى الأصل، ٣١، ٢١: «سبق إليه».

(١٠) فى الأصل: «تأويل».

منه ، ولا أفقهَ في رأيٍ منه ، ولا أعلمَ بشعرٍ ولا عربيّةٍ ، ولا بتفسيرِ القرآنِ ولا بحسابٍ ، ولا بفريضةٍ منه ، ولا أعلمَ بما مضَى ، ولا أثبتَ[1] رأيًا فيما احتيجَ إليه منه ، ولقد كان يَجلِسُ يومًا ما يذكُرُ فيه إلّا الفقهَ ، ويومًا[2] التأويلَ ، ويومًا[3] المغازِيَ ، ويومًا الشعرَ ، ويومًا أيامَ العربِ ، وما رأيتُ عالمًا قطُّ جلَس إليه إلّا خضَع له ، وما رأيتُ[4] سائلًا قطُّ[5] سأله إلّا وجَد عندَه علمًا . قال : وربَّما حفِظتُ القصيدةَ مِن فيه يُنشِدُها[6] ثلاثين بيتًا . وقال هشامُ بنُ عُروةَ ، عن أبيه[7] : ما رأيتُ مثلَ ابنِ عبّاسٍ قطُّ . وقال عَطاءٌ[8] : ما رأيتُ مجلسًا قطُّ[9] أكرمَ مِن مجلسِ ابنِ عبّاسٍ ، أكثرَ فقهًا ، ولا أعظمَ هَيْبَةً[10] ؛ أصحابُ القرآنِ يَسألونَه ، وأصحابُ العربيةِ يَسألونَه ، وأصحابُ الشعرِ عندَه[11] يَسألونه ، فكلُّهم يصدُرُ في وادٍ واسعٍ .

وقال الواقديُّ[12] : حدّثني بشرُ بنُ أبي سُلَيمٍ ، عن ابنِ طاوُسٍ ، عن أبيه ، قال : كان ابنُ عبّاسٍ قد بسَق[13] على الناسِ في العلمِ كما تَبسُقُ[14] النخلةُ

---

(١) في م : « أثقب » ، وفي الطبقات : « أثقف » .
(٢) بعده في ٣١، ٢١، م : « ما يذكر فيه إلا » .
(٣) بعده في م : « ما يذكر فيه إلا » .
(٤) في م : « وجدت » .
(٥) سقط من : ٣١، ٢١، م .
(٦) في الأصل، ٣١: «ينشدناها» . وفي ٢١: « ينشدنا » .
(٧) المعرفة والتاريخ ١/ ٥٣٩.
(٨) المعرفة والتاريخ ١/ ٥١٢، ٥٢٠.
(٩) زيادة من : ص . وانظر المصدر السابق .
(١٠) سقط من : الأصل، وفي ٣١، ٢١: « حفدة » .
(١١) في م : « عنه » .
(١٢) أخرجه ابن سعد في الطبقات ٢/ ٣٧٠.
(١٣) في م، ص : « يسبق » .
(١٤) في م : « تسبق » ، وفي ص : « يسبق » .

السَّحُوقُ[1] على الوَدِيِّ الصِّغارِ . وقال ليثُ بنُ أبى سُلَيمٍ[2] : قلتُ لطاوسٍ : لِمَ لَزِمتَ هذا الغلامَ - [3]يعنى ابنَ عبَّاسٍ[3] - وتركْتَ الأكابرَ مِن الصحابةِ ؟ فقال : إنِّى رأيتُ سبعين مِن الصحابةِ إذا تَدارءُوا[4] فى شىءٍ صاروا إلى قولِه . وقال طاوُسٌ أيضًا[5] : ما رأيتُ [٧/٥٣و] أفقهَ منه . قال[6] : وما خالَفه أحدٌ قطُّ فتركه حتى يُقرِّرَه .

وقال علىُّ بنُ المدينىِّ ، ويَحيى بنُ معينٍ ، وأبو نُعَيمٍ ، وغيرُهم[7] ، عن سفيانَ ابنِ عُيَيْنةَ ، عن ابنِ أبى نَجيحٍ ، عن مجاهدٍ ، قال : ما رأيتُ مثلَه قطُّ ، ولقد مات يومَ مات وإنَّه لحَبرُ[8] هذه الأمةِ . يَعنى ابنَ عباسٍ .

وقال أبو بكرِ بنُ أبى شَيْبَةَ وغيرُه[9] ، عن أبى أسامةَ ، عن الأعمشِ ،عن مجاهدٍ . قال : كان ابنُ عبَّاسٍ [10]يُسمَّى البحرَ لكثرةِ علمِه[10] .

---

(١) فى ص : « البسوق » . والسحوق : النخلة الطويلة . الوسيط (س ح ق) .
(٢) أخرجه ابن سعد فى الطبقات ٢/ ٣٦٦، ٣٦٧.
(٣ - ٣) سقط من : ص .
(٤) فى م : « تماروا » .
(٥) أخرجه بنحوه الإمام أحمد فى فضائل الصحابة (١٨٤٨) .
(٦) أخرجه ابن سعد فى الطبقات ٢/ ٣٧٢.
(٧) أخرجه الحاكم فى المستدرك ٣/ ٥٣٥، وسكت عنه ، ووافقه الذهبى ، وأبو نعيم فى الحلية ١/ ٣١٦، والذهبى فى تاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٦١- ٨٠ هـ) ص ١٥٧.
(٨) فى ٣١، ٢١: « لحيز » .
(٩) أخرجه ابن سعد فى الطبقات ٢/ ٣٦٦، والإمام أحمد فى فضائل الصحابة (١٩٢٠، ١٩٢٧)، ويعقوب بن سفيان فى المعرفة والتاريخ ١/ ٤٩٦، والحاكم فى المستدرك ٣/ ٥٣٥. وسكت عنه الحاكم ووافقه الذهبى ، وأبو نعيم فى الحلية ١/ ٣١٦.
(١٠ - ١٠) سقط من : م .

(1) ورَوَى الواقديُّ، والزبيرُ بنُ بكّارٍ(2)، عن مجاهدٍ أنَّه قال: كان ابنُ عبّاسٍ (1) أَمَدَّهم قامةً، وأعظمَهم جَفْنةً، وأوسعَـهم علمًا. وقال مجاهدٌ أيضًا(3): ما رأيتُ (4) أحدًا قطُّ (4) أعربَ لسانًا مِن ابنِ عبّاسٍ؛ وعن عمرِو بنِ دينارٍ، قال(5): ما رأيتُ مجلِسًا قَطُّ(6) أجمعَ لكلِّ خيرٍ مِن مجلسِ(7) ابنِ عبّاسٍ؛ الحلالُ والحرامُ وتفسيرُ القرآنِ، والعربيةُ والشعرُ، والطعامُ.

وقال محمدُ بنُ سعدٍ(8): ثنا عفَّانُ بنُ مُسلمٍ، ثنا سُلَيمُ(9) بنُ أَخْضَرَ، عن سليمانَ التَّيْميِّ، (10) قال: أنبأني مَن (10) أرسَله الحكمُ بنُ أيوبَ(11) إلى الحسنِ يسألُه: مَن أوَّلُ مَن جمَّع بالنَّاسِ في هذا المسجدِ يومَ عرَفةَ؟ فقال: (12) إنَّ أولَ مَن جمَّع (12) ابنُ عبَّاسٍ(13). وكان رجلًا مِثَجًّا(14) - أحسَبُ في الحديثِ - كثيرَ العلمِ(15)، وكان يصعَدُ المِنبرَ فيقرأُ سورةَ البقرةِ ويُفسِّرُها آيةً آيةً. وقد

(1 - 1) سقط من: م.

(2) مختصر تاريخ دمشق 12/ 309.

(3) المصدر السابق 12/ 310.

(4 - 4) سقط من: ا3، ا2، م.

(5) أخرجه الإمام أحمد في فضائل الصحابة (1852)، وهو في مختصر تاريخ دمشق 12/ 310.

(6) سقط من: ا3، ا2، م.

(7) سقط من: الأصل، وفي ا3، ا2، م: «مجلسه يعني».

(8) أخرجه الذهبي في سير أعلام النبلاء 3/ 351، مختصرًا.

(9) في ا2: «سليمان».

(10 - 10) في ا3، ا2، م: «وهو ممن».

(11) في م: «أديب».

(12 - 12) سقط من: ا3، ا2، م.

(13) بعده في ص: «قال».

(14) رجل مثج، بالكسر: يعني يصب الكلام صبًّا، وشبه فصاحته وغزارة منطقه بالماء المثجوج. النهاية 1/ 207.

(15) بعده في الأصل، ص: «قال».

روى مِن وجهٍ آخرَ عن الحسنِ البصريِّ نحوَه[1] . وقال عبدُ اللَّهِ بنُ مسلمِ بنِ قُتَيْبَةَ[2] الدِّينَوريُّ[3] : روَى سفيانُ ، عن أبى بكرٍ الهُذليِّ عن الحسنِ قال : كان ابنُ عبّاسٍ أوَّلَ مَن عرَّف بالبصرةِ ؛ صعِد المنبرَ فقرَأ البقرةَ وآلَ عمرانَ ففسَّرهما حرفًا حرفًا ، [4]وكان[4] مِثَجًّا . قال ابنُ قُتيبةَ : مِثَجًّا ، [5]مِن الثَّجِّ[5] ، وهو السَّيَلانُ ، قال اللَّهُ تعالى : ﴿ وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلْمُعْصِرَٰتِ مَآءً ثَجَّاجًا ﴾ [النبأ : ١٤] . [6]وقيل : كثيرًا بسرعةٍ[6] .

وقال يونسُ بنُ بُكَيْرٍ[7] : حدَّثنا أبو حمزةَ الثُّماليُّ[8] ، عن أبى صالحٍ ، قال : لقد رأيتُ مِن ابنِ عبَّاسٍ مجلسًا لو أنّ جميعَ قريشٍ فخَرَتْ به لكان لها فخرًا[9] ؛ لقد رأيتُ الناسَ اجتمَعوا[10] حتى ضاق بهم الطريقُ ، فما كان أحدٌ يقدِرُ على[11] أن يجىءَ ، ولا أن يذهَبَ . قال : فدخَلتُ عليه فأخبَرتُه بمكانِهم[12] على بابِه . فقال لى : ضعْ لى وَضوءًا . قال : فتوضأَ وجلَس ، وقال : اخرُجْ فقلْ لهم : مَن كان يريدُ أن يسألَ عن القرآنِ وحروفِه وما أراد منه فليدخُلْ . قال : فخرَجْتُ

---

(١) مختصر تاريخ دمشق ١٢/ ٣١١.

(٢) فى الأصل : « عيينة » .

(٣) أخرجه ابن قتيبة فى غريب الحديث ٢/٣٥٤ من طريق سفيان به .

(٤ - ٤) سقط من : ا٣، ا٢، م .

(٥ - ٥) سقط من : ا٣، ا٢.

(٦ - ٦) سقط من : الأصل ، ص .

(٧) أخرجه أبو نعيم فى الحلية ١/ ٣٢٠، ٣٢١ من طريق يونس بن بكير به .

(٨) فى ا٣: « اليمانى » .

(٩) فى ا٣، ا٢، م : « به الفخر » .

(١٠) بعده فى ا٣، ا٢، م : « على بابه » .

(١١) سقط من : ا٣، ا٢، م .

(١٢) فى ص : « فكلهم » .

فآذنتُهم فدخَلوا حتى ملئُوا البيتَ والحجرةَ ، فما سألوه عن شيءٍ إلَّا أخبَرَهم عنه وزادَهم مثلَ ما سألوا عنه أو أكثرَ . ثم قال : إخوانَكم[1] . فخرَجوا . ثم قال : اخرُجْ فقلْ : [2]مَن كان يريدُ أن يسألَ عن تفسيرِ القرآنِ أو تأويلِه فليدخُلْ . قال : فخرجْتُ فآذنْتُهم . قال : فدَخَلوا حتى ملئُوا البيتَ والحجرةَ ، فما سألوه عن شيءٍ إلَّا أخبَرهم به ، وزادهم مثلَ ما سألوا وأكثرَ . ثم قال : إخوانَكم . فخرَجوا . ثم قال : اخرُجْ فقل :[2] مَن أراد أن يسألَ [٧/٥٣ظ] عن الحلالِ والحرامِ والفقهِ فليَدْخُلْ[3] . فخرَجْتُ [4]فقلتُ لهم[4] ، فدخَلوا حتى مَلَئُوا البيتَ والحجرةَ ، فما سألوه عن شيءٍ إلَّا أخبَرهم به وزادَهم مثلَه[5] ، ثم قال : إخوانَكم[6] . فخرَجوا ، ثم قال : اخرُجْ ، فقلْ : مَن أراد أنْ يسألَ عن الفرائضِ وما أشبَهَها فليدخُلْ . قال[7] : فخرَجتُ فآذنتُهم ، فدَخَلوا حتى مَلئُوا البيتَ والحُجرةَ ، فما سألوه عن شيءٍ إلَّا أخبَرَهم به وزادَهم مثلَه[8] . ثم قال : إخوانَكم . فخرَجوا ، ثم قال : اخرُجْ فقُلْ : مَن أراد أنْ يسألَ عن العربيةِ والشعرِ والغريبِ مِن الكلامِ فليدخُلْ . قال[9] : فدخَلوا حتى ملئُوا البيتَ والحجرةَ ، فما سألوه عن شيءٍ إلَّا أخبَرَهم به وزادَهم مثلَه[10] . قال أبو صالحٍ : فلو أنَّ قريشًا كلَّها فخَرَتْ بذلك لكان فخرًا ،

(١) بعده فى الأصل ، ٢١ ، ص : « قال » .
(٢ - ٢) زيادة من : ٢١ . وانظر حلية الأولياء ١/ ٣٢١.
(٣) بعده فى ٣١ ، ٢١ ، م : « قال » .
(٤ - ٤) فى ٣١ ، ٢١ ، م : « فآذنتهم » .
(٥) بعده فى ٣١ ، ٢١ ، م : « أو أكثر » .
(٦) بعده فى الأصل : « قال » .
(٧) سقط من : ٣١ ، ٢١ ، م .
(٨) سقط من : ٣١ ، ٢١ . وبعده فى م : « أو أكثر » .
(٩) فى ٣١ ، ٢١ ، م : « فخرجت فآذنتهم » .
(١٠) بعده فى ٣١ ، ٢١ ، م : « ثم قال إخوانكم فخرجوا » .

فما رأيتُ مثلَ هذا لأحدٍ مِن النّاسِ .

وقال طاوسٌ وميمونُ بنُ مِهرانَ[1] : ما رأَيْنا أوْرَعَ مِن ابنِ عمرَ ، ولا أفقهَ مِن ابنِ عبَّاسٍ . [2]قال ميمونٌ[2] : وكان ابنُ عبّاسٍ أفقهَهما . وقال شَريكٌ القاضِي[3] ، عن الأعمشِ ، عن أبي الضُّحَى ، عن مسروقٍ قال : كنتُ إذا رأيتُ ابنَ عبَّاسٍ قلتُ : أجملُ الناسِ . فإذا نطَق قلتُ : أفصَحُ النَّاسِ . فإذا تحدَّثَ قلتُ : أعلمُ النّاسِ .

وقال يعقوبُ بنُ سُفيانَ[4] : ثنا أبو النُّعمانِ ، ثنا حمادُ بنُ زيدٍ ، عن الزبيرِ بنِ الخِرِّيتِ[5] ، عن عكرمةَ قال : كان ابنُ عباسٍ أعلمَهما[6] بالقرآنِ ، وكان عليٌّ[7] أعلمَهما[8] بالمُبْهَماتِ . وقال إسحاقُ بنُ راهويهِ[9] : إنما كان كذلك[10] ؛ لأنَّ ابنَ عبَّاسٍ كان قد أخَذ ما عندَ عليٍّ مِن التفسيرِ ، وضمَّ إلى ذلك ما أخَذه عن أبي بكرٍ ، وعمرَ ، وعثمانَ ، وأُبيِّ بنِ كعبٍ ، [11]وغيرِهم مِن[11] كبارِ الصحابةِ ، مع

---

(1) لم نجده عن ميمون بن مهران . وأخرجه يعقوب بن سفيان فى المعرفة والتاريخ ٤٩٦/١ ، والذهبى فى سير أعلام النبلاء ٣٥٠/٣ . كلاهما من طريق ابن جريج عن طاوس .

(٢ - ٢) سقط من : ص .

(3) أخرجه البلاذرى فى أنساب الأشراف ٤٣/٤ عنه به . وانظر سير أعلام النبلاء ٣/ ٣٥١.

(4) المعرفة والتاريخ ١/ ٤٩٥.

(5) فى ٣١، ١٢، م، ص: «الحارث». وانظر تهذيب الكمال ٩/ ٣٠١.

(6) فى ص: «أعلمهم». والمقصود أعلم من عليّ بالقرآن.

(7) فى ص: «ابن عباس».

(8) فى ص: «أعلم».

(9) مختصر تاريخ دمشق ١٢/ ٣١٢.

(10) فى ٣١: «لذلك».

(١١ - ١١) فى الأصل، ص: «و».

دعاءِ رسولِ اللَّهِ ﷺ له أن يُعلِّمَه اللَّهُ الكتابَ .

وقال أبو مُعاويةَ[1] ، عن الأعمشِ ، عن أبى وائلٍ شقيقِ بنِ سَلَمَةَ[2] قال : خطَب ابنُ عبَّاسٍ وهو على المَوْسمِ فافتتَح سورةَ البقرةِ فجعَل يقرَؤُها ويُفسِّرُ ، فجعَلْتُ أقولُ : ما رأيتُ ولا سمِعتُ كلامَ رجلٍ مثلَه ، لو سمِعَتْه فارسُ والرومُ لأسلَمتْ . وقد روَى أبو بكرِ بنُ عيَّاشٍ[3] ، عن عاصمِ بنِ أبى النَّجُودِ ، عن أبى وائلٍ ، أنَّ ابنَ عباسٍ حجَّ بالناسِ عامَ قَتْلِ عثمانَ ، فقرَأ سورةَ النورِ ففسَّرها[4] . وذكَر نحوَ ما تقدَّم . فلعلَّ الأولَ كان فى زمانِ عليٍّ ، فقرَأ فى تلك الحَجَّةِ سورةَ البقرةِ ، [5]وفى فِتْنةِ عثمانَ سورةَ النورِ[5] . واللَّهُ أعلمُ .

وقد رُوِّينا عن ابنِ عباسٍ أنَّه قال[6] : أنا مِن الراسخين [7]فى العلمِ[7] الذين يعلَمون تأويلَه . وقال مجاهدٌ[8] : عرَضْتُ القرآنَ [٧/ ٥٤و] على ابنِ عبَّاسٍ مرَّتين ، [9]مِن أولِه إلى آخرِه[9] ، أقِفُ[10] عندَ كُلِّ آيةٍ فأسأَلُه عنها . وروِى عنه أنَّه قال[11] :

---

(١) أخرجه أبو نعيم فى الحلية ١/ ٣٢٤، وهو فى مختصر تاريخ دمشق ١٢/ ٣١٢.

(٢) فى ص : « مسلمة » . وانظر تهذيب الكمال ١٢/ ٥٤٨ .

(٣) أخرجه الحاكم فى المستدرك ٣/ ٥٣٧ ، وقال : حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه . ويعقوب بن سفيان فى المعرفة والتاريخ ١/ ٣٢٥ ، والذهبى فى سير أعلام النبلاء ٣/ ٣٥١. وانظر الإصابة ٤/ ١٤٩ .

(٤) سقط من : ٣١، ٢١، م ، وفى الأصل : « يفسرها » .

(٥ - ٥) سقط من : الأصل ، ص .

(٦) لم نجده بهذا اللفظ ، وأورد السيوطى فى الدر المنثور ٢/ ٧ عزوًا إلى ابن جرير - ولم نجده عنده - وغيره ، من طريق مجاهد عن ابن عباس قال : أنا ممن يعلم تأويله .

(٧ - ٧) سقط من : الأصل ، ص .

(٨) فضائل الصحابة (١٨٦٧ ، ١٨٦٨) .

(٩ - ٩) سقط ٣١، ٢١، م.

(١٠) فى ٣١، ٢١: « أقفه » .

(١١) مختصر تاريخ دمشق ١٢/ ٣١٣.

أربعٌ مِن القرآنِ لا أدرى ما هى[1] ؛ الأَوّاهُ ، والحنَانُ ، والرَّقيمُ ، والغِسلينُ ، وكلُّ القرآنِ أعلَمُه إلَّا هذه الأربعَ . وقال ابنُ وهبٍ وغيرُه[2] ، عن سفيانَ بنِ عُيينةَ ، عن [3]عبيدِ اللَّهِ[3] بنِ أبى يزيدَ ، قال : كان ابنُ عباسٍ إذا سُئِل عن مسألةٍ ؛ فإنْ كانت فى كتابِ اللَّهِ قال بها ، وإن لم تكُنْ وهى فى السُّنَّةِ قال بها ، فإنْ لم يقُلْها رسولُ اللَّهِ ﷺ [4]ووجَدَها[4] عن أبى بكرٍ وعمرَ قال بها ، وإلَّا اجتهَد رأيَه .

وقال يعقوبُ بنُ سفيانَ[5] : ثنا أبو عاصمٍ وعبدُ الرحمنِ بنُ حمّادٍ[6] الشُّعَيْثِىُّ[7] ، عن كَهْمَسِ بنِ الحسنِ[8] ، عن عبدِ اللَّهِ بنِ بُرَيْدَةَ ، قال : شتَم رجلٌ ابنَ عبّاسٍ فقال : إنّك لتشتُمُنى وفىَّ[9] ثلاثُ خِصالٍ ، إنِّى لآتى على الآيةِ مِن كتابِ اللَّهِ فلَوَدِدتُ أنَّ الناسَ علِموا منها مثلَ الذى أَعلَمُ ، وإنِّى لأسمَعُ بالحاكمِ مِن حكَّامِ المسلمينَ يَقضِى بالعدلِ[10] ، فأفرَحُ به[11] ، ولعلِّى لا أقاضِى إليه[12] أبدًا ، وإنِّى لأسمَعُ بالغيثِ يُصيبُ [13]الأرضَ مِن[13] أرضِ المسلمينَ فأفرَحُ به ،

---

(1) فى م : « به جىء » .

(2) أخرجه ابن سعد فى الطبقات ٢/ ٣٦٦، سنن الدارمى ١/ ٥٩، وصحح إسناده ابن حجر فى الإصابة ٤/ ١٤٩.

(٣ - ٣) فى ٣١: « عبد الله » . وانظر تهذيب الكمال ١٩/ ١٧٨.

(٤ - ٤) فى الأصل، ص : « فإن وجدها » .

(5) المعرفة والتاريخ ١/ ٥٢٦.

(6) سقط من : م .

(7) فى ٣١، ٢١: « الشعبثى » ، وفى م، ص : « الشعبى » . وانظر تهذيب الكمال ١٧/ ٦٩.

(8) فى ٣١: « الحسين » . وانظر تهذيب الكمال ٢٤/ ٢٣٢.

(9) فى الأصل، ص : « أنا فى » .

(10) بعده فى ٣١، ٢١، م : « ويحكم بالقسط » .

(11) بعده فى ٣١، ٢١: « وأدعو له » ، وبعده فى م : « وادعوا إليه » .

(12) بعده فى ٣١، ٢١، م : « ولا أحاكم » .

(١٣ - ١٣) سقط من : ص .

وما لى بها مِن سائمةٍ أبدًا. ورواه البيهقىُّ[1]، عن الحاكمِ، عن الأصمِّ، عن الحسنِ بنِ مَكْرمٍ، عن يزيدَ بنِ هارونَ، عن كَهْمَسٍ به. وقال [2]الواقدىُّ[3]: سأَل رجلٌ ابنَ عبّاسٍ عن قولِه تعالى: ﴿ أَنَّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَٰهُمَا ﴾ [الأنبياء: ٣٠]. فقال: كانتِ السماءُ رَتْقًا لا تُمطِرُ، والأرضُ رَتْقًا لا تُنبِتُ، ففتَق هذه بالمطرِ وهذه بالنباتِ. وقال[2] ابنُ أبى مُلَيْكَةَ[4]: صحِبتُ ابنَ عبّاسٍ مِن المدينةِ إلى مكَّةَ، وكان يُصلِّى ركعتيْن، فإذا نزَل قام شَطْرَ الليلِ ويُرتِّلُ القرآنَ؛ يقرأُ[5] حرفًا حرفًا، ويُكثِرُ فى ذلك مِن النشيجِ[6] والنَّحيبِ، ويقرأُ: ﴿ وَجَآءَتْ سَكْرَةُ ٱلْمَوْتِ بِٱلْحَقِّ ذَٰلِكَ مَا كُنتَ مِنْهُ تَحِيدُ ﴾ [ق: ١٩].

وقال الأصمعىُّ[7]، عن المعتمرِ بنِ سليمانَ، عن شُعَيْبِ بنِ درهمٍ، قال: كان فى هذا المكانِ - وأومأ إلى مجرَى الدموعِ مِن خدَّيْه - مِن[8] خدَّىِ ابنِ عبّاسٍ - مثلُ الشِّراكِ البالى مِن البكاءِ. وقال غيرُه[9]: كان يصومُ يومَ الاثنيْنِ والخميسِ، ويقولُ: أُحِبُّ أن يُرفَعَ عَمَلى وأنا صائمٌ. وروَى هشيمٌ[10]

---

(١) أخرجه ابن حجر فى الإصابة ١٥٠/٤ من طريق البيهقى.

(٢ - ٢) سقط من: ٣١، ٢١، م، ص.

(٣) حلية الأولياء ٣٢٠/١ عن ابن عمر.

(٤) أخرجه يعقوب بن سفيان فى المعرفة والتاريخ ٥٣٤/١، وأبو نعيم فى الحلية ٣٢٧/١. كلاهما بنحوه.

(٥) سقط من: ٣١، ٢١، م، وفى ص: «يقراوها».

(٦) فى ٢١: «التسبيح». والنشيج: الصوت المتردد فى الصدر من غير انتحاب.

(٧) أخرجه أبو نعيم فى الحلية ٣٢٩/١، والذهبى فى سير أعلام النبلاء ٣٥٢/٣، كلاهما من طريق شعيب بن درهم بنحوه.

(٨) فى ٣١، ٢١، م: «يعنى».

(٩) سير أعلام النبلاء ٣٥٢/٣.

(١٠) فى م: «هاشم»، وانظر تهذيب الكمال ٢٧٢/٣٠.

وغيرُه[(١)] ، عن عليِّ بنِ زيدٍ ، عن يُوسُفَ بنِ مِهْرانَ ، عن ابنِ عبّاسٍ أنَّ مَلِكَ الرومِ كتَب إلى معاويةَ يسألُه عن أحبِّ الكلامِ إلى اللَّهِ ، عزَّ وجلَّ ، ومَن أكرمُ العبادِ على اللَّهِ ، عزَّ وجلَّ ، ومَن أكرمُ الإماءِ على اللَّهِ ، عزَّ وجلَّ ، وعن [٧/ ٥٤ظ] أربعةٍ فيهم الروحُ لم يركُضُوا فى رَحِمٍ ، وعن قبرٍ سار بصاحبِه ، وعن مكانٍ مِن الأرضِ لم تطلُعْ عليه[(٢)] الشمسُ إلا مرَّةً واحدةً ، وعن قوسِ قُزَحَ ما هو؟ وعن المجَرَّةِ . فبعَث معاويةُ فسأل ابنَ عبّاسٍ عنهن ، فكتَب (٣ابنُ عباسٍ إليه٣) : أمّا أحبُّ الكلامِ إلى اللَّهِ فسبحانَ اللَّهِ والحمدُ للَّهِ ، (٣ولا إلهَ إلا اللَّهُ٣) ، واللَّهُ أكبرُ ، ولا حولَ ولا قوةَ إلَّا باللَّهِ ، وأكرَمُ العبادِ على اللَّهِ آدمُ ؛ خلَقه بيدِه ، ونفَخ فيه مِن روحِه ، وأسجَد له ملائكتَه ، وعلَّمه أسماءَ كُلِّ شيءٍ ، وأكرمُ الإماءِ على اللَّهِ مريمُ بنتُ عِمرانَ ، وأمَّا الأربعةُ الذيـن لم يركُضوا فى رَحِمٍ ؛ فآدمُ وحواءُ ، وعصَا موسَى ، وكبشُ إبراهيمَ (٣الذى فدَى به إسماعيلَ٣) - وفى روايةٍ : وناقةُ صالحٍ[(٤)] - وأمّا القبرُ الذى سار بصاحبِه فهو حوتُ يونُسَ ، وأمّا المكانُ الذى لم تُصبْهُ الشمسُ إلّا مرَّةً واحدةً فهو البحرُ الذى[(٥)] انفلَق لموسى حتى جاز بنو إسرائيلَ فيه ، وأما قَوسُ قُزَحَ فأمانٌ لأهلِ الأرضِ مِن الغرقِ ، والمجَرَّةُ بابُ[(٦)] السماءِ ، وفى روايةٍ : الذى تنشَقُّ منه . فلمَّا قرأ مَلِكُ الرومِ ذلك أعجبَه وقال : واللَّهِ ما هى مِن عندِ معاويةَ (٧ولا مِن قولِه٧) ، وإنَّما هى مِن عندِ أهلِ بيتِ النبيِّ ﷺ . وقد ورَد فى هذه

---

(١) أخرجه يعقوب بن سفيان فى المعرفة والتاريخ ١/ ٥٣٠ ، وأبو نعيم فى الحلية ١/ ٥٣٠ . وقد تقدم عن الطبرانى فى ١/ ٨٥ .

(٢) فى ٣١ ، ٢١ ، م : « فيه » .

(٣ - ٣) سقط من : الأصل ، ص .

(٤) فى الأصل ، ص : « ثمود » .

(٥) فى ٣١ ، ٢١ : « حين » ، وفى م : « لما » .

(٦) بعده فى م : « فى » .

(٧ - ٧) سقط من : الأصل ، ص .

الأَسئلَةِ رواياتٌ كثيرةٌ ، (١ وزياداتٌ كثيرةٌ ١) فيها ، وفى بعضِها نظَرٌ ؛ (٢ أنَّه سأَله عن مَن لا قَبْلَ له ، وعن مَن لا عشيرةَ له ، وعن مَن لا أبَ له ، وعن شىءٍ ، ونصفِ شىءٍ ، ولا شىءٍ ، وأرسَل قارورةً ؛ فقال : ابعَثْ إلىَّ فى هذه ببَزْرِ كلِّ شىءٍ . فكتَب إليه يقولُ : أمّا الذى لا قَبْلَ له فاللَّهُ عزَّ وجلَّ ، وأمّا مَن لا عشيرةَ له فآدمُ عليه السلامُ ، وأمّا مَن لا أبَ له فعيسى عليه السلامُ ، وأمّا عن شىءٍ ، فهو العاقِلُ يعمَلُ بعقْلِه ، وأمّا نصفُ شىءٍ ، فالذى له عَقْلٌ ويعمَلُ برأْىِ غيرِه ، وأمّا لا شىءَ ، فالذى لا عقْلَ له ولا يعمَلُ بعقْلِ غيرِه . وملأَ القارورةَ ماءً وقال : هذا بَزْرُ كلِّ شىءٍ . فأَعْجَب ذلك ملكَ الرُّومِ جدًّا ٢) . واللَّهُ أعلمُ .

فصل

تولَّى ابنُ عبَّاسٍ إمامةَ[٣] الحجِّ سنةَ خمسٍ وثلاثين ، بأمرِ عثمانَ بنِ عفَّانَ له وهو محصورٌ ، وفى غيبتِه هذه قُتِلَ عثمانُ . وحضَر مع علىٍّ يومَ الجملِ ، وكان على الميسرةِ يومَ صِفِّينَ ، وشهِد قتالَ الخوارجِ ، وتأمَّر على البصرةِ مِن جهةِ علىٍّ ، فكان إذا خرَج منها يَستخلِفُ أبا الأسودِ الدُّؤَلِىَّ على الصلاةِ ، وزيادَ بنَ أبى سُفيانَ على الخَراجِ ، وكان أهلُ البصرةِ مَغْبوطينَ به ؛ يُفقِّهُهم ويُعلِّمُ جاهِلَهم ، (٤ ويَعِظُ مُجرِمَهم ٤) ، ويُعطِى فقيرَهم ، فلم يزَلْ [٧/ ٥٥و] عليها حتى مات علىٌّ ، ويُقالُ : إنّ عليًّا عزَله عنها قبلَ موتِه ، ثم وفَد على معاويةَ ، فأكرَمه وقرَّبه واحترَمه

(١ - ١) سقط من : م .
(٢ - ٢) زيادة من : الأصل .
(٣) فى الأصل ، ٣١ ، ٢١ ، ص : « إقامة » .
(٤ - ٤) سقط من : الأصل .

وعظَّمه ، وكان يُلْقِى عليه المسائلَ المعضِلَةَ فيُجيبُ فيها سريعًا ؛ فكان معاويةُ يقولُ[1] : ما رأيتُ أحدًا أحضَرَ جوابًا مِن ابنِ عبّاسٍ . ولمّا جاء الكتابُ بموتِ الحسنِ بنِ علىٍّ اتَّفَق كونُ ابنِ عبَّاسٍ عند معاويةَ فعزَّاه فيه بأحسنِ تعزيةٍ ، وردَّ عليه ابنُ عبَّاسٍ ردًّا حسنًا كما قدَّمنا ، وبعَث معاويةُ ابنَه يزيدَ فجلَس بينَ يدَىِ ابنِ عبَّاسٍ ، فعزّاه فيه بعبارةٍ فصيحةٍ بليغةٍ وجيزةٍ ، شكَره عليها ابنُ عباسٍ [2]وقد تقدَّم ذلك أيضًا[2] . ولمَّا مات معاويةُ ورام الحسينُ بنُ علىٍّ الخروجَ إلى العراقِ ، نهاه ابنُ عبَّاسٍ أشدَّ النَّهْىِ ، [3]ولامَه على عزمِه ذلك آكَدَ اللَّوْمِ[3] ، وأرادَ ابنُ عباسٍ أن يتعلَّقَ بثيابِ الحُسيْنِ - لأنَّ ابنَ عبَّاسٍ كان قد أَضَرَّ فى آخرِ عمرِه - [4]فلم يقبَلْ منه ، فلمّا بلَغه موتُه[4] حزِن عليه حُزنًا شديدًا ولزِم بيتَه ، وكان يقولُ[5] : يا لسانُ ، قلْ خيرًا تغنَمْ ، واسكُتْ عن شرٍّ تسلَمْ ، فإنَّك إنْ لا تفعَلْ تندَمْ . وجاء إليه رجلٌ يقالُ له : جُندَبٌ . فقال له[6] : أَوْصِنى . فقال : أُوصيكَ بتوحيدِ اللَّهِ والعملِ له ، وإقامِ الصلاةِ وإيتاءِ الزكاةِ ، فإنَّ كلَّ خيرٍ أنت آتيه بعدَ ذلك[7] مقبولٌ ، وإلى اللَّهِ مرفوعٌ ، يا جُندَبُ ، إنَّك لن تزدَادَ مِن يومِك[8] إلَّا قُربًا ، فصَلِّ صلاةَ مُودِّعٍ ، وأصبحْ فى الدنيا كأنَّك غريبٌ مسافرٌ ؛ فإنَّك مِن أهلِ القبورِ ، وابكِ على [9]ذنبِك ، وتُبْ مِن[9] خطيئتِك ، ولْتكُنِ الدنيا أهونَ عليك مِن شِسْعِ

---

(١) انظر مختصر تاريخ دمشق ٣٢٢/١٢ .

(٢ - ٢) سقط من : ٣١ ، ٢١ ، م . وانظر ما تقدم فى ١١/ ٦٤٤.

(٣ - ٣) سقط من : ٣١ ، ٢١ ، م .

(٤ - ٤) فى الأصل ، ص : « فلما قتل الحسين » .

(٥) أورده بنحوه الإمام أحمد فى « الزهد » ص ١٨٨ .

(٦) مختصر تاريخ دمشق ٣٢٦/١٢ .

(٧) بعده فى ٣١ ، ٢١ ، م : « منك » .

(٨) فى الأصل : « نومك » . وفى ٣١ ، ٢١ ، م : « موتك » .

(٩ - ٩) سقط من : ص .

نعلِك ، وكأن قد فارقتَها وصِرْتَ إلى عدلِ اللَّهِ ، ولن تَنتَفِعَ بما خلَّفْتَ ، ولن ينفعَك إلَّا عملُك . وقال بعضُهم[(1)] : أوصى ابنُ عبَّاسٍ بكلماتٍ خيرٍ مِن الخيلِ الدُّهْمِ[(2)] ، قال : لا تَكلَّمَنَّ فيما لا يَعنيك حتى ترَى له موضِعًا ، ولا تُمارِيَنَّ سفيهًا ولا حليمًا ؛ فإنَّ الحليمَ يَغلِبُك والسفيهَ يَزدريك ، ولا تذكُرَنَّ أخاك إذا توارَى عنك إلَّا بمثلِ الذى تُحِبُّ أنْ يتكلَّمَ فيك إذا توارَيْتَ عنه ، واعمَلْ عملَ رَجُلٍ[(3)] يعلَمُ أنَّه مَجزِىٌّ بالإحسانِ مأخوذٌ بالإجرامِ . فقال رجلٌ عندَه : يا ابنَ عبَّاسٍ ، هذا خيرٌ مِن عشَرةِ آلافٍ . فقال ابنُ عبَّاسٍ : كلمةٌ منه خيرٌ مِن عشَرةِ آلافٍ .

وقال ابنُ عبَّاسٍ[(4)] : تمامُ المعروفِ تعجيلُه وتصغيرُه وسترُه . يعنى أنْ (5)تُعجَّلَ العطِيَّةُ للمُعطَى(5) ، وأن تصْغُرَ فى عينِ المُعْطِى ، وأن تستُرَها عنِ النَّاسِ فلا تُظهِرَها ؛ (6)فإنَّ فى إظهارِها فتحَ بابِ الرياءِ وكسرَ قلبِ المُعطَى ، واستحياءَه مِن النَّاسِ(6) .

وقال [٧/٥٥ظ] ابنُ عبَّاسٍ[(4)] : أعزُّ النَّاسِ علىَّ جليسى ؛ لو استطعتُ أنْ لا يقعَ الذُّبابُ على وجهِه لفعَلتُ . وقال أيضًا : لا يُكافِئُ مَن أتانى يطلُبُ حاجةً فرآنى لها موضِعًا إلَّا اللَّهُ ، عزَّ وجلَّ ، وكذا رجلٌ بدأَنى بالسلامِ ، (7)أو أوسعَ لى فى مجلسٍ ، أو قام لى(7) عن المجلسِ ، أو رجلٌ سقانى شَرْبةَ ماءٍ على ظمأٍ ،

---

(1) مختصر تاريخ دمشق ٣٢٦/١٢ .
(2) خيل دهم وجيش دهم : يعنى كثير .
(3) فى ٣١ ، ٢١ ، م : « من » .
(4) المصدر السابق ٣٢٧/١٢ .
(٥ - ٥) فى الأصل : « يعجل عليه المعطى » .
(٦ - ٦) سقط من : الأصل ، ص .
(٧ - ٧) فى الأصل : « وأوسع » . وفى ص : « أو أوسع لى » .

أورجلٌ حَفِظنى بظَهْرِ الغيبِ . والمأثورُ عنه مِن هذه المكارمِ كثيرٌ جدًّا ، وفيما ذكَرْنا إشارةٌ إلى ما لم نذكُره .

وقد عدَّه الهيثمُ بنُ عَدِىٍّ فى العُمْيانِ مِن الأشرافِ[1] ، وفى بعضِ الأحاديثِ الواردةِ عنه ما يدلُّ على ذلك . وقد[2] أُصيبتْ إحدَى عينيْهِ فنحَل جسمُه ، فلمّا أُصيبَتِ الأُخرى عاد إليه لحمُه ، فقيل له فى ذلك ، فقال : أصابنى ما رأيتُم فى الأُولى شفقةً على الأخرى ، فلمّا ذهَبتا اطمأنَّ قلبى . وقال أبو القاسمِ البَغَوىُّ[3] : ثنا علىُّ بنُ الجَعْدِ ، ثنا شَريكٌ ، عن سِماكٍ ، عن عِكْرمةَ ، عن ابنِ عبَّاسٍ ، أنَّه وقَع فى عينِه الماءُ [4]فقيل له : ننزِعُ مِن عينِك[4] الماءَ ، على أنّك لا تصلِّى سبعةَ أيامٍ ؟ فقال : لا ، إنّه مَن ترَك الصلاةَ وهو يقدِرُ عليها لقِىَ اللَّهَ وهو عليه غضبانُ . وفى روايةٍ أنّه قِيل له : نُزيلُ هذا الماءَ مِن عينِك على أن تَبْقَى خمسةَ أيامٍ لا تصلِّى إلَّا على عُودٍ ؟ وفى روايةٍ[5] : إلَّا مستلْقِيًا ؟ فقال : لا ، واللَّهِ ولا ركعةً واحدةً ، إنَّه مَن ترَك صلاةً واحدةً متعمِّدًا ، لَقِىَ اللَّهَ وهو عليه غضبانُ .

وقد أنشَد المدائنىُّ لابنِ عبَّاسٍ حينَ عمِىَ[6] :

إنْ يَأْخُذِ اللَّهُ مِنْ عَيْنَىَّ نورَهما ... ففى لِسانى وسَمْعى منهما نورُ
قَلبى ذَكِىٌّ وعقلى غيرُ ذى دَخَلٍ ... وَفى فَمى صَارِمٌ كالسَّيْفِ مأثورُ

---

(١) ذكره ابن حبيب فى المحبّر ص ٢٩٦ .

(٢) فى الأصل ، ص : « قال بعضهم » . وانظر ذلك فى مختصر تاريخ دمشق ٣٣٧/١٢ .

(٣) الجعديات (٢٣٥٦) .

(٤ - ٤) فى ٣١ ، ٢١ : « فقال له الطبيب : تنزع من عينيك » ، وفى م : « فقال له الطبيب : تنزعك من عينيك » .

(٥) البيهقى فى الكبرى ٣٠٩/٢ .

(٦) أوردهما ابن قتيبة فى الشعر والشعراء ٨٥٤/٢ . وابن عبد البر فى الاستيعاب ٣/ ٩٣٨، وقد عزاهما لابن عباس .

ولمّا وقَع الخُلْفُ[1] بينَ ابنِ الزبيرِ وبينَ عبدِ الملكِ بنِ مَرْوانَ ، اعتزَل ابنُ عبَّاسٍ ومحمدُ ابنُ الحنفيَّةِ الناسَ ، فدعاهما ابنُ الزُّبيرِ ؛ ليُبايِعاه فأبَيا عليه ، وقال كلٌّ منهما : لا نبايِعُك ولا نخالِفُك . فهَمَّ بهما ، فبعثا أبا الطُّفيلِ عامرَ بنَ واثِلةَ فاستنجَد لهما مَن بالعراقِ مِن شيعتِهما ، فقدِم أربعةُ آلافٍ فكبَّروا بمكَّةَ تكبيرةً واحدةً ، وهمُّوا بابنِ الزبيرِ ، [2]فانطلَق ابنُ الزبيرِ هاربًا وتعلَّق بأستارِ الكعبةِ ، وقال : أنا عائذٌ باللَّهِ[2] . فكفُّوهم[3] عنه ، [4]ثم مالوا إلى ابنِ عبَّاسٍ وابنِ الحنفيَّةِ وقد حمَل[5] ابنُ الزبيرِ حولَ دُورِهم الحطبَ ليحرِقَهم ، فخرَجوا بهما حتى نزَلوا الطائفَ ، وأقام ابنُ عبَّاسٍ سنتينِ لم يُبايِعْ أحدًا[4] ، كما تقدَّمَ[6] .

فلمّا كان فى سنةِ ثمانٍ وستِّين تُوفِّى عبدُ اللَّهِ بنُ عبَّاسٍ بالطائفِ ، وصلَّى عليه محمدُ ابنُ الحنفيَّةِ ، [7]وقال[8] : مات اليومَ حَبرُ هذه الأُمَّةِ[7] . فلمّا وضَعوه ليُدخِلوه فى قبرِه جاء طائرٌ أبيضُ لم يُرَ مثلُ خِلقتِه ، فدخَل[9] فى أكفانِه [10]والتفَّ فيها[10] حتى دُفِن معه[11] . قال [٧/٥٦و] عفَّانُ[12] : فكانوا يَرَوْنه

---

(١) مختصر تاريخ دمشق ٣٢٨/١٢ ، ٣٢٩ ، وسير أعلام النبلاء ٣٥٦/٣ .
(٢ - ٢) سقط من : الأصل ، ص .
(٣) فى ص : « فكفوهما » .
(٤ - ٤) سقط من : الأصل ، ص .
(٥) فى ٣١ ، ٢١ : « عمل » .
(٦) تقدم فى صفحة ٣٥، ٣٦.
(٧ - ٧) سقط من : م .
(٨) أخرجه ابن سعد فى الطبقات ٣٦٨/٢ ، والبلاذرى فى أنساب الأشراف ٤/ ٧٢، والحاكم فى المستدرك ٥٤٣/٣ . كلهم بنحوه . وسكت عليه الحاكم والذهبى .
(٩) فى الأصل ، ص : « فالتف » .
(١٠ - ١٠) سقط من : الأصل ، ص .
(١١) فى ص : « عمله » . وانظر الخبر فى أنساب الأشراف ٧٢/٤ ، وسير أعلام النبلاء ٣٥٧/٣ ، ٣٥٨.
(١٢) فى ٣١ : « عثمان » . وانظر تاريخ الإسلامِ (حوادث ووفيات ٨١- ١٠٠ هـ) ص ١٦١ ، ومختصر تاريخ دمشق ٣٢٩/١٢ .

علْمَه[1] ، فلمَّا وُضِع فى اللَّحدِ تلا تالٍ لا يُعرَفُ مَن هو - وفى روايةٍ[2] : أنَّهم سمِعوا من قبرِه - ﴿ يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفْسُ ٱلْمُطْمَئِنَّةُ ﴿٢٧﴾ ٱرْجِعِىٓ إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً ﴿٢٨﴾ فَٱدْخُلِى فِى عِبَٰدِى ﴿٢٩﴾ وَٱدْخُلِى جَنَّتِى ﴾ [الفجر: ٢٧- ٣٠] . هذا القولُ فى وفاتِه هو الذى صحَّحه غيرُ واحدٍ مِن الأئمةِ ، ونصَّ عليه أحمدُ بنُ حنبلٍ والواقدىُّ وابنُ عساكرَ ، وهو المشهورُ عندَ الحفَّاظِ . وقيل : إنَّه تُوفِّى سنةَ ثلاثٍ وستِّين . وقيل[3] : سنةَ ثلاثٍ وسبعين . وقيل[4] : سنةَ سبعٍ وستِّين . وقيل[5] : سنةَ تسعٍ وستِّين . وقيل[6] : سنةَ سبعين . والصحيحُ الأولُ ، وهذه الأقوالُ كلُّها شاذَّةٌ غريبةٌ مردودةٌ . واللَّهُ سبحانَه وتعالى أعلمُ . وكان عمُرُه يومَ ماتَ ثنتيْن وسبعين سنةً . وقيل[7] : إحدى وسبعين . وقيل[8] : أربعًا وسبعين . والأوَّلُ أصحُّ ، واللَّهُ أعلمُ .

صِفةُ ابنِ عبَّاسٍ رضِى اللَّهُ عنه

كان جسيمًا ، إذا قعَد يأخُذُ مكانَ رجُليْن ، جميلًا له وَفْرةٌ ، قد شاب مُقدَّمُ رأسِه ، وشابَتْ لِمَّتُه[9] ، وكان يخضِبُ بالحِنَّاءِ ، وقيل : بالسَّوادِ . حسَنَ الوجهِ ،

---

(١) فى ٣١ ، ٢١ : « عمله وعلمه » . وبعده فى م : « عمله » .
(٢) فضائل الصحابة (١٨٧٩) ، والطبرانى فى الكبير (١٠٥٨١) .
(٣) أسد الغابة ٢٩٤/٣ .
(٤) سير أعلام النبلاء ٣٥٩/٣ .
(٥) تهذيب الكمال ١٦٢/١٤ .
(٦) التاريخ الصغير ١٥٣/١ ، وتهذيب الكمال ١٦٢/١٤ .
(٧) أسد الغابة ٢٩٤/٣ ، ومختصر تاريخ دمشق ٣٣٠/١٢ .
(٨) مختصر تاريخ دمشق ٣٣٠/١٢ ، والإصابة ١٥٢/٤ .
(٩) اللِّمة : شعر الرأس المجاوز شحمة الأذن .

يلبَسُ حسنًا ويُكثِرُ مِن التطَيُّبِ ، بحيثُ إنَّه كان إذا مرَّ فى الطريقِ تقولُ النساءُ : هذا ابنُ عباسٍ . أو : رجلٌ معه مِسكٌ . وكان وسيمًا أبيضَ طويلًا ، صَبيحًا[(١)] فصيحًا ، ولمَّا عمِى اعترَى لونَه صُفرةٌ يسيرةٌ . وقد كان بنو العباسِ عشرةً ؛ وهم الفضلُ ، وعبدُ اللَّهِ ، وعبيدُ اللَّهِ ، ومعبَدٌ ، وقُثَمُ ، وعبدُ الرحمنِ ، وكَثِيرٌ ، والحارثُ ، وعَوْنٌ ، وتَمّامٌ . وكان أصغرَهم تمَّامٌ ، ولهذا كان العباسُ[(٢)] يحمِلُه ويقولُ[(٣)] :

تَمُّوا بِتَمّامٍ فصَاروا عَشَرَهْ يارَبِّ فاجعَلْهم كِرامًا بَرَرَهْ
* واجعَلْهمُ ذِكْرًا وأَنْمِ الثَّمَرَهْ *

فأمّا الفضلُ فمات بأَجنادِينَ شَهيدًا ، وعبدُ اللَّهِ بالطَّائفِ ، وعبيدُ اللَّهِ باليمنِ ، ومعبَدٌ وعبدُ الرحمنِ بإفريقيَّةَ ، وقُثَمُ وكَثِيرٌ بِيَنْبُعَ ، وقيل : إنَّ قُثَمَ مات بسَمَرْقَنْدَ .

وقد قال مسلمُ بنُ قمادِينَ[(٤)] المكِّيُّ مولَى بنى مخزومٍ : ما رأيتُ مثلَ بنى أمٍّ واحدةٍ أشرافًا[(٥)] ، وُلِدوا فى دارٍ واحدةٍ ، أبعدَ قُبورًا مِن بنى أمِّ الفضلِ . ثم ذكَر [٧/٥٦ظ] مواضِعَ قُبورِهم ، كما تقدَّمَ . إلَّا أنَّه قال : الفضلُ مات بالمدينةِ ، وعبيدُ اللَّهِ بالشامِ .

وقد كان عبدُ اللَّهِ بنُ عبّاسٍ يلبَسُ الحُلَّةَ بألفِ درهمٍ ، وكان له مِن الولدِ

---

(١) فى م : « جسيما » .
(٢) سقط من : الأصل ، م .
(٣) مختصر تاريخ دمشق ١٢/ ٢٩٥ .
(٤) فى الأصل : « حمادين » ، وفى ٣١ ، ٢١ ، م : « حماد » . وفى ص : «وادى» . والمثبت من مختصر تاريخ دمشق ١٢/ ٢٩٦ .
(٥) فى مختصر تاريخ دمشق : « إشراقة » .

العباسُ وعليٌّ ، ويُدعَى السَّجّادَ ؛ لكثرةِ صلاتِه ، وكان أجملَ قُرشىٍّ على وجهِ الأرضِ ، وقد قيلَ : إنَّه كان يُصلِّى كلَّ يومٍ ألفَ ركعةٍ[1] . وقيل[2] : فى الليلِ والنهارِ مع الجمالِ التامِّ . وعلى هذا فهو أبو الخلفاءِ العباسيِّين ، ففى ولدِه كانتِ الخلافةُ العباسيَّةُ ، كما سيأتى . وكان لابنِ عبَّاسٍ أيضًا محمدٌ والفضلُ وعبدُ اللَّهِ ولُبابةُ ، وأمُّهم زرْعةُ بنتُ مُسَرِّحِ بنِ مَعْدِيكَرِبَ . وأسماءُ وهى لأمِّ ولدٍ . وكان له مِن الموالى عكرمةُ وكُرَيْبٌ وأبو مَعْبَدٍ وشُعبةُ ودَقيقٌ وأبو عَمْرَةَ وأبو عبيدٍ[3] ومِقسَمٌ[3] .

وقد أسنَد ألفًا وستَّمائةٍ وسبعين حديثًا . واللَّهُ سبحانه وتعالى أعلمُ .

وفيها تُوفِّى أبو[4] **شُرَيْحٍ الخزاعىُّ العَدَوِىُّ الكَعْبىُّ**[5] ، اختُلِف فى اسمِه على أقوالٍ ؛ أصحُّها **خويلدُ بنُ عمرٍو** ، أسلَم عامَ الفتحِ ، وكان معه أحدُ ألويةِ بنى كعبٍ الثلاثةِ . قال محمدُ بنُ سعدٍ[6] : مات فى هذه السنةِ ، وله أحاديثُ .

وأبو واقدٍ الليثىُّ[7] ، صحابىٌّ جليلٌ مختلَفٌ فى اسمِه وفى شهودِه بدرًا ، قال الواقدىُّ[8] : تُوفِّى سنةَ ثمانٍ وستين ، عن خمسٍ وستِّين سنةً . وكذا قال غيرُ

---

(١) مختصر تاريخ دمشق ١٨/ ١١٩، وتهذيب الكمال ٢١/ ٣٨.

(٢) طبقات ابن سعد ٥/٣١٣ ، وتاريخ أبى زرعة ٧١٣، ٧١٤، ومختصر تاريخ دمشق ١٨/ ١٢٠.

(٣ - ٣) سقط من ٣١، ٢١، م. انظر تهذيب الكمال ٢٨/ ٤٦١، ٤٦٢.

(٤) فى الأصل : «ابن».

(٥) الاستيعاب ٤/ ١٦٨٨، وأسد الغابة ٦/ ١٦٤، والإصابة ٧/ ٢٠٤.

(٦) الطبقات ٤/ ٢٩٥.

(٧) الاستيعاب ٤/ ١٧٧٤، وأسد الغابة ٦/ ٣٢٥، والإصابة ٧/ ٤٥٥.

(٨) تهذيب الكمال ٣٤/ ٣٨٧، وتهذيب التهذيب ١٢/ ٢٧٠. ولكن ذكر ابن الأثير فى أسد الغابة ١/ ٤٠٩، والذهبى فى سير أعلام النبلاء ٢/ ٥٧٦، كلاهما عن الواقدى، أنه توفى سنة خمس وستين.

واحدٍ[1] في تاريخِ وفاتِه . وزعَم بعضُهم أنَّه عاش سبعين سنةً[2] .

وكانت وفاتُه بمكَّةَ بعدَ ما جاوَر بها سنةً ودفِن في مقابرِ المهاجِرين . واللَّهُ أعلمُ .

[3]**حميدُ بنُ ثورٍ الهِلاليُّ**[4] الشاعرُ المشهورُ ، قال الشعرَ في أيامِ عمرَ ، وهو من فحولِ الشعراءِ[3] .

---

(١) تهذيب الكمال ٣٤/ ٣٨٧.

(٢) تهذيب الكمال ٣٤/ ٣٨٧، وتهذيب التهذيب ١٢/ ٢٧٠.

(٣ - ٣) زيادة من: الأصل .

(٤) في الأصل: «التزلى». والمثبت كما في طبقات فحول الشعراء ٢/ ٥٨٣ . وحميد بن ثور الهلالى ترجمته في الاستيعاب ١/ ٣٧٧، وأسد الغابة ٢/ ٥٩، والإصابة ٢/ ١٢٦، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٦١- ٨٠) ص ١١٠، والوافى بالوفيات ١٣/ ١٩٢. وذكر أنه تُوفِّى في خلافة عثمان ، وقد ذكره الذهبى في وفيات الطبقة السابعة .

ثم دَخلتْ سنةُ تسعٍ وستّين

ففيها كان مقتلُ عمرِو بنِ سعيدِ الأُمَوىِّ الأشدقِ ، قتَله عبدُ الملكِ بنُ مَرْوانَ ؛ وكان سببَ ذلك أنَّ عبدَ الملكِ ركِب فى أوَّلِ هذه السنةِ فى جنودِه قاصدًا قَرْقِيسِياءَ ؛ ليحاصِرَ زُفَرَ بنَ الحارثِ الكِلابىَّ الذى أعان سليمانَ بنَ صُرَدَ على جيشِ مَرْوانَ حينَ قاتَلوهم بعَيْنِ وَرْدةَ ، ومِن عَزمِه إذا فرَغ مِن ذلك أن يقصِدَ مُصعبَ بنَ الزبيرِ بعدَ ذلك ، فلمّا سار إليها استخلَف على دمشقَ عمرَو ابنَ سعيدٍ الأَشدقَ ، فتحصَّن بها وأخَذ أموالَ بيتِ المالِ . وقيل : بل كان مع عبدِ الملكِ ، ولكنَّه انخذَل عنه فى طائفةٍ مِن الجيشِ وكَرَّ راجعًا إلى دمشقَ فى الليلِ ، ومعه حميدُ بنُ حُرَيْثِ[1] بنِ بَحْدَلٍ الكلبىُّ ، وزهيرُ بنُ الأبردِ[2] الكلبىُّ ، فانتهَوْا إلى دمشقَ ، وعليها عبدُ الرحمنِ بنُ أمِّ الحكمِ نائبًا مِن جهةِ عبدِ الملكِ ابنِ مَرْوانَ ، فلمّا أحسَّ بهم هرَب وترَكَ[3] البلدَ ، فدخَلها عمرُو [٧/٥٧و] بنُ سعيدٍ الأشدقُ[4] ، فاستحْوَذ على ما فيها مِن الخزائنِ ، وخطَب الناسَ فوعَدهم العدلَ والنَّصَفَ والعطاءَ الجزيلَ والثناءَ الجميلَ . ولمّا علِم عبدُ الملكِ بما فعَله الأشدقُ ، كرَّ راجعًا مِن فورِه فوجَد الأشدقَ قد حصَّنَ دمشقَ وعلَّق عليها الستائرَ والمُسوحَ ، وانحازَ الأشدقُ إلى حصنٍ رومىٍّ منيعٍ كان بدمشقَ فنزَله ،

---

(١) فى ص : « حارث » . وانظر تاريخ الطبرى ٦/ ١٤٠ .

(٢) فى ١ ٢١ : « الأبراد » . وانظر تاريخ الطبرى الموضع السابق .

(٣) فى ص : « نزل » .

(٤) بعده فى الأصل ، ص : « وزهير بن الأبرد الكلبى فانتهوا إلى دمشق » .

فحاصَره عبدُ الملكِ وقاتَله عمرُو بنُ سعيدِ الأشدقُ مدةَ ستةَ عشَرَ يومًا، [1] وراسَله عبدُ الملكِ، وقال له [2]: أَنشُدُك اللَّهَ والرَّحِمَ أن تفسِدَ أمرَ بيتِك وما هم عليه مِن اجتماعِ الكلمةِ، وإنَّ فيما صنَعتَ قوةً لابنِ الزبيرِ، فارجِعْ إلى بيعتِك، ولك علىَّ عهدُ اللَّهِ وميثاقُه. وحلَف له بالأيمانِ المؤكَّدةِ أنَّك ولىُّ عهدِى مِن بعدِى، وكتَبا بينَهما كتابًا، فانخدَع له عمرٌو [3] وفتَح أبوابَ دمشقَ [1]، ثم اصطَلَحا على تركِ القتالِ، وعلى أن يكونَ ولىَّ العهدِ مِن بعدِ عبدِ الملكِ، وعلى أن يكونَ مع كلِّ عاملٍ لعبدِ الملكِ عاملٌ له، وكتَبا بينَهما كتابَ أمانٍ، وذلك عَشِيَّةَ الخميسِ. ودخَل عبدُ الملكِ دمشقَ إلى دارِ الإمارةِ على عادتِه، وبعَث إلى عمرِو بنِ سعيدِ الأشدقِ يقولُ له: رُدَّ على الناسِ أَعْطِياتِهم التى أخذتَها لهم مِن بيتِ المالِ. فبعَث إليه عمرٌو يقولُ له: إنَّ هذا ليس إليك، وليس هذا البلدُ لك، فاخرُجْ منه. فلمَّا كان يومُ الاثنينِ بعَث عبدُ الملكِ إلى عمرِو بنِ سعيدٍ يأمُرُه بالإتيانِ إلى منزلِه بدارِ الإمارةِ الخضراءِ، فلمّا جاءَه الرسولُ صادَف عندَه عبدَ اللَّهِ بنَ يزيدَ بنِ معاويةَ وهو زوجُ ابنتِه أمِّ موسى بنتِ عمرِو بنِ سعيدٍ، فاستشارَه عمرٌو فى الذَّهابِ إلى عبدِ الملكِ فقال له: يا أبا سعيدٍ، واللَّهِ لأنتَ أحبُّ إلىَّ مِن سمعِى وبصـرِى، وأرَى أنْ لا تأتيَه؛ فإنَّ تُبَيْعًا [4] الحِمْيَرِىَّ ابنَ امرأةِ كعبِ الأحبارِ قال: إنَّ عظيمًا مِن عُظماءِ بنى إسماعيلَ يُغلِقُ أبوابَ دمشقَ فلا يلبَثُ أنْ يُقتَلَ. فقال عمرٌو: واللَّهِ لو كنتُ نائمًا ما تخوَّفْتُ أنْ ينبِّهَنى ابنُ الزرقاءِ، وما كان ليَجترِئَ على ذلك منِّى، مع أنَّ عثمانَ بنَ عفانَ أتانى البارحةَ فى المنامِ

(١ - ١) سقط من: ٣١، ٢١، م، ص.
(٢) مروج الذهب ٣/ ١٠٢.
(٣) فى الأصل: «عمر». والمثبت من تاريخ الطبرى ٦/ ١٤١. وانظر الكامل ٤/ ٢٩٨.
(٤) فى ٣١، ٢١: «تبعا». وانظر تاريخ الطبرى ٦/ ١٤٢.

فألبسَنى قميصَه . وقال عمرُو بنُ سعيدٍ للرسولِ[1] : أبلِغْه السلامَ ، وقلْ له : أنا رائحٌ إليك العشيَّةَ إن شاءَ اللَّهُ . فلمّا كان العَشِيُّ - يَعنى بعدَ الظُّهرِ - لبِس عمرٌو درعًا بينَ ثيابِه وتقلَّد سيفًا ونهَض فعثَر بالبُساطِ ، فقالتِ امرأتُه وبعضُ مَن حضَره : إنّا نرَى[2] [٧/٥٧ظ] أن لا تأتيَه . فلم يلتفِتْ إلى ذلك ومضَى فى مائةٍ مِن مَواليه ، وعبدُ الملكِ قد أمَر بنى مَرْوانَ فاجتمَعوا كلُّهم عندَه ، فلمّا انتهَى عمرُو بنُ سعيدٍ إلى البابِ أمَرَ عبدُ الملكِ أن يدخُلَ وأن يُحبَسَ مَن معه ؛ عندَ كلِّ بابٍ طائفةٌ منهم ، فدخَل كذلك حتى انتهَى إلى صَرْحةِ المكانِ الذى فيه عبدُ الملكِ ، ولم يبقَ معه مِن مواليه سِوى وصيفٍ واحدٍ ، فرَمَى ببصرِه فإذا بنو[1] مروانَ عن بَكْرةِ أبيهم مُجتمِعون عندَ عبدِ الملكِ ، فأحسَّ بالشرِّ فالتفَت إلى وصيفِه ، فقال له همسًا : وَيْلَك ! انطلِقْ إلى أخى يحيى بنِ سعيدٍ فقُلْ له فليأتِنِى . فلم يفهَمْ عنه ، وقال له : لبَّيك . فأعادَ عليه ذلك ، فلم يفهَمْ أيضًا ، وقال : لبَّيك . فقال : وَيْلَك ! اعزُبْ عنِّى فى حَرَقِ اللَّهِ ونارِه . وكان عندَ عبدِ الملكِ حسَّانُ بنُ مالكِ بنِ بحدلٍ[3] ، وقَبيصَةُ بنُ ذُؤَيْبٍ ، فأَذِن لهما عبدُ الملكِ بالانصرافِ ، فلمَّا خرَجا غُلِّقَتِ الأبوابُ واقترَب عمرٌو مِن عبدِ الملكِ ، فرحَّبَ به وأجلَسه معه على السَّريرِ ، ثم جعَل يُحدِّثُه طويلًا . ثم إنَّ عبدَ الملكِ قال : يا غلامُ ، خُذِ السيفَ عنه . فقال عمرٌو : إنا للَّهِ يا أميرَ المؤمنين ! فقال له عبدُ الملكِ : أوَتطمَعُ أنْ تتحدَّثَ معى متقلِّدًا سيفَك ؟ فأخَذ الغلامُ السيفَ عنه ، ثم تحدَّثا ساعةً ، ثم قال له عبدُ الملكِ : يا أبا أميةَ . قال : لبَّيك يا أميرَ المؤمنين .

---

(١) سقط من : م .

(٢) فى م : « لا نرى » .

(٣) فى ٢١: « بجدل » .

قال : إنَّك حيثُ خلعْتَنى آليتُ بيمِينى إن ملأتُ عينى منك وأنا مالكٌ لك أن أجمَعَك فى جامعةٍ[1] . فقالت بنو مَرْوانَ : ثم تُطلِقُه يا أميرَ المؤمنين؟ قال : ثم أُطلِقُه ، وما عسَيتُ أن أفعلَ بأبى أميَّةَ ؟ فقال بنو مَرْوانَ : أبِرَّ قَسَمَ أميرِ المؤمنين . فقال عمرٌو : فأبِرَّ قسمَك يا أميرَ المؤمنين . فأخرَج عبدُ الملكِ مِن تحتِ فِراشِه جامعةً فطرَحها إليه ، ثم قال : يا غلامُ ، قمْ فاجْمَعْه فيها . فقام الغلامُ فجمَعَه فيها ، فقال عمرٌو : أُذكِّرُك اللَّهَ يا أميرَ المؤمنين أنْ تُخرِجَنى فيها على رءوسِ الناسِ . فقال عبدُ الملكِ : أمَكْرًا يا أبا أميةَ عندَ الموتِ ؟ لاها اللَّهِ إذًا ، ما كنَّا لنُخرِجَك فى جامعةٍ على رءوسِ الناسِ ولمَّا نُخْرِجْها منك إلّا صَعَدًا[2] . ثم اجتَبذه اجتباذةً أصاب فمَه السَّريرُ فكسَر ثَنِيَّتَه ، فقال عمرٌو : أُذكِّرُك اللَّهَ يا أميرَ المؤمنين أنْ يدعُوَك كَسْرُ عَظمِى إلى ما هو أعظمُ مِن ذلك . فقال عبدُ الملكِ : واللَّهِ لو أعلمُ أنَّك [3]إذا بقِيتَ[3] تفِى لى وتَصلُحُ قريشٌ لأطلقتُك ، ولكنْ ما اجتمَع رجلانِ قطُّ فى [٧/٥٨و] بلدٍ على ما نحن عليه إلّا أخرَج أحدُهما صاحبَه .

وفى روايةٍ أنَّه قال له[4] : أمَا علِمتَ يا عمرُو أنَّه لا يجتمِعُ فحلانِ فى شَوْلٍ[5] ؟ فلمَّا تحقَّق عمرٌو ما يريدُ مِن قتلِه قال له : أغَدْرًا[6] يا ابنَ الزَّرقاءِ ؟ وبينَما هما كذلك إذ أُذِّن للعصرِ ، فقام عبدُ الملك ليخرُجَ إلى الصلاةِ ، وأمَر أخاه عبدَ العزيزِ بنَ مروانَ بقتلِه ، وخرَج عبدُ الملكِ وقام إليه عبدُ العزيزِ بالسيفِ ، فقال له

---

(١) الجامعة : الغُلّ ؛ لأنها تجمع اليدين إلى العنق . الصحاح (ج م ع) .
(٢) الصَّعَد : المشقة . وعذاب صَعَدٌ : شديد .
(٣ - ٣) فى الأصل ، ص : « تبقى على أن » .
(٤) تاريخ خليفة ٣٣٧، وتهذيب الكمال ٢٢/٣٨.
(٥) فى م : « شرك » . والشول : بقية الماء .
(٦) فى م : « أعذرا » .

عمرٌو : أُذكِّرُك اللَّهَ والرَّحِمَ أن لا تليَ ذلك منِّى ، وليتولَّ ذلك غيرُك . فكفَّ عنه عبدُ العزيزِ بنُ مَرْوانَ . ولمّا رأَى الناسُ عبدَ الملكِ قد خرَج وليس معه عمرٌو أرجَف[1] الناسُ بعمرٍو ، وأقبَل أخوه يَحيى بنُ سعيدٍ فى ألفِ عبدٍ لعمرِو بنِ سعيدٍ وأناسٍ معه كثيرٍ ، وأسرَع عبدُ الملكِ الدخولَ إلى [2]دارِ الإمارةِ[2] ، وجاءَ أولئك فجعَلوا يدقُّونَ بابَ الإمارةِ ويقولون : أسمِعْنا صوتَك يا أبا أميَّةَ . وضرَب رجلٌ منهم [3]الوليدَ بنَ[3] عبدِ الملكِ فى رأسِه بالسيفِ فجرَحه ، فأدخَله إبراهيمُ بنُ عَربيٍّ[4] صاحبُ الديوانِ بيتًا ، وأحرَزه فيه ، ووقَعَتْ خبطةٌ عظيمةٌ فى المسجدِ ، وضجَّتِ الأصواتُ . ولمَّا رجَع عبدُ الملكِ وجَد أخاه لم يقتُلْه ، فلامَه وسبَّه وسبَّ أمَّه - ولم تكُنْ أمُّ عبدِ العزيزِ أمَّ عبدِ الملكِ - فقال : إنَّه ناشَدنى اللَّهَ والرَّحِمَ . وكان ابنَ عمةِ عبدِ الملكِ بنِ مروانَ ، ثم إنَّ عبدَ الملكِ قال : يا غلامُ ، ائتنى بالحَربةِ . فأتاه بها فهزَّها وضرَبه بها فلم تُغنِ شيئًا ، ثم ثَنَّى فلم تُغْنِ[5] شيئًا ، فضرَب بيدِه إلى عَضُدِ عمرٍو فوجَد مسَّ الدرعِ فضحِك وقال : ودارِعٌ أيضًا ! إن كنت لمُعِدًّا ، يا غلامُ ، ائتنى بالصَّمصامةِ . فأتاه بسيفِه ثم أمَر بعمرٍو فصُرِعَ فجلَس على صدرِه فذبَحه ، وهو يقولُ[6] :

يا عمرُو إن لا تَدَعْ شَتْمِى ومَنْقَصَتى ... أَضْرِبْكَ حيثُ[7] تقولُ الهامةُ اسقُونى

---

(١) فى ص : « أزحف » . وأرجف القوم بفلان يعنى أكثروا الأخبار السيئة فيه .

(٢ - ٢) فى الأصل ، ص : « الخضراء » .

(٣ - ٣) سقط من : الأصل .

(٤) فى النسخ : « عدى » . والمثبت من الطبرى ٦/ ١٤٦ ، والكامل ٤/ ٣٠٦ . وكذا فيما يأتى من مواضع .

(٥) فى الأصل ، ٣١ ، ٢١ ، ص : « تجز » .

(٦) البيت لذى الإصبع العَدْوانى ، وهو ضمن المفضلية ٣١ . المفضليات ١٦٠ .

(٧) فى م : « حتى » .

قالوا : وانتفَض عبدُ الملكِ بعدَ ما ذبَحه كما تنتفِضُ القصبةُ برِعدةٍ شديدةٍ جدًّا ، بحيثُ إنّهم ما رفَعوه عن صدرِه إلّا محمولًا ، فوضَعوه على سريرِه وهو يقولُ : ما رأيتُ مثلَ هذا قطُّ قِتْلَةً[1] ، صاحبُ دنيا ولا طالبُ[2] آخرةٍ . ودفَع الرأسَ إلى عبدِ الرحمنِ بنِ أمِّ الحكمِ ، فخرَج به للناسِ فألقاه بينَ أظهُرِهم ، وخرَج عبدُ العزيزِ بنُ مروانَ ومعه البِدَرُ[3] مِن الأموالِ تُحمَلُ ، فأُلقِيَتْ بينَ النّاسِ فجعَلوا يختطِفونها ، ويقالُ : إنها استُرجِعتْ بعدَ ذلك مِن الناسِ إلى بيتِ المالِ .

ويقالُ[4] : إنَّ الذى ولِى قتلَ عمرِو بنِ سعيدٍ مولى عبدِ الملكِ أبو الزُّعَيْزِعَةِ بعدَ ما خرَج عبدُ الملكِ إلى الصلاةِ[5] ، فاللَّهُ أعلمُ .

وقد دخَل يحيى بنُ سعيدٍ [٧/٥٨ظ] أخو عمرِو بنِ سعيدٍ دارَ الإمارةِ ، بعدَ مقتَلِ أخيه ، بمَن معه ، فقام إليهم بنو مَرْوانَ فاقتتَلوا ، وجرِح جماعاتٌ مِن الطائفتينِ ، وجاءت يَحيى بنَ سعيدٍ صخرةٌ فى رأسِه أشغلَتْه عن نفسِه وعنِ القتالِ ، ثم إنَّ عبدَ الملكِ بنَ مَرْوانَ خرَج إلى المسجدِ الجامعِ فصعِد المِنبرَ فجعَل يقولُ[6] : وَيْحَكم ، أين[7] الوليدُ ؟ وأبيهِمْ لَئن كانوا قتَلوه لقد أدرَكوا ثأرَهم . فأتاه إبراهيمُ بنُ عربىٍّ الكِنانىُّ فقال : هذا الوليدُ عندِى ، قد أصابَتْه جِراحةٌ ، وليس عليه بأسٌ . ثم أمَر عبدُ الملكِ بيَحيى بنِ سعيدٍ أن يُقتلَ ، فشفَع فيه أخوه

---

(١) فى م : « قبله » . وفى تاريخ الطبرى والكامل : « قَتَلَةُ » .
(٢) زيادة من الطبرى يتطلبها السياق .
(٣) فى ٢١ : « البندر » ، وفى تاريخ الطبرى ٦/ ١٤٥ : « البدور » . والبدر جمع بَدْرة : وهى كيس فيه مقدار من المال يتعامل به ويقدم فى العطايا .
(٤) تاريخ الطبرى ٦/ ١٤٥، والكامل ٤/ ٣٠١.
(٥) بعده فى الأصل : « ولم يقتله عبد العزيز بن مروان » .
(٦) تاريخ الطبرى ٦/ ١٤٦، والكامل ٤/ ٣٠١.
(٧) فى ٣١، ٢١، ص : « إنى » .

عبدُ العزيزِ بنُ مَرْوانَ وفى جماعاتِ آخَرين معه ، كان عبدُ الملكِ قد أمَر بقتلِهم يومَئذٍ ، فشفَّعه فيهم وأمَر بحبسِه فسُجِن شهرًا ، ثم سيَّره وبنى عمرِو بنِ سعيدٍ وأهلِيهم إلى العراقِ فدخَلوا على مُصعبِ بنِ الزُّبيرِ فأكرَمهم وأحسنَ إليهم .

ثم لمَّا انعقَدتِ الجماعةُ لعبدِ الملكِ بعدَ مقتَلِ ابنِ الزُّبيرِ - كما سيأتى - وفَدوا عليه فكادَ يقتُلُهم ، فتلطَّف بعضُهم فى العبارةِ حتى رقَّ لهم رِقَّةً شديدةً ، وقال : إنَّ أباكم خيَّرنى بينَ أن يقتُلَنى أو أقتُلَه ، فاختَرتُ قتلَه على قتلى ، وأمّا أنتم فما أرْغَبنى فيكم وأوصَلنى لقرابتِكم وأرعانى لحقِّكم ! فأحسنَ جائزَتَهم وقرَّبَهم . وقد كان عبدُ الملكِ بعَث إلى امرأةِ عمرِو بنِ سعيدٍ أنِ ابعثى إلىَّ بكتابِ الأمانِ الذى كنتُ كتبتُه لعمرٍو . فقالتْ : إنِّى دفنتُه معه ليُحاكِمَك به يومَ القيامةِ عندَ اللَّهِ .

وقد كان مَرْوانُ بنُ الحكمِ وعَد عمرَو بنَ سعيدٍ هذا[1] أن يكونَ ولىَّ العهدِ مِن بعدِ ولدِه عبدِ الملكِ ، كلامًا مجرَّدًا ، فطمِع فى ذلك وقوِيَتْ نفسُه بسببِ ذلك . وكان عبدُ الملكِ يُبْغِضُه بُغضًا شديدًا مِن الصِّغرِ ، ثم كان هذا صنيعَه إليه فى الكِبَرِ .

قال ابنُ جريرٍ[2] : وذُكِر أنَّ خالدَ بنَ يزيدَ بنِ معاويةَ قال لعبدِ الملكِ ذاتَ يومٍ : عجبٌ مِنك ومِن عمرِو بنِ سعيدٍ ، كيف أصبْتَ غِرَّتَه حتى قتلْتَه ؟ فقال :

أَدْنَيْتُه منى لِيَسْكُنَ رَوعُه ... فأَصُولَ صَوْلَةَ حازمٍ مُسْتَمْكِنِ
غَضَبًا ومحمِيَةً لدينى إنَّه ... ليسَ المُسِيءُ سبيلُه كالمُحسِنِ

---

(١) بعده فى الأصل : «أولا» .
(٢) تاريخ الطبرى ٦/ ١٤٨.

قال خليفةُ بنُ خيَّاطٍ[1] : وهذا الشعرُ للصَّبيِّ[2] بنِ أبى رافعٍ، تمثَّل به عبدُ الملكِ .

ورَوَى ابنُ دُرَيْدٍ[3] ، عن أبى حاتمٍ عن العُتْبىِّ[4] أنَّ عبدَ الملكِ قال : لقد كان عمرُو بنُ سعيدٍ أحبَّ إلىَّ [٧/٥٩و] مِن دمِ النَّواظرِ، ولكنْ واللَّهِ لا يجتمِعُ فحلانِ فى الإبلِ إلّا أخرَج أحدُهما الآخرَ، وإنَّا لكَمَا قال أخو بنى يربوعٍ :

أُجازِى مَن جزانى الخيرَ خيرًا　　وجازِى الخيرِ يُجْزَى بالنَّوالِ
وأَجْزِى مَن جَزانى الشرَّ شَرًّا　　كما تُحْذَى النِّعالُ على النِّعالِ

قال خليفةُ بنُ خياطٍ[5] : وأنشَد أبو اليقظانِ لعبدِ الملكِ فى قتلِه عمرَو بنَ سعيدٍ :

صحَّتْ ولا تَشْلَلْ وضرَّتْ عَدُوَّها　　يمينٌ أراقتْ مُهجةَ ابنِ سعيدِ
(6) وجَدْتُ ابنَ مَرْوانَ (7) ولا تَبْلَ نفسُه (7)　　شَديدًا ضريرَ البأسِ[8] غيرَ بَليدِ
هو ابنُ أبى العاصِى لمَرْوانَ ينتَمِى[9]　　إلى أُسْرَةٍ طابَتْ له وجُدُودِ (6)

قال الواقدىُّ[10] : أمّا حِصارُ عبدِ الملكِ لعمرِو بنِ سعيدٍ الأشدقِ فكان فى

---

(١) تاريخ خليفة ٣٣٨، وفيه أن هذا الشعر للبهبى ، وفى تاريخ دمشق ٤٥٨/١٣ (مخطوط) ، وعزا فيه القول إلى خليفة عن أبى اليقظان أنه للصبى بن أبى رافع .

(٢) فى م : « للضبى » .

(٣) تهذيب الكمال ٣٨/٢٢ ، ٣٩.

(٤) فى الأصل : « العتبى » . وفى م : « الشعبى » .

(٥) تاريخ دمشق ٤٥٨/١٣ (مخطوط) .

(٦ - ٦) سقط من : ٣١، ٢١.

(٧ - ٧) فى م : « ولا نبل عنده » .

(٨) فى الأصل ، م : « الناس » .

(٩) فى م : « ينتهى » .

(١٠) تاريخ الطبرى ٦/ ١٤٨.

سنةِ تسعٍ وستِّين ، رجَع إليه مِن بُطْنانَ[1] فحاصَره بدمشقَ ، وأمّا قتلُه إيّاه فكان فى سنةِ سبعين ، واللَّهُ أعلمُ .

وهذه ترجمةُ عمرِو بنِ سعيدِ الأشدقِ[2]

هو عمرُو بنُ سعيدِ بنِ العاصِ بنِ أُميةَ بنِ عبدِ شَمْسٍ ، أبو أميةَ القرشىُّ الأُموىُّ ، المعروفُ بالأشدقِ ، يقالُ[3] : إنَّه رأَى النبىَّ ﷺ ، وروَى عنه أنَّه قال[4] : « ما نحَل وَالِدٌ ولدًا أحسنَ مِن أدبٍ حَسَنٍ » . وحديثًا آخَرَ فى العِتْقِ[5] .

وروَى عن عمرَ وعثمانَ وعلىٍّ وعائشةَ ، وحدَّث عنه بنوه[6] ؛ أميةُ وسعيدٌ وموسى وغيرُهم . واستنابَه معاويةُ على المدينةِ ، وكذلك يزيدُ بنُ معاويةَ بعدَ أبيه ، كما تقدَّم[7] . وكان مِن ساداتِ المسلمين ، ومِن الكُرماءِ المشهورين ، يُعطِى الكثيرَ ، ويتحمَّلُ العَظائمَ ، وكان وَصِىَّ أبيه مِن بينِ بنِيه ، وكان أبوه - كما

---

(١) بطنان : واد بين منبج وحلب . معجم البلدان ١/ ٦٦٤.

(٢) ترجمته فى الطبقات ٥/ ٢٣٧، ٢٣٨، والمراسيل ٩٣، تهذيب الكمال ٢٢/ ٣٥، تاريخ دمشق ١٣/ ٤٥١ (مخطوط) ، والسير ٣/ ٤٤٩، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٦١ - ٨٠) ص ٢٠٢.

(٣) مختصر تاريخ دمشق ١٩/ ٢١٥، وتهذيب الكمال ٢٢/ ٣٦. وخطأ ذلك الحافظ ابن حجر فى الإصابة ٥/ ٢٩٤.

(٤) الترمذى (١٩٥٢) ، والإمام أحمد فى المسند ٤/ ٧٧.

قال الترمذى : هذا حديث غريب لا نعرفه إلا من حديث عامر بن أبى عامر الخزاز وأيوب بن موسى وهو ابن عمرو بن سعيد بن العاص ، وهو عندى حديث مرسل . وقال الألبانى : ضعيف . (ضعيف سنن الترمذى ٣٣٣) .

(٥) أخرجه عبد الرازق فى المصنف (١٦٧٠٥) .

(٦) فى ٣١، ٢١، ص : « بنو » . وانظر تهذيب الكمال ٢٢/ ٣٦.

(٧) انظر ما تقدم فى ١١/ ٤٧٠.

قدَّمنا[١] - مِن المشاهيرِ الكرماءِ ، والسادةِ النُّجباءِ . قال عمرٌو[٢] : ما شتَمْتُ رجلًا منذُ كنتُ رجلًا ، ولا كَلَّفْتُ مَن قصَدنى أن يسألَنى ؛ لَهو أَمَنُّ علىَّ منِّى عليه .

وقال سعيدُ بنُ المسيَّبِ[٣] : خطباءُ الناسِ فى الجاهليةِ : الأسودُ بنُ المطَّلبِ[٤] ، وسُهَيلُ بنُ عمرٍو ، وخطباءُ الناسِ فى الإسلامِ : معاويةُ وابنُه ، وسعيدُ ابنُ العاصِ وابنُه ، وعبدُ اللَّهِ بنُ الزُّبيرِ .

وقد قال الإمامُ أحمدُ[٥] : حدَّثنا عبدُ الصمدِ ، ثنا حمَّادٌ ، ثنا علىُّ بنُ زيدٍ ، أخبرَنى مَن سمِع أبا هريرةَ يقولُ : سمعتُ رسولَ اللَّهِ ﷺ يقولُ : « لَيَرْعَفَنَّ على مِنبرِى جَبَّارٌ مِن جبابرةِ بنى أُمَيَّةَ حتى يسيلَ رُعافُه » . قال : فأخبَرَنى مَن رأَى عمرَو بنَ سعيدِ بنِ العاصِ رعَف على منبرِ رسولِ اللَّه ﷺ حتى سال رُعافُه .

وهو الذى كان [٥٩/٧ظ] يبعَثُ البعوثَ إلى مكةَ بعدَ وَقعةِ الحَرَّةِ أيامَ يزيدَ بنِ معاويةَ لقتالِ ابنِ الزُّبيرِ ، فنهاه أبو شُريحٍ الخُزاعىُّ ، وذكَر له الحديثَ الذى سمِعه مِن رسولِ اللَّهِ ﷺ فى تحريمِ مكةَ ، فقال : نحنُ أعلمُ بذلك منك يا [٦]أبا شُريحٍ[٦] ، إنَّ الحَرَمَ لا يُعيذُ عاصيًا ولا فارًّا بدمٍ ولا فارًّا بخَرْبةٍ[٧] . الحديثَ كما تقـدَّم[٨] وهو فى الصحيحيْنِ . ثم إنَّ مروانَ دخَل إلى مصرَ بعدَ ما دعا إلى

---

(١) انظر ما تقدم فى ١١/ ٣١٧.

(٢) كذا فى النسخ . والقول أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ٤٥٤/١٣ (مخطوط) ، والمزى فى تهذيب الكمال ٢٢/ ٣٨. والقول فيهما منسوب إلى سعيد بن العاص ، لا لعمرو.

(٣) أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ٤٥٤/١٣ (مخطوط) .

(٤) فى ٣١، ٢١، م : « عبد المطلب » .

(٥) المسند ٢/ ٥٢٢. قال الهيثمى فى المجمع ٥/ ٢٤٠: رواه أحمد ، فيه راو ولم يسمَّ .

(٦ - ٦) فى م : « شريح » .

(٧) فى ٢١، م : « بجزية » . انظر فتح البارى ١/ ١٩٨.

(٨) تقدم تخريجه فى ٦/ ٥٧٩. وهو أيضا فى البخارى (١٠٤، ٤٢٩٥) .

بَيْعةِ نفسِه واستقرَّ له الشامُ ، ودخَل معه عمرُو بنُ سعيدٍ ففتَح مصرَ ، وقد كان وعَد عمرًا أن يكونَ وليَّ العهدِ مِن بعدِ عبدِ الملكِ ، وأن يكونَ قبلَ ذلك نائبًا بدمشقَ ، فلمَّا قَوِيت شوكةُ مروانَ رجَع عن ذلك ، وجعَل الأمرَ مِن بعدِ [١] عبدِ الملكِ [١] لولدِه عبدِ العزيزِ ، وخلَع عمرَو بنَ سعيدٍ مِن ذلك ، فما زال ذلك فى نفسِه ، حتى كانت هذه السَّنةُ وعزَم عبدُ الملكِ على الدخولِ إلى العراقِ لقتالِ مصعبِ بنِ الزبيرِ ، فرجَع مِن جيشِه ودخَل عمرٌو دمشقَ وتحصَّن بها وأجابه أهلُها ، فاتَّبَعه عبدُ الملكِ فحاصَره ، ثم استنزَله على أمانٍ صوريٍّ ، ثم قتَله كما قدَّمنا [٢] .

وكان ذلك فى هذه السنةِ على المشهورِ عندَ الأكثرين . وقال الواقديُّ وأبو سعيدِ بنُ يونُسَ [٣] : سنةَ سبعين . فاللَّهُ أعلمُ . ومِن الغريبِ ما ذكَره هشامُ [٤] بنُ محمدٍ الكلبيُّ [٥] بسندٍ له : أنَّ رجلًا [٤] سمِع فى المنامِ قائلًا يقولُ على سُورِ دمشقَ قبلَ أن يخرُجَ عمرُو بنُ سعيدٍ بالكُلِّيَّةِ ، وقبلَ قتلِه بمدةٍ هذه الأبياتَ :

أَلَا يا لَقَوْمِى [٦] لِلسَّفاهةِ والوَهْنِ ... وللفاجرِ الموهونِ [٧] والرأيِ ذِى [٨] الأَفْنِ [٩]

ولابنِ سعيدٍ بينَما هُوَ قائمٌ ... على قدميْهِ خرَّ للوجهِ والبَطْنِ

(١ - ١) فى م : « ذلك » .
(٢) انظر ما تقدم فى صفحة ١١٤، ١١٥.
(٣) تاريخ الطبرى ٦/ ١٤٨، وتهذيب الكمال ٢٢/ ٣٩.
(٤ - ٤) فى ص : « بن عبد الملك » .
(٥) أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ٤٥٧/١٣ (مخطوط) .
(٦) فى ٣١، ٢١، م : « قوم » .
(٧) فى الأصل ، ٣١: « المرهون » .
(٨) سقط من : م .
(٩) فى الأصل ، ٢١، ص : « الأقن » . والأفن : الناقص العقل .

رأى الحِصْنَ منجاةً مِن الموتِ فالْتَجا إليهِ فزارتْه المنيَّةُ فى الحِصْنِ

قال : فأَتَى الرجلُ عبدَ الملكِ فأخبَره فقال : وَيْحَك ، سمِعها منك أحدٌ ؟ قال : لا . قال : ضَعْها تحتَ قدمَيْك[1] . ثم بعدَ ذلك خلَع عمرٌو الطاعةَ وقَتَله عبدُ الملكِ بنُ مَرْوانَ[2] .

وممَّن تُوفِّى فيها مِن الأَعيانِ أيضًا

[3]أبو الأَسودِ الدُّؤَلِىّ[3]

ويُقالُ : الدِّيلِىُّ . قاضى البصرةِ[4] ، تابعىٌّ جليلٌ ، واسمُه ظالمُ بنُ عمرِو بنِ سفيانَ بنِ جَنْدَلِ بنِ يَعمَرَ بنِ حِلْسِ[5] بنِ نُفَاثَةَ[6] بنِ عَدِىِّ بنِ الدُّئِلِ بنِ بكرٍ ، أبو

---

(١) بعده فى م : « قال » .

(٢) بعده فى ا ٣، ا ٢، م : « وقد قيل : إن عبد الملك لما حاصره راسله ، وقال له : أنشدك الله والرحم أن تفسد أمر بيتك وما هم عليه من اجتماع الكلمة ، فإن فيما صنعت قوة لابن الزبير علينا ، فارجع إلى بيعتك ولك علىّ عهد الله وميثاقه . وحلف له بالأيمان المؤكدة أنك ولى عهدى من بعدى ، وكتبا بينهما كتابا ، فانخدع له عمرو ، وفتح له أبواب دمشق فدخلها عبد الملك وكان من أمرهما ما تقدم » . وقد تقدم ذلك فى ص ١١٥.

(٣ - ٣) انظر ترجمته فى : طبقات ابن سعد ٧/ ٩٩، وطبقات فحول الشعراء ١٢، والأغانى ١٢/ ٢٩٧- ٣٣٤، وتاريخ دمشق ٢٥/ ١٧٦- ٢١١، وإنباه الرواة ١/ ١٣- ٢٣، وأسد الغابة ٣/ ١٠٣، ووفيات الأعيان ٢/ ٥٣٥- ٥٣٩، وتهذيب الكمال ٣٣/ ٣٧، ٣٨، وسير أعلام النبلاء ٤/ ٨١- ٨٦، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٦١- ٨٠) ص ٢٧٦- ٢٨٠، والإصابة ٣/٥٦١ - ٥٦٣، وروضات الجنات ٤/١٦٢ - ١٨٦.

(٤) فى النسخ : « الكوفة » . والمثبت من مصادر التخريج .

(٥) فى الأصل ، ا ٢: « حلس » ، غير معجمة . وفى ا ٣: « حليس » . وفى م : « جلس » . وانظر وفيات الأعيان ٢ / ٥٣٩، وطبقات فحول الشعراء ١٢، وجمهرة أنساب العرب ١٨٥، ومعجم الأدباء ١٢/ ٣٤، وتاج العروس (دأل) .

(٦) فى الأصل : « سباثة » . وفى ا ٣، م : « شباثة » . وفى ا ٢: « شبابه » .

الأسودِ ، الذى نُسِب إليه علمُ النَّحوِ ، ويُقالُ : إنَّه أوَّلُ مَن تكلَّم فيه ، وإنَّما أخَذه عن [٧/٦٠و] أميرِ المؤمنين عليِّ بنِ أبى طالبٍ .

وقد اختلِف فى اسمِه على أقوالٍ ؛ أشهرها أنّ اسمَه ظالمُ بنُ عمرٍو . وقيلَ عكسُه[1] . وقال الواقدىُّ[2] : اسمُه عُويمرُ بنُ ظُوَيلمٍ . قال[3] : وقد أسلَم فى حياةِ النبىِّ ﷺ[4] وشهِد الجملَ (٥) مع علىٍّ (٥) وهلَك فى ولايةِ (٦) عبيدِ اللَّهِ (٦) بنِ زيادٍ . وقال يحيى بنُ معينٍ وأحمدُ بنُ عبدِ اللَّهِ العِجْلىُّ[7] : كان ثقةً ، وهو أوَّلُ مَن تكلَّمَ فى النحوِ . وقال ابنُ معينٍ وغيرُه[8] : مات (٩) فى طاعونِ (٩) الجارفِ سنةَ تسعٍ وستين . قال ابنُ خَلِّكانَ[10] : وقيل : إنَّه تُوفِّى فى خلافةِ عمرَ بنِ عبدِ العزيزِ ، وقد كان ابتداؤُها فى سنةِ تسعٍ وتسعين[11] . قلتُ : وهذا غريبٌ جدًّا .

قال ابنُ خَلِّكانَ[12] وغيرُه : كان أوَّلَ مَن ألقَى إليه علمَ النحوِ علىُّ بنُ أبى

---

(١) اسمه فى رواية دعبل ، وعمر بن شبة : (عمرو) بن ظالم . وفى رواية أبى عبيدة ومحمد بن سلام وابن معين وأحمد بن حنبل وغيرهم : ظالم بن عمرو . معجم الشعراء ٦٧. وانظر تاريخ دمشق ٢٥/١٨٠ وما بعدها .

(٢) تاريخ دمشق ٢٥/ ١٨٤، وتهذيب الكمال ٣٣ / ٣٧.

(٣) تهذيب الكمال ٣٣/ ٣٨. وأخرجه مطولا فى تاريخ دمشق ٢٥ / ١٨٤.

(٤) بعده فى م : «ولم يره» .

(٥ - ٥) سقط من : ٣١، ٢١، م ، ص . وفى الأصل : «مع على وكان من وجوه شيعته ومن أكملهم رأيا وعقلا وقد أمره على بوضع النحو فلما رآه على قال له ما أحسن هذا النحو الذى نحوت» .

(٦ - ٦) فى م : «عبد الله» .

(٧) انظر تاريخ الثقات ٢٣٨، والجرح والتعديل ٤ / ٥٠٣.

(٨) تاريخ دمشق ٢٥ / ٢١٠، وتهذيب الكمال ٣٣ / ٣٨.

(٩ - ٩) فى م : «بالطاعون» . وهو سابع طاعون فى الإسلام ، وفيه قلَّ الناس بالبصرة جدا حتى إنه ماتت أم أمير البصرة ، فلم يجدوا من يحملها إلا أربعة بالجهد . النجوم الزاهرة ١ / ١٨٢، ١٨٣.

(١٠) وفيات الأعيان ٢ /٥٣٩ بنحوه .

(١١) فى ص : «ستين» .

(١٢) وفيات الأعيان ٢ /٥٣٥ ، ٥٣٧ بنحوه .

طالبٍ ، وذكَر له أنَّ الكلامَ اسمٌ وفعلٌ وحرفٌ ، ثم إنَّ أبا الأسودِ نحَا نحوَه وفرَّع على قولِه ، وسلَك طريقَه ؛ فسُمِّى هذا العلمُ النحوَ لذلك . وكان الباعثَ لأبى الأسودِ على بسطِ[1] ذلك تغيُّرُ لغةِ الناسِ ، ودخولُ اللحنِ فى كلامِ بعضِهم أيامَ ولايةِ زيادٍ على العراقِ ، وكان أبو الأسودِ مؤدِّبَ بنيه[2] ؛ فإنَّه جاء رجلٌ يومًا إلى[3] زيادٍ فقالَ : تُوفِّى أبانا وترَك بنون . فأمَره زيادٌ أنْ يضَعَ للناسِ شيئًا يهتدون به إلى معرفةِ كلامِ العربِ . ويقالُ : إنَّ أوَّلَ ما وضَع منه بابُ التعجُّبِ ؛ مِن أجلِ أنَّ ابنتَه قالتْ له ليلةً : يا أبَه ما أحسنُ السماءِ ! [4]فقال : نجومُها . فقالَتْ : إنِّى لم أسأل عن أحسنِها ، إنَّما تعجَّبْتُ مِن حسنِها[4] . فقالَ قُولِى : ما أحسنَ السماءَ !

قال ابنُ خَلِّكانَ[5] : وقد كان أبو الأسودِ يُبَخَّلُ وكان يقولُ : لو[1] أطَعْنا المساكينَ فى أموالِنا لكُنَّا[6] مثلَهم . وعشَّى ليلةً مِسكينًا ثم قيَّده [7]وبيَّته[7] عندَه [4]ومنَعه أن يخرُجَ ليلَتَه تلك[4] ؛ لِئَلَّا يُؤْذِىَ المسلمين بسؤَالِه ، [7]فقال له المسكينُ : أَطْلِقْنى . فقال : هيهاتَ ، إنَّما عشَّيْتُك لِأُرِيحَ منك المسلمين الليلةَ . فلمَّا أصبَح أَطْلَقه[7] . وله شعرٌ حسَنٌ . رحِمه اللَّهُ .

---

(١) سقط من : م .

(٢) فى ص : « ابنيه » .

(٣) بعده فى ا ٢١ : « ابن » . وذكر أبو الفرج فى الأغانى ١٢ / ٢٩٩ أن هذه القصة كانت بين أبى الأسود وعبيد اللّه بن زياد .

(٤ - ٤) سقط من : الأصل .

(٥) وفيات الأعيان ٢ / ٥٣٨، ٥٣٩ بنحوه .

(٦) فى الأصل : « لبقينا » .

(٧ - ٧) سقط من : الأصل ، ص .

قال ابنُ جريرٍ[1] : وحجَّ بالناسِ فى هذه السنةِ عبدُ اللَّهِ بنُ الزبيرِ ، وقد أظهَر خارجىٌّ التحكيمَ بمِنًى فقُتِل عندَ الجمرةِ[2] .

والنوّابُ فيها هم الذين كانوا فى السنةِ التى قبلَها .

وممَّن توفِّى فيها مِن الأعيانِ :

جابرُ[3] بنُ سَمُرةَ بنِ جنادةَ[4] ، له صحبةٌ وروايةٌ ، ولأبيه أيضًا صحبةٌ وروايةٌ . نزَل الكوفةَ وبها توفِّى هذه السنةَ[5] ، وقيل : سنةَ ستٍّ وستِّين[6] . فاللَّهُ أعلمُ .

أسماءُ بنتُ يزيدَ بنِ السَّكَنِ الأنصاريَّةُ[7] ، بايعَتِ النبيَّ ﷺ[8] ، [٧/ ٦٠ظ] وقتَلَتْ بعمودِ خيمتِها يومَ اليرموكِ تسعةً مِن الرومِ[9] ، وسكَنتْ دمشقَ ، وقبرُها[10] ببابِ الصَّغيرِ .

حسَّانُ بنُ مالكِ [11]بنِ بحْدَلٍ ، الأميرُ[11] أبو سليمانَ البَحْدَلىُّ[12]

---

(١) تاريخ الطبرى ٦ / ١٤٨، ١٤٩ بنحوه .

(٢) فى م : « الحجرة » .

(٣) فى الأصل : « حسان » .

(٤) الاستيعاب ١ / ٢٢٤، وأسد الغابة ١ / ٣٠٤، والإصابة ١ / ٤٣١.

(٥) لم نقف فى ترجمته فى المصادر السابقة وغيرها على أن وفاته - رضى اللَّه عنه - كانت فى هذه السنة ، وإنما الذى صححه غير واحد أن وفاته كانت فى ولاية بشر بن مروان . ومن المعروف أن بشر بن مروان توفى سنة ثلاث وسبعين أو أربع وسبعين . انظر طبقات خليفة ١ / ٣٢، ٢٩٦، وتهذيب الكمال ٤ /٤٣٩ وسير أعلام النبلاء ٣ /١٨٧، وتاريخ الطبرى ٦/ ١٩٣.

(٦) تهذيب الكمال ٤ / ٤٣٩.

(٧) الاستيعاب ٤ /١٧٨٧، وأسد الغابة ٧ /١٨، ١٩، والإصابة ٧ /٤٩٨.

(٨) بعده فى الأصل : « ويقال لها أم سليم » .

(٩) بعده فى ٣١، ٢١، م : « ليلة عرسها » .

(١٠) فى ٣١، ٢١، م : « دفنت » .

(١١ - ١١) سقط من : ٣١، ٢١، م .

(١٢) سقط من : الأصل ، وفى ٣١: « البجلى » .

(١الكلبىّ(٢) . وهو الذى١) قامَ ببيعةِ مروانَ . (٣وقيلَ : إنَّهم سلَّموا عليه بالخلافةِ أربعين يومًا ، ثم سلَّمها لمروانَ .

وقصرُ حسانَ بدمشقَ ، ويُعرفُ بقصرِ ابنِ أبى الحديدِ ، وهو قصرُ البَحَادِلَةِ٣) .

(٤ماتَ فى هذه السنةِ . واللّٰهُ سبحانَه أعلمُ٤) .

(١**يوسفُ بنُ الحكَمِ الثَّقَفِىُّ**(٥) ، والدُ الحجاجِ . قدِم مِن الطائفِ إلى الشامِ ثم ذهَب إلى مصرَ والمدينةِ ، وكان يلزَمُ مروانَ .

عبدُ الرحمنِ بنُ الحكمِ(٦) أخو مروانَ ، شهِد الدارَ مع عثمانَ بنِ عفانَ . وكان شاعرًا محسنًا . وله منزلةٌ عندَ معاويةَ وابنِه١) .

(١ - ١) سقط من : ا٣، ا٢، م .

(٢) ترجمته فى : تاريخ دمشق ١٢ / ٤٤٨، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٦١ - ٨٠) ص ٩٢، ٩٣، وسير أعلام النبلاء ٣ / ٥٣٧.

(٣ - ٣) فى ا٣، ا٢، م : «لما تولى الخلافة» .

(٤ - ٤) سقط من : الأصل .

(٥) ترجمته فى : مختصر تاريخ دمشق ٢٨ /٧٨ - ٨٠، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٦١ - ٨٠) ص ٢٧٥.

(٦) ترجمته فى : مختصر تاريخ دمشق ١٤ /٢٣٩ - ٢٤٢، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٦١ - ٨٠) ص ١٧٣، ١٧٤.

ثم دخلت سنةُ سبعين مِن الهجرةِ

فيها ثارتِ الرومُ واستجاشُوا[(1)] على مَن بالشامِ ، واستضْعَفوهم لِما يرَوْنَ مِن الاختلافِ الواقعِ بينَ [(2)] عبدِ الملكِ بنِ [2)] مرْوانَ وعبدِ اللَّهِ بنِ الزُّبيرِ ، فصالَح عبدُ الملكِ بنُ مروانَ ملكَ الرومِ ، وهادَنه على أن يدفَعَ إليه عبدُ الملكِ فى كلِّ جُمُعةٍ ألفَ دينارٍ خوفًا منه على الشّامِ .

[(3)] وفيها وقَع الوباءُ بمصرَ ، فهرَب منه عبدُ العزيزِ بنُ مَرْوانَ إلى الشرقيةِ ، فنزَل حُلْوانَ وهى على[(4)] مرحلةٍ مِن القاهرةِ ، واتخَذها منزلًا واشتَراها مِن القبطِ بعشَرةِ آلافِ دِينارٍ ، وبنَى بها دارًا للإمارةِ وجامعًا ، وأنزَلها الجندَ[3)] .

وفيها ركِب مصعبُ بنُ الزبيرِ مِن البصرةِ إلى مكَّةَ ومعه أموالٌ جزيلةٌ ، فأعطَى وفرَّق ، [(5)] ونحَر عندَ الكعبةِ ألفَ بَدَنةٍ وعشرين ألفَ شاةٍ ، وأغنَى ساكنى مكةَ ، ثم عادَ إلى العراقِ ، وأنعَم[5)] وأطلَق لجماعةٍ مِن رؤساءِ النّاسِ بالحجازِ [(6)] أموالًا كثيرةً[6)] .

[(7)] وحجَّ بالناسِ فيها ابنُ الزبيرِ .

والعمالُ على الأمصارِ هم المذكورون فيما قبلُ[7)] .

وممَّن تُوفِّى فيها مِن الأعيانِ :

---

(1) سقط من : الأصل .

(2 - 2) فى ا٣، ا٢، م : « بنى » .

(3 - 3) سقط من : ص .

(4) سقط من : الأصل ، ا٣، ا٢ .

(5 - 5) سقط من : ا٣، ا٢، م . وفى ص : « وأنعم » .

(6 - 6) سقط من : الأصل .

(7 - 7) سقط من : ا٣، ا٢، م .

عاصمُ بنُ عمرَ بنِ الخطّابِ القرشيُّ العَدَوِيُّ[(١)] ، وأمُّه جميلةُ بنتُ ثابتِ بنِ أبى الأَقْلَحِ[(٢)] . وُلِد فى حياةِ رسولِ اللَّهِ ﷺ ، ولم يروِ إلَّا عن أبيه حديثًا واحدًا : « إذا أقبَل الليلُ مِن هاهنا »[(٣)] الحديث[(٤)] . وعنه ابناه حَفْصٌ [(٥)]وعبَيدُ اللَّهِ[(٥)] ، وعُروةُ بنُ الزبيرِ . وقد طلَّق أبوه أمَّه فأخذَتْه جدَّتُه الشَّموسُ بنتُ أبى عامرٍ ، [(٦)]حكَم له بها[(٦)] الصِّدِّيقُ ، وقال[(٧)] : شَمُّها ولُطْفُها أحبُّ إليه منك . ثم لمّا زوَّجه أبوه فى أيامِه[(٨)] أنفَقَ عليه مِن بيتِ المالِ شهرًا ، ثم كفَّ عن الإنفاقِ عليه وأعطاه ثُمُنَ مالِه ، وأمَرَه أنْ يتَّجِرَ ويُنفِقَ على عيالِه . وذكَر غيرُ واحدٍ[(٩)] أنَّه كان بين عاصمٍ وبينَ الحسنِ [(١٠)]أو الحسينِ[(١٠)] منازعةٌ فى أرضٍ ، فلمّا [٧/ ٦١و] تبيَّن عاصمٌ مِن الحسنِ الغضبَ قال[(١١)] : هى لك . فقال له : بَلْ هى لك . فتركاها ولم يتعرَّضا لها ، ولا أحدٌ مِن ذُرِّيَّتِهما حتى أخَذها الناسُ مِن كلِّ جانبٍ . وكان عاصمٌ رئيسًا وقورًا ، كريمًا[(١٢)] فاضلًا .

قال الواقدىُّ[(١٣)] : مات سنةَ سبعين[(١٤)] .

---

(١) ترجمته فى : الاستيعاب ٢ / ٧٨٢، وأسد الغابة ٣ / ١١٥، والإصابة ٥ / ٣.

(٢) فى م : « الأفلح » .

(٣) بعده فى ٣١: « والنهار من هاهنا » ، وفى ٢١: « وأدبر النهار من هاهنا » .

(٤) البخارى (١٩٥٤) ، ومسلم (٥١ / ١١٠٠) .

(٥ - ٥) فى ص : « عبد اللَّه » . وانظر سير أعلام النبلاء ٤ / ٩٧.

(٦ - ٦) فى ٣١: « أتابه » . وفى ٢١: « لها به » . وفى م : « أتى به » .

(٧) لم أجده بهذا اللفظ . وذكر حكم أبى بكر للجدة فى تهذيب الكمال ١٣ /٥٢١ عن الزبير بن بكار .

(٨) فى ٣١، ٢١، م : « أيام إمارته » .وفى ص : « إمارته » .

(٩) تهذيب الكمال ١٣ /٥٢٣ بنحوه .

(١٠ - ١٠) فى م : « والحسين » .

(١١) فى ص : « فقال » .

(١٢) سقط من : ٣١، ٢١.

(١٣) تهذيب الكمال ١٣ / ٥٢٤، والإصابة ٥ / ٤.

(١٤) بعده فى الأصل ٣١، ٢١، م : « بالمدينة » .

(1)قبيصةُ (2)بنُ جابرِ بنِ وهبِ الأَسَدىُّ الكوفىُّ(2) أبو العلاءِ(3) ، مِن كبارِ التابعين . (4)شهِد خطبةَ عمرَ بالجابيةِ ، وكان أخا(4) معاويةَ مِن الرَّضاعةِ . (5)وكان مِن الفصحاءِ البلغاءِ(5) .

قيسُ بنُ ذَرِيحٍ ، (6)أبو يزيدَ ، الليثىُّ ، الشاعرُ(6) المشهورُ(7) ، مِن باديةِ الحجازِ ، (8)وقيل : إنَّه أخو الحُسينِ بنِ علىٍّ مِن الرَّضاعةِ .

وكان قد تزوَّج لُبْنَى بنتَ الحُبَابِ(8) ، ثم طلَّقها ، فلمّا طلَّقها ، (9)هامَ لِمَا(9) به مِن الغَرامِ ، (10)وسكَن الباديةَ(10) ، وجعَل يقولُ فيها الأشعارَ ونحُل جسمُه ، فلمّا زاد ما به أتاه ابنُ أبى عَتيقٍ ، فأخَذه ومضَى به إلى عبدِ اللَّهِ بنِ جعفرٍ ، فقال له : فِداك أبى وأمى ، اركَبْ معى فى حاجةٍ . فركِب ، واستنهَض معه أربعةَ نفرٍ مِن وجوهِ قُرَيشٍ ، فذهَبوا معه ، وهم لا يدرون ما يريدُ ، حتى أتَى بهم بابَ(1)

(1 - 1) سقط من : ص .

(2 - 2) فى ا3، ا2، م : « بن ذؤيب الخزاعى الكلبى » .

(3) ترجمته فى : التاريخ الكبير 7 /175 والثقات 5 /318، ومختصر تاريخ دمشق 21 /61 - 63، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات 61 - 80) ص 208، 209.

(4 - 4) فى ا3، ا2، م : « وهو أخو » .

(5 - 5) فى ا3، ا2، م : « كان من فقهاء أهل المدينة وصالحيهم ، انتقل إلى الشام ، وكان معلم كتاب » .

(6 - 6) سقط من : ا3، ا2، م .

(7) بعده فى ا3، ا2، م، ص : « أنه » . وانظر ترجمته فى : الشعر والشعراء 2 / 628، والأغانى 9/ 180، ومختصر تاريخ دمشق 21 / 96، ووفيات الأعيان 6 / 371، وسير أعلام النبلاء 3/ 534، والنجوم الزاهرة 1 / 182.

(8 - 8) فى الأصل : « وكان يهوى أم معمر لُبنى بنت الحباب الكعبية ، ثم تزوج بها ، وقيل : إنه أخو الحسين بن على من الرضاعة » . وانظر الأغانى 9 / 180، 181، ومختصر تاريخ دمشق 21 / 96.

(9 - 9) فى الأصل : « زاد ما » .

(10 - 10) سقط من : الأصل .

(1) زوجِ لُبْنى ، فخرَج إليهم ، فإذا وجوهُ قُرَيشٍ ، فقال : جعَلنى اللَّهُ فداكم ! ما جاء بكم ؟ قالوا : حاجةٌ لابنِ أبى عَتيقٍ . فقال الرجلُ : اشهَدوا على[2] أنَّ حاجتَه مقضيَّةٌ ، وحكمَه جائزٌ . فقالوا : أخبِرْه بحاجتِك . فقال ابنُ أبى عَتيقٍ : اشهَدوا على أنَّ زوجتَه لُبْنى منه طالقٌ . فقال عبدُ اللَّهِ بنُ جعفرٍ : قبَّحك اللَّهُ ، ألهذا جئتَ بنا ؟ فقال : جُعِلْتُ فِداكم ، يُطَلِّقُ هذا زوجتَه ويتزوَّجُ بغيرِها ، خيرٌ مِن أنْ يموتَ رجلٌ مسلمٌ[3] فى هواها صبابةً ، واللَّهِ لا أبرَحُ حتى ينتقِلَ مَتاعُها (4) إلى بيتِ قيسٍ (4) ، ففعَلتْ ، وأقاموا مدَّةً فى أَرْغَدِ عيشٍ وأطيبِه ، رحِمهم اللَّهُ تعالى .

يزيدُ بنُ زيادِ بنِ ربيعةَ الحِمْيَرِىُّ الشاعرُ[5] . كان كثيرَ الشرِّ[6] والهَجْوِ . وقد أرادَ عبيدُ اللَّهِ بنُ زيادٍ قتلَه ؛ لكونِه هجا أباه زيادًا ، فمنَعه معاويةُ مِن قتلِه ، وقال : أدِّبْه . فسقاه دواءً مُسْهِلًا وأركَبه على حمارٍ ، وطافَ به فى الأسواقِ ، وهو يَسْلَحُ على الحمارِ ، فقال فى ذلك[7] :

يَغْسِلُ الماءُ ما صنعتَ (8) وشِعْرِى (8) راسخٌ منك فى العظامِ البَوالِى (1)

(1 - 1) سقط من : ص .
(2) سقط من : م .
(3) فى الأصل : « منكم » .
(4 - 4) سقط من : الأصل .
(5) ترجمته فى : الشعر والشعراء 1 /360 - 364، والأغانى 18 /254 - 298، ومعجم الأدباء 20 /43 - 46 ، ووفيات الأعيان 6 /342 - 362، وسير أعلام النبلاء 3/ 522، 523، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات 61 – 80) ص 268، 269.
(6) فى م : « الشعر » .
(7) البيت فى الشعر والشعراء 1 / 361، والأغانى 18 / 264.
(8 – 8) فى الشعر والشعراء، والأغانى : « وقولى » .

(١) بُشيرُ بنُ النَّضْرِ(٢) قاضى مصرَ، كان رِزقُه فى العامِ ألفَ دينارٍ. تُوفِّى بمصرَ، ووَلِى بعدَه عبدُ الرحمنِ بنُ حمزةَ الخَوْلانىُّ. واللَّهُ سبحانَه أعلمُ(١).

مالكُ بنُ يَخامِرَ السَّكْسَكىُّ الأَلْهانىُّ الحِمْصىُّ(٣)، تابعىٌّ جليلٌ، ويقالُ: له صحبةٌ. فاللَّهُ أعلمُ. روَى البخارىُّ(٤) مِن طريقِ معاويةَ عنه عن مُعاذِ بنِ جبلٍ فى حديثِ الطائفةِ [٧/ ٦١ظ] الظاهرةِ على الحقِّ أنَّهم بالشامِ، وهذا مِن بابِ روايةِ الأكابرِ عن الأصاغرِ، إلّا أنْ يُقالَ: له صحبةٌ. والصحيحُ أنَّه تابعىٌّ وليس بصحابىٍّ، وكان مِن أخصِّ أصحابِ مُعاذِ بنِ جَبَلٍ، رضِى اللَّهُ عنه. قال غيرُ واحدٍ(٥): مات فى هذه السنةِ. وقيل(٦): سنةَ اثنتيْنِ وسبعين، واللَّهُ سبحانَه وتعالى أعلمُ.

(١ - ١) سقط من: ص.

(٢) ترجمته فى: أخبار القضاة لوكيع ٣/ ٢٢٤، ٢٢٥، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٦١- ٨٠) ص ٧٨.

(٣) ترجمته فى: طبقات ابن سعد ٧/ ٤٤١، والمعرفة والتاريخ ٢/ ٢٩٧، ٣١٢، وأسد الغابة ٥/ ٥٦، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٦١ - ٨٠) ص ٢٢٥، وتهذيب الكمال ٢٧/ ١٦٦، والإصابة ٥/ ٧٠٨.

(٤) البخارى (٣٦٤١، ٧٤٦٠).

(٥) نقل المزى عن أبى بكر بن أبى عاصم أنه مات سنة سبعين. تهذيب الكمال ٢٧/ ١٦٧.

(٦) تهذيب الكمال ٢٧/ ١٦٧.

ثم دخلَتْ سنةُ إحدى وسبعين

وفيها كان مقتلُ مُصعبِ بنِ الزبيرِ ، وذلك أنّ عبدَ الملكِ بنَ مروانَ سار فى جنودٍ هائلةٍ مِن الشامِ قاصدًا مصعبَ بنَ الزبيرِ بالعراقِ[1] ، فالتقَيا فى هذه السنةِ ، وقد كانا قبلَها يركَبُ كلٌّ واحدٍ لملتقَى الآخَرِ ، فيحولُ بينهما الشتاءُ والبردُ والوحْلُ[2] ، فيرجِعُ كلٌّ واحدٍ منهما إلى بلدِه ، فلمّا كان فى هذا العامِ سار إليه[2] عبدُ الملكِ ، وبعَث بين يديْه السَّرايا ، ودخَل بعضُ مَن أرسَله إلى البصرةِ فدعا أهلَها إلى عبدِ الملكِ فى السرِّ ، فاستجاب له بعضُهم ، وقد كان مُصعبٌ[3] سار إلى الحجازِ ، فجاء ودخَل البصرةَ[3] على إثرِ ذلك ، فأنَّب الكُبراءَ مِن الناسِ ، وشتَمهم ولامَهم على دخولِ أولئك إليهم ، وإقرارِهم لهم على ذلك ، وهَدَمَ دُورَ بعضِهم ، ثم شخَص إلى الكوفةِ ، ثم بلَغه قصدُ عبدِ الملكِ له بجنودِ الشّامِ فخرَج إليه .

ووصَل عبدُ الملكِ إلى مَسْكِنٍ ، وكتَب[4] إلى المَرْوانيَّةِ الذين استجابوا لمَن بعَثه إليهم فأجابوه ، واشترطوا عليه أن يولِّيَهم أَصْبهانَ ، فقال : نعم . وهم جماعةٌ كثيرةٌ مِن الأُمراءِ ، وقد جعَل عبدُ الملكِ على مُقَدِّمتِه أخاه محمدَ بنَ مَرْوانَ بنِ الحكمِ ، وعلى ميمنتِه عبدَ اللَّهِ بنَ يزيدَ بنِ معاويةَ ، وعلى ميسرتِه خالدَ بنَ يزيدَ بنِ معاويةَ .

---

(١) سقط من : الأصل ، م ، ص .

(٢) سقط من : الأصل ، ص .

(٣ - ٣) سقط من : الأصل ، ص .

(٤) تاريخ الطبرى ٦ / ١٦٥.

وخرَج مصعبُ بنُ الزبيرِ، وقد اختلَف عليه أهلُ العراقِ، وخذَلوه وجعَل يتأمَّلُ مَن معه فلا يجِدُهم يُقاومون أعداءَه، فاستقتَل وطمَّن[1] نفسَه على ذلك، وقال[2]: لى بالحُسيْنِ بنِ علىٍّ أسوةٌ حين امتنَع من إلقائِه يدَه، ومِن الذِّلةِ لعبيدِ اللَّهِ بنِ زيادٍ، وجعَل يُنشِدُ ويقولُ مُسَلِّيًا نفسَه[3]:

وإنَّ الأُلى[4] بالطَّفِّ[5] مِن آلِ هاشمٍ تأَسَّوْا فسَنُّوا للكرامِ التَّأَسِّيَا

وكان عبدُ المِلكِ قد أشار عليه بعضُ أمرائِه[6] أن يقيمَ بالشامِ، [7]وأن يبعَثَ إلى مُصعبٍ جيشًا[7]، فأبَى وقال[8]: لعلِّى أبعَثُ[9] رجلًا شجاعًا لا رأىَ له، أو مَن له رأىٌ ولا شجاعةَ له، وإنِّى أجِدُ مِن نفسى بصَرًا[10] بالحربِ وشجاعةً، وإنَّ مصعبًا فى بيتِ شجاعةٍ؛ أبوه أشجعُ قريشٍ، وأخوه لا تُجهَلُ شجاعتُه، وهو شجاعٌ[11] لا عِلْمَ له بالحربِ، وهو يُحِبُّ الدَّعةَ والخفضَ[12]، [13]ومعه مَن يخالِفُه[13]، ومعى [٧/٦٢و] مَن ينصَحُ لى[14]. فسار بنفسِه، فلمّا تقارَب

---

(١) فى ١٣: «ظن».
(٢) تاريخ الطبرى ٦/ ١٥٦، وأنساب الأشراف ٧/ ٩٢، ٩٨، وتاريخ دمشق ١٦/٥٣٩ (مخطوط)، وفيهم أن مصعب سأل عروة بن المغيرة فأخبره عروة بالخبر.
(٣) البيت لسليمان بن قتة، انظر الأغانى ١٩ /١٢٩ والمصادر السابقة.
(٤) فى م: «الأولى».
(٥) الطف: أرض من ضاحية الكوفة فى طريق البرية كان فيها مقتل الحسين. معجم البلدان ٣ / ٥٣٩.
(٦) فى م: «أصحابه».
(٧ - ٧) سقط من: الأصل، ص.
(٨) تاريخ الطبرى ٦ / ١٥٧.
(٩) فى ١٣، ١٢، م: «إن بعثت».
(١٠) فى م: «بصيرا».
(١١) بعده فى ١٣، ١٢، م: «ومعه من يخالفه».
(١٢) فى م: «الصفح».
(١٣ - ١٣) سقط من: ١٣، ١٢، م.
(١٤) بعده فى ١٣، ١٢، م: «ويوافقنى على ما أريد».

الجيشانِ بعَث عبدُ الملكِ إلى أمراءِ مصعبٍ بكتبٍ[1] يَدعوهم إلى نفسِه ويَعِدُهم الولاياتِ، فجاء إبراهيمُ بنُ الأشتَرِ إلى مُصعبٍ فألقَى إليه كتابًا مختومًا، وقـال: هذا جاءنى من عبدِ الملكِ. ففتَحه فإذا هو يدعوه إلى الإتيانِ إليه، وله نيابةُ العراقِ. وقال لمصعبٍ: أيها الأميرُ، إنّه لم يبقَ أحدٌ مِن أمرائِك إلَّا وقد جاءَه كتابٌ مثلُ هذا، فإن أطعتَنى ضرَبتُ أعناقَهم[2]. فقال له مصعبٌ: إنِّى لو فعَلتُ ذلك لم تنصَحْنا عشائرُهم بعدَهم. فقال: [3]فأَوْقِرْهم[4] فى الحديدِ وابعَثْهم[3] إلى أبيضِ كِسْرَى فاسجُنْهم فيه، [5]ووكِّلْ بهم مَن إن غُلِبتَ ضرَب أعنُقَهم، وإن غلَبتَ منَنتَ بهم على عشائرِهم[5]. فقال له: يا أبا النعمانِ، إنِّى لَفى شُغلٍ عن هذا. ثم قال مُصعبٌ: رحِم اللَّهُ أبا بَحْرٍ - يعنى[6] الأحنفَ بنَ قيسٍ - إنْ كان ليُحذِّرُنى غـدرَ أهـلِ العراقِ، وكأنَّه كان ينظُرُ إلى ما نحنُ فيه الآنَ.

ثم تواجَه الجيشانِ بدَيْرِ الجاثَليقِ مِن مَسكِنٍ، فحمَل إبراهيمُ بنُ الأشترِ - وهو أميرُ المقدِّمَةِ العراقيةِ لجَيشِ مُصعبٍ - على محمدِ بنِ مَرْوانَ - وهو أميرُ مقدِّمةِ الشامِ - فأزاله عن موضعِه، فأردَفه عبدُ الملكِ بنُ مَرْوانَ بعبدِ اللَّهِ بنِ يزيدَ ابنِ معاويةَ، فحمَلوا على إبراهيمَ بنِ الأشترِ، ومَن معه فطحَنوهم، وقتِل إبراهيمُ

---

(١) سقط من: ٣١، ٢١، م، ص.

(٢) بعده فى ص: «وإن كانت عليك خرجوا بعد ذلك».

(٣ - ٣) فى ٣١، ٢١، م، ص: «ابعثهم».

(٤) فى الأصل: «فأقرهم». والمثبت من تاريخ الطبرى ٦ / ١٥٧، وانظر أنساب الأشراف ٧ / ٩٤.

(٥ - ٥) فى ٣١، ٢١، م: «فإن كانت لك النصرة ضربت أعناقهم، وإن كانت عليك خرجوا بعد ذلك»، وفى الأصل، ص: «فإن كانت لك ضربت أعناقهم وإن كانت عليك خرجوا بعد ذلك». والمثبت من تاريخ الطبرى ٦ / ١٥٧. وانظر الكامل ٤ / ٣٢٥.

(٦) بعده فى الأصل: «ابن». وانظر ما سيأتى فى صفحة ١٦٩.

ابنُ الأشترِ ، رحِمه اللَّهُ وعفا عنه ، وقتِل معه جماعةٌ مِن الأمراءِ ، وكانَ عتَّابُ بنُ وَرقاءَ على خيلِ مصعبٍ فهَرَب أيضًا ولجَأَ إلى عبدِ الملكِ بنِ مروانَ . (1) وجعَل (1) مصعبُ بنُ الزبيرِ وهو واقفٌ فى القلبِ يُنهِضُ (2) أصحابَ الراياتِ ، ويَحُثُّ (3) الشُّجعانَ والأبطالَ أن يتقدَّموا إلى أمامِ القومِ ، فلا يتحرَّكَ أحدٌ ، فجعَل يقولُ : يا إبراهيمُ ولا إبراهيمَ لى اليومَ ! وتفاقَم الأمرُ ، واشتدَّ القتالُ ، وتخاذَلتِ الرجالُ ، وضاق الحالُ ، وكثُر النِّزالُ .

قال المدائنىُّ (4) عن يَحيى بنِ إسماعيلَ (5) بنِ المُهاجرِ عن أبيه قال (4)(6) : أرسَل عبدُ الملكِ أخاه محمدَ بنَ مروانَ إلى مُصعبٍ يُعطيه الأمانَ فأبَى ، وقال : إنَّ مثلى لا ينصرِفُ عن هذا الموضِعِ إلا غالبًا أو مغلوبًا .

قالوا (7) : فنادَى محمدُ بنُ مَروانَ عيسى بنَ مصعبٍ فقال : يا ابنَ أخى ، لا تقتُلْ نفسَك ، لك الأمانُ . فقال له مصعبٌ : قد آمَنك عمُّك فامضِ إليه . فقال : لا تتحدَّثُ نساءُ قُريشٍ أنِّى أسلمتُك للقتلِ . فقال له : يا بُنىَّ ، فاركَبْ خيلَ السبَقِ فالحَقْ بعمِّك ، فأخبِرْه بمَا صنَع أهلُ العِراقِ فإنِّى مقتولٌ هاهنا . فقال : واللَّهِ إنِّى لا أخبِرُ عنك أحدًا أبدًا ، ولا [٦٢/٧ظ] أخبِرُ نساءَ قُريشٍ بمصرعِك أبدًا ، ولا أُقتَلُ إلَّا معَك ، ولكن إنْ شئتَ ركِبتَ خيلَك ، وسِرنا إلى البصرةِ ؛ فإنَّهم على

(١ - ١) فى الأصل : « وأرسل عبد الملك الأمان إلى » .
(٢) فى الأصل : « وهو فيهم » ، وفى ص « وهو » وبعده بياض .
(٣) فى الأصل : ص : « يستنهض » .
(٤ - ٤) سقط من : ٣١، ٢١، م .
(٥) فى الأصل : « المعتل » .
(٦) تاريخ الطبرى ٦ / ١٥٨، ١٥٩، وتاريخ دمشق ١٦ / ٥٣٩، ٥٤٠ (مخطوط)، بنحوه .
(٧) تاريخ الطبرى ٦ /١٥٩ بنحوه ، وانظر أنساب الأشراف ٧ / ٩٢.

الجماعةِ . فقال مصعبٌ : (1) لا واللَّهِ ، ما الفرارُ لى بعادةٍ ، ولكن أقاتِلُ ، فإن قتِلتُ فما السيفُ لى بعارٍ (1) ، واللَّهِ لا تتحدَّثُ قريشٌ عنى أنّى فرَرتُ مِن القتالِ . ثم قال لابنِه : تقدَّمْ بين يدَىَّ حتى أحتسِبَك . فتقدَّم ابنُه ، فقاتَل حتى قُتِل ، وأُثخِن مصعبٌ بالرمي ، فنظَر إليه زائدةُ بنُ قدامةَ ، وهو كذلك فحمَل عليه فطعَنه ، وهو يقولُ : يا ثاراتِ المختارِ ! فصرَعه (2) ونزَل إليه رجلٌ يُقالُ له : عبيدُ اللَّهِ بنُ زيادِ بنِ ظَبيانَ التميميُّ . فقتَله وحزَّ رأسَه ، وأتَى به عبدَ الملكِ بنَ مَرْوانَ ، فسجَد عبدُ الملكِ ، وأطلَق له ألفَ دينارٍ فأبَى أنْ يقبَلَها ، وقال : لم أقتُلْه على طاعتِك ، ولكن بثأرٍ كان لى عنده . وكان قد وَلِى له عملًا قبلَ ذلك فعزَله عنه وأهانَه .

قالوا[3] : ولمّا وُضِع رأسُ مُصعبٍ بينَ يدىْ عبدِ الملكِ ، قال عبدُ الملكِ : لقد كان بينى وبين مُصعبٍ صحبةٌ قديمةٌ ، وكان مِن أحبِّ الناسِ إلىَّ ، ولكنّ هذا المُلكَ عقيمٌ .

(4) وقال[5] : لمّا تفرَّق عن مُصعبٍ جموعُه قال له ابنُه عيسى : لو اعتصمْتَ ببعضِ القِلاعِ ، وكاتبتَ مَن بعُدَ عنك مثلَ المهلَّبِ بنِ أبى صُفْرَةَ وغيرِه فقدِموا عليك ، فإذا اجتمَع لك ما تُريدُ منهم لقِيتَ القومَ ؛ فإنَّك قد ضعُفتَ جدًّا . فلم يردَّ عليه جوابًا . ثم ذكَر ما جرى للحُسيْنِ بنِ علىٍّ ، وكيف قُتِل كريمًا ، ولم يُلْقِ بيدِه ، ولم يجِدْ مِن أهلِ العراقِ وفاءً ، وكذلك أبوه وأخوه ، ونحنُ ما وجَدْنا لهم وفاءً (4) .

(1) ثم انهزَم أصحابُه ، وبقِى فى قليلٍ مِن خواصِّه ، ومالَ الجميعُ إلى

(1 - 1) سقط من : ٣١، ٢١، م، ص.

(2) سقط من : م.

(3) تاريخ دمشق ١٦ /٥٣٦ (مخطوط)، بنحوه، وانظر تاريخ بغداد ١٣ /١٠٧.

(4 - 4) سقط من : الأصل، ص.

(5) أى : مصعب الزبيرى . تاريخ دمشق ١٦ /٥٣٤ (مخطوط)، بنحوه.

عبدِ الملكِ ، وقد كان عبدُ الملِكِ يُحِبُّ مُصعبًا حبًّا شديدًا ، وكان خليلًا له قبلَ الخلافةِ ، فقال لأخيه محمدٍ : اذهَب إليه فآمِنْه . فجاءه ، فقال له : يا مصعبُ ، قد آمَنك ابنُ عمِّك على نفسِك وولدِك ومالِك وأهلِك ، فاذهَبْ حيثُ شئتَ مِن البلادِ ، ولو أرادَ بك غيرَ ذلك لكان . فقال مُصعبٌ : قُضِى الأمرُ ، إنَّ مثلى لا ينصرِفُ عن مثلِ هذاالموقفِ إلَّا غالبًا أو مغلوبًا . فتقدَّم ابنُه عيسى فقاتَل ، فقال محمدُ بنُ مروانَ : يا ابنَ أخى ، لا تقتُلْ نفسَك . ثم ذكَر مِن قولِه ما تقدَّم ، ثم قاتَلَ حتى قُتِل ، رحِمه اللَّه ، ثم ذكَر مِن قَتْلِ أبيه[(٢)] بعدَه ، كما تقدَّم .

قال[(٣)] : ولمَّا وُضِع رأسُ مُصعبٍ بين يدَىْ عبدِ الملكِ بكَى وقال : واللَّهِ ما كنتُ أقدِرُ أنْ أصبِرَ عليه ساعةً واحدةً مِن حبِّى له حتى دخَل السيفُ بيننا ، ولكنَّ المُلكَ عقيمٌ ! ولقد كانتِ المحبةُ والحرمةُ بيننا قديمةً ، متى تلِدُ النِّساءُ مثلَ مُصعبٍ ؟ ثم أمَر بمُواراتِه ، ودفَنه هو وابنَه وإبراهيمَ بنَ الأشترِ فى قبورٍ بمسكِنٍ بالقربِ مِن الكوفةِ[(١)] .

قال المدائنىُّ[(٤)] : وكان مقتلُ مُصعبِ بنِ الزبيرِ يومَ الثلاثاءِ الثالثَ عشَرَ مِن جُمادى الأولى أو الآخرةِ مِن سنةِ إحدى وسبعين فى قولِ الجمهورِ ، وقال المدائنىُّ : سنةَ ثنتيْنِ وسبعين . واللَّهُ أعلمُ .

قالوا[(٥)] : ولما قتَل عبدُ الملكِ مُصعبًا ارتحَل إلى الكوفةِ فنزَل النُّخَيْلَةَ فوفَدتْ عليه الوفودُ بها[(٦)] مِن رؤساءِ القبائلِ وساداتِ العربِ ، وجعَل يُخاطِبُهم بفصاحةِ

(١ - ١) سقط من : الأصل ، ص .

(٢) فى م : « منهم » .

(٣) أى : سعيد بن يزيد . تاريخ دمشق ١٦ /٥٣٤ (مخطوط) ، بنحوه .

(٤) تاريخ الطبرى ٦ / ١٦٢ ، وتاريخ دمشق ١٦ /٥٤٣ ، ٥٤٤ (مخطوط) ، مختصرا بنحوه .

(٥) تاريخ الطبرى ٦ /١٦٢ بنحوه ، وتاريخ دمشق ١٦ /٥٤٠ (مخطوط) ، مختصرا بنحوه .

(٦) سقط من : م .

وبلاغةٍ واستشهادٍ بأشعارٍ حسَنةٍ ، وبايَعه أهلُ العراقِ وفرّق العِمالاتِ[(1)] فى الناسِ ، وولّى الكوفةَ قَطَنَ بنَ عبدِ اللّهِ الحارثىَّ[(2)] أربعين يومًا ، ثم عزَله وولّى أخاه بشرَ بنَ مروانَ عليها . وخطَب عبدُ الملِكِ يومًا بالكوفةِ فقال فى خُطبتِه : إنَّ عبدَ اللّهِ بنَ الزُّبيرِ لو كان خليفةً كما يزعُمُ[(3)] لخرَج فآسى بنفسِه ، ولم يغرِزْ ذَنَبَه فى الحرمِ . ثم قال لهم : إنّى قد استخلَفتُ عليكم أخى بشرَ بنَ مَروانَ ، وأمَرْتُه بالإحسانِ إلى أهلِ الطّاعةِ ، وبالشدَّةِ على أهلِ المعصيَةِ ، فاسمَعوا له وأطيعوا .

وأمّا أهلُ البصرةِ فإنهم لمَّا بلَغهم مقتلُ مُصعبٍ تنازَع فى إمارتِها [(4)] حُمْرانُ بنُ أبانٍ مولى عثمانَ بنِ عفّانَ[(4)] ، وعبيدُ اللّهِ بنُ أبى بَكْرَةَ ، فغلَبه [(5)] حُمرانُ بنُ أبانٍ[(5)] عليها ، فبايَعه أهلُها فكان أشرفَ الرجليْن . قال أعرابىٌّ[(6)] : واللّهِ لقد رأيتُ رداءَ [(7)] ابنِ أبانٍ[(7)] مالَ عن عاتقِه يومًا ، فابتدَره مَرْوانُ ، وسعيدُ بنُ العاصِ ، أيُّهما يُسوِّيه [٧/٦٣و] على مَنكِبيه . وقال غيرُه[(8)] : مدَّ حُمرانُ[(9)] يومًا رجلَه فابتدَر[(10)] معاويةُ وعبدُ اللّهِ بنُ عامرٍ [(11)] أيُّهما يغمِزُها[(11)] . قال : فبعَث عبدُ الملكِ بنُ مروانَ

---

(١) فى الأصل : « العمال » ، وفى ص : « العمالة » .

(٢) فى الأصل ، ٣١، ٢١، ص : « الحربى » ، وفى م : « الحرى » . والمثبت من تاريخ الطبرى ٦ / ١٦٤، والكامل ٤ / ٣٣١، وتاريخ دمشق ١٥ / ١٨٧.

(٣) فى الأصل، ص: « زعم » .

(٤ - ٤) فى الأصل: « حمران بن أبان بن عثمان بن عفان » ، وفى ٣١، ٢١، م، ص: « أبان بن عثمان بن عفان » . وفى تاريخ الطبرى ٦ / ١٦٥، والكامل ٤ / ٣٣٦: « حمران بن أبان » وانظر تاريخ دمشق ١٥ / ١٧٨.

(٥ - ٥) فى ٣١، ٢١، م، ص: « أبان » .

(٦) تاريخ الطبرى ٦ / ١٦٥، وتاريخ دمشق ١٥ / ١٧٧.

(٧ - ٧) فى ٣١، ٢١، م: « أبان » ، وفى ص : « حمران » .

(٨) تاريخ الطبرى ٦ / ١٦٥، وتاريخ دمشق ١٥ / ١٧٧.

(٩) فى ٢١، م : « أبان » .

(١٠) فى ٣١، م : « فابتدرها » ، وفى ٢١: « فابتذرها » .

(١١ - ١١) فى الأصل: « أنهما يغمزان رجل حمران » ، وفى ص: « أيهما يغمز رجل مروان » .

خالدَ بنَ عبـدِ اللَّهِ بنِ خالدِ بنِ أَسِيدٍ واليًا عليها - يعنى على البصرةِ - فأخَذها مِن (١) حُمْرانَ بنِ أبانٍ (١) واستناب فيها (٢) عُبيدَ اللَّهِ (٢) بنَ أبى بَكْرةَ ، وعزَل (١) حُمْرانَ ابنَ أبانٍ (١) عنها .

قالوا[٣] : وقد أمَر عبدُ الملكِ بطعامٍ كثيرٍ فعُمِل لأهلِ الكوفةِ فأكَلوا مِن سِماطِه ، ومعه يومَئذٍ على السَّريرِ عمرُو بنُ حُرَيْثٍ ، فقال له عبدُ الملكِ : ما ألذَّ عيشَنا لو أنّ شيئًا يدومُ ، ولكنْ نحن كما قال الأولُ :

وكلُّ جديدٍ يا أُمَيمَ إلى بِلًى[٤] وكُلُّ امرئٍ يومًا يَصيرُ إلى كانْ

فلمَّا فرَغ الناسُ مِن الطعامِ نهَض فدار فى القصرِ ، وجعَل يسألُ عمرَو بنَ حُرَيْثٍ عن أحوالِ القصرِ ومَن بنَى أماكنَه وبيوتَه ، فيخبرُه[٥] ، ثم جاء مجلسَه فاستلقَى وهو يقولُ[٦] :

اعْمَلْ على مَهَلٍ فإنَّكَ مَيِّتٌ واكدَحْ لنفسِكَ أيُّها الإنسانْ
فكَأَنَّ ما قَدْ كانَ لم يكُ إذْ مضَى وكأنَّ مَا هو كائِنٌ قدْ كانْ

قال ابنُ جريرٍ[٧] : وفيها رجَع عبدُ الملكِ - فيما[٨] زعَم الواقدىُّ - إلى الشامِ .

(١ - ١) فى ا٣١، م : « أبان » .
(٢ - ٢) فى ا٢١: « عبد الله » . وانظر تاريخ الطبرى ٦ / ١٦٥.
(٣) تاريخ الطبرى ٦ / ١٦٧، وتاريخ دمشق ١٠ /٥١٣ (مخطوط) ، والكامل ٤ / ٣٣٢.
(٤) فى ا٣١، ا٢١، م : « البلى » .
(٥) سقط من : م .
(٦) البيتان فى تاريخ الطبرى ٦ / ١٦٧، وتاريخ دمشق ١٠ /٥١٢ ، ٥١٣ (مخطوط) .
(٧) تاريخ الطبرى ٦ / ١٦٥.
(٨) فى م : « كما » .

قال[1] : وفيها عزَل ابنُ الزُّبيرِ جابرَ بنَ الأسودِ عن المدينةِ ، وولَّى عليها طلحةَ ابنَ عبدِ اللَّهِ بنِ عَوْفٍ ، وكان هو آخرَ أُمرائِه عليها ،حتى قدِم عليها طارقُ بنُ عمرٍو مولى عثمانَ ، من جهةِ عبدِ الملِكِ بنِ مروانَ .

وفيها حجَّ بالناسِ عبدُ اللَّهِ بنُ الزبيرِ ، ولم يبقَ له ولايةٌ على العراقِ .

[2]قال الواقدىُّ : وفيها عقَد عبدُ العزيزِ بنُ مروانَ نائبُ مصرَ لحسَّانَ الغسّانىِّ[3] على غزوِ إفريقيَّةَ ، فسار إليها فى عددٍ كثيرٍ ، فافتتَح قَرْطَاجَنَّةَ[4] وكان أهلُها رومًا عُبَّادَ أصنامٍ .

وفيها قُتِل نَجْدةُ الحَروريُّ الذى تغلَّب على اليمامةِ . وفيها خرَج عبدُ اللَّهِ بنُ ثَوْرٍ فى اليمامةِ[2] .

وهذه ترجمةُ مصعبِ بنِ الزبيرِ[5] ، رحِمه اللَّهُ

وهو مصعبُ بنُ الزبيرِ بنِ العوَّامِ بنِ خُوَيْلدِ بنِ أَسَدِ بنِ عبدِ العُزَّى بنِ قُصَىِّ ابنِ كِلابٍ ، أبو عبدِ اللَّهِ القرشىُّ - ويُقالُ له : أبو عيسى أيضًا - الأَسَدىُّ . وأمُّه

---

(١) تاريخ الطبرى ٦ / ١٦٦.
(٢ - ٢) سقط من : الأصل ، ص .
(٣) فى م : « العانى » .
(٤) فى ٣١، ٢١: « قرطاخية » .
(٥) ترجمته فى : طبقات ابن سعد ٥ /١٨٢ ، ١٨٣، وأنساب الأشراف ٧ /٨٣ - ١١٢، والأغانى ١٩/ ٢٢، وتاريخ بغداد ١٣ / ١٠٥، وتاريخ دمشق ١٦ /٥٢٤ (مخطوط) ، وسير أعلام النبلاء ٤/ ١٤٠، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٦١ - ٨٠ هـ) ص ٥٢٤.

الرَّبَابُ[1] بنتُ أُنَيْفٍ الكلبيةُ . كان من أحسنِ الناسِ وجهًا ، وأشجعِهم قلبًا ، وأسخاهم كفًّا .

وقد حكَى عن عمرَ بنِ الخطّابِ ، وروَى عن أبيه الزبيرِ بنِ العوَّامِ ، وسعدٍ ، وأبي سعيدٍ الخُدْرِيِّ . وروَى عنه الحكمُ بنُ عُتيبةَ[2] ، وعمرُو بنُ دينارٍ الجُمَحيُّ ، وإسماعيلُ بنُ أبي خالدٍ . ووفَد على معاويةَ ، وكان مِمَّن يُجالِسُ أبا هريرةَ ، وكان مِن أحسنِ الناسِ وجهًا .

حكَى الزبيرُ بنُ بكّارٍ[3] أنّ جميلًا نظَر إليه وهو واقفٌ بعرفةَ ، فقال : إنَّ هلهنا فتًى أكرَهُ أنْ تراه بثينةُ . وقال الشعبيُّ[3] : ما رأيتُ أميرًا قطُّ على مِنبرٍ أحسنَ منه . وكذا قال إسماعيلُ بنُ أبي[4] خالدٍ[5] . وقال الحسنُ[6] : هو أجملُ أهلِ البصرةِ .

وقال الخطيبُ البغداديُّ[7] : ولِي إمرةَ العراقيْنِ [٧/٦٣ظ] لأخيه عبدِ اللَّهِ بنِ الزبيرِ ، حتى قتَله عبدُ الملِكِ بنُ مروانَ بمسكِنَ في موضعٍ قريبٍ مِن أَوَانا على نهرِ دُجَيْلٍ عند دَيْرِ الجاثَليقِ ، وقبرُه إلى الآنَ معروفٌ هناك . وقد ذكَرْنا[8] صفةَ قتلِه المختارَ بنَ أبي عُبيدٍ ، وأنه قتَل في غداةٍ واحدةٍ مِن أصحابِ المختارِ سبعةَ[9]

---

(١) في ٣١، م : « كرمان » ، وفي ٢١ : « الريان » . وانظر جمهرة أنساب العرب ٤٥٧.
(٢) في الأصل ، م ، ص : « عيينة » ، وفي ٣١ : « عشية » ، وانظر تاريخ دمشق ٥٢٢/١٦ (مخطوط) .
(٣) تاريخ دمشق ١٦/ ٥٢٧ (مخطوط) .
(٤) سقط من : م .
(٥) طبقات ابن سعد ٥ / ١٨٣، وتاريخ دمشق ١٦ /٥٢٧ (مخطوط) .
(٦) تاريخ دمشق ١٦ /٥٢٨ (مخطوط) ، بنحوه .
(٧) تاريخ بغداد ١٣ / ١٠٥.
(٨) انظر ما تقدم في صفحة ٥٨.
(٩) في الأصل : « ستة » .

آلافٍ . قال الواقدىُّ[1] : لمّا قتَل مُصعبٌ المختارَ ، طلَب أهلُ القصرِ مِن أصحابِ المختارِ مِن مُصعبٍ الأمانَ فأمَّنَهم ، ثم بعَث إليهم عبّادَ بنَ الحُصينِ فجعَل يُخرِجُهم مُلتفِّين ، فقال له رجلٌ : الحمدُ للّهِ الذى نصَركم علينا ، وابتلانا بالأسرِ ، يا ابنَ الزبيرِ مَن عفا عفا اللّهُ عنه ، ومَن عاقَب لا يأمَنُ القِصاصَ ، نحن أهلُ قِبلتِكم وعلى ملَّتِكم وقد قدَرْتَ فاسمَحْ واعفُ عنّا . قال : فرقَّ لهم مُصعبٌ وأرادَ أنْ يُخلِّىَ سبيلَهم ، فقامَ عبدُ الرحمنِ بنُ محمدِ بنِ الأشعثِ وغيرُه مِن كلِّ قبيلةٍ ، فقالوا : قد قتَلوا أولادَنا وعشائرَنا ، وجرَحوا منّا خلقًا ، [2]اختَرْنا أو اختَرْهم[2] . فأمَر حينئذٍ بقتلِهم ، فنادَوْا بأجمعِهم : لا تقتُلْنا واجعَلْنا مُقدِّمتَك فى قتالِ عبدِ الملكِ بنِ مروانَ ، فإنْ ظفِرنا فلكم ، وإنْ قُتِلْنا لا نُقتَلُ حتى نقتُلَ منهم طائفةً وكان الذى تريدُ . فأبَى ذلك مصعبٌ ، فقال له مُسافرٌ : اتقِ اللّهَ يا مصعبُ ، فإنّ اللّهَ عزَّ وجلَّ أمَرك أنْ لا تقتُلَ نفسًا مسلمةً بغيرِ نفسٍ ، وإنّ ﴿ مَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ خَٰلِدًا فِيهَا وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُۥ وَأَعَدَّ لَهُۥ عَذَابًا عَظِيمًا ﴾ [النساء: ٩٣] . فلم يسمَعْ له ، بل أمَر بضربِ أعناقِهم جميعِهم ، وكانوا سبعةَ آلافِ نفسٍ ، ثم كتَب مُصعبٌ إلى ابنِ الأشترِ : إنْ أجَبْتنى فلكَ الشامُ ، وأعنَّةُ الخيلِ . فسار ابنُ الأشترِ إلى مُصعبٍ . وقيل : إنَّ مصعبًا لمّا قدِم مكّةَ أتَى عبدَ اللّهِ بنَ عُمرَ فقال : أىْ عمِّ ، إنّى أسألُك عن قومٍ خلَعوا الطاعةَ ، وقاتَلوا حتى إذا[3] غُلِبوا تحصَّنوا ، وسألوا الأمانَ فأُعطُوه ، ثم قُتِلوا بعد ذلك . فقال : وكم هم؟ قال : خمسةُ

---

(١) تاريخ دمشق ١٦ /٥٣٦ - ٥٣٨ (مخطوط)، مطولا بنحوه.

(٢ - ٢) فى ٣١: «اخترنا أو اختارهم»، وفى ٢١: «اختارنا أو اختارهم».

(٣) سقط من : م.

آلافٍ . فسبَّح ابنُ عمرَ واسترجَع ، وقال : لو أنّ رجلًا أتى ماشيةَ الزبيرِ فذبَح منها خمسةَ آلافِ شاةٍ[1] فى غداةٍ واحدةٍ ألستَ تعُدُّه مُسرفًا ؟ قال : نعم . قال : أفتراه إسرافًا فى البهائمِ ولا تراه إسرافًا فى مَن ترجو توبتَه ؟ يا ابنَ أخى أَصِبْ مِن الماءِ الباردِ ما استطعْتَ فى دُنياك .

ثم إنَّ مُصعبًا بعَث برأسِ المختارِ إلى أخيه بمكّةَ[2] ، وتمكَّن مُصعبٌ فى العراقِ تمكُّنًا زائدًا ، فقرَّر بها الوِلاياتِ والعمَّالَ ، وحظِى عندَه إبراهيمُ بنُ الأشترِ فجعَله على الوِفادةِ ، ثم رحَل مصعبٌ إلى أخيه بمكّةَ فأعلمَه بما فعَل فأقرَّه على ما صنَع ، إلّا إبراهيمَ بنَ الأشترِ [3]لم يُمضِ له ما جعَله عليه[3] . [4]فقال له : أعمَدتَ إلى رايةٍ خفَضها اللَّهُ تُريدُ أنْ ترفعَها ؟ ثم كشَف عن ظهرِه فإذا ضربةٌ قد أصابته[4] ، وقال له : أتُرانى أحِبُّ ابنَ الأشترِ وهو الذى جرَحنى هذه الجِراحةَ . ثم استدعَى بمَن قدِم [3]مع مصعبٍ[3] مِن أهلِ العراقِ فقال لهم : واللَّهِ لودِدتُ أنّ لى بكلِّ رَجُلينِ منكم رجلًا مِن أهلِ الشامِ . فقال له [5]أبو حاضرٍ الأُسَيْدِىُّ[5] – وكان قاضىَ الجماعةِ بالبصرةِ : إنّ لنا ولكم مثَلًا قد مضَى يا أميرَ المؤمنين ، وهو ما قال الأعشى[6] :

عُلِّقتُها عَرَضًا[7] وعُلِّقَتْ رَجُلًا غَيْرِى وعُلِّقَ أُخرى غيْرَها الرَّجلُ

---

(1) فى م : « ماشية » .
(2) زيادة من : ا٣، ا٢، م .
(٣ – ٣) زيادة من : ا٣، ا٢، م .
(٤ – ٤) سقط من : ا٣، ا٢، م .
(٥ – ٥) فى م : « أبو حاجز الأسدى » ، وفى تاريخ دمشق ١٦ /٥٣٨ (مخطوط) : « أبو خاصر الأسدى » . وانظر تهذيب الكمال ١٩/٣٤٩، ٣٥٠، ٣٢/ ٢٢٠.
(٦) ديوان الأعشى الكبير ص ٥٧.
(٧) فى الأصل، ا٣، ا٢: « غرضا » .

(١) قلتُ : كما قيلَ أيضًا(٢) :

جُنِنَّا بِلَيْلَى وَهْى جُنَّتْ بغيرِنا وأخرى بنا مجنونةٌ لا نريدُها(١)

عُلِّقناك يا أميرَ المؤمنين ، وعُلِّقتَ أهلَ الشامِ ، وعُلِّق أهلُ الشامِ إلى مَرْوانَ ، فما عسَيْنا أنْ نصنَعَ ؟ قال الشعبيُّ(٣) : فما سمِعتُ جوابًا أحسنَ منه . وقال غيرُه : كان مُصعبٌ مِن أشدِّ الناسِ محبةً للنساءِ . وقد (٤)أعطاه اللَّهُ(٤) مِن ذلك شيئًا كثيرًا ؛ كما رُوِى(٥) أنَّه اجتمَع عند الحجَرِ الأَسودِ جماعةٌ(٦) ، فقالوا فيما بينَهم : ليقُمْ كُلُّ واحدٍ منكم فليسأَلْ عندَ الحجرِ الأسودِ مِن اللَّهِ شيئًا يُحِبُّه . فقام كلٌّ يسأَلُ حاجتَه منهم ، وكان منهم مصعبُ بنُ الزبيرِ ؛ سأل اللَّهَ عزَّ وجلَّ أنْ يزوِّجه سُكَينَةَ بنتَ الحُسينِ ، وعائشةَ بنتَ طلحةَ - وكانتا أحسنَ النساءِ فى ذلك العصرِ - وأن يُعطيَه اللَّهُ إمرةَ العراقيْنِ . فأعطاه اللَّهُ ذلك كلَّه(٧) ؛ تزوَّج بعائشةَ بنتِ طلحةَ ، وكان صَداقُها عليه مائةَ ألفِ دينارٍ ، وكانت باهرةَ الجمالِ جدًّا ، وكان مصعبٌ أيضًا جميلًا جدًّا ، وكذلك بقيةُ زوجاتِه . قال الأصمعيُّ(٨) ، عن عبدِ الرحمنِ بنِ أبى الزِّنادِ ، عن أبيه قال : اجتمَع فى الحِجْرِ

(١ - ١) سقط من: الأصل، ص .

(٢) البيت فى سمط اللآلى ١ / ١٤٠، وفيه : جننا على ليلى وجنت بغيرنا

(٣) تاريخ دمشق ١٦ /٥٣٨ (مخطوط) .

(٤ - ٤) فى م : «أمضى» .

(٥) تاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٦١ - ٨٠ هـ) ص ٥٢٦، بنحوه، وسير أعلام النبلاء ٤ / ١٤١، بنحوه .

(٦) بعده فى ٣١، ٢١، م: «منهم ابن عمر ومصعب بن الزبير» .

(٧) سقط من: ٣١، ٢١، م .

(٨) حلية الأولياء ٢ / ١٧٦.

مصعبٌ وعروةُ (١وعبدُ اللَّهِ، بنو الزبيرِ١)، و(٢عبدُ اللَّهِ٢) بنُ عمَرَ، (٣فقالوا: تمنَّوا٣). فقال عبدُ اللَّهِ بنُ الزبيرِ: أمّا أنا فأتمنَّى الخلافةَ. وقال عروةُ: أمّا أنا فأتمنَّى أنْ يُؤخذَ عنى العلمُ. وقال مصعبٌ: أمّا أنا فأتمنَّى إمرةَ العراقِ، والجمعَ بينَ عائشةَ بنتِ طلحةَ وسُكَيْنةَ [٦٤/٧و] بنتِ الحُسينِ. وقال عبدُ اللَّهِ ابنُ عمرَ: أمّا أنا فأتمنَّى المغفرةَ. قال: فنالوا كلُّهم ما تمنَّوْا، ولعلَّ ابنَ عمرَ قد غفِر له.

وقال عامرٌ الشَّعبيُّ[٤]: بينما أنا جالسٌ يومًا[٥] إذ دعانى الأميرُ مصعبُ بنُ الزُّبيرِ فأدخَلَنى دارَ الإمارةِ، ثم كشَف (٦عن سِترٍ٦) فإذا وراءَه عائشةُ بنتُ طلحةَ، فلم أرَ منظرًا أبهَى، ولا أحسنَ منها. فقال: أتدرى مَن هذه؟ فقلتُ: لا. فقال: هذه عائشةُ بنتُ طلحةَ. ثم خرجْتُ، فقالَتْ عائشةُ: مَن هذا الذى أظهَرْتنى عليه؟ قال: هذا عامرٌ الشَّعبيُّ. قالت: فأطلِقْ له شيئًا. فوهَبنى[٧] عشَرةَ آلافِ درهمٍ. قال الشَّعبيُّ: فكان أوّلَ مالٍ ملكتُه.

وحكَى الحافظُ ابنُ عساكرَ[٨] أنّ عائشةَ بنتَ طلحةَ تغضَّبَتْ مرّةً على مُصعبٍ فترَضَّاها بأربعِمائةِ ألفِ درهمٍ، فأطلَقَتْها هى للمرأةِ التى أصلَحتْ

(١ - ١) فى الأصل: «عبد اللّه بن الزبير»، وفى ٣١، ٢١، م: «ابن الزبير».
(٢ - ٢) سقط من ٣١، ٢١، م.
(٣ - ٣) سقط من: م.
(٤) تاريخ بغداد ١٣/ ١٠٥ - ١٠٦ بنحوه، وتاريخ دمشق ١٦/ ٥٣١ بنحوه.
(٥) سقط من: م، وفى ٣١، ٢١: «ذات يوم».
(٦ - ٦) سقط من: م.
(٧) فى ٣١، ٢١: «فأطلق له». وفى م: «فأطلق لى».
(٨) تاريخ دمشق (تراجم النساء) ص ٢١٨.

بينهما . وقيل[1] : إنّه أُهْدِيَتْ له نخلةٌ مِن ذهبٍ ، ثمارُها مِن صنوفِ الجواهرِ المُثمِنةِ ، فقوِّمتْ بألفىْ ألفِ دينارٍ ، وكانت مِن متاعِ الفُرسِ فأعطاها [2]لعبدِ اللَّهِ ابنِ أبى فَرْوةَ[3] . وقيل[4] : إنَّ أخاه عبدَ اللَّهِ كان إذا كتَب لأحدٍ جائزةً بألفِ درهمٍ جعَلها مصعبٌ مائةَ ألفِ درهمٍ[2] .

[5]وقد كان مُصعبٌ مِن أجودِ الناسِ وأكثرِهم عطاءً ، لا يستكثِرُ ما يُعطِى ولو كان ما عسَاه أنْ يكونَ ؛ فكانَتْ عطاياه للقوىِّ والضعيفِ والوضيعِ والشريفِ مُتقارِبةً ، وكان أخوه عبدُ اللَّهِ يُبَخَّلُ[5] .

وروَى الخطيبُ البغدادىُّ فى تاريخه[6] أنَّ مُصعبًا غضِب مرَّةً على رجُلٍ فأمَر بضربِ عنقِه ، فقال له الرجلُ : أعزَّ اللَّهُ الأميرَ ، ما أقبَحَ بمِثلِى أن يقومَ يومَ القيامةِ فيتعلَّقَ بأطرافِك الحسنةِ ، وبوجهِك الذى يُستضاءُ به ، فأقولَ : ياربِّ ، سَلْ مُصعبًا فيمَ قتَلنى ؟ فعفا عنه ، فقال الرجلُ : أعزَّ اللَّهُ الأميرَ ، إنْ رأيتَ [7]أن تجعلَ[7] ما [8]وهبتَ لى[8] مِن حياتى فى عيشٍ رَخِىٍّ[9] . فأطلَق له مائةَ ألفٍ ، فقال الرجلُ :

---

(١) تاريخ دمشق ١٦ /٥٣٢ (مخطوط) ، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٦١ - ٨٠ هـ) ص ٥٢٦، وسير أعلام النبلاء ٤ / ١٤٢.

(٢ - ٢) سقط من : ٣١، ٢١، م، ص.

(٣) فى الأصل : « وفرة » ، والمثبت من مصادر التخريج .

(٤) تاريخ دمشق ١٦ /٥٣٢ (مخطوط) ، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٦١ - ٨٠ هـ) ص ٥٢٦، وسير أعلام النبلاء ٤ / ١٤٢.

(٥ - ٥) سقط من : الأصل .

(٦) تاريخ بغداد ١٣ / ١٠٦. وفيه البيت الأول فقط .

(٧ - ٧) سقط من : ٣١، ٢١، م .

(٨ - ٨) فى ٣١، ٢١، م : « وهبنى » .

(٩) فى م : « رضى » .

إنّى أُشهِدُك أنَّ نصفَها لابنِ قيسِ الرُّقيّاتِ ؛ حيثُ يقولُ فيك[(1)] :

إنما[(2)] مصعبٌ شِهابٌ مِن اللَّهِ تجلَّتْ عنْ وجهِهِ الظَّلمَاءُ

مُلكُهُ مُلْكُ (3)عِزَّةٍ ليسَ فيهِ(3) جَبَروتٌ منهُ ولا كِبرِياءُ

يتَّقى اللَّهَ فى الأمورِ وقدْ أفـ ـلَحَ مَن كان همَّهُ الاتِّقاءُ

(4)وفى روايةٍ أنّه قال له : أيُّها الأميرُ ، قد وهَبتَنى حياةً ، فإنِ استطعْتَ أنْ تجعَلَ ما قد وهَبتَنى مِن الحياةِ فى عيشٍ رَخِيٍّ[(5)] وسَعةٍ فافعَلْ . فأمَر له بمائةِ ألفٍ(4) .

وقال الإمامُ أحمدُ[(6)] : حدّثنا (7)مُؤَمَّلٌ ، حدثنا(7) حمادُ بنُ سلَمةَ ، ثنا علىُّ بنُ زيدٍ[(8)] قال : بلَغ مُصعبًا عن عريفِ الأَنصارِ[(9)] شىءٌ فهَمَّ به ، فدخَل عليه أنسُ بنُ مالكٍ ، فقال له : سمِعتُ رسولَ اللَّهِ ﷺ يقولُ : « استَوْصُوا بالأنصارِ خيرًا - أو قال : معروفًا - اقبَلوا مِن مُحسنِهم وتجاوزوا عن مُسيئِهم » . فألقَى مصعبٌ نفسَه عن سريرِه ، وألزَقَ خدَّه بالبِساطِ ، [٧/٦٤ظ] وقال : أمْرُ رسولِ اللَّهِ ﷺ على

---

(١) الأبيات فى ديوان عبيد الله بن قيس الرقيات : ٩١، ٩٢، والشعر والشعراء ١/ ٥٣٩، والأغانى ٥/٧٩ وفيه البيتان الأولان فقط، وسمط اللآلى ١ / ٢٩٤، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٦١- ٨٠ هـ) ص ٣٤٩.

(٢) فى م: «إن» .

(٣ - ٣) فى م، والشعر والشعراء، وسمط اللآلى : «رحمة ليس فيه». وفى الديوان : «قوة ليس فيه»، وانظر تاريخ الإسلام.

(٤ - ٤) زيادة من: ٣١، ٢١، م، ص.

(٥) فى م: «رضى».

(٦) المسند ٣ /٢٤٠ - ٢٤١.

(٧ - ٧) سقط من: م، وانظر أطراف المسند ١ / ٤٥٠.

(٨) فى م: «يزيد». وانظر تهذيب الكمال ٢٠/ ٤٣٤- ٤٣٦.

(٩) فى م: «الأنصارى».

الرأسِ والعَيْنِ . فتركه .

ومِن كلامِ مُصعبٍ فى التواضُعِ أنّه قال[1] : العجبُ مِن ابنِ آدمَ كيف يتكبَّرُ ، وقد جرَى فى مَجرى البولِ مرَّتيْنِ ؟!

وقال محمدُ بنُ يزيدَ المبرِّدُ[2] : سُئِل القاسمُ بنُ محمدٍ عن مُصعبٍ فقال : كان نبيلًا رئيسًا نفيسًا[3] أنيسًا .

وقد تقدَّم[4] أنَّه لمَّا ظهَر على المختارِ قتَل مِن أصحابِه فى غداةٍ واحدةٍ خمسةَ آلافٍ ، وقيل : سبعةَ آلافٍ . فلمّا كان بعدَ ذلك لقِى ابنَ عمرَ فسلَّم عليه فلم يعرِفْه ابنُ عمَرَ ؛ لأنَّه كان قد انضرَّ فى عينيْه ، (5) فتعرَّف له حتى عرَفه ، فقال(5) : أنت الذى قتَلتَ فى غداةٍ واحدةٍ خمسةَ آلافٍ ممَّن يُوحِّدُ اللَّهَ ؟ فاعتذَر إليه بأنَّهم بايَعوا المختارَ ، فقال : أمَا كان فيهم مَن هو مستكرَهٌ أو جاهلٌ فيُنظَرَ حتى يتوبَ ؟ أرأيتَ لو أنَّ رجلًا جاء إلى غنَمِ الزُّبيرِ فنحَر منها خمسةَ آلافٍ فى غداةٍ واحدةٍ ، أمَا كان مُسرِفًا ؟ قال : بلى . قال : وهى لا تعبُدُ اللَّهَ ولا تعرِفُه كما يعرِفُه الآدَمىُّ ويعبدُه ، فكيفَ بمَن هو موحِّدٌ ؟ ثم قال له : يا بُنىَّ تمتَّعْ مِن الماءِ الباردِ (6) فى الدنيا (6) ما استطعْتَ . وفى روايةٍ أنَّه قال له[7] : عِشْ ما استطعْتَ .

---

(1) تاريخ دمشق ١٦ /٥٣٠ (مخطوط) .
(2) تاريخ دمشق ١٦ /٥٣١ (مخطوط) .
(3) فى الأصل، ٣١، ٢١، م : « تقيا » .
(4) تقدم فى ص ١٤٤، ١٤٥.
(٥ - ٥) فى ٣١، ٢١، م : « فعرفه قال » .
(٦ - ٦) سقط من : ٣١، ٢١، م .
(7) تاريخ الطبرى ٦ /١١٣.

وقال الزبيرُ بنُ بكَّارٍ[1] : حدَّثنى محمدُ بنُ الحسنِ ، عن زافرِ بنِ قُتيبَةَ ، عن الكلبىِّ قال : قال عبدُ الملكِ بنُ مَرْوانَ يومًا لجُلسائِه : مَن أشجعُ العربِ[2] ؟ قالوا : شَبِيبٌ[3] ، قَطَرِىُّ بنُ الفُجاءَةِ ، فلانٌ ، فلانٌ . فقال عبدُ الملكِ : إنَّ أشجعَ العربِ[4] لَرَجُلٌ جمَع بين سُكَيْنةَ بنتِ الحُسينِ ، وعائشةَ بنتِ طلحةَ ، وأمَةِ الحَميدِ بنتِ عبدِ اللَّهِ بنِ عامرِ بنِ كُرَيْزٍ ، (٥وأمُّه ربابُ بنتُ٥) أُنَيْفٍ الكلبىُّ ، سيِّدُ ضاحيةِ العربِ ، وولِى العراقَين خمسَ سنيـنَ فأصاب ألفَ ألفٍ ، وألفَ ألفٍ ، وألفَ ألفٍ[6] ، وأُعْطِى الأمانَ ، فأبَى[7] ، ومشَى بسيفِه حتَّى مات ؛ ذلك مُصْعَبُ ابنُ الزُّبيرِ ، لا مَن قطَع الجسورَ مرَّةً هـٰهنا ومرَّةً هـٰهنا[8] .

قالوا[9] : وكان مَقْتَلُه يومَ الخميسِ النصفِ مِن جُمادَى الأُولى سنةَ اثنتيْنِ وسبعين .

وقـال الزُّبيرُ بنُ بَكَّارٍ[10] : حدَّثَنى فُلَيْحُ بنُ إسماعيلَ وجَعْفَرُ بنُ أبى

---

(١) تاريخ بغداد ١٣ /١٠٦ - ١٠٧، وتاريخ دمشق ١٦ /٥٤١ (مخطوط) .
(٢) بعده فى الأصل : « وأكرم العرب » . وفى ا٣، ا٢، م : « والروم » .
(٣) بعده فى ا٣، ا٢، م : « وقال آخر » .
(٤) فى الأصل : « الناس وأكرم العرب » ، وفى ا٣، ا٢، م ، ص : « الناس » . والمثبت من مصدر التخريج .
(٥ - ٥) فى الأصل ، ص ، وتاريخ دمشق : « ابنة زبان بن » ، وفى ا٣، ا٢، م : « وابنه ريان بن » . والمثبت من تاريخ بغداد ١٣ / ١٠٧، ومختصر تاريخ دمشق ٢٤ / ٣٢٩، وسير أعلام النبلاء ٤ / ١٤١ .
(٦) بعده فى الأصل : « ففرقها فى الناس وهؤلاء الأربع نسوة أعظم أهل زمانهن حسبا وجمالا » ، وبعده فى ا٣، ا٢: « مع ما لنفسه من الأموال وغير ذلك وملك من الأثاث والدواب والأموال ما لا يحصى » ، وبعده فى م : « مع ما لنفسه من الأموال وملك غير ذلك من الأثاث والدواب والأموال ما لا يحصى » .
(٧) فى ا٣، ا٢، م : « وأن يسلم هذا له جميعه مع الحياة فزهد فى هذا كله وأبى واختار القتل على مقام ذل ومفارقة هذا كله » .
(٨) بعده فى ا٣، ا٢، م : « فهذا هو الرجل وهذا هو الزهد » .
(٩) تاريخ دمشق ١٦ /٥٤٣ (مخطوط) .
(١٠) تاريخ بغداد ١٣ /١٠٧، وتاريخ دمشق ١٦ /٥٣٦ (مخطوط) ، وانظر مختصر تاريخ دمشق ٢٤/ ٣٢٨.

كَثيرٍ[1] ، عن أبيه ، قال : لمّا وُضِع رأسُ مُصْعبِ بنِ الزبيرِ بين يَدَى عبدِ الملكِ قال :

لقد أردَى الفوارسَ يومَ عَبْسٍ ... غلامًا[2] غيرَ منَّاعِ المتاعِ

ولا فَرِحٍ بخيرٍ[3] إنْ أتاهُ ... ولا هَلِعٍ مِن الحَدَثانِ لاعِ[4]

ولا وقَّافةٍ[5] والخيلُ تعدُو ... ولا خالٍ كأُنبوبِ اليراعِ [٦٥/٧و]

فقال الرجلُ الذى جاء برأسِه : واللّهِ يا أميرَ المؤمنين لو رأيتَه والرمحُ فى يدِه تارةً ، والسيفُ تارةً ؛ يَفْرِى بهذا ، ويطعَنُ بهذا ، لرأَيتَ رجلًا يملأُ القلبَ والعينَ شجاعةً[6] وإقدامًا ، و[6] لكنَّه لمّا تفرَّقَتْ[7] رجالُه ، وكثُر مَن قصَده وبقِى وحدَه ما زال يُنشِدُ :

وإنّى على المكروهِ عندَ حضورِه ... أُكذِّبُ نَفْسِى والجُفونُ له[8] تُغضِى[9]

وما ذاك مِن ذُلٍّ ولكنْ حفيظةً ... أذُبُّ بها عندَ المكارمِ عن عِرضِى

وإنِّى لأهلِ الشَّرِّ بالشَّرِّ مَرصَدٌ ... وإنِّى لِذى سِلْمٍ أذَلُّ مِن الأرضِ

فقال عبدُ الملكِ : كان واللّهِ كما وصَف به نفسَه وصدَق ، ولقد كان مِن أحبِّ النّاسِ إلىَّ ، وأشَدِّهم لى إلْفًا ومودَّةً ، ولكنَّ المُلْكَ عقيمٌ .

---

(١) فى ٣١، ٢١، م : « بشير » .
(٢) فى الأصل، م : « غلام » .
(٣) فى ٣١، ٢١، م : « بخير » .
(٤) يقال : رجل هاعٌ لاعٌ، ولاعٍ. يعنى : جبان ضعيف. التاج (ل و ع) .
(٥) فى الأصل، ٣١، ٢١، م : « رقابة » . والوقاف : المحجم عن القتال. اللسان (و ق ف) .
(٦ - ٦) سقط من : م .
(٧) بعده فى ٣١، ٢١، م : « عنه » .
(٨) فى م : « فلم » .
(٩) فى تاريخ بغداد، وتاريخ دمشق، ومختصر تاريخ دمشق : « تنضى » .

وروَى يعقوبُ بنُ سفيانَ[1] ، عن سليمانَ بنِ حربٍ ، عن غسّانَ بنِ مُضَرَ ، عن سعيدِ بنِ يزيدَ ، أن عبيدَ اللَّهِ بنَ زيادِ بنِ ظَبيانَ قتَل مُصْعبًا عندَ دَيرِ الجاثليقِ على شاطئِ نهرٍ يُقالُ له : دُجَيلٌ . مِن أرضِ مَسْكِنَ ، واحتَزَّ رأسَه فذهَب به إلى عبدِ الملكِ فسجَد شكرًا للَّهِ ، وكان ابنُ ظَبيانَ فاتكًا رديًّا[2] ، وكان يقولُ : لَيتنى قتَلتُ عبدَ الملكِ حينَ سجَد يومئذٍ ، فأكونَ قد قتَلتُ مَلِكَىِ العربِ .

قال يعقوبُ[3] : وكان ذلك سنةَ ثِنْتينِ وسبعينَ . [4]قلتُ : وكذا قال علىُّ بنُ محمدٍ المدائنىُّ[5] . والذى رجَّحه ابنُ جريرٍ وغيرُه[6] أنَّه سنةَ إحدى وسبعينَ[4] . واللَّهُ أعلمُ .

وحكى الزبيرُ بنُ بكَّارٍ[7] فى عُمرِه يومَ قتِل ثلاثةَ أقوالٍ ؛ أحدُها خمسٌ وثلاثون سنةً ، والثانى أربعونَ سنةً ، والثالثُ خمسٌ وأربعون سنةً . فاللَّهُ أعلمُ .

وروى الخطيبُ البغدَادِىُّ[8] ، أنَّ امرأتَه سُكينةَ بنتَ الحسينِ كانت معه فى هذه الوقعةِ[9] فلمّا قُتِل تطلَّبته فى القَتْلى حتى عرَفَته بشامةٍ فى فَخِذِه[10]

(١) تاريخ بغداد ١٣ / ١٠٧، ١٠٨ مختصرا، وتاريخ دمشق ١٦ / ٥٤٠ (مخطوط)، مختصرا.

(٢) فى ص: «رديا».

(٣) تاريخ بغداد ١٣ / ١٠٨، وتاريخ دمشق ١٦ /٥٤٣ (مخطوط).

(٤ - ٤) سقط من: ٣١، ٢١، م.

(٥) تاريخ دمشق ١٦ /٥٤٤ (مخطوط)، وانظر تاريخ الطبرى ٦ / ١٦٢.

(٦) تاريخ دمشق ١٦ /٥٤٣ (مخطوط).

(٧) تاريخ بغداد ١٣ / ١٠٨، وتاريخ دمشق ١٦ / ٥٤٤.

(٨) تاريخ بغداد ١٣ / ١٠٨، وانظر تاريخ دمشق ١٦ / ٥٤٠.

(٩) بعده فى الأصل: «فلما أيقنت أنه مقتول نادت وامصعباه فقال مصعب لو سمعت منك هذا الكلام قبل هذا اليوم ما قمت هذا المقام يعنى أنها ما كانت تظهر له محبتها فلما علم بحبها إياه ندم على إقدامه على الموت».

(١٠) فى م: «خده».

فقالت : نِعمَ بعلُ المرأةِ المسلمةِ كنتَ ، أدركك واللَّهِ ما قال عنترةُ[1] :

وحليلِ[2] غانيةٍ تركتُ مُجدَّلًا[3] بالقاعِ لم يعهَدْ ولم يتثلَّمِ

[٦٥/٧ظ] فهتَكتُ بالرُّمحِ الطويلِ إهابَهُ ليسَ الكريمُ على القَنا بمحرَّمِ

قال الزبيرُ[4] : وقال عبيدُ[5] اللَّهِ بنُ قيسِ الرقياتِ يَرْثِى مصعبًا :

لقدْ أورثَ المِصْرَينِ خِزْيًا[6] وذِلَّةً قتيلٌ بدَيرِ الجاثَلِيقِ مُقيمُ

فما نصَحتْ للَّهِ بكرُ بنُ وائلٍ ولا صدَقَتْ يومَ اللقاءِ تميمُ

ولو كان بَكْرِيًّا تعطَّفَ[7] حولَهُ كتائبُ [8]يَغْلى حَمْيُها[8] ويدومُ

ولكنَّهُ ضاعَ الذِّمامُ ولم يكُنْ بها مُضَرِىٌّ يومَ ذاكَ كريمُ

جزَى اللَّهُ كوفيًّا هناكَ ملامةً وبَصْرِيَّهم[9] إنَّ الملومَ مَلومُ

وإنَّ بَنِى العَلَّاتِ أَخْلَوْا ظُهُورَنا ونحنُ صَرِيحٌ بينهمْ[10] وصميمُ

فإنْ [11]نَفْنَ لا يَبقَى[11] أولئك بعدَنا لِذِى حُرْمةٍ فى المسلمينَ حريمُ

---

(١) البيتان فى الديوان ١٠٢، وجمهرة أشعار العرب ٢ /٤٩٤ - ٤٩٦.

(٢) فى ٣١، ٢١، م: «خليل».

(٣) في م: «مجندلًا».

(٤) الأخبار الموفقيات ٥٣٣ بنحوه، وانظر تاريخ بغداد ١٣ /١٠٨، وتاريخ دمشق ١٦ / ٥٤٤.

(٥) فى النسخ: «عبد». والمثبت من مصدر التخريج، والأبيات فى ديوان عبيد اللَّه بن قيس ١٩٦.

(٦) فى النسخ: «حزنًا»، والمثبت من مصادر التخريج، وانظر مختصر تاريخ دمشق ٢٤ / ٣٣١.

(٧) فى م : «يعطف».

(٨ - ٨) فى ٣١: «قد جرونها»، وفى ٢١: «حرها»، وفى حاشيتها: «يحدرها»، وفى م: «يبقى حرها».

(٩) فى الأصل، ٣١، ٢١، ص: «نصرتهم».

(١٠) سقط من: الأصل، وفى ٣١، ٢١، ص: «منهم».

(١١ - ١١) فى الأصل: «تبقين لا تبق»، وفى ٣١: «تفن لا تبقى».

وقال (١عبيدُ(٢) اللَّهِ بنُ قيسِ الرقياتُ يرثى مصعبًا أيضًا١) :

نَعَتِ السَّحائبُ والغَمامُ بأسرِها جسدًا بمسكِنَ عارِىَ الأوصالِ
تُمسِى عوائذه السِّباعُ ودارُهُ بمنازِلٍ أطلالُهُنَّ بَوالِى
رحَلَ الرِّفاقُ وغادَروهُ ثاوِيًا للرِّيحِ بينَ صَبًا وبينَ شَمالِ

وقد قال أبو حاتمٍ الرَّازىُّ(٣) : ثنا يَحيى بنُ مصعبٍ الكلبىُّ ، ثنا أبو بكرِ بنُ عيَّاشٍ ، عن عبدِ الملكِ بنِ عُميرٍ قال : دخَلتُ القصرَ بالكوفةِ فإذا رأسُ الحسينِ بنِ علىٍّ علَى تُرْسٍ بينَ يَدَى عبيدِ اللَّهِ بنِ زيادٍ ، وعبيدُ اللَّهِ على السَّريرِ ، ثم دخلتُ القصرَ بعد ذلك بحينٍ فرأيتُ رأسَ عبيدِ اللَّهِ بنِ زيادٍ على تُرْسٍ بينَ يَدَيِ المختارِ ، والمختارُ على السَّريرِ ، ثم دخلتُ القصرَ بعدَ ذلك بحينٍ فرأيتُ رأسَ المختارِ (٤على تُرْسٍ٤) بينَ يَدَىْ مصعبٍ ، ومصعبٌ على السَّريرِ ، ثم دخلتُ (٥بعدَ ذلك بحينٍ٥) فرأيتُ رأسَ مصعبِ بنِ الزبيرِ على تُرسٍ بينَ يَدَىْ(٦) عبدِ الملكِ ، وعبدُ الملكِ على السَّريرِ . وقد حكاها الإمامُ أحمدُ ، وغيرُ واحدٍ(٧) ، عن عبدِ الملكِ بنِ عُميرٍ رحِمه اللَّهُ(٨) .

(١ - ١) زيادة من : ٣١، ٢١، م .
(٢) فى ٣١، ٢١، م : « عبد » ، وانظر الديوان ١٩١ .
(٣) تاريخ دمشق ٥٤١/١٦ (مخطوط) .
(٤ - ٤) زيادة من : م .
(٥ - ٥) فى الأصل : « القصر بعد ذلك بحين » ، وفى ٣١، ٢١، م : « القصر بعد حين » .
(٦) سقط من : م .
(٧) انظر تاريخ دمشق ١٦ /٥٤١ (مخطوط) .
(٨) بعده فى : ٣١، ٢١، م : « فصل : وكان لمصعب من الولد عكاشة وعيسى الذى قتل معه ، وسكينة ، وأمهم فاطمة بنت عبد اللَّه بن السائب ، وعبد اللَّه ، ومحمد وأمهما عائشة بنت طلحة ، وأمها أم كلثوم بنت أبى بكر الصديق ، وجعفر ومصعب وسعيد وعيسى الأصغر ، والمنذر لأمهات شتَّى ، والرباب وأمها سكينة بنت الحسين بن على بن أبى طالب رضى اللَّه عنه وعنهم » .
قلت : وفى هذا الكلام خطأ وتخليط فى أسماء أولاد مصعب وأمهاتهم ، وهو كلام مخالف لمصادر ترجمته .

قال ابنُ جريرٍ[1] : وذكر أبو زيدٍ ، عن أبى غسَّانَ محمدِ بنِ يحيى ، حدَّثنى مصعبُ بنُ عثمانَ قال : لمَّا انتهَى إلى عبدِ اللَّهِ بنِ الزبيرِ قَتْلُ أخيهِ مصعبٍ ، قام فى الناسِ خطيبًا فقال : الحمدُ للَّهِ الذى له الخلقُ والأمرُ ، يؤتِى المُلْكَ مَن يَشاءُ وينزِعُ المُلْكَ مِمَّن يَشاءُ ، ويُعِزُّ مَن يشاءُ ويُذِلُّ مَن يشاءُ[2] ، ألا وإنَّه لم يُذِلَّ اللَّهُ مَن كان الحقُّ معه ، وإنْ كان فردًا وحدَه ، ولن يُفلِحَ مَن كان وليَّه الشيطانُ وحزبُه ، ولو كان معه الأنامُ طُرًّا[3] ، ألا وإنَّه أتانا مِن العراقِ [٦٦/٧و] خبرٌ أحزَننا وأفرحَنا ؛ أتانا قَتْلُ مصعبٍ رحِمه اللَّهُ[4] ، فأمَّا الذى أفرحَنا فعِلمُنا أنَّ قتْلَه له شهادةٌ ، وأمَّا الذى أحزَننا فإنَّ لِفراقِ الحميمِ لوعةً يجِدُها حميمُه عندَ المصيبةِ به ، ثُمَّ يرعَوِى مِن بَعْدِها ، وذو الرأْيِ جميلُ الصبرِ كريمُ العزاءِ ، ولئن أُصِبتُ بمصعبٍ فلقد أُصِبتُ بالزبيرِ قبلَه ، وما أنا مِن عثمانَ بخِلْوِ مصيبةٍ ، وما مصعبٌ إلا عبدٌ مِن عَبيدِ اللَّهِ ، وعونٌ مِن أعوانى ، ألا وإنَّ أهلَ العراقِ أهلُ الغدرِ والنِّفاقِ ؛ أسلَمُوه وباعُوه بأقلِّ الثمنِ ، فإنْ يُقتَلْ فإنَّا واللَّهِ ما نموتُ على مَضاجِعِنا كما تموتُ بنو أبى العاصِ ؛ واللَّهِ ما قُتِل منهم رجلٌ فى زحفٍ فى الجاهليةِ ولا فى الإسلامِ ، وما نموتُ إلَّا بأطرافِ الرِّماحِ أو تحتَ ظلِّ السيوفِ[5] ، ألَا وإنَّ الدنيا عاريةٌ مِن المَلِكِ الأعلَى الذى لا يَزولُ سلطانُه ولا يَبيدُ مُلْكُه ، فإنْ تُقْبِلِ الدُّنيا لا آخُذْها أخْذَ الأشِرِ البَطِرِ ، وإنْ تُدبِرْ لا أَبْكِ عليها بكاءَ الحزينِ[6] المَهِينِ ، أقولُ قولِى هذا وأستغفرُ اللَّهَ لى ولكم .

---

(١) أخرجه الطبرى فى تاريخه ٦ / ١٦٦، من طريق يزيد به، بنحوه.

(٢) بعده فى الأصل: «بيده الخير وهو على كل شىء قدير».

(٣) زيادة من: م.

(٤) بعده فى ٣١، ٢١، م: «فأحزننا».

(٥) بعده فى ٣١، ٢١، م: «فإن بنى أبى العاص يجمعون الناس بالرغبات والرهبات، ثم يقاتلون بهم أعداءهم ممن خير منهم وأكرم، ولا يقاتلون بأنفسهم زحفًا».

(٦) فى تاريخ الطبرى: «الحرِق». وبعده فى ٣١، ٢١، م: «الأسف».

ومِمَّن تُوفِّى فى هذه السَّنةِ مِن الأَعيانِ :

إبراهيمُ بنُ الأشترِ[1] ، [2]واسمُ الأشتَرِ مالكُ بنُ الحارثِ النَّخَعِىُّ . كان أبوه الأشترُ مِن كبارِ أُمراءِ علىٍّ ، واستعمَله علىٌّ على خراسانَ ، وهو مِمَّن[2] قام على عثمانَ وقتَله ، وكان إبراهيمُ هذا مِن الأُمراءِ[3] المعروفينَ بالشجاعةِ وله شرفٌ ، وهو الذى قتَل عبيدَ اللَّهِ بنَ زيادٍ كما ذكَرْنا[4] ، [5]ثم صار إلى مصعبِ بنِ الزبيرِ ، وقتِل معه هذه السَّنةَ كما ذكَرْنا[6] .

عبدُ الرحمنِ بنُ أبزَى الخُزاعىُّ[7] ، له صحبةٌ وروايةٌ ، واستعمَله علىٌّ على خراسانَ ، وسكَن الكوفةَ ووليها مرةً . تُوفى بالكوفةِ[5] .

عبدُ الرحمنِ بنُ عُسَيلةَ[8] **أبو عبدِ اللَّهِ المرادىُّ**[9] **الصُّنابحىُّ**[10] ، كان مِن الصُّلحاءِ ، وكان عبدُ الملكِ يُجلِسُه معه على السَّريرِ ، وكان عالمًا فاضلًا ، تُوفى بدمشقَ .

---

(1) ترجمته فى : جمهرة أنساب العرب ٤١٥، سير أعلام النبلاء ٤ / ٣٥، تاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٦١ - ٨٠ هـ) ص ٣٤٤، العبر ١ / ٨١، الوافى بالوفيات ٦ / ٩٩، مرآة الجنان ١ / ١٤٨.

(٢ - ٢) سقط من : ٣١ ، ٢١ ، م ، ص .

(٣) زيادة من : الأصل.

(٤) انظر ما تقدم فى ص ٤٧.

(٥ - ٥) سقط من : ٣١، ٢١، م، ص.

(٦) انظر ما تقدم فى ص ١٣٩.

(٧) الاستيعاب ٢ / ٨٢٢، وأسد الغابة ٣ /٤٢٢ - ٤٢٣، والإصابة ٤ /٢٨٢ - ٢٨٣.

(٨) فى م : «غسيلة». وانظر ترجمته فى : الاستيعاب ٢ / ٨٤١، وأسد الغابة ٣ / ٤٧٥، والإصابة ٥/ ١٠٥.

(٩) فى ٢١: «ابن المرادى».

(١٠) بعده فى الأصل : «نزيل الشام هاجر إلى المدينة فتوفى قبل قدوم النبى ﷺ» . والذى فى ترجمته أنه هاجر إلى المدينة ،فلما وصل إلى الجحفه لقية الخبر بوفاة النبى ﷺ قبله بخمسة أيام .

(1) **عمرُ بنُ أبى سلمةَ**(1) **المخزومىُّ المدنىُّ**، ربيبُ النبىِّ ﷺ، وِلد بأرضِ الحبشةِ (2) وكان عندَ أُمِّه؛ أُمِّ سَلَمةَ. وله رواياتٌ عن النبىِّ ﷺ، وعن جماعةٍ مِن الصحابةِ رضِى اللَّهُ عنهم (2).

سَفينةُ مَوْلى رسولِ اللَّهِ ﷺ، أبو عبدِ الرحمنِ(3)، كان عبدًا لأمِّ سَلَمةَ فأعتقَتْه وشرَطَتْ عليه أنْ يخدِمَ رسولَ اللَّهِ ﷺ(4)، (5) فقال: أنا لا أزالُ أخدِمُ رسولَ اللَّهِ ﷺ، لو لم تُعتقِينى ما عشتُ. وقد كان سفينةُ بآلِ رسولِ اللَّهِ ﷺ أليفًا، وبهم خليطًا. وروَى الطبرانىُّ(6) أنَّ سفينةَ سُئِل عن اسمِه؛ لِمَ سُمِّى سفينةَ؟ قال: سمَّانى رسولُ اللَّهِ ﷺ سفينةَ؛ خرَج مرَّةً ومعه أصحابُه فثقُل عليهم متاعُهم، فقال لى رسولُ اللَّهِ ﷺ: «ابسُطْ كساءَك». فبسطتُه(7)، (8) فجعَل فيه متاعَهم، ثم قال لى: «احمِلْ، ما أنتَ إلَّا سفينةٌ (8)». قال: فلو حملتُ يومئذٍ وِقْرَ بعيرٍ أو بعيرَيْنِ أو خمسةٍ أو ستةٍ ما ثقُل علىَّ.

وروَى محمدُ بنُ المنكَدرِ(9)، عن سفينةَ قال: ركِبتُ مرَّةً سفينةً فى البحرِ (5)

(1 - 1) فى م: «عمر بن سلمة». وترجمته فى: الاستيعاب 3 / 1159، وأسد الغابة 4 / 183، والإصابة 4 / 592.

(2 - 2) زيادة من: الأصل.

(3) الاستيعاب 2 / 684، وأسد الغابة 2 / 411، والإصابة 3 / 132. وتقدم ذكره فى باب ذكر عبيد الرسول وخدمه ﷺ، فى 8 / 261.

(4) بعده فى الأصل: «ما عاش وله روايات توفى بالمدينة».

(5 - 5) سقط من: الأصل، ص.

(6) المعجم الكبير 7 /96 - 97 (6439). وقد تقدم تخريج الحديث - عند غير الطبرانى - فى 8/261 - 262.

(7) فى ا 2: «فبسطه».

(8 - 8) سقط من: ا 2.

(9) تقدم تخريجه فى 8 / 263.

(١) فانكسرتْ بنا فركِبتُ لوحًا منها فطرَحنى البحرُ إلى غَيْضةٍ فيها الأسدُ ، فجاءنى فقلتُ : يا أبا الحارثِ ، أنا سفينةُ مَوْلَى رسولِ اللَّهِ ﷺ ، فطَأْطأ رأسَه وجعَل يدفَعُنى بجنبِه أو بكفِّه ، حتى وضَعَنى على الطريقِ ، ثم هَمهَم هَمهمةً فظننتُ أنَّه يُودِّعُنى .

وقال حمادُ بنُ سلمةَ(٢) : ثنا سعيدُ بنُ جُمْهانَ ، عن سفينةَ أنَّ رسولَ اللَّهِ ﷺ دخَل بيتَ فاطمةَ فرأى فى ناحيةِ البيتِ قِرامًا(٣) مضروبًا فرجَع ولم يدخُلْ ، فقالتْ فاطمةُ لعلىٍّ : سَلْ رسولَ اللَّهِ ﷺ ما الذى رَدَّه ؟ فسأَلَه فقال : « ليس لى ولا لنبىٍّ أنْ يَدخُلَ بيتًا مزوَّقًا » (١) .

عمرُو(٤) بنُ أخطَبَ أبو زيدٍ الأنصارىُّ الأعرجُ(٥) ، غزا مع النبىِّ [٦٦/٧ظ] ﷺ ثلاثَ عشْرةَ غزوةً ، (٦) ومسَح رأسَه وقال(٧) : « اللهمَّ جمِّلْه » . فبَلغ مائةَ سنةٍ ولم يَبْيَضَّ شَعْرُه . توفِّى بالبصرةِ(٦) .

(٨) **غُضَيفُ بنُ الحارثِ بنِ زُنَيْمٍ السَّكُونىُّ(٩)** ، مختلَفٌ فى صحبتِه ، له(٨)

(١ - ١) سقط من : الأصل ، ص .

(٢) أخرجه أبو داود (٣٧٥٥) ، وابن ماجه (٣٣٦٠) ، والإمام أحمد فى المسند ٥ / ٢٢٠ - ٢٢١، ٢٢٢. حسن (صحيح سنن أبى داود ٣١٩٤) .

(٣) القرام : ستر فيه رقم أو نقوش .

(٤) فى النسخ : «عمر» . والمثبت من مصادر ترجمته المذكورة فى الحاشية التالية .

(٥) الاستيعاب ٤ / ١٦٦٤، وأسد الغابة ٦ / ١٢٨، والإصابة ٤ / ٥٩٩، ٧ / ١٥٨.

(٦ - ٦) زيادة من : الأصل .

(٧) أخرجه الإمام أحمد فى المسند ٥ / ٧٧، ٣٤١، والترمذى (٣٦٢٩) . وفى الموضع الثانى عند أحمد ، وكذا عند الترمذى القصة فقط دون اللفظ . قال الترمذى : هذا حديث حسن غريب . قال الألبانى : صحيح (صحيح سنن الترمذى ٢٨٦٩) .

(٨ - ٨) سقط من : ٣١، ٢١، م ، ص .

(٩) الاستيعاب ٣ / ٢٥٤، وأسد الغابة ٤ / ٣٤٠، والإصابة ٥ / ٣٢٣.

(١روايات عن الصحابةِ ، قيل : هو مِن تابِعى أهلِ الشامِ . سكَن حِمصَ ، وكان يتولَّى صلاةَ الجمعةِ نيابةً عن خالدِ بنِ يزيدَ . وكان مِن الصالحين١) .

يزيدُ بنُ الأسودِ الجُرَشىُّ السَّكونىُّ(٢) ، كان عابدًا زاهدًا صالحًا ، سكَن الشامَ بقريةِ زبدِينَ(٣) ، وقيل : بقريةِ جِسْرِينَ(٤) . وكانت له دارٌ داخلَ بابِ شَرقىٍّ . وهو مُختلَفٌ فى صُحبتِه ، وله رواياتٌ عن الصحابةِ ، وكان أهلُ الشامِ يَستسقُون به إذا قحَطوا ، وقد استسقَى به معاويةُ ، والضحاكُ بنُ قيسٍ ، وكان يُجلِسُه معه على المِنبرِ ، (٥فإذا اجتمَع الناسُ٥) قال معاويةُ : قُمْ يزيدُ ، اللهمَّ إنّا نَتوسَّلُ إليك بخِيارِنا وصُلحائِنا . فيَستسقِى اللَّهَ فيُسقَون ، وكان يصلِّى الصلواتِ فى الجامعِ بدمشقَ ، وكان إذا خرَج مِن القريةِ يريدُ الصلاةَ بالجامعِ فى الليلةِ المظلمةِ يُضىءُ له إبهامُ قدمِه - وقيل : أصابعُ رجليه كُلُّها - حتى يدخلَ الجامعَ ، فإذا رجَع أضاءت له حتى يدخلَ القريةَ . وذكَروا أنَّه لم يَدَعْ شجرةً فى قريةِ زبدينَ(٦) إلَّا صلَّى عندَها ركعتينِ ، وكان يمشى فى ضوءِ إبهامِه فى الليلةِ المظلمةِ ذاهبًا إلى صلاةِ العشاءِ بالجامعِ بدمشقَ ، وآيبًا إلى قريتِه ، وكان يَشهدُ الصلواتِ بالجامعِ بدمشقَ لا تفوتُه به صلاةٌ .

مات بقريةِ زبدينَ(٦) أو جِسْرينَ(٧) مِن غُوطةِ دمشقَ ، رحِمه اللَّهُ .

(١ - ١) سقط من : ٣١، ٢١، م، ص .
(٢) سقط من الأصل . وترجمته فى : الاستيعاب ٤ / ١٥٧٠، وأسد الغابة ٥ / ٤٧٦، والإصابة ٦/ ٦٩٧.
(٣) فى الأصل ، ٣١، م : « زيد بن » . وزبدين : قرية فى الغوطة الشرقية شرق دمشق ، سير أعلام النبلاء ٤/ ١٣٦، حاشية (٤) .
(٤) فى الأصل ، ٢١ ، ص : « جزين » . وفى ٣١، م : « جرين » . وجسرين - بكسر الجيم - : من قرى غوطة دمشق . مرصد الأطلاع ١/٣٣٤ .
(٥ - ٥) سقط من : م، ص .
(٦) فى ٢١: « زيدين » .
(٧) فى ٢١، م : « جرين » .

(1) **عمرُو بنُ الأسودِ ، أبو عياضٍ العَنسىُّ الحِمصىُّ** ، مِن كبارِ علماءِ التابعين بالشامِ ، صاحبُ زهدٍ وعبادةٍ واجتهادٍ ، قليلُ التشيُّعِ . توفِّى بحمصَ (1) .

(1 - 1) سقط من : 31، 21، م، ص . وانظر ترجمته فى : تاريخ دمشق ١٣ /٣٩٠ (مخطوط) ، وأسد الغابة ٤ / ١٩٢، والإصابة ٥ /١٥٩ وسير أعلام النبلاء ٤ /٧٩ ، ٨٠ ، وتاريخ الاسلام (حوادث ووفيات ٦١ - ٨٠ هـ) ص ٤٩٠.

ثم دخلت سنة ثِنتين وسبعين

ففيها كانت وقعةٌ عظيمةٌ بينَ المُهَلَّبِ بنِ أبى صُفْرةَ وبينَ الأزارقةِ مِن الخوارجِ بمكانٍ يُقالُ له : سُولَافُ[1] . مكَثوا نحوًا مِن ثمانيةِ أشهرٍ متواقفِين[2] ، وجرَت بينَهم حروبٌ يَطولُ بسطُها ، وقد استقصاها ابنُ جريرٍ[3] . وقتِل فى أثناءِ ذلك مِن هذه المدَّةِ مصعبُ بنُ الزبيرِ ، [4]وبايَع الناسُ عبدَ[4] الملكِ بنَ مَرْوانَ ، وأمَّرَ عبدُ الملكِ المهلَّبَ بنَ أبى صُفْرةَ على الأهوازِ وما معها ، وشكَر سعيَه ، وأثنَى عليه ثناءً كثيرًا ، ثم تواقَع الناسُ فى دولةِ عبدِ الملكِ بالأهوازِ ، فكسَر الناسُ الخوارجَ كَسْرةً عظيمةً ، وهرَبُوا فى البلادِ لا يَلوُونَ [5]بل يُولوِلون[5] ، واتَّبَعهم خالدُ بنُ عبدِ اللَّهِ أميرُ الناسِ ، وداوُدُ بنُ قَحْذَمَ[6] ليَطرُدوهم[7] ، وأرسَل عبدُ الملكِ إلى أخيه بشرِ بنِ مَرْوانَ أن يُمِدَّهم[8] بأربعةِ آلافٍ ، [9]فبعَث إليه أربعةَ آلافٍ[9] عليهم عتَّابُ ابنُ ورقاءَ ، فطرَدوا الخوارجَ كُلَّ مَطردٍ ، ولكنْ لقِى الجيشُ جَهْدًا عظيمًا وماتتْ

---

(١) فى م : « سولاق » . وسولاف : قرية غربى دجيل من أرض خوزستان . معجم البلدان ٣ / ١٩٦.

(٢) فى ٢١: « متوافقين » .

(٣) تاريخ الطبرى ٦ / ١٦٨.

(٤ - ٤) سقط من : ٣١، ٢١، م، ص.

(٥ - ٥) فى ٣١، ٢١، م: « على أحد » .

(٦) فى الأصل : « مجدم » . وفى ٣١، م : « محتدم » . وفى ٢١: « محيدم » . وفى ص : « مخدم » . والمثبت من الطبرى ٦ / ١٧٣، وانظر الكامل ٤ / ٣٤٤.

(٧) فى ٣١، ٢١، م : « فطردوهم » . وفى ص : « ليطردهم » .

(٨) فى الأصل، ص: « يمده » .

(٩ - ٩) سقط من: ص.

خيولُهم ولم يرجِعْ أكثرُهم[1] إلّا مشاةً إلى أهلِيهم .

قال ابنُ جريرٍ[2] : وفى هذه السنةِ كان خروجُ أبى فُدَيْكٍ الحارثىِّ ، وهو مِن بنى[3] قيسِ بنِ ثعلبةَ ، وغلَب على البحرَيْن ، وقتَل نجدةَ بنَ عامرٍ الحارثىَّ ، فبعَث إليه خالدُ بنُ عبدِ اللَّهِ أميرُ البصرةِ أخاه أميةَ بنَ عبدِ اللَّهِ[4] فى جيشٍ كثيـفٍ ، فهـزَمهم أبو فُدَيْكٍ وأخَذ جاريةً لأميَّةَ واصطفاها لنفسِه ، وكتَب [٦٧/٧و] خالدُ بنُ عبدِ اللَّهِ أميرُ البصرةِ إلى عبدِ الملكِ يُعلِمُه بما وقَع ، واجتمَع على خالدٍ حربُ[5] أبى فُدَيْكٍ ، وحربُ[5] الأزارقةِ أصحابِ قَطَرِىِّ بنِ الفُجاءَةِ بالأهوازِ .

قال ابنُ جريرٍ[6] : وفيها بعَث عبدُ الملكِ بنُ مروانَ الحجاجَ بنَ يوسفَ الثقفىَّ إلى عبدِ اللَّهِ بنِ الزبيرِ ليحاصِرَه بمكةَ ، قال : وكان السببَ فى بعثِه له دونَ غيرِه ، أنَّ عبـدَ الملكِ بنَ مروانَ لمّا أراد الرجوعَ إلى الشامِ بعدَ قتلِه مصعبًا وأَخْذِه العراقَ ، ندَب الناسَ إلى قتالِ عبدِ اللَّهِ بنِ الزبيرِ بمكةَ فلم يُجِبْه أحدٌ إلى ذلك ، فقام الحجاجُ ، وقال : يا أميرَ المؤمنيـنَ ، أنا له . وقَصَّ الحجاجُ على عبدِ الملكِ منامًا زعَم أنَّه رآه ؛ قال : رأيتُ يا أميرَ المؤمنيـنَ كأنِّى أخذتُ عبدَ اللَّهِ بنَ الزبيرِ فسلختُه ، فابعَثْ بى إليه فإنِّى قاتلُه . فبعَثه فى جيشٍ كثيفٍ مِن أهلِ الشامِ وكتَب معه أمانًا لأهلِ مكةَ إن هم أطاعوا .

---

(١) فى ص : « إلا أكثرهم » .

(٢) تاريخ الطبرى ٦ / ١٧٤.

(٣) سقط من : م .

(٤) بعده فى ٢١: « أمير البصرة » .

(٥) فى ٣١، : « حزب » .

(٦) تاريخ الطبرى ٦ / ١٧٤.

قالوا : فخرَج الحجاجُ فى جُمادَى مِن هذه السنةِ ومعه ألفَا فارسٍ مِن أهلِ الشامِ ، فسلَك طريقَ العراقِ ولم يعرِضْ للمدينةِ حتى نزَل الطائفَ ، وجعَل يبعَثُ البعوثَ إلى عرفةَ ، ويرسِلُ ابنُ الزبيرِ الخيولَ فيلتقِيان فتُهزَمُ خيلُ ابنِ الزبيرِ ، وتظفَرُ خيلُ الحجاجِ ، ثم كتَب الحجاجُ إلى عبدِ الملكِ يستأذِنُه فى دخولِ الحرمِ ومحاصرةِ ابنِ الزبيرِ ؛ فإنَّه قد كَلَّتْ شوكتُه[1] ، وتفرَّقَ عنه عامَّةُ أصحابِه ، وسأَلَه أن يَمُدَّه برجالٍ أيضًا ، فكتَب عبدُ الملكِ إلى طارقِ بنِ عمرٍو يأمُرُه أن يَلحَقَ بمَنْ معه بالحجاجِ - [2]وكان طارقٌ يتولَّى المدينةَ لعبدِ الملكِ ، وكان قد أمَرَه عبدُ الملكِ أن يكونَ مقيمًا بوادِى القرَى بمَن معه مِن جيشِ المدينةِ وغيرِها ، وكان فى نحوِ خمسةِ آلافٍ ، مِن الشامِ منهم ثلاثةُ آلافٍ[2] - وارتحَل الحجاجُ مِن الطائفِ فنزَل بئرَ ميمونٍ[3] ، وحصَر ابنَ الزبيرِ بالمسجدِ ، فلمّا دخَل ذو الحِجَّةِ حجَّ بالناسِ الحجاجُ فى هذه السنةِ ، وعليه وعلى أصحابِهِ السلاحُ وهم وقوفٌ بعرفاتٍ ، وكذا فيما بعدَها [4]مِن المشاعرِ[4] ، وابنُ الزبيرِ مَحصورٌ لم يتمكَّنْ مِن الحجِّ هذه السنةَ ، بل نحَر بُدْنًا يومَ النحرِ ، وهكذا لم يتمكَّنْ كثيرٌ [5]ممَّن معه مِن الحجِّ ، وكذا لم يتمكَّنْ كثيرٌ[5] ممَّن مع الحجاجِ وطارقِ بنِ عمرٍو أن يَطوفوا بالبيتِ ، فبقُوا على إحرامِهم لم يحصُلْ لهم التحلُّلُ الثانى ، والحجاجُ وأصحابُه نُزولٌ بينَ الحَجونِ [6]وبئرِ ميمونٍ[6] ، فإنَّا للَّهِ وإنَّا إليه راجعونَ .

---

(1) بعده فى ٣١، ٢١، م : « وملت جماعته » .
(٢ - ٢) زيادة من : الأصل .
(3) فى ٣١، ٢١، م : « ميمونة » . وميمون : بئر بمكة . معجم البلدان ٤ / ٧١٩.
(٤ - ٤) زيادة من : ٣١، ٢١، م .
(٥ - ٥) سقط من : الأصل، ص .
(٦ - ٦) فى ٣١ : « بين ميمون » ، وفى ٢١: « بين ميمونة » . وانظر حاشية (٣) .

قال ابنُ جريرٍ[1] : وفى هذه السنةِ كتَب عبدُ الملكِ إلى عبدِ اللَّهِ بنِ خازمٍ[2] أميرِ خُراسانَ يدعوه إلى بيعتِه ويُقْطِعُه خُراسانَ سبعَ سنينَ ، فلمَّا وصَل إليه [٧/٦٧ظ] الكتابُ قال للرسولِ : بعَثك أبو الذِّبّانِ[3] ؟ واللَّهِ لولا أنَّ الرُّسُلَ لا تُقتَلُ لقتلتُكَ ، ولكنْ كُلْ كتابَه . فأكَله ، وبعَث عبدُ الملكِ إلى بُكيرِ[4] بنِ وِشاحٍ نائبِ ابنِ خازمٍ على مروَ يعِدُه[5] بإمرةِ خُراسانَ إن هو خلَع عبدَ اللَّهِ بنَ خازمٍ ، فخلَعه ، فجاءه ابنُ خازمٍ فقاتَله فقتِل فى المعركةِ عبدُ اللَّهِ بنُ خازمٍ[6] ؛ قتَله رجلٌ يُقال له : وَكِيعُ بنُ عُميرةَ . لكنْ كان قد ساعَده غيرُه ، فجلَس وكيعٌ على صدرِه وفيه رَمَقٌ[7] ، فذهَب لينُوءَ[8] فلم يتمكَّنْ مِن ذلك ، وجعَل وكيعٌ يقولُ : يا ثاراتِ دُوَيلةَ - يعنى أخاه - وكان دُوَيلةُ قد قتَله ابنُ خازمٍ ، ثم إنَّ ابنَ خازمٍ تنخَّم فى وجهِ وَكِيعٍ ، قال وكيعٌ : لم أرَ أحدًا أكثرَ رِيقًا منه فى تلك الحالِ . وكان [9]أبو هُبيرةَ[9] إذا ذكَر هذا يقولُ : هـذه واللَّهِ البسالةُ . وقال له ابنُ خازمٍ : ويحَك ، أتقتُلُنى بأخيكَ ؟ لعَنكَ اللَّهُ ، [10]أتقتُلُ كبشَ مضَرَ بأخيكَ[10] العلجِ[11] وكان لا

---

(١) تاريخ الطبرى ٦ / ١٧٦.

(٢) فى ٢١: «حازم».

(٣) فى الأصل، ٢١، م، ص: «الدبان». وانظر تاريخ الطبرى ٦ /١٧٦ ، والكامل ٤ / ٣٤٥.

(٤) فى ٣١: «بكر».

(٥) فى الأصل، ٢١: «بعده».

(٦) بعده فى ٣١، ٢١، م: «أمير خراسان».

(٧) بعده فى ٢١: «فمتكه». والعبارة فى الطبرى: «فقعد وكيع على صدره فقتله».

(٨) فى الأصل: «ليثور».

(٩ - ٩) فى النسخ «أبو هريرة». والمثبت من تاريخ الطبرى ٦ / ١٧٧.

(١٠ - ١٠) سقط من: الأصل.

(١١) سقط من: الأصل، ص.

يساوى كفًّا مِن ترابٍ ؟ أو قال : مِن نَوًى . قالوا[1] : فاحتَزَّ رأسَه وأقبَل بُكيرُ[2] ابنُ وِشاحٍ فأراد أخْذَ الرأسِ فمنَعه منه بَحِيرُ[3] بنُ ورقاءَ [4]فضرَبه بُكيرُ بنُ وِشاحٍ[4] بعمودٍ وقيَّده ، ثم أخَذ الرأسَ ثم بعَثه إلى عبدِ الملكِ بنِ مروانَ وكتَب إليه بالنصرِ والظَّفَرِ [5]ومقتَلِ عبدِ اللَّهِ بنِ خازمٍ[5](6) ، فسُرَّ بذلك سرورًا كثيرًا ، وكتَب إلى بُكيرِ[2] بنِ وِشاحٍ فأقَرَّه على نيابةِ خُراسانَ .

وفى هذه السنةِ أُخِذتِ المدينةُ مِن نُوّابِ[7] ابنِ الزبيرِ ، واستناب فيها عبدُ الملكِ بنُ مَرْوانَ طارقَ بنَ عمرٍو[8] الذى كان بعَثه مددًا للحجاجِ [9]على ابنِ الزبيرِ[9] .

وهذه ترجمةُ ابنِ خازمٍ[10]

هو عبدُ اللَّهِ بنُ خازمِ بنِ أسماءَ السُّلَمِىُّ ، أبو صالحٍ البَصرىُّ ، أميرُ خراسانَ ، أحدُ الشجعانِ المذكورينَ ، والفرسانِ المشكورينَ . قال شيخُنا الحافظُ أبو

---

(1) فى ٣١، ٢١، م : « قال » .

(2) فى ٣١: « بكر » .

(3) فى ٣١، ٢١، م : « بجير » . وانظر تاريخ الطبرى ٦ /١٧٧.

(٤ - ٤) سقط من: م، ص.

(٥ - ٥) سقط من: م .

(6) بعده فى الأصل ، ص : « ورأسه » .

(7) سقط من: م، ص .

(8) فى ٣١، ٢١: « عمير » .

(٩ - ٩) سقط من: ٣١، ٢١، م، ص .

(10) الاستيعاب ٣ /٨٨٦، وأسد الغابة ٣ / ٢٢٠، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٦١- ٨٠ هـ) ص ٣٤. والإصابة ٤ /٦٩.

الحجاجِ المزِّيُّ فى «تهذيبِه»[1] : يُقالُ : له صحبةٌ . روَى عن النبيِّ ﷺ فى العِمامةِ السوداءِ ، وهو عندَ أبى داودَ والترمذيِّ والنسائيِّ ، لكنْ لم يُسمُّوه[2] . روَى عنه سعدُ بنُ عثمانَ الرازيُّ ، وسعيدُ بنُ الأزرقِ . روَى أبو بشرٍ[3] الدُّولابيُّ أنَّه قُتِل فى سنةِ إحدى وسبعين . وقيل : فى سنةِ سبعٍ وثمانيـنَ . وليس هذا القولُ بشيءٍ . انتهَى ما ذكَره شيخُنا فى «التهذيبِ» . وقد ذكَره الحافظُ[4] أبو الحسنِ[5] ابنُ الأثيرِ فى «الغابةِ فى أسماءِ الصحابةِ»[6] ، فقال : عبدُ اللَّهِ بنُ خازمِ ابنِ أسماءَ بنِ الصلتِ بنِ حبيبِ بنِ حارثةَ بنِ هلالِ بنِ سِماكِ بنِ عَوفِ بنِ امرئِ القيسِ بنِ بُهْثَةَ[7] [٦٨/٧و] بنِ سُليمِ بنِ منصورٍ ، أبو صالحٍ السُّلَمِيُّ ، أميرُ خراسانَ ، شجاعٌ مشهورٌ ، وبطلٌ مذكورٌ ، روَى عنه سعيدُ بنُ الأزرقِ ، وسعدُ ابنُ عثمانَ ، قيل : إنَّ له صحبةً . وفتَح سَرْخَسَ ، وكان أميرًا على خُراسانَ أيامَ فتنةِ ابنِ الزبيرِ ، وأوَّلَ ما وَلِيها سنةَ أربعٍ وستين بعدَ موتِ يزيدَ بنِ معاويةَ وابنِه معاويةَ ، وجرَى له فيها حروبٌ كثيرةٌ حتى تَمَّ أمرُه بها ، وقد استقصَينا أخبارَه فى كتابِ «الكاملِ فى التاريخِ»[8] ، وقُتِل سنةَ إحدى وسبعين[9] بخراسانَ . هكذا قال : إنه قتِل سنةَ إحدى وسبعين[9] . وهكذا حكى شيخُنا[10] عن الدُّولَابِيِّ ،

---

(١) تهذيب الكمال ١٤ / ٤٤٢.

(٢) أبو داود (٤٠٣٨) ، والترمذى (٣٣٢١) ، والنسائى فى الكبرى ٥ / ٤٧٦. ضعيف الإسناد (ضعيف سنن أبى داود ٨٧٣) .

(٣) فى م : «بشير» .

(٤) سقط من : م .

(٥) فى ٢١ : «الحسين» .

(٦) أسد الغابة ٣ / ٢٢٠، ٢٢١.

(٧) فى ٣١، ٢١: «نهبة» .

(٨) فى الكامل لابن الأثير ٤ / ١٥٤.

(٩ - ٩) سقط من : ٣١، ٢١، م .

(١٠) يعنى المزى ، انظر حاشية (١) .

وكذا رأيتُ فى « التاريخ » لشيخِنا الحافظِ أبى عبدِ اللَّهِ الذَّهبىِّ[1] ، والذى ذكره ابنُ جريرٍ فى سياقِ[2] « تاريخِه »[3] ، أنَّه قُتِل فى سنةِ ثنتينِ وسبعينَ . قال ابنُ جريرٍ[4] : وزعَم بعضُهم أنَّه إنَّما قُتل بعدَ مَقتلِ عبدِ اللَّهِ بنِ الزبيرِ ، وأنَّ عبدَ الملكِ بعَث برأسِ ابنِ الزبيرِ إلى ابنِ خازمٍ[5] ، ويدعوه إلى طاعتِه وله خُراسانُ عشْرَ سنينَ ، وأنَّ ابنَ خازمٍ لمَّا رأى رأسَ ابنِ الزبيرِ حلَف لا يُعطيه طاعةً أبدًا ، ودعا بطَسْتٍ فغسَل رأسَ ابنِ الزبيرِ وكفَّنه وطيَّبه وبعَث به إلى أهلِه بالمدينةِ - ويُقالُ : بل دفَنه عندَه بخُراسانَ . واللَّهُ أعلَمُ - وأطعَم الكتابَ للرسولِ[6] الذى جاء به ، وقال : لولا أنَّك رسولٌ لضرَبتُ عُنُقَك . وقال بعضُهم : بل قطَع يَدَيْه ورِجْلَيْه وضرَب عُنقَه .

ومِمَّن تُوفى فيها من الأعيانِ : الأَحْنَفُ بنُ قَيسِ بنِ[7] معاويةَ بنِ حُصينٍ[8] التميمىُّ السعدىُّ ، أبو بَحْرٍ البصرىُّ ، ابنُ أخى صعصعةَ بنِ معاويةَ . والأحنفُ لَقَبٌ له ، وإنَّما اسمُه الضحّاكُ ، وقِيل : صَخْرٌ . أسلَم فى حياةِ النبىِّ ﷺ ولم يَرَه ، وجاء فى حديثٍ أنَّ رسولَ اللَّهِ ﷺ دعا له[9] .

---

(١) تاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٦١ - ٨٠ هـ) ص ٣٠٠.

(٢) سقط من : ٣١، ٢١، م .

(٣) تاريخ الطبرى ٦ / ١٧٦، ١٧٧.

(٤) المصدر السابق ٦ / ١٧٨.

(٥) بعده فى الأصل، ص : « وبعث يدعوه » .

(٦) فى ٣١، ٢١، م : « للبريدى » .

(٧) فى ٣١، ٢١، م : « أبو » . وانظر ترجمته فى طبقات ابن سعد ٧ / ٩٣، والاستيعاب ١ / ١٢٦، وأسد الغابة ١ / ٥٥، والإصابة ١ / ١٨٧.

(٨) فى الأصل، ٣١، ٢١: « حصن » .

(٩) المسند ٥ / ٣٧٢، المستدرك ٣ / ٦١٤. وهو ضعيف ، لضعف على بن زيد بن جدعان . انظر تهذيب الكمال ٢٠ / ٤٣٧ - ٤٤٠.

وكان سيِّدًا شريفًا مطاعًا مؤمنًا، عليمَ اللسانِ، وكان يُضرَبُ بحلمِه المَثَلُ، وله أخبارٌ فى حِلْمِه سارتْ بها الركبانُ. قال عنه عمرُ بنُ الخطابِ[1]: هو مؤمنٌ عليمُ اللسانِ. وقال الحسنُ البصرىُّ[2]: ما رأيتُ شريفَ قومٍ أفضلَ منه. وقال أحمدُ بنُ عبدِ اللَّهِ العِجْلىُّ[3]: هو بصرىٌّ تابعِىٌّ ثقةٌ، وكان سيدَ قومِه، وكان أعورَ أحنفَ[4] الرِّجلين دميمًا قصيرًا كَوْسجًا[5]، له بيضةٌ واحدةٌ، احتبَسه[6] عمرُ[7] سنةً[8] يختبِرُه[9]، ثم قال: هذا واللَّهِ السيِّدُ[10]. وقيل: إنَّه خطَب عندَ عمرَ فأعجَبه مَنطِقُه. قيل: ذهَبتْ عينُه بالجُدَرِىِّ. وقيل: فى فتحِ سَمَرْقندَ. وقال يعقوبُ بنُ سفيانَ[11]: كان الأحنفُ جَوادًا حليمًا، وكان رجلًا صالحًا، أدرَك الجاهليةَ ثم أسلَم، وذكِر للنبىِّ ﷺ [٧/٦٨ظ] فاستغفَر له.

وقال [12]محمدُ بنُ سعدٍ[12]: كان ثقةً مأمونًا قليلَ الحديثِ. وكان كثيرَ

---

(١) تهذيب الكمال ٢ / ٢٨٥.

(٢) طبقات ابن سعد ٧ / ٩٥.

(٣) ثقات العجلى ص ٥٧.

(٤) فى م: «أجيف». والحنف: اعوجاج فى الرجل إلى داخل.

(٥) الكوسج: الذى لا شعر على عارضيه، والناقص الأسنان.

(٦) فى الأصل: «أجلسه».

(٧) سقط من ٢١، وبعده فى ٣١، ٢١، م: «عن قومه».

(٨) بعده فى الأصل: «قدومه».

(٩) سقط من: الأصل، ص.

(١٠) بعده فى ٣١، ٢١، م: «أو قال السؤدد».

(١١) تهذيب الكمال ٢ / ٢٨٦.

(١٢ - ١٢) سقط من: ٣١، ٢١، م. وانظر طبقات ابن سعد ٧ / ٩٣.

الصلاةِ بالليلِ، وكان يُسرِجُ المِصباحَ[1]، وكان يضعُ إصبعَه فيه[2]، ثم يقولُ لنفسِه: إذا لم تصبِرْ على المصباحِ، فكيف تَصبرُ على نارِ جهنمَ؟ وقِيل له: بأىِّ شىءٍ سوَّدَك قومُكَ[3]؟ قال: لو عاب [4]الماءَ الناسُ[4] ما شرِبتُه. وكان الأحنفُ [5]لا يحسُدُ، ولا يجهَلُ، ولا يدفَعُ الحقَّ. وقال: إنَّ مِن السؤْدَدِ الصبرَ على الذلِّ، وكفَى بالحلمِ ناصرًا. وقال: ما نازَعنى أحدٌ إلّا أخَذتُ مِن أمرى إحدى ثلاثٍ؛ إن كان فوقى عرَفتُ قدْرَه، وإن كان دُونى رفَعتُ نفسى عنه، وإنْ كان مِثلى تفضَّلتُ. وقال: ما ذكَرتُ أحدًا بسوءٍ بعدَ أنْ يقومَ مِن عندى، ولا سمِعتُ كلمةً تسوءُنى إلا طأْطأْتُ رأسى لِما هو أعظمُ منها. وأغلَظ له رجلٌ فى الكلامِ، فلمّا وصَل إلى نادِى قومِه وقَف وقال: إن كان عندك شىءٌ آخرُ، فقُلْ؛ لئلّا يسمعَك قومى فيُؤْذوك. وقيل: إن عبدَ الملكِ بنَ مروانَ كتَب إليه يدعوه لنفسِه ويعِدُه بوِلايةِ الشامِ، فقال: يدعونى ابنُ الزرقاءِ إلى وِلايةِ الشامِ، واللّهِ ودِدتُ أنَّ بينى وبينَهم جبلًا مِن نارٍ. وكان زيادُ بنُ أبيه يقولُ: قد بلَغ الأحنفُ مِن السؤدَدِ والشرفِ ما لا ينفعُه معه وِلايةٌ ولا يضرُّه عزلٌ. وإنَّه ليفِرُّ مِن الشرفِ وهو يتبعُه[5].

وقال الحاكمُ: وهو الذى افتتَح مروَ الرُّوذِ، وكان الحسنُ وابنُ سيرينَ فى

---

(١) فى ٢١: «المصابيح»، وبعده فى ٣١، ٢١، م: «ويصلى ويبكى حتى الصباح».

(٢) فى ٣١، ٢١، م: «فى المصباح ويقول: حس يا أحنف ما حملك على كذا؟ ما حملك على كذا».

(٣) بعده فى م: «وأنت أرذلهم خلقة».

(٤ - ٤) فى ٣١، ٢١، م: «قومى الماء».

(٥ - ٥) فى ٣١، ٢١، م: «من أمراء على يوم صفين وهو الذى صالح أهل بلخ على أربعمائة ألف دينار فى كل سنة وله وقائع مشهودة مشهورة وقتل من أهل خراسان خلقا كثيرا فى القتال بينهما وانتصر عليهم».

جيشِه[1] . وقِيل : إنه مات سنةَ سبعٍ وستينَ - وقيل غيرُ ذلك - عن سبعين سنةً . وقيل : عن أكثرَ مِن ذلك .

ومِن كلامِه وقد سُئل عن الحِلْمِ ما هو؟ فقال : الذُّلُّ مع الصبرِ . وكان إذا تعجَّب الناسُ مِن حِلمِه يقولُ : واللَّهِ إنِّى لأجِدُ ما تجدون ، ولكنِّى صَبورٌ . [2]وقال : وجدتُ الحِلمَ أنصرَ لى مِن الرجالِ[2] .

وقد انتهَى إليه الحِلمُ والسُّؤدَدُ . وقال : أَحْيِ معروفَك بإماتةِ ذِكْرِه . وقال : عجِبتُ لِمَن يجرى فى مَجْرى البولِ مَرتينِ كيف يتكبَّرُ ؟! وقال : ما أتيتُ بابَ أحدٍ مِن هؤلاءِ إلّا أنْ أُدعَى ، ولا دخلتُ بينَ اثنينِ إلا أنْ يُدخِلانى بينَهما . وقال له رجلٌ : بِمَ سُدْتَ قومَك ؟ قال : بتركِى مِن أمرِك[3] ما لا يَعْنينى ، كما عناك مِن أمرى ما لا يَعنيكَ . وأغلَظ له رجلٌ فى الكلامِ ، وقال له : واللَّهِ يا أحنفُ ، لَئِن قُلتَ لى واحدةً لتسمعَنَّ بدلَها عشْرًا . فقال له : إنَّك إنْ قلتَ لى عشْرًا لا تسمعُ منِّى واحدةً . وكان يقولُ فى دعائِه : اللهمَّ إنْ تُعذِّبْنى ، فأنا أهلٌ لذلك ، وإنْ [٦٩/٧و] تغفِرْ لى فأنتَ أهلٌ لذلك .

وقد كان زيادُ بنُ أبيه يُقَرِّبُه [4]ويعظِّمُه[4] ويُدْنيه ، فلمّا مات زيادٌ ، وولِى ابنُه عبيدُ اللَّهِ [5]لم يرفَعْ به رأسًا[5] ، فتأخرتْ عندَه منزلتُه [6]لقبحِ منظرِه ، وصار يقدِّمُ عليه مَن هو دونَه[6] ، فلمّا وفَد برؤساءِ أهلِ العراقِ على معاويةَ ، أدخَلهم

---

(١) بعده فى ٣١، ٢١، م: «وهو الذى افتتح سمرقند وغيرها من البلاد». وانظر تهذيب الكمال ٢٨٧/٢. وقال الذهبى فى سير أعلام النبلاء ٤ /٨٧: هذا فيه نظر، هما يصغران عن ذلك.

(٢ - ٢) زيادة من: ٣١، ٢١، م، ص.

(٣) فى ٣١، ٢١، م: «الأمر».

(٤ - ٤) زيادة من: الأصل، ص.

(٥ - ٥) فى الأصل، ص: «لم يعرف ما هو».

(٦ - ٦) سقط من: ٣١، ٢١، م.

عليه على مراتبِهم عندَه ، فكان الأحنفُ آخِرَ مَن أدخَله عليه ، فلمّا رآه معاويةُ أجَلَّه وعظَّمَه ، وأدناه وكرَّمه ، وأجلَسه معه على الفِراشِ ، ثم أقبَل عليه يحادثُه دونَهم ، ثم شرَع الحاضرون فى الثناءِ على عبيدِ اللَّهِ بنِ زيادٍ ، والأحنفُ ساكتٌ ، فقال له معاويةُ : ما لَكَ لا تتكلَّمُ ؟ قال : إنْ تكَلمتُ خالفتُهم . فقال معاويةُ : اشهَدوا علىَّ أنّى قد (1) عزَلتُ عبيدَ اللَّهِ (1) عن العراقِ . ثم قال لهم : انظُروا لكم نائبًا عليكم . وأجَّلَهم ثلاثةَ أيامٍ فاختلَفُوا بينَهم اختلافًا كثيرًا ، ولم يذكُرْ أحدٌ منهم بعدَ ذلك عبيدَ اللَّهِ ، ولا طلَبَه أحدٌ منهم ، ولم يتكلَّمِ الأحنفُ فى (2) هذه الأيامِ فى (2) ذلك كلمةً واحدةً مع أحدٍ منهم ، فلمّا اجتمَعوا بعدَ ثلاثٍ أفاضُوا فى ذلك ، وكثُر اللَّغَطُ وارتفعتِ الأصواتُ ، والأحنفُ ساكتٌ ، فقال له معاويةُ : تكلَّمْ . فقال له : إنْ كنتَ تريدُ أنْ تولِّىَ فيها أحدًا مِن أهلِ بيتِك فليس فيهم مَن هو مِثلُ عُبيدِ اللَّهِ فإنَّه رجلٌ حازمٌ ، ولا يَسُدُّ (3) أحدٌ منهم (3) مَسدَّه ، وإن كنتَ تريدُ (4) غيرَه فأنت أعلمُ (4) بنُوّابِك (5) . فرَدَّه معاويةُ إلى الوِلايةِ ، ثم قال له بينَه وبينَه : كيف جهِلتَ مثلَ الأحنفِ ؟ إنه (6) عزَلك وولّاك وهو ساكتٌ . فعظُمتْ منزِلةُ الأحنفِ بعدَ ذلك عندَ ابنِ زيادٍ .

تُوفِّى الأحنفُ بالكوفةِ ، وصلَّى عليه مصعبُ بنُ الزبيرِ ومشَى فى

(1 - 1) فى ٣١، ٢١، م : « عزلته » .

(2 - 2) سقط من : م .

(3 - 3) سقط من : الأصل ، ص .

(4 - 4) زيادة من : ٣١، ٢١، م ، ص .

(5) فى ٣١، ٢١، م : « بقرابتك » .

(6) فى ٣١، ٢١، م : « هو الذى » .

جِنازتِه[1] . [2]ذكَر الواقِدىُّ أنَّه قدِم على معاويةَ فوجَده غضبانَ على ابنِه يزيدَ ، وأنَّه أصلَح بينَهما بكلامٍ ، قال : فبعَث معاويةُ إلى يزيدَ بمالٍ جزيلٍ وقُماشٍ كثيرٍ ، فأعطَى يزيدُ نصفَه للأحنفِ . واللَّهُ سبحانَه أعلمُ[2] .

البراءُ بنُ عازِبِ بنِ الحارثِ بنِ عَدِىِّ بنِ [٦٩/٧ظ] **مَجْدعةَ بنِ حارثةَ بنِ الحارثِ بنِ الخَزْرجِ بنِ عمرِو بنِ مالكِ بنِ الأوْسِ الأنصارىُّ ، الحارثىُّ ، الأوسىُّ**[3] ، صحابىٌّ جليلٌ ، وأبوه أيضًا صحابىٌّ . روَى عن رسولِ اللَّهِ ﷺ أحاديثَ كثيرةً ، وحدَّث عن أبى بكرٍ وعمرَ وعثمانَ وعلىٍّ وغيرِهم . وعنه جماعةٌ مِن التابعينَ ، وبعضُ الصَّحابةِ . وقِيل : إنه مات بالكوفةِ فى أيامِ مصعبٍ على العراقِ .

عَبيدةُ السَّلمانىُّ القاضى[4] ، وهو عَبيدةُ بنُ عمرٍو - ويقالُ : ابنُ قَيْسِ بنِ عمرٍو - السَّلمانىُّ ، المرادىُّ ، أبو عمرٍو الكوفىُّ . وسلمانُ بطنٌ مِن مرادٍ . أسلَم عَبيدةُ فى حياةِ النبىِّ ﷺ ، وروَى عن ابنِ مسعودٍ وعلىٍّ وابنِ الزبيرِ ، وحدَّث عنه جماعةٌ مِن التابعينَ . وقال الشعبىُّ : كان يوازِى شُريحًا فى القضاءِ . وقال ابنُ

---

(١) بعده فى م : «وقد تقدمت له حكاية» .

(٢ - ٢) فى الأصل : «وحكى الواقدى أن الأحنف بن قيس وفد على معاوية بعد أن سلم الحسن الأمر إلى معاوية ورحل بأهله إلى المدينة فقال معاوية للأحنف : أنت الشاهر علينا سيوفك يوم صفين والمخذل عن عائشة أم المؤمنين؟ فقال : يا معاوية ، لا توبخنا بما مضى منا ولا ترد الأمور على أدبارها ؛ فإن القلوب التى أبغضناك بها بين جوانحنا ، والسيوف التى قاتلناك بها على عواتقنا فى كلام غير ذلك فلما خرج ، قالت أخت معاوية : من هذا الذى يتهدد ؟ قال : هذا الذى إذا غضب غضب لغضبه مائة ألف من تميم لايدرون فيما غضب ثم صلحت منزلة الأحنف عند معاوية بعد ذلك» .

(٣) الاستيعاب ١ / ١٥٥، وأسد الغابة ١ / ٢٠٥، والإصابة ١ / ٢٧٨.

(٤) الاستيعاب ٣ / ١٠٢٣، وأسد الغابة ٣ / ٣٥٦، والإصابة ٥ / ١١٨.

نُميرٍ : كان شُريحٌ إذا أشكَل عليه أمرٌ كتَب إلى عَبيدةَ فيه وانتهَى إلى قولِه . وقد أثْنى عليه غيرُ واحدٍ . وكانت وفاتُه فى هذه السنةِ ، وقيل : سنةَ ثلاثٍ . وقيل : أربعٍ وسبعين . فاللَّهُ أعلمُ . وقد قيل : إنَّ مصعبَ بنَ الزبيرِ قُتِل فى هذه السنةِ . فاللَّهُ أعلمُ .

وممّن تُوفِّى فى هذه السنةِ مِن الأعيانِ :

عبدُ اللَّهِ بنُ السَّائِبِ بنِ صَيفىٍّ المخزومىُّ[(1)] ، [(2)]قارئُ أهلِ مكةَ[(2)] ، له صُحبةٌ وروايةٌ ، وقرَأ على أُبَىِّ بنِ كعبٍ ، وقرَأ عليه مجاهدٌ وغيرُه .

عطيةُ بنُ بُسرٍ المازنىُّ[(3)] ، له صحبةٌ وروايةٌ . [(2)]توفِّى بالمدينةِ[(2)] .

عُبيدُ[(4)] **بنُ نَضْلةَ ، أبو معاويةَ الخُزَاعىُّ الكوفىُّ**[(5)] ، مُقرِئُ أهلِ الكوفةِ ، مشهورٌ بالخيرِ والعبادةِ . تُوفِّى بالكوفةِ فى هذه السنةِ .

[(6)]**عبيدُ اللَّهِ**[(6)] **بنُ قَيسِ الرُّقَيّاتِ القرشىُّ العامرىُّ**[(7)] ، أحدُ الشعراءِ ، مدَح

---

(1) الاستيعاب ٣ / ٩١٥، وأسد الغابة ٣ / ٢٥٤، والإصابة ٤ / ١٠٢.

(٢ - ٢) سقط من : ٣١، ٢١، م، ص .

(3) فى النسخ : « بشر » . وترجمته فى : الاستيعاب ٣ / ١٠٧٠، وأسد الغابة ٤ / ٤٣، والإصابة ٤ / ٥٠٩.

(4) فى م : « عبيدة » .

(5) انظر ترجمته فى : طبقات ابن سعد ٦ / ١١٧، ٢١١، التاريخ الكبير ٦ / ٥، ثقات العجلى ٣٢٣، تاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٦١ - ٨٠ هـ) صفحة ٤٨٠، وفيه أنه « عبيد بن نضيلة » ، غاية النهاية فى طبقات القراء ١ / ٤٩٧.

(٦ - ٦) فى النسخ : « عبد الله » . وانظر مصادر الحاشية التالية .

(7) اختلف فى اسم عبيد الله هذا؛ ففى طبقات ابن سلام ٢ / ٦٤٧، وكذا فى مخطوطتيه : « عبد الله » . والذى عليه إجماع أصحاب نسب قريش وكتب النسب « عبيد الله » . وانظر ترجمته فى : طبقات ابن سلام ٢ / ٦٤٧، ونسب قريش ٤٣٥، والأخبار الموفقيات ٥٣٣، والشعر والشعراء ١/ ٥٣٩، وجمهرة أنساب العرب ١٧٢، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٦١ - ٨٠ هـ) ص ٤٧٩، وخزانة الأدب ٧ / ٢٨٠ - ٢٨٧.

مصعبَ بنَ الزبيرِ وعبدَ اللَّهِ بنَ جعفرٍ[1].

عبدُ اللَّهِ بنُ همَّامٍ[2] أبو عبدِ الرحمنِ الشاعرُ، السلوليُّ[3]، أحدُ الشعراءِ الفصحاءِ، مدَح يزيدَ بنَ معاويةَ، بعدَ أن هَجاه[4] بقولِه[5]:

شرِبْنا الغَيْظَ حتى لو سُقِينا   دماءَ بنى أميةَ ما رَوِينا
ولو جاءوا برَمْلَةَ أو بهندٍ   لَبَايَعْنا أميرَ المؤمنينا[6]

---

(١) بعده فى الأصل: «وإنما سمى قيس الرقيات؛ لأن له عدة أخوات يسمين رقية».

(٢) فى النسخ: «حمام». وانظر مصادر ترجمته فى الحاشية التالية.

(٣) انظر ترجمته فى: الشعر والشعراء ٢/ ٦٥١، وطبقات فحول الشعراء ٢/ ٦٥٢، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٦١- ٨٠ هـ) ص ٤٧٠، والوافى بالوفيات ١٧/ ٦٦٤.

(٤) فى ٣١، ٢١، م: «هجا بنى أمية».

(٥) البيتان فى تاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٦١ - ٨٠ هـ) ص ٤٧٠، باختلاف يسير.

(٦) بعده فى م: «وكان عبيدة السلمانى أعور وكان أحد أصحاب ابن مسعود الذين يفتون الناس توفى بالكوفة».

ثم دَخلت سنةُ ثلاثٍ وسبعين[1]

فيها كان مقتلُ عبدِ اللَّهِ بنِ الزُّبيرِ، رضِى اللَّهُ عنه، على يدَىِ الحجَّاجِ بنِ يُوسُفَ الثقفىِّ المُبيرِ[2]، قبَّحه اللَّهُ وأَخزاه.

قال الواقدىُّ[3]: حدَّثنى مُصعبُ بنُ ثابتٍ[4]، عن نافعٍ مولى بنى أسَدٍ - وكان عالمًا بفتنةِ ابنِ الزُّبيرِ - قال: حصِر [٧/٧٠و] ابنُ الزبيرِ ليلةَ هلالِ ذِى[5] الحِجَّةِ[6] سنةَ ثنتين[7] وسبعين، [8]وقُتِل[9] لسبعَ عشْرةَ ليلةً خلتْ مِن جُمادَى الأُولَى، سنةَ ثلاثٍ وسبعين[8]، فكان حصرُ الحجّاجِ له خمسةَ أشهرٍ وسبعَ عشْرةَ ليلةً.

وقد ذكَرْنا فيما تقدَّم أنّ الحجّاجَ حجَّ بالناسِ فى هذه السنةِ الخارجةِ، وكان فى الحجِّ ابنُ عمرَ، وقد كتَب عبدُ الملكِ إلى الحجّاجِ أنْ يَأْتَمَّ بابنِ عمرَ فى المناسكِ، كما ثبَت ذلك فى «الصحيحين»[10].

فلمّا استَهلَّت هذه السنةُ، استهلَّت وأهلُ الشامِ مُحاصِرون أهلَ مكةَ، وقد

---

(١) فى الأصل: «تسعين».

(٢) زيادة من: ٣١، ٢١، م، ص.

(٣) تاريخ الطبرى ٦ / ١٨٧.

(٤) فى م: «نائب». وانظر تهذيب الكمال ٢٨ / ١٨.

(٥) سقط من: ٣١، ٢١، م.

(٦) فى تاريخ الطبرى: «القعدة». وعليه تكون مدة الحصر ستة أشهر وسبع عشر ليلة، لكنه عاد فقال - يعنى ابن جرير -: وكان حصر الحجاج ... ثمانية أشهر وسبع عشرة ليلة.

(٧) فى الأصل: «ثلاث».

(٨ - ٨) زيادة من: ٣١، ٢١، م، ص.

(٩) فى ٢١، ص: «وقيل».

(١٠) البخارى (١٦٦٠، ١٦٦٣)، كما أخرجه معلقًا (١٦٦٢)، ولم يذكر فيه أن عبد الملك كتب إلى الحجاج بذلك. ولم يعزه المزى فى تحفة الأشراف ٥/٣٨٨، إلا إلى البخارى والنسائى.

نصَب الحجّاجُ المنجَنيقَ على مكةَ ليحصُرَ أهلَها ، حتى يخرُجوا إلى الأمانِ والطاعةِ لعبدِ الملكِ .

وكان مع الحجّاجِ (١) خَلقٌ قدِموا عليه مِن أرضِ (١) الحبشةِ ، فجعَلوا يرمون بالمنجَنيقِ فقتَلوا خلقًا كثيرًا ، وكان معه خمسُ مجانيقَ ، فألحَّ عليها بالرمي مِن كلِّ مكانٍ ، وحبَس عنهم المِيرةَ فجاعوا (٢) ، وكانوا يشرَبون مِن ماءِ زمزمَ (٣) ، وجعَلتِ الحجارةُ تقَعُ فى الكعبةِ ، والحجّاجُ يَصيحُ بأصحابِه : يا أهلَ الشامِ ، اللَّهَ اللَّهَ فى الطاعةِ ! (٤) فكانوا يحمِلون على ابنِ الزبيرِ حتى يقالَ : إنهم آخِذوه فى هذه الشِّدةِ (٤) . فيشُدُّ عليهم ابنُ الزبيرِ ، وليس معه أحدٌ (٥) حتى يُخرِجَهم مِن بابِ بنى شَيْبةَ ، ثم يكُرُّون عليه ، (٦) فيشُدُّ عليهم (٦) ، فعَل ذلك مِرارًا ، وقتَل يومئذٍ جماعةً منهم وهو يقولُ : خُذْها (٧) ، وأنا ابنُ الحَوارىِّ . وقيل لابنِ الزبيرِ : ألَا تُكلِّمُهم فى الصُّلحِ ؟ فقال : واللَّهِ لو وجَدوكم فى جَوْفِ الكعبةِ لذبَحوكم جميعًا ، واللَّهِ لا أسألُهم صلحًا (٨) أبدًا .

وذكَر غيرُ واحدٍ (٩) أنّهم لمّا رُموا بالمنجَنيقِ ، جاءتِ الصواعقُ والبُروقُ

(١ - ١) سقط من : ٣١، ٢١، م، ص .

(٢) فى ٣١، ٢١، م، ص : « والماء » .

(٣) بعده فى الأصل : « فيعصمهم » .

(٤ - ٤) فى الأصل : « فيشدون الشدة الواحدة حتى يقال قد اشتملوا عليه » .

(٥ - ٥) فى الأصل : « فيبلغ بهم » .

(٦ - ٦) زيادة من : ٣١، ٢١، م، ص .

(٧) فى م، ص : « هذا » .

(٨) زيادة من : ٣١، ٢١، م، ص .

(٩) انظر تاريخ الطبرى ٦ / ١٨٧، والكامل ٤ / ٣٥١، كلاهما بنحوه .

والرُّعودُ حتى جعَلتْ تعلو أصواتُها[1] على صوتِ المنجَنيقِ، ونزَلتْ صاعقةٌ، فأصابت مِن الشاميِّين اثنى عشَرَ رجلًا، فضَعُفَتْ عندَ ذلك قلوبُهم عن المحاصرةِ، فلم يَزلِ الحجَّاجُ يُشَجِّعُهم، ويقولُ: إنِّى خبيرٌ بهذه البلادِ، هذه بُروقُ تِهامةَ ورُعودُها وصواعِقُها، وإنَّ القومَ يُصيبُهم مثلُ الذى يُصيبُكم. وجاءتْ صاعقةٌ مِن الغَدِ، فقتَلتْ مِن أصحابِ ابنِ الزبيرِ جماعةً كثيرةً أيضًا، فجعَل الحجَّاجُ يقولُ: ألم أقُلْ لكم: إنَّهم يُصابون مثلَكم، وأنتم على الطاعةِ وهم على المخالفةِ؟

وكان أهلُ الشامِ يَرْتجِزون وهم يَرمون بالمنجَنيقِ؛ يقولون[2]:

خطَّارةٌ[3] مثلُ[4] الفَنيقِ المُزْبدِ نَرمِى بها عُوَّاذَ[5] هذا المسجدِ

فنزلَت صاعقةٌ على المنجَنيقِ فأحرَقتْه، فتوقَّف أهلُ الشامِ عن الرميِ والمحاصرةِ، فخطَبَهم الحجَّاجُ، فقال: ويحَكم، ألم تعلَموا أنَّ النارَ كانت تنزِلُ على مَن كان قبْلَنا فتأكُلَ[6] قُربانَهم إذا تُقبِّل منهم؟ فلولا أنَّ عملَكم مقبولٌ ما نزَلتِ النارُ فأكَلتْه[6]. فعادوا إلى المُحاصَرةِ.

وما زال أهلُ مكَّةَ [٧/٧٠ظ] يخرُجون إلى الحجّاجِ بالأمانِ، ويترُكون ابنَ الزبيرِ، حتى خرَج إليه قَريبٌ مِن عشَرةِ آلافٍ، فأمَّنَهم، وقلَّ أصحابُ ابنِ الزبيرِ جدًّا، حتى خرَج إلى الحجاجِ حمزةُ وخُبَيْبٌ؛ ابنا عبدِ اللَّهِ بنِ الزبيرِ، فأخَذا

---

(١) فى ٣١، ٢١: «أهل الشام بأصواتها».
(٢) الرجز فى تاريخ دمشق ١٢ / ١٢٠، وبغية الطلب ٥ /١٣ (مخطوط)، باختلاف يسير.
(٣) سقط من: م.
(٤) سقط من: الأصل.
(٥) فى النسخ: «أعواد». والعَوّاذ: العائذ، يعنى ابن الزبير المتحصن بالمسجد، والعواذ، جمع عائذ: وهم ابن الزبير وأصحابه.
(٦ - ٦) فى الأصل: «ممن تقبل منه، ثم جاء الحجاج، ورفع الحجر ورمى معهم».

لأنفسِهما أمانًا مِن الحجّاجِ ، فأمَّنهما ، ودخَل عبدُ اللَّهِ بنُ الزبيرِ على أمِّه ، فشكَا إليها خِذلانَ الناسِ له ، وخروجَهم إلى الحجاجِ حتى أولادِه وأهلِه ، وأنّه لم يبقَ معه إلّا اليسيرُ ، ولم يبقَ لهم صبرُ ساعةٍ ، والقومُ يُعطوننى ما شِئتُ مِن الدنيا ، فما رأيُكِ ؟ فقالت[(١)] : يا بُنىَّ ، أنت أعلمُ بنفسِك ، إن كنتَ تعلَمُ أنّك على حقٍّ وتدعو إلى حقٍّ فاصبِرْ عليه ، فقد قُتِل عليه أصحابُك ، ولا تُمكِّنْ مِن رقبتِك يلعَبْ بها غلمانُ بنى أُميَّةَ ، وإن كنتَ[(٢)] إنما أردتَ الدُّنيا ، فلَبِئسَ العبدُ أنت ؛ أهلكتَ نفسَك وأهلكتَ مَن قُتِل معَك ، وإن كنتَ على حقٍّ فما وهَن الدينُ ، وإلى كم خلودُك فى الدنيا ؟ القتلُ أحسنُ . فدَنا منها فقبَّل رأسَها ، وقال : هذا واللَّهِ رأيى . ثم قال : واللَّهِ[(٣)] ما ركَنتُ إلى الدنيا ولا أحببتُ الحياةَ فيها ، وما دعانى إلى الخروجِ إلا الغضبُ للَّهِ أن تُستحَلَّ حرمتُه ، ولكنِّى أحببتُ أن أعلمَ رأيَكِ ، فزِدتِنى بصيرةً مع بصيرتى ، فانظرى يا أمّاه فإنِّى مقتولٌ مِن يومى هذا ، فلا يشتدَّ حزنُكِ ، وسلِّمى لأمرِ اللَّهِ ، فإنَّ ابنَك لم يتعمَّدْ إتيانَ منكَرٍ ، ولا عمِل بفاحشةٍ قطُّ ، ولم يجُرْ فى حكمِ اللَّهِ ، ولم يغدُرْ فى أمانٍ ، ولم يتعمَّدْ ظلمَ مسلمٍ ولا مُعاهَدٍ ، ولم يبلُغْنى ظلمٌ عن عاملٍ فرضِيتُه ، بل أنكَرتُه ، ولم يكنْ عندى آثَرُ مِن رِضا ربِّى عزَّ وجلَّ ، اللهمَّ إنِّى لا أقولُ هذا تزكيةً لنفسى ، اللهم أنتَ أعلمُ بى مِنّى ومِن غيرِى ، ولكنّى أقولُ ذلك تعزيةً لأمِّى لتسلُوَ عنِّى . فقالت أمُّه : إنّى لأرجو مِن اللَّهِ أنْ يكونَ عَزائى فيك حسَنًا إنْ تقدَّمتَنى ، أو تقدمتُك ففى نفسى ، اخرُجْ يابنىَّ حتى أنظُرَ ما يصيرُ إليه أمرُك . فقال : جزاكِ اللَّهُ يا أمَّهْ خيرًا فلا تدَعِى الدعاءَ قبلُ وبعدُ لى . فقالت : لا أدَعُه أبدًا ، فمَن قتِل على باطلٍ فلقد قتِلتَ على

---

(١) تاريخ الطبرى ٦ /١٨٨ - ١٨٩، وتاريخ دمشق ٢٢٦/٢٨ - ٢٢٧.
(٢) بعده فى ٣١، ٢١، م، ص: «تعلم أنك».
(٣ - ٣) سقط من: الأصل.

حقٌّ. ثم قالت: اللهمَّ ارحَمْ طولَ ذلك القيامِ [(1] في الليلِ الطويلِ [1)]، وذلك النحيبِ والظمأَ في هواجرِ المدينةِ ومكَّةَ، وبرَّه بأبيه وبي، اللهم إنِّي قد سلَّمتُه لأمرِك فيه، ورضِيتُ بما قضَيتَ، فقابِلْني في عبدِ اللَّهِ بنِ الزبيرِ بثوابِ الصابرين الشاكرين. ثم [(2] قالت له: ادنُ مني أودِّعْكَ. فدَنا منها فقبَّلته، ثم [2)] أخَذته إليها، فاحتضَنته لتودِّعَه، واعتنَقها ليودِّعَها - وكانت قد أضرَّت في آخرِ عمرِها - فوجَدته لابسًا دِرعًا مِن حديدٍ، فقالت: يا بُنيَّ، ما هذا لباسَ مَن يُريدُ ما تريدُ مِن الشَّهادةِ. فقال: يا أمَّاه، إنَّما لبِستُه لأطيِّبَ خاطِرَكِ وأُسكِّنَ [٧/٧١و] قلبَكِ به. فقالت: لا يا بنيَّ، ولكنِ انزِعْه. فنزَعه، وجعَل يلبَسُ بقيةَ ثيابِه ويتشدَّدُ، وهي تقولُ: شمِّرْ ثيابَك. وجعَل يتحفَّظُ مِن أسفلِ ثيابِه؛ لِئَلَّا تبدوَ عورتُه إذا قُتِل، وجعَلتْ تذكِّرُه بأبيه الزبيرِ، وجدِّه أبي بكرٍ الصدِّيقِ، وجدَّتِه صفيةَ بنتِ عبدِ المطلبِ، [(3] وخالتِه عائشةَ زوجِ رسولِ اللَّهِ ﷺ [3)]، وتُرجِّيه القدومَ عليهم [(4)] إذا هو قُتِل شهيدًا، ثم خرَج مِن عندِها فكان ذلك آخرَ عهدِه بها، رضِي اللَّهُ عنهما، وعن أبيه وأبيها، [(2] ثم قالت له: امضِ على بَصيرتِك. فودَّعها، وخرَج وهو يقولُ [(5)]:

ولستُ بمُبْتاعِ الحياةِ بسُبَّةٍ [(6)] ... ولا مُرتَقٍ [(7)] مِن خَشيةِ الموتِ سُلَّما [2)]

(1 - 1) سقط من: ٣١، ٢١، م.

(2 - 2) سقط من: ٣١، ٢١، م، ص.

(3 - 3) زيادة من: ٣١، ٢١، م، ص.

(4) في ٢١، ص: «عليهما».

(5) البيت للحصين بن الحمام المرى، وهو ضمن قصيدة له في المفضليات ص ٦٩ (ط. شاكر وهارون). ذكره الطبرى وبيتًا قبله من القصيدة نفسها، ولكنه ذكره في سياق خطبة ابن الزبير لآل الزبير يوم موته.

(6) في الأصل: «نسبه».

(7) في المفضليات: «مُبتغ».

قالوا : وكان يخرُجُ مِن بابِ المسجدِ الحرامِ ، وهناك خمسُمائةِ فارسٍ وراجلٍ ، فيحمِلُ عليهم ، فيتفرَّقون عنه يمينًا وشِمالًا ، ولا يثبُتُ له أحدٌ وهو يقولُ :

إِنِّى إذا أعرِفُ يومِى أصبِرْ إِذْ بعضُهم يعرِفُ ثمَّ ينكِرْ

[١]ويقولُ أيضا :

الموتُ أكرمُ مِن إعطاءِ منقصةٍ مَن لم يمُت غِبطةً فالغايةُ الهَرَمُ[١]

وكانت أبوابُ الحرمِ قد قلَّ مَن يحرُسُها مِن أصحابِ ابنِ الزبيرِ ، وكان لأهلِ حِمْصَ حصارُ البابِ الذى يواجِهُ بابَ الكعبةِ ، ولأهلِ[٢] دِمشقَ بابُ بنى شَيْبةَ ، ولأهلِ الأُردُنِّ بابُ الصَّفا ، ولأهلِ فِلَسْطينَ بابُ بنى جُمَحَ ، ولأهلِ قِنَّسرينَ بابُ بنى سَهْمٍ ، [٣]وعلى كلِّ بابٍ قائدٌ ومعه أهلُ تلك البلادِ[٣] ، وكان الحجَّاجُ وطارقُ بنُ عمرٍو فى ناحيةِ الأَبطَحِ .

وكان ابنُ الزبيرِ لا يخرُجُ على أهلِ بابٍ إلا فرَّقهم وبدَّد شمْلَهم ، وهو غيرُ مُلبسٍ ، حتى يُخرِجَهم إلى الأبطَحِ ، ثم يصيحُ[٤] :

* لو كان قِرنى واحدًا كَفيتُه *

فيقولُ ابنُ صَفْوانَ وأهلُ الشامِ أيضًا : إىْ واللَّهِ ، وألفُ رجلٍ . ولقد كان حجرُ المنجَنيقِ يقعُ على طرَفِ ثوبِه فلا ينزعِجُ لذلك ، ثم يخرُجُ إليهم فيقاتِلُهم

(١ - ١) سقط من : ٣١، ٢١، م، ص .

(٢) بعده فى ٣١، ٢١: « الشام » .

(٣ - ٣) سقط من الأصل، ص .

(٤) الرجز لدويد بن زيد بن نهد القضاعى . انظر طبقات ابن سلام ١/ ٣١، والشعر والشعراء ١/ ١٠٤.

كأنّه أسدٌ ضارٍ ، حتى جعَل الناسُ يتعجَّبون مِن إقدامِه وشجاعتِه ، فلمّا كان ليلةُ الثلاثاءِ السابعَ عشَرَ[(١)] مِن جُمادَى الأُولى مِن هذه السنةِ ، بات ابنُ الزبيرِ يُصلِّى طولَ ليلتِه ، ثم جلَس فاحتبَى بحَميلةِ سيفِه فأغْفَى ثم انتبَه مع الفجرِ [(٢)]على عادتِه ، ثم[(٢)] قال : أذِّنْ يا سعدُ . فأذَّن عندَ المَقامِ ، وتوضَّأ ابنُ الزبيرِ ثم صلَّى ركعتي الفجرِ ، ثم أقيمتِ الصلاةُ فصلَّى الفجرَ ، فقرأ سورةَ « ن » حرفًا حرفًا ، ثم سلَّم فحمِد اللَّهَ وأثنَى عليه ، ثم قال [(٣)]لأصحابِه : ما أُرانى اليومَ إلا مقتولًا ؛ فإنى رأيتُ فى منامى كأنَّ السماءَ فُرِجت لى ، فدخَلتُها ، وإنى واللَّهِ قد مَلِلتُ الحياةَ وجاوَزتْ سنِّى اثنتين وسبعين سنةً ، اللهمَّ إنِّى أحِبُّ لقاءَك فأَحِبَّ [٧١/٧ظ] لقائى . ثم قال[(٣)] : اكشِفوا عن وجوهِكم حتى أنظُرَ إليكم . فكشَفوا عن وجوهِهم ، وعليهم المَغافرُ ، فحرَّضهم وحثَّهم على القتالِ والصبرِ ، ثم نهَض بهم ، فحَمَل وحمَلوا حتى كشَفوهم[(٤)] إلى الحَجونِ ، فجاءتْه آجُرَّةٌ فأصابتْه فى وجهِه ، فارتعَش لها ، فلمّا وجَد سُخونةَ الدمِ يسيلُ على وجهِه تمثَّل بقولِ بعضِهم[(٥)] :

فلَسنا على الأعقابِ تَدْمَى كُلومُنا ولكنْ على أقدامِنا تقطُرُ الدِّما

[(٦)]ثم رجَع ، فجاءه حجرُ منجَنيقٍ مِن ورائِه فأصابه فى قَفاه فوقَذه[(٧)] ، ثم[(٦)]

---

(١) فى ص : « وعشرين » .

(٢ - ٢) زيادة من : ٣١ ، ٢١ ، م ، ص .

(٣ - ٣) سقط من : ٣١ ، ٢١ ، م ، ص .

(٤) فى الأصل : « وصلوا » .

(٥) البيت للحصين بن الحمام المرى . خزانة الأدب ٧ / ٤٩٠ ، وفيه : « الدَّما » . وانظر تاريخ الطبرى ٦ / ١٩٢ ، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٦١ - ٨٠ هـ) ص ٣١٥ .

(٦ - ٦) فى ٣١ ، ٢١ ، م ، ص : « ثم سقط إلى الأرض ، فأسرعوا إليه » .

(٧) الوقذ : أصله الضرب المثخن والكسر . النهاية ٥ / ٢١٢ .

(١) وقَع إلى الأرضِ على وجهِه ، ثم انتهَض فلم يقدِرْ على القيامِ ، وابتدَره الناسُ ، فشَدَّ عليه رجلٌ مِن أهلِ الشامِ ، فضَرَب الرجلَ فقطَع رِجليه ، وهو متَّكِئٌ على مرفقِه الأيسرِ ، وجعَل يضربُ وما يقدِرُ أن ينتهِضَ حتى كثُروا عليه ، فابتدَروه بالسيوفِ(١) فقتَلوه ، رضِى اللَّهُ عنه .

وجاءوا إلى الحجَّاجِ فأخبَروه فخرَّ ساجدًا ، قبَّحه اللَّهُ ، ثم قام هو وطارقُ بنُ عمرٍو حتى وقَفا عليه ، وهو صريعٌ ، فقال طارقٌ : ماولَدتِ النساءُ أذكرَ مِن هذا . فقال الحجَّاجُ : تمدَحُ مَن يخالِفُ طاعةَ أميرِ المؤمنين ؟ قال : نعم ، هو أعذَرُ لنا ؛ إنّا محاصِروه ، وليس هو فى حصنٍ ولا خندقٍ ولا مَنَعَةٍ (٢) ينتصِفُ مِنّا(٢) ، بل يُفضَّلُ علينا فى كلِّ موقِفٍ . فلمّا بلَغ ذلك عبدَ الملكِ صوَّب(٣) طارقًا .

وروَى ابنُ عساكرَ(٤) فى ترجمةِ الحجّاجِ أنّه لمّا قتَل ابنَ الزبيرِ ارتجَّتْ مكَّةُ بُكاءً على عبدِ اللَّهِ بنِ الزبيرِ ، رحِمه اللَّهُ ، فخطَب الحجّاجُ الناسَ فقال : أيُّها الناسُ ، إنّ عبدَ اللَّهِ بنَ الزبيرِ كان مِن خيارِ هذه الأمَّةِ حتى رغِب فى الخلافةِ ونازَعها أهلَها وألحَد فى الحَرَمِ ، فأذاقه اللَّهُ مِن عذابٍ أليمٍ ، وإنّ آدمَ كان أكرمَ على اللَّهِ مِن ابنِ الزبيرِ ، وكان فى الجنةِ ، وهى أشرفُ مِن مكَّةَ ، فلما خالَف أمْرَ اللَّهِ وأكَل مِن الشجرةِ التى نهِى عنها ، أخرَجه اللَّهُ مِن الجنَّةِ ، قوموا إلى صلاتِكم يرحَمْكم اللَّهُ .

(١ - ١) فى ٣١، ٢١، م ، ص : « ثم سقط إلى الأرض ، فأسرعوا إليه » .
(٢ - ٢) فى الأصل : « ننتصف منه » .
(٣) فى النسخ : « ضرب » . والمثبت من تاريخ الطبرى ٦ / ١٩٢، وانظر الكامل ٤ / ٣٥٦.
(٤) تاريخ دمشق ١٢ / ١٢٠، بنحوه .

(١) وقِيل : إنّه قال : يا أهلَ مكَّةَ ، بلَغنى(٢) إكبارُكم واستعظامُكم قتلَ ابنِ الزبيرِ ، فإنّ ابنَ الزبيرِ كان مِن خيارِ هذه الأُمَّةِ حتى رغِب فى الدنيا ونازَع الخلافةَ أهلَها ، فخلَع طاعةَ اللَّهِ وألْحَد فى حرمِ اللَّهِ ، ولو كانت مكةُ شيئًا يمنَعُ القضاءَ لمَنَعت آدمَ حُرمةُ الجنّةِ ، وقد خلَقه اللَّهُ بيدِه ونفَخ فيه مِن رُوحِه وأسجَد له ملائكتَه وعلَّمه أسماءَ كلِّ شىءٍ ، فلمّا عصاه أخرَجه مِن الجنَّةِ وأهبَطه إلى الأرضِ ، وآدمُ أكرمُ على اللَّهِ مِن ابنِ الزبيرِ ، وإنّ ابنَ الزبيرِ غيَّر كتابَ اللَّهِ . فقال له عبدُ اللَّهِ بنُ عمرَ : لو شئتَ أن أقولَ لك : كذَبتَ لقلتُ ، واللَّهِ إنَّ ابنَ الزبيرِ لم يغيِّرْ كتابَ اللَّهِ ، بل كان قوّامًا به صوّامًا عاملًا بالحقِّ(١) .

وكتَب الحجّاجُ إلى عبدِ الملكِ بما وقَع ، وبعَث برأسِ عبدِ اللَّهِ بنِ الزبيرِ مع رأسِ عبدِ اللَّهِ بنِ صفوانَ وعُمارةَ بنِ حَزمٍ إلى عبدِ الملكِ ، وأمَرهم إذا مرُّوا بالمدينةِ أنْ يَنصِبوا الرءوسَ بها ، ثم يسيروا بها إلى الشامِ ، ففعَلوا ما أمرَهم به(٣) .

ثم أمَر الحجّاجُ بجثةِ ابنِ الزبيرِ فصلِبتْ على ثنيَّةِ كَداءٍ عندَ الحَجونِ - يقالُ : مُنكَّسةً - فما زالت مصلوبةً ، حتى مرّ به عبدُ اللَّهِ بنُ عمرَ فقال(٤) : رحمةُ اللَّهِ عليك يا أبا خُبيبٍ ، أمَا واللَّهِ لقد كنتَ صوّامًا قوّامًا . ثم قال : أمَا آنَ لهذا الراكبِ أن ينزلَ ؟ فبعَث الحجّاجُ ، فأُنزِل عن الجِذْعِ ودفِن هناك .

[٧٢/٧و] ودخَل الحجّاجُ إلى مكّةَ فأخَذ البيعةَ مِن أهلِها لأميرِ المؤمنين

(١ - ١) زيادة من : ٣١، ٢١، م .

(٢) سقط من : م .

(٣) بعده فى ٣١، ٢١، م : « وأرسل بالرؤوس مع رجل من الأزد فأعطاه عبد الملك خمسمائة دينار ، ثم دعا بمقراض فأخذ من ناصيته ونواصى أولاده فرحًا بمقتل ابن الزبير ، عليهم من الله ما يستحقون » .

(٤) تاريخ دمشق ٢٨ /٢٣٩ - ٢٤٢.

عبدِ الملكِ بنِ مروانَ ، ولم يزَلِ الحجَّاجُ مقيمًا بمكَّةَ حتى أقام للناسِ الحجَّ عامَه هذا أيضًا ، وهو على مكَّةَ واليَمامةِ واليمنِ .

وهذه ترجمةُ أميرِ المؤمنين
عبدِ اللَّهِ بنِ الزبيرِ[(١)] رضِى اللَّهُ عنه

هو عبدُ اللَّهِ بنُ الزبيرِ بنِ العوّامِ بنِ خُويلدِ بنِ أسدِ بنِ عبدِ العُزَّى بنِ قُصيِّ بنِ كِلابٍ ، أبو بكرٍ ، ويقالُ له : أبو خُبَيْبٍ . القرشىُّ الأسَدىُّ ، أوَّلُ مولودٍ وُلد بعدَ الهجرةِ بالمدينةِ مِن المُهاجرين . وأمُّه أسماءُ بنتُ أبى بكرٍ الصديقِ ، ذاتُ النِّطاقيْنِ ، هاجرَتْ به - وهى حاملٌ به مُتِمٌّ - فولَدتْه بقُباءٍ أوَّلَ مَقدَمِهم المدينةَ ، وقيل : إنَّما ولَدتْه فى شَوَّالٍ سنةَ ثنتين مِن الهجرةِ . قاله الواقدىُّ ، ومصعبُ بنُ الزُّبيرِ وغيرُهما[(٢)] ، والأوَّلُ أصحُّ ؛ لِمَا رواه أحمدُ[(٣)] عن أبى أسامةَ ، عن هشامٍ ، عن أبيه ، عن أسماءَ ، أنَّها حمَلتْ بعبدِ اللَّهِ بمكَّةَ ، قالت : فخرَجتُ وأنا مُتِمٌّ ، فأتيتُ المدينةَ فنزلْتُ فولَدتُه ، ثم أتيتُ به رسولَ اللَّهِ ﷺ فوضَعتُه فى حِجرِه ، ثم دَعا بتمرةٍ فمضَغها[(٤)] ثم تفَل فى فيه ، فكان أوَّلَ ما دخَل فى جوفِه ريقُ رسولِ اللَّهِ ﷺ . قالت : ثم حنَّكه بتمرةٍ[(٥)] ، ثم دعا له وبرَّك عليه ، وكان أوَّلَ مولودٍ وُلِدَ فى الإسلامِ . وهو صحابىٌّ جليلٌ ، روَى عن النبىِّ ﷺ أحاديثَ ، وروَى عن

---

(١) الاستيعاب ٣ / ٩٠٥، وأسد الغابة ٣ / ٢٤٢، والإصابة ٤ / ٨٩.
(٢) تاريخ دمشق ٢٨ / ١٤٩، ١٥٩، ١٦٠.
(٣) المسند ٦ / ٣٤٧.
(٤) فى ٢١: «فوضعها».
(٥) سقط من: ٣١، ٢١، م.

أبيه وعمرَ وعثمانَ وغيرِهم . وعنه جماعةٌ مِن التابعينَ . وشهِد اليرموكَ[(1)] مع أبيه وهو صغيرٌ ، وحضَر خُطبةَ عمرَ بالجابيةِ ، ورواها عنه بطولِها ، (2) ثبَت ذلك مِن غيرِ وجهٍ (2) . وقدِم دمشقَ لغزوِ القسطنطينيةِ ، (3) ثم قدِمها مرَّةً أخرى (3) ، وبُويع بالخلافةِ أيامَ يزيدَ بنِ معاويةَ ، ولمّا مات يزيدُ غلَب[(4)] على الحجازِ واليمنِ والعراقيْنِ ومصرَ وخُراسانَ (5) وسائرِ بلادِ الشامِ إلا دمشقَ (5) ، وتمّتِ البيعةُ له سنةَ أربعٍ وستين ، وكان (6) الناسُ بخيرٍ (6) فى زمانِه .

وثبَت مِن غيرِ وجهٍ (7) عن هشامٍ ، عن أبيه (7) ، عن أسماءَ[(8)] ، أنّها خرَجتْ بعبدِ اللَّهِ مِن مكَّةَ مهاجرةً وهى حُبْلَى به فولَدتْه بقُباءٍ أوَّلَ مَقدَمِهم المدينةَ ، فأتَتْ به رسولَ اللَّهِ ﷺ فحنَّكه وسمّاه عبدَ اللَّهِ ودعا له . وفرِح المسلمون بمولدِه ؛ لأنّه كانتِ اليهودُ قد زعَموا أنَّهم قد سحَروا المهاجِرينَ ؛ فلا يولَدُ لهم فى المدينةِ ، فلمّا وُلِد ابنُ الزبيرِ كبَّر المسلمون . وقد سمِع عبدُ اللَّهِ بنُ عمرَ جيشَ الشامِ حينَ كبَّروا عندَ قتلِه ، (9) فقال : أمَا واللَّهِ لَلَّذين كبَّروا عندَ مولدِه خيرٌ مِن هؤلاء الذين كبَّروا عندَ قتلِه (9) . [٧/٧٢ظ] وأذَّنَ الصديقُ فى أُذنيه حين وُلِد ، رَضِى اللَّهُ عنهما .

---

(1) فى ٣١، ٢١، م : « الجمل » ، وانظر الكامل ٢ / ٤١٤، الإصابة ٤ / ٩٤.

(٢ - ٢) سقط من : الأصل، ص . وقد أخرجها عنه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ٢٨/ ١٤٢- ١٤٤.

(٣ - ٣) فى الأصل : « أيام معاوية » . فى ٣١، ٢١، م : « معاوية بن يزيد » .

(4) فى ٣١، ٢١، م : « فكان » .

(٥ - ٥) فى الأصل : « ولم يبق إلا الشام » .

(٦ - ٦) فى الأصل : « فارس قريش » .

(٧ - ٧) سقط من : ٢١.

(8) البخارى (٣٩٠٩، ٥٤٦٩) ، ومسلم (٢٥ / ٢١٤٦).

(٩ - ٩) سقط من : ص . وانظر تاريخ دمشق ٢٨ / ١٥٤، ١٥٥، ٢٢٧، والمستدرك ٣ / ٥٤٨.

ومَن قال : إنّ الصديقَ طاف به حولَ الكعبةِ ، (١ وهو فى خِرقةٍ ١) . فهو واهمٌ [٢] ، واللَّهُ أعلمُ ، وإنَّما طاف الصديقُ به فى المدينةِ ليشتهِرَ أمرُ ميلادِه على خلافِ ما زعَمتِ اليهودُ .

وقال مصعبٌ الزبيريُّ [٣] : كان عارِضا عبدِ اللَّهِ بنِ الزبيرِ خفيفيْنِ ، وما اتصلَتْ لحيتُه حتى بلَغ ستِّين سنةً .

وقال الزبيرُ بنُ بكَّارٍ [٤] : حدّثنى علىُّ بنُ صالحٍ ، عن عامرِ بنِ صالحٍ ، عن سالمِ بنِ عبدِ اللَّهِ بنِ عُروةَ ، عن أبيه ، أنَّ رسولَ اللَّهِ ﷺ كُلِّم فى غِلْمةٍ ترَعرَعوا ؛ منهم عبدُ اللَّهِ بنُ جعفرٍ ، وعبدُ اللَّهِ بنُ الزبيرِ ، وعمرُ بنُ أبى سلَمةَ ، فقيل : يا رسولَ اللَّهِ ، لو بايعتَهم فتصيبَهم برَكتُك ويكونَ لهم ذِكْرٌ . فأُتِىَ (٥ بهم إليه ٥) ، فكأنَّهم تكَعْكعوا [٦] واقتحَم عبدُ اللَّهِ بنُ الزبيرِ ، فتبسَّم رسولُ اللَّهِ ﷺ ، وقال : « إنَّه ابنُ أبيه » . وبايَعَه [٧] .

وقد رُوِى مِن غيرِ وجهٍ [٨] أنَّ عبدَ اللَّهِ بنَ الزبيرِ شرِب مِن دمِ النبىِّ ﷺ ؛ كان

(١ - ١) فى الأصل : « وهاجر به أبوه » .

(٢) أخرج عبد الرزاق فى المصنف (٩٠٢٦) ، وابن عساكر فى تاريخ دمشق ٢٨ / ١٥٧، أن أبا بكر طاف بابن الزبير فى خرقة . وهذا مما يحتج له الفقهاء فى عمل الولى فى الحج ما يعجز عنه الصبى فى حجه . انظر المغنى لابن قدامة ٥/ ٥٢، الشرح الكبير مع المقنع والإنصاف ٨/ ٢١.

(٣) تاريخ دمشق ٢٨ / ١٥٩، ١٦٠.

(٤) أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ٢٨ / ١٦١، ١٦٢، من طريق الزبير بن بكار به .

(٥ - ٥) فى الأصل : « إليهم » .

(٦) فى ٣١، « تكفكفوا » . وتكعكع القوم : هابوا الشىء وتراجعوا بعد إقدام .

(٧) سقط من : ص . وفى ابن عساكر : « بايعوه » .

(٨) المستدرك ٣ / ٥٥٤، حلية الأولياء ١ / ٣٣٠، تاريخ دمشق ٢٨ /١٦٢ - ١٦٤. وعزاه الهيثمى فى المجمع ٨/ ٢٧٠ إلى الطبرانى والبزار ، قال : ورجال البزار رجال الصحيح غير هنيد بن القاسم وهو ثقة .

النبىُّ ﷺ قد احتجَم فى طَشتٍ فأعطاه عبدَ اللَّهِ بنَ الزبيرِ [1]ليُريقَه فشرِبه ، فقال له : « لا تمَسُّكَ النارُ إلّا تحِلَّةَ القسَمِ ، وويلٌ لكَ مِن الناسِ ، وويلٌ للناسِ منك » . وفى روايةٍ أنَّه[1] قال له[2] : « يا عبدَ اللَّهِ ، اذهَبْ بهذا الدَّمِ فأهرِقْه حيثُ لا يراك أحدٌ » . فلمَّا بعُدَ عمَد إلى ذلك الدمِ فشرِبه ، فلمّا رجَع قال : « ماصنعتَ بالدمِ ؟ » قال : [3]عمَدتُ إلى أخفَى موضعٍ عَلِمتُ فجعَلتُه فيه . قال : « فلعلك شربتَه » . قال : نعم . فقال[3] : « لاتمَسُّكَ النارُ إلّا تحِلَّةَ القسَمِ ، ويلٌ للناسِ منك ، وويلٌ لك مِن الناسِ » . [4]فكانت تلك القوةُ التى به مِن ذلك الدمِ[4] .

وقال محمدُ بنُ سعدٍ[5] : أنا مسلمُ بنُ إبراهيمَ ، ثنا الحارثُ بنُ عُبيدٍ ، ثنا أبو عِمرانَ الجَوْنىُّ ، أنَّ نَوْفًا البِكالىَّ[6] كان يقولُ : إنِّى لأجدُ فى كتابِ اللَّهِ المنزَّلِ أنَّ ابنَ الزُّبيرِ فارسُ الخلفاءِ . وقال حمادُ بنُ زَيدٍ[7] ، عن ثابتٍ البُنانىِّ قال : كنتُ أَمُرُّ بعبدِ اللَّهِ بنِ الزبيرِ وهو يصلِّى خلفَ المَقامِ كأنَّه خشبةٌ منصوبةٌ لا يتحرَّكُ . وقال الأعمشُ ، عن يَحيى بنِ وثَّابٍ[7] : كان ابنُ الزبيرِ إذا سجَد وقعَتِ العصافيرُ على ظهرِه تصعَدُ وتنزِلُ لا تراه إلَّا جِذْمَ حائطٍ[8] . وقال غيرُه[9] : كان ابنُ الزبيرِ يقومُ

(١ - ١) سقط من : الأصل .

(٢) تاريخ دمشق ٢٨ / ١٦٣، بنحوه .

(٣ - ٣) فى ٣١، ٢١ ، م : « إنى شربته لأزداد به علمًا وإيمانًا وليكون شىء من جسد رسول الله ﷺ فى جسدى وجسدى أولى به من الأرض فقال : أبشر » .

(٤ - ٤) زيادة من : الأصل . وانظر تاريخ دمشق ٢٨ / ١٦٣ .

(٥) أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ٢٨ / ١٦٥، ١٦٦، والذهبى فى سير أعلام النبلاء ٣ / ٣٦٧.

(٦) سقط من : الأصل ، م ، ص . وهو نوف بن فضالة الحميرى البكالى ، ابن امرأة كعب الأحبار ، شامي مستور ، من الثانية . التقريب ٢ / ٣٠٩ .

(٧) أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ٢٨ / ١٧٠، والذهبى فى سير أعلام النبلاء ٣ / ٣٦٩.

(٨) يعنى بقيّته .

(٩) تاريخ دمشق ٢٨ / ١٧٠، وسير أعلام النبلاء ٣ / ٣٦٩.

ليلَه حتى يُصبحَ ، ويركَعُ ليلَه حتى يُصبحَ ، [1]ويسجُدُ ليلَه حتى يُصبحَ[1] . وقال بعضُهم[2] : ركَع ابنُ الزبيرِ يومًا فقرَأتُ البقرةَ وآلَ عِمرانَ والنساءَ والمائدةَ وما رفَع رأسَه . وقال عبدُ الرزّاقِ[3] ، عن ابنِ جُريجٍ ، عن عطاءٍ قال : كنتُ إذا رأيتُ ابنَ الزبيرِ يصلِّى كأنَّه كعبٌ راتبٌ[4] . وفى روايةٍ[5] : ثابتٌ . وقال أحمدُ[6] : تعلَّم عبدُ الرَّزّاقِ الصلاةَ مِن ابنِ جُريجٍ ، وابنُ جريجٍ مِن عطاءٍ ، وعطاءٌ مِن ابنِ الزبيرِ ، وابنُ الزبيرِ مِن الصدّيقِ ، [٧/٧٣و] والصدِّيقُ مِن رسولِ اللَّهِ ﷺ . وقال الحُميديُّ[7] ، عن سفيانَ بنِ عُيينَةَ ، عن هشامِ بنِ عُروةَ ، عن ابنِ المُنكَدِرِ ، قال : لو رأيتَ ابنَ الزبيرِ يُصلِّى كأنَّه غُصنُ شجرةٍ تصفِقُها الريحُ ، والمنجَنيقُ يقَعُ هاهنا وهاهنا . قال سفيانُ : كأنَّه لا يُبالى[8] . وحكَى بعضُهم لعمرَ بنِ عبدِ العزيزِ[9] ، أنَّ حجرًا مِن المنجَنيقِ وقَع على شُرّافةِ المسجدِ فطارتْ فِلقةٌ منها فمرَّت بين لحيةِ ابنِ الزبيرِ وحلْقِه ، فما زال عن مَقامِه ولا عُرِف ذلك فى صوتِه[10] ، فقال عمرُ بنُ عبدِ العزيزِ : لا إلهَ إلا اللَّهُ ، جادَ[11] ما وصفْتَ . وقال عمرُ بنُ عبدِ العزيزِ يومًا

(١ - ١) سقط من : ٣١، ٢١.

(٢) تاريخ دمشق ٢٨ / ١٧١.

(٣) أخرجه أبو نعيم فى حلية الأولياء ١ / ٣٣٥، وابن عساكر فى تاريخ دمشق ٢٨ / ١٧١، كلاهما من طريق عبد الرزاق به .

(٤) فى ٣١، ٢١، م : « راسب » .

(٥) تاريخ دمشق ٢٨ / ١٧١.

(٦) أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ١١ /٦٣٦ (مخطوط) ، من طريق عبد الرزاق .

(٧) أخرجه أبو نعيم فى حلية الأولياء ١ /٣٣٥، من طريق سفيان به ، وابن عساكر فى تاريخ دمشق ٢٨/ ١٧١، من طريق الحميدى به .

(٨) بعده فى ٣١، ٢١، م: « به لا يعده شيئًا » .

(٩) تاريخ دمشق ٢٨ / ١٧٢.

(١٠) فى ٣١، ٢١، م: « صورته » .

(١١) فى م: « جاء » .

لابنِ أبى مُلَيْكَةَ[1] : صِفْ لنا عبدَ اللَّهِ بنَ الزبيرِ . فقال : واللَّهِ ما رأيتُ جِلدًا قطُّ رُكِّب على لحمٍ ، ولا لحمًا على عصَبٍ ، ولا عصبًا على عظمٍ مثلَه ، ولا رأيتُ نفسًا رُكِّبتْ بينَ جنبَيْنِ مثلَ نفسِه ، ولقد مرَّتْ آجُرَّةٌ مِن رَمْيِ المنجَنيقِ بينَ لحيتِه وصدرِه ، فواللَّهِ ما جشِع[2] ولا قطَع لها قراءتَه ، ولا ركَع دونَ ما كان يركَعُ ، وكان إذا دخَل فى الصلاةِ خرَج مِن كلِّ شىءٍ إليها ، ولقد كان يركَعُ فيكادُ يقعُ الرَّخَمُ[3] على ظهرِه ، ويسجُدُ فكأنَّه ثوبٌ مطروحٌ .

وقال أبو القاسمِ البغوىُّ[4] ، عن علىِّ بنِ الجعدِ ، عن شُعبةَ ، عن منصورِ بنِ زَاذانَ[5] قال : أخبَرنى مَن رأَى ابنَ الزبيرِ يشرَبُ فى صلاتِه ، وكان ابنُ الزبيرِ مِن المصلِّين . [6]وسُئِل ابنُ عبّاسٍ عن ابنِ الزُّبيرِ فقال[7] : كان قارئًا لكتابِ اللَّهِ ، متَّبعًا لسنَّةِ رسولِ اللَّهِ ، قانتًا للَّهِ ، صائمًا فى الهواجرِ مِن مخافةِ اللَّهِ ، ابنُ حوارىِّ رسولِ اللَّهِ ، وأمُّه بنتُ الصديقِ ، وخالتُه عائشةُ ؛ حبيبةُ حبيبِ اللَّهِ ، زوجةُ رسولِ اللَّهِ ، فلا يجهَلُ حقَّه إلا مَن أعماه اللَّهُ[6] .

ورُوِى[8] أنّ ابنَ الزبيرِ كان يومًا يُصلِّى فسقَطتْ حيَّةٌ مِن السقفِ تطوَّقتْ على بطنِ ابنِه هاشمٍ ، فصرَخ النسوةُ وانزعَج أهلُ المنزلِ ، واجتمَعوا على قتلِ تلك

---

(1) تاريخ دمشق ٢٨ / ١٧٢، ١٧٣ بنحوه .
(2) فى الأصل، م، ص: « خشع ». والجشع : الفزع .
(3) الرخم، جمع رخمة: طائر أبقع على شكل النسر. اللسان (ر خ م).
(4) الجعديات (١٣٤٢) ، ومن طريقه أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ١٧٤/٢٨.
(5) فى الأصل ، ٣١، ٢١ : « زادان » ، وانظر تهذيب الكمال ٥٢٣/٢٨.
(6 - 6) زيادة من: ٣١، ٢١، م .
(7) البخارى (٤٦٦٤، ٤٦٦٥، ٤٦٦٦) بنحوه ، والمستدرك ٥٤٩/٣. وحلية الأولياء ١/ ٣٣٤.
(8) تاريخ دمشق ١٧٤/٢٨، وسير أعلام النبلاء ٣٧٠/٣ مختصرًا .

الحيةِ ، فقتَلوها وسَلِمَ الوَلدُ ؛ فعَلوا هذا كلَّه وابنُ الزبيرِ فى الصلاةِ لم يلتَفِتْ ، ولا درَى بما جرَى لابنِه[1] حتى سلَّم .

وقال الزبيرُ بنُ بكّارٍ[2] : حدّثنى محمدُ بنُ الضحَّاكِ الحِزاميُّ[3] ، وعبدُ الملكِ ابنُ عبدِ العزيزِ ، ومَن لا أُحصِى كثرةً مِن أصحابِنا ، أنّ ابنَ الزبيرِ كان يواصِلُ الصومَ سبْعًا ؛ يصومُ يومَ الجُمعةِ ولا يُفطِرُ إلّا [4]ليلةَ الجُمعةِ الأخرى ، ويصومُ بالمدينةِ ، ولا يُفطِرُ إلّا[4] بمكَّةَ ، ويصومُ بمكَّةَ فلا يُفْطِرُ إلّا بالمدينةِ ، وكان إذا أفطَر أوَّلَ ما يُفطِرُ على لبنِ لِقْحةٍ[5] ، وسمْنٍ ، وصَبِرٍ . وفى روايةٍ أخرى[6] : فأمّا اللبنُ فيَعصِمُه ، وأمَّا السمْنُ فيقطَعُ عنه العطَشَ ، وأمّا الصَّبِرُ فيُفتِّقُ الأمعاءَ . وقال ابنُ معينٍ[7] ، عن رَوْحٍ ، عن حَبيبِ بنِ الشّهيدِ ، عن ابنِ أبى مُلَيْكَةَ ، قال : كان ابنُ الزبيرِ يواصِلُ سبعةَ أيامٍ ، ويُصبِحُ فى اليومِ الثامنِ وهو أَلْيَثُنا[8] . ورُوِى مثلُه مِن غيرِ وجهٍ[9] . وقال [٧٣/٧ظ] بعضُهم[10] : لم يكنْ يأكلُ فى شهرِ رمضانَ سِوى مرّةٍ واحدةٍ فى وسَطِه . وقال خالدُ بنُ أبى عِمرانَ[11] : كان ابنُ الزبيرِ لا يُفطِرُ مِن الشهرِ إلّا ثلاثةَ أيامٍ ، ومكَث أربعين سنةً لم يَنزِعْ ثوبَه عن ظهرِه . وقال ليثٌ عن

---

(١) زيادة من : ص .
(٢) أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ١٧٥/٢٨.
(٣) فى م : « الحزامى » . وانظر تهذيب الكمال ٢٧٥/١٣.
(٤ - ٤) سقط من : ٣١، ٢١.
(٥) اللقحة : الناقة الحلوب ، الغزيرة اللبن .
(٦) تاريخ دمشق ١٧٦/٢٨.
(٧) تاريخ ابن معين ٣٠٧/٢ ، ومن طريقه أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ١٧٧/٢٨، ١٧٨.
(٨) يعنى : أقوانا .
(٩) حلية الأولياء ٣٣٥/١، وتاريخ دمشق ١٧٧/٢٨، ١٧٨.
(١٠) تاريخ دمشق ١٧٨/٢٨.
(١١) تاريخ دمشق ١٧٧/٢٨.

مجاهدٍ[1] : لم يكُنْ أحدٌ يُطِيقُ ما يُطِيقُه ابنُ الزبيرِ مِن العبادةِ ، رضِى اللَّهُ عنه . ولقد جاء سَيلٌ مرّةً فطبَّقَ البيتَ فجعَل ابنُ الزبيرِ يطوفُ بالبيتِ[2] سِباحةً . وقال بعضُهم[3] : كان ابنُ الزبيرِ لا يُنازَعُ فى ثلاثٍ ؛ فى العبادةِ ، والشجاعةِ ، والفصاحةِ . وقد ثبَت[3] أنَّ عثمانَ جعَله فى النَّفَرِ الذين نسَخوا المصاحِفَ مع زيدِ ابنِ ثابتٍ ، وسعيدِ بنِ العاصِ ، وعبدِ الرحمنِ بنِ الحارثِ بنِ هشامٍ . وذكَره سعيدُ ابنُ المسيَّبِ فى خُطباءِ الإسلامِ مع معاويةَ وابنِه ، وسعيدِ بنِ العاصِ وابنِه[4] . وقال عبدُ الواحدِ بنُ أيمنَ : رأيتُ علَى ابنِ الزبيرِ رداءً يمانيًّا عَدَنيًّا يُصلِّى فيه ، وكان صَيِّتًا ؛ إذا خطَب يُجاوبُه الجبلانِ أبو قُبَيْسٍ ، وزَرُودُ[5] .

وكان آدمَ نحِيفًا ليس بالطويلِ ، وكان بينَ عينيه أثرُ السجودِ ، كثيرَ العبادةِ مجتهدًا شهْمًا فصِيحًا ، صوّامًا قوّامًا ، شديدَ البأسِ ذا أَنَفَةٍ ، له نَفْسٌ شريفةٌ وهِمّةٌ عاليةٌ ، وكان خفيفَ اللِّحيَةِ ليس فى وجهِه مِن الشَّعْرِ إلّا قليلًا ، وكانت له جُمّةٌ ، وكان له لِحيَةٌ صفراءُ .

وقد ذكَرْنا[6] أنَّه شهِد مع عبدِ اللَّهِ بنِ سعدِ بنِ أبى سَرْحٍ قتالَ البرْبَرِ ؛ وكانوا فى عشرين ومائةِ ألفٍ ، والمسلمون عشرين ألفًا ، فأحاطوا بهم مِن كلِّ جانبٍ ،

---

(١) أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ١٧٨/٢٨، والذهبى فى سير أعلام النبلاء ٣/ ٣٧٠، بنحوه.

(٢) زيادة من ٣١، ٢١، م . وانظر تاريخ دمشق ١٧٨/٢٨.

(٣) تاريخ دمشق ١٧٩/٢٨، وسير أعلام النبلاء ٣٧٠/٣.

(٤) تاريخ دمشق ١٧٩/٢٨.

(٥) فى الأصل : « زررود » . وفى ا٢: « زروز » . وفى م : « زروراء » . وفى تاريخ دمشق : « زرزر » . وانظر معجم البلدان ٩٢٨/٢.

(٦) انظر ما تقدم فى ٢٢٦/١٠، ٢٢٧.

فما زال عبدُ اللَّهِ بنُ الزبيرِ يحتالُ حتى رِكِب فى ثلاثين فارسًا ، وسار نحوَ ملكِ البربرِ ، وهو مُنفردٌ وراءَ الجيشِ ، وجواريه يُظَلِّلْنَه بريشِ النعامِ ، فساق حتى انتهَى إليه ، والناسُ يَظُنونَ أنَّه ذاهبٌ فى رسالةٍ إليه ، فلمّا فهِمه الملكُ وَلَّى مدبرًا ، فلحِقه عبدُ اللَّهِ بنُ الزبيرِ فقتَلَه واحتَزَّ رأسَه ، وجعَله فوقَ رُمْحِه ، وكبَّر وكبَّر المسلمونَ ، وحمَلوا على البَرْبرِ ، فانهزَمتِ البربرُ بينَ أيديهم فقتَلوا منهم خلقًا كثيرًا ، وغنِموا مغانمَ[(١)] كثيرةً جدًّا ، وبعَث ابنُ أبى سَرحٍ بالبشارةِ مع عبدِ اللَّهِ ابنِ الزبيرِ ، فقَصّ على عثمانَ الخبرَ وكيف جرَى ، فقال له عثمانُ[(٢)] : أتستطيعُ أن تُؤَدِّىَ هذا للناسِ فوقَ المنبرِ ؟ قال : نعم . فأمَره[(٣)] ، فصعِد ابنُ الزبيرِ فوقَ المنبرِ فخطَب الناسَ ، وذكَر لهم كيفيَّةَ ما جرَى . قال عبدُ اللَّهِ : فالتفَتُّ فإذا أَبِى - الزبيرُ - فى جملةِ مَن حضَر ، فلمّا تبَيَّنتُ وجهَه كاد أن يُرتَجَ علىَّ فى الكلامِ مِن هيبتِه فى قلبى ، فزبَرَنى بعينِه وأشار إلىَّ ليَحصِبَنى ، فمضَيتُ [٧٤/٧و] فى الخُطبةِ كما كنتُ ، فلمّا نزَلتُ ، قال : واللَّهِ لكأنِّى أسمَعُ خطبةَ أبى بكرٍ الصديقِ حينَ سمِعتُ خُطبتَك يا بُنىَّ .

وقال أحمدُ بنُ أبى الحوارىِّ[(٤)] : سمِعتُ أبا سُليمانَ الدارانىَّ يقولُ : خرَج ابنُ الزبيرِ فى ليلةٍ مُقمِرةٍ على راحلةٍ له فنزَل يَبُولُ[(٥)] ، فالتفتَ فإذا على الراحلةِ شيخٌ أبيضُ الرأسِ واللِّحيةِ ، قال : فشَدَّ عليه ابنُ الزبيرِ فتنَحّى عنها فركِب ابنُ الزبيرِ راحلتَه ومضَى ، قال : فناداه : واللَّهِ يا ابنَ الزبيرِ لو دخَل قلبَك الليلةَ منّى شعْرةٌ

(١) فى ٣١، ٢١، م : « أموالًا وغنائم » .
(٢) تاريخ دمشق ٢٨/١٨٠، ١٨١، ١٨٢.
(٣) سقط من : ٣١، ٢١، م .
(٤) أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ٢٨/١٨٣، من طريق أحمد بن أبى الحوارى به .
(٥) فى م : « فى تبوك » ، وفى ص : « تبوك » .

لخبَلْتُك . قال : ومِنك أنت يا لعينُ يَدخُلُ قلبى شىءٌ ! وقد رُوِى لهذه الحكايةِ شواهدُ مِن وجوهٍ أُخرَى جيدةٍ[1] . وروَى عبدُ اللَّهِ بنُ المباركِ ، عن إسحاقَ بنِ يحيى ، عن عامرِ بنِ عبدِ اللَّهِ بنِ الزبيرِ قال[2] : أقبَل عبدُ اللَّهِ بنُ الزبيرِ مِن العُمْرةِ فى رَكْبٍ مِن قريشٍ ، فلمّا كانوا عندَ التَّناضِبِ[3] أبصَرُوا رجلًا عندَ شجرةٍ ، فتقدَّمهمُ ابنُ الزبيرِ ، فلمّا انتهَى إليه سلَّم عليه فلم يعبأْ به ، وردَّ ردًّا ضعيفًا ، ونزَل ابنُ الزبيرِ فلم يتحرَّكْ له الرجلُ ، فقال له ابنُ الزبيرِ : تنحَّ عن الظِّلِّ . فانحاز مُتكارِهًا ، قال ابنُ الزبيرِ : فجلَستُ وأخذتُ بيدِه وقلتُ : مَن أنت ؟ فقال : رجلٌ مِن الجنِّ . فما عدا أنْ قالها حتى قامتْ كُلُّ شعْرةٍ منّى فاجتذبتُه ، وقلتُ : أنت رجلٌ مِن الجنِّ وتبدو لى هكذا ؟ وإذ ليس[4] له سُفْلةٌ وانكسَر ونهَرْتُه ، وقلتُ : إلىَّ تتبدَّى وأنتَ من أهلِ الأرضِ ، فذهَب هارِبًا وجاء أصحابى ، فقالوا : أين الرجلُ الذى كان عندَك ؟ فقلتُ : إنَّه كان مِن الجنِّ فهرَب . قال : فما منهم رجلٌ إلّا سقَط إلى الأرضِ عن راحلتِه ، فأخذتُ كُلَّ رجُلٍ منهم فشددتُه على راحلتِه حتى أتيتُ بهم أَمَجَ[5] وما يعقِلون .

وقال سفيانُ بنُ عيينةَ[6] : قال ابنُ الزبيرِ : دخَلتُ المسجدَ ذاتَ ليلةٍ فإذا نِسوةٌ يطُفْنَ بالبيتِ فأعجبْنَنى ، فلمّا قضَيْنَ طوافَهُنَّ خرَجْنَ فخرَجتُ فى إثرِهنَّ لأعلَمَ أين منزلُهن ، فخرَجْنَ مِن مكةَ حتى أتيْنَ العقَبةَ ، ثم انحدَرْنَ حتى أتيْنَ

---

(١) تاريخ دمشق ١٨٣/٢٨ - ١٨٦ .

(٢) أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ١٨٤/٢٨، ١٨٥ .

(٣) فى الأصل ، ص : « التناصب » ، وفى ٣١ ، ٢١، م : « الیناصب » ، وانظر معجم البلدان ٨٧٥/١.

(٤) سقط من : م .

(٥) فى م : « الحج » ، وأمج : بلد من أعراض المدينة . معجم البلدان ٣٥٧/١.

(٦) تاريخ دمشق ١٨٥/٢٨، ١٨٦.

فجًا ، فدخَلْنَ فى خَرِبةٍ ، فدخَلتُ فى إثْرِهِنَّ ، فإذا مشيخةٌ جُلوسٌ ، فقالوا : ما جاء بك يا ابنَ الزبيرِ ؟ [(1] فقلتُ لهم : مَن أنتم ؟ قالوا : الجنُّ ، وتلك النسوةُ نساؤنا ، فما تشتَهِى يا ابنَ الزبيرِ ؟ [1)] فقلتُ : أشتهِى رُطَبًا ، وما بمكةَ يومئذٍ مِن رُطَبةٍ ، فأَتَوْنى برُطَبٍ فأكَلتُ ، ثم قالوا : احمِلْ ما بقِى معك . فجئتُ به المنزلَ فوضَعتُه فى سَفَطٍ ووضَعتُ السَّفَطَ فى صُندوقٍ ، ثم وضَعتُ رأسى لأنامَ ، فبينَما أنا بينَ النائمِ واليقْظانِ إذ سمِعتُ جَلَبةً فى البيتِ ، فقال بعضُهم لبعضٍ : أين وضعَه ؟ قالوا : فى [٧٤/٧ظ] الصُّندوقِ . ففتَحوه فإذا هو فى السَّفَطِ داخلَه ، فهمُّوا بفتحِه فقال بعضُهم : إنَّه ذكَر اسمَ اللَّهِ عليه ، فأخذُوا السَّفَطَ بما فيه فذهَبوا به ، قال : فلم آسَفْ على شىءٍ أسَفِى كيف لم أَثِبْ عليهم ، وهم فى البيتِ .

وقد كان عبدُ اللَّهِ بنُ الزبيرِ ممَّن حاجفَ عن عثمانَ يومَ الدَّارِ ، وجُرِح يومئذٍ بضعَ عشْرةَ جِراحةً . [(2] وكان على الرجّالةِ يومَ الجمَلِ وجُرِح يومئذٍ تسعَ[3] عشْرةَ جِراحةً [2)] أيضًا . وقد تبارَز يومئذٍ هو ومالكُ بنُ الحارثِ بنِ الأشترِ ، فاتَّحَدا فصرَع الأشترُ ابنَ الزبيرِ فلم يتمكَّنِ الأشترُ[4] مِن القيامِ عنه ، بل احتضنَه ابنُ الزبيرِ وجعَل يُنادِى ويقولُ :

اقتلونى ومالكًا واقتلوا مالكًا معى

فأرسَلها مثلًا . ثم تفرَّقا ولم يَقْدِرْ عليه الأشترُ . وقد قِيل[5] : إنَّه جُرِح يومئذٍ

(١ - ١) سقط من : م .
(٢ - ٢) سقط من : ا ٣.
(٣) فى ٢١ : « سبعة » .
(٤) سقط من : ٣١، ٢١، م .
(٥) تاريخ دمشق ١٨٨/٢٨، وسير أعلام النبلاء ٣٧١/٣.

بضعًا وأربعينَ جِراحةً، ولم يُوجَدْ إلَّا بينَ القَتلى وبه رَمَقٌ، وقد أعطَتْ عائشةُ لِمَن بشَّرَها أنَّه لم يُقتَلْ عشرةَ آلافِ درهمٍ وسجَدَتْ للَّهِ شُكرًا، وقد كانت تُحِبُّه حُبًّا شديدًا؛ لأنَّه ابنُ أختِها، وكان عزيزًا عليها. وقد رُوِى عن عُروةَ أنَّه قال[1]: لم تكُنْ عائشةُ تُحِبُّ أحدًا بعدَ رسولِ اللَّهِ ﷺ وأبى بكرٍ مثلَ حُبِّها عبدَ اللَّهِ بنَ الزبيرِ. وقال: وما رأيتُ أبى وعائشةَ يدعوان لأحدٍ مِن الخلقِ مثلَ دعائِهما لابنِ الزبيرِ.

وقال الزبيرُ بنُ بكَّارٍ[2]: حدَّثنى أخى هارونُ بنُ أبى بكرٍ، عن يحيى بنِ إبراهيمَ، عن سليمانَ بنِ محمدِ بنِ[3] يحيى بنِ عروةَ، [4]عن أبيه[4]، عن عمِّه[5] عبدِ اللَّهِ بنِ عروةَ[6] قال: أَقْحمت السَّنَةُ[7] نابغةَ بَنى جَعْدةَ فدخَل على عبدِ اللَّهِ ابنِ الزبيرِ المسجدَ الحرامَ، فأنشدَه هذه الأبياتَ[8]:

حكَيْتَ[9] لنا الصِّدِّيقَ لمَّا وليتَنا[10] وعثمانَ والفاروقَ فارتاحَ مُعدِمُ

وسوَّيتَ بين الناسِ فى الحقِّ فاستَوَوْا فعاد صباحًا حالِكُ الليلِ[11] مُظلِمُ

---

(١) أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ١٨٩/٢٨.

(٢) أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ١٩٠/٢٨، ١٩١، والحافظ فى الإصابة ٣٩٧/٦ من هذا الطريق وغيره. وأورده الهيثمى فى المجمع ٢٥/١٠، وقال: رواه الطبرانى، وفيه راو لم أعرفه ورجال مختلف فيهم.

(٣) فى ٣١، ٢١، م: «عن». وانظر تهذيب الكمال ٦١/١٢.

(٤ - ٤) سقط من: م.

(٥) بعده فى ٣١، ٢١، م: «عن».

(٦) بعده فى ٣١، ٢١: «عن عرورة».

(٧) أى أخرجته من البادية وأدخلته الحضر. النهاية ١٩/٤.

(٨) ديوان النابغة الجعدى ص ٢٠٤، ٢٠٥. والأبيات أيضا فى الاستيعاب ١٥١٨/٤، ١٥١٩، والإصابة ٣٩٧/٦.

(٩) فى الأصل، ٣١، ٢١: «فكنت».

(١٠) فى م: «وليتها».

(١١) فى الأصل: «اللوم»، وفى ٣١، ٢١، م: «اللون».

أتاكَ أبو لَيْلى يَجوبُ به الدُّجى دُجى الليلِ جَوّابُ الفلاةِ عَثَمْثَمُ[1]

لتَجبُرَ[2] منهُ جانبًا[3] ذَعْذَعَتْ[4] به صروفُ الليالى والزمانُ المصَمِّمُ

فقال له ابنُ الزبيرِ : هوِّنْ عليك أبا ليلى ، فإنَّ الشعرَ أهونُ وسائِلِكَ[5] عندَنا ، أمَّا صِفْوةُ[6] مالِنا فلآلِ الزبيرِ ، وأمّا عَفْوُه فإنَّ بنى أسدٍ يشغَلُها عنك وتيمًا ، ولكنْ لك فى مالِ اللَّهِ حقّانِ ؛ حقٌّ برؤيتِك رسولَ اللَّهِ ﷺ ، وحقٌّ لشرِكَتِك أهلَ الإسلامِ فى فَيْئِهم . ثم أخَذ بيدِه فأدخَله دارَ النَّعَمِ فأعطاه قلائِصَ سبعًا وجملًا رحيلًا[7] ، وأوقَر له [٧٥/٧و] الرِّكابَ بُرًّا وتمرًا وثيابًا ، فجعَل النابغةُ يستعجِلُ ويأكلُ الحَبَّ صِرْفًا ، فقال له ابنُ الزبيرِ : وَيْحَ أبى لَيْلى ، لقد بلَغ الجَهْدُ . فقال النابغةُ : أشهَدُ لَسمِعتُ رسولَ اللَّهِ ﷺ يقولُ : « ما وَلِيتْ قريشٌ فعدَلتْ ، واستُرْحِمتْ فرَحِمتْ ، وحدَّثَتْ فصدَقَتْ ، ووعَدَتْ خيرًا فأنجزَتْ ، فأنا والنبيُّون فُرّاطُ[8] القاصِفِينَ[9] » .

---

(١) فى م : « غشمشم » . والعثمثم : الجمل القوى الشديد .

(٢) فى م : « لتجير » .

(٣) فى م : « جائيًا » .

(٤) فى الأصل ، ٣١ ، ٢١ : « وعدت » ، وفى م : « غدرت » . والمثبت كما فى الديوان ص ٢٠٥ .

(٥) فى ٣١، ٢١، م : « رسائلك » .

(٦) الصفوة بكسر الصاد : خيار الشيء وخلاصته . النهاية ٣/ ٤٠ .

(٧) فى النسخ : « دخيلًا » ، والمثبت من الديوان ص ٢٠٥، وتاريخ دمشق ١٩١/٢٨، والرحيل من الإبل : التى تقوى على السير .

(٨) فى م : « فرط » .

(٩) فى الأصل ، ص : « لقاصفين » ، وهو كذلك فى الشعر والشعراء ٢٩٠، واللسان (ق ص ف) . وفى ٣١: « العاصبين » ، وفى ٢١، م: « العاصفين » . وفى الاستيعاب ١٥١٩/٤: « القادمين » ، وفى الإصابة ٣٩٧/٦: « التابعين » . والتصويب من النهاية ٤٣٤/٣، ٧٣/٤. والفراط المتقدمون ، والقاصفون المزدحمون ، وأصل القصف الكسر والدفع الشديد ، يريد أنهم يتقدمون الأمم إلى الجنة وهم على أثرهم بدارًا متدافعين مزدحمين .

وقال محمدُ بنُ مرْوانَ[(١)] صاحبُ كتابِ « المجالسةِ » : أخبرَنى [(٢)]حَبيبُ بنُ نَصرٍ[(٢)] الأزدىُّ ، ثنا محمدُ بنُ دينارٍ ، [(٣)]ثنا محمدُ بنُ زيادٍ[(٣)] الضَّبىُّ ، ثنا هشامُ بنُ سليمانَ المخزومىُّ ، [(٤)]عن أبيه[(٤)] ، قال : أَذِن معاويةُ للناسِ يومًا فدخَلُوا عليه فاحْتفَل المجلسُ ، وهو على سَريرِه ، فأجال بصرَه فيهم ثم قال : أنْشِدُونى لقدماءِ العربِ ثلاثةَ أبياتٍ جامعةٍ مِن أجمعِ ما قالَتْها العربُ[(٥)] . ثم قال : يا أبا خُبَيبٍ . فقال : مَهْيَمْ[(٦)] ؟ قال : أنشِدْنى ذلك . فقال : نعمْ يا أميرَ المؤْمنينَ ، بثلاثِمائةِ ألفٍ ؛ [(٧)]كلُّ بيتٍ بمائةِ ألفٍ[(٧)] . قال : نعمْ ، إنْ ساوَتْ . قال : أنتَ بالخيارِ ، وأنت وافٍ كافٍ . [(٨)]قال : نعم[(٨)] . فأنشَده للأَفْوهِ الأَوْدِىِّ[(٩)] :

بلوتُ النَّاسَ قَرْنًا بعدَ قَرْنٍ ... فلَمْ أرَ غيرَ ختّالٍ وقالٍ

فقال[(١٠)] : صدَق .

ولم أرَ فى الخُطُوبِ أشدَّ وَقْعًا ... وكيدًا مِن معاداةِ الرجالِ

فقال[(١٠)] : صدَق .

---

(١) أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ٢٨/١٩٨، ١٩٩ .

(٢ - ٢) فى الأصل : « بن نصر » ، وفى م : « خبيب بن نصير » ، وانظر مصدر التخريج .

(٣ - ٣) سقط من : م .

(٤ - ٤) فى ص : « أنه » .

(٥) زيادة من : ٣١، ٢١، م .

(٦) يعنى : ما شأنك .

(٧ - ٧) سقط من : الأصل ، ص .

(٨ - ٨) سقط من : ٣١، ٢١، م .

(٩) فى الأصل م ، ص : « الأزدى » ، وانظر الشعر والشعراء ١/٢٢٣، والأبيات فى تاريخ دمشق ٢٨/١٩٨، ومختصر تاريخ دمشق ١٢/١٨٦، ١٨٧.

(١٠) فى ٣١، ٢١، م : « فقال معاوية » .

وذُقتُ مرارةَ الأشياءِ طُرًّا فما شيءٌ أمرَّ مِن السُّؤالِ

فقال[1] : صدَق . ثم قال معاويةُ : هِيهِ يا أبا خُبيبٍ . قال : إلى هَـٰهُنا انتهَى .
قال : فدعا معاويةُ بثلاثين عبدًا ، على عُنقِ كلٍّ واحدٍ منهم بَدْرةٌ ، وهى عشَرةُ آلافِ درهمٍ ، فمرُّوا بينَ يَدَىِ ابنِ الزبيرِ حتى انتهَوْا إلى دارِه . وروَى ابنُ أبى الدُّنيا[2] ، عن أبى زَيدٍ[3] النُّمَيرِىِّ ، عن أبى عاصمٍ النبيلِ ، عن جويريةَ بنِ أسماءَ أنَّ معاويةَ لمَّا حجَّ تلقَّاه الناسُ وتخلَّف ابنُ الزبيرِ ، ثم جاءَه وقد حلَق رأسَه ، فقال : يا أميرَ المؤمنينَ ، ما أكثرَ جِحَرَةَ[4] رأسِك ؟ فقال له : اتَّقِ[5] ؛ لا تخرُجْ عليك منها حيَّةٌ فتقتُلَك . فلمّا أفاضَ معاويةُ طاف معه ابنُ الزبيرِ وهو آخذٌ بيدِه ثم استَدْعاه إلى دارِه ومنازلِه بقُعَيْقِعانَ ، فذهَب معه إليها ، فلمّا خرَجا ، قال : يا أميرَ المؤمنينَ ، إنَّ الناسَ يَقولونَ : جاء معه أميرُ المؤمنينَ إلى دُورِه ومنازلِه ففعَل[6] ماذا ؟ لا واللَّهِ لا أدَعُك حتى تُعطِيَنى مائةَ ألفٍ . فأعطاه ، فجاء مَرْوانُ فقال : واللَّهِ يا أميرَ المؤمنين ما رأيتُ مثلَك ؛ جاءك رجلٌ قد سمَّى بيتَ مالِ الديوانِ ، وبيتَ الخلافةِ ، [٧/٧٥ظ] وبيتَ كذا وبيتَ كذا ، فأعطيتَه مائةَ ألفٍ . فقال له : ويلَك ، فكيف أصنعُ بابنِ الزبيرِ ؟

وقال ابنُ أبى الدُّنيا[7] : أخبـرَنى عمرُ بنُ بُكيرٍ ، عن علىِّ بنِ[8] مجاهدٍ ،

---

(١) فى ٣١، ٢١، م : « فقال معاوية » .
(٢) أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ١٩٩/٢٨.
(٣) فى م : « يزيد » .
(٤) فى م : « حجرة » .
(٥) بعده فى م : « أن » .
(٦) بعده فى ٣١، ٢١، م : « معه » .
(٧) أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ١٩٩/٢٨، من طريق ابن أبى الدنيا به .
(٨) فى الأصل : « عن » .

(1) عن هشامِ(1) بنِ عُروةَ ، قال : سأل عبدُ اللَّهِ بنُ الزبيرِ معاويةَ شيئًا فمنعَه ، فقال : واللَّهِ ما أجهلُ أنْ أَلزَمَ هذه البَنِيَّةَ(2) فلا أشتُمُ لك عِرْضًا ولا أَقصِبُ(3) لك حَسَبًا ، ولكنِّى أَسدُلُ عِمامَتى مِنْ بينِ يَدَىَّ ذراعًا ، ومِن خَلْفِى ذِراعًا فى طريقِ أهلِ الشامِ ، وأذكُرُ(4) سيرةَ أبى بكرٍ الصديقِ وعمرَ ، فيقولُ الناسُ : مَن هذا ؟ فيقولون : ابنُ حَوارِىِّ رسولِ اللَّهِ ﷺ وابنُ بنتِ الصِّدِّيقِ . فقال معاويةُ : حَسْبُك بهذا شرًّا(5) . ثم قال : هاتِ حوائجَك .

وقال الأَصمعىُّ(6) : ثنا غسّانُ بنُ مُضرَ ، عن سعيدِ بنِ يزيدَ ، قال : دخَل ابنُ الزبيرِ على معاويةَ فأمَر ابنًا له صغيرًا فلطَمه لَطْمةً دوَّخ منها رأسَه ، فلمّا أفاقَ ابنُ الزبيرِ قال للصبىِّ : ادْنُ منِّى . فدَنا منه ، فقال له : الْطِمْ معاويةَ . قال : لا أفعَلُ . قال : ولِمَ ؟ قال : لأنَّه أبى . فرفَع ابنُ الزبيرِ يدَه فلطَم الصبىَّ لطمةً جعَل يدُورُ منها كما تدورُ الدُّوَّامةُ ، فقال له معاويةُ : تفعَلُ هذا بغلامٍ لم تَجْرِ(7) عليه الأحكامُ ؟ قال : إنَّه واللَّهِ قد عرَف ما يَضُرُّه مِمَّا ينفَعُه ، فأحببتُ أنْ أُحسِنَ أدبَه .

وقال أبو الحسنِ علىُّ بنُ محمدٍ المدائنىُّ ، عن عبدِ اللَّهِ بنِ أبى بكرٍ ، قال(8) : لحِق ابنُ الزبيرِ معاويةَ وهو سائرٌ إلى الشامِ (9) مِن المدينةِ(9) ، فوجَده وهو يَنعَسُ على

(1 - 1) سقط من النسخ ، والمثبت من تاريخ دمشق ١٩٩/٢٨، وانظر تهذيب الكمال ١١/٢٠- ١٥، ٢٣٢/٣٠- ٢٣٤.

(2) فى ٣١ : « الثنية » . والبنيَّة : من أسماء الكعبة . النهاية ١٥٨/١.

(3) فى م : « أقصم » . وقصبه إذا عابه وشتمه .

(4) فى الأصل ، ص : « أذر » .

(5) فى الأصل ، م ، ص : « شرفًا » .

(6) أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ٢٠٠/٢٨.

(7) فى م « تجز » .

(8) أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ٢٠٠/٢٨، ٢٠١.

(9 - 9) سقط من : ٣١، ٢١، م .

راحلتِه ، فقال له : أتنعَسُ وأنا معك ؟ أمَا تخافُ مِنّى أنْ أقتُلَك ؟ فقال : إنَّك لستَ مِن قُتَّالِ الملوكِ ، إنَّما يَصِيدُ كُلُّ طائرٍ قدْرَه[1] . فقال : أمَا لقد سِرْتُ تحتَ [2]لواءِ أبى[2] إلى علىِّ بنِ أبى طالبٍ ، وهو مَن تعلَمُ . فقال : لا جَرَمَ ، قتَلكُم واللَّهِ بشِمَالِه . فقال : أمَا إنَّ ذلك كان فى نُصرَةِ عثمانَ ، ثم لم يُجزَ[3] بها . فقال : إنما كان لبُغضِ علىٍّ لا لنُصرةِ عثمانَ . فقال له ابنُ الزبيرِ : إنّا قد أعطيناك عَهْدًا فنحنُ وافُونَ لك به ما عِشتَ ، [4]فإذا مِتَّ[4] فسيَعلَمُ مَن بعدَك . فقال : أمَا واللَّهِ ما أخافُك إلّا على نفسِك ، ولكأنّى بكَ قد خُبِطتَ فى الحِبَالةِ واستُحكِمَتْ عليك[5] الأُنْشُوطةُ ، فذكَرْتَنى وأمتَ[6] فيها ، فقلتَ : ليتَ[7] أبا عبدِ الرحمنِ لها ، لَيتنى واللَّهِ لها ، أمَا واللَّهِ لأُحْلُلَنَّكَ[8] رُويدًا ، ولأُطْلِقَنَّكَ[9] سريعًا ، ولبِئس الولىُّ أنتَ تِلك الساعةَ . وحكَى [10]ابنُ عُيَيْنَةَ[10] نحوَ هذا . وقد تقَدَّم[11] أنَّ معاويةَ لمَّا مات وجاءتْ بيعةُ يزيدَ بنِ معاويةَ إلى [٧٦/٧و] المدينةِ انشمَر منها ابنُ الزبيرِ والحسينُ بنُ علىٍّ فقصَدَا مكةَ فأقاما بها ، ثم خرَج الحسينُ إلى العراقِ فكان مِن [12]أمرِ مقتلِه بأرضِ كربلاءَ[12] ما تقدَّم[13] . وتفرَّد بالرياسةِ والسُّؤْدَدِ

---

(١) مثل يضرب فى إقدام المرء على ما يقدم عليه ، المستقصى ٢/٢٢٨.

(٢ - ٢) فى الأصل : « لوائى » .

(٣) فى تاريخ دمشق : « نجز » .

(٤ - ٤) سقط من : م .

(٥) فى ٣١، ٢١: « عليه » .

(٦) فى ص : « أنا » .

(٧) فى الأصل : « أنت » .

(٨) فى م: لأحللتك » ، وفى تاريخ دمشق ٢٨/ ٢٠١، ونسختين من نسخه : « لحلفتك » .

(٩) فى م : « لأطلقتك » .

(١٠ - ١٠) فى الأصل : « ابن قتيبة » ، وفى ٣١، ٢١، م : « أبو عبد الله » . وأخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ٢٨/ ٢٠١.

(١١) انظر ما تقدم فى ١١/ ٤٦٧ .

(١٢ - ١٢) فى ٣١، ٢١، م : « أمره » .

(١٣) انظر ما تقدم فى ١١/ ٤٧٣ .

بمكةَ عبدُ اللَّهِ بنُ الزبيرِ ؛ ولهذا كان ابنُ عباسٍ يُنشِدُ (١ بعدَ مَخْرجِ الحسينِ ١) :

يا لَكِ مِن قُنْبَرَةٍ بمَعْمَرِ خلا لكِ الجوُّ[٢] فَبيضِى واصْفِرِى

* ونَقِّرى ما شِئتِ أنْ تُنَقِّرى *

يُعرِّضُ بابنِ الزبيرِ .

(٣ وقيل[٤] : إنَّ يزيدَ بنَ معاويةَ كتَب إلى ابنِ الزبيرِ ؛ يقولُ : إنِّى قد بعَثتُ إليك بسِلْسِلةٍ مِن فِضَّةٍ ، وقَيْدٍ مِن ذهَبٍ ، وجامعةٍ مِن فِضةٍ وحلَفْتُ لَتأتيَنِّى فى ذلك ، فأبِرَّ قسَمى ، ولا تشُقَّ العصا . فلمّا قرَأ كتابَه ألقاه مِن يدِه ، وقال :

ولا ألينُ لغيرِ الحقِّ أسألُه حتى[٥] يَلِينَ لضِرْسِ الماضِغِ الحَجَرُ ٣)

فلمّا مات يزيدُ بنُ معاويةَ ، وابنُه معاويةُ (٦ بنُ يزيدَ ٦) مِن بعدِه قريبًا ، استفحَل أمرُ عبدِ اللَّهِ بنِ الزبيرِ جدًّا ، وبُويع له (٧ بالحجازِ والعراقِ ومصرَ ٧) ، وبايَع له الضَّحاكُ بنُ قيسٍ بدمشقَ وأعمالِها ، ولكنْ عارضَه مرْوانُ بنُ الحكمِ فى ذلك ، (٨ وما زال حتى قتَله وجماعةً بمَرْجِ راهطٍ ، كما تقدَّم[٩] . فبايَع له أهلُ الشامِ ، ثم دخَل مصرَ فانتزَعها ٨) مِن نوّابِ ابنِ الزبيرِ ، ثم جهَّز السَّرايا إلى العراقِ ، ومات

(١ - ١) سقط من : ٣١، ٢١، م . والرجز لطرفه بن العبد ، وتقدم فى ١١/ ٤٩٦.

(٢) فى ٣١، ٢١: « البر » .

(٣ - ٣) زيادة من : ٣١، ٢١، م .

(٤) انظر المستدرك ٣/٥٥٠، حلية الأولياء ١/٣٣١، وتاريخ دمشق ٢٨/٢٠٩.

(٥) فى ٣١ : « حين » . والبيت للفرزدق فى ديوانه ص ٢٤٥.

(٦ - ٦) زيادة من : ٣١، ٢١، م .

(٧ - ٧) فى ٣١، ٢١، م : « بالخلافة فى جميع البلاد الإسلامية » .

(٨ - ٨) فى ٣١ ، ٢١، م : « وأخذ الشام ومصر » .

(٩) تقدم فى ١/٦٧٥ .

واستخلَف بعدَه ابنه عبدَ الملكِ بنَ مرْوانَ ، فما زال حتى قتَل مُصعبَ بنَ الزبيرِ وأخَذ العراقَ منه ، ثم بعَث الحجّاجَ بنَ يوسفَ ، فحاصَر ابنَ الزبيرِ بمكةَ قريبًا مِن سبعةِ أشهرٍ ، حتى ظفِر به فى يومِ الثلاثاءِ سابعَ عشرَ مِن جُمادَى الأُولى سنةَ ثلاثٍ وسبعينَ .

وكانت وِلايةُ ابنِ الزبيرِ فى سنةِ أربعٍ وستِّين ، وحجَّ بالناسِ فيها كلِّها ، وبنَى الكعبةَ فى [(١)]أيامِه ، كما أشار إليه الرسولُ ﷺ[(٢)] . وردَّ بناءَها كما كانت عليه ، كما أخبرَتْه بذلك عائشةُ أُمُّ المؤمنين[(١)] ، وكسَا الكعبةَ الحريرَ ، وكانت كُسوتُها قبلَ ذلك الأنطاعَ والمُسُوحَ[(٣)] .

وكان ابنُ الزبيرِ عالمًا عابدًا مهيبًا وقورًا ، كثيرَ الصيامِ والصّلاةِ ، شديدَ الخُشُوعِ قويَّ السياسةِ . قال أبو نُعيمٍ الأصبهانيُّ[(٤)] : حدَّثنا أبو حامدِ بنُ جَبَلَةَ ، ثنا محمدُ بنُ إسحاقَ الثقفيُّ ، ثنا أحمدُ بنُ سعيدٍ الدَّارِميُّ ، ثنا أبو عاصمٍ ، عن عمرَ بنِ قَيْسٍ . قال : كان لابنِ الزبيرِ مائةُ غلامٍ يتكلَّمُ كلُّ غلامٍ منهم بلغةٍ غيرِ لغةِ الآخَرِ ، وكان ابنُ الزبيرِ يُكلِّمُ كلَّ واحدٍ منهم بلغتِه ، وكنتَ إذا نظَرتَ إليه فى أمرِ دُنياه قلتَ : هذا رجُلٌ لم يُردِ اللَّهَ[(٥)] طَرْفةَ عينٍ ، [(٦)]وإذا نظَرتَ إليه فى أَمرِ آخرتِه قلتَ : هذا رجلٌ لم يُرِدِ الدنيا طرفةَ عينٍ[(٦)] .

(١ - ١) فى ٣١، ٢١، م : « أيام ولايته كما تقدم » .

(٢) البخارى (١٥٨٣، ١٥٨٤، ١٥٨٥، ١٥٨٦)، مسلم (١٣٣٣/٣٩٨) .

(٣) بعده فى الأصل : « وكان يطيبها حتى يوجد ريحها من ظاهر الحرم ، وكان مكتوب على كسوته عبد اللَّه بن أبى بكر أمير المؤمنين » .

(٤) حلية الأولياء ١/ ٣٣٤، ومن طريق أبى نعيم أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ٢١٥/٢٨.

(٥) بعده فى ٣١، ٢١، م : « والدار الآخرة » .

(٦ - ٦) سقط من : الأصل .

وقال الثورىُّ[1] ، عن الأعمشِ ، عن أبى الضُّحَى قال : رأيتُ على رأسِ ابنِ الزبيرِ مِن المِسكِ ما لو [2]كان لى[2] كان رأسَ مالٍ . وكان يُطيِّبُ الكعبةَ حتى كان يُوجَدُ رِيحُها مِن مسافةٍ بعيدةٍ .

وقال ابنُ المُبَاركِ[3] ، عن مَعمرٍ ، عن ابنِ طاوسٍ ، عن أبيه قال : دخَل ابنُ الزبيرِ [٧٦/٧ظ] على امرأتِه بنتِ الحسنِ[4] ، فرأى ثلاثةَ مُثُلٍ - يعنى أفرِشة - فقال : هذا لى ، وهذا لابنةِ الحسنِ[5] ، وهذا للشيطانِ . فأخرَجوه .

وقال الثّورىُّ[6] ، عن [7]عبدِ الملكِ[7] بنِ أبى بشيرٍ[8] ، عن عبدِ اللَّهِ بنِ مُساورٍ ، قال : سمِعتُ ابنَ عباسٍ يُعاتِبُ ابنَ الزبيرِ على البُخلِ ، ويقولُ : قال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « ليس بالمؤمنِ مَن يَبِيتُ شبعانَ ، وجارُه إلى جنبِه جائعٌ » .

وقال الإمامُ أحمدُ[9] : حدَّثنا إسماعيلُ بنُ أبانٍ الورّاقُ ، ثنا يعقوبُ ، عن جعفرِ بنِ أبى المُغِيرةِ ، عن ابنِ أبزَى ، عن عثمانَ بنِ عفانَ قال : قال له عبدُ اللَّهِ بنُ الزبيرِ حينَ[10] حصِر : إنَّ عندِى نجائبَ قد أعددتُها لك ، فهل لك أن تحَوَّلَ إلى

---

(١) تاريخ دمشق ٢١٥/٢٨، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٦١- ٨٠هـ) ص ٤٤٤.

(٢ - ٢) سقط من : ٣١ .

(٣) أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ٢١٥/٢٨ .

(٤) فى ٣١، ٢١ : « الحسين » .

(٥) فى ٣١: « الحسين » .

(٦) أخرجه البخارى فى الأدب المفرد (١١٢) ، والحاكم فى المستدرك ١٦٧/٤ ، كلاهما بنحوه . وصححه الحاكم وأقره الذهبى . وصححه الألبانى (صحيح الأدب المفرد ٨٢) .

(٧ - ٧) فى ٣١، ٢١، م : « عبد الله » . وانظر مصدر التخريج .

(٨) فى ص : « بشر » .

(٩) المسند ٦٤/١ . إسناده ضعيف .

(١٠) فى الأصل : « حيث » .

مكةَ فيأتِيَك مَن أراد أن يأتيَك ؟ قال : لا ، إنِّى سمِعتُ رسولَ اللَّهِ ﷺ يقولُ : « يُلحِدُ بمكةَ[1] كَبشٌ مِن قريشٍ اسمُه عبدُ اللَّهِ ، عليه مِثلُ أوزارِ النّاسِ » . وهذا الحديثُ مُنكَرٌ جدًّا ، وفى إسنادِه ضعفٌ ، ويعقوبُ هذا هو القُمِّىُّ ، وفيه تَشيُّعٌ [2]وضعفٌ[2] . ومثلُ هذا لا يُقبلُ تفرُّدُه به ، وبتقديرِ صِحَّتِه فليس هو بعبدِ اللَّهِ بنِ الزبيرِ ، فإنَّه كان على صفاتٍ حميدةٍ ، وقيامُه فى الإمارةِ إنَّما كان للَّهِ عزَّ وجلَّ ، ثم هو كان [3]له الأمرُ[3] بعدَ موتِ معاويةَ بنِ يزيدَ لا محالةَ ، وهو أَرشَدُ مِن مروانَ ابنِ الحكمِ ، حيثُ نازَعه [4]بعدَ أنِ اجتمعتِ الكلمةُ عليه ، وقامتِ البيعةُ له فى الآفاقِ وانتظَم له الأمرُ[4] . واللَّهُ أعلمُ .

وقال الإمامُ أحمدُ[5] : حدَّثنا أبو النَّضرِ هاشمُ بنُ القاسمِ ، ثنا إسحاقُ بنُ سعيدٍ ، ثنا سعيدُ بنُ عمرٍو قال : أتَى عبدُ اللَّهِ بنُ عمرٍو[6] عبدَ اللَّهِ بنَ الزبيرِ ، وهو جالسٌ فى الحِجْرِ ، فقال : يا ابنَ الزبيرِ ، إيّاك والإلحادَ فى حَرمِ اللَّهِ ، فإنِّى أشهدُ لَسمِعتُ رسولَ اللَّهِ ﷺ يقولُ : « [7]يُحِلُّها ويَحُلُّ به[8][7] رجلٌ مِن قُريشٍ ، لو وُزِنَتْ ذُنوبُه بذُنوبِ[9] الثَّقلَينِ لوزنَتْها » . قال[10] : فانظُرْ أن[11] لا

---

(1) سقط من : م .

(2 - 2) سقط من ٣١، ٢١، م ، ويعقوب هو يعقوب بن عبد اللَّه بن سعد بن الأشعرى ، أبو الحسن القمى ، قال الحافظ فى التقريب ٢/ ٣٧٦: صدوق يهم .

(3 - 3) فى ٣١، ٢١، م ، ص « الإمام » .

(4 - 4) فى الأصل ، ص : « فإن البيعة كانت قد انتظمت له » .

(5) المسند ١٩٦/٢ ، ٢١٩/٢ . وهو فى الموضع الأول دون القصة . إسناده صحيح .

(6) فى الأصل ، ٣١، م، ص: « عمر » . وانظر مصدر التخريج ، وأطراف المسند ٢٢/٤، ٢٣ .

(7 - 7) فى ٣١: « تحلها وتحل بها » .

(8) فى ٢١: « بها » .

(9) فى ص : « مثل » .

(10) سقط من : ٣١، ٢١، م .

(11) سقط من: الأصل .

تكونَه[1] . [2]يا ابنَ[2] عمرٍو[3] ، فإنَّك قد قرأتَ الكتبَ وصحِبتَ النبيَّ ﷺ . قال : فإنِّى أشهِدُك[4] أنَّ هذا وَجْهى إلى الشامِ مُجاهِدًا .

وهذا[5] قد يكونُ رَفْعُه غلطًا ، وإنَّما هو مِن كلامِ عبدِ اللَّهِ بنِ عمرٍو[6] ، ممَّا[7] أصابه مِن الزّامِلتَيْن مِن علومِ[8] أهلِ الكتابِ يومَ اليرموكِ . واللَّهُ أعلمُ .

وقال وكيعٌ[9] ، عن الثَّوْرِىِّ ، عن سَلَمةَ بنِ كُهيلٍ ، عن أبى صادقٍ ، عن حنشٍ[10] الكِنانىِّ ، [11]عن عُلَيْمٍ[12] الكِندىِّ[11] ، عن سلمانَ الفارسىِّ ، قال : ليُحرَقَنَّ [13]هذا البيتُ[13] على يَدَى[14] رجلٍ مِن آلِ الزُّبيرِ .

وقال أبو بكرِ بنُ أبى خَيْثَمةَ[15] ، عن يحيى بنِ [٧٧/٧و] مَعينٍ ، عن ابنِ[16] فُضَيْلٍ ، ثنا سالمُ بنُ أبى حَفْصَةَ ، عن مُنذرٍ الثَّورِىِّ قال : قال ابنُ الحنفيَّةِ :

---

(١) فى المسند : « تكون هو » .
(٢ - ٢) فى ٣١، م : « فقال له : يا ابن عمر » .
(٣) فى ٢١، م : « عمر » .
(٤) فى م : « أشهد » .
(٥) فى الأصل : « هكذا » .
(٦) فى م : « عمر » .
(٧) فى م : « وما » .
(٨) فى ٣١، ٢١، م : « كلام » .
(٩) أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ٢٢١/٢٨، وهو فى المختصر ١٩٦/١٢.
(١٠) فى الأصل : « حسين » ، وفى ٢١: « حنيش » ، وفى م : « حبيش » ، وفى ص : « حبس » . وانظر تهذيب الكمال ٤٣٢/٧.
(١١ - ١١) سقط من : ٢١.
(١٢) فى ص : « عكيم » . وعليم - بالتصغير - هو عليم الكندى الكوفى . تعجيل المنفعة ٢٩٣.
(١٣ - ١٣) سقط من : ٣١.
(١٤) سقط من : ٣١.
(١٥) أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ٢٢١/٢٨، وهو فى مختصر تاريخ دمشق ١٩٦/١٢.
(١٦) فى م : « أبى » . وانظر تهذيب الكمال ٢٩٣/٢٦.

اللهمَّ[1] إنَّك تعلمُ أنِّى كنتُ أعلمُ مما علَّمتَنى أنَّ ابنَ الزُّبيرِ لا يخرُجُ منها إلّا قتيلًا يُطافُ برأسِه فى الأسواقِ .

وقد روَى الزبيرُ بنُ بكّارٍ[2] ، عن هشامِ بنِ عُروةَ قال : إنَّ أوَّلَ ما أفصَح به عبدُ اللَّهِ بنُ الزبيرِ وهو صغيرٌ السيفُ[3] ، فكان لا يضعُه مِن فيه . وكان الزبيرُ إذا سمِع ذلك منه يقولُ له : أمَا واللَّهِ ليَكونَنَّ لك منه يومٌ ويومٌ وأيامٌ . وقد تقدَّم[4] كيفيةُ مقتَلِه ، وأنَّ الحجاجَ صلَبه على جِذْعٍ فوقَ الثَّنيَّةِ ، (5)وأنَّه ربَط إلى جانبِه هِرَّةً ميِّتةً ، فكان ريحُ المسكِ يغلُبُ على ريحِها ، وأنَّ أمَّه أرسلَت إلى الحجاجِ تقولُ له[6] : قاتلَك اللَّهُ ، علامَ تصلُبُ ولدِى ؟ فقال : إنِّى استبقتُ أنا وإيّاه إلى هذه الخشبةِ فسبقَنى إليها(5) . وأنَّ أمَّه جاءت حتى وقَفتْ عليه فدَعَتْ له طويلًا ولا يقطُرُ مِن عينِها دمعةٌ ، ثم انصرَفتْ . وكذلك وقَف عليه ابنُ عمرَ فدعا له ، وأثْنَى عليه ثناءً كثيرًا جدًّا .

وقال الواقدىُّ[7] : حدَّثنى نافعُ بنُ ثابتٍ ، عن عبدِ اللَّهِ مولَى أسماءَ قال : لمّا قتِل عبدُ اللَّهِ خرجَتْ إليه أمُّه حتى وقفَتْ عليه ، وهى على دابَّةٍ ، فأقبَل الحجاجُ فى أصحابِه فسأل عنها فأُخبِر بها ، فأقبَل حتى وقَف عليها فقال : كيف رأيتِ

---

(١) بعده فى ص : « إنى أعلم » .

(٢) أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ٢٢٢/٢٨، وهو فى مختصر تاريخ دمشق ١٩٦/١٢.

(٣) بعده فى ٢١، م: « السيف » . ومكانه فى ٣١: « السيف الشريف » .

(٤) تقدم فى صفحة ١٧٧ وما بعدها .

(٥ - ٥) زيادة مِن : الأصل . والخبر فى تاريخ دمشق ٢٨ / ٢٢٩، ومختصر تاريخ دمشق ١٢ / ٢٠٠.

(٦) تهذيب تاريخ دمشق ٧ / ٤٢٠ بلفظه ، وتاريخ دمشق ٢٨ /٢٢٨ - ٢٢٩، ومختصر تاريخ دمشق ١٢ / ٢٠٠، كلاهما بنحوه .

(٧) أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ٢٨ / ٢٢٧. وانظر مختصر ابن منظور ١٢ /١٩٩ - ٢٠٠.

نصَر اللَّهُ الحقَّ وأظهَره؟ قالت: ربَّما أُديلَ الباطلُ على الحقِّ[1]، وإنَّك بيـنَ فرثِها والجيَّةِ[2]. فقال إنَّ ابنَك ألْحَد فى هذا البيتِ، وقد قال اللَّهُ تعالى: ﴿وَمَن يُـرِدْ فِيـهِ بِإِلْحَـادِۭ بِظُـلْمٍ نُّذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ [الحج: ٢٥]. وقد أذاقَهُ اللَّهُ ذلك العذابَ الأليمَ؛ [3]قَطْعَ السُّبُلِ[3]. قالت: كذَبْتَ، كان أوَّلَ مولودٍ ولِد فى الإسلامِ بالمدينةِ، وسُرَّ به رسولُ اللَّهِ ﷺ، وحنَّكه بيدِه وكبَّر المسلمون يومَئذٍ حتى ارتَجَّتِ المدينةُ فرَحًا به، وقد فرِحْتَ أنتَ وأصحابُك بمقتلِه، فمَن كان فرِح يومئذٍ خيرٌ منك ومِن أصحابِك، وكان مع ذلك برًّا بالوالدينِ صوَّامًا، قوّامًا بكتابِ اللَّهِ، معظِّمًا لحُرَمِ اللَّهِ، يُبغِضُ أن[4] يُعصَى اللَّهُ عزَّ وجلَّ، أشهَدُ على رسولِ اللَّهِ ﷺ لَسمِعتُه يقولُ[5]: «سيخرُجُ مِن ثَقيفٍ كذابانِ؛ الآخِرُ منهما شَرٌّ مِن الأوّلِ وهو مُبيرٌ». فانكسَر الحجاجُ وانصَرَف، فبلَغ ذلك عبدَ الملكِ فكتَب إليه يلُومُه فى مخاطبتِه أسماءَ، وقال: ما لَكَ ولابنةِ الرجلِ الصالحِ؟

وقـال مسلمُ بنُ الحجاجِ فى «صحيحِه»[6]: ثنا عُقبةُ بنُ مُكْرَمٍ، حدَّثنا يعقوبُ بنُ إسحاقَ [٧/٧٧ظ] الحضرميُّ، أنا الأسودُ بنُ[7] شيبانَ[8]، عن أبى

---

(١) بعده فى ا٣، م: «وأهله».

(٢) فى الأصل: «الجنه». وفى ا٣، ص: «الجيفة». وفى ا٢: «الحية». وفى م: «الجنة». والمثبت من مصدرى التخريج. والجية بوزن النِّيَّة، وبوزن المرَّة: مستنقع الماء. اللسان (ج ى ا).

(٣ - ٣) سقط من: م.

(٤) فى م: «من».

(٥) بعده فى ا٣، ا٢، م: «يخرج من ثقيف كذاب ومبير وفى رواية».

(٦) تقدم تخريجه فى ٩ / ٢٥٢.

(٧) فى ص: «عن».

(٨) سقط من: ص. وفى الأصل: «سليمان».

نوفلٍ ، قال : رأيتُ عبدَ اللَّهِ بنَ الزبيرِ على عَقَبةِ[1] المدينةِ[2] ، قال[3] فجعَلتْ قريشٌ تمُرُّ عليه والناسُ ، حتى مرَّ عليه عبدُ اللَّهِ بنُ عمرَ فوقَف عليه فقال : السلامُ عليك أبا خُبَيبٍ ، السلامُ عليك أبا خُبَيبٍ ، السّلامُ عليك أبا خُبَيبٍ ، أمَا واللَّهِ لقد كنتُ أنهاك عن هذا ، أمَا واللَّهِ لقد كنتُ أنهاك عن هذا ، أمَا واللَّهِ لقد كنتُ أنهاك عن هذا ، أمَا واللَّهِ إن كنتَ ما علمتُ صوّامًا قوّامًا وَصولًا للرّحمِ ، أمَا واللَّهِ لأُمَّةٌ أنت شرُّها لأُمَّةُ خيرٍ . ثم نفَذ[4] عبدُ اللَّهِ بنُ عمرَ ، فبلَغ الحجاجَ وُقوفُ ابنِ عمرَ عليه وقولُه ، فأرسَل إليه فأُنزِل[5] عن جِذْعِه وأُلقِى فى قبورِ اليهودِ ، ثم أرسَل إلى أمِّه أسماءَ بنتِ أبى بكرٍ فأبَت أن تأتِيَه فأعاد عليها الرسولَ : لَتأتِيَنِّى أو لأبعَثَنَّ إليك مَن يسحَبُكِ بقُرونِك . فأبَتْ وقالت : واللَّهِ لا آتِيه حتى يبعَثَ إلىَّ مَن يَسحبُنى بقرونى . قال[6] : فقال[7] : أَرُونى سِبْتَىَّ[8] . فأخَذ نَعْلَيه ثم انطلَق يَتوذَّفُ[9] حتى دخَل عليها فقال : كيف رأيتِنى صنعتُ بعدُوِّ اللَّهِ ؟ قالتْ : رأيتُكَ أفسدتَ عليه دُنياه ، وأفسَد[10] عليكَ آخِرتَك ، بلغَنى أنَّك تقولُ : يا ابنَ ذاتِ النِّطاقَينِ ، أنا واللَّهِ

---

(١) فى م : « ثنية » .
(٢) فى الأصل ، ٣١، ٢١، م . « الحجون » .
(٣) فى الأصل : « مصلوبا قال » . وفى ٣١، ٢١، م : « مصلوبا » .
(٤) فى ٢١: « ففر » . وفى م : « بعد » .
(٥) فى ٣١، ٢١، م : « فأنزله » .
(٦) سقط من : م .
(٧) سقط من : الأصل .
(٨) فى الأصل ، ٣١، ٢١، م ، ص : « سبيتيتى » ، والمثبت من صحيح مسلم . والسبت النعل لا شعر عليها .
(٩) فى الأصل : ٣١، ٢١، ص : « يتودف » . والتوذف مقاربة الخطو والتبختر فى المشى ، وقيل : الإسراع فيه . اللسان (و ذ ف) .
(١٠) فى م : « أفسدت » .

ذاتُ النطاقَين ؛ أمّا أحدُهما فكنتُ أرفَعُ به طعامَ رسولِ اللَّهِ ﷺ وطعامَ أبى بكرٍ[1] ، وأمّا الآخَرُ فنطاقُ المرأةِ الذى[2] لا تَسْتغنى عنه ، أَمَا إنَّ رسولَ اللَّهِ ﷺ حدَّثنا أنَّ فى ثقيفٍ كذّابًا ومُبيرًا ، فأمّا الكذّابُ فرأيناه ، وأمّا المُبيرُ فلا إخالُكَ إلّا إياه . قال : فقام عنها ولم يُراجِعْها . انفرَد به مسلمٌ .

وروَى الواقدىُّ[3] أنَّ الحجاجَ لما صلَب ابنَ الزبيرِ على ثَنِيَّةِ الحَجُونِ بعثَتْ إليه أسماءُ تدعو عليه ، وطلَبتْ منه أن يُدفَنَ ، فأَبَى عليها ، حتى كتَب إلى عبدِ الملكِ فى ذلك ، فكتَب إليه أن يُدفَنَ ، فدُفِن بالحَجُونِ ، وذكَروا أنَّه كان يُشتَمُّ مِن عندِ قبرِه رِيحُ المسكِ .

وكان الحجاجُ قد قدِم مِن الشّامِ فى أَلفَىْ فارسٍ وانْضافَ إليه طارقُ بنُ عمرٍو فى خمسةِ آلافٍ . وروَى محمدُ بنُ سعدٍ[4] ، وغيرُه ، بسندِه أنَّ الحجاجَ حاصَر ابنَ الزبيرِ ، وأنَّه اجتمَع معه أربعونَ ألفًا ، وأنَّه نصَب المَنجَنيقَ على أبى قُبَيسٍ ليرمِىَ به المسجدَ الحرامَ ، [5]الذى فيه عبدُ اللَّهِ بنُ الزبيرِ ، وأنَّه جعَل يؤمِّنُ[5] ، وأنه أمَّنَ مَن خرَج إليه مِن أهلِ مكةَ ، ونادَى فيهم بذلك ، وقال : [٧٨/٧و] إنّا لم نأتِ لقتالِ أحدٍ سوَى ابنِ الزبيرِ ، وأنَّه خيَّر ابنَ الزبيرِ بينَ ثلاثٍ ؛ إمّا أن يذهبَ فى الأرضِ حيثُ شاء ، أو يبعثَه إلى الشامِ مقيَّدًا بالحديدِ ، أو يُقاتِلَ حتى يُقتلَ . فشاوَر أمَّه فى ذلك فأشارتْ عليه بالثالثِ فقط . ويروَى[6] أنَّها استدْعَتْ بكَفنٍ له

---

(١) بعده فى الأصل ، ص : « من الدواب » .
(٢) فى الأصل ، ٣١ ، ٢١ ، م : « التى » .
(٣) أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ٢٨ /٢٢٨ - ٢٢٩ . وتقدم بعض لفظه فى ص ٢٠٨ .
(٤) تاريخ دمشق ٢٨ /٢٣٥ - ٢٣٦ ، بنحوه .
(٥ - ٥) فى ٣١ ، ٢١ ، م : « وأنه أمن » .
(٦) تاريخ دمشق ٢٨ / ٢٢٧ .

وبخَّرتْه وشجَّعَتْه على القتلِ ، فخرَج بهذه النيةِ فقاتَل يومَ الثلاثاءِ السابعَ عشرَ مِن جُمادَى الأُولى سنةَ ثلاثٍ وسبعين قِتالًا شديدًا ، فجاءتْه آجُرَّةٌ ففلَقتْ رأسَه فسقَط على وجهِه إلى الأرضِ ، ثم أراد أن ينهَضَ فلم يَقدِرْ ، فاتَّكأ على مَرفِقِه الأيسرِ وجعَل يَحذِمُ[1] بالسيفِ مَن جاءه ، فأقبَل إليه رجلٌ مِن أهلِ الشامِ فضرَبه فقطَع رجلَيْه[2] ، ثم تكاثَروا عليه حتى قتلُوه واحتزُّوا رأسَه ، وكان مَقتَلُه قريبًا مِن الحَجُونِ ، ويُقالُ[3] : بل قُتِل وهو متعلِّقٌ بأستارِ الكعبةِ . فاللَّهُ أعلمُ . ثم صَلَبه الحجاجُ مُنكَّسًا على ثَنيةِ كَداءَ عندَ الحَجونِ ، ثم لمّا أنزَله دفَنَه فى مقابرِ اليهودِ كما رواه مسلمٌ[4] ، وقِيل : دُفِن بالحَجُونِ [5]بالمكانِ الذى صُلِب فيه[5] . فاللَّهُ أعلمُ . وقيل[6] : إنَّ والدتَه أسماءَ غسَّلَتْه بعدَما تَقطَّعَت أوصالُه ، وخيَّطتْه وكفَّنَتْه ، وصَلَّتْ عليه ، وحمَلَتْه إلى المدينةِ فدفنَتْه فى دارِ صفيةَ بنتِ حُيَيٍّ ، وأنَّ هذه الدارَ زِيدَتْ فى المسجدِ ، فهو مدفونٌ فى المسجدِ مع أبى بكرٍ وعمرَ .

وقال عبدُ الرزاقِ[7] ، عن مَعمرٍ ، عن أيوبَ ، عن ابنِ سيرينَ قال : قال عبدُ اللَّهِ بنُ الزبيرِ لمّا جِيء برأسِ المختـارِ : ما كان يُحدِّثُنا كعبُ الأحبارِ شيئًا إلّا وجَدْناه [8]كما قال[8] ، إلّا قولَه : إنَّ فتى ثَقيفٍ يَقتُلُنى ، وهذا رأسُه بينَ يَدَىَّ . قال ابنُ سيريـنَ : ولم يَشعُرْ أنَّه قد خُبِّئَ[9] له الحجاجُ . ورُوِى هذا مِن وجهٍ آخرَ .

---

(١) فى الأصل : ٢١، م : « يحدم » . وفى ٣١: « يحدف » .

(٢) فى م : « رجله » .

(٣) مختصر تاريخ دمشق ١٢ / ٢٠٧.

(٤) فى ص : « مسلمة » ، وانظر ما تقدم فى ص ٢٠٩.

(٥ - ٥) فى الأصل ، ص : « تحت المكان الذى كان مصلوبا فيه » . وانظر تاريخ دمشق ٢٨ / ٢٢٩.

(٦) تاريخ دمشق ٢٨ / ٢٥٤، تاريخ دمشق - تراجم النساء ص ٢٧، وسير أعلام النبلاء ٢ / ٢٩٥.

(٧) المصنف (٢٠٧٥٥) .

(٨ - ٨) زيادة من : الأصل ، ص .

(٩) فى الأصل : « عنى » . وفى ص : « حني » .

قلتُ : والمشهورُ أنَّ مقتَلَ ابنِ الزبيرِ كان فى سنةِ ثلاثٍ وسبعينَ فى يومِ الثلاثاءِ السابعَ عشرَ مِن جُمادَى الأُولى ، وقِيل[1] : الآخرةِ منها . وعن مالكٍ وغيرِه[2] أنَّ مقتَلَه كان على رأسِ اثنتين وسبعينَ . والصَّحيحُ المشهورُ هو الأوّلُ ، وكانت بيعتُه فى سابعِ رجبٍ سنةَ أربعٍ وستِّين ، وكان مولدُه فى أوَّلِ سنةِ إحدى مِن الهجرةِ ، وقِيل : فى شوّالٍ مِن سنةِ ثنتينِ مِن الهجرةِ . فجاوَز السبعين قطعًا ، واللَّهُ أعلمُ .

وأمّا أُمُّه فإنَّها لم تَعِشْ بعدَه إلّا مائةَ يومٍ ، وقِيل : إنَّما عاشت بعدَه عشرةَ أيامٍ . وقيل : خمسةً . والأوَّلُ هو المشهورُ . وستأتى ترجمتُها قريبًا ، رضِى اللَّهُ عنها .

[3]وكان له مِن الولدِ خُبَيْبٌ وحمزةُ وعبّادٌ وثابتٌ ، [٧٨/٧ظ] وأُمُّهم تُماضِرُ بنتُ منظورٍ الفَزاريِّ ، وهاشمٌ وقيسٌ وعروةُ - قتِل مع أبيه - والزبيرُ ، وأُمُّهم أُمُّ هاشمٍ بنتُ حلّةَ بنِ منظورٍ ، وعامرٌ وموسَى وأُمُّ حكيمٍ وفاطمةُ وفاختةُ ، وأُمُّهم جثيمةُ بنتُ عبدِ الرحمنِ بنِ الحارثِ بنِ هشامٍ ، وبكرٌ ورقيَّةُ ، وأُمُّهم عائشةُ بنتُ عثمانَ بنِ عفانَ ، وعبدُ اللَّهِ ومصعبٌ مِن أمِّ ولدٍ .

وقد أسنَد ثلاثةً وثلاثين حديثًا[3] .

وقد رثَى ابنُ الزبيرِ وأخوه مصعبٌ بمراثٍ كثيرةٍ حسنةٍ بليغةٍ ، رحِمهما اللَّهُ ؛ مِن ذلك قولُ [4]عمرِو بنِ مَعمرٍ[4] الذُّهْلىِّ يرثيهما بأبياتٍ[5] :

لعمرُكَ ما أبقيتُ فى الناسِ حاجةً   ولا كنتُ مَلبوسَ الهُدَى مُتذَبذِبا

---

(١) تاريخ دمشق ٢٨ / ٢٤٥، ٢٤٩، ٢٥١، ٢٥٢.

(٢) أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ٢٨ / ٢٤٦، ٢٤٧.

(٣ - ٣) زيادة من: الأصل.

(٤ - ٤) فى ٣١، ٢١، م: «معمر بن معمر». والمثبت من تاريخ دمشق الموضع الآتى.

(٥) زيادة من: ٣١، ٢١، م. والأبيات فى تاريخ دمشق ٢٨ / ٢٥٦.

غداةَ دعانى مُصعبٌ فأجبتُه وقلتُ له أهلًا وسهلًا ومرحبا
أبوكَ حواريُّ الرسولِ وسيفُه فأنتَ بحمدِ اللَّهِ مِن خيرِنا أبا
وذاكَ أخوكَ المهتدَى بضيائِه بمكَّةَ يَدعونا دعاءً مثوّبا[1]
ولم أَكُ ذا وَجْهينِ وجهٍ لمصعبٍ مريضٍ ووجهٍ لابنِ مروانَ إذْ صَبا
وكنتُ امرأً ناصَحْتُه غيرَ مُؤثرٍ عليه ابنَ مَرْوانَ ولا مُتقرِّبا
إليه بما تُقذَى به عينُ مصعبٍ ولكنَّنى ناصَحْتُ[2] فى اللَّهِ مُصعبا
إلى أن رمَتْهُ الحادثاتُ بسهمِها فللهِ[3] سهمًا ما أسدَّ وأصوبا
فإن يَكُ هذا الدَّهرُ أَوْدَى[4] بمصعبٍ وأصبحَ عبدُ اللَّهِ شِلوًا[5] مُلَحَّبا[6]
فكُلُّ امرئٍ حاسٍ مِن الموتِ جُرْعةً وإن حادَ عنها جُهدَه وتَهَيَّبا

وقد[7] روَى الطَّبرانىُّ[8] ، عن عامرِ بنِ عبدِ اللَّهِ بنِ الزبيرِ أنَّ أباه حدَّثه أنَّ النبىَّ ﷺ أعطاه دمَ مَحاجِمِه يُهَرِيقُه فحساه ، فلمَّا رجَع إلى النبىِّ ﷺ ، قال : « ما صنَعتَ يا عبدَ اللَّهِ بالدَّمِ ؟ » قلتُ : جعَلتُه فى مكانٍ ظَنَنْتُ أنه خافٍ على الناسِ . قال : « فلعَلَّك شرِبْتَه » . قلتُ : نعم . قال : « ومَن أَمَرك أن تشرَبَ الدَّمَ ؟ ويلٌ لك مِن الناسِ ، وويلٌ للناسِ منك » .

---

(١) فى ٢١: « متوبا » .
(٢) فى ص : « ناصحته » .
(٣) فى م : « فياللّٰه » .
(٤) فى ٣١، ٢١، م : « أردى » .
(٥) الشلو : أعضاء الإنسان بعد التفرق والبلى .
(٦) فى ٣١: « ملجبا » . والملحَّب : الشىء الذى فيه أثر الضرب والقطع .
(٧) من هنا حتى قوله « وممن قتل مع ابن الزبير ... » فى صفحة ٢٢٠، زيادة من ٣١، م .
(٨) تقدم تخريجة فى ص ١٨٨.

ودخَل سلمانُ الفارسىُّ مرَّةً على النبىِّ ﷺ، فإذا عبدُ اللَّهِ بنُ الزبيرِ قائمٌ فى الدِّهليزِ ومعه طَسْتٌ يشرَبُ منه، فدخَل سلمانُ ودخَل عبدُ اللَّهِ على رسولِ اللَّهِ ﷺ، قال له: «فرَغتَ؟». قال: نعم. قال سلمانُ: وما ذاك يا رسولَ اللَّهِ؟ قال: «أعطَيتُه غُسَالةَ محاجِمى يُهَرِيقُ ما فيها». قال سلمانُ: شرِبها والذى بعَثك بالحقِّ. قال: «شرِبتَه؟». قال: نعم. قال: «لِمَ؟». قال: أحبَبتُ أن يكونَ دَمُ رسولِ اللَّهِ ﷺ فى جَوْفى. فقال بيدِه على رأسِ ابنِ الزبيرِ، وقال: «وَيلٌ لك مِن الناسِ، وَوَيلٌ للناسِ منك، لا تَمَسُّك النارُ إلا تَحِلَّةَ القَسَمِ»[1].

ولمَّا بعَث يزيدُ بنُ معاويةَ إلى ابنِ الزبيرِ ذلك القيدَ مِن ذهبٍ، وسلسلةً مِن فِضَّةٍ، وجامعةً مِن فضَّةٍ، وأقسَم لَتَأْتِيَنِّى فيها، فقالوا له: بِرَّ قسَمَ أميرِ المؤمنين. فقال[2]:

ولا أَلِينُ لغيرِ الحقِّ أسألُه حتى يَلينَ لضِرْسِ الماضغِ الحجرُ

ثم قال: واللَّهِ لَضَربةٌ بسيفٍ فى عزٍّ أحبُّ إلىَّ مِن ضربةٍ بسَوطٍ فى ذُلٍّ. ثم دعا إلى نفسِه، وأظهَر الخلافَ ليزيدَ بنِ معاويةَ.

ورَوَى الطبرانىُّ[3] أنَّ ابنَ الزبيرِ دخَل على أمِّه، فقال: إنَّ فى الموتِ لراحةً. وكانت أُمُّه قد أتَتْ عليها مائةُ سنةٍ لم يسقُطْ لها سِنٌّ، ولم يفسُدْ لها بصرٌ، فقالت له: ما أُحِبُّ أن أموتَ حتى آتِىَ على أحدِ طرفَيكَ؛ إمَّا أن تملِكَ فتقَرَّ عينى، وإمَّا أن تُقتَلَ فأحتَسِبَك. ثم خرَج عنها، وهو يقولُ:

---

(١) تقدم تخريجه فى ص ١٨٩.

(٢) تقدم فى ص ٢٠٣.

(٣) المعجم الكبير (قطعة من الجزء ١٣) صفحة ٩٤ (٢٣٠).

ولستُ بمُبْتاعِ الحياةِ بسُبَّةٍ ولا مُرْتَقٍ[1] مِن خَشْيةِ الموتِ سُلَّما

ثم أقبَل على آلِ الزبيرِ يعِظُهم ، ويقولُ : لِيُكِنَّ أحدُكم سيفَه [2]كما يُكِنُّ وجهَه[2] ، فيدفَعَ عن نفسِه بيدِه كأنَّه امرأةٌ ، واللَّهِ ما لَقِيتُ[3] زَحْفًا قطُّ إلا فى الرَّعيلِ الأولِ ، وما أَلِمْتُ جُرْحًا إلا أَلَمَ الدَّواءِ . ثم حمَل عليهم ومعه سَيْفان[4] ، فأوَّلُ مَن لقِيَه الأسودُ ، فضرَبه بسيفِه حتى أطَنَّ رِجلَه[5] ، فقال له الأسودُ : أَخٌّ يا ابنَ الزانيةِ . فقال له ابنُ الزبيرِ : اخسَأْ يا ابنَ حامٍ ، أسماءُ زانيةٌ ؟! ثم أخرَجهم مِن المسجدِ ، وكان على ظهرِ المسجدِ جماعةٌ مِن أعوانِه يَرمُون أعداءَه بالآجُرِّ ، فأصابَتْه آجُرَّةٌ مِن أعوانِه مِن غيرِ قَصْدٍ فى مَفرِقِ رأسِه ففلَقتْ رأسَه ، فوقَف قائمًا ، وهو يقولُ[6] :

لو كان قِرْنى واحدًا كَفَيتُه

ويقولُ[7] :

ولَسْنا على الأعقابِ تدْمَى كلومُنا ولكنْ على أقدامِنا تقْطُرُ[8] الدِّما[9]

ثم وقَع فأكَبَّ عليه مَوليان له ، وهما يقولان :

---

(1) فى م : « بمريق » .

(2 - 2) فى ا ٣١ : « كماء وجهه » وفى م : « كما وجهه » . وانظر المعجم الكبير (قطعة من الجزء ١٣) ص ٩٢ ، ٩٣ (٢٣٠) ، والحلية ١ / ٣٣١ ، ٣٣٢ .

(3) فى م : « بقين » .

(4) فى م : « سفيان » . وانظر الطبرانى الكبير (قطعة من الجزء ١٣) ص ٩٥ .

(5) يعنى جعلها تطن من صوت القطع ، وأصله من الطنين وهو صوت الشيء الصلب . النهاية ٣/ ١٤٠ .

(6) جزء من الحديث الطويل المتقدم قبل قليل عند الطبرانى وأبى نعيم ، وتقدم الرجز فى ص ١٨٢ .

(7) تقدم فى ص ١٨٣ .

(8) فى ا ٣١ ، م : « يقطر » . والمثبت من مصدرى التخريج .

(9) فى م : « الدم » .

ثم أرسَلوا إليه فحزُّوا رأسَه .

وروَى الطبرانىُّ[(1)] أيضًا ، عن إسحاقَ بنِ أبى إسحاقَ قال : أنا حاضرٌ مَقتلَ عبدِ اللَّهِ بنِ الزبيرِ فى المسجدِ الحرامِ ؛ يومَ قُتِل جعَلتِ الجيوشُ تدخُلُ مِن أبوابِ المسجدِ ، وكلَّما دخَل قومٌ مِن بابٍ ، حمَل عليهم حتى يُخرِجَهم ، فبينَما هو على تلك الحالِ إذ جاءت شُرفةٌ مِن شُرُفاتِ المسجدِ ، فوقَعتْ على رأسِه فصرَعتْه ، وهو يتمَثَّلُ بهذه الأبياتِ :

أسماءُ يا[(2)] أسماءُ لا تَبْكِينى   لم يبْقَ إلّا حَسَبى ودِينى
وصارمٌ لانَتْ بهِ يَمينى

وقد روِى[(3)] أنَّ أمَّه قالت للحجاجِ : أمَا آنَ لهذا الرّاكبِ أنْ يَنْزِلَ ؟ فقال الحجاجُ : ابنُكِ المنافقُ ؟ فقالت : واللَّهِ ما كان منافِقًا ، إن كان لَصوّامًا قوّامًا وَصولًا للرّحمِ . فقال : انْصَرِفى يا عجوزُ ، فإنَّك قد خَرِفْتِ . فقالت : واللَّهِ ما خَرِفْتُ منذُ سمِعتُ رسولَ اللَّهِ ﷺ يقولُ : « يَخرُجُ مِن ثقيفٍ كذّابٌ ومُبيرٌ »[(4)] . فأمَّا الكذّابُ فقد رأيناه ، وأمّا المبيرُ فأنتَ .

وقال مجاهدٌ[(5)] : كنتُ مع ابنِ عمرَ فمرَّ علَى ابنِ الزبيرِ فوقَف فترَحَّم عليه

---

(١) المعجم الكبير (قطعة من الجزء ١٣) ص ٩١ - ٩٢ (٢٢٨).
(٢) سقط من : م .
(٣) أخرجه أبو نعيم فى الحلية ١ / ٣٣٤.
(٤) تقدم هذا اللفظ فى ٩ / ٢٥١.
(٥) أخرجه أبو نعيم فى الحلية ١ / ٣٣٤، وابن عساكر فى تاريخ دمشق ٢٨ / ٢٣٩، كلاهما بنحوه مطولًا .

(١ وأثْنَى عليه ١) ، ثم التفَتَ إلىَّ وقال : أخبرَنى أبو بكرٍ الصديقُ أنَّ رسولَ اللَّهِ ﷺ قال : « مَن يَعمَلْ سُوءًا يُجْزَ به » .

وروَى سفيانُ[٢] ، عن ابنِ جُريجٍ ، عن ابنِ[٣] أبى مُليكةَ قال : ذكَرتُ ابنَ الزبيرِ عندَ ابنِ عباسٍ ، فقال : كان عفيفًا فى الإسلامِ ، قارِئًا للقرآنِ ، صوَّامًا قوَّامًا ، أبوه الزبيرُ ، وأمُّه أسماءُ ، وجَدُّه أبو بكرٍ ، وعمَّتُه خديجةُ ، وجَدَّتُه صفيةُ ، وخالتُه عائشةُ ، واللَّهِ لأُحاسِبَنَّ له بنفسِى محاسبةً لم أحاسِبْها لأبى بكرٍ ولا لعمرَ .

وقال الطبرانىُّ[٤] : حدَّثنا زكريا السَّاجِىُّ[٥] ، ثنا حَوْثَرةُ بنُ محمدٍ ، ثنا أبو أسامةَ ، ثنا سعيدُ بنُ المَرْزُبانِ أبو سعيدٍ العَبْسىُّ ، ثنا محمدُ بنُ عبدِ اللَّهِ الثَّقَفِىُّ ، قال : شهِدتُ خُطبةَ ابنِ الزبيرِ بالمَوْسمِ ، خرَج علينا قبلَ الترويةِ بيومٍ وهو مُحْرِمٌ ، فلَبَّى بأحسنِ تلبيةٍ سمِعْتُها قطُّ ، ثم حمِد اللَّهَ وأثْنَى عليه ، ثم قال : أمّا بعدُ ، فإنَّكم جِئتُمْ مِن آفاقٍ شَتَّى وُفُودًا إلى اللَّهِ عزّ وجلّ ، فحَقٌّ على اللَّهِ أن يُكرِمَ وَفْدَه ، فمَن كان منكم يَطلُبُ ما عندَ اللَّهِ فإنَّ طالبَ ما عندَ اللَّهِ لا يَخيبُ ، فصَدِّقوا قولَكم بفعلٍ ، فإنَّ مِلاكَ القولِ الفعلُ ، والنيةَ النيةَ ، والقلوبَ القلوبَ ، اللَّهَ اللَّهَ فى أيامِكم هذه ؛ فإنَّها أيامٌ تُغفَرُ فيها الذُّنوبُ ، جِئتُم مِن آفاقٍ شَتَّى فى غيرِ تجارةٍ ولا طلبِ مالٍ ولا دُنيا تَرجونها هـٰهنا . ثم لَبَّى ولَبَّى النّاسُ ، فما رأيتُ باكيًا أكثرَ مِن يومئذٍ .

(١ - ١) زيادة من : ٣١.
(٢) أخرجه أبو نعيم فى الحلية ١ /٣٣٤ ، وابن عساكر فى تاريخ دمشق ٢٨ / ١٦٦.
(٣) سقط من : م . وانظر مصدرى التخريج .
(٤) أخرجه أبو نعيم فى الحلية ١ /٣٣٥ - ٣٣٦.
(٥) فى م : « الناجى » . وانظر التقريب ١ / ٢٦٢، والأنساب ٣ / ١٩٦.

وروَى الحسنُ بنُ سفيانَ[1] قال: ثنا حِبَّانُ[2] بنُ موسى، ثنا عبدُ اللَّهِ بنُ المُباركِ، ثنا مالكُ بنُ أنسٍ، عن وهبِ بنِ كَيسانَ قال: كُتِب إلى عبدِ اللَّهِ بنِ الزبيرِ بموعظةٍ: أمّا بعدُ، فإنَّ لأهلِ التَّقوى علاماتٍ يُعرَفون بها ويَعرفونها مِن أنفسِهم؛ صِدْقُ الحديثِ، وأداءُ الأمانةِ، وكَظْمُ الغيظِ، وصَبْرٌ على البلاءِ، ورِضًا بالقضاءِ، وشكرٌ للنَّعماءِ، وذُلٌّ لحُكْمِ القرآنِ، وإنَّما الإمامُ[3] كالسُّوقِ ما نفَق فيها حمِل إليها، إن نفَق الحقُّ عندَه حمِل إليه وجاءه أهلُه، وإن نفَق الباطلُ عندَه حمِل إليه وجاءه أهلُه.

وقال أبو معاويةَ[4]: ثنا هشامُ بنُ عروةَ، عن وهبِ بنِ كيسانَ قال: ما رأيتُ ابنَ الزبيرِ يعطِى سَلَمَه قطُّ لرغبةٍ ولا لرهبةِ سلطانٍ ولا غيرِه.

(5) وبهذه الإسناداتِ (5) أهلُ الشامِ كانوا يُعَيِّرُونَ ابنَ الزبيرِ ويقولون له: يا ابنَ ذاتِ النِّطاقَين. فقالت له أسماءُ: يا بُنيَّ، إنَّهم يُعيِّرونك بالنِّطاقَين، وإنَّما كان لى نِطاقٌ واحدٌ شقَقْتُه نصفَين؛ فجعَلتُ فى سُفرةِ رسولِ اللَّهِ ﷺ أحدَهما، وأوكَيتُ قِربتَه بالآخرِ لمَّا خرَج هو وأبو بكرٍ يريدان الهجرةَ إلى المدينةِ. فكان ابنُ الزبيرِ بعدَ ذلك إذا عَيَّروه بالنِّطاقَين يقولُ: إيهًا[6] واللَّهِ:

---

(1) أخرجه أبو نعيم فى الحلية ١ / ٣٣٦، وعنده «الحسين بن سفيان»، وانظر تهذيب الكمال ٦ / ٣٤٥.

(2) فى م: «حيان». وفى الحلية «حبيب». وانظر تهذيب الكمال ٥ /٣٤٤ - ٣٤٥، وتاريخ دمشق ١٣ / ٩٩.

(3) فى م: «الأيام».

(4) أخرجه أبو نعيم فى الحلية ١ / ٣٣٦، وابن عساكر فى تاريخ دمشق ٢٨ / ١٨٦.

(5 - 5) فى ٣١: «بهذا الإسنادان». وانظر طبقات ابن سعد ٨ / ٢٥٠، والحلية ١ / ٣٣٦.

(6) فى م: «إنها».

وتلك شَكاةٌ ظاهرٌ عنك عارُها[1]

واللَّهُ سبحانَه وتعالى أعلمُ.

ومّن قُتل مع ابنِ الزبيرِ فى سنةِ ثلاثٍ وسبعينَ بمكةَ مِن الأعيانِ:

عبدُ اللَّهِ بنُ صَفْوانَ بنِ أميةَ بنِ خَلَفِ الجُمَحِيُّ أبو صفوانَ المكِّيُّ[2]، وكان أكبرَ ولدِ أبيه، أدرَك حياةَ النبيِّ ﷺ وروَى عن عمرَ وجماعةٍ مِن الصحابةِ، وحدَّث عنه خَلْقٌ مِن التابعين، وكان سيِّدًا شريفًا مطاعًا حليمًا [3]يحتمِلُ الأَذى؛ لو سبَّه عبدٌ أسودُ ما استنكَف عنه، ولم يَقصِدْه أحدٌ فى شىءٍ فردَّه خائبًا، ولا سَمِع بمفازةٍ إلّا حفَر فيها جُبًّا أو عمِل فيها بِرْكةً، ولا عقَبةٍ إلا سَهَّلها. وقِيل[4]: إنَّ المُهَلَّبَ بنَ أبى صُفْرةَ قدِم على ابنِ الزبيرِ مِن العراقِ فأطال الخَلوةَ معه، فجاء ابنُ صَفْوانَ فقال: مَن هذا الذى شغَلك منذُ اليومِ؟ قال: هذا سيِّدُ العربِ مِن أهلِ العراقِ. فقال: يَنْبغِى أنّ يكونَ المُهَلَّبَ. فقال المُهَلَّبُ لابنِ الزبيرِ: ومَن هذا الذى يَسألُ عنِّى يا أميرَ المؤمنينَ؟ قال: هذا سيِّدُ قريشٍ بمكَّةَ. فقال: ينبغِى أن يكونَ عبدَ اللَّهِ بنَ صفوانَ. وكان ابنُ صفوانَ[3] كريمًا جدًّا.

وقال الزبيرُ بنُ بكَّارٍ بسندِه[5]: إنَّ معاويةَ قدِم مكَّةَ حاجًّا فتـلقّاه النّاسُ، فكان عبدُ اللَّهِ بنُ صَفْوانَ فى جملةِ مَن تلَقّاه فجعَل يسايرُ معاويةَ، وجعَل أهلُ

---

(١) عجز بيت لأبى ذؤيب الهذلى وصدره:

* وعيَّرها الواشون أنى أحبها *

والبيت بتمامه فى ديوان الهذليين ١ / ٢١.

(٢) الاستيعاب ٣ /٩٢٧ - ٩٢٨، وأسد الغابة ٣ / ٢٧٩، والإصابة ٥ / ١٤.

(٣ - ٣) سقط من: الأصل، ص.

(٤) تاريخ دمشق ٢٩ /٢١٣ - ٢١٤ بنحوه.

(٥) تاريخ دمشق ٢٩ /٢٠٩ بنحوه.

الشّامِ يقولون : مَن هذا الذى يُسايرُ أميرَ المؤمنينَ ؟ فلمّا انتهَى[(1)] إلى مكةَ إذا الجبلُ أبيضُ مِن الغَنَمِ ، فقال : يا أميرَ [٧٩/٧و] المؤمنين ، هذه غنَمٌ [(٢)]أجزَرْتُكها[(٣)] تُقسّمُها بينَ الجندِ[(٢)] ؛ فإذا هى ألفا شاةٍ ، فقالوا[(٤)] : ما رأَينا أكرمَ مِن ابنِ عمِّ أميرِ المؤمنينَ .

ثم كان ابنُ صَفوانَ مِن جملةِ مَن صبَر مع ابنِ الزبيرِ حين حصَره الحجّاجُ ، فقال له ابنُ الزبيرِ : إنِّى قد أقلتُك بيعَتى ، فاذهَبْ حيثُ شئتَ . فقال : إنِّى إنما قاتَلْتُ عن دِينى . ثم صبَّر نفسَه حتى قُتِل ، وهو متعلِّقٌ بأستارِ الكعبةِ فى هذه السنةِ ، رحِمه اللَّهُ وأكرَم مثواه .

عبدُ اللَّهِ بنُ مُطِيعِ بنِ الأسودِ بنِ حارثةَ القُرَشِىُّ العَدَوِىُّ المَدَنِىُّ[(٥)] ، ولِد فى حياةِ رسولِ اللَّهِ ﷺ وحنَّكه ، ودعا له بالبركةِ[(٦)] ، وروَى عن أبيه عن رسولِ اللَّهِ ﷺ أنه قال[(٧)] : « لا يُقتَلُ قُرَشِىٌّ بعدَ اليومِ صبرًا إلى يومِ القيامةِ » .

وعنه ابناه ؛ إبراهيمُ ومحمدٌ ، والشّعبىُّ ، وعيسى بنُ طلحةَ بنِ عبيدِ اللَّهِ ، ومحمدُ بنُ أبى موسى .

قال الزبيرُ بنُ بكّارٍ[(٨)] : كان ابنُ مُطيعٍ مِن كبارِ رِجالِ قريشٍ جَلَدًا وشجاعةً ،

---

(١) فى الأصل ، ص : « انتهوا » .

(٢ - ٢) فى ٣١، ٢١، م : « أجزتكها » ، وفى ص ، وتاريخ دمشق : « أجزرتكها » .

(٣) بعده فى الأصل ، م : « لك » .

(٤) فى ٣١، ٢١، م : « فقال أهل الشام » .

(٥) الاستيعاب ٣ / ٩٩٤، وأسد الغابة ٣ /٣٩٣، والإصابة ٤ / ٢٣٩، ٥ /٢٥ .

(٦) التاريخ الصغير ١ / ١٥٩.

(٧) تقدم تخريجه فى ٦ / ٥٨٢.

(٨) الاستيعاب ٣ / ٩٩٥، وتهذيب الكمال ١٦ /١٥٣ - ١٥٤.

وأخبرنى عمّى[(١)] مصعبٌ أنه كان على قريشٍ[(٢)] يومَ الحرَّةِ، وقُتلِ مع ابنِ الزبيرِ بمكَّةَ، وهو الذى يقولُ:

أنا الذى فرَرتُ يومَ الحرَّهْ * والشَّيخُ لا يَفِرُّ غيرَ[(٣)] مرَّهْ * لأجبُرَنَّ[(٤)] (٥كرَّةً بفرَّهْ٥)

رحِمه اللَّهُ.

عَوْفُ بنُ مالكِ بنِ أبى عَوفٍ الأَشْجعىُّ الغَطَفانىُّ[(٦)]، صحابىٌّ جليلٌ، شهِد مُؤْتةَ مع خالدِ بنِ الوليدِ والأمراءِ قبلَه، وشهِد الفتحَ، وكانت معه رايةُ قومِه يومئذٍ، وشهِد فتحَ الشامِ، وروَى عن رسولِ اللَّهِ ﷺ أحاديثَ، وروَى عنه جماعةٌ مِن التابعين، وأبو هريرةَ، وقد مات قبلَه، وقال الواقدِىُّ[(٧)]، وخليفةُ بنُ خيّاطٍ[(٨)]، وأبو عبيدٍ[(٩)]، وغيرُ واحدٍ[(١٠)]: تُوفى سنةَ ثلاثٍ وسبعينَ بالشَّامِ.

أسماءُ بنتُ أبى بكرٍ الصِّدّيقِ[(١١)] والدةُ عبدِ اللَّهِ بنِ الزبيرِ، يقالُ لها: ذاتُ النِّطاقينِ. وإنما سُمِّيتْ بذلك عامَ الهجرةِ حين شقَّتْ نِطاقَها فربَطتْ به سُفرةَ

---

(١) فى ص: «عن».
(٢) بعده فى ٣١، ٢١، م: «أميرًا».
(٣) فى م: «إلا».
(٤) فى م: «ولا جبرت».
(٥ - ٥) فى ٣١، ٢١، م: «فزة بكره».
(٦) الاستيعاب ٣/ ١٢٢٦، وأسد الغابة ٤/ ٣١٢، والإصابة ٤/ ٧٤٢. وبعده فى ٣١، ٢١، م: «رضى اللَّه عنه وهو عوف بن مالك».
(٧) الطبقات ٤/ ٢٨١، وتاريخ دمشق ١٣/ ٧٠٥، ٧٠٦، ٧١١ (مخطوط).
(٨) تاريخ خليفة ١/ ٣٤٢.
(٩) تاريخ دمشق ٧١٢/١٣ (مخطوط).
(١٠) تاريخ دمشق ٧٠٥/١٣ (مخطوط).
(١١) الاستيعاب ٤/ ١٧٨١، وأسد الغابة ٧/ ٩، والإصابة ٧/ ٤٨٦.

النبىِّ ﷺ وأبى بكرٍ حينَ خرَجا (١) إلى غارِ ثَورٍ للهجرةِ (١) . وأمُّها : قَيلةُ [٢] ، وقِيلَ : قُتَيْلَةُ [٣] بنتُ عبدِ العُزَّى مِن بنى عامرِ بنِ لُؤَىٍّ .

أسلَمتْ أسماءُ قديمًا ، وهم بمكّةَ فى أوّلِ الإسلامِ ، وهاجَرتْ هى وزوجُها الزبيرُ ، وهى حاملٌ مُتِمٌّ بولدِها عبدِ اللَّهِ فوضَعتْه بقُبَاءٍ أوّلَ مَقدَمِهم المدينةَ ، ثم ولَدتْ للزبيرِ بعدَ ذلك عُروةَ ، والمُنذرَ [٤] ، ثم لمّا كبِرتْ طلَّقها الزبيرُ ؛ وقيل [٥] : بل قال له عبدُ اللَّهِ ابنُه : إنَّ مِثْلى لا تُوطَأُ أُمُّه . فطلَّقها الزبيرُ . وقِيل [٦] : بل اختصمَت هى والزبيرُ فجاء عبدُ اللَّهِ ليُصلِحَ بينَهما ، فقال الزبيرُ : إنْ (٧) دخَلتَ فهى طالقٌ . فدخَلتُ فبانَت (٧) . فاللَّهُ أعلمُ .

(١ - ١) فى ٣١، ٢١، م : « عامدين إلى المدينة » .

(٢) فى ص : « قتلة » .

(٣) فى ٣١، ٢١، م : « قبيلة » .

(٤) بعده فى ٣١ ، ٢١ ، م : « وهى آخر المهاجرين والمهاجرات موتا ، وكانت هى وأختها عائشة وأبوها أبو بكر الصديق وجدها أبو عتيق وابنها عبد الله وزوجها الزبير صحابيين ، رضى الله عنهم . وقد شهدت اليرموك مع ابنها وزوجها . وهى أكبر من أختها عائشة بعشر سنين . وقيل : إن الحجاج دخل عليها بعد أن قتل ابنها فقال : يا أماه ، إن أمير المؤمنين أوصانى بك ، فهل لك من حاجة ؟ فقالت : لست لك بأم ، إنما أنا أم المصلوب على الثنية ، وما لى من حاجة ، ولكن أحدثك أنى سمعت رسول الله ﷺ يقول : « يخرج من ثقيف كذاب ومبير » . فأما الكذاب فقد رأيناه ، وأما المبير فلا أراك إلا إياه . فقال : أنا مبير المنافقين . وقيل : إن ابن عمر دخل معه عليها ، وابنها مصلوب فقال لها : إن هذا الجسد ليس بشىء ، وإنما الأرواح عند الله ؛ فاتقى الله واصبرى . فقالت : وما يمنعنى من الصبر وقد أهدى رأس يحيى بن زكريا إلى بغى من بغايا بنى إسرائيل ! وقيل : إنها غسلته وحنطته وكفنته وطيبته وصلت عليه ثم دفنته ، ثم ماتت بعده بأيام فى آخر جمادى الآخرة » .

(٥) أسد الغابة ٧/ ٩ - ١٠.

(٦) أسد الغابة ٧/ ١٠، وتاريخ دمشق - تراجم النساء ص ١٨.

(٧ - ٧) فى الأصل : « حبلت فهى طالق فإذا هى حبلت فبانت منه » .

وقد عُمِّرتْ [٧٩/٧ظ] أسماءُ دهرًا صالحًا وأضَرَّتْ فى آخرِ عمرِها . (١ وقِيل(٢) : بل كانت صحيحةَ البصرِ لم يَسقُطْ لها سِنٌّ١) . وأدركتْ قَتْلَ ولدِها فى هذه السنةِ ، كما ذكَرنا ، ثم ماتَتْ بعدَه بخمسةِ أيامٍ . وقِيل : بعشَرةٍ . وقِيل : بعشرينَ . وقيل : ببضعةٍ وعشرينَ يومًا . وقيل : عاشَتْ بعدَه مائةَ يومٍ . وهو الأشهرُ . وبلغَت مِن العمرِ مائةَ سنةٍ ، ولم يسقُطْ لها سِنٌّ ، (٣ولم يُنكَرْ لها عقلٌ ، رحِمها اللَّهُ ، ورضِى عنها٣) . (١وقد روَت عن النبىِّ ﷺ عدَّةَ أحاديثَ طيبةٍ مباركةٍ ، رضِى اللَّهُ عنها ، ورحِمها١) .

قال ابنُ جريرٍ(٤) : وفى هذه السنةِ - يعنى سنةَ ثلاثٍ وسبعينَ - عزَل عبدُ الملكِ خالدَ بنَ عبدِ اللَّهِ عن البصرةِ ، وأضافها إلى أخيه بشرِ بنِ مروانَ مع الكوفةِ ، فارتحَل إليها بشرٌ واستَخْلَف(٥) على الكوفةِ(٦) عمرَو بنَ حُريثٍ .

وفيها غزَا محمدُ بنُ مروانَ الصَّائفَةَ فهزَم الرومَ .

وقِيل(٤) : إنه كان فى هذه السّنةِ وَقْعةُ عثمانَ بنِ الوليدِ بالرومِ مِن ناحيةِ أرمينِيَّةَ ، وهو فى أربعةِ آلافٍ ، والرومُ فى سِتّين ألفًا فهزَمهم ، وأكْثرَ القتلَ فيهم .

وأقام للنّاسِ الحجَّ فى هذه السنةِ الحجّاجُ بنُ يوسفَ الثقفىُّ أيضًا ، وهو على

(١ - ١) زيادة من : ٣١، ٢١، م .
(٢) تاريخ دمشق - تراجم النساء صفحة ٢٨.
(٣ - ٣) زيادة من : ٣١، ٢١، م، ص .
(٤) تاريخ الطبرى ٦/ ١٩٤.
(٥) يعنى بشرا .
(٦) فى الأصل : « المدينة » .

مكّةَ واليمنِ واليمامةِ. وعلى الكوفةِ والبصرةِ بشرُ بنُ مروانَ، (١ في قولِ الواقديِّ. وفي قولِ غيرِه؛ على الكوفةِ بشرُ بنُ مروانَ، وعلى البصرةِ خالدُ بنُ عبدِ اللَّهِ ١) . وعلى قضاءِ الكوفةِ شُرَيحُ بنُ الحارثِ. وعلى قضاءِ البصرةِ هشامُ بنُ هُبَيْرةَ. وعلى إمرةِ خراسانَ بُكَيرُ بنُ وِشاحٍ، يعنى الذى كان نائبًا لعبدِ اللَّهِ بنِ خازمٍ[٢]، واللَّهُ أعلمُ.

و[٣]ممّن تُوفى فيها غيرُ مَن تقدّمَ ذِكْرُه مع ابنِ الزبيرِ:

عبدُ اللَّهِ بنُ[٤] سعدِ بنِ خَيْثمةَ[٥] الأنصاريُّ، له صُحبةٌ، وشهِد اليرموكَ، وكان كثيرَ العبادةِ والغَزْوِ.

(٦ **عبدُ اللَّهِ ٦) بنُ أبى حَدْرَدٍ الأَسْلمِيُّ، أبو محمدٍ**، له صحبةٌ وروايةٌ، تُوفِّى بالمدينةِ.

مالكُ بنُ مِسمَعِ بنِ غسّانَ البصريُّ[٧]، كان شديدَ الاجتهادِ فى العبادةِ والزَّهادةِ.

ثابتُ بنُ الضّحّاكِ الأنصاريُّ[٨]، له صُحبةٌ وروايةٌ، تُوفِّى بالمدينةِ، يقالُ

(١ - ١) سقط من: ٣١، ٢١، م.

(٢) فى الأصل، ٣١، ص: «حازم».

(٣) من هنا إلى ما قبل قوله: ثم دخلت سنة أربع وسبعين، زيادة من ٣١، ٢١، م.

(٤) سقط من: م.

(٥) فى ٣١، ٢١: «خيثم». وفى م: «حيثم». وانظر ترجمته فى: الاستيعاب ٣/ ٩١٧، وأسد الغابة ٣/ ٢٥٨، والإصابة ٤/ ١٠٨.

(٦ - ٦) فى ٣١: «عبيد اللَّه». وانظر ترجمته فى: الاستيعاب ٣/ ٨٨٧، وأسد الغابة ٣/ ٢١٠، والإصابة ٤/ ٥٤.

(٧) الإصابة ٦/ ٢٧٥، والمعارف ٤١٩، ٥٨٧، وجمهرة ابن حزم ٣٢٠، ٣٢١، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٦١ - ٨٠هـ) ص ٥٢١.

(٨) الاستيعاب ١/ ٢٠٥، وأسد الغابة ١/ ٢٧١، والإصابة ١/ ٣٩١.

له : أبو زيدٍ الأشْهَلىُّ . وهو مِن أهلِ البيعةِ تحتَ الشَّجرةِ . قال يحيى بنُ أبى كثيرٍ : أخبرَنى أبو قِلابةَ ، أنّ ثابتَ بنَ الضّحّاكِ أخبرَه أنَّه بايَع رسولَ اللَّهِ ﷺ تحتَ الشَّجرةِ ، وأنَّ رسولَ اللَّهِ ﷺ قال[1] : « مَن قذَف مؤمنًا بكُفْرٍ فهو كقتلِه[2] » .

زينبُ بنتُ أبى [3]سلمةَ المخزوميةُ[3] ، ربيبةُ النبىِّ ﷺ ، وَلَدَتْها أُمُّها بالحبشةِ ، ولها روايةٌ وصُحبةٌ .

توبةُ بنُ[4] الحُمَيِّرِ[5] ، وهو الذى يُقالُ له : مجنونُ ليلى . كان توبةُ يَشُنُّ الغاراتِ على بنى الحارثِ بنِ كعبٍ ، فرأى ليلى فهواها ، وتَهتَّك فيها ، وهام بها محبّةً وعِشقًا ، وقال فيها الأشعارَ الكثيرةَ القويّةَ الرائقةَ التى لم يُسبَقْ إليها ولا يُلْحَقُ فيها ؛ لكثرةِ ما فيها مِن المعانى والحِكمِ ، وقد قِيل له مرّةً : هل كان بينَك وبينَ ليلى رِيبةٌ قَطُّ ؟ فقال : بَرِئتُ مِن شفاعةِ محمدٍ ﷺ إنْ كنتُ قطُّ حلَلْتُ سَراوِيلى على محرَّمٍ . وقد دخَلتْ ليلى على عبدِ الملكِ بنِ مروانَ تَشكُو ظُلامةً ، فقال لها : ماذا رأى مِنك توبةُ حتى عشِقكِ هذا العِشْقَ كلَّه ؟ فقالت : واللَّهِ يا أميرَ المؤمنينَ لم يكُنْ بينى وبينَه قَطُّ ريبةٌ ولا خَنا ، وإنما العربُ تعشَقُ وتعِفُّ ،

---

(١) البخارى (٤١٧١، ٦٠٤٧) .

(٢) فى م : « كفيله » .

(٣ - ٣) فى م : « سلمى المخزومى » . وترجمتها فى الاستيعاب ٤/ ١٨٥٤، وأسد الغابة ٧/ ١٣١، والإصابة ٧/ ٦٧٥.

(٤) فى م : « بنت » .

(٥) فى النسخ : « الصمة » . وانظر ترجمته فى الشعر والشعراء ١/ ٤٤٥، والأغانى ١١/ ٢٤٠، والمؤتلف والمختلف للآمدى ص ٩١، وفوات الوفيات ١/ ٢٥٩، والوافى بالوفيات ١٠/ ٤٣٦، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٦١ - ٨٠هـ) ص ٣٧٣.

وتقولُ الأشعارَ فى مَن تهوَى وتُحِبُّ مع العِفَّةِ والصيانةِ لأنفسِها عن الدّناءاتِ . فأزال ظُلامتَها وأجازها . تُوفى توبةُ فى هذه السنةِ ، وقِيل : إنّ ليلى جاءتْ إلى قَبْرِه فبكَتْ عليه حتى ماتَتْ . واللَّهُ أعلَمُ .

ثم دخلت سنة أربعٍ وسبعين

فيها عزَل عبدُ الملكِ طارقَ بنَ عمرٍو عن إمرةِ المدينةِ وأضافها إلى الحَجّاجِ بنِ يوسفَ الثقفىِّ، فقدِمها الحجّاجُ فأقام بها شهرًا[1]، ثم خرَج معتمِرًا، ثم عاد إلى المدينةِ فى صَفَرٍ فأقام بها ثلاثةَ[2] أشهرٍ، وبنَى فى بنى سَلِمة مسجدًا، وهو الذى يُنسَبُ إليه اليومَ. ويقالُ: إنَّ الحجّاجَ فى هذه السَّنةِ وهذه المدةِ ختَم[3] جابرًا وسهْلَ بنَ سعدٍ، وقرَّعهما؛ لِمَ لا نصَرا عثمانَ بنَ عفانَ، وخاطَبهما خطابًا غليظًا - قبَّحه اللَّهُ وأخزاه - وقد استقضَى[4] أبا إدريسَ[5] الخَوْلانىَّ - أُظُنُّه - على اليمنِ. واللَّهُ أعلمُ.

(6) وقال الواقدىُّ[7]: إنَّ الحجّاجَ لما قدِم المدينةَ صعِد مِنبَرَ رسولِ اللَّهِ ﷺ، فخطَب الناسَ وقال: يا أهلَ خَبيثةَ - يعنى طَيْبَةَ - أنتم شرُّ أُمَّةٍ وأخسُّ، ولولا أنَّ أميرَ المؤمنين أوصانى بكم لجعلتُها مثلَ جوفِ حمارٍ، يا أهلَ خَبيثةَ، تَمَنَّوْن، هل تَعَوّذون إلّا بأعوادٍ يابسةٍ - يَعْنى المنبرَ - ورُمَّةٍ باليةٍ، وأشار إلى قبرِ النبىِّ ﷺ، ثم نزَل وأرسَل إلى سهلِ بنِ سعدٍ الساعدىِّ، فقال: ما منَعك أن تنصُرَ أميرَ المؤمنين عثمانَ؟ فقال: قد فعَلتُ. فقال: كذَبْتَ. [٧/٨٠و] ثم أمَر به فخُتِم فى عنُقِه (6)

---

(١) فى ٣١، ٢١، م: «أشهرا». وانظر تاريخ الطبرى ٦/ ١٩٥.

(٢) فى الأصل: «ثمانية».

(٣) فى الأصل، ٢١: «حتم». وفى م: «شتم». وفى الطبرى «فختتم فى أعناقهم».

(٤) يعنى عبد الملك بن مروان. تاريخ الطبرى ٦/ ١٩٥.

(٥) فى ص: «مسلم».

(٦ - ٦) سقط من: ٣١، ٢١، م، ص.

(٧) تاريخ الطبرى ٦/ ١٩٥. بنحوه مختصرًا. وانظر تاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٦١ - ٨٠ هـ) ص ٣١٨.

(1) برَصاصٍ ، وكذلك فعَل بجابرِ بنِ عبدِ اللَّهِ ؛ ختَمه فى يدِه ، وأنسِ بنِ مالكٍ فى عنُقِه ، وكان قصدُه يُذِلُّهم بذلك ، فقال أنسٌ : إنَّ أهلَ الذِّمَّةِ لا يجوزُ أن يُفعَلَ بهم هذا(1) .

قال ابنُ جريرٍ(2) : وفيها نقَض الحجّاجُ بنيانَ الكعبةِ الذى كان ابنُ الزبيرِ بناه ، وأعادها على بنيانِها الأولِ .

قلتُ : الحجّاجُ لم ينقُضْ بنيانَ الكعبةِ جميعَه ، بل إنَّما هدَم الحائطَ الشاميَّ حتى أخرَج الحِجْرَ (3) من البيتِ(3) ثم سدَّه وأَدخَل فى جوفِ الكعبةِ ما فضَل مِن الأحجارِ ، وبَقِيتِ الحيطانُ الثلاثةُ بحالِها ؛ ولهذا بقِى البابانِ(4) الشرقيُّ والغربيُّ وهما ملصَقان بالأرضِ ، كما هو المشاهَدُ إلى يومِنا هذا ، ولكنْ سَدَّ الغربيَّ بالكُلِّيةِ وردَم أسفلَ الشرقيِّ حتى جعَله مرتفعًا كما كان فى الجاهليةِ ، ولم يبلُغِ الحجّاجَ ولا عبدَ الملكِ ما كان بلَغ ابنَ الزبيرِ مِن العلمِ النبويِّ الذى كانت أخبرَتْه به خالتُه أُمُّ المؤمنين عائشَةُ بنتُ الصدِّيقِ ، رضِى اللَّهُ عنها ، عن رسولِ اللَّهِ ﷺ - كما تَقدَّم ذلك - مِن قولِه(5) : « لولا أَنَّ قومَكِ حديثُ عهدُهم (6) بكفرٍ - وفى روايةٍ : بجاهليَّةٍ(6) - لنقَضتُ الكعبةَ وأدخَلتُ فيها الحِجْرَ ، وجَعلتُ لها بابًا شرقيًّا وبابًا غربيًّا ، ولألصَقْتُهما بالأرضِ ، فإنَّ قومَكِ قصُرَتْ بهم النفقةُ فلم يُدْخِلوا فيها الحِجْرَ ولم يُتَمِّمُوها على قواعدِ إبراهيمَ ، ورفَعوا بابَها ليُدخِلوا مَن شاءُوا

(1 - 1) سقط من : ۳۱، ۲۱، م، ص.
(2) تاريخ الطبرى ٦/ ١٩٥.
(3 - 3) زيادة من ۳۱، ۲۱، م.
(4) فى م : « البنيان » .
(5) أصل الحديث عند البخارى (١٥٨٤، ١٥٨٦، ٧٢٤٣)، مسلم (١٣٣٣)، وفى بعض ألفاظه اختلاف عما أورده المصنف . وتقدم فى ٣٨٢/١ - ٣٨٣.
(6 - 6) فى الأصل : « وفى رواية بكفر » .

ويمنَعوا مَن شاءُوا » . فلمّا تمكَّنَ ابنُ الزبيرِ بناها كذلك . ولمّا بلَغ عبدَ الملكِ هذا الحديثُ بعدَ ذلك قال : وددْنا أنّا تركناه وما تَوَلَّى مِن ذلك .

وفى هذه السنةِ ولِى المُهلَّبُ بنُ أبى صُفرةَ حربَ الأزارقةِ عَن أمرِ عبدِ الملكِ لأخيه بشرِ بنِ مَرْوانَ أن يُجهِّزَ المُهَلَّبَ إلى الخوارجِ الأزارقةِ[(١)] فى جيوشٍ مِن أهلِ البصرةِ والكوفةِ ، ووجَد بشرٌ على المهلَّبِ فى نفسِه ، حيثُ عيَّنه عبدُ الملكِ فى كتابِه ، فلم يجِدْ بدًّا مِن طاعتِه فى تأميرِه على الناسِ فى هذه الغزوةِ ، وما كان له مِن الأمرِ شىءٌ ، غيرَ أنَّه أوصَى أميرَ الكوفيِّين[(٢)] [(٣)]عبدَ الرحمنِ[(٣)] بنَ مِخْنَفٍ أن يَستبِدَّ بالأمرِ دونَه ، وأن لا يَقبَلَ له رأيًا ولا مشورةً ، فسار المهلَّبُ بأهلِ البصرةِ وأمراءِ الأرباعِ معه على منازِلِهم حتى نزَل برامَهُرمُزَ ، فلم يَلبَثْ عليها إلا عَشْرًا حتى جاء نَعْىُ بشرِ بنِ مَرْوانَ ، وأنَّه مات بالبصرةِ ، واستَخلَف عليها خالدَ بنَ عبدِ اللَّهِ ، فارفَضَّ[(٤)] بعضُ الجيشِ ورجَعوا إلى البصرةِ ، فبعَثوا فى آثارِهم مَن يرُدُّهم ، وكتَب [٨٠/٧ظ] خالدُ بنُ عبدِ اللَّهِ إلى الفارِّينَ يتوعَّدُهم إن لم يرجِعوا إلى أميرِهم ، ويتوعَّدُهم بسَطْوةِ عبدِ الملكِ ، فعدَلوا يستأذِنون عمرَو بنَ حُريثٍ فى المصيرِ إلى الكوفةِ ، فكتَب إليهم : إنَّكم ترَكتُم أميرَكم وأقبلتُم عاصِين مخالِفين ، فليس لكم إذنٌ ولا إمامٌ ولا أمانٌ . فلمّا جاءهم ذلك أقبَلوا إلى رحالِهم [(٥)]فركِبوها ثم ساروا إلى بعضِ البلادِ[(٥)] ، فلم يزالوا مختفِين بها حتى قدِم الحجّاجُ واليًا على العراقِ مكانَ بشرِ بنِ مَرْوانَ ، كما سيأتى بيانُه قريبًا .

---

(١) سقط من : ٣١، ٢١، م .

(٢) فى الأصل : « المؤمنين » .

(٣ - ٣) فى م : « عبد اللَّه » ، وانظر تاريخ الطبرى ٦/ ١٩٦.

(٤) فى م : « فأرخى » .

(٥ - ٥) سقط من : الأصل، ص .

وفى هذه السنةِ عزَل عبدُ الملكِ بُكَيْرَ بنَ وِشاحٍ التميميَّ عن إمرةِ خُراسانَ وولَّاها أُمَيَّةَ بنَ عبدِ اللَّهِ بنِ خالدِ بنِ أسِيدِ القرشيَّ[1]؛ ليجتَمِعَ عليه الناسُ، فإنَّه قد كادتِ الفتنةُ تتفاقَمُ بخُراسانَ بعدَ عبدِ اللَّهِ بنِ خازمٍ[2]، فلمّا قدِم أميةُ ابنُ عبدِ اللَّهِ خُراسانَ عرَض على بكيرِ بنِ وِشاحٍ أن يكونَ على شُرْطتِه، فأبَى وطلَب منه أن يولِّيَه طُخارِستانَ، فخوَّفوه منه أن يخلَعَه هنالِك، فترَكه مقيمًا عندَه.

قال ابنُ جريرٍ[3]: وحجَّ بالناسِ فيها الحجّاجُ وهو على إمرةِ المدينةِ ومكةَ واليمنِ واليمامةِ. قال ابنُ جريرٍ[4]: وقد قيلَ: إنَّ عبدَ الملكِ اعتمَر فى هذه السنةِ، ولا نعلمُ صحةَ ذلك.

ذِكرُ مَن تُوفى فى هذه السَّنةِ مِن الأعيانِ

رافعُ بنُ خَديجِ بنِ رافعٍ الأنصاريُّ[5]، صحابيٌّ جليلٌ، شهِد أُحُدًا وما بعدَها، [6]وشهِد[7] صِفِّينَ مع عليٍّ، وكان يَتعانَى المزارعَ والفِلاحةَ. توفِّى وهو ابنُ ستٍّ وثمانين سنةً، وأسنَد ثمانيةً وسبعِين حديثًا[6]، وأحاديثُه جيدةٌ. وقد أصابه يومَ أُحدٍ سهمٌ فى تَرْقُوتِه، فخيَّره رسولُ اللَّهِ ﷺ بينَ أن ينزِعَه منه وبينَ أن

(١) انظر: تاريخ الطبرى ٦/ ١٩٩، والمنتظم ٦/ ١٤٣.
(٢) فى الأصل، ٣١: «حازم».
(٣) تاريخ الطبرى ٦/ ٢٠١. ولم يذكر أن الحجاج كان على إمرة اليمن واليمامة.
(٤) تاريخ الطبرى ٦/ ٢٠١.
(٥) الاستيعاب ٢/ ٤٧٩، وأسد الغابة ٢/ ١٩٠، والإصابة ٢/ ٤٣٦.
(٦ - ٦) سقط من: الأصل، ص.
(٧) سقط من: م.

يترُكَ فيه القُطْبَةَ[1] ويشهَدَ له يومَ القيامةِ ، فاختار هذه ، وانتقَض عليه فى هذه السنةِ فمات منه ، رضِى اللَّهُ عنه .

أبو سعيدٍ الخُدْرِىُّ سعدُ بنُ مالكِ بنِ سِنانٍ الأنصارىُّ الخزرجىُّ[2] ، صحابىٌّ جليلٌ مِن فقهاءِ الصحابةِ ، اسْتُصْغِر يومَ أُحدٍ ، ثم كان أولَ مشاهِدِه الخندقُ ، وشهِد مع رسولِ اللَّهِ ﷺ ثِنْتَىْ عَشْرَةَ غزوةً ، وروَى عنه أحاديثَ كثيرةً ، وعن جماعةٍ مِن الصحابةِ[3] ، وحدَّث عنه خلقٌ مِن التابعِين وجماعةٌ مِن الصحابةِ . وكان مِن نُجباءِ الصحابةِ وفُضلائِهم وعلمائِهم ، رضِى اللَّهُ عنه .

قال الواقدىُّ[4] وغيرُه[5] : مات سنةَ أربعٍ وسبعِين . وقِيل[6] : قبلَها بعشرِ سنِين . فاللَّهُ أعلمُ .

(7) قال الطبرانىُّ[8] : حدَّثَنا المِقدامُ بنُ داودَ ، ثنا خالدُ بنُ نِزارٍ ، ثنا هشامُ بنُ سعدٍ[9] ، عن زيدِ بنِ أسلمَ ، عن عطاءِ بنِ يسارٍ ، عن أبى سعيدٍ الخدرىِّ ، قال : قلتُ : يا رسولَ اللَّهِ ، أىُّ الناسِ أشدُّ بلاءً ؟ فقال : « النبيُّون » . قلتُ : ثم أىٌّ ؟(7)

---

(١) فى الأصل ، ٣١، ٢١ : « القطنة » . وفى م ، ص : « العطبة » . وفى الإصابة : « القطيفة » . والمثبت من النهاية ٤/ ٧٩.

والحديث أورده ابن حجر فى الإصابة ٢/ ٤٣٧، وعزاه لابن شاهين من طريق محمد بن يزيد عن رجاله . والقطبة : نصل السيف . انظر النهاية ٤/ ٧٩.

(٢) الاستيعاب ٢/ ٦٠٢، وأسد الغابة ٢/ ٣٦٥، والإصابة ٣/ ٧٨.

(٣) بعده فى حاشية الأصل : « وأسند أبو سعيد ألفا ومائة وسبعين حديثا » .

(٤) عزاه ابن حجر فى الإصابة ٣/ ٨٠ إلى الواقدى .

(٥) الاستيعاب ٢/ ٦٠٢، وأسد الغابة ٢/ ٣٦٥.

(٦) تاريخ دمشق ٢٠/ ٣٩٨.

(٧ - ٧) سقط من : الأصل ، ص .

(٨) المعجم الأوسط (٩٠٤٣)، بنحوه .

(٩) فى م : « سعيد » .

(١) قال : « ثم الصالحون ، إن كان أحدُهم ليُبتَلَى بالفقرِ حتى ما يجِدُ إلّا السُّترةَ - وفى روايةٍ : إلّا العَباءةَ - أو نحوَها ، وإن أحدَهم ليُبتلَى فيَقْمَلُ حتى يَنبِذَ القَمْلَ ، وكان أحدُهم بالبلاءِ أشدَّ فرحًا منه بالرخاءِ » .

وقال قتيبةُ بنُ سعيدٍ(٢) : ثنا الليثُ بنُ سعدٍ ، عن ابنِ عَجْلانَ ، عن سعيدٍ المَقْبُرِيِّ ، عن أبى سعيدٍ الخدريِّ ، أنَّ أهلَه شكَوْا إليه الحاجةَ فخرَج إلى رسولِ اللَّهِ ﷺ يسألُ لهم شيئًا ، فوافَقه على المِنبرِ وهو يقولُ : « أيُّها الناسُ ، قد آنَ لكم أن تستغنُوا عن المسألةِ ، فإنَّه مَن يَستعِفَّ يُعِفَّه اللَّهُ ، ومَن يَستغنِ يُغنِه اللَّهُ ، والذى نفسُ محمدٍ بيدِه ، ما رزَق اللَّهُ عبدًا مِن رزقٍ أوسَعَ له مِن الصبرِ ، ولئن أبيتُم إلّا أن تسألونى لأُعطِيَنَّكم ما وجَدتُ » . وقد رواه الطبرانىُّ ، عن عطاءِ بنِ يسارٍ ، عن أبى سعيدٍ ، نحوَه(٣)(١) .

عبدُ اللَّهِ بنُ عمرَ بنِ الخطابِ ، القرشىُّ العَدَوىُّ ، أبو عبدِ الرحمنِ المكىُّ ثم المدنىُّ(٤)

أسلَم قديمًا مع أبيه ولم يبلُغِ الحُلُمَ ، وهاجَر(٥) وعمرُه عَشْرُ سنين ، وقد استُصغِر يومَ أُحدٍ (٦) وكان ابنَ أربعَ عشرةَ(٦) ، فلمّا كان يومُ الخندقِ أجازه وهو ابنُ خمسَ عَشْرةَ سنةً فشهِدها وما بعدَها . [٨١/٧و] وهو شقيقُ حفصةَ أمِّ المؤمنين ،

(١ - ١) سقط من : الأصل ، ص .
(٢) أخرجه أبو نعيم فى الحلية ١/ ٣٧٠ من طريق قتيبة بن سعيد به .
(٣) أخرجه أبو نعيم فى الحلية ١/ ٣٧٠ من طريق الطبرانى عن عطاء بن يسار به .
(٤) الاستيعاب ٣/ ٩٥٠، وأسد الغابة ٣/ ٣٤٠، والإصابة ٤/ ١٨١.
(٥) فى ٣١، م، ص : « هاجرا » .
(٦ - ٦) سقط من : الأصل، ٣١، ٢١، م . وانظر طبقات ابن سعد ٤/ ١٤٣.

أُمُّهما زينبُ بنتُ مظعونٍ أختُ عثمانَ بنِ مظعونٍ .

وكان عبدُ اللَّهِ بنُ عمرَ رَبْعةً مِن الرجالِ آدمَ ، له جُمَّةٌ تضرِبُ إلى مَنكِبَيْه ، جَسيمًا يَخضِبُ بالصُّفرةِ ويُحفِي شاربَه ، وكان يَتوضَّأُ لكلِّ صلاةٍ ويُدخِلُ الماءَ فى أُصولِ عينَيْه ، وقد أراده عثمانُ على القضاءِ فأبَى ذلك ، وكذلك أبوه . وشهِد اليرموكَ والقادسيةَ وجَلُولاءَ وما بينَهما مِن وقائعِ الفرسِ ، وشهِد فتحَ مصرَ ، واختَطَّ بها دارًا ، وقدِم البصرةَ ، وشهِد غزوَ فارسَ وورَد المدائنَ مِرارًا ، وكان عمْرُه يومَ مات النبىُّ ﷺ ثِنْتين وعشرِين سنةً ، وكان إذا أعجَبه شىءٌ مِن مالِه تَقرَّب به إلى اللَّهِ عزَّ وجلَّ ، وكان عبيدُه قد عرَفوا ذلك منه ، فرُبَّما لزِم أحدُهم المسجدَ فإذا رآه ابنُ عمرَ على تلك الحالِ أعتقَه ، فيقالُ له : إنَّهم يخدعُونك . فيقولُ[(1)] : مَن خدَعنا باللَّهِ انخدَعْنا له . وكان له جاريةٌ يحِبُّها كثيرًا فأعتقها وزوَّجها لمولاه نافعٍ ، وقال : إنَّ اللَّهَ تعالى يقولُ : ﴿لَن تَنَالُواْ ٱلْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُواْ مِمَّا تُحِبُّونَۚ﴾ [آل عمران : ٩٢] . (٢)وكان له نَجِيبٌ اشتراه بمالٍ(٢) فأعجَبه لمَّا رِكبه ، فقال : يا نافعُ أدخِلْه فى إبلِ الصدقةِ . وأعطاه ابنُ جعفرٍ فى نافعٍ عشرةَ آلافِ دينارٍ ، فقيل له : ما تنتظِرُ ببيْعِه ؟ فقال : ما هو خيرٌ مِن ذلك ، هو حُرٌّ لوجهِ اللَّهِ . واشترَى مرةً غلامًا بأربعِين ألفًا وأعتَقه ، فقال الغلامُ : (٣)يا مولاى قد أعتقتَنى فهَبْ لى شيئًا أعيشُ به . فأعطاه أربعِين ألفًا . واشترَى مرةً خمسةَ عبيدٍ فقام يصلِّى فقاموا خلفَه يصلُّون فقال : لمن صلَّيتُم هذه الصلاةَ ؟ فقالوا : للَّهِ ! فقال : فأنتم أحرارٌ لمن صلَّيتُم له . فأعتقَهم . والمقصودُ أنَّه(٣) ما مات حتى أعتَق ألفَ رقبةٍ ، ورُبَّما تصدَّق

---

(١) حلية الأولياء ١/ ٢٩٤، وتاريخ دمشق ٣٧/ ٥٢، ٥٣ (ط. الرسالة)، وأسد الغابة ٣/ ٣٤٣.

(٢ - ٢) فى ٣١، ٢١، م: «واشترى مرة بعيرا». والنجيب: الخفيف السريع القوى من الإبل.

(٣ - ٣) فى الأصل: «قد أحسنت إلى فأحسن إلى ولدى. فقال: هما حران. قال: فأميهما. قال: هما حران. فأعتق الخمسة كانوا بمبلغ مال و».

فى المجلسِ الواحدِ بثلاثين ألفًا، وكانت تمضِى عليه الأيامُ الكثيرةُ والشهرُ لا يذوقُ فيه لحمًا، (١وما كان يأكُلُ طعامًا١) إلَّا وعلى مائدتِه يتيمٌ.

وبعَث إليه معاويةُ بمائةِ ألفٍ لمَّا أراد أن يبايعَ ليزيدَ، فما حال عليه الحولُ وعندَه منها شيءٌ، وكان يقولُ: إنِّى لا أسألُ أحدًا شيئًا، فما رزقَنى اللَّهُ فلا أرُدُّه. وكان فى مدةِ الفتنةِ لا يأتى أميرٌ إلّا صلَّى خلفَه، وأدَّى إليه زكاةَ مالِه، وكان أعلمَ الناسِ بمناسكِ الحجِّ، وكان يتتبَّعُ آثارَ رسولِ اللَّهِ ﷺ (٢كلَّ مكانٍ صلَّى فيه أو قعَد فيه٢)، حتى إنَّ النبيَّ ﷺ نزَل تحتَ شجرةٍ، فكان ابنُ عمرَ يتعاهَدُها ويَصُبُّ فى أصلِها الماءَ (١حتى لا تيبَسَ١). وكان إذا فاتَتْه العشاءُ فى جماعةٍ أحيا تلك الليلةَ، وكان يقومُ أكثرَ الليلِ، وقيلَ: إنَّه مات وهو فى الفَضْلِ مِثلَ أبيه، وكان يومَ مات خيرَ مَن بقِى. ومكَث ستِّين سنةً يُفتى الناسَ مِن سائرِ البلادِ.

ورَوَى عن النبيِّ ﷺ [٨١/٧ظ] أحاديثَ كثيرةً، ورَوَى عن الصدِّيقِ وعن عمرَ وعثمانَ وسعدٍ وابنِ مسعودٍ وحفصةَ وعائشةَ أمَّيِ المؤمنين وغيرِهم. وعنه خلقٌ (٣من التابعين٣)؛ منهم بنوه حمزةُ وبلالٌ وزيدٌ وسالمٌ وعبدُ اللَّهِ وعبيدُ اللَّهِ وعمرُ - إن كان محفوظًا - وأسلَمُ - مولى أبيه - وأنسُ (٤بنُ سِيرينَ٤) والحسنُ وسعيدُ بنُ جُبيرٍ وسعيدُ بنُ المسيَّبِ وطاوسٌ وعروةُ وعطاءٌ وعكرمةُ ومجاهدٌ وابنُ سِيرينَ والزهريُّ ومولاه نافعٌ.

(١ - ١) سقط من: م.

(٢ - ٢) فى ٣١، ٢١، م: «يصلى فيها».

(٣ - ٣) زيادة من: ص.

(٤ - ٤) فى ٣١: «وابن سيرين». وانظر تهذيب الكمال ١٥/ ٣٣٤.

وثبَت فى « الصحيحِ »[1] عن حفصةَ أنَّ رسولَ اللَّهِ ﷺ قال : « إنَّ عبدَ اللَّهِ رجلٌ صالحٌ لو كان يقومُ الليلَ » . فكان بعدُ يقومُ الليلَ . وقال ابنُ مسعودٍ[2] : إنَّ مِن أملَكِ شبابِ قريشٍ لنفسِه عن الدنيا ابنَ عمرَ . وقال جابرٌ[3] : ما مِنّا أحدٌ أدرَك الدنيا إلّا مالت به ومال بها ، إلّا ابنَ عمرَ ، [4]وما أصاب أحدٌ مِن الدنيا شيئًا إلّا نقَص مِن درجاتِه عندَ اللَّهِ وإن كان عليه كريمًا[4] . وقال سعيدُ بنُ المسيَّبِ[5] : مات ابنُ عمرَ يومَ مات وما مِن الدنيا أحدٌ أَحَبَّ أن ألْقَى اللَّهَ بمثلِ عَمَلِه منه . وقال الزُّهْرِىُّ[6] : لا يُعدَلُ برأيِه ، فإنَّه أقام بعدَ رسولِ اللَّهِ ﷺ ستِّين سنةً ، فلم يَخْفَ عليه شىءٌ مِن أمرِه ولا مِن أمرِ أصحابِه ، رضِى اللَّهُ عنهم . وقال مالكٌ[7] : بلَغ ابنُ عمرَ ستًّا وثمانين سنةً ، وأفتَى فى الإسلامِ ستين سنةً ، يَقدَمُ عليه وُفودُ الناسِ مِن أقطارِ الأرضِ . وقال الواقدىُّ[8] وجماعةٌ[9] : توفِّى ابنُ عمرَ سنةَ أربعٍ

---

(١) فى ٣١، ص : « الصحيحين » . والحديث عند البخارى (٧٠٢٩) ، وبنحوه (١١١٢، ١١٥٨، ٣٧٣٩، ٣٧٤١، ٧٠١٦، ٧٠٣١) .

(٢) أخرجه ابن سعد فى الطبقات ٤/ ١٤٤، وأبو نعيم فى الحلية ١/ ٢٩٤. وانظر تاريخ دمشق ٣٧/ ٢٩- ٣٠ (ط . الرسالة) .

(٣) أخرجه الفسوى فى المعرفة والتاريخ ١/ ٤٩٠، وأبو نعيم فى الحلية ١/ ٢٩٤. كلاهما مختصرًا بنحوه .

(٤ - ٤) سقط من : ص .

(٥) أخرجه أبو نعيم فى الحلية ١/ ٣٠٤، ٣٠٥. وابن عساكر فى تاريخ دمشق ٣٦/٣٧ (ط . الرسالة) .

(٦) أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ٨٠/٣٧ (ط . الرسالة) .

(٧) أخرجه البخارى فى التاريخ الصغير ١/ ١٨٣، والفسوى فى المعرفة والتاريخ ٣/ ٤٧٥، والخطيب فى تاريخ بغداد ١/ ١٧٣. وفى هذه المصادر أنه بلغ سبعا وستين سنة .

وأما قوله : وأفتى فى الإسلام ستين سنة . فقد أخرجه الفسوى فى المعرفة والتاريخ ١/ ٤٩١، والخطيب فى تاريخ بغداد ١/ ١٧٢، وابن عساكر فى تاريخ دمشق ٨٠/٣٧ (ط . الرسالة) . كلهم بنحوه .

(٨) تاريخ دمشق ١١٣/٣٧ (ط . الرسالة) .

(٩) منهم خليفة فى تاريخه ١/ ٣٤٦، وعزاه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ١١٣/٣٧ (ط . الرسالة) ، =

وسبعِين . وقال الزبيرُ بنُ بكّارٍ وآخَرون[1] : توفِّى سنةَ ثلاثٍ وسبعين[2] . والأوَّلُ أثبَتُ . واللَّهُ تعالى أعلمُ .

[3]وقال ابنُ سعدٍ[4] : لمَّا قُتِل عثمانُ واستُخلِف علىٌّ ، أتاهُ ابنُ عمرَ ، فقال له علىٌّ : إنَّك محبوبٌ إلى الناسِ ، فسِرْ إلى الشّامِ ، فقد ولّيتُكَها . فقال : أُذكِّرُك اللَّهَ وقرابَتى وصُحبتِى لرسولِ اللَّهِ والرحمَ إلا ما ولَّيتَ غيرِى وأعفَيتَنى ، فأبى عليه ، فاستعانَ بحفصةَ أختِه فكلَّمته ، ثم سار مِن ليلتِه إلى مكةَ هاربًا منه . وقيل : إنَّ مَرْوانَ قال لابنِ عمرَ[5] : أَلَا تخرُجُ إلى الشامِ فيُبايعوكَ ؟ قال : فكيف أصنعُ بأهلِ العراقِ ؟ قال : تقاتِلُهم بأهلِ الشامِ . فقال : واللَّهِ ما يسُرُّنى أنَّ لى مُلكَ الأرضِ وأنَّ الناسَ كلَّهم بايَعونى وقد قُتِل منهم رجلٌ واحدٌ ، وما أُحِبُّ أنّها أتتْنى ورجلٌ يقولُ : لا وآخرُ يقولُ : نعم . وقيل[6] : إنَّه دخَل عليه الحجاجُ وهو مريضٌ فغمَّض عينَيهِ فكلَّمه فلم يُجِبْهُ .

تُوفِّىَ[7] بمكةَ بعدَ مُنْصرَفِ الناسِ مِن الحجِّ فى آخرِ السنةِ وعمْرُه أربعٌ وثمانونَ سنةً . ودُفِن بالمُحَصَّبِ وهو آخرُ مَن مات مِن الصَّحابةِ بمكةَ[3] .

= وابن حجر فى الإصابة ١٨٨/٤ إلى الفلاس . كما عزاه ابن حجر فى الموضع نفسه إلى سعيد بن جبير وابن زَبْر .

(١) أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ١١٠/٣٧ - ١١٣ (ط . الرسالة) من وجوه ، ولم يعزه إلى الزبير بن بكار .

(٢) بعده فى الأصل ، ٣١، ٢١، ص : «قال الزبير» .

(٣ - ٣) سقط من : ٣١، ٢١، م ، ص .

(٤) أخرجه الذهبى فى السير من طريق ليث بن أبى سليم عن نافع بنحوه ، ولم يعزه إلى ابن سعد . سير أعلام النبلاء ٢٢٣/٣ - ٢٢٤.

(٥) تاريخ دمشق ٩٨/٣٧ (ط . الرسالة) .

(٦) المصدر السابق ص ١٠٧.

(٧) المصدر السابق ص ١٠٩.

(1)وكان له مِن الولدِ(2) ؛ أبو بكرٍ وأبو عبيدةَ(3) وواقدٌ [٧/ ٨٢و] وعبدُ اللَّهِ وعمرُ وحفصةُ وسوْدةُ ، أمُّهم صفيةُ بنتُ أبى عبيدٍ أختُ المختارِ ، وعبدُ الرحمنِ وسالمٌ وعبيدُ اللَّهِ وحمزةُ ، وأمُّهم أمُّ ولدٍ ، وزيدٌ وعائشةُ ، لأمِّ ولدٍ . وأسنَد ألفينِ وستَّمائةٍ وثلاثين حديثًا(1) .

عبيدُ بنُ عُميرِ بنِ قَتادةَ بنِ سعدِ بنِ عامرِ بنِ جُنْدَعٍ(4) بنِ ليثٍ ، الليثىُّ ثم الجندَعىُّ(5) ، أبو عاصمٍ المكىُّ ، قاصُّ(6) أهلِ مكةَ .

قال مسلمُ بنُ الحجّاجِ(7) : ولِد فى حياةِ النبىِّ ﷺ . وقال غيرُه(8) : ورآه أيضًا . روَى عن أبيه(9) - وله صحبةٌ(10) - وعن عمرَ وعلىٍّ وأبى هريرةَ وابنِ عباسٍ وابنِ عمرَ وعبدِ اللَّهِ بن عمرٍو(11) وأُمِّ سَلَمةَ ، وغيرِهم .

وعنه جماعةٌ مِن التابعِين وغيرِهم ، ووَثَّقه ابنُ معينٍ وأبو زُرعةَ وغيرُ واحدٍ(12) .

(1 - 1) سقط من : ا۳، ۲۱، م، ص.

(2) الطبقات لابن سعد ٤/ ١٤٢.

(3) فى الأصل : « عبدة » .

(4) فى الأصل ، ۲۱، م : « خندع » . وترجمته فى : الاستيعاب ۳/ ۱۰۱۸، وأسد الغابة ۳/ ٥٤٥، والإصابة ٥/ ٦٠، ووقع بها تصحيف ، ففيه أن ابن حبان قال : إنه توفى سنة أربع وستين . والصواب أنه توفى هذه السنة ، وبه قال ابن حبان فى مشاهير علماء الأمصار، ص ٤٦.

(5) فى الأصل ، م : « الخندعى » .

(6) فى ا۳، م ، ص : « قاضى » .

(7) تهذيب الكمال ۱۹/ ۲۲۳. وانظر المصادر السابقة .

(8) تهذيب الكمال الموضع السابق .

(9) تهذيب الكمال ۱۹/ ۲۲٤، وسير أعلام النبلاء ٤/ ١٥٦.

(10) فى صحبته اختلاف ؛ سئل ابن معين ، أَلِعبيد بن عمير صحبة ؟ قال : هكذا يقولون . تاريخ ابن معين ٢/ ٣٨٦. وقال العجلى فى تاريخ الثقات ۳۲۱: مكى تابعى ثقة . وكذا ذكر الذهبى فى سير أعلام النبلاء ١٥٧/٤ أنه من ثقات التابعين وأئمتهم بمكة .

(11) فى م : « عمر » . وانظر تهذيب الكمال ۱۹/ ۲۲٤.

(12) تهذيب الكمال ۱۹/ ۲۲٤.

وكان ابنُ عمرَ يجلِسُ فى حلْقتِه ويبكِى ، وكان يُعجِبُه تذكِيرُه . وكان بليغًا ، وكان يبكِى حتى يَبُلَّ الحَصَى بدُموعِه .

قال مهدىُّ بنُ ميمونٍ ، عن غَيْلانَ بنِ جريرٍ ، قال[1] : كان عبيدُ بنُ عميرٍ إذا آخَى أحدًا فى اللَّهِ استقبَل به القِبلةَ فقال : اللَّهمَّ اجعَلْنا سعداءَ بما جاء به نبيُّك ، واجعَلْ محمدًا شهيدًا علينا بالإيمانِ ، وقد سبقَتْ لنا منك الحسنَى ، غيرَ متطاوِلٍ علينا الأمدُ ، ولا قاسيةٍ قلوبُنا ولا قائِلين ما ليس لنا بحقٍّ ، ولا سائلين ما ليس لنا به علمٌ .

وحكَى البخارىُّ[2] عن ابنِ جُريجٍ أنَّ عبيدَ بنَ عميرٍ مات قبلَ ابنِ عمرَ رضِى اللَّهُ عنه[3] .

أبو جُحَيْفةَ وهبُ بنُ عبدِ اللَّهِ السُّوائىُّ[4] ، صحابىٌّ رأى النبىَّ ﷺ ، وكان دونَ البلوغِ عندَ وفاةِ النبىِّ ﷺ ، لكنْ روَى عنه عدةَ أحاديثَ ، وعن علىٍّ والبراءِ بنِ عازبٍ . وعنه جماعةٌ مِن التابِعين ؛ منهم إسماعيلُ بنُ أبى خالدٍ ، والحكَمُ وسَلَمةُ[5] بنُ كُهَيْلٍ والشعبىُّ وأبو إسحاقَ السَّبيعىُّ . وكان قد نزَل الكوفةَ وابتَنَى بها دارًا . وتُوفِّى فى هذه السنةِ ، وقيل : فى سنةِ أربعٍ وتسعين . فاللَّهُ أعلمُ . [6]وكان صاحبَ شُرْطةِ علىٍّ ، وكان علىٌّ إذا خطَب يقومُ أبو جُحيفةَ تحت مِنبرِه[6] .

---

(١) حلية الأولياء ٣/ ٢٧٥، بنحوه.
(٢) التاريخ الكبير ٥/ ٤٥٥.
(٣) فى ٣١، ٢١: «عنها».
(٤) الاستيعاب ٤/ ١٥٦١، وأسد الغابة ٥/ ٤٦٠، والإصابة ٦/ ٦٢٦.
(٥) فى ٣١: «مسلمة». وانظر تهذيب الكمال ٣١/ ١٣٣.
(٦ - ٦) زيادة من: ٣١، ٢١، م. وانظر أسد الغابة ٥/ ٤٦٠، وسير أعلام النبلاء ٣/ ٢٠٣.

(١**سَلَمةُ بنُ الأكوعِ بنِ عمرِو بنِ سنانٍ الأنصاريُّ**(٢) ، وهو أحدُ مَن بايَع تحتَ الشجرةِ ، وكان مِن فرسانِ الصحابةِ وعلمائِهم ، كان يُفتى بالمدينةِ ، وله مشاهِدُ معروفةٌ فى حياةِ النبىِّ ﷺ وبعدَه ، توفِّى بالمدينةِ وقد جاوَز السبعين(٣) سنةً .

مالكُ بنُ أبى عامرٍ الأصبَحِىُّ المدنىُّ(٤) ، وهو جَدُّ الإمامِ مالكِ بنِ أنسٍ ، روَى عن جماعةٍ مِن الصحابةِ وغيرِهم ، وكان فاضلًا عالمًا ، توفِّى بالمدينةِ .

أبو عبدِ الرحمنِ السُّلَمِىُّ(٥) ، مقرئُ أهلِ الكوفةِ بلا مدافعةٍ ، واسمُه عبدُ اللَّهِ بنُ حبيبٍ ، قرَأ القرآنَ على عثمانَ بنِ عفانَ وابنِ مسعودٍ ، وسمِع مِن جماعةٍ مِن الصحابةِ وغيرِهم ، وأقرَأ الناسَ القرآنَ بالكوفةِ مِن خلافةِ عثمانَ إلى إمْرةِ الحجّاجِ ، قرَأ عليه عاصمُ بنُ أبى النَّجودِ وخلقٌ غيرُه ، توفِّى بالكوفةِ(٦) .

أبو مُعْرِضٍ الأسدىُّ ، اسمُه مغيرةُ بنُ عبدِ اللَّهِ الكوفىُّ(٧) ، وِلد فى حياةِ النبىِّ ﷺ ، ووفَد على عبدِ الملكِ بنِ مَرْوانَ وامتدَحه ، وله شعرٌ جيِّدٌ ، ويُعرَفُ(١)

(١ - ١) سقط من : الأصل ، ص .

(٢) الاستيعاب ٢/ ٦٣٩، وأسد الغابة ٢/ ٤٢٣، والإصابة ٣/ ١٥١.

(٣) فى ٣١، ٢١: « التسعين » .

(٤) ترجمته فى : طبقات ابن سعد ٥/ ٦٣، والتاريخ الكبير ٧/ ٣٠٥، وتهذيب الكمال ٢٧/ ١٤٨، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٦١ - ٨٠هـ) ص ٥٢١، ومرآة الجنان ١/ ١٥٥.

(٥) طبقات ابن سعد ٦/ ١٧٢، وتهذيب الكمال ١٤/ ٤٠٨، وسير أعلام النبلاء ٤/ ٢٦٧، وتذكرة الحفاظ ١/ ٥٨، وغاية النهاية لابن الجزرى ١/ ٤١٣، وطبقات الحفاظ ٢٧.

(٦) بعده فى ٣١: « وكان أبو عبد الرحمن السلمى إذا قرأ عليه الرجل القرآن يقول له : لقد أوتيت علم الله فليس أحد أعلم منك » .

(٧) ترجمته فى : الإصابة ٦/ ٣٠٩، والشعر والشعراء ٢/ ٥٥٩، والأغانى ١١/ ٢٥١، ومعجم الشعراء ٢٧٣، وخزانة الأدب ٤/ ٤٨٧.

واسمه فى الشعر والشعراء ومعجم الشعراء : مغيرة بن الأسود .

(١ بالأُقَيْشِرِ[٢] ، وكان أحمرَ الوجهِ كثيرَ الشعْرِ ، توفِّى بالكوفةِ فى هذه السَّنةِ ، وقد قارَب الثمانين سنةً .

بشرُ بنُ مروانَ الأُمويُّ[٣] ، أخو عبدِ الملكِ بنِ مَرْوانَ ، ولِى إمْرةَ العراقَيْن لأخيه عبدِ الملكِ ، وله دارٌ بدمشقَ عندَ عَقبةِ الكتّانِ[٤] ، وكان سَمْحًا جَوادًا ، وإليه يُنسبُ دَيْرُ مَرْوانَ عندَ حَجِيرا[٥] ، وهو الذى قتَل خالدَ بنَ حُصينٍ الكلابىَّ يومَ مَرجِ راهِطٍ ، وكان لا تُغلَقُ دونَه الأبوابُ ، ويقولُ : إنَّما تَحتجِبُ النِّساءُ . وكان طليقَ الوجهِ ، وكان يُجيزُ على الشِّعرِ بألُوفٍ ، وقد امتدَحه الفرزدقُ والأخطلُ . والجَهميَّةُ تستدِلُّ على الاستواءِ على العرشِ بأنَّه الاستيلاءُ ببيتِ الأخطلِ ، (٦ فيما مدَح به بشرَ بنَ مَرْوانَ ، وهو قولُه ٦) :

قد استوَى بشرٌ على العراقِ   مِن غيرِ سيفٍ ودمٍ مُهراقِ

وليس فيه دليلٌ ، فإنَّ هذا استدلالٌ باطلٌ مِن وُجوهٍ كثيرةٍ[٧] ، وقد كان الأخطلُ نَصرانيًّا .

وكان سببَ موتِ بشرٍ أنَّه وقَعتِ القُرحةُ فى يَمينِه[٨] ، فقيلَ له : نقطَعُها ١)

(١ - ١) سقط من : الأصل ، ص .

(٢) فى ٣١ ، م : « بالأقطشى » . وفى ٢١ : « بالأفطسى » .
وإنما غلب عليه لقب الأقيشر لأنه كان أحمر الوجه .

(٣) ترجمته فى : تاريخ دمشق ٣٥١/٣ (مخطوط) ، وفيه أنه توفى سنة ثلاث وسبعين ، تاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٦١ - ٨٠هـ) ، ص ٣٧٠ ، وسير أعلام النبلاء ٤/ ١٤٥ ، والوافى بالوفيات ١٠/ ١٥٢ ، وفيها أنه توفى سنة خمس وسبعين .

(٤) فى ٣١ : « الكتاب » . وفى م : « اللباب » . انظر الدارس فى تاريخ المدارس ٢/ ٢٣٧ .

(٥) فى م : « حجير » . وحجيرا بالقصر ، من قرى غوطة دمشق . معجم البلدان ٢/ ٢١٦ .

(٦ - ٦) سقط من : م .

(٧) انظر ما ورد فى ذلك فى مختصر الصواعق المرسلة ٢/ ١٢٧ .

(٨) فى م : « عينه » .

(١ مِن المِفصَلِ . فجزِع ، فما أمسَى[٢] حتى خالطَت الكتِفَ ، ثم أصبَح وقد خالَطتِ الجوفَ ، ثم مات ، ولمّا احتُضر جعَل يبكِى ويقولُ[٣] : واللَّهِ لَوَدِدتُ أنِّى كنتُ عبدًا أرعَى الغنمَ فى الباديةِ لبعضِ الأعرابِ ولم ألِ ما ولِيتُ . فذُكِر قولُه لأبى حازمٍ - أو لسعيدِ بنِ المسيَّبِ - فقال[٤] : الحمدُ للَّهِ الذى جعَلَهم عندَ الموتِ يفِرُّون إلينا ولم يجعَلْنا نفِرُّ إليهم ، إنّا لنَرَى فيهم عِبَرًا . وقال الحسنُ[٥] : دخَلتُ عليه فإذا هو يتمَلْمَلُ على سريرِه ، ثم نزَل عنه إلى صَحْنِ الدارِ ، والأطِبّاءُ حولَه .

مات بالبصرةِ فى هذه السَّنةِ وهو أوَّلُ أميرٍ مات بها . ولمّا بلَغ عبدَ الملكِ موتُه حزِن عليه وأمَر الشعراءَ أن يَرثُوه . واللَّهُ سبحانَه وتعالى أعلمُ ١) .

(١ - ١) سقط من : الأصل ، ص .

(٢) فى م : «أحس» .

(٣) تاريخ دمشق ١٠/٢٦٥ (مخطوط) .

(٤) أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ١٠/٢٦٥ بنحوه ، وعزا القول فيه إلى شقيق .

(٥) تاريخ دمشق ١٠/٢٦١ بنحوه ، وسير أعلام النبلاء ٤/١٤٦ .

ثم دخلت سنة خمسٍ وسبعين

ففيها غزا محمدُ بنُ مَرْوانَ - أخو عبدِ الملكِ بنِ مَرْوانَ ، وهو والدُ مَرْوانَ الحِمارِ - صائفةَ الرومِ[1] حينَ خرَجوا مِن عندِ مَرْعَشٍ[2] . وفيها ولّى عبدُ الملكِ ابنُ مَرْوانَ نيابةَ المدينةِ ليَحْيَى بنِ الحكمِ بنِ أبى العاصِ ، وهو عمُّه ، وعزَل عنها الحجّاجَ .

وفيها ولّى عبدُ الملكِ الحجّاجَ بنَ يوسفَ نيابةَ العراقِ ؛ البصرةِ والكوفةِ وما يَتبَعُ ذلك مِن الأقاليمِ الكبارِ ، وذلك بعدَ موتِ أخيه بشرِ بنِ مَرْوانَ ، فرأى عبدُ الملكِ أنّه لا يَسُدُّ عنه أهلَ العراقِ غيرُ الحجّاجِ لسَطْوتِه وقهرِه وقسوتِه وشهامتِه ، فكتَب إليه ، وهو بالمدينةِ ، [٨٢/٧ظ] بولايةِ العراقِ ، فسار مِن المدينةِ إلى العراقِ فى اثنَىْ عشَرَ راكبًا علَى النجائبِ ، فنزَل قريبَ الكوفةِ فاغتَسل واختضَب ولبِس ثيابَه وتَقلَّد سيفَه وألقَى عَذَبةَ[3] العِمامةِ بينَ كَتِفَيْه ، ثم سار فنزَل دارَ الإمارةِ ، وذلك يومَ الجمُعةِ وقد أذَّن المؤذِّنُ الأولُ ، فخرَج عليهم وهم لا يعلَمون ، فصعِد المِنبرَ وجلَس عليه وأمسَك عن الكلامِ طويلًا ، وقد شخَصوا إليه بأبصارِهم وجَثَوْا على الرُّكَبِ وتناوَلوا الحَصْباءَ ليَقذِفوه بها ، وقد كانوا حصَبوا [4]الذى كان[4] قبلَه ، فلمّا سكَت أبهتَهم وأحَبُّوا أن يسمَعوا كلامَه ، فكان أولَ ما تَكلَّم به أن قال[5] :

---

(١) الصائفة غزوة الروم لأنهم كانوا يغزون صيفا ، لمكان البرد والثلج . القاموس (ص ى ف) .

(٢) مرعش : ثغر من ثغور إرمينية . معجم ما استعجم ٤/ ١٢١٥.

(٣) عذَبَة العمامة : طرفها .

(٤ - ٤) فى الأصل : « عاملا » .

(٥) انظر خطبة الحجاج فى عيون الأخبار ٢/ ٢٤٣، وتاريخ الطبرى ٦/ ٢٠٢ فما بعدها ، والعقد الفريد =

يا أهلَ العراقِ يا أهلَ الشِّقاقِ ويا أهلَ النفاقِ ، ومَساوئِ الأخلاقِ ، واللَّهِ إن كان أمرُكم لَيَهُمُّنى قبلَ أن آتِيَ إليكم ، ولقد كنتُ أدعو اللَّهَ أن يَبتلِيَكم بى ، (1) فأجاب دعوتى ، إلّا أنِّى سِرتُ (1) البارحةَ فسقَط منِّى سوطِى الذى أُوذيكم به ، فاتخَذتُ هذا مكانَه - وأشار إلى سيفِه - ثم قال : واللَّهِ (2) لأجُرَّنَّه فيكم جرَّ المرأةِ ذيلَها ، ولأفعلَنَّ بكم ولأصنَعنَّ (2) . فلمّا سمِعوا كلامَه جعَل الحَصَى يتساقَطُ مِن أيدِيهم ، وقيلَ : إنَّه دخَل الكوفةَ (1) على حينِ غَفْلةٍ مِن أهلِها (1) فى شهرِ رمضانَ (1) مِن هذه السَّنةِ (1) ظهرًا ، فأتَى المسجدَ ، وصعِد المِنبرَ ، وهو معتَجِرٌ بعِمامةٍ حمراءَ ، متلثِّمٌ بطرَفِها ، ثم قال : علىَّ بالناسِ . فحسِبه الناسُ وأصحابَه مِن الخوارجِ ، فهَمُّوا به حتى إذا اجتمَع الناسُ قام وكشَف عن وجهِه ، وقال[3] :

أنا ابنُ جَلَا وطَلّاعُ الثَّنايا ... متى أضَعِ العِمامةَ تعرِفونى

ثم قال : أمَا واللَّهِ إنِّى لأحمِلُ الشرَّ[4] بحَمْلِه ، وأحذُوه[5] بنَعْلِه[6] ،

= ٤/١١٥ فما بعدها ، والكامل فى التاريخ ٤/٣٧٤ فما بعدها ، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٦١ - ٨٠هـ) ص ٣٢٠، وصبح الأعشى ١/٢١٨.

(١ - ١) سقط من ا٣، ا٢، م، ص.

(٢ - ٢) فى ا٣، ا٢، م: « لآخذن صغيركم بكبيركم وحركم بعبدكم ثم لأرصعنكم رصع الحداد الحديدة والخباز العجينة ».

(٣) البيت من قصيدة لسحيم بن وثيل الرياحى ، رواها الأصمعى فى الأصمعيات ، ص ١٧ (ط. شاكر ، هارون) ، وهو فى عيون الأخبار ٢/ ٢٤٣، وتاريخ الطبرى ٦/ ٢٠٢، والعقد الفريد ٤/ ١٢٠، ٥/ ١٧.

(٤) فى النسخ : « الشىء ». والمثبت من الطبرى ٦/ ٢٠٣.

(٥) فى الأصل : « واحده ». وفى ا٣، ا٢: « أخذوه ».

(٦) فى ا٣: « بفعله ».

وأَجزِيه[١] بمثلِه[٢] ، وإنِّى لأرَى رءوسًا قد أينعَت وحان قِطافُها ، وإنّى لأنظُرُ إلى الدماءِ تَترقرَقُ بينَ العمائمِ واللِّحَى :

شمَّرتْ عن ساقِها فشَمِّرى[٣]

ثم أنشَد أيضًا[٤] :

هٰذا أوانُ الشدِّ[٥] فاشتَدِّى زِيَمْ[٦]	قد لَفَّها الليلُ بسَوَّاقٍ حُطَمْ[٥]
ليس براعِى إبلٍ ولا غَنَمْ	ولا بجزَّارٍ[٧] على ظَهْرِ وَضَمْ[٨]
قد لفَّها الليلُ بعَصْلَبِىٍّ[٩]	أروَعَ خَرّاجٍ مِن الدَّوِّىٍّ[١٠]

مهاجِرٍ[١١] ليس بأعرابىٍّ

---

(١) فى الأصل : « آخره » . وفى ٣١، ٢١، م : « أحزمه » .

(٢) فى النسخ : « بقتله » . والمثبت من الطبرى .

(٣) فى الأصل : « فشرى » . وانظر العقد الفريد ٤/ ١٢٠، وتاريخ الطبرى ٦/ ٢٠٣.

(٤) العقد الفريد ٤/ ١٢٠، ١٢١، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٦١ - ٨٠هـ) ص ٣٢١، ٣٢٢. وانظر اللسان (ح ط م ، ز ى م) . والأبيات لرشيد بن رميض يقولها فى الحطم، وهو شريح بن ضبيعة ، وكان شريح قد غزا اليمن فى جموع من ربيعة ، فغنم وسبى بعد حرب كانت بينه وبين كندة هلك فيها ناس كثير، وجعل الحطم يسوق بأصحابه سوقا عنيفا حتى نجا بمن بقى من أصحابه .

(٥) فى الأصل ، ٣١، ٢١: « الليل » .

(٦) فى الأصل ، ٣١، ٢١: « ريم » . وزيم : اسم فرس أو ناقة .

(٧) فى الأصل ، ٣١، ٢١: « بخوار » .

(٨) الوضم : كل ما قطع عليه اللحم .

(٩) فى الأصل ، ٢١: « بعضلبى » . وفى ٣١: « بعضلى » . والعصلبى : الشديد القوى . والرجز فى اللسان (ع ص ل ب) .

(١٠) الأروع : الذكى أو من يعجبك بشجاعته . والدوى : جمع دوية وهى الفلاة الواسعة ، يريد بها الشدائد .

(١١) فى الأصل : « فانقبها » . وفى ٣١، ٢١: « مهاجرى » .

ثم قال : إنِّى واللَّهِ يا أهلَ العراقِ ما (١أُغمَزُ بغِمازٍ١) ، ولا يُقعقَعُ لى بالشِّنانِ(٢) ، ولقد فُرِرْتُ عن ذكاءٍ ، وجرَيتُ(٣) إلى الغايةِ القُصوَى ، وإنَّ أميرَ المؤمنين عبدَ الملِكِ بنَ مَرْوانَ نثَر كِنانتَه [٨٣/٧و] ثم عجَم عِيدانَها عُودًا عُودًا(٤) فوجَدَنى أمَرَّها عُودًا وأصلبَها مَغمِزًا ، فوَجَّهنى إليكم ، فإنَّكم طالما أوضَعْتم(٥) فى أوديةِ الفِتَنِ ، وسنَنتُم(٦) سُنَنَ(٧) الغَىِّ(٨) ، أمَا واللَّهِ لأَلحُوَنَّكم(٩) لَحْىَ العُودِ ، ولأعصِبَنَّكم عَصْبَ السَّلَمَةِ(١٠) ، ولأضرِبَنَّكم ضربَ غرائبِ الإبلِ(١١) ، إنِّى واللَّهِ لا أعِدُ إلّا وَفَيْتُ ، ولا أخلُقُ(١٢) إلّا فرَيْتُ ، فإياىَ وهذه الجماعاتِ وقيلًا وقالًا ، واللَّهِ لتَستقيمُنَّ على سبيلِ الحقِّ أو لأَدَعَنَّ لكلِّ رجلٍ منكم شُغلًا فى جسدِه . ثم قال : مَن وجَدتُ بعدَ ثالثةٍ مِن بَعْثِ المُهلَّبِ – يعنى الذين كانوا قد رجَعوا عنه لمّا سمِعوا بموتِ بشرِ بنِ مَرْوانَ ، كما تقدّم(١٣) – سفكتُ دمَه وانتهَبتُ مالَه . ثم نزَل

(١ - ١) فى الأصل : « أغمر بغمار » . وفى ص : « أغمر بغمارة » . وفى الطبرى ٦/ ٢٠٣: « ما أغمز كتغماز التين » ، والعقد الفريد ٤/ ١٢١: « لا يغمز جانبى كتغماز التين » . وغمز التين ونحوه جسُّه ليعرف أناضج هو أم فج .

(٢) فى ٣١: « بالشان » . وهو مثل يضرب للرجل الصعب الذى لا يهدد ولا يفزّع بالوعيد . وتقدم الكلام عليه فى ١٠/ ٥٠٣.

(٣) فى الأصل : « جررت » . وفى ٣١، م : « جربت » .

(٤) بعده فى الأصل : « أى عضضها بأسنانه » .

(٥) فى م : « ارتعتم » . والإيضاع ضرب من السير .

(٦) فى ٣١، ٢١، م : « سلكتم » .

(٧) فى ٣١، ٢١، م : « سبيل » .

(٨) بعده فى ٣١، ٢١، م : « واخترتم جدد الضلال » .

(٩) فى الأصل : « لأجردنكم » .

(١٠) السلمة : شجر كثير الشوك .

(١١) غرائب الإبل : الإبل الغريبة إذا دخلت بين الإبل التى ترد الماء ، فتضرب هذه الإبل وتطرد .

(١٢) فى الأصل ، ٢١، م ، ص : « أحلق » . وفى ٣١: « أحلف » . والمثبت من تاريخ الطبرى ٦/ ٢٠٤، وانظر العقد الفريد ٤/ ١٢١. والمعنى : ولا أقدر إلا قطعت .

(١٣) انظر ما تقدم فى ص ٢٤١، ٢٤٢.

فدخَل منزلَه ولم يَزِدْ على ذلك .

ويقالُ[1] : إنَّه لمَّا صعِد المِنبرَ واجتمَع الناسُ تحتَه أطال السكوتَ حتى إنَّ محمدَ بنَ عميرٍ[2] أخَذ كفًّا مِن حصًى وأراد أن يحصِبَه بها ، وقال : قبَّحه اللَّهُ ، ما أعياه وأذَمَّه ! فلمّا نهَض الحجّاجُ وتكلَّم بما تكلَّم به جعَل الحصَى يتناثَرُ مِن يدِه ، وهو لا يشعُرُ به ؛ لما يَرَى مِن فصاحتِه وبلاغتِه . ويقالُ : إنَّ الحجّاج قال في خطبتِه هذه : شاهتِ الوجوهُ ، إنَّ اللَّهَ ضرَب مثلًا ﴿قَرْيَةً كَانَتْ ءَامِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ ٱللَّهِ فَأَذَٰقَهَا ٱللَّهُ لِبَاسَ ٱلْجُوعِ وَٱلْخَوْفِ بِمَا كَانُوا۟ يَصْنَعُونَ﴾ [النحل: ١١٢] . وأنتم أولئك فاستوثِقوا[3] واستقيموا ، فواللَّهِ لأُذيقَنَّكم الهوانَ حتى تَدِرُّوا[4] ، ولأعصِبَنَّكم عَصْبَ السَّلَمةِ حتى تنقادوا ، وأُقسِمُ باللَّهِ لتُقْبِلُنَّ[5] على الإنصافِ ولتَدَعُنَّ الإرجافَ وكان وكان ، وأخبرَنى فلانٌ عن فلانٍ ، والخَبَرَ[6] وما الخبرُ ، [7]أو لأَهبُرَنَّكم[7] بالسيف هَبْرًا يدَعُ النساءَ أيامَى والأولادَ يتامَى ، حتى تمْشُوا السُّمَّهَى[8] وتُقلِعوا عن [9]ها وهَا[9] . فى كلامٍ طويلٍ بليغٍ غريبٍ مُشتمِلٍ على وعيدٍ شديدٍ ، ليس فيه وعدٌ بخيرٍ .

---

(١) تاريخ الطبرى ٦/ ٢٠٥.

(٢) فى ص : «عمر» .

(٣) فى ٣١، ٢١، م : «فاستووا» .

(٤) فى ٣١: «تدووا» . وفى ٢١: «تذووا» . وفى ص : «يدوروا» .

(٥) فى الأصل، ٣١، ٢١: «لتقتلن» . وفى ص : «لتقيلن» .

(٦) فى ٣١، ٢١، م : «إيش الخبر» .

(٧ - ٧) فى الأصل، ص : «لأهبرنكم» . وفى ٣١: «ولأهبرنكم» . والمثبت من الطبرى ٦/ ٢٠٤.

(٨) فى الأصل، ٣١، ٢١: «السيمى» .
ويقال جرى فلان السمهى : أى جرى إلى غير أمر يعرفه . لسان العرب (س م هـ) .

(٩ - ٩) فى الأصل: «ها ولا» . وفى ٣١، ٢١: «هؤلاء» . وانظر تاريخ الطبرى ٦/ ٢٠٤.

فلمّا كان فى اليومِ الثالثِ سمِع تكبيرًا فى السوقِ فخرَج حتى جلَس على المِنبرِ فقال[1] : يا أهلَ العراقِ يا أهلَ الشِّقاقِ والنفاقِ ، ومساوئِ الأخلاقِ ، إنِّى سمِعتُ تكبيرًا فى السُّوقِ ليس بالتكبيرِ الذى يرادُ به الترغيبُ ، ولكنَّه تكبيرٌ يرادُ به الترهيبُ ، وقد عَصَفت[2] عَجاجةٌ[3] تحتَها قَصْفٌ ، يا بنى اللُّكيعةِ وعبيدَ العصا وأبناءَ الإماءِ[4] والأيامَى ، ألَا يربَعُ[5] كلُّ رجلٍ منكم على[6] ظَلْعِه[7] ، [8]ويحسِنُ حَقْنَ دمِه[8] ويبصِرُ موضِعَ قَدمِه ، وأقسِمُ باللَّهِ لأُوشِكُ أن أوقِعَ بكم وقعةً تكونُ نَكالًا لما قبلَها وأدبًا لما بعدَها . [٧/٨٣ظ] قال : فقام إليه عميرُ بنُ ضابئٍ التميمىُّ ثم الحنظلىُّ فقال[9] : أصلَح اللَّهُ الأميرَ أنا فى هذا البعثِ وأنا شيخٌ كبيرٌ وعليلٌ ، وهذا ابنى وهو أشَبُّ منِّى . قال : ومَن أنتَ ؟ قال : أنا عميرُ بنُ ضابئٍ التميمىُّ . قال : أسمِعتَ كلامَنا بالأمسِ ؟ قال : نعم . قال : ألستَ الذى غزا عثمانَ بنَ عفانَ ؟ قال : بلَى . قال : وما حَمَلك على ذلك ؟ قال : كان حبَس أبى وكان شيخًا كبيرًا . قال : أو ليس هو الذى يقولُ[10] :

همَمتُ ولم أفعَلْ وكِدْتُ وليتَنى ... فعَلتُ وولّيتُ البُكاءَ حَلائلَه

---

(١) تاريخ الطبرى ٦/ ٢٠٦. وانظر العقد الفريد ٤/ ١١٥.

(٢) فى الأصل، ص: «عرفت».

(٣) فى م: «غجاجة».

(٤) سقط من: الأصل، ص.

(٥) فى الأصل، ٣١، ٢١، ص: «يرجع». وانظر تاريخ الطبرى ٦/ ٢٠٦.

(٦) فى ٣١، ٢١، م، ص: «إلى».

(٧) فى الأصل، ٣١، ٢١: «طلعه». والظَّلْع: الضعف والوهن من شدة السير.

(٨ - ٨) سقط من: الأصل، ٣١، ٢١، ص.

(٩) تاريخ الطبرى ٦/ ٢٠٧. وانظر الكامل ٤/ ٣٧٨، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٦١ - ٨٠هـ) ص ٣٢٤.

(١٠) سقط من: م. والخبر فى تاريخ الطبرى ٦/ ٢٠٧. والرواية عنده: تركتُ على عثمان تبكى حلائلُهْ.

ثم قال الحجاجُ : إنِّى لأحسَبُ أنَّ فى قتلِك صلاحَ المِصْرَين . ثم قال : قُمْ إليه يا حرَسىُّ فاضرِبْ عنُقَه . فقام إليه رجلٌ فضرَب عنقَه وانتهَب مالَه ، وأمَر مناديًا فنادَى فى الناسِ : ألَا إنَّ عميرَ بنَ ضابئٍ تأخَّر بعدَ سماعِ النداءِ . ثلاثًا ، فأُمِر بقتلِه .

قال[1] : فخرَج الناسُ حتى ازدحَموا على الجسرِ فعبَر عليه فى ساعةٍ واحدةٍ أربعةُ آلافٍ مِن مَذْحِجٍ ، وخرَجتْ معهم العُرَفاءُ[2] حتى وصَلوا بهم إلى المهلَّبِ ، وأخَذوا منه كتابًا بوصولِهم إليه ، فقال المهلَّبُ : قدِم العراقَ واللَّهِ رجلٌ ذَكَرٌ ، اليومَ قوتِل العدوُّ .

ويروَى أنَّ الحجاجَ لم يعرِفْ عميرَ بنَ ضابئٍ حتى قال له عنبسةُ بنُ سعيدٍ : أيُّها الأميرُ ، إنَّ هذا جاء إلى عثمانَ ، رضِى اللَّهُ عنه ، وقد قُتِل فلطَم وجهَه . فأمَر الحجاجُ عندَ ذلك بقتلِه .

وبعَث الحجاجُ الحكَمَ بنَ أيوبَ الثقفىَّ نائبًا على البصرةِ مِن جهتِه ، وأمَره أن يشتَدَّ على خالدِ بنِ عبدِ اللَّهِ . وأقَرَّ على قضاءِ الكوفةِ شُريحًا ، ثم ركِب الحجّاجُ إلى البصرةِ ، واستخلَف على الكوفةِ أبا يَعْفورٍ ، ووَلَّى قضاءَ البصرةِ لزُرارةَ بنِ أوْفَى ، ثم عاد إلى الكوفةِ . وحجَّ بالناسِ فى هذه السنةِ عبدُ الملكِ بنُ مَرْوانَ ، وأقَرَّ عمَّه يَحْيَى على نيابةِ المدينةِ ، وعلى بلادِ خراسانَ أُميَّةَ بنَ عبدِ اللَّهِ .

وفى هذه السَّنةِ وثَب الناسُ بالبصرةِ على الحجاجِ ، وذلك أنَّه لمّا ركِب مِن

---

(١) تاريخ الطبرى ٦/ ٢٠٧، والكامل ٤/ ٣٧٨.

(٢) العرفاء : جمع عريف ، وهو القيم بأمور القبيلة أو الجماعة ، يتعرف الأمير منه أحوالهم . النهاية ٣/ ٢١٨.

الكوفةِ بعدَ قتلِ عميرِ بنِ ضابئٍ، وقام فى أهلِ البصرةِ بخُطبةٍ[1] نظيرَ ما قام فى أهلِ الكوفةِ مِن الوعيدِ الشديدِ والتهديدِ الأكيدِ، ثم أُتِى برجلٍ مِن بنى يَشْكُرَ، فقيلَ: هذا عاصٍ. فقال الرجلُ: إنَّ بى فَتْقًا وقد عَذَرنى بشرُ بنُ مَرْوانَ، وهذا عطائى مردودٌ على بيتِ المالِ. فلم يَقبَلْ منه، وأمَرَ [٨٤/٧و] بقتلِه فقتِل، ففزِع أهلُ البصرةِ وخرَجوا مِن البصرةِ حتى اجتمَعوا عندَ قنطرةِ رامَهُرمُزَ، وعليهم عبدُ اللَّهِ بنُ الجارودِ، وخرَج إليهم الحجاجُ - وذلك فى شعبانَ مِن هذه السَّنةِ - فى أمراءِ الجيشِ مِن المِصرَيْن، فاقتتَلوا هنالِك قتالًا شديدًا (٢فهزَمهم الحجاجُ٢)، وقتَل أميرَهم عبدَ اللَّهِ بنَ الجارودِ فى رءوسٍ مِن القبائلِ معه، وأمَر برءوسِهم فنُصِبت عندَ الجسرِ مِن رامَهُرمُزَ، ثم بعَث بها إلى المهلَّبِ فقَوِى بذلك، وضعُفَ أمرُ[3] الخوارجِ، وأرسَل الحجاجُ إلى المهلَّبِ وعبدِ الرحمنِ بنِ مِخْنَفٍ، فأمَرهما بمناهضةِ الأزارقةِ، فنهَضا بمَن معهما إلى الخوارجِ الأزارقةِ فأجلَوْهم عن أماكنِهم مِن رامَهُرمُزَ بأيسرِ قتالٍ، فهرَبوا إلى أرضِ كازَرُونَ مِن إقليمِ سابُورَ، وسار الناسُ وراءَهم فالتقَوْا فى العَشرِ الآخِرِ مِن رمضانَ.

فلمّا كان الليلُ بيَّتَ الخوارجُ المهلَّبَ مِن الليلِ فوجَدوه قد تحصَّن بخَندقٍ حولَ معسكَرِه، فجاءوا إلى عبدِ الرحمنِ بنِ مِخْنَفٍ فوجَدوه غيرَ مُحترِزٍ - وكان المهلَّبُ قد أمَره بالاحترازِ بخندَقٍ حولَه فلم يفعَلْ - فاقتتَلوا فى الليلِ فقتَلتِ الخوارجُ عبدَ الرحمنِ بنَ مِخْنَفٍ، وطائفةً مِن جيشِه، وهزَموهم هزيمةً منكَرةً. ويُقالُ: إنَّ الخوارجَ لـمّا التقَوْا مع الناسِ فى هذه الوقعةِ كان ذلك فى يومِ الأربعاءِ لعَشرٍ[4] بقِين

(١) تاريخ الطبرى ٦/ ٢١٠.
(٢ - ٢) سقط من: م.
(٣) فى م: «أمير».
(٤) فى الأصل، ص: «لعشرين». وانظر تاريخ الطبرى ٦/ ٢١٢.

مِن رمضانَ ، فاقتتَلوا قتالًا شديدًا لم يُعهَدْ مثلُه مِن الخوارجِ ، وحمَلتِ الخوارجُ على جيشِ المهلَّبِ فاضطَرُّوه إلى مُعَسْكرِه ، فجعَل عبدُ الرحمنِ بنُ مِخْنَفٍ يُمِدُّه بالخيلِ بعدَ الخيلِ ، والرجالِ بعدَ الرجالِ ، فمالتِ الخوارجُ إلى مُعَسْكرِ عبدِ الرحمنِ بنِ مِخْنَفٍ بعدَ العصرِ ، فاقتتَلوا معه إلى الليلِ ، فقتِل عبدُ الرحمنِ فى أثناءِ الليلِ ، وقتِل معه طائفةٌ كثيرةٌ مِن أصحابِه الذين ثبَتوا معه ، فلمّا كان الصباحُ جاء المهلَّبُ فصلَّى عليه ودفنَه ، وكتَب إلى الحجاجِ بمهلِكِه ، فكتَب الحجاجُ إلى عبدِ الملكِ يُعَزِّيه فيه ، فنَعاه عبدُ الملكِ إلى الناسِ بمِنًى ، وأمَّر الحجاجُ مكانَه عتّابَ بنَ وَرقاءَ ، وكتَب إليه أن يطيعَ المهلَّبَ ، فكَرِه ذلك ، ولم يجِد بُدًّا مِن طاعةِ الحجاجِ ، و(1) لم يُمكِنْه مخالفتُه(1) ، فسار إلى المهلَّبِ فجعَل لا يطيعُه إلَّا ظاهرًا ويَعصِيه كثيرًا ، ثم تقاوَلا ، فهَمَّ المهلَّبُ أن يوقِعَ بعتّابٍ ، ثم حجَز بينَهما الناسُ ، فكتَب عتّابٌ إلى الحجاجِ يشكو المهلَّبَ ، فكتَب إليه أن يَقدَمَ عليه ، وأعفاه مِن ذلك ، وجعَل المهلَّبُ [٧/ ٨٤و] مكانَه ابنَه حَبيبَ بنَ المهلَّبِ .

(2) وفيها خرجَ داودُ بنُ النعمانِ المازنىُّ بنواحى البصرةِ ، فوجَّه إليه الحجّاجُ أميرًا على سريَّةٍ فقتَله(2) .

قال ابنُ جريرٍ(3) : وفى هذه السَّنةِ تحرَّك صالحُ بنُ مُسَرِّحٍ(4) أحدُ بنى(5) امرئِ القيسِ - وكان يرَى رأىَ الصُّفريَّةِ ، وقِيل : إنَّه أولُ مَن خرَج مِن الصُّفريةِ - وكان سببَ ذلك أنَّه كان حجَّ بالناسِ فى هذه السنةِ ، ومعه شبيبُ بنُ يَزيدَ ، والبَطِينُ ،

(١ - ١) فى ٣١، ٢١، م: «كره أن يخالفه».
(٢ - ٢) سقط من الأصل. وانظر تاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٦١ - ٨٠هـ) ص ٣٢٥.
(٣) تاريخ الطبرى ٦/ ٢١٥.
(٤) فى الأصل، ٢١: «مشرح».
(٥) سقط من: الأصل.

وأشباهُهم مِن رءوسِ الخوارجِ ، واتفَقَ حجُّ أميرِ المؤمنين عبدِ الملكِ ، فهَمَّ شبيبٌ بالفَتْكِ به ، فبلَغ عبدَ الملكِ ذلك مِن خبرِه ، فكتَب إلى الحجّاجِ بعدَ انصرافِه مِن الحجِّ أن يتطَلَّبَهم ، وكان صالحُ بنُ مُسرِّحٍ[1] هذا يُكثِرُ الدخولَ إلى الكوفةِ والإقامةَ بها ، وكان له جماعةٌ[2] ، مِن أهلِ دَارَا وأهلِ[3] المَوْصِلِ ، يُعلِّمُهم القرآنَ [4]ويُفَقِّهُهم[4] ويَقُصُّ عليهم ، وكان مُصْفَرًّا كثيرَ العبادةِ ، وكان إذا قصَّ يحمَدُ اللَّهَ ، ويُثنى عليه ، ويصلِّى على رسولِ اللَّهِ ﷺ ، ثم يأمُرُ بالزُّهدِ فى الدنيا والرغبةِ فى الآخِرةِ ، ويَحُثُّ على ذكرِ الموتِ ، ثم يترحَّمُ على الشيخَيْن أبى بكرٍ وعمرَ ، ويُثْنِى عليهما ثناءً حسنًا ، ولكنْ بعدَ ذلك يذكُرُ عثمانَ بنَ عفانَ ، رضِى اللَّهُ عنه ، فيَسُبُّه وينالُ منه ، ويُنكِرُ عليه أشياءَ مِن جنسِ ما كان يُنكِرُ عليه الذين خرَجوا عليه وقتَلوه مِن فَجَرَةِ أهلِ الأمْصارِ ، ثم يَحُضُّ أصحابَه على الخروجِ مع الخوارجِ للأمرِ بالمعروفِ ولإنكارِ المنكرِ الذى قد شاع فى الناسِ وذاع ، ويُهَوِّنُ عليهم القتلَ ، ويَذُمُّ الدنيا وأمرَها ويُصغِّرُها ، فالْتَفَّ[5] عليه جماعةٌ مِن الناسِ ، وكتَب إليه شبيبُ بنُ يزيدَ الخارجىُّ يستبطِئُه فى الخروجِ ، ويَحُثُّه عليه ، ويندُبُه إليه ، ثم قدِم شبيبٌ على صالحٍ وهو بدَارَا فتواعَدوا ، وتوافَقوا على الخروجِ فى مُستَهَلِّ صَفَرٍ مِن السَّنةِ[6] الآتيةِ - وهى سنةُ ستٍّ وسبعين - [7]وقدِم على صالحٍ شبيبٌ ، وأخوه مُصادٌ ، والمُحَلَّلُ[8] ، والفضلُ بنُ عامرٍ ، فاجتمَع عليه مِن الأبطالِ وهو بدارا نحوُ[7]

---

(١) فى الأصل ، ٢١: « مشرح » .
(٢) بعده فى ٣١، ٢١، م : « يلوذون به ويعتقدونه » .
(٣) فى م ، ص : « أرض » .
(٤ - ٤) سقط من : ٣١، ٢١، م .
(٥) فى م : « فالتفت » .
(٦) فى ٣١، ٢١، م : « هذه السنة » .
(٧ - ٧) زيادة من ٣١، ٢١، م .
(٨) فى ٢١، م : « المجلل » . وانظر تاريخ الطبرى ٦/ ٢١٩، والكامل ٤/ ٣٩٣.

(١ مائةِ وعَشَرةِ أنفسٍ، ثم وثَبوا على خيلٍ لمحمدِ بنِ مَرْوانَ فأخَذوها وتَقَوَّوْا[٢] بها ١)، ثم كان مِن أمرِهم بعدَ ذلك ما سنذكُرُه في التي بعدَها، إن شاء اللَّهُ تعالى.

وكان ممَّن توفِّي في هذه السَّنةِ في قولِ أبي[٣] مُسهِرٍ، وأبي عبيدٍ[٤]:

العِرباضُ بنُ ساريةَ السُّلَميُّ أبو نَجيحٍ[٥]، سكَن حِمْصَ، وهو صحابيٌّ جليلٌ، أسلَم قديمًا هو وعمرُو بنُ عَبَسةَ[٦]، رضِي اللَّهُ عنهما، ونزَل الصُّفَّةَ، وكان مِن البَكَّائين المذكورينَ في سورةِ براءةٍ، كما قد ذَكَرْنا أسماءَهم عندَ قولِه تعالى[٧]: ﴿وَلَا عَلَى ٱلَّذِينَ إِذَا مَآ أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ قُلْتَ لَآ أَجِدُ مَآ أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ تَوَلَّواْ وَّأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمْعِ حَزَنًا أَلَّا يَجِدُواْ مَا يُنفِقُونَ﴾ الآية[٨] [التوبة: ٩٢].

وهو راوِي حديثِ: خطَبَنا رسولُ اللَّهِ ﷺ خطبةً وَجِلت منها القلوبُ وذَرَفت منها العيونُ (٩ حتى قُلْنا: يا رسولَ اللَّهِ، كأنَّها موعظةُ مودِّعٍ [٧/٨٥و] فأَوْصِنا. قال: «أُوصِيكم بتقوَى اللَّهِ والسَّمعِ والطاعةِ، وإنْ تأمَّر عليكم عبدٌ حَبَشيٌّ كأنَّ رأسَه زبيبةٌ، عليكم بسُنَّتى وسُنَّةِ الخلفاءِ الراشدين مِن بعدِى، عَضُّوا عليها بالنواجذِ، وإيَّاكم ومحدَثاتِ الأمورِ، فإنَّ كلَّ محدَثةٍ بدعةٌ» ٩). رواه

(١ - ١) زيادة من ٣١، ٢١، م.

(٢) في م: «نفروا».

(٣) سقط من: الأصل.

(٤) في ص: «عبيدة».

(٥) الاستيعاب ٣/ ١٢٣٨، وأسد الغابة ٤/ ١٩، والإصابة ٤/ ٤٨٢ - ٤٨٣.

(٦) في م: «عنبسه».

(٧) التفسير ٤/ ١٣٨ - ١٣٩.

(٨) بعده في ٣١، ٢١، م: «وكانوا تسعة». والصحيح أنهم سبعة، راجع التفسير الموضع السابق.

(٩ - ٩) في ٣١، ٢١، م: «الحديث إلى آخره».

أحمدُ[1] وأهلُ السُّننِ[2]، وصحَّحه الترمذىُّ، وغيرُه. [3]وروَى أيضًا[4] أنَّ النبىَّ ﷺ كان يصلِّى على الصفِّ المقدَّمِ ثلاثًا، وعلى الثانى واحدةً. وقد كان العِرباضُ شيخًا كبيرًا، وكان يُحِبُّ أن يقبِضَه اللَّهُ إليه، وكان يدعو[5]: اللهمَّ كبِرتْ سِنِّى، ووهَن عظمِى، فاقبِضْنى إليك. وروَى أحاديثَ[3].

أبو ثعلبَةَ الخُشَنىُّ[6]، صحابىٌّ جليلٌ، شهِد بيعةَ الرِّضوانِ، وغزَا حُنينًا. وكان ممَّن نزَل الشامَ بدَارَيَّا غربىَّ دمشقَ إلى جهةِ القبلةِ، وقيل: ببلاط - قريةٍ شرقىَّ دمشقَ - فاللَّهُ أعلمُ. وقد اختُلِف فى اسمِه، واسمِ أبيه على أقوالٍ كثيرةٍ، والأشهرُ منها: جُرثومُ بنُ ناشرٍ[7].

وقد روَى عن رسولِ اللَّهِ ﷺ أحاديثَ، [8]وعن جماعةٍ مِن الصحابةِ[8]. وعنه جماعةٌ مِن التابعِين؛ منهم سعيدُ بنُ المسيَّبِ، ومكحولٌ الشامىُّ، وأبو إدريسَ الخولانىُّ، وأبو قِلابةَ الجَرْمىُّ.

وكان ممَّن يجالِسُ كعبَ الأحبارِ، وكان فى كلِّ ليلةٍ يخرُجُ، فينظُرُ إلى السماءِ فيتفكَّرُ، ثم يَرجِعُ فيسجُدُ للَّهِ، عزَّ وجلَّ. وكان يقولُ[9]: إنِّى لأرجو أن

---

(1) المسند ٤/ ١٢٦، ١٢٧.

(2) الترمذى (٢٦٧٦)، وأبو داود (٤٦٠٧)، وابن ماجه (٤٢). وقال الترمذى: حسن صحيح. وقال الألبانى: صحيح. صحيح سنن الترمذى (٢١٥٧).

(٣ - ٣) زيادة من ٣١، ٢١، م.

(4) مسند الإمام أحمد ٤/ ١٢٦، ١٢٧.

(5) أخرجه الذهبى فى سير أعلام النبلاء ٣/ ٤٢١.

(6) الاستيعاب ٤/ ١٦١٨، وأسد الغابة ٦/ ٤٤، والإصابة ٧/ ٥٨.

(7) فى الأصل: «ناشز»، وفى ٣١: «ماشر». وانظر طبقات خليفة ٧٨٢، وتهذيب الكمال ٣٣/ ١٦٩- ١٧٣.

(٨ - ٨) زيادة من: ٣١، ٢١، م.

(9) تهذيب الكمال ٣٣/ ١٧٤، وسير أعلام النبلاء ٢/ ٥٧٠ بنحوه.

لا يختُقَنى اللَّهُ عندَ الموتِ كما أراكمُ تُختَقون . فبينَما هو ليلةً يصلِّى مِن الليلِ إذ قبِضت روحُه وهو ساجدٌ ، ورأتِ ابنتُه فِى المنامِ كأنَّ أباها قد مات فانتبهَت مذعورةً ، فقالت لأُمِّها : أينَ أبى ؟ قالت : هو فى مُصلّاه . فنادَتْه فلم يُجِبْها ، فجاءته فحَرَّكَتْه فسقَط لجَنْبِه فإذا هو ميتٌ ، رحِمه اللَّهُ .

قال أبو عبيدٍ[(1)] ، ومحمدُ بنُ سعدٍ ، وخليفةُ ، وغيرُ واحدٍ[(2)] : كانت وفاتُه سنةَ خمسٍ وسبعِين . وقال غيرُهم : كانت وفاتُه فى أوَّلِ إمْرَةِ معاويةَ . فاللَّهُ أعلمُ .

وقد توفِّى فى هذه السَّنةِ الأسودُ بنُ يزيدَ[(3)] صاحبُ ابنِ مسعودٍ ،[(4)] وهو الأسودُ بنُ يزيدَ النَّخَعىُّ ، مِن كبارِ التابعِين ، ومِن أعيانِ أصحابِ ابنِ مسعودٍ ، ومِن كبارِ أهلِ الكوفةِ ، وكان يصومُ الدهرَ ، وقد ذهَبتْ عينُه مِن كثرةِ الصومِ ، وقد حجَّ البيتَ ثمانِين حَجَّةً وعمرةً ، وكان يُهِلُّ مِن الكوفةِ ، توفِّى فى هذه السنةِ ، وكان يصومُ حتى يخضَرَّ ويصفَرَّ ، فلمّا احتُضِر بكَى ، فقِيل له : ما هذا الجزَعُ ؟ فقال[(5)] : ما لى لا أجزَعُ ؟ ومَن أحقُّ بذلك منِّى ؟ واللَّهِ لو أُنبِئتُ بالمغفرةِ مِن اللَّهِ لأهمَّنى[(6)] الحياءُ منه ممّا قد صنعتُ ، إنَّ الرجلَ ليَكونُ بينَه وبينَ الرجلِ الذنبُ الصغيرُ فيَعفو عنه ، فلا يزالُ مُستحيِيًا منه[(4)] .

---

(1) فى م : « عبيدة » . وانظر تهذيب الكمال ٣٥٤/٢٣ .

(2) طبقات ابن سعد ٤١٦/٧ ، وطبقات خليفة ٧٨٢، وتهذيب الكمال ٣٣/ ١٧٤.

(3) الاستيعاب ١/ ٩٢، وأسد الغابة ١/ ١٠٧، وتهذيب الكمال ٣/ ٢٣٣، وسير أعلام النبلاء ٤/ ٥٠، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٦١ - ٨٠هـ) ص ٣٥٩، والإصابة ١/ ١٩٩.

(٤ - ٤) سقط من : الأصل ، ص .

(5) حلية الأولياء ٢/ ١٠٣، وسير أعلام النبلاء ٤/ ٥٢.

(6) فى م : « لأهابن » .

(١ **حُمْرانُ**[٢] **بنُ أبانٍ ، مولَى عثمانَ بنِ عفانَ** ، كان مِن سَبْيِ عينِ التَّمْر ، اشتراه عثمانُ ، وهو الذى كان يأذَنُ للناسِ على عثمانَ . توفِّى فى هذه السَّنةِ . واللَّهُ سبحانَه أعلمُ ١) .

(١ - ١) سقط من : الأصل ، ص .

(٢) فى ا ٢ : « حمزان » . وترجمته فى : طبقات ابن سعد ٧/ ١٤٨، وطبقات خليفة ١/ ٤٧٦، ٤٨٦، وتهذيب الكمال ٧/ ٣٠١، وسير أعلام النبلاء ٤/ ١٨٢، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٦١ - ٨٠هـ) ص ٣٩٥، والإصابة ٢/ ١٨٠.

ثم دخلت سنةُ ستٍّ وسبعين

وكان فى أوَّلِها فى مستهَلِّ صفَرٍ منها ليلةَ الأربعاءِ اجتماعُ صالحِ بنِ مُسَرِّحٍ أميرِ الصُّفريةِ ، وشبيبِ بنِ يزيدَ[1] أحدِ شُجعانِ الخوارجِ ، فقام فيهم صالحُ بنُ مُسَرِّحٍ فأمَرهم بتقوى اللَّهِ ، وحثَّهم على الجهادِ ، وأن لا يُقاتِلوا أحدًا حتى يدْعوه إلى الدخولِ معهم .

ثم مالوا إلى دوابِّ محمدِ بنِ مَرْوانَ نائبِ الجزيرةِ [2]لأخيه عبدِ الملكِ[2] ، فأخَذوها فتقَوَّوْا[3] بها ، وأقاموا بأرضِ دَارَا ثلاثَ عشْرةَ ليلةً ، وتحصَّن منهم أهلُ دَارَا ونَصيبِينَ وسِنجارَ ، فبعَث إليهم محمدُ بنُ مروانَ نائبُ الجزيرةِ خمسَمائةِ فارسٍ ، عليهم عَدِيُّ بنُ عدِيِّ بنِ عُميرةَ ، ثم زادَه خمسَمائةٍ أخرى ، فسار فى ألفٍ مِن حرّانَ إليهم ، وكأنما يُساقُ[4] إلى الموتِ ، [5]وهو ينظرُ[5] ؛ لمَا يعلَمُ[6] مِن جلَدِ الخوارجِ وقوَّتِهم وشدَّةِ بأسِهم ، فلمّا [٨٥/٧ظ] التقَى[7] مع الخوارجِ هزَموه هزيمةً شنيعةً بالغةً ، واحتوَوْا على ما فى مُعسَكرِه[8] ، ورجَع فَلُّهم[9] إلى

---

(١) فى ص : « زيد » . وانظر سير أعلام النبلاء ٤/ ١٤٦.
(٢ - ٢) زيادة : من الأصل ، ص .
(٣) فى م : « فنفروا » .
(٤) فى ٣١، ٢١، م : « يساقون » .
(٥ - ٥) فى ٣١، ٢١، م : « وهم ينظرون » .
(٦) فى ٣١، ٢١، م : « يعلمون » .
(٧) فى ٣١، ٢١، م : « التقوا » .
(٨) فى ٣١، ٢١، م ، ص : « معسكرهم » .
(٩) الفلّ : القوم المنهزمون . النهاية ٣/ ٤٧٣.

محمدِ بنِ مَرْوانَ فغضِب ، وبعَث إليهم ألفًا وخمسَمائةٍ مع [1]الحارثِ بنِ جَعْونَةَ[2] ، وألفًا وخمسَمائةٍ مع[1] خالدِ بنِ جَزْءٍ[3] السُّلَمِيِّ[4] ، وقال لهما : أيُّكما سبَق إليهم[5] فهو الأميرُ على الناسِ . فساروا إليهم فى ثلاثةِ آلافِ مقاتلٍ ، والخوارجُ فى نحوٍ مِن مائةِ نفسٍ ، وعشَرةِ أنفُسٍ ، فلمّا انتهَوْا إلى آمِدَ توجَّه[6] صالحٌ إلى خالدِ بنِ جَزْءٍ فى شَطرِ الناسِ ، ووجَّه شبيبًا إلى الحارثِ بنِ جَعْونَةَ[2] فى الباقِين ، فاقتتَل الناسُ [7]فى هذا اليومِ[7] قتالًا شديدًا إلى الليلِ ، فلمّا كان المساءُ انكفَّ[8] كلٌّ مِن الفريقيْن عن الآخرِ ، وقد قتِل مِن الخوارجِ نحوُ السبعين ، وقتِل مِن [9]أصحابِ ابنِ مَرْوانَ[9] نحوُ الثلاثين ، وهرَبتِ[10] الخوارجُ فى الليلِ فخرَجوا مِن الجزيرةِ ، وأخَذوا فى أرضِ المَوْصِلِ ، [11]ومضَوا حتى قطَعوا الدَّسْكَرَةَ[12] ، فبعَث إليهم الحجاجُ ثلاثةَ آلافٍ مع الحارثِ بنِ عُميرةَ[13] ، فسار نحوَهم حتى لحِقهم بأرضِ المَوصِلِ[11] ، وليس مع صالحٍ سوَى تسعين رجُلًا ، فالتقَى معهم ،

(١ - ١) سقط من : « الأصل » .

(٢) فى ص : « معونة » . وانظر تاريخ الطبرى ٦/ ٢٢١.

(٣) فى النسخ : « الحر » وكذا فى المواضع الآتية . والمثبت من الطبرى ٦/ ٢٢١، وانظر تاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٦١ - ٨٠هـ) ص ٣٢٨.

(٤) سقط من : ٣١، ٢١، م .

(٥) فى الأصل ، ص : « إليه » .

(٦) بلد تقع فى تركيا ، وهى أعظم مدن ديار بكر وأجلها قدرا . انظر معجم البلدان ٦٦/١ .

(٧ - ٧) سقط من : ٣١، ٢١، م.

(٨) فى ٣١، ٢١، م : « انكشف » .

(٩ - ٩) فى الأصل ، ص : « الناس » .

(١٠) فى الأصل ، ٣١، ٢١، ص : « هزمت » .

(١١ - ١١) سقط من : ص .

(١٢) الدسكرة : بناء كالقصر يكون للملوك ، وهو قرية بين بغداد وواسط . المسالك والممالك للإصطخرى ص ٦١، التاج (د س ك ر) .

(١٣) فى ٣١: « عمير » . وانظر الطبرى ٦/ ٢٢٢، والكامل ٤/ ٣٩٥.

وقد جعَل صالحٌ أصحابَه ثلاثةَ كَراديسَ ؛ فهو فى كُرْدُوسٍ ، [١]وشبيبٌ عن يمينِه فى كُردوسٍ ، وسُوَيْدُ بنُ سليمانَ عن يسارِه فى كُردوسٍ[١] ، وحمَل عليهم الحارثُ بنُ عُميرةَ ، وعلى ميمنتِه أبو الرَّوّاغِ[٢] الشاكِرىُّ ، وعلى ميسرتِه الزبيرُ بنُ الأروَحِ التميمىُّ ، فصبَرتِ الخوارجُ على قلَّتِهم صبرًا شديدًا ، ثم انكشَف سويدُ ابنُ سليمانَ ، ثم قتِل صالحُ بنُ مُسَرِّحٍ أميرُهم ، وصرِع شبيبٌ عن فرسِه ، فالتفّ عليه بقيةُ الخوارجِ حتى احتمَلوه فدخَلوا به حصنًا هنالك ، وقد بقِى منهم سبعون رجلًا ، فأحاط بهم الحارثُ بن عُميرةَ[٣] ، وأمَر أصحابَه أن يحرِقوا[٤] البابَ ففعَلوا ، ورجَع الناسُ إلى معسكرِهم ينتظِرون حريقَ[٥] البابِ فيأخُذون الخوارجَ قهرًا ، فلمّا[٦] رجَع الناسُ واطمأنّوا خرَجَتْ عليهم الخوارجُ مِن البابِ على الصَّعبِ والذَّلولِ ، فبيَّتوا جيشَ الحارثِ بنِ عُميرةَ ، فقتَلوا منهم مقتلةً عظيمةً ، وهرَب الناسُ سِراعًا إلى المدائنِ ، واحتازَ شبيبٌ وأصحابُه ما فى معسكرِهم ، فكان جيشُ الحارثِ بنِ عُميرةَ أوّلَ جيشٍ هزَمه شبيبٌ ، وكان مقتَلُ صالحِ بنِ مُسَرِّحٍ فى يومِ الثلاثاءِ لثلاثَ عشْرةَ ليلةً بقِيتْ مِن جُمادَى الآخِرةِ مِن هذه السنةِ .

وفيها دخَل شبيبٌ الكوفةَ ومعه زوجتُه غَزَالةُ ، وذلك أن شبيبًا جرَتْ له

(١ - ١) سقط من : الأصل .

(٢) فى النسخ : « الرواع » . والمثبت من الطبرى ٦/ ٢٢٢.

(٣) فى ا٣١: « عمير » .

(٤) فى ا٣١، ا٢١: « يكسروا » .

(٥) فى الأصل، ص: « أن يحرقوا » .

(٦) فى م: « ما » .

فصولٌ يطولُ تفصيلُها بعد مَقتلِ صالحِ بنِ مُسَرِّحٍ ، واجتمعَتْ عليه الخوارجُ وبايَعوه ، وبعَث إليه الحجّاجُ جيشًا آخرَ فقاتَلوه فهزَموه ، ثم هزَمهم بعدَ ذلك ، ثم سار فحاصَر[1] المدائنَ فلم ينلْ منها شيئًا ، [٨٦/٧و] فسار فأَخَذ دَوابَّ للحجّاجِ مِن كَلْواذا[2] ، ومِن عزمِه أنْ يُبيِّتَ أهلَ المدائنِ ، فهرَب مَن فيها مِن الجندِ إلى الكوفةِ ، فلمّا وصَل الفَلُّ إلى الحجّاجِ جهّز جيشًا أربعةَ آلافٍ مُقاتلٍ إلى شبيبٍ ، فمرُّوا على المدائنِ ، ثم ساروا فى طلبِ شبيبٍ ، فجعَل شَبيبٌ[3] يسيرُ بينَ أيديهم قليلًا قليلًا ، وهو يُريهم أنّه خائفٌ منهم ، ثم يكُرُّ فى كلِّ وقتٍ على المقدِّمةِ فيكسِرُها وينهَبُ ما فيها ، ولا يواجِهُ أحدًا إلّا هزَمه ، والحجّاجُ يُلِحُّ فى طلبِه ويجهِّزُ إليه السَّرايا والبعوثَ والمَدَدَ ، وشبيبٌ لا يُبالى بأحدٍ ، وإنَّ ما معه مائةٌ وستُّونَ فارسًا ، وهذا مِن أعجبِ العجبِ ، ثم سار مِن طريقٍ أخرى حتى واجَه الكوفةَ وهو يريدُ أن يحاصِرَها ، فخرَج الجيشُ بكمالِه إلى السَّبَخَةِ[4] لقتالِه ، وبلَغه ذلك فلم يبالِ بهم ، وانزعَج الناسُ ، وخافوا منه وفرِقوا ، [5]وهمُّوا أن يدخُلوا[5] الكوفةَ خوفًا منه فيتحصَّنوا فيها منه ، حتى قيلَ لهم : إنَّ سُوَيْدَ بنَ عبدِ الرحمنِ فى آثارِهم وقد اقترَب منهم ، وشَبيبٌ نازلٌ بالكوفةِ[6] بالدَّيْرِ ، [7]ليس عندَه خبرٌ منهم ولا خوفٌ[7] ، وقد أمَر بطعامٍ وشِــواءٍ أن يُصنعَ له ، فقيل له : قد جاءك الجندُ [7]فأدرِكْ نفسَك[7] . فجعَل [7]لا يَلتفِتُ إلى ذلك ، و[7]لا يكترِثُ بهم ، ويقولُ للدِّهقانِ

---

(١) فى ا٣، ا٢، م : « فجاز » .

(٢) فى ا٣: « كلوذ » ، وفى ا٢، م : « كلوذا » . وكلواذا : ناحية قرب بغداد . معجم البلدان ٤/ ٣٠١.

(٣) سقط من : م .

(٤) موضع بالبصرة . معجم البلدان ٣/ ٣٠.

(٥ - ٥) فى ا٣، ا٢، م : « وهم الجيش أن يدخل » .

(٦) سقط من : الأصل ، وفى ا٣، ا٢، م : « المدائن » . وانظر تاريخ الطبرى ٦/ ٢٣٧.

(٧ - ٧) سقط من : الأصل ، ص .

الذى يصنَعُ له الطعامَ : عجِّلْ به . فلمّا استوَى أكله ، ثم توضَّأ وصلَّى بأصحابِه (١) صلاةً تامةً بتطويلٍ وطمأنينةٍ (١) ، ثم لبِس درعَه وتقلّد سيفين ، وأخَذ عمودَ حديدٍ ، ثم قال : أسرِجوا لى البغلةَ (٢) . فقال له أخوه مصادٌ (٣) : أفى هذا اليومِ تركَبُ البغلةَ وقد أحاط بك الأعداءُ من كلِّ جانبٍ ؟ قال : نعم (٤) . فركِبها ، ثم فتَح بابَ الدَّيرِ الذى هو فيه وخرَج (٥) وهو (٦) يقولُ : (١) أنا أبو المدلَّهِ (١) ، لا حُكْمَ إلّا للَّهِ . وتقدَّم إلى أميرِ الجيشِ (٧) الذين تقدَّموا إليه (٧) ، فضَرَبه (٥) بالعمودِ الحديدِ فقتَله ، وهو سعيدُ بنُ المجالدِ ، وحمَل على الجيشِ الآخَرِ الكثيفِ فصرَع أميرَه ، وهرَب الناسُ مِن بينِ يديهِ ، ولجئُوا إلى الكوفةِ ، ومضَى شبيبٌ (٨) حتى أغار على (٨) أسفلِ الفراتِ ، وقتَل جماعةً هناك ، وخرَج الحجّاجُ مِن الكوفةِ إلى البصرةِ ، واستخلَف على الكوفةِ عُروةَ بنَ المُغيرةِ بنِ شُعبَةَ ، ثم اقترَب شبيبٌ مِن الكوفةِ يُريدُ دخولَها ، فأعلَم الدَّهاقينُ عُروةَ بنَ المغيرةِ بذلك فكتَب إلى الحجّاجِ يعلِمُه بذلك ، فأسرَع الحجَّاجُ الخُروجَ مِن البصرةِ ، وقصَد الكوفةَ فأسرَع السَّيرَ ، وبادَره شبيبٌ إلى الكوفةِ فسبَقه الحجّاجُ إليها فدخَلها العصرَ ، ووصَل شبيبٌ إلى المِربَدِ عندَ الغروبِ ، فلمّا كان آخِرُ الليلِ دخَل شبيبٌ الكوفةَ [٨٦/٧ظ] ، وقصَد

(١ - ١) سقط من : الأصل ، ص .

(٢) بعده فى ٣١، ١٢، م : « فركبها » .

(٣) فى الأصل ، ص : « معاذ » ، وفى ٣١: « مضاد » . وانظر تاريخ الطبرى ٦/ ٢٣٧.

(٤) بعده فى ٣١، ١٢: « فقال له أخوه مصاد : اركب فرسا فقال لا حارس كل أمر أجله » ، وبعده فى م : « اركب فرسا فقال لا حارس كل أمر أجله » .

(٥) سقط من : م .

(٦) بعده فى الأصل : « يحكم » .

(٧ - ٧) فى ٣١، ١٢، م : « الذى يليه » .

(٨ - ٨) فى ٣١، ١٢، م : « إلى الكوفة من » .

قصرَ الإمارةِ ، فضرَب بابَه بعمودِه الحديدِ فأثَّرت ضربتُه فى البابِ ، فكانت تُعرَفُ بعدَ ذلك ؛ يقالُ : هذه ضربةُ شبيبٍ . وسلَك فى طرقِ المدينةِ[1] ، وتقصَّدَ مَحالَّ القبائلِ[2] ، وقتَل رجالًا مِن رؤساءِ أهلِ الكوفةِ وأشرافِهم ؛ [3]منهم أبو سُليمٍ والدُ لَيْثِ بنِ أبى سُلَيْمٍ[4] ، وعَدِىُّ بنُ عَمْرٍو ، وأَزْهَرُ بنُ عبدِ اللَّهِ العامرىُّ ، فى طائفةٍ كثيرةٍ مِن أهلِ الكوفةِ ، وكان مع شبيبٍ امرأتُه غَزالةُ ، وكانت معروفةً بالشجاعةِ ، فدخَلتْ مسجِدَ الكوفةِ ، وجلَستْ على مِنبرِه ، وجعَلت تذُمُّ بنى مَرْوانَ[3] .

ونادَى الحجّاجُ فى الناسِ : يا خيلَ اللَّهِ اركبِى وأَبشرِى[5] . فخرَج شبيبٌ مِن الكوفةِ[6] ، فجهَّز الحجّاجُ فى إثرِه ستةَ آلافِ مقاتلٍ ، فساروا وراءَه [7]وهو بينَ أيدِيهم ينعَسُ ، ويهُزُّ رأسَه[7] ، وفى أوقاتٍ كثيرةٍ يكُرُّ عليهم شبيبٌ[5] [7]فيقتُلُ منهم جماعةً ، حتى[7] قتَل مِن جيشِ الحجّاجِ خلقًا كثيرًا ، وقتَل جماعةً مِن الأمراءِ ؛ منهم زائدةُ بنُ قُدامةَ - قتَله شبيبٌ ، [7]وهو ابنُ عمِّ المختارِ - فوجَّه الحجّاجُ مكانَه لحربِه عبدَ الرحمنِ بنَ الأشعثِ ، فلم يُقابِلْ شبيبًا ورجَع ، فوجَّه مكانَه عثمانَ بنَ قَطَنٍ الحارثىَّ ، فالتقَوْا فى آخِرِ السَّنةِ ، فقُتِل عثمانُ بنُ قَطَنٍ ، وانهزَمتْ جموعُه بعدَ أن قُتِل مِن أصحابِه ستُّمائةِ نَفْسٍ ؛ فمِن أعيانِهم عَقِيلُ بنُ شدَّادٍ السَّلُولىُّ[7] ،

---

(١) يعنى : الكوفة.

(٢) فى ٣١، م : « القتال ».

(٣ - ٣) سقط من : الأصل ، ص . وانظر تاريخ الطبرى ٦/ ٢٤١، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٦١ - ٨٠هـ) ص ٣٢٨ - ٣٢٩.

(٤) محدّث الكوفة ، وأحد علمائها الأعيان ، توفى سنة ١٣٨. سير أعلام النبلاء ٦/ ١٧٩.

(٥) سقط من ٣١، ٢١، م .

(٦) بعده فى ٣١، ٢١، م : « إلى محال الطعن والضرب ».

(٧ - ٧) سقط من : الأصل ، ص .

وخالدُ بنُ نَهيكٍ الكِندىُّ، والأَسودُ بنُ ربيعةَ.[1]

واستفحَل أمرُ شبيبٍ وتزلزَل له عبدُ الملكِ بنُ مَرْوانَ، والحجاجُ، وسائرُ الأمراءِ، وخاف عبدُ الملكِ منه خوفًا شديدًا، فبعَث له جيشًا مِن أهلِ الشامِ فقدِموا فى السنةِ الآتيةِ، وإنَّ ما مع شبيبٍ شِرذمةٌ قليلةٌ، وقد ملأَ قلوبَ الناسِ رعبًا[1]. وجرَت خطوبٌ كثيرةٌ له معهم، ولم يزَل ذلك دأْبَه ودأْبَهم حتى استهلَّت هذه السنةُ.

قال ابنُ جريرٍ[2]: وفى هذه السنةِ نقَش عبدُ الملكِ بنُ مَرْوانَ على الدراهمِ والدنانيرِ، وهو أوّلُ مَن نقَشها.

وقال القاضى الماوَرْدىُّ فى كتـــابِ «الأحكامِ السلطانيّةِ»[3]: اختُلِف فى أوّلِ مَن ضرَبها بالعربيةِ فى الإسلامِ؛ فقال سعيدُ بنُ المسيَّبِ: أوّلُ مَن ضرَب الدراهمَ المنقوشةَ عبدُ الملكِ بنُ مَرْوانَ، وكانتِ الدنانيرُ [4]روميةً، والدراهمُ[4] كِسرويةً. قال أبو الزِّنادِ[3]: وكان نقشُه لها فى سنةِ أربعٍ وسبعين. وقال المدائنىُّ[3]: خمسٍ وسبعين، وضُرِبتْ فى الآفاقِ سنةَ ستٍ وسبعين. وذكَر أنَّه ضرَب على الجانبِ الواحدِ منها (اللَّهُ أحدٌ)، وعلى الوجهِ الآخَرِ (اللَّهُ

(١ - ١) سقط من: الأصل، ص.

(٢) تاريخ الطبرى ٦/ ٢٥٦.

(٣) الأحكام السلطانية ص ١٣٩.

(٤ - ٤) فى ٣١، ٢١، م: «والدراهم رومية و».

الصمدُ)[1] . قال : وحكَى يحيى بنُ النُّعمانِ الغفاريُّ . عن أبيه أنَّ أوَّلَ مَن ضرَب الدراهمَ مصعبُ بنُ الزبيرِ عن أمرِ أخيه عبدِ اللَّهِ بنِ الزبيرِ ، سنةَ سبعين ، على ضرْبِ الأكاسرةِ ، وعليها (الملْكُ بركةٌ)[2] مِن جانبٍ ، و(للَّهِ) مِن جانبٍ ، ثم غيَّرها الحجّاجُ ، وكتَب اسمَه عليها مِن جانبٍ ، ثم خَلَّصها بعدَه يوسفُ بنُ هُبيرةَ فى أيامِ يزيدَ بنِ عبدِ الملكِ ، ثم خلَّصها أجودَ منها خالدُ بنُ عبدِ اللَّهِ القَسْرِيُّ[3] فى أيامِ هشامٍ ، ثم يوسفُ بنُ عمرَ أجودَ منهم كلِّهم . ولهذا كان المنصورُ لا يقبَلُ منها إلا الهُبيْريَّةَ والخالديَّةَ واليوسفيَّةَ .

وذكَر أنَّه قد كان للناسِ نقودٌ مختلفةٌ ؛ منها الدرهْمُ البغليُّ ، وكان ثمانيةَ دوانقَ ، والطبريُّ[4] وكان أربعةَ دوانقَ ، (٥والمصريُّ ثلاثةَ دوانقَ٥) ، واليمنيُّ دانقًا ، فجمَع عمرُ بنُ الخطّابِ بينَ البغليِّ والطبريِّ ، ثم أخَذ نصفَها فجعَله الدرهمَ الشرعيَّ ، وهو نصفُ مثقالٍ وخُمسُ مثقالٍ . وذكَروا أنَّ المثقالَ لم يغيِّروا وزنَه فى جاهليةٍ ولا إسلامٍ ، وفى هذا نظرٌ . واللَّهُ أعلمُ .

[٨٧/٧و] وفيها ولِد مَرْوانُ بنُ محمدِ بنِ مَرْوانَ بنِ الحكمِ[6] ، وهو مَروانُ

---

(١) فى حاشية الأصل : « وثبت ذلك أنه وجد دراهم ودنانير تاريخها قبل الإسلام بأربعمائة سنة مكتوب عليها اسم الأب والابن وروح القدس ، فأمر عبد الملك بنسخها ونقش عليها اسم اللَّه وقيل إنه كتب على الوجه الواحد لا إله إلا اللَّه وعلى الآخر محمد رسول اللَّه ﷺ » .
(٢) سقط من : م .
(٣) فى ا ٢: « القشيرى » ، وفى م : « القسيرى » . وانظر الأحكام السلطانية ص ١٣٩.
(٤) فى م : « الطبرية » . وبعده فى ٣١: « وهو مما ضرب بطبرية الشام » .
(٥ - ٥) سقط من : م .
(٦) تاريخ الطبرى ٦/ ٢٥٦.

الحِمَارُ، آخرُ مَن تولَّى الخلافةَ مِن بنى أميةَ بالشامِ[1]، [2]ومنه أخَذَها بنو العبّاسِ[2].

[3]وفيها ولَّى عبدُ الملكِ بنُ مَروانَ نيابةَ المدينةِ لأبانِ بنِ عثمانَ، [4]وعزَل عنها[4] يَحيى بنَ مروانَ عمَّه، واستدعاه إلى الشامِ[3].

وفيها حجَّ بالناسِ أبانُ بنُ عُثمانَ بنِ عفَّانَ نائبُ المدينةِ. وكان على إمرةِ العراقِ الحجَّاجُ، وعلى خُراسانَ أميةُّ بنُ عبدِ اللَّهِ، واللَّهُ أعلمُ.

و[5]ممَّن تُوفى فيها مِن الأعيانِ:

أبو عثمانَ النَّهدىُّ القُضَاعىُّ[6]، اسمُه عبدُ الرحمنِ بنُ مُلٍّ، أسلَم على عهدِ النبىِّ ﷺ، وغزا جَلُولاءَ والقادسيَّةَ وتُسْتَرَ ونَهاوَنْدَ وأَذْرَبيجانَ، وغيرَها، وكان كثيرَ العبادةِ زاهدًا عالمًا يصومُ النهارَ، ويقومُ الليلَ. تُوفِّى وعمرُه مائةٌ وثلاثون سنةً بالكوفةِ.

صِلَةُ بنُ أَشْيَمَ العَدَوِىُّ[7]: مِن كبارِ التابِعين مِن أهلِ البصرةِ، وكان ذا فضلٍ ووَرَعٍ وعِبادةٍ وزهدٍ، كنيتُه أبو الصَّهْباءِ[8]، كان يصلِّى حتى ما يستطيعُ أن يأتىَ الفِراشَ إلَّا حَبْوًا، وله مَناقِبُ كَثيرةٌ جِدًّا؛ منها أنَّه كان يَمُرُّ عليه شبابٌ يَلهُون

---

(١) سقط من: ١٣١، ٢، م.

(٢ - ٢) سقط من: الأصل، ص.

(٣ - ٣) سقط من: ١٣١، ٢، م.

(٤ - ٤) فى ص: «وولَّى عليها». وانظر تاريخ الطبرى ٦/ ٢٥٦.

(٥) من هنا يبدأ سقط من الأصل، ٢١، ص، وينتهى عند قوله: ثم دخلت سنة سبع وسبعين.

(٦) الاستيعاب ٢/ ٨٥٣، وأسد الغابة ٣/ ٤٩٧، والإصابة ٥/ ١٠٨.

(٧) انظر ترجمته فى: طبقات ابن سعد ٧/ ١٣٤، وحلية الأولياء ٢/ ٢٣٧، وأسد الغابة ٣/ ٣٤، وسير أعلام النبلاء ٣/ ٤٩٧، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٦١ - ٨٠هـ) ص ١٢٧، والإصابة ٣/ ٤٦٣.

(٨) فى ٣١، م: «الصبهاء». والمثبت من مصادر الترجمة.

ويَلعَبون ، فيقولُ : أخبِرونِى عن قومٍ أرادوا سَفَرًا ، فحادُوا فى النهارِ عن الطريقِ ، وناموا الليلَ ، فمتى يَقطعُون سفرَهم ؟ فقال لهم يومًا هذه المقالةَ ، فقال شابٌّ منهم : واللَّهِ يا قومِ ، إنَّه ما يَعنى بهذا غيرَنا ، نحن بالنهارِ نلهُو ، وبالليلِ ننامُ . ثم تبع صِلةَ فلم يَزَلْ يتعبَّدُ معه حتى مات . ومرَّ عليه فتًى يَجُرُّ ثوبَه ، فهَمَّ أصحابُه أن يأخُذوه بألسنتِهم ، فقال[1] : دَعُونِى أكفِكُم أمرَه . ثم دعاه فقال : يا ابنَ أخِى ، لى إليك حاجةٌ . قال : وما حاجتُك ؟ قال : أن تَرفعَ إزارَك . قال : نعم ، ونِعْمَتْ عَيْنٌ . فرَفَع إزارَه ، فقال صِلةُ : هذا أمثَلُ ممّا أردتُم ، لو شَتَمتموه لَشتَمَكم .

ومنها ما حكَاه جعفرُ بنُ زيدٍ ، قَال[2] : خرَجْنا فى غَزاةٍ ، وفى الجيشِ صِلَةُ ابنُ أَشْيَمَ ، فنزَل الناسُ عندَ العَتَمةِ ، فقلتُ : لأَرمُقَنَّ عَمَلَه الليلةَ. فدخَل غَيْضةً ، ودخَلتُ فى أَثَرِه ، فقام يصلِّى ، وجاءَ الأَسَدُ حتى دنا منه ، وصعِدتُ أنا فى شجرةٍ . قال : فتُراه التفَتَ ، أو عَدَّه جِرْوًا حتى سجَد ؟ فقلتُ : الآنَ يفترِسُه ، فجلَس ثم سلَّم ، فقال : أيُّها السَّبُعُ ، إن كنتَ أُمِرتَ بشىءٍ فافعَلْ ، وإلّا فاطلُبِ الرزقَ مِن مكانٍ آخرَ . فولَّى الأسدُ وإنَّ له لَزَئِيرًا تَصَدَّعُ منه الجِبالُ ، فلمّا كان عندَ الصباحِ جلَس فحمِد اللَّهَ بمَحامدَ لم أسمَعْ بمِثْلِها ، ثم قال : اللهمَّ إنِّى أسأَلُك أن تُجِيرَنى مِن النارِ ، أَوَ مثْلِى يَجتَرِئُ أن يسأَلَك الجنَّةَ ؟ ثم رجَع إلى الجيشِ ، فأَصبَح كأنَّه بات على الحَشايا[3] ، وأَصبحتُ وبى مِن الفَتْرةِ شىءٌ اللَّهُ به عَليمٌ .

قال : وذهَبتْ بَغلتُه بثِقَلِها ، فقال : اللهمَّ إنِّى أسأَلُك أن تَرُدَّ علىَّ بغلتى

---

(١) طبقات ابن سعد ٧/ ١٣٥.

(٢) أخرجه ابن المبارك فى الزهد (٨٦٣)، بنحوه .

(٣) أى على فراشه. النهاية ١/ ٣٩٣.

بِثِقَلِها . فجاءت حتى قامتْ بينَ يَدَيْه ، قال : فلمّا التقينا العدُوَّ ، حمَل هو وهشامُ ابنُ عامرٍ فصنَعا[1] بهم طعنًا[2] وضَرْبًا ، فقال العدُوُّ : رجُلانِ مِن العربِ صنَعا بنا هذا ، فكيف لو قاتَلونا كُلُّهم؟ أَعطُوا المسلمينَ حاجتَهم . يعنى انزِلوا على حُكمِهم .

وقال صِلةُ[3] : جُعتُ مَرةً فى غَزاةٍ جوعًا شديدًا ، فبينَما أنا أَسيرُ أدعو ربِّى وأستطعِمُه ، إذ سمِعتُ وَجْبةً[4] مِن خَلْفى ، فالتفتُّ فإذا أنا بمِنْديلٍ أبيضَ ، فإذا فيه دَوْخَلَةٌ[5] ملآنةٌ رُطبًا ، فأكَلتُ منه حتى شَبِعتُ ، وأدرَكنى المساءُ فمِلتُ إلى دَيْرِ راهبٍ ، فحدَّثتُه الحديثَ ، فاستطعَمنى مِن الرُّطبِ فأطعَمتُه ، ثم إنِّى مرَرتُ على ذلك الراهبِ بعدَ زمانٍ ، فإذا نَخَلاتٌ حِسانٌ ، فقال : إنهنّ لمِن الرُّطَباتِ التى أطعمتَنى . وجاء بذلك المِنديلِ إلى امرأتِه فكانت تُرِيه للناسِ .

ولما أُهدِيتْ مُعاذةُ إلى صِلةَ ، أدخَله ابنُ أخِيه الحمّامَ ، ثم أدخَله بيتَ العَروسِ ؛ بيتًا مُطيَّبًا ، فقام يُصلِّى ، فقامتْ تُصلِّى معه ، فلم يزالا يُصلِّيانِ حتى بَرَق الصبحُ ، قال : فأَتيتُه فقلتُ له : أَى عَمِّ ، أَهديتُ إليك ابنةَ عمِّكَ الليلةَ ، فقُمتَ تُصلِّى وتركتَها ! قال : إنَّك أدخلْتَنى بيتًا أَوَّلَ النهارِ أذكَرتَنى به النارَ ، وأدخَلْتَنى بيتًا آخِرَ النهارِ أذكَرتَنى به الجنةَ ، فلم تَزَلْ فِكْرتى فيهما حتى أصبحتُ . البيتُ الذى أَذكَره به النّارَ هو الحمّامُ ، والبيتُ الذى أَذكَره به الجنةَ هو بيتُ العَروسِ .

---

(١) فى م : « فصنعنا » .

(٢) فى ٣١ : « صنعًا » .

(٣) أخرجه ابن المبارك فى الزهد (٨٦٥) ، وابن سعد فى الطبقات ٧/ ١٣٥ ، كلاهما بنحوه .

(٤) الوجبة : صوت السقوط . النهاية ٥/ ١٥٤ .

(٥) فى ٣١ : « دوحلة » . والدوخلة : زبيل من خوص يجعل فيه التمر . الوسيط (د خ ل) .

وقال له رَجُلٌ : ادعُ اللَّهَ لى . فقال : رَغَّبك اللَّهُ فيما يبقَى ، وزَهَّدك فيما يَفنَى ، ورزَقك اليَقينَ الذى لا تَركَنُ إلَّا إليه ، ولا تُعوِّلُ فى الدِّينِ إلَّا عليه .

وكان صِلةُ فى غَزاةٍ ومعه ابنُه فقال له[1] : أى بُنَىَّ ، تقدَّمْ فقاتِلْ حتى أَحتسِبَك . فحمَل فقاتَل حتى قتِل ، ثم تقدَّم صِلَةُ فقاتَل حتى قتِل ، فاجتمَع النساءُ عندَ امرأتِه مُعاذةَ العَدَوِيَّةِ ، فقالت : إن كُنتنَّ جِئتُنَّ لتُهَنِّئْنَنى فمَرْحبًا بكنَّ ، وإن كنتنَّ جِئتُنَّ [2]لغيرِ ذلك[2] فارجِعنَ .

تُوفِّى صِلةُ فى غَزاةٍ هو وابنُه نحوَ بلادِ فارِسَ ، فى هذه السنةِ .

زُهَيرُ بنُ قَيْسٍ البَلَوِىُّ[3] : شهِد فَتْحَ مِصرَ وسَكَنها ، له صُحْبةٌ . قَتَلته الرومُ ببَرْقَةَ مِن بلادِ المغربِ ، وذلك أنَّ الصريخَ أَتَى الحاكِمَ بمصرَ ، وهو عبدُ العزيزِ بنُ مَرْوانَ ، أنَّ الرُّومَ نزَلُوا[4] بَرْقةَ ، فأَمَره بالنهوضِ إليهم ، فساق زهيرٌ ومعه أربعون نَفْسًا ، فوجَد الرُّومَ ، فأراد أن يَكُفَّ عن القتالِ حتى يَلحَقَه العسكَرُ ، فقالوا : يا أبا شَدّادٍ ، احمِلْ بنا عليهم . فحمَلوا فقُتِلوا جميعًا .

المُنْذِرُ بنُ الجارودِ[5] : مات فى هذه السنةِ . تولَّى بيتَ المالِ ، ووفَد على معاويةَ . واللَّهُ سُبحانَه أَعْلمُ[6] .

---

(١) طبقات ابن سعد ٧/ ١٣٧، بنحوه.

(٢ - ٢) فى م : « لتعزيننى » .

(٣) ترجمته فى : أسد الغابة ٢/ ٢٦٧، والإصابة ٢/ ٥٧٩، وتاريخ دمشق ١٩/ ١١٢، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٦١ - ٨٠هـ) ص ٤٠٤.

(٤) فى ٣١: « تركوا » .

(٥) ترجمته فى : المعارف ٣٣٩، وتاريخ دمشق ١٧/ ٢٠٠ مخطوط ، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٦١ - ٨٠هـ) ص ٢٥٦، ٥٢٩، والإصابة ٦/ ٢٦٤.

(٦) نهاية السقط من : الأصل ، ٢١ ، ص .

ثم دَخلت سنةُ سبعٍ وسبعين

فيها أخرَج الحجاجُ مقاتِلةَ أهلِ الكوفةِ وكانوا أربعين ألفًا ، وانضافَ إليهم عشَرةُ آلافٍ ، فصاروا خمسين ألفًا ، وأمَّر عليهم عتَّابَ بنَ ورقاءَ ، وأمَره أنْ يقصِدَ لشبيبِ بنِ يزيدَ أين كان ، وأن يُصمِّمَ (١) عليه وعلى مَن معه (١) - (٢) وكانوا قد تجمَّعوا (٢) ألفَ رجلٍ - وأن لا يفعَلوا كما كانوا يفعَلون قبلَها مِن الفرارِ والهَزيمةِ .

ولمّا بلَغ شبيبًا ما بعَث به الحجاجُ إليه مِن الجنودِ ، (٣) لم يعبأْ بهم شيئًا ، بل (٣) قام فى أصحابِه خطيبًا ؛ فوعَظَهم ، وذكَّرهم ، وحثَّهم على الصبرِ عندَ اللقاءِ ومناجزةِ الأعداءِ ، سار شبيبٌ بأصحابِه نحوَ عتّابِ بنِ ورقاءَ ، فالتقَيا فى آخرِ النهارِ عندَ غروبِ الشمسِ ، فأمَر شبيبٌ مُؤَذِّنَه سلّامَ بنَ سَيّارٍ (٤) الشَّيْبانىَّ فأذَّن المغربَ ، ثم صلَّى شبيبٌ بأصحابِه المغربَ ، وصفَّ عتابٌ أصحابَه - وكان قد خَنْدَقَ حولَ جيشِه مِن أولِ النهارِ - فلما صلَّى شبيبٌ بأصحابِه المغربَ ، انْتَظَرَ حتى إذا طلَع القمرُ وأضاء ، تأمَّل (٥) الميمنةَ والميسرةَ ، ثم حمَل على أصحابِ راياتِ عتّابٍ وهو يقولُ : أنا شبيبٌ أبو المدلّه ، لا حُكمَ إلّا للّهِ . فهزَمهم ، وقُتِل أميرُهم قَبيصةُ بنُ والقٍ ، وجماعةٌ مِن الأمراءِ معه ، ثم كرَّ على الميْمَنةِ وعلى الميسرةِ ، ففرّق شملَ كلِّ واحدةٍ منهما ، ثم قصَد القلبَ فما زال حتى قُتِل الأميرُ عتّابُ بنُ ورقاءَ ،

(١ - ١) فى ٣١، ٢١، م : « على قتاله ».

(٢ - ٢) فى ٣١، ٢١، م : « وكان قد اجتمع على شبيب ».

(٣ - ٣) سقط من : الأصل ، ص .

(٤) فى الأصل ، م ، ص : « يسار » . وانظر تاريخ الطبرى ٦/ ٢٦٣ .

(٥) فى الأصل : « قاتل » . وفى تاريخ الطبرى ٦/ ٢٦٥ : « فقاتل » .

وزُهرةُ بنُ حَوِيَّةَ[(1)] ، [(2)]ووَلّى عامَّةُ الجيشِ مدْبِرين ، وداسُوا الأميرَ عَتّابًا ، وزُهرةُ ، فوطِئَتْه الخيلُ ، وقتِل فى المعركةِ عَمّارُ بنُ يزيدَ الكلبىُّ ، ثم قال شبيبٌ لأصحابه: لا تَتَبَّعوا منهزِمًا[(2)] ، وانهزَم جيشُ الحجاجِ عن بَكْرَةِ أبيهم راجعين إلى الكوفةِ .

وكان شبيبٌ لمَّا احتوَى على المعسكرِ ، أخَذ ممَّن بقِى منهم البيعةَ له بالإمارةِ فبايَعوه[(3)] ، وقال لهم : إلى ساعةٍ تهرُبون . ثم احْتَوى على ما فى المعسكرِ مِن الأموالِ والحواصلِ ، واستدعى بأخيه مصادٍ[(4)] مِن المدائنِ ، ثم قصَد نحوَ الكوفةِ ، وقد وفَد إلى الحجاجِ سفيانُ بنُ الأبْرَدِ الكلبىُّ ، وحبيبُ بنُ عبدِ الرحمنِ الحَكَمىُّ - مِن مَذْحِجٍ - فى ستةِ آلافِ فارسٍ ، ومعهما خلقٌ مِن أهلِ الشامِ ، فاستَغْنى الحجاجُ بهم عن نُصرةِ أهلِ الكوفةِ ، وقامَ فى الناسِ خطيبًا ، فحمِد اللَّهَ وأثْنى عليه ، ثم قال : أمَّا بعدُ يا أهلَ الكوفةِ ، لا أعزَّ [٨٧/٧ظ] اللَّهُ مَن أراد بكم العزَّ ، ولا نصَر مَن أراد بكم النصرَ ، اخرُجوا عنَّا فلا تشهَدوا معنا قتالَ عدُوِّنا ، الحَقوا بالحِيرةِ فانزِلوا مع اليهودِ والنصارى ، فلا يقاتِلَنَّ معنا إلَّا مَن كان لنا عاملًا ، ومَن لم يشهَدْ قتالَ عتَّابِ بنِ وَرقاءَ . وعزَم الحجاجُ على قتالِ شبيبٍ بنفسِه ، وسار شبيبٌ حتى بلَغ الصَّراةَ[(5)] ، وخرَج إليه الحجاجُ بمَن معه مِن الشاميِّين ، وغيرِهم ، فلمّا تَواجَه الفريقان نظَر الحجاجُ إلى شبيبٍ وهو فى ستِّمائةٍ [(6)]مِن أصحابِه[(6)] ، فخطَب الحجاجُ أهلَ الشامِ وقال : [(7)]يا أهلَ الشامِ[(7)] ،

---

(1) فى ١٣، ١٢، م: «جونة». وانظر تاريخ الطبرى ٦/ ٢٥٧.

(٢ - ٢) زيادة من: ١٣، ١٢، م. وانظر تاريخ الطبرى ٦/ ٢٦٥، ٢٦٦.

(٣) سقط من: م.

(٤) فى ١٣، ١٢: «مضاد»، وفى ص: «معاذ».

(٥) الصراة: نهران ببغداد؛ الصراة الكبرى والصغرى. معجم البلدان ٣/ ٣٧٧، ٣٧٨.

(٦ - ٦) سقط من: ١٣، ١٢، م.

(٧ - ٧) زيادة من ١٣، ١٢، م.

أنتم أهلُ السمعِ والطاعةِ والصبرِ واليقينِ ، لا يَغْلِبَنَّ باطلُ هؤلاءِ الأرجاسِ حقَّكم ، غُضُّوا الأبصارَ ، واجْثُوا على الرُّكَبِ ، واستقْبِلوا بأطرافِ الأسِنَّةِ . ففعَلوا ذلك ، وأقبَل شبيبٌ وقد عَبَّأ أصحابَه ثلاثَ فرقٍ ؛ واحدةٌ معه ، وأخرى مع سُوَيدِ بنِ سُلَيم ، وأخرى مع المجلَّلِ بنِ وائلٍ ، وأمَر شبيبٌ سُويدًا أن يحمِلَ ، فحمَل [(١] على جيشِ الحجّاجِ [١)] ، فصبَروا له حتى إذا دنا منهم ، وثَبوا إليه وثبةً واحدةً ، فانهَزَم عنهم ، فنادَى الحجاجُ : يا أهلَ السمعِ والطاعةِ ، هكذا فافْعَلوا . ثم أمَر الحجاجُ ، فقُدِّمَ كرسيُّه الذى هو جالسٌ عليه إلى الأمامِ ، ثم أمَر شبيبٌ المجلَّلَ أن يحمِلَ ، [(٢] ففعَلوا به كما فعَلوا بسُويدٍ ، وقال لهم الحجاجُ كما قال لأولئك ، وقدَّم [٢)] كرسيَّه إلى أمامٍ ، ثم إن شبيبًا حمَل عليهم فى كتيبتِه ، فثبَتوا له حتى إذا غَشَّى أطرافَ الرِّماحِ وثَبوا فى وجهِه فقاتَلَهم طويلًا ، ثم إنَّ أهلَ الشامِ طاعَنوه قُدُمًا[(٣)] حتى ألحَقوه بأصحابِه ، فلمَّا رأى صبرَهم نادَى : ياسويدُ ، احمِلْ فى خَيْلِك على أهلِ هذه السِّكَّةِ[(٤)] ، لعلَّك تُزيلُ أهلَها عنها ، فأتِ الحجاجَ من ورائِه ، ونحمِلُ نحن عليه من أمامِه . فحمَل فلم يُفِدْ ذلك شيئًا ؛ وذلك أنَّ الحجاجَ كان قد جعَل عروةَ بنَ المغيرةِ بنِ شعبةَ فى ثلاثِمائةِ فارسٍ رِدْءًا له مِن ورائِه لئلا يُؤْتَوا مِن خلفِهم ، وكان الحجاجُ بصيرًا بالحربِ أيضًا ، فعندَ ذلك حرَّض شبيبٌ أصحابَه على الحملةِ ، وأمرَهم بها ، ففهِم ذلك الحجاجُ ، فنادَى : يا أهلَ السمعِ والطاعةِ ، اصبِروا لهذه الشدةِ الواحدةِ ، ثم وربِّ السماءِ والأرضِ ، ما شىءٌ دونَ الفتحِ . فجَثَوا على الرُّكَبِ ، وحمَل عليهم شبيبٌ بجميعِ أصحابِه ، فلما غَشِيَهم نادَى

(١ - ١) زيادة من : ٣١، ٢١، م .

(٢ - ٢) فى ٣١، ٢١، م : « فحمل فثبتوا له وقدم الحجاج » .

(٣) سقط من ٣١، وفى الأصل : « فدنا » .

(٤) فى م : « السرية » .

الحجاجُ بجماعةِ الناسِ فوثَبوا في وجهِه ، فما زالوا يَطْعَنون ويُطعَنون ، وهم مُسْتَظْهِرون على شبيبٍ وأصحابِه حتى ردُّوهم عن مواقِفِهم إلى ما وراءَها ، فنادَى شبيبٌ فى أصحابِه : يا أولياءَ اللَّهِ ، الأرضَ الأرضَ . ثم نزَل [٨٨/٧و] ونزَل أصحابُه ، وجاء الحجاجُ فنادَى : يا أهلَ الشامِ ، يا أهلَ السمعِ والطاعةِ ، هذا أولُ النصرِ والذى نفسى بيدِه . وصعِد مسجدًا هنالك [(١] لِشبيبٍ ، ومعه [١)] نحوٌ مِن عشرين رجلًا معهم النَّبلُ ، واقْتَتَل الناسُ قتالًا شديدًا عامةَ النهارِ ، مِن أشدِّ قتالٍ فى الأرضِ ، حتى أقرَّ كلٌّ واحدٍ مِن الفريقين لصاحبِه ، والحجاجُ ينظُرُ إلى الفريقين مِن مكانِه ، ثم إنَّ خالدَ بنَ عتابٍ استأْذَن الحجاجَ فى أن يركبَ فى جماعةٍ فيأتىَ الخوارجَ مِن ورائِهم ، فأذِن له ، فانْطَلَق فى جماعةٍ معه ؛ نحوِ مِن أربعةِ آلافٍ ، فدخَل عَسْكَرَ الخوارجِ مِن ورائِهم فقتَل مصادًا[(٢)] أخا شبيبٍ ، وغزالةَ امرأةَ شبيبٍ ؛ قتَلَها رجلٌ يقالُ له : فروةُ بنُ دفّانَ[(٣)] الكلبىُّ . وخرَق فى جيشِ شبيبٍ ، ففرِح بذلك الحجاجُ وأصحابُه وكبَّروا ، وانصَرف شبيبٌ وأصحابُه كلٌّ منهم على فرسٍ ، فأمَر الحجاجُ الناسَ أنْ يَنْطَلِقوا فى تَطَلُّبِهم ، فشَدُّوا عليهم فهزَموهم ، وتَخَلَّفَ شبيبٌ فى حاميةِ النّاسِ ، ثم انْطَلَق واتَّبعه الطَّلَبُ ، فجعَل يَنْعَسُ وهو على فرسِه حتى يَخْفِقَ برأسِه ، ودنا[(٤)] منه الطلبُ ، فجعَل بعضُ أصحابِه ينهاه عن النُّعاسِ فى هذه الساعةِ ، فجعَل لا يَكْتَرِثُ بهم ، ويعودُ فتَخْفِقُ رأسُه ، فلمّا طال ذلك ، بعَث الحجاجُ إلى أصحابِه يقولُ : دَعُوه فى

(١ - ١) فى ٣١، ٢١، م : « وجعل ينظر إلى الفريقين ومع شبيب » .
(٢) فى ص : « معاذا » .
(٣) فى ٢١، م ، ص : « دقاق » .
(٤) فى ص : « رأى » .

حَرَقِ النارِ . فترَكوه ورجَعوا .

ثم دخَل الحجاجُ الكوفةَ فخطَب الناسَ فقال فى خطبتِه : إن شبيبًا لم يُهْزَمْ قبلَها . ثم قصَد شبيبٌ الكوفةَ ، فخرَجت إليه سَرِيَّةٌ مِن جيشِ الحجاجِ ، فالتقَوا معه يومَ الأربعاءِ ، (1) فهُزِم الخوارجُ يومَ الجمعةِ ، وسارتِ الخوارجُ هاربين (1) . (2) وكان على سريةِ الحجاجِ الحارثُ بنُ معاويةَ الثَّقفىُّ فى ألفِ فارسٍ معه ، فحمَل شبيبٌ على الحارثِ بنِ معاويةَ ، فكسَره ومَن معه ، وقتَل منهم طائفةً ، ودخَل الناسُ الكوفةَ هاربين ، وحصَّن الناسُ السككَ ، فخرَج إليه أبو الوردِ مولى الحجاجِ فى طائفةٍ من الجيشِ ، فقاتل حتى قتِل ، ثم هرَب أصحابُه ودخَلوا الكوفةَ ، ثم خرَج إليه أميرٌ آخرُ فانكسَر أيضًا ، ثم سار شبيبٌ بأصحابِه نحوَ السوادِ ، فمرُّوا بعاملِ الحجاجِ على تلك البلادِ فقتَلوه ، ثم خطَب أصحابَه وقال : اشْتَغَلْتُم بالدُّنيا عن الآخرةِ . ثم رمَى بالمالِ فى الفراتِ ، ثم سار بهم حتى افْتَتَح بلادًا كثيرةً ، ولا يبرُزُ له أحدٌ إلا قتلَه ، ثم خرَج إليه بعضُ الأمراءِ الذين على بعضِ المدنِ ، فقال له : يا شبيبُ ، ابرُزْ إلىَّ وأبرُزُ إليك - وكان صديقَه - فقال له شبيبٌ : إنِّى لا أُحِبُّ قتْلَك . فقال له : لكنِّى أُحِبُّ قتْلَك ، فلا تَغُرَّنَّك نفسُك ، وما تَقَدَّمَ مِن الوقائعِ . ثم حمَل عليه فضرَبه شبيبٌ على رأسِه ، فهمَس رأسَه (3) حتى اختلَط دماغُه بلحمِه وعظمِه ، ثم كفَّنه ودفَنه ، ثم إنَّ الحجاجَ أنفَق أموالًا كثيرةً على الجيوشِ والعساكرِ فى طلبِ شبيبٍ فلم يُطِيقُوه ولم يَقْدِروا عليه ، وإنما سلَّط اللَّهُ عليه موتًا قدَرًا (2) ،

(1 - 1) فى 31، 21، م: «فلا زالوا يتقاتلون إلى يوم الجمعة».

(2 - 2) سقط من: الأصل، ص.

(3) يعنى كسرها.

(١) مِن غيرِ صُنْعِهم ، ولا صُنْعِه فى هذه السنةِ(١) .

ذِكرُ مقتلِ شبيبٍ فى هذه السنةِ عندَ ابنِ الكلبىّ

وكان سببَ ذلك أنَّ الحجاجَ كتَب إلى نائبِه على البصرةِ ؛ الحكمِ بنِ أيوبَ ابنِ الحكمِ بنِ أبى عقيلٍ ، وهو زوجُ ابنةِ الحجاجِ ، يأمُرُه أن يجَهِّزَ جيشًا أربعةَ آلافٍ يتطلَّبون شبيبًا ، ويكونون تبعًا لسفيانَ بنِ الأبردِ ، ففعَل[٢] فالتقَوا[٣] فاقتتَلوا قِتالًا شديدًا ، وصبَر كلٌّ مِن الفَريقيْن لصاحبِه[٤] ، ثم عزَم أصحابُ الحجاجِ فحمَلوا على الخوارجِ[٥] ، ففَرُّوا بينَ أيديهم ذاهبين حتى اضْطَرُّوهم إلى جسرٍ هناك ، فوقَف عندَه شبيبٌ ، فى مائةٍ مِن أصحابِه ، وعجَز سفيانُ بنُ الأبردِ عن مقاومتِه ، وردِّه[٦] عن موقفِه هذا بعدَما تقاتَلوا نهارًا كاملًا[٧] أشدَّ قتالٍ يكونُ ، ثم أمَر سفيانُ بنُ الأبردِ (٨) الرُّماةَ مِن(٨) أصحابِه ، فرَشَقُوهم بالنَّبْلِ رَشْقًا واحدًا ، ففرَّتِ الخوارجُ ، ثم كرَّتْ على الرُّماةِ ، فقتَلوا منهم نحوًا مِن ثلاثين رجلًا ،

(١ - ١) سقط من : الأصل ، ص .

(٢) بعده فى ٣١ ، ٢١ ، م : « وانطلقوا فى طلبه » .

(٣) بعده فى ٣١ ، ٢١ ، م : « معه وكان ابن الأبرد معه خلق من أهل الشام فلما وصل جيش البصرة إلى ابن الأبرد التقوا معه وصاروا جيشا واحدا هم وأهل الشام ثم ساروا إلى شبيب فالتقوا به » .

(٤) زيادة من : ٣١ ، ٢١ ، م .

(٥) بعده فى ٣١ ، ٢١ ، م : « حملة منكرة والخوارج قليلون » .

(٦) بعده فى ٣١ ، ٢١ ، م : « شبيب » .

(٧) بعده فى ٣١ ، ٢١ ، م : « عند أول الجسر » .

(٨ - ٨) سقط من : ٣١ ، ٢١ ، م .

(١) من أصحابِ ابنِ الأبردِ (١) ، [٨٨/٧ظ] وجاء الليلُ بظلامِه ، فكَفَّ الناسُ بعضُهم عن بعضٍ ، وبات كلٌّ مِن الفريقين مُصِرًّا على مناهضَةِ الآخرِ ، فلمّا طلَع الفجرُ ، عبَر شبيبٌ وأصحابُه على الجسرِ ، فبينَما شبيبٌ على متنِ الجسرِ ، وهو على حصانٍ له وبينَ يديه فرسٌ أنثى ، فنزا فرسُه وهو على الجسرِ ، ونزَل حافرُ رِجْلِ فرسِ شبيبٍ على حَرْفِ السفينةِ فسقَط في الماءِ ، فقال : ليَقْضِيَ اللَّهُ أمرًا كان مفعولًا . ثم انغمَر في الماءِ ، ثم ارتفَع وهو يقولُ : ذلك تقديرُ العزيزِ العليمِ . فغرِق .

ولمَّا تحقَّقَتِ الخوارجُ سقوطَه في الماءِ كَرُّوا (٢) ، وانصرَفوا ذاهبين مُفَرَّقين في البلادِ ، وجاء أميرُ (٣) جيشِ الحجّاجِ (٣) فاستخرَج شبيبًا مِن الماءِ ، وعليه دِرْعُه ، ثم أمَر به فشُقَّ صدرُه ، فاستُخرِج قلبُه ، فإذا هو مجتمِعٌ صُلْبٌ كأنَّه صخرةٌ ، وكانوا يضرِبون به الأرضَ فيَثِبُ (٤) قامةَ الإنسانِ . (٥) وقيل : إنَّه كان معه رجالٌ قد أبْغَضُوه لِما أصابَ من عشائرِهم ، فلمَّا تَخَلَّف في السَّاقَةِ ، اشْتَوَرُوا وقالوا : نَقْطَعُ الجسرَ به . ففعَلوا ذلك ، فمالَتِ السفنُ بالجسرِ ، ونفَر فرسُه ، فسقَط في الماءِ فغرِق ، فنادَوا : غرِق أميرُ المؤمنين . فعرَف جيشُ الحجاجِ ذلك فجاءُوا فاستخرَجوه (٥) .

ولمّا نُعِي شبيبٌ إلى أمِّه ، قالت : صدَقْتُم ، إنِّي كنْتُ رأَيتُ في المنامِ ، وأنا حاملٌ به أنَّه قد خرَج منِّي شهابٌ مِن نارٍ ، فعلِمتُ أنَّه لا يُطْفِئُه إلَّا الماءُ .

وكانت أمُّه جاريةً اسمُها جَهيزَةُ (٦) ، وكانَت جميلةً ، وكانت مِن أشجعِ

(١ - ١) زيادة من : ٣١، ٢١، م .

(٢) في ٣١، م : « كبروا » .

(٣ - ٣) في الأصل، ص : « السرية » .

(٤) في ٣١، ٢١، م : « فيرتفع » .

(٥ - ٥) سقط من : الأصل، ص . وانظر تاريخ الطبرى ٦/ ٢٨١، والكامل ٤/ ٤٣٢.

(٦) في الأصل، ٣١، ٢١: « جهيرة » ، وفي م، ص: « جهبرة » . وانظر وفيات الأعيان ٢/ ٤٥٥.

النساءِ، تقاتِلُ مع ابنِها فى الحروبِ.

وذكَر القاضى ابنُ خَلكانَ[1] أنَّها قُتِلَت فى هذه الغزوةِ. وكذلك قُتِلَت زوجتُه غزالةُ. وكانت شديدةَ البأسِ خارجيةً[2]، وكان الحجاجُ مع هَيْبتِه يخافُ منها أشدَّ خوفٍ، حتى قال فيه بعضُ الشعراءِ[3]:

أسدٌ علىَّ وفى الحروبِ نعامةٌ فَتْخاءُ[4] تَنْفِرُ مِن صَفيرِ الصافرِ

هلَّا بَرَزْتَ إلى غزالةَ فى الوَغَى بل كان قلبُكَ فى جناحَىْ طائرِ

قال[5]: وقد كان شبيبُ بنُ يزيدَ بنِ نعيمِ بنِ قيسِ بنِ عمرِو بنِ الصَّلتِ بنِ قيسِ بنِ شراحيلَ بنِ مُرَّةَ[6] بنِ ذُهْلِ بنِ شيْبانَ الشَّيْبانىُّ - يَدَّعِى الخلافةَ، ويَتَسَمَّى بأميرِ المؤمنين، ولولا أنَّ اللَّهَ تعالى قهَرَه بما قهَرَه به مِن الغرَقِ لنال الخلافةَ إن شاءَ اللَّهُ، ولمَا قدَر عليه أحدٌ، وإنَّما قهَره اللَّهُ على يدَىِ الحجاجِ لمَّا أرْسَل إليه (7)أميرُ المؤمنينَ(7) عبدُ الملكِ بعساكرَ[8] لقتالِه، (7)فهرَب غيرَ مرةٍ(7)، ولمَّا ألقاه جوادُه عن الجسرِ فى نَهْرِ دُجَيلٍ[9] قال له رجلٌ: أغَرَقًا يا أميرَ المؤمنين؟

(1) وفيات الأعيان ٢/ ٤٥٥.

(2) فى ٣١، ٢١، م: «تقاتل قتالا شديدا يعجز عنه الأبطال من الرجال».

(3) البيتان لعمران بن حطان، وهما فى الأغانى ١٨/ ١١٦، ووفيات الأعيان ٢/ ٤٥٥.

(4) الفتخاء: الناقة ونحوها ترتفع أخلافها قِبَلَ بطنها.

(5) وفيات الأعيان ٢/ ٤٥٤.

(6) فى ٣١، ٢١، م: «صبرة». وانظر وفيات الأعيان الموضع السابق.

(٧ - ٧) سقط من: ٣١، ٢١، م.

(8) بعده فى ٣١، ٢١، م: «الشام».

(9) دجيل: نهر بالأهواز حفره أردشير بن بابك، أحد ملوك الفرس، ومخرجه من أرض إصبهان، ومصبه فى بحر فارس (الخليج العربى). معجم البلدان ٢/ ٥٥٥.

قال : ذلك تقديرُ العزيزِ العليم . قال : ثم أُخْرِج ، وحُمِل إلى الحجاجِ ، فأَمَر فنُزِع قلبُه مِن صدرِه . فإذا هو مثلُ الحجرِ .

وكان رجلًا طويلًا أشْمَطَ جَعْدًا . وكان مولدُه فى يومِ عيدِ النحرِ سنةَ سِتٍّ وعشرين . وقد أُمْسِك رجلٌ مِن أصحابِه فحُمِل إلى عبدِ الملكِ بنِ مروانَ ، فقال له : أَلَسْتَ القائلَ[(١)] :

فإن يَكُ منكم كانَ مروانُ وابنُه ... وعمرٌو ومنكم هاشمٌ وحبيبُ

فمِنّا حُصَينٌ والبَطينُ وقَعْنبٌ ... ومنّا أميرُ المؤمنين شبيبُ [٨٩/٧و]

فقال : إنّما قلتُ : ومنا[(٢)] أميرَ المؤمنين شبيبُ . فأعجبَه اعتذارُه وأطلقَه .

وفى هذه السنةِ كانَت حروبٌ كثيرةٌ جدًّا بينَ المُهَلَّبِ بنِ أبى صُفْرَةَ نائبِ الحجاجِ ، وبينَ [(٣)]الخوارجِ مِن[(٣)] الأزارقةِ ، وأميرُهم قَطَرِىُّ بنُ الفُجَاءَةِ ، وكان أيضًا مِن الفرسانِ الشُّجعانِ المَذْكورين المَشْهورين ، وقد تَفَرَّق عنه أصحابُه ، ونفَروا[(٤)] فى هذه السنةِ ، وأمَّا هو فشرَد فى الأرضِ لا يُدْرَى أين ذهَب ، وقد جرَت بينَهم مناوشاتٌ ومجاولاتٌ يطولُ بَسْطُها واستِقْصاؤها ، وقد بالَغ ابنُ جريرٍ فى ذكرِها[(٥)] .

قال[(٦)] : وفى هذه السنةِ ثارَ بُكَيْرُ بنُ وِشاحٍ ، الذى كان نائبَ خُراسانَ ، على

---

(١) وفيات الأعيان ٢/ ٤٥٦.

(٢) بعده فى ٣١، ٢١، م: «يا». وهذا على تقدير حرف نداءٍ محذوف ، أى : يا أميرَ المؤمنين.

(٣ - ٣) زيادة من: ٣١، ٢١، م .

(٤) فى الأصل ، ص: «بعد هذا التفرق» .

(٥) تاريخ الطبرى ٦/ ٣٠١.

(٦) تاريخ الطبرى ٣١١/٦ بنحوه.

نائِبِها أُمَيَّةَ بنِ عبدِ اللَّهِ بنِ خالدِ بنِ أَسيدٍ - كما سيأتى - وذلك أنَّ بكيرًا اسْتَجَاشَ عليه الناسَ، وغَدَر به وقتَله، وقد جَرَت بينَهما خُطوبٌ طويلةٌ قد اسْتَقْصَاها أبو جعفرٍ، رحِمه اللَّهُ، فى تاريخِه[1].

وفى هذه السنةِ كانت وفاةُ شبيبِ بنِ يزيدَ الخارجىِّ - كما قَدَّمْنا - وقد كان مِن الشَّجاعةِ والفرُوسيَّةِ على جانبٍ كبيرٍ لم أرَ بعدَ عصرِ[2] الصحابةِ مثلَه، ومثلَ [3]الأشترِ وابنِه إبراهيمَ[3]، ومُصْعَبِ بنِ الزُّبَيرِ وأخيه عبدِ اللَّهِ، وممَّن يُناطُ بهؤلاءِ فى الشجاعةِ؛ مثلَ قَطَرِىِّ بنِ الفُجاءةِ مِن الأزارقةِ الخوارجِ. واللَّهُ أعلمُ.

[4]وفيها تُوُفِّىَ مِن الأعيانِ:

كَثيرُ بنُ الصَّلْتِ بنِ مَعْدِى كَرِبَ الكِنْدىُّ[5]، كان كبيرًا مطاعًا فى قومِه، وله بالمدينةِ دارٌ كبيرةٌ بالمصَلَّى، وقيل: إنَّه كان كاتِبَ عبدِ الملكِ على الرسائلِ. تُوفِّىَ بالشامِ.

محمدُ بنُ موسى بنِ طلحةَ بنِ عُبَيْدِ اللَّهِ[6]، كانت أختُه تحتَ عبدِ الملكِ ووَلَّاه سِجِسْتانَ، فلما سَار إليها قيل له: إنَّ شبيبًا فى طريقِك وقد أعْيا الناسَ[4]،

---

(١) تاريخ الطبرى ٣١١/٦.

(٢) سقط من: ٣١، ٢١، م.

(٣ - ٣) فى الأصل، ص: «إبراهيم بن الأشتر».

(٤ - ٤) سقط من: الأصل، ص.

(٥) الاستيعاب ١٣٠٨/٣، وأسد الغابة ٤/ ٤٦٠، والإصابة ٥/ ٦٣٢.

(٦) خبره فى نسب قريش ٢٨٦، تاريخ الطبرى ٦/ ٢٤٥- ٢٤٨، والكامل ٤٠٨/٤- ٤١٢، وورد ذكره عرضا فى تاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٦١- ٨٠ هـ) ص ٣١٥، ٣٣٣.

(١ فاعدِلْ إليه لعلّك أن تَقْتُلَه ، فيكونَ ذِكرُ ذلك وشهرتُه لك إلى الأبدِ ، فلمّا سار لقِيه شبيبٌ ، فاقْتتَل معه فقتَله شبيبٌ . وقيل غيرُ ذلك ، واللَّهُ أعلمُ .

(٢ **عِياضُ بنُ عمْرٍو الأشْعَرِيُّ** ٢) : شهِد اليرموكَ ، وحدَّث عن جماعةٍ مِن الصحابةِ وغيرِهم ، تُوُفِّى بالبصرةِ ، رحمَه اللَّهُ .

مُطَرِّفُ (٣ **بنُ المُغيرةِ بنِ شُعبةَ** ٣) : وقد كانوا إخوةً ؛ عُرْوةُ ومُطَرِّفٌ وحمزةُ ، وقد كانوا يميلُون إلى بنى أُميَّةَ ، فاستعمَلَهم الحجاجُ على أقاليمَ ؛ فاستعمَل عُروةَ على الكوفةِ ، ومطَرِّفًا على المدائنِ ، وحمزةَ على همْدانَ ١) .

(١ - ١) سقط من : الأصل ، ص .
(٢ - ٢) فى ٣١ ، ٢١ ، م : « عياض بن غنم الأشعرى » . والمثبت من تاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٦١ - ٨٠ هـ) ص ٥٠٤ ، فقد ذكره الحافظ الذهبى ضمن وفيات الطبقة الثامنة - وقد تبع ابن كثير شيخه الذهبى فى كثير مما نقله عنه من تراجم أعيان الوفيات - ويؤيد ما أثبتناه ما أورده الحافظ ابن عبد البر فى الاستيعاب ٣/ ١٢٣٤ ، عن ابن المدينى ، أن الأشعرى هو عياض بن عمرو .
وعياض بن عمرو هذا هو الذى شهد اليرموك كما ذكر ابن عبد البر ، وابن عساكر ، وابن الأثير ، والذهبى ، وابن حجر ، وغير واحد . وأما عياض بن غنم فلم يذكر عنه ابن قانع فى معجم الصحابة ٢/ ٢٧٧ ، ولا ابن حجر فى الإصابة ٤/٧٥٨ أنه شهد اليرموك . وانظر ترجمة عياض بن عمرو الأشعرى فى : الاستيعاب ٣/ ١٢٣٤ ، وتاريخ دمشق ١٣/٨٠٦ مخطوط ، وأسد الغابة ٤/ ٣٢٦ ، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٦١ - ٨٠ هـ) ص ٥٠٤ والإصابة ٤/٧٥٦ .
(٣ - ٣) فى ٣١ ، ٢١ ، م : « بن عبد اللَّه » . والمثبت من تاريخ الطبرى ٦/ ٢٥٧ ، وانظر جمهرة أنساب العرب ٢٦٧ ، وتاريخ الطبرى ٦/ ٢٨٤ - ٢٨٩ ، والكامل ٤/ ٤١٩ - ٤٢٢ .

ثم دخلت سنةُ ثمانٍ وسبعين

(١) ففيها كانت غزوةٌ عظيمةٌ للمسلمين ببلادِ الرُّومِ ففتَحُوا إرقيليَّةَ ، فلمّا رجَعوا أصابَهم مطرٌ عظيمٌ وثلجٌ وبَرَدٌ ؛ فأُصيبَ بسببِه ناسٌ كثيرٌ.

وفيها ولّى عبدُ الملكِ موسى بنَ نصيرٍ غزوَ بلادِ المغربِ جميعِه ، فسار إلى طَنْجَةَ ، وقدَّم[٢] على مُقَدِّمتِه طارقًا ، فقتَلوا ملوكَ تلك البلادِ ، وبعضُهم قطَعوا أنفَه ونفَوه(١) .

وفيها عزَل عبدُ الملكِ أميةَ بنَ عبدِ اللَّهِ عن إمرَةِ خُراسانَ ، وأضافها إلى الحجاجِ بنِ يوسفَ الثقفيِّ مع سِجِسْتانَ أيضًا ، ورَكِب الحجاجُ بعدَ فراغِه مِن شأنِ شبيبٍ مِن[٣] الكوفةِ إلى البصرةِ ، وقد استخْلَف على الكوفةِ المغيرةَ بنَ عبدِ اللَّهِ بنِ عامرٍ الحضرميَّ ، فقدِم المهلَّبُ على الحجاجِ وهو بالبصرةِ ، وقد فرَغ مِن شأنِ الأزارقةِ أيضًا ، فأجلَسه معه على السَّريرِ ، واستدعَى بأصحابِ البلاءِ مِن جيشِه ، فمَن أثنَى عليه المهـلَّبُ أجزَل الحجاجُ له العطيَّةَ ، ثم ولّى الحجاجُ المهلَّبَ إمرةَ سِجِسْتانَ ، وولَّى (٤) عُبيدَ اللَّهِ (٤) بنَ أبي بَكْرَةَ إمرةَ خراسانَ ، ثم ناقَل بينَهما قبلَ خُروجِهما مِن عندِه ، فقيل : كان ذلك بإشارةِ المهلَّبِ . وقيل : إنّه استعان بصاحبِ الشُّرطةِ ، وهو عبدُ الرحمنِ بنُ عبيدِ بنِ طارقٍ العَبْشَمِيِّ ، حتى

(١ - ١) سقط من : الأصل.

(٢) فى م : « قد جعل ».

(٣) بعده فى م : « إمرة ».

(٤ - ٤) فى م : « عبد الله ». وانظر سير أعلام النبلاء ٤/ ١٣٨.

أشار على الحجاجِ بذلك ، فأجابَه الحجّاجُ إلى ذلك ، وألزَم المهلَّبَ بألفِ ألفِ درهمٍ ؛ لكونِه اعترَض على ذلك .

[٧/٨٩ظ] قال أبو معشرٍ[1] : وحجَّ بالناسِ فى هذه السنةِ الوليدُ بنُ عبدِ الملكِ ، وكان أميرُ المدينةِ أبانَ بنَ عثمانَ ، وأميرُ العراقِ وخراسانَ وسِجِستانَ وتلكَ النواحى كلِّها الحجاجَ ، ونائبُه على خراسانَ المهلَّبَ بنَ أبى صُفرةَ ، ونائبُه على سِجِسْتانَ [2]عبيدَ اللَّهِ[2] بنَ أبى بَكْرَةَ الثقفىَّ ، وعلى قضاءِ الكوفةِ شُريحٌ ، وعلى قضاءِ البصرةِ موسى بنُ أنسِ بنِ مالكٍ الأنصاريُّ .

وقد تُوفِّى فى هذه السنةِ مِن الأعيانِ :

جابرُ بنُ عبدِ اللَّهِ [3]بنِ عمرٍو[3] بنِ حرامٍ ، أبو عبدِ اللَّهِ الأنصاريُّ السَّلَمِىُّ [4]، صاحبُ رسولِ اللَّهِ ﷺ ، وله رواياتٌ كثيرةٌ ، وشهِد العقبةَ ، وأراد أنْ يشهَدَ بدرًا فمنَعه أبوه ، وخلَّفه على أخواتِه وإخوتِه ، وكانوا تسعةً ، وقيل : إنَّه ذهَب بصرُه قبلَ موتِه . توفِّى جابرٌ بالمدينةِ وعمرُه أربعٌ وتسعون سنةً ، وأسندَ ألْفًا وخمسَمائةٍ وأربعين حديثًا[5][4] .

شُرَيحُ بنُ الحارثِ بنِ قيسٍ أبو أُمَيَّةَ الكِنديُّ[6] ، وهو قاضى الكوفةِ ، وقد

---

(١) تاريخ الطبرى ٦/ ٣٢١.

(٢ - ٢) فى م : « عبد الله » .

(٣ - ٣) سقط من : الأصل ، ص . وترجمته فى الاستيعاب ١/ ٢١٩، وأسد الغابة ١/ ٣٠٧، والإصابة ١/ ٤٣٤.

(٤ - ٤) فى الأصل : « وشريح القاضى وعبد الرحمن بن غنم وقد ذكرنا تراجمهم فى التكميل » . وما بعده ساقط من الأصل إلى قوله : « ثم دخلت سنة تسع وسبعين » .

(٥) سير أعلام النبلاء ٣/ ١٩٤.

(٦) انظر ترجمته فى طبقات ابن سعد ٦/ ١٣١، وأخبار القضاة ٢/ ١٨٩ وطبقات الفقهاء ٨٠، =

تولّى القضاءَ لعمرَ بنِ الخطابِ وعثمانَ بنِ عفانَ وعليٍّ بنِ أبى طالبٍ ، ثم عزَله عليٌّ ، ثـم ولاه معاويةُ ، ثم استقَلَّ فى القضاءِ إلى أنْ مات فى هذه السنةِ . وكان رزقُه على القضاءِ فى كلِّ شهرٍ مائةَ درهمٍ ، وقيل : خمسَمائةِ درهمٍ . وكان إذا خرَج إلى القضاءِ ، يقولُ : سيعلَمُ الظالمُ حظَّ مَن نقَص . وقيل : إنه كان إذا جلَس للقضاءِ قرَأ هذه الآيةَ : ﴿ يَٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلۡنَٰكَ خَلِيفَةٗ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَٱحۡكُم بَيۡنَ ٱلنَّاسِ بِٱلۡحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ ٱلۡهَوَىٰ ﴾ الآية . [ص : ٢٦] وكان يقولُ : إنَّ الظالمَ ينتظِرُ العقابَ والمظلومَ ينتظِرُ النصرَ ، أو المثوبةَ . وقيل له : كيف أصبَحْتَ ؟ فقال : كيف يُصبِحُ حالُ مَن شَطْرُ الناسِ عليه غضبانُ ؟ وقيل : إنَّه مكَث قاضيًا نحوَ سبعين سنةً . وقيل : إنَّه استُعفى مِن القضاءِ قبلَ موتِه بسنةٍ . فاللَّهُ أعلمُ .

وأصلُه مِن أولادِ الفُرسِ الذين كانوا باليمنِ ، وقدِم المدينةَ بعد موتِ النبيِّ ﷺ ، وتُوفِّى بالكوفةِ وعمرُه مائةٌ وثمانِ سنيـنَ [(١)] .

= ووفيات الأعيان ٢/ ٤٦٠، وتهذيب الكمال ١٢/ ٣٩٨، وسير أعلام النبلاء ٤/ ١٠٠.

(١) بعده فى ٣١، م، ص: « زيادة : وقد روى الطبرانى : ...» وهى زيادة من الناسخ وقد صرح بها الناسخ فى ٣١، ص، وآثرنا حذفها هنا وفيما يأتى من مواضع مع الإشارة إلى ذلك، وذلك ليبقى الكتاب كما صنفه الحافظ ابن كثير بلفظه وطريقته .

والذى حمل النساخ على ذلك فقدان كتاب التكميل الذى أحال عليه المصنف فى أكثر تراجم رواة الحديث وغيرهم ، فأرادوا أن يسهبوا فيما أوجزه المصنف اعتمادا على ذكرهم فى كتابه التكميل فأدخلوا فى الكتاب - البداية والنهاية - ماليس منه ولا سيما فى المواضع التى لم يشيروا فيها بأنها زيادة منهم .

فرأينا وضع تلك الزيادات فى الحواشى والإشارة إليها فى موضعها ، كما أحلنا فى جميع التراجم المطولة والمختصرة إلى مصادرها الموسعة والمحققة تحقيقا علميا جيدًا ، كتهذيب الكمال وسير أعلام النبلاء وغيرهما وذلك فى حواشى الكتاب دون المساس بأصل لفظ وطريقة المصنف - رحمه الله .

وبهذا يتم المراد من تحقيق النص على أقرب صورة أرادها المصنف .

(1) **عبدُ الرحمن**(1) **بنُ غَنْمٍ الأشعرىُّ**، نزيلُ فلسطينَ، وقد روَى عن جماعةٍ مِن الصحابةِ، وقِيل: إنَّ له صُحبةً. وقد بعثَه عمرُ بنُ الخطابِ إلى الشامِ ليفقِّهَ أهلَها فى الدينِ، وكان مِن العُبّادِ الصالحين.

جُنادةُ بنُ أبى(2) **أميةَ الأزدىُّ**، شهِد فتْحَ مصرَ، وكان أميرًا على غزوِ البحرِ(3) لمعاويةَ، وكان موصوفًا بالشجاعةِ والخيرِ، توفِّى بالشامِ وقد قارَب الثمانين.

العلاء بنُ زيادٍ البصرىُّ(4)، كان مِن الصالحين العبّادِ، مِن أهلِ البصرةِ، وكان كثيرَ الخوفِ والوَرَعِ، وكان يعتزِلُ فى بيتِه، ولا يخالطُ(5) الناسَ، وكان كثيرَ البكاءِ، لم يزَلْ يبكى حتى عمِىَ، وله مناقبُ كثيرةٌ، توفِّى بالبصرةِ فى هذه السنةِ(6).

سُراقةُ بنُ مِرداسٍ الأزْدىُّ(7)، كان شاعرًا مطبقًا(8)، هجا الحجاجَ فنفاه إلى

(1 - 1) فى م: «عبد الله». وانظر ترجمته فى: الاستيعاب 2/ 850، وأسد الغابة 3/ 487، والإصابة 4/ 350.

(2) سقط من: النسخ، وانظر ترجمته فى: طبقات ابن سعد 7/ 439، والاستيعاب 1/ 249، وأسد الغابة 1/ 354، وسير أعلام النبلاء 4/ 62، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات 61هـ- 80 هـ) ص 383.

(3) فى ا 3: «البحرين».

(4) ترجمته فى: طبقات ابن سعد 7/ 217، وطبقات خليفة 1/ 482، وتاريخ البخارى 6/ 507، والحلية 2/ 242، وتهذيب الكمال 22/ 497، وسير أعلام النبلاء 4/ 202.

(5) فى ا 2: «يخالطه».

(6) بعده فى ا 3، ص: زيادة وهى من زيادات الناسخ.

(7) ترجمته فى: العقد الفريد 2/ 170، وتاريخ دمشق 20/ 156، واللباب 1/ 86، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات 61- 80 هـ) ص 407، والوافى بالوفيات 15/ 132.

(8) فى الأصل، ا 3، ا 2، ص: «مطيقا».

الشامِ ، فتُوفِّى بها .

النابغةُ الجعدىُّ[1] الشاعرُ[2] .

السائبُ بنُ يزيدَ الكندىُّ[3] ، توفِّىَ فى هذه السنةِ .

سفيانُ بنُ سلمةَ الأسدىُّ[4] .

معاويةُ بنُ قُرَّةَ[5] **البصرىُّ**[6] .

زِرُّ بنُ حُبَيْشٍ[7] .

---

(١) الاستيعاب ٤/ ١٥١٤، وأسد الغابة ٥/ ٢٩١، والإصابة ٦/ ٣٩١، وطبقات فحول الشعراء ١/ ١٢٣، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٦١- ٨٠هـ) ص ٢٥٨.

(٢) بعده زيادة من ٣١، ص.

(٣) الاستيعاب ٢/ ٥٧٦، وأسد الغابة ٢/ ٣٢١، والإصابة ٣/ ٢٦، والسير ٣/ ٤٣٧.

(٤) انظر المعرفة والتاريخ ٣/ ٦٨، ٣٨٩، والثقات لابن حبان ٤/ ٣١٩. ولعله وقع به تحريف ، ويكون صوابه «شقيق بن سلمة الأسدى أبو وائل» سيأتى فى وفيات سنة ثنتين وثمانين.

(٥) ترجمته فى: طبقات ابن سعد ٧/ ٢٢١، والحلية ٢/ ٢٩٨، والسير ٥/ ١٥٣، وتاريخ دمشق (مخطوط) ١٦/ ٧٧٣، وتهذيب الكمال ٢٨/ ٢١٠، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ١٠١- ١٢٠) ص ٤٧٢.

(٦) بعده فى ٣١، ص زيادة من زيادات الناسخ.

(٧) الاستيعاب ٢/ ٥٦٣، وأسد الغابة ٢/ ٢٥٣، والإصابة ٢/ ٦٣٣.

ثم دخلت سنةُ تسعٍ وسبعين

ففِيها وقع طاعونٌ عظيمٌ بالشامِ حتى كادوا يَفنَون مِن شدّتِه ، ولم يغزُ فيها أحدٌ من أهلِ الشامِ لضَعفِهم وقِلَّتِهم ، ووصَلتِ الرومُ فيها إلى أنطاكِيَّةَ ، فأَصابوا خَلْقًا من أهلِها ؛ لعِلمِهم بضَعفِ الجُنودِ والمُقاتِلةِ .

وفيها غزا عُبيدُ[1] اللَّهِ بنُ أبى بَكْرَةَ رُتْبِيلَ[2] ملكَ التُّركِ [3]حتى أوغَل فى بلادِه ، ثم صالحَه على مالٍ يحمِلُه إليه فى كلِّ سنةٍ[3] .

وفيها قتَل عبدُ الملكِ بنُ مروانَ الحارثَ بنَ سَعيدٍ المُتنبِّئَ الكذّابَ ، ويُقالُ له : الحارثُ بنُ عبدِ الرحمنِ بنِ سعيدٍ الدمشقىُّ ، مَولَى أَبى الجُلَاسِ العَبْدَرِىِّ . ويُقالُ : مولَى الحكَمِ بنِ مروانَ . كان أصلُه من الحُولَةِ[4] فنزَل دمشقَ ، وتعبَّد بها ، وتنسَّك وتزهَّد ، ثم مُكِر به ، ورجَع القَهقَرى على عَقِبِه ، وانسلَخ مِن آياتِ اللَّهِ تعالى ، وفارَق حِزبَ اللَّهِ المُفلِحين ، وأَتبَعه الشيطانُ فكان مِنَ الغاوين ، ولم يزَلِ الشيطانُ يزُخُّ[5] فى قَفاه حتى أخسَره دينَه ودنياه ، وأخزاه فيهما وأشقاه ، فإنّا للَّهِ وإنّا إليه راجعون ، وحَسبُنا اللَّهُ ولا حَولَ ولا قُوَّةَ إلّا باللَّهِ .

---

(١) فى ا ٣، ا ٢، ص : « عبد » . وانظر الطبرى ٦/ ٣٢٢، والكامل ٤/ ٤٥٠، وسير أعلام النبلاء ٤/ ١٣٨.

(٢) فى ا ٣: « رويبل » . وفى ا ٢، ص: « روبيل » .

(٣ - ٣) زيادة من : ا ٣، ا ٢، م، ص .

(٤) فى م: « الجولة » . وانظر معجم البلدان ٢/ ٣٦٦.

(٥) فى ا ٢، م: « يزج » . ويقال : زخه فى قفاه : دفعه . الوسيط (ز خ خ) .

قال أبو بَكرِ بنُ أَبى خيثَمةَ[(١)] : ثنا عبدُ الوَهّابِ بنُ[(٢)] نَجدةَ الحَوْطِيُّ[(٣)] ، حدّثنا محمدُ بنُ مُباركٍ ، ثنا الوَليدُ بنُ مُسلمٍ ، عن عبدِ الرحمنِ بنِ حَسّانَ ، قال : كان الحارثُ الكذّابُ من أهلِ دمشقَ ، وكان مولًى لأبى الجُلاسِ ، وكان له أبٌ بالحُولَةِ ، فعرَض له إبليسُ ، وكان رجلًا متعبِّدًا زاهِدًا ، لو لبِس جُبَّةً من ذهَبٍ لرُئِيت عليه الزَّهادةُ والعِبادةُ ، وكان إذا أخَذ فى التحميدِ ، لم يسمَعِ السامِعون مِثلَ تحميدِه ، ولا أحسنَ من كَلامِه ، فكتَب إلى أبيه ، وكان بالحُولَةِ : يا أبتاه ، أَعجِلْ علىَّ ؛ فإنِّى قد رأَيتُ أشياءَ أتخوَّفُ أن يكونَ الشيطانُ قد عرَض لى . قال : فزاده أبوه غَيًّا على غَيِّه ، فكتَب إليه أبوه : يا بُنىَّ ، أقبِلْ على ما أُمِرتَ به ، فإنَّ اللَّهَ تعالى ، يقولُ : ﴿هَلْ أُنَبِّئُكُمْ عَلَىٰ مَن تَنَزَّلُ ٱلشَّيَٰطِينُ [٧/ ٩٠و] تَنَزَّلُ عَلَىٰ كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ﴾ [الشعراء: ٢٢١، ٢٢٢] . ولستَ بأفّاكٍ ولا أثيمٍ ، فامضِ لِما أُمِرتَ به . فكان يَجىءُ إلى أهلِ المسجدِ ، رجلًا رجلًا ، فيذاكِرُهم أمرَه ، ويأخُذُ عليهم العهدَ والميثاقَ ، إنْ هو يرَى ما يرضَى قَبِلَ[(٤)] وإلّا كتَم عليه .

قال : وكان يُريهم الأعاجيبَ ؛ كان يأتى إلى رُخامةٍ فى المسجدِ ، فينقُرُها بيدِه ، فتسبِّحُ تسبيحًا بليغًا حتى يَضِجَّ مِن ذلك الحاضرون . قلت : وقد سمِعتُ شيخَنا العَلّامةَ أبا العبّاسِ ابنَ تَيْمِيَةَ ، رحِمه اللَّهُ ، يقولُ : كان ينقُرُ هذه الرُّخامةَ الحمراءَ التى فى المقصورةِ ، فتسبِّحُ ، وكان زِنديقًا[(٥)] .

---

(١) أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ١١/ ٤٢٨، بنحوه. وانظر مختصر تاريخ دمشق ٦/ ١٥١.

(٢) سقط من : م . وانظر تهذيب الكمال ١٨/ ٥١٩.

(٣) فى م : « الجولى » . وانظر مصدر التخريج .

(٤) زيادة من مصدر التخريج .

(٥) بعده فى : ص : « قال كاتبُه : وهذا بعيدٌ ؛ إن هذه الرخامة المذكورة مع زخرفة الجامع ، إنما فعَل ذلك الوليد بن عبد الملك فى أيام خلافته ، وذلك بعد موتِ الحارث وقاتله عبد الملك بمدة معروفة ، وقد كان نصف الجامع الغربى بأيدى النصارى كنيسة حتى أخذه الوليد منهم ، وأضافه إلى الجامع ، كما ذكره =

قال ابنُ أبى[(1)] خيثمةَ فى روايةٍ[(2)] : وكان الحارثُ يُطعِمُهم فاكِهةَ الشتاءِ فى الصيفِ ، وفاكِهةَ الصيفِ فى الشتاءِ ، وكان يقولُ لهم : اخرُجوا حتى أُريكم الملائكةَ . فيخرُجُ بهم إلى دَيرِ المُرّانِ[(3)] ، فيُريهم رِجالًا على خيلٍ ، فتَبِعه على ذلك بشَرٌ كثيرٌ ، وفشا أمرُه فى المسجِدِ ، وكثُر أصحابُه وأتباعُه ، حتى وصَل الأمرُ إلى القاسمِ بنِ مُخَيمِرةَ ، قال : فعرَض علَى القاسمِ أمرَه ، وأخَذ عليه العهدَ والميثاقَ ؛ إن هو رضِى أمرًا قبِله ، وإن كرِهه كتَم عليه . قال : فقال له : إنى نَبِىٌّ . فقال القاسمُ : كذَبتَ يا عدوَّ اللَّهِ ، ما أنت بنبىٍّ .

وفى روايةٍ[(4)] : ولكنَّك أحدُ الكذّابين الدجّالين الذين أخبَرَ عنهم رسولُ اللَّهِ

= المؤلف فيما بعد ، وهاتان الرخامتان الحمراوتان اللتان كانتا بالمقصورة قبل حريق الجامع فى فتنة تمرلنك إنما أتى بهما الوليد ، كما قيل من قصر ما باليمن يقال له غمدان كان يُرى ظاهره من باطنه ، وباطنه من ظاهره ، كما قيل ، ولما كان نصف الجامع مع المسلمين ، والنصف الآخر بأيدى النصارى كان نصف المقصورة داخلا فيما بأيدى النصارى ، ولم تكن المقصورة ثم وإن كان قد روى أن معاوية كان قد اتخذ مقصورة فى الجامع يصلى فيها ، فلم تكن فى هذا المكان الآن ، وإنما كانت فى مكان آخر من الجامع . والله أعلم . اللهم إلا أن يقال : إن الجامع إنما كان بين المسلمين والنصارى قبليا وشماليا ، فكان للنصارى الجهة الشمالية ، وللمسلمين الجهة القبلية فكانت المقصورة مكانها الآن على ما هى عليه ، وقد كان الخلفاء يخرجون من دار المارة بالخضراء إلى الجامع فى دهليز له باب فى المقصورة ، كان موجودًا قبل فتنة تمرلنك ، ثم أحرق فزال ، والظاهر أن الجامع لما كان بعضه بأيدى النصارى كان لهم الجهة الشمالية ، وكان لهم صومعة بالجهة الشرقية مكان الحلبية اليوم . وأما الزخرفة والرخام الملون إنما فعله الوليد اللهم إلا أن يقال : إن الرخامة المذكورة كانت موجودة مع غيرها فى الزخرفة القديمة قبل بناء الوليد له ، ويقال : إن هاتين الرخامتين إنما حملتا له من قصر بلقيس بغمدان . وقيل : إنهما من كنيسة الرها . وقيل : من بلد الفرنج . والله أعلم .

(1) سقط من الأصل ، وفى ص : « عطية » .

(2) أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ١١/ ٤٢٨.

(3) فى النسخ : « المراق » . والمثبت من معجم البلدان ٢/ ٦٩٦. ودير المران بالقرب من دمشق ، على تل مشرف على مزارع الزعفران ورياض حسنة . وقال فى معجم البلدان : مُرّان بالضم على لفظ تثنية المُرّ ، والذى بالحجاز بالفتح . وانظر معجم البلدان أيضا ٢/ ٣٦٧.

(4) تاريخ دمشق ١١/ ٤٢٧.

ﷺ : « إنَّ الساعةَ لا تقومُ حتى يخرُجَ ثلاثون [(1] دجّالون كذّابون [1)] ، كلُّهم يزعُمُ أنّه نَبيٌّ » [(2)] . وأنت أحدُهم ولا عهدَ لك. قال [(3)] : ثم قام، فخرَج إلى أَبى إدريسَ - وكان على القضاءِ بدمشقَ - فأعلَمه بما سمِع مِن الحارثِ، فقال أبو إدريسَ : نعرِفُه . ثم أعلَم أبو إدريسَ عبدَ الملكِ بذلك .

وفى روايةٍ أخرى أَنَّ مَكْحُولًا، وعبدَ اللَّهِ بنَ أبى زكريا [(4)] دخَلا على الحارثِ، فدعاهما إلى نبوَّتِه، فكذَّباه وردّا عليه ما قال، ودخَلا على عبدِ الملكِ فأعلَماه بأمرِه، فتطلَّبه عبدُ الملكِ طَلَبًا حثيثًا، [(5]واختفَى [5)] الحارثُ، وصار إلى دارٍ ببيتِ [(6)] المقدسِ يدعو إلى نفسِه سرًّا، واهتمَّ عبدُ الملكِ بشأنِه حتى ركِب إلى الصِّنَّبْرةِ [(7)] ، فنزَلها فورَد عليه هناك رجلٌ [(8]من المسلمين [8)] من أهلِ البصرةِ [(9)] مِمَّن كان يدخُلُ على الحارثِ، وهو ببيتِ المقدسِ، فأعلَمه بأمرِه وأين هو، وسأَل مِن عبدِ الملكِ أن يبعَثَ معه بطائفةٍ من الجندِ الأتراكِ ليحتاطَ عليه، فأرسلَ معه طائفةً، وكتَب إلى نائبِ القدسِ؛ ليكونَ فى طاعةِ هذا الرجُلِ، ويفعَلَ ما يأمُرُه

(1 - 1) فى الأصل: «دجالًا».

(2) تقدم تخريجه فى 9/ 250.

(3) تاريخ دمشق 11/ 428.

(4) فى ا 3، ا 2، م، ص: «زائدة». وانظر تهذيب الكمال 14/ 520، وسير أعلام النبلاء 5/ 286.

(5 - 5) فى الأصل: «فهرب منه».

(6) فى م: «بيت».

(7) فى الأصل: «الصبره» غير منقوطة، وفى ا 3: «الضبره»، وفى م: «النصرية» وفى ص: «النصيرة». وانظر تاريخ دمشق 11/ 428. والصنَّبرة موضع بالأردن مقابل لعقبة أفيق، بينه وبين طبرية ثلاثة أميال. قال: ووردت محرفة فى معجم البلدان هنا فى الخبر 2/ 367: «الصبيرة». انظر معجم البلدان 3/ 367، 419.

(8 - 8) سقط من: م.

(9) فى الأصل، ص: «النصيرة»، وفى ا 3، ا 2: «الناصرة»، وفى م: «النصرية». والمثبت من تاريخ دمشق 11/ 429.

به ، فلما وصَل الرجلُ إلى بيتِ[1] المقدسِ بمَن معه انتدَب نائبُ القدسِ لخدمتِه ، فأمَره أن يجمَعَ ما يقدِرُ عليه من الشموعِ ، ويَجعَلَ مع كلِّ رجلٍ شمعةً ، فإذا أمَرهم بإشعالِها فى الليلِ أشعَلوها كلُّهم فى سائرِ الطرقِ [٧/ ٩٠ظ] والأزِقَّةِ ، حتى لا يخفَى أمرُه ، وذهَب الرجلُ بنفسِه ، فدخَل الدارَ التى فيها الحارثُ ، فقال لبوابِه : استأذِن لى على نبىِّ اللَّهِ . فقال : فى هذه الساعةِ لا يُؤذَنُ عليه حتى يُصبِحَ . فصاح البصرِىُّ : أَسرِجوا . فأسرَجَ الناسُ شموعَهم حتى صار الليلُ كأنَّه النهارُ ، [2]وهجَم البصرِىُّ[2] على الحارثِ ، فاختَفَى منه فى سَرَبٍ هناك ، فقال أصحابُه : هَيْهاتَ ، تُريدون أن تصِلوا إلى نبىِّ اللَّهِ ! إنه قد رُفِع إلى السماءِ .

قال : فأدخَل البصرىُّ يدَه فى ذلك السَّرَبِ ، فإذا بثوبِه ، فاجترَّه فأخرَجه ، ثم قال للفَرْغَانيِّين[3] مِن أتراكِ الخليفةِ : تسلَّموا . قال : فأخَذوه فربَطوه وقيّدوه . فيقالُ : إن القيودَ والجامعةَ سقَطت من عنُقِه مِرارًا ، ويعيدونها . وجعَل يقرَأُ : ﴿ قُلۡ إِن ضَلَلۡتُ فَإِنَّمَآ أَضِلُّ عَلَىٰ نَفۡسِيۖ وَإِنِ ٱهۡتَدَيۡتُ فَبِمَا يُوحِيٓ إِلَيَّ رَبِّيٓۚ إِنَّهُۥ سَمِيعٞ قَرِيبٞ ﴾ [سبأ : ٥٠] . وقال لأولئك الأتراكِ : ﴿ أَتَقۡتُلُونَ رَجُلًا أَن يَقُولَ رَبِّيَ ٱللَّهُ ﴾ [غافر : ٢٨] . فقالوا له بلسانِهم ولغتِهم : هذا كُرانُنا فهاتِ كُرانَك . أى : هذا قرآنُنا فهاتِ قرآنَك ، فلمّا انتهَوا به إلى عبدِ الملكِ ، أمَر بصَلبِه على خشَبةٍ ، وأمَر رجلًا فطعَنه بحربةٍ ، فانثَنت فى ضِلَعٍ من أضلاعِه ، فقال له عبدُ الملكِ : ويْحَك ، أذكَرتَ اسمَ اللَّهِ حين طعَنْتَه ؟ فقال : نسِيتُ . فقال : ويحَك ، سمِّ اللَّهَ ، ثم اطعَنْه . قال : فذكَر اسمَ اللَّهِ ثم طعَنه ، فأنفَذه . وقد كان عبدُ الملكِ

---

(١) فى م : « النصرية ببيت » .

(٢ - ٢) فى م : « وهم النصرى » .

(٣) فى الأصل ، ا ٣، م : « للفرعانين » ، وفى ا ٢: « للقزعانين » . وانظر تاريخ دمشق ١١/ ٤٣٠.

حبَسه قبلَ صلبِه ، وأمَر رجالًا مِن أهلِ العلمِ والفِقْهِ أنْ يعِظُوه ويُعلِمُوه ؛ أنَّ هذا الذى به مِن الشّيطانِ ، فأبَى أنْ يَقْبَلَ منهم ، فصَلَبه بعدَ ذلك ، وهذا مِن تمامِ العَدْلِ والدِّينِ .

وقد قال الوليدُ بنُ مسلمٍ[(١)] ، عن ابنِ جابرٍ ، فحدّثنى مَن سمِع عُتْبَةَ[(٢)] الأعورَ يقولُ : سمِعتُ العلاءَ بنَ زيادٍ العَدَوِىَّ يقولُ : ما غَبَطتُ عبدَ الملكِ بشىءٍ مِن ولايتِه إلّا بقَتْلِه حارثًا ، حُدِّثتُ أنّ رسولَ اللَّهِ ﷺ قال : « لا تقومُ السّاعةُ حتى يَخْرُجَ ثلاثونَ دجّالونَ كذّابونَ كلُّهم يَزْعُمُ أنّه نبىٌّ ، فمَن قاله فاقْتُلوه ، ومَن قتَل منهم أحدًا فله الجنةُ » .

وقال الوليدُ بنُ مسلمٍ[(٣)] : بلَغَنى أنَّ خالدَ بنَ يزيدَ بنِ معاويةَ قال لعبدِ الملكِ : لو حضَرْتُك ما أمرْتُك بقتلِه . قال : ولِمَ ؟ قال : إنَّه إنَّما كان به المُذْهِبُ ، فلو جوَّعتَه لذهَبَ ذلك عنه . وقال الوليدُ[(٣)] ، عن المنذرِ بنِ نافعٍ : سمِعتُ خالدَ بنَ اللَّجْلاجِ[(٤)] يقولُ لغَيْلانَ : ويحَك يا غَيْلانُ ، ألم يَأْخُذْك فى شَبيبتِك تُرامِى النِّساءَ فى شهرِ رمضانَ بالتُّفّاحِ ، ثم صِرْتَ حارثيًّا يَحْجُبُ امرأتَه ، ويَزْعُمُ أنّها [٩١/٧و] أُمُّ المؤمنينَ ، ثم تَحَوَّلْتَ فصِرْتَ قَدَرِيًّا زِنْديقًا .

وفيها غزَا عبيدُ اللَّهِ بنُ أبى بَكْرةَ رُتْبِيلَ[(٥)] - ملكَ التُّرْكِ الأعظمَ فيهم - وقد كان يُصانعُ المسلمينَ تارةً ، ويَتَمَرَّدُ أُخرَى ، فكتَب الحجّاجُ إلى ابنِ عبيدِ اللَّهِ بنِ

---

(١) أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ٤٢٧/١١ من طريق الوليد بن مسلم به .
(٢) سقط من : م . وانظر مصدر التخريج .
(٣) أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ١١/ ٤٣٠، من طريق الوليد بن مسلم به .
(٤) فى ا ٣، ا ٢، ص : « الجلح » . وفى م : « الجلخ » . وانظر تهذيب الكمال ٨/ ١٦٠.
(٥) فى ا ٣: « زنبيل » ، وكذا فى المواضع التالية ، وانظر تاريخ الطبرى ٦/ ٣٢٢.

أبى بكرةَ (١أنْ ناجِزْه١) بمَن معك مِن المسلمين حتى تَسْتَبِيحَ أرضَه ، وتَهدِمَ قِلاعَه ، وتَقْتُلَ مُقاتِلتَه . فخرَج فى جَمْعٍ مِن الجنودِ مِن بلادِه وخَلْقٍ مِن أهلِ البصرةِ والكوفةِ ، (٢ثم التقَى مع رُتْبِيلَ - ملكِ التُّرْكِ - فكسَره٢) وهدَم أركانَه بسَطْوةٍ بتَّارةٍ ، وجاسَ ابنُ أبى بكرةَ وجُندُه خلالَ ديارِهم ، واستَحْوَذ على كثيرٍ مِن أقاليمِه ومُدُنِه وأمصارِه ، وتبَّرَ ما هُنالِكَ تَتْبِيرًا ، ثم إنَّ رُتْبِيلَ تقَهْقر منه مُنْشمِرًا[٣] ، وما زال يَتْبعُه حتى اقترَبَ مِن مدينتِه العُظْمَى ، حتى كانوا منها على ثمانيةَ عشَرَ فَرْسخًا ، وخافتِ الأتراكُ منهم خوفًا شديدًا ، ثم إنَّ التركَ أخذَتْ عليهم الطُّرُقَ والشِّعابَ ، وضَيَّقوا عليهم المسالكَ حتى ظَنَّ كُلٌّ مِن المسلمينَ أنه لا محالةَ هالكٌ ، فعندَ ذلك طلَب عبيدُ اللَّهِ أنْ يُصالِحَ رُتْبِيلَ على أن (٤يدفَعَ إليه٤) سبعَمائةِ ألفٍ ، ويَفْتحُوا للمسلمينَ طريقًا يَخْرُجونَ منه ، (٥ويرجِعُونَ عنهم إلى بلادِهم٥) . فانتدَب شُرَيحُ بنُ هانى الحارثىُّ - وكان صحابيًّا ، وكان مِن أكبرِ أصحابِ علىٍّ ، وهو المُقَدَّمُ على أهلِ الكوفةِ - فندَب الناسَ إلى القتالِ والمُصابرةِ والنِّزالِ والجلادِ بالسُّيوفِ والرِّماحِ والنِّبالِ ، فنهاه عُبيدُ اللَّهِ بنُ أبى بكرةَ ، فلم يَنْتَهِ ، وأجابَه شِرْذِمةٌ مِن النّاسِ مِن الشُّجعانِ وأهلِ الحفائظِ ، فما زال يُقاتِلُ بهم التركَ حتى فَنِى أكثرُ المسلمين ، (٦فإنّا للَّهِ وإنّا إليه راجعون٦) . قالوا[٧] : وجعَل شُرَيحُ بنُ هانئٍ يَرْتجِزُ ، ويقولُ :

(١ - ١) فى م : « تأخذه » .
(٢ - ٢) فى الأصل : « وما انفك حتى » .
(٣) سقط من : م .
(٤ - ٤) فى ا ٣، ا ٢، م، ص : « يأخذ منه » . وانظر تاريخ الطبرى ٦/ ٣٢٣.
(٥ - ٥) زيادة من : ا ٣، ا ٢، م، ص .
(٦ - ٦) فى ا ٣، ا ٢، م، ص : « رضى الله عنهم » .
(٧) تاريخ الطبرى ٦/ ٣٢٣.

أصبَحتُ ذَا بثٍّ أُقاسِى الكِبَرَا قَد عِشتُ بينَ المشرِكينَ أَعْصُرَا
ثُمَّتَ أدرَكْتُ النبىَّ المُنْذِرا وبعدَه صِدِّيقَه وعُمَرا
ويومَ مِهْرانَ ويومَ تُسْتَرَا والجَمْعَ فى صِفِّينِهِم والنَّهَرَا
هَيْهاتَ ما أطولَ هذا عُمُرا

ثم قاتَل حتى قُتِل رضِى اللَّهُ عنه ، وقُتِل معه خَلْقٌ مِن أصحابِه ، ثم خرَج مَن خرَج مِن النّاسِ صُحبةَ عُبيدِ اللَّهِ بنِ أبى بكْرةَ مِن أرضِ رُتْبِيلَ ، وهم قليلٌ ، وبلَغ ذلك الحجّاجَ ، فأخَذه ما تقدَّم ، وما تأخَّر . وكتَب إلى عبدِ الملكِ يُعلِمُه بذلك ، ويَسْتشيرُه فى بعثِ جيشٍ كثيفٍ إلى بلادِ رُتْبيلَ ؛ لِيَنْتقِموا منه بسببِ ما حلَّ بالمسلمينَ فى بلادِه ، فحينَ وصَل البريدُ إلى عبدِ الملكِ كتَب إلى الحجّاجِ بالموافقةِ على ما رأى مِن المصلحةِ فى ذلك ، [1]وأنْ يُعجِّلَ ذلك سَريعًا ، فحين وصَل البريدُ إلى الحجّاجِ بذلك أخَذ فى جَمْعِ الجيوشِ[1] ، فجهَّز جيشًا كثيفًا لذلك . على ما سيأتى تفصيلُه فى السنةِ الآتيةِ بعدَها . [1]وقيل : إنه قُتِل مِن المسلمينَ مع شُرَيحِ بنِ هانئٍ ثلاثونَ ألفًا ، وابْتِيعَ الرَّغيفُ مع المسلمينَ بدينارٍ ، وقاسَوا شدائدَ ، ومات بسببِ الجوعِ منهم خَلْقٌ كثيرٌ أيضًا . فإنّا للَّهِ وإنّا إليه راجِعون . وقد قتَل المسلِمون مِن التركِ خلقًا كثيرًا أيضًا ؛ قتَلوا أضعافَهم[1] .

ويُقالُ[2] : إنَّه فى هذه السنةِ اسْتَعْفَى شُرَيحٌ مِن القضاءِ [٧/ ٩١ظ] فأعفاه الحجاجُ من ذلك ، وولّى مكانَه أبا بُرْدةَ بنَ أبى موسى الأشعرىَّ . [3]وقد تقدّمتْ[3]

(١ - ١) زيادة من : ا ٣، ا ٢، م ، ص .
(٢) تاريخ الطبرى ٦/ ٣٢٤، والكامل ٤/ ٤٥٢.
(٣ - ٣) سقط من : الأصل .

(١ترجمةُ شُريحٍ عندَ وفاتِه فى السنةِ الماضيةِ[٢] . واللَّهُ أعلمُ ١) .

قال الواقدىُّ ، وأبو مَعْشَرٍ ، وغيرُ واحدٍ مِن أهلِ السِّيَرِ[٣] : وحجَّ بالناسِ فى هذه السنةِ أَبَانُ بنُ عثمانَ أميرُ المدينةِ النبويةِ .

وفى هذه السنةِ قُتِل **قَطَرِىُّ بنُ الفُجَاءةِ التميمىُّ ، أبو نَعامةَ الخارجىُّ**[٤] ، وكان مِن الشُّجْعانِ المشاهيرِ . ويقالُ : إنه مكَث عشرينَ سنةً يُسلِّمُ عليه أصحابُه مِن الخوارجِ بالخلافةِ ، وقد جرَت له خُطوبٌ وحروبٌ مع جيشِ المُهَلَّبِ بنِ أبى صُفْرَةَ مِن جهةِ الحجّاجِ وغيرِه . وقد قدَّمنا منها طرَفًا صالحًا فى أماكنِه .

وكان خروجُه فى زمنِ مُصعبِ بنِ الزبيرِ ، وتغلَّب على قِلاعٍ كثيرةٍ وأقاليمَ وغيرِها ، ووقائعُه مشْهورةٌ ، وقد أرسَل إليه الحجّاجُ جيوشًا كثيرةً فهزَمها . وقِيل[٥] : إنَّه برَز إليه رجلٌ مِن بعضِ الحَرُوريّةِ ، وهو علَى فرسٍ أعجَفَ ، وبيدِه عمودُ حديدٍ ، فلمّا قرُب منه كشَف قَطَرِىٌّ عن وَجْهِه ، فولَّى الرجلُ هاربًا ، فقال له قَطَرِىٌّ : إلى أينَ ؟ أَمَا تسْتَحِى أنْ تَفِرَّ ولم تَرَ طَعْنًا ولا ضربًا ؟ فقال : إنَّ الإنسانَ لا يَسْتَحِى أنْ يَفِرَّ مِن مِثْلِك . ثم إنّه[٦] فى آخرِ أَمْرِه توجّه إليه سفيانُ بنُ الأبردِ الكلبىُّ فى جيشٍ فاقتتلُوا بطَبَرِسْتانَ ، فعثَر بقَطَرِىٍّ فرسُه فوقَع إلى الأرضِ ، فتكَاثَرُوا عليه فقتَلُوه وحمَلوا رأسَه إلى الحجّاجِ . وقِيل[٧] : إنَّ الذى قتَله سَوْدةُ بنُ الحُرِّ الدَّارِمىُّ .

(١ - ١) سقط من : الأصل .
(٢) تقدمت ترجمته فى صفحة ٢٨١.
(٣) تاريخ الطبرى ٦/ ٣٢٤.
(٤) انظر ترجمته فى : المعارف ٤١١، ووفيات الأعيان ٤/ ٩٣، وسير أعلام النبلاء ٤/ ١٥١، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٦١- ٨٠ هـ) ص ٥١٠.
(٥) وفيات الأعيان ٤/ ٩٣، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٦١- ٨٠ هـ) ص ٣٣٩.
(٦) زيادة من : م .
(٧) وفيات الأعيان ٤/ ٩٣، ٩٤، تاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٦١- ٨٠هـ) ص ٣٤٠.

وكان قَطَرِىُّ بنُ الفُجَاءَةِ - مع شجاعتِه المُفْرِطَةِ وإقدامِه - مِن خطباءِ العربِ المشهورينَ بالفصاحةِ والبلاغةِ وجَوْدةِ الكلامِ والشِّعرِ الحَسَنِ، فمِن مُستجادِ شِعْرِه قولُه يُشَجِّعُ نفسَه وغيرَه، ومَن سمِعها انتفَع بها:

أقولُ لها وَقَدْ طارَتْ شَعَاعًا ... مِن الأَبْطَالِ ويْحَكِ لنْ تُراعِى
فإنَّكِ لَوْ سألتِ بَقَاءَ يومٍ ... على الأجَلِ الذى لكِ لم تُطَاعِى
فَصَبْرًا فى مجالِ الموتِ صَبْرًا ... فما نَيْلُ الخُلُودِ بمُسْتَطاعِ
ولا ثَوْبُ الحياةِ بثَوْبِ عِزٍّ ... فيُطْوَى عن أخِى الخَنَعِ اليَرَاعِ
سَبيلُ الموْتِ غايةُ كُلِّ حَىٍّ ... وداعِيهِ لأَهْلِ الأرضِ داعِى
ومَنْ لا يَغْتَبِطْ يَسْأَمْ ويَهْرَمْ ... وتُسْلِمْه المنونُ إلى انقطاعِ
وما للمَرْءِ خَيْرٌ فى حَياةٍ ... إذا ما عُدَّ مِنْ سَقَطِ المتاعِ

ذكَرها صاحبُ الحَماسةِ، واسْتَحْسَنَها ابنُ خَلِّكانَ فى تاريخِه كثيرًا[1].

وفيها تُوفِّى عبيدُ اللَّهِ بنُ أبى بَكْرةَ[2]، رَحِمه اللَّهُ، وهو أميرُ الجيشِ الذى دخَل بلادَ التُّركِ، وقاتَلوا رُتْبِيلَ - مَلِكَ التُّركِ - وقد قُتِل مِن جيشِه خَلْقٌ كثيرٌ مع شُرَيحِ بنِ هانئٍ، كما تقدَّم ذلك. وقد دخَل عبيدُ اللَّهِ بنُ أبى بَكْرةَ على الحجّاجِ مرَّةً وفى يدِه خاتَمٌ، فقال له الحجّاجُ[3]: كم ختَمْتَ بخاتَمِك هذا؟ قال: على أربعينَ ألفِ ألفِ دينارٍ. قال: فَفِيمَ أَنْفَقْتَها؟ قال: فى اصْطِناعِ المعروفِ، وردِّ المَلْهوفِ والمكافأةِ بالصنائعِ، وتزويجِ العقائلِ. وقيل[4]: إنَّ عبيدَ اللَّهِ عطِش يومًا

---

(1) الحماسة لأبى تمام ١/ ١٦١، ووفيات الأعيان ٤/ ٩٤، وانظر نهاية الأرب ٣/ ٢٢٧.
(2) ترجمته فى: طبقات ابن سعد ٧/ ١٩٠، وطبقات خليفة ١/ ٤٨٤ وتاريخ دمشق ٤٤/ ٤٣٣، وسير أعلام النبلاء ٤/ ١٣٨، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٦١- ٨٠ هـ) ص ٤٧٧، ومرآة الجنان ١/ ١٦١.
(3) تاريخ دمشق (ط مجمع اللغة العربية) ٤٤/ ٤٣٨ بنحوه.
(4) المصدر السابق ٤٤/ ٤٤٥، ٤٤٦ مطولا.

فأخرَجَتْ له امرأةٌ كوزَ ماءٍ باردٍ فأعطاها ثلاثينَ ألفًا . وقِيلَ[1] : إنه أُهْدِى إليه وَصيفٌ ووصيفةٌ ، وهو جالسٌ بين أصحابِه ، فقال لبعضِ أصحابِه : خُذْهُما لك . ثم فكَّر ، وقال : واللَّهِ إنَّ إيثارَ بعضِ الجُلساءِ على بعضٍ لشُحٌّ قبيحٌ ودناءةٌ رديئةٌ . ثم قال : يا غلامُ ، ادفَعْ إلى كلِّ واحدٍ مِن جُلسائى وَصيفًا ووَصِيفةً . فأُحصِىَ ذلك فكانوا ثمانينَ وَصيفًا ووَصيفةً .

تُوفى عبيدُ اللَّهِ بنُ أبى بَكْرةَ ببُسْتَ[2] . وقِيل : بذَرِيحَ[3] . واللَّهُ أعلمُ .

---

(١) المنتظم ٦/ ٢٢٠، ٢٢١ بنحوه .

(٢) بُسْتُ : مدينة بين سجستان وغزنين . معجم البلدان ١/ ٦١٢.

(٣) فى م : « بذرخ » .

ثم دخلت سنة ثمانين من الهجرةِ النَّبويَّةِ

فيها كان السَّيلُ الجُحافُ بمكَّةَ ؛ لأنَّه جحَف على كلِّ شيءٍ مَرَّ به ، وحمَل الحُجَّاجَ مِن بطنِ مكَّةَ والجِمالَ بما عليها ، والرجالَ والنِّساءَ لا يستطيعُ أحدٌ أن يُنقِذَهم منه ، وبلَغ الماءُ إلى الحَجُونِ[1] ، وغرِق خلقٌ كثيرٌ ، وقِيل[2] : إنّه ارتفَع حتى كاد أن يُغطِّيَ البيتَ . واللَّهُ أعلمُ .

وحكَى ابنُ جريرٍ عن الواقديِّ أنَّه قال[3] : كان بالبصرةِ فى هذه السنةِ الطاعونُ الجارفُ . فاللَّهُ أعلَمُ . والمشهورُ أنّه كان فى سنةِ تسعٍ وستين ، كما تقدَّم[4] .

وفيها قطَع المُهَلَّبُ بنُ أبى صُفْرَةَ نهْرَ بَلْخَ[5] ، وأقام بكَشَّ سَنتَين صابرًا مُصابِرًا للأعداءِ مِن الأتراكِ ، وجرَتْ له معهم هناك فصولٌ يطولُ ذِكرُها . وقَدِم عليه فى غُبونٍ[6] هذه المدَّةِ كتابُ ابنِ الأشعَثِ بخَلْعِه الحجّاجَ ، فبعَثه المهلَّبُ برُمَّتِه إلى الحجّاجِ حتى قرأه ، ثم كان ما سيأتى بيانُه وتفصيلُه فيما بعدُ مِن حروبِ ابنِ الأشعثِ .

وفى هذه السنةِ جهَّز الحجّاجُ الجيوشَ مِن البصرةِ والكوفةِ وغيرِهما ، لقتالِ

---

(١) الحجون : جبل بأعلى مكة . معجم البلدان ٢/ ٢١٥.

(٢) تاريخ الطبرى ٦/ ٣٢٥، والكامل ٤/ ٤٣٥، والمنتظم ٦/ ٢١١.

(٣) تاريخ الطبرى ٦/ ٣٢٥.

(٤) تقدم فى صفحة ١٢٦.

(٥) سقط من : م.

(٦) فى م : « غضون ».

رُتْبيلَ مَلِكِ التركِ ؛ ليقتصُّوا منه ما كان مِن قَتْلِ جيشِ عبيدِ اللَّهِ بنِ أبى بكرةَ فى السَّنةِ الماضيةِ ، فجهَّز أربعينَ ألفًا ، مِن كلٍّ مِن المصرَيْنِ [٧/٩٢و] عشرينَ ألفًا ، وأمَّر على الجميعِ عبدَ الرحمنِ بنَ محمدِ بنِ الأشعَثِ مع أنَّه كان الحجَّاجُ يُبْغِضُه جدًّا ، حتى إنَّه كان يقولُ[1] : ما رأيتُه قطُّ إلّا همَمْتُ بقتلِه .

ودخَل ابنُ الأشعثِ يومًا على الحجَّاجِ وعندَه عامرٌ الشعبىُّ ، فقال[2] : انظُر إلى مِشيتِه ، واللَّهِ لقد هَمَمتُ أن أضرِبَ عُنُقَه . فأسرَّها الشعبىُّ إلى ابنِ الأشعثِ ، فقال ابنُ الأشعثِ : وأنا واللَّهِ لأجهَدَنَّ أنْ أُزيلَه عن سلطانِه إن طال بى وبه البقاءُ .

والمقصودُ أنّ الحجّاجَ أخَذ فى استعراضِ هذه الجيوشِ ، وبذَل فيهم العطاءَ ، ثم اختلَف رأيُه فى مَن يؤمِّرُ عليهم ، ثم وقَع اختيارُه على عبدِ الرحمنِ ابنِ محمدِ بنِ الأشعثِ ، فقدَّمه عليهم ، فأتى[3] عمُّه إسماعيلُ بنُ الأشعثِ ، فقال للحجّاجِ : إنِّى أخافُ أنْ تؤمِّرَه فلا يرَى لك طاعةً إذا جاوَز جِسْرَ الفُراتِ[4] . فقال : ليس هو هنالك ، هو لى أهيَبُ[5] ومنى أرهَبُ[6] أنْ يُخالِفَ أمْرى أو يخرُجَ عن طاعتى . فأمضَاه عليهم ، فسار ابنُ الأشعثِ بالجيوشِ نحوَ أرضِ رُتْبيلَ ، فلمّا بلَغ رُتْبيلَ مجِىءُ ابنِ الأشعثِ بالجنودِ إليه كتَب إليه رُتْبيلُ يَعتذِرُ ممّا أصاب المسلمينَ فى بلادِه فى السنةِ الماضيةِ ، وأنّه كان لذلك كارهًا ،

---

(١) تاريخ الطبرى ٦/ ٣٢٧.
(٢) المصدر السابق .
(٣) فى الأصل : « أبى » .
(٤) فى ١ ٣، ص، م : « الصراه » ، وفى ١ ٢: « القراه » . وانظر تاريخ الطبرى ٦/ ٣٢٨.
(٥) فى م : « حبيب » .
(٦) فى الأصل : « أرغب » .

وأنّهم[1] ألجئوه إلى قتالِهم، وسأَل مِن ابنِ الأشعثِ أن يُصالحَه، وأن يَبْذُلَ للمسلمينَ الخَراجَ، فلم يُجِبْه ابنُ الأشعثِ إلى ذلك، وصمَّم على دخولِ بلادِه، وجمَع رُتْبِيلُ جنودَه وتهيَّأ له ولحربِه، وجعَل ابنُ الأشعثِ كلّما دخَل بلدًا، أو مدينةً، أو أخَذ قَلْعةً مِن بلادِ رُتْبِيلَ استعمَل عليها نائبًا مِن جهتِه، [2]وجعَل معه مَن[2] يحفَظُها له، وجعَل المسالحَ[3] على كلِّ أرضٍ ومكانٍ مَخُوفٍ، فاستحوَذَ على بلادٍ، ومُدُنٍ كثيرةٍ مِن بلادِ رُتْبِيلَ، وغَنِم أموالًا كثيرةً جزيلةً، وسبَى خلْقًا كثيرةً، ثم حبَس الناسَ عن التوغُّلِ فى بلادِ رُتْبِيلَ حتى يُصلِحوا ما بأيدِيهم مِن البلادِ، ويتقوَّوْا بما فيها مِن المُغَلّاتِ والحَواصلِ، ثم يتقدّموا فى العامِ المقبلِ إلى أعدائِهم فلا يزالون يجوزون الأراضىَ والأقاليمَ حتى يُحاصِروهم فى مدينتِهم - مدينةِ العُظماءِ - على الكنوزِ والأموالِ والذرارِى حتى يَغنَموها ثم يقتُلون مُقاتِلَتَهم، وعزَموا على ذلك؛ وكان هذا هو الرأىَ.

وكتَب ابنُ الأشعثِ إلى الحجّاجِ يُخبِرُه بما وقَع مِن الفتحِ وما صنَع اللَّهُ لهم، وبهذا الرأيِ الذى رآه لهم. وقال بعضُهم[4]: كان الحجّاجُ قد وجَّه هِمْيانَ بنَ عَدِيٍّ السدُوسيَّ إلى [5]كَرْمانَ، مَسْلَحةً[5] لأهلِها، لِيمُدَّ عاملَ سِجِستانَ والسِّندِ إن احتاجا إلى ذلك، فعصَى هِمْيانُ ومَن معه[6]، فوجّه الحجّاجُ إليه ابنَ الأشعثِ، فهزَمه وأقام[7] بمَن معه.

---

(١) فى ا ٣، ا ٢، م: «أن المسلمين هم الذين».
(٢ - ٢) سقط من: ا ٣، ا ٢، م.
(٣) فى م: «المشايخ».
(٤) تاريخ الطبرى ٦/ ٣٢٩.
(٥ - ٥) فى م: «كرما مسلحا». والمَسْلحة: القوم الذين يحفظون الثغور من العدّو، وسُمّوا مسلحة؛ لأنهم يكونون ذوى سلاح. النهاية ٢/ ٣٨٨.
(٦) بعده فى ا ٣، ا ٢، م، ص: «على الحجاج».
(٧) بعده فى ا ٣، ا ٢، م، ص: «ابن الأشعث».

ومات عبيدُ اللَّهِ بنُ أبى بَكْرَةَ، فكتَب الحجَّاجُ إلى ابنِ الأشعثِ بإمْرَةِ سِجِسْتانَ مكانَ ابنِ أبى بَكْرَةَ، وجهَّز إلى ابنِ الأشعثِ جيشًا أنفَق عليهم ألفَىْ ألفٍ سِوى أَعطِياتِهم، [٧/٩٢ظ] وكان يُدْعَى هذا الجيشُ جيشَ الطَّواويسِ، وأمَره بالإقدامِ على رُتْبِيلَ، فكان مِن أمرِه معه ما تقدَّم.

قال الواقدىُّ وأبو مَعْشَرٍ[1]: وحجَّ بالناسِ فى هذه السنةِ أبانُ بنُ عُثمانَ. وقال غيرُهما: بل حجَّ بهم سليمانُ بنُ عبدِ الملكِ. وكان على الصَّائفةِ فى هذه السنةِ الوليدُ بنُ عبدِ الملكِ، وعلى المدينةِ أبانُ بنُ عثمانَ، وعلى المشرقِ بكمالِه الحجَّاجُ، وعلى قضاءِ الكوفةِ أبو بُرْدَةَ بنُ أبى موسى، وعلى قضاءِ البصرةِ موسى ابنُ أنسِ بنِ مالكٍ.

وممَّن تُوفِّى فى هذه السنةِ مِن الأَعيانِ:

أَسْلَمُ[2] مولى عمرَ[3] بنِ[4] الخطَّابِ: وهو أبو زيدِ بنُ أسلمَ، أصلُه مِن سبىِ عينِ التمرِ، اشتراه عمرُ بمكَّةَ لمَّا حجَّ سنةَ إحدى عَشْرةَ، وتُوفِّى وعمرُه مائةٌ وأربعَ عشْرةَ سنةً، وروَى عن عمرَ عدةَ أحاديثَ، وروَى عن غيرِه مِن أصحابِه أيضًا، وله مناقبُ كثيرةٌ، رحِمه اللَّهُ.

جُبَيْرُ بنُ نُفيرِ بنِ مالكٍ الحَضرمىُّ[5]، له صحبةٌ[6] وروايةٌ، وكان مِن علماءِ

---

(١) تاريخ الطبرى ٦/ ٣٢٩، ٣٣٠.

(٢) انظر ترجمته فى: طبقات ابن سعد ٥/ ١٠، وتهذيب الكمال ٢/ ٥٢٩، وسير أعلام النبلاء ٤/ ٩٨، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٦١- ٨٠ هـ) ص ٣٦١.

(٣) بعده فى الأصل: «وجبير بن نفير وعبد الله بن جعفر بن أبى طالب صحابى جليل وأبو إدريس الخولانى قاضى دمشق. وقد ترجمتهم فى كتابنا التكميل. ولله الحمد».

(٤) من هنا حتى نهاية ترجمة أبى إدريس الخولانى زيادة من: ا ٣، ا ٢، م، ص.

(٥) الاستيعاب ١/ ٢٣٤، وأسد الغابة ١/ ٣٢٤، والإصابة ١/ ٥٣١.

(٦) كذا فى النسخ، وفى هذا نظر، فقد اتفق على أن جبيرًا أدرك النبى ﷺ ولكنه لم يره فعلى ذلك =

أهلِ الشامِ ، وكان مشهورًا بالعبادةِ والعلمِ ، توفِّى بالشامِ وعمرُه مائةٌ وعشرونَ سنةً ، وقيل أكثرُ ، وقيل ، أقلُّ .

عبدُ اللَّهِ بنُ جعفرِ بنِ أبى طالبٍ[1] : وُلِد بأرضِ الحبشةِ ، وأُمُّه أسماءُ بنتُ عُمَيْسٍ ، وهو آخِرُ مَن رأى النبىَّ ﷺ مِن بنى هاشمٍ وفاةً ، سكَن المدينةَ ، ولمّا استُشْهِد أبوه جعفرٌ بمُؤْتةَ أتى النبىُّ ﷺ إلى أمِّهم فقال : « ائْتونى ببَنى أخِى » . فأُتِى بهم كأنَّهم أفرُخٌ ، فدعا بالحلاقِ فحلَق رءوسَهم ، ثم قال : « اللهم اخلُفْ جعفرًا فى أهلِه ، وبارِكْ لعبدِ اللَّهِ فى صفقتِه » . فجاءتْ أُمُّهم فذكَرت للنبىِّ ﷺ أنَّه ليس لهم شىءٌ ، فقال : « أنا لهم عوضًا مِن أبيهم »[2] . وقد بايَع النبىَّ ﷺ عبدُ اللَّهِ بنُ جعفرٍ ، وعبدُ اللَّهِ بنُ الزبيرِ وعمرُهما سبعُ سنين ، وهذا لم يتفِقْ لغيرِهما .

وكان عبدُ اللَّهِ بنُ جعفرٍ مِن أسخَى الناسِ ، يُعطِى الجزيلَ الكثيرَ ويستقِلُّه ، وقد تصدَّقَ مرةً بألفىْ ألفٍ ، وأعطَى مرّةً رجلًا ستين ألفًا ، ومرّةً أعطى رجُلًا أربعةَ آلافِ دينارٍ ، وقيل[3] : إنَّ رجلًا جلَب مرّةً سُكَّرًا إلى المدينةِ فكسَد عليه ، فلم يشترِه أحدٌ ، فأمَر ابنُ جعفرٍ قيِّمَه أنْ يشتريَه ، وأنْ يَهَبَه للناسِ . وقيل[4] : إنّ معاويةَ لمّا حجَّ ونزَل المدينةَ[5] فى دارِ مَروانَ قال يومًا لحاجبِه : انظرْ هل ترى بالبابِ الحسنَ أو الحسينَ أو ابنَ جعفرٍ أو فلانًا - وعدَّ جماعةً - فخرَج فلم يرَ

= لا يعد صحابيًا . وانظر المصادر السابقة . وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٦١- ٨٠ هـ) ص ٣٨١.

(١) الاستيعاب ٣/ ٨٨٠، وأسد الغابة ٣/ ١٩٨، والإصابة ٤/ ٤٠.

(٢) تقدم تخريجه فى ٦/ ٤٤٦، بنحوه، وانظر تاريخ دمشق ٢٧/ ٢٥٤- ٢٥٧.

(٣) تاريخ دمشق ٢٧/ ٢٨٣، ٢٨٤.

(٤) تاريخ دمشق ٢٧/ ٢٧٥- ٢٧٦.

(٥) سقط من: م.

أحدًا، فقيل له: هم مجتمِعون عند عبدِ اللَّهِ بنِ جعفرٍ يتغدَّون. فأتى معاويةَ فأخبَره، فقال: ما أنا إلّا كأحدِهم. ثم أخَذ عصًا فتوكَّأ عليها ثم أتى بابَ ابنِ جعفرٍ، فاستأذَن عليه، ودخَل فأجلَسه فى صدرِ فراشِه، فقال له معاويةُ: أين غدَاؤُك يا ابنَ جعفرٍ؟ فقال: وما تشتَهى مِن شىءٍ فادْعُ به. فقال معاويةُ: أطْعِمْنا مُخًّا. فقال: يا غلامُ، هاتِ مخًّا. فأتى بصَحْفَةٍ[1] فأكَل معاويةُ، ثم قال ابنُ جعفرٍ لغلامِه: هاتِ مخًّا. فجاء بصَحفةٍ[1] أخرى ملآنةٍ مخًّا إلى أنْ فعَل ذلك ثلاثَ مرّاتٍ. فتعجَّب معاويةُ وقال: يا ابنَ جعفرٍ، ما يَسعُك[2] إلا الكثيرُ مِن العطاءِ. فلمّا خرَج معاويةُ أمَر له بخمسين ألفَ دينارٍ. وكان ابنُ جعفرٍ صديقًا لمعاويةَ، وكان يفِدُ عليه كلَّ سنةٍ فيُعطيه ألفَ ألفِ درهمٍ، ويقضِى له مائةَ حاجةٍ. ولمّا حضَرتْ معاويةَ الوفاةُ أوصَى ابنَه يزيدَ به[3]. فلمّا قدِم ابنُ جعفرٍ على يزيدَ قال له: كم كان أميرُ المؤمنين يُعطيك كلَّ سنةٍ؟ قال: ألفَ ألفٍ. فقال له: قد أضعفْناها لك. وكان يُعطيه ألفَىْ ألفٍ كلَّ سنةٍ. فقال له [4]عبدُ اللَّهِ[4] بنُ جعفرٍ: بأبى أنت وأمِّى، ما قلتُها لأحدٍ قبلَك، ولا أقولُها لأحدٍ بعدَك. فقال له يزيدُ: ولا أَعطاكها أحدٌ قبلى ولا يُعطيكَها أحدٌ بعدى.

وقيل[5]: إنه كان عندَ ابنِ جعفرٍ جاريةٌ تغنِّيه تُسمَّى عمَّارةَ، وكان يحبُّها محبةً عظيمةً، فحضَر عنده يزيدُ بنُ معاويةَ يومًا، فغنَّتِ الجاريةُ، فلمَّا سمِعها يزيدُ

---

(١) فى م: «بصحيفة».

(٢) فى م: «يشبعك».

(٣) سقط من: م.

(٤ - ٤) فى م: «عبد الملك».

(٥) تاريخ دمشق ٢٧/ ٢٨٦- ٢٩٠ مطولًا.

افتتَن بها ولم يجسُرْ على ابنِ جعفرٍ أنْ يطلُبَها منه، (١ خوفًا أنْ يمنعَه إياها ١)، فلم يزَلْ في نفسِ يزيدَ منها حتى مات أبوه معاويةُ، فبعَث يزيدُ رجلًا مِن أهلِ العراقِ (١ ودفَع إليه تجارةً ١) وأمَره أن يتلطَّفَ [٢] في أمرِ هذه الجاريةِ، فقدِم الرجلُ المدينةَ، ونزَل جِوارَ ابنِ جعفرٍ وأهدَى إليه هدايا وتُحفًا كثيرةً، وأنَس به، ولا زال حتى أخَذ الجاريةَ وأتَى بها [٣] يزيدَ. وكان الحسنُ البصريُّ يذُمُّ (١ عبدَ اللَّهِ ١) بنَ جعفرٍ على سماعِه الغِناءَ واللهوَ، وبشرائه المولَّداتِ، ويقولُ: أمَا يكفيه هذا الأمرُ القبيحُ الذي هو متلبسٌ به مِن هذه الأشياءِ وغيرِها؟ حتى زوَّج الحجاجَ بنتَ رسولِ اللَّهِ ﷺ، وكان الحجّاجُ يقولُ: إنما تزوَّجتُها لأذِلَّ بها آلَ أبي طالبٍ. وقيل: إنه لم يصِلْ إليها. وقد كتَب عبدُ الملكِ إليه أنْ يطلِّقَها فطلَّقها. أسنَدَ عبدُ اللَّهِ بنُ جعفرٍ ثلاثةَ عشَرَ حديثًا.

أبو إدريسَ الخَوْلانيُّ [٤]: اسمُه عائذُ اللَّهِ بنُ عبدِ اللَّهِ، له أحوالٌ ومناقبُ، كان يقولُ [٥]: قلبٌ نقيٌّ في ثيابٍ دنِسةٍ خيرٌ مِن قلبٍ دنِسٍ في ثيابٍ نقيَّةٍ. وقد تولَّى القضاءَ بدمشقَ، وقد ذكَرْنا ترجمتَه في كتابِنا «التكميلِ» [٦].

مَعْبدٌ الجُهَنيُّ القَدَريُّ [٧]: يقالُ: إنّه معبدُ بنُ عبدِ اللَّهِ بنِ عُكَيْمٍ [٨]، راوى

(١ - ١) سقط من: م.

(٢) في م: «يتطلع».

(٣) سقط من: م.

(٤) ترجمته في: طبقات ابن سعد ٧/ ٤٤٨، وحلية الأولياء ٥/ ١٢٢، وتهذيب الكمال ١٤/ ٨٨، وسير أعلام النبلاء ٤/ ٢٧٢.

(٥) حلية الأولياء ٥/ ١٢٢.

(٦) تقدمت الإشارة إليه في ١/ ٢٩.

(٧) ترجمته في: تاريخ دمشق ١٦/٧٩٧ مخطوط، وتهذيب الكمال ٢٨/ ٢٤٤، وسير أعلام النبلاء ٤/ ١٨٥.

(٨) في الأصل: «عويمر». وهو قول في اسم جده كما في تهذيب الكمال. وفي ١ ٣، ١ ٢، ص،=

حديثِ : « لا تنتفِعوا مِن المَيْتةِ بإهابٍ ولا عَصَبٍ »[1] . وقيل غيرُ ذلك فى نسبِه .
سمِع الحديثَ مِن ابنِ عبّاسٍ ، وابنِ عمرَ ، ومعاويةَ ، وعِمرانَ بنِ حُصَيْنٍ ، وغيرِهم . وشهِد يومَ التحكيمِ ، وسأل أبا موسى فى ذلك ووصّاه ، ثم اجتمع بعمرِو بنِ العاصِ فوصّاه فى ذلك ، فقال له[2] : إيهًا يا تَيْسَ[3] جُهَيْنَةَ[4] ، ما أنت من أهلِ السرِّ ولا[5] العلانيةِ ، وإنّه لا ينفعُك الحقُّ ولا يضرُّك الباطلُ . وهذا توسُّمٌ فيه مِن عمرِو بن العاصِ ، ولهذا كان هو أولَ مَن تكلَّم فى القَدَرِ ، ويقال[6] : إنّه أخَذ ذلك عن رجلٍ مِن النّصارى مِن أهلِ العراقِ يقال له : سُوسَنُ[7] . وأخَذ غَيْلانُ القَدَرَ مِن مَعبدٍ .

وقد كانت لمَعبدٍ عبادةٌ ، وفيه زَهادةٌ ، ووثَّقه ابنُ معينٍ وغيرُه فى حديثِه[8] . وقال الحسنُ البصريُّ[9] : إياكم ومَعبدًا ؛ فإنّه ضالٌّ مُضِلٌّ . وكان ممَّن خرَج مع ابنِ الأشعثِ فعاقَبه الحجّاجُ عقوبةً عظيمةً بأنواعِ العذابِ ثم قتَله ، وقال سعيدُ بنُ عُفَيْرٍ[10] : بل صلَبه عبدُ الملكِ بنُ مَرْوانَ فى سنةِ ثمانين بدِمشقَ ثم قتَله . وقال

= م : « عليم » . وكذا فى الكامل . والمثبت من مصادر الترجمة .

(١) أخرجه أبو داود (٤١٢٧، ٤١٢٨) ، والترمذى (١٧٢٩) ، والنسائى (٤٢٦٠، ٤٢٦١) ، وابن ماجه (١٦١٣) ، والإمام أحمد فى المسند ٤/ ٣١١. صحيح (صحيح سنن أبى داود ٣٤٧٥، ٣٤٧٦) .

(٢) مختصر تاريخ دمشق ٢٥/ ١١٦.

(٣) فى ص : « أنيس » .

(٤) فى م : « جهنة » .

(٥) سقط من : م .

(٦) تهذيب الكمال ٢٨/ ٢٤٥، ٢٤٦.

(٧) فى م : « سوس » .

(٨) سقط من : الأصل .

(٩) تاريخ دمشق ١٦/ ٧٩٩، وميزان الاعتدال ٤/ ١٤١، وانظر تهذيب الكمال ٢٨/ ٢٤٥. وقال ابن معين فى معرفة الرجال ١/ ١٦٦: « ... قال لنا طاوس : أخروا معبدا . قال : يعنى معبدا الجهنى » .

(١٠) تاريخ دمشق ١٦/ ٨٠٣، وتهذيب الكمال ٢٨/ ٢٤٨.

خليفةُ بنُ خيّاطٍ[1] : مات قبلَ التسعينَ . فاللَّهُ أعلمُ[2] .

(١) تاريخ خليفة٢/ ٤٠١.

(٢) بعده فى ا ٣، ا ٢، م، ص : « وقيل : إن الأقرب قتل عبد الملك له . والله سبحانه وتعالى أعلم » .

ثم دخلَت سنةُ إحدى وثمانين

ففيها : فتَح عبيدُ اللَّهِ بنُ عبدِ الملكِ بنِ مَرْوانَ مدينةَ قالِيقَلا[1] ، وغنِم المسلمون منها غنائمَ كثيرةً . وفيها قُتِل بُكَيرُ بنُ وِشَاحٍ ؛ قتَله بَحيرُ[2] بنُ ورقاءَ الصُّرَيْميُّ ، وكان بُكيرٌ مِن الأمراءِ الشُّجعانِ ، ثم ثار لبُكَيرِ بنِ وِشَاحٍ رجلٌ مِن قومِه يقالُ له : صعصعةُ بنُ حربٍ العَوْفِيُّ الصُّرَيْميُّ . فقَتل بَحيرَ[2] بنَ وَرْقاءَ الذى قتَل بُكيرًا ؛ طعَنه بخَنْجَرٍ ، وهو جالسٌ عند المهلَّبِ بنِ أبى صُفْرةَ ، فحُمِل إلى منزلِه وهو بآخرِ رَمقٍ ، فبعَث المهلَّبُ [٩٣/٧و] بصعصعةَ إليه ، فلما تمكَّن منه بَحيرُ ابنُ ورقاءَ قال : ضعوا رأسَه عند رِجلى . فوضَعوه فطعَنه بَحِيرٌ بحربتِه حتى قتَله ومات على إثْرِه . وقد قال له أنسُ بنُ طارقٍ : اعفُ عنه فقد قتَلتَ بُكيرَ بنَ وِشاحٍ . فقال : لا واللَّهِ لا أموتُ وهذا حىٌّ . ثم قتَله ، وقد قيل : إنّه إنما قُتِل بعد موتِه . فاللَّهُ أعلمُ .

فتنةُ ابنِ الأشعَثِ

قال أبو مِخنَفٍ[3] : كان ابتداؤُها فى هذه السنةِ . وقال الواقدىُّ[3] : فى سنةِ

---

(١) فى ا ٣، ا ٢، ص : « فاليقلا » . وانظر تاريخ الطبرى ٦/ ٣٣١، والكامل ٤/ ٤٥٧، والمنتظم ٦/ ٢٢٤. وقاليقلا : مدينة مداخلة لبلد الروم وهى ثغر إرمينية وأذربيجان . مسالك الأبصار فى ممالك الأمصار ٢/ ٦٦.

(٢) فى ا ٣، ا ٢، م : « بجير » . وكذا فيما يأتى من مواضع . وانظر الإكمال ١/ ١٩٨، وتبصير المنتبه ١/ ٦١.

(٣) تاريخ الطبرى ٦/ ٣٣٤.

ثنتَينِ وثمانين . وقد ساقها ابنُ جريرٍ فى هذه السنةِ[١] فوافقْناه فى ذلك . وكان سببَ هذه الفتنةِ أنّ ابنَ الأشعثِ كان الحجَّاجُ يُبْغِضُه ، وكان هو يفهَمُ ذلك ويُضمِرُ له السوءَ وزوالَ الملكِ عنه ، فلمّا أمَّرَه الحجّاجُ على ذلك الجيشِ المتقدِّمِ ذكرُه ، وأمَرَه بدخولِ بلادِ رُتْبيلَ ملكِ التركِ ، فمضَى وصنَع ما قدَّمْناه مِن أخذِه بعضَ بلادِ التركِ ، ثم رأَى لأصحابِه أنْ يُقيموا حتى يتقوَّوْا إلى العامِ المقبِلِ ، فكتَب إلى الحجّاجِ بذلك ، فكتَب إليه الحجّاجُ يستهجِنُ رأيَه فى ذلك ، ويستضعِفُ عقلَه ويُقرِّعُه بالجبنِ والنُّكولِ عن الحربِ ، ويأمُرُه حتمًا بدخولِ بلادِ رُتْبيلَ ، ثم أردَف ذلك بكتابٍ ثانٍ ثم ثالثٍ[(٢] فلمّا تواردت كتبُ الحجاجِ إليه يحثُّه على التوغلِ فى بلادِ رُتبيلَ ، جمَع من معه ، وقام فيهم ، فأعلمهم بما كان رأى من الرأى فى ذلك ، وبما[٢)] كتَب إليه الحجّاجُ مِن الأمرِ بمعاجلةِ رُتْبيلَ ، فثار

---

(١) تاريخ الطبرى ٦/ ٣٣٤.

(٢ - ٢) فى ا ٣، ا ٢، م، ص: «مع البريد ، فكتب إليه فى جملة ذلك يقول : يا ابن الحائك الغادر المرتد ، امض لما أمرتك به من الإيغال فى أرض العدو ، وإلّا حل بك ما لا يطاق . وكان الحجاج يبغض ابن الأشعث ، ويقول : هو أهوج أحمق حسود ، وأبوه الذى سلب أمير المؤمنين عثمان ثيابه وقاتله ، ودل عبيد الله بن زياد على مسلم بن عقيل حتى قتله ، وجده الأشعث ارتد عن الإسلام ، وما رأيته قط إلّا هممت بقتله . ولما كتب الحجاج بذلك إلى ابن الأشعث وترادفت إليه البرد بذلك ، غضب ابن الأشعث ، وقال : يكتب إلى بمثل هذا وهو لا يصلح أن يكون من بعض جندى ولا من بعض خدمى ؛ لخوره وضعف قوته ؟ أما يذكر أباه من ثقيف ، هذا الجبانَ صاحبَ غزالة . يعنى أن غزالة ، وهى زوجة شبيب ، حملت على الحجاج وجيشه فانهزموا منها ، وهى امرأةٌ ، لما دخلت الكوفة .

ثم إن ابن الأشعث جمع رءوس أهل العراق ، وقال لهم : إن الحجاج قد ألح عليكم فى الإيغال فى بلد العدو ، وهى البلد التى هلك فيها إخوانكم بالأمس ، وقد أقبل عليكم فصل الشتاء والبرد ، فانظروا فى أمركم أما أنا فإنى لست بمطيعه ولا أنقض رأيا رأيته بالأمس . ثم قام فيهم خطيبا فأعلمهم بما كان رأى من الرأى له ولهم فى ذلك من إصلاح البلد التى فتحوها ، وأن يقيموا بها حتى يتقووا بغلّاتها وأموالها ، ويخرج عنهم فصل البرد ، ثم يسيرون فى بلاد العدو فيفتحونها بلدا بلدا إلى أن يحصروا رتبيل ملك الترك فى مدينته العظماء ، ثم أعلمهم بما» .

إليه الناسُ ، وقالوا : لا بل نأبى على عدوِّ اللَّهِ الحجّاجِ[(١)] ، ولا نسمَعُ له ولا نُطيعُ .
قال أبو مِخنَفٍ[(٢)] : فحدّثنى مُطَرِّفُ بنُ عامرِ بنِ واثلةَ[(٣)] الكِنانىُّ ، أنَّ أباه كان أوَّلَ مَن تكلَّم فى ذلك ، وكان شاعرًا خطيبًا ؛ وكان ممَّا قال : إنَّ مثلَ الحجّاجِ فى هذا الرأيِ ومثلَنا كما قال الأولُ لأخيه : احمِل عبدَك على الفرَسِ فإنْ هلَكَ هلَك ، وإنْ نجا فلك . [(٤)]إنكم إن[(٤)] ظفِرتم كان ذلك زيادةً فى سلطانِه ، وإن هلَكتُم كنتُم الأعداءَ البُغضاءَ . ثم قال : اخلَعوا عدوَّ اللَّهِ الحجّاجَ - [(٥)]ولم يذكُرْ خلعَ عبدِ الملكِ[(٥)] - وبايِعوا لأميرِكم عبدِ الرحمنِ بنِ الأشعثِ ، فإنى أُشهِدُكم أنّى أولُ خالعٍ للحجّاجِ . فقال الناسُ مِن كلِّ جانبٍ : خلَعْنا عدوَّ اللَّهِ . ووثَبوا إلى عبدِ الرحمنِ بنِ الأشعثِ فبايَعوه عِوضًا عن الحجّاجِ ، ولم يذكُروا خلعَ عبدِ الملكِ ابنِ مَروانَ .

وبعَث ابنُ الأشعثِ إلى رُتْبيلَ فصالحَه على أنَّه إنْ ظفِر بالحجّاجِ فلا خَراجَ على رُتْبيلَ أبدًا . ثم سار ابنُ الأشعثِ بالجنودِ الذين معه مُقبِلًا مِن سِجِستانَ إلى الحجّاجِ ؛ ليقاتِلَه ويأخذَ منه العراقَ ، [٩٣/٧ظ] ثم لمّا توسّطوا الطريقَ قالوا : إنَّ خَلْعَنا للحجّاجِ خَلْعٌ لابنِ مَروانَ . فخلَعوهما جميعًا[(٦)] وجدَّدوا البيعةَ لابنِ الأشعثِ ، فبايَعهم على كتابِ اللَّهِ وسنَّةِ رسولِه وخلعِ أئمةِ الضلالةِ وجهادِ المُحِلِّين[(٧)] . فإذا قالوا : نعم . بايعَهم . فلما بلَغ الحجّاجَ ما صنَعوا مِن خَلْعِه وخَلْعِ

---

(١) سقط من : الأصل .
(٢) أخرجه الطبرى فى تاريخه ٦/ ٣٣٥، من طريق أبى مخنف به .
(٣) فى ا ٢، م : « وائلة » .
(٤ - ٤) فى ا ٢: « إن » . وفى م : « أنتم إذا » .
(٥ - ٥) زيادة من : ا ٣، ٢١، م، ص .
(٦) سقط من : ا ٢، م .
(٧) فى ا ٣، ا ٢، ص : « المنحلين » . وفى م : « الملحدين » . وانظر الكامل ٤/ ٤٦٤.

ابنِ مروانَ ، كتَب إلى عبدِ الملكِ يُعلِمُه بذلك ويستعجِلُه فى بعثِه الجنودَ إليه ، وجاء الحجّاجُ حتى نزَل البصرةَ ، وبلَغ المهلَّبَ خبرُ ابنِ الأشعثِ ، وكتَب إليه يدعوه إلى ذلك فأبَى عليه ، وبعَث بكتابِه إلى الحجّاجِ . وكتَب المهلَّبُ إلى ابنِ الأشعثِ يقولُ[1] له : إنك يا ابنَ الأشعثِ قد وضَعْتَ رجلَك فى ركابٍ طويلٍ ، أبْقِ[2] على أمَّةِ محمدٍ ﷺ ، [3]اللَّهَ اللَّهَ[3] ، انظُرْ لنفسِك فلا تُهلِكْها ، ودماءِ المسلمين فلا تسفِكْها ، والجماعةِ فلا تفرِّقْها ، والبيعةِ فلا تَنكُثْها ، فإن قلتَ : أخافُ الناسَ على نفسى . فاللَّهُ أحقُّ أن تخافَه[4] مِن الناسِ ، فلا تُعرِّضْها للَّهِ فى سفكِ دمٍ[5] ، أو استحلالِ مُحرَّمٍ ، والسلامُ عليك .

وكتَب المهلَّبُ إلى الحجّاجِ[6] : أمّا بعدُ ، فإنَّ أهلَ العراقِ قد أقبَلوا إليك مثلَ السيلِ المنحدرِ من عَلُ ليس شىءٌ يَرُدُّه حتى ينتهىَ إلى قرارِه ، وإنّ لأهلِ العراقِ شِرَّةً[7] فى أولِ مخرَجِهم ، وصَبابةً إلى أبنائِهم ونسائِهم ، فليس شىءٌ يردُّهم حتى يَصِلوا إلى أهليهم[8] ، ويشمُّوا أولادَهم ، ثم واقِعْهم[9] عندَها فإنّ اللَّهَ ناصرُك عليهم إن شاء اللَّهُ .

---

(١) تاريخ الطبرى ٦/ ٣٣٨.

(٢) فى الطبرى : « الغى » .

(٣ - ٣) سقط من : م .

(٤) بعده فى الطبرى : « عليها » .

(٥) فى م : « الدماء » .

(٦) تاريخ الطبرى ٦/ ٣٣٩.

(٧) فى م : « شدة » .

(٨) بعده فى ا ٣، ا ٢، م، ص : « وينبسطوا إلى نسائهم » .

(٩) فى الأصل، والطبرى : « واقفهم » .

فلما قرأ الحجّاجُ كتابَه قال: فعَل اللَّهُ به وفعَل، لا واللَّهِ ما لى نظَرَ، ولكنْ لابنِ عمِّه نصَح. ولما [(1)] وقَع كتابُ [(1)] الحجّاجِ إلى عبدِ الملكِ هاله ذلك ثم نزَل عن سَريرِه، وبعَث إلى خالدِ بنِ يزيدَ بنِ معاويةَ فأقرَأه كتابَ الحجّاجِ، فقال: يا أميرَ المؤمنين، إنْ كان هذا الحدثُ مِن قِبَلِ خُراسانَ فخَفْه، وإن كان من قِبَل سِجِسْتانَ فلا تخَفْه.

ثم أَخَذ عبدُ الملكِ فى تجهيزِ الجنودِ مِن الشامِ إلى العراقِ فى نُصرةِ الحجّاجِ، وتجهَّز الحجاجُ للخروجِ إلى ابنِ الأشعثِ، وعصَى رأْىَ المهلَّبِ فيما أشار به عليه، وكان فيه[(2)] النصحُ والصدقُ، وجعَلتْ كتبُ الحجّاجِ لا تنقطِعُ عن عبدِ الملكِ بخبرِ ابنِ الأشعثِ صباحًا ومساءً؛ أين نزَل ومِن أين ارتحَل، وأىُّ الناسِ إليه أسرعُ، وجعَل الناسُ يلتفُّون على ابنِ الأشعثِ [٩٤/٧و] مِن كلِّ جانبٍ، حتى قيل: إنه سار معه ثلاثةٌ وثلاثون ألفَ فارسٍ ومائةٌ وعشرون ألفَ راجلٍ. وخرَج الحجّاجُ فى جنودِ الشامِ من البصرةِ نحوَ ابنِ الأشعثِ، فنزَل تُستَرَ، وقدَّم بين يديْه مُطهِّرَ بنَ حَىٍّ العَكِّىَّ[(3)] أميرًا على المقدِّمةِ[(4)]، ومعه عبدُ اللَّهِ بنُ زميت[(5)] أميرًا آخرَ، فانتهَوا إلى دُجيلٍ، فإذا مقدِّمةُ ابنِ الأشعثِ فى ثلاثِمائةِ فارسٍ عليها عبدُ اللَّهِ بنُ أَبَانٍ الحارثىُّ، فالتقَوا فى يومِ الأضحى عند نَهرِ دُجَيْلٍ، فهُزِمتْ مقدِّمةُ الحجاجِ، وقتَل أصحابُ ابنِ الأشعثِ منهم خلقًا كثيرًا نحوَ ألفٍ وخمسِمائةٍ،

(١ - ١) فى ١ ٣، ١ ٢، م، ص: «وصل البريد بكتاب».
(٢) فى ١ ٣، ١ ٢، م، ص: «فى شوره».
(٣) فى الأصل، ١ ٣، ١ ٢، م: «مطهر بن حى الكعبى». وفى ص: «مطهر بن خير الكعبى»، وفى تاريخ الطبرى: «مطهر بن حر العكى». والمثبت من الأنساب ٤/ ٢٢٥.
(٤) فى الأصل: «المدينة».
(٥) فى الأصل، ١ ٣، ١ ٢: «رميث». وفى الطبرى: «رميثة». وانظر أنساب الأشراف ٧/ ٣٢٢.

واحتازوا ما فى مُعَسْكرِهم مِن خيولٍ وقماشٍ وأموالٍ، وجاء الخبرُ إلى الحجّاجِ بهزيمةِ أصحابِه، (١)فأخذه ما دبَّ ودرَج. وقد كان قائمًا(١) يخطُبُ، فقال(٢): أيها الناسُ ارجعوا إلى البصرةِ، فإنّه أرفقُ بالجندِ. فرجَع بالنّاسِ واتّبَعَتهم خيولُ ابنِ الأشعثِ لا يُدرِكون منهم شاذًّا إلا قتَلوه، ولا فاذًّا إلا أهلَكوه، ومضَى الحجاجُ هاربًا لا يَلْوِى على شىءٍ حتى أتى الزاويةَ فعسكَر عندَها، وجعَل يقولُ: للَّهِ دَرُّ المُهَلَّبِ! أىُّ صاحبِ حَرْبٍ هو؟! قد أشار علينا بالرأىِ، ولكنَّا لم نقْبَلْ.

وأنفَق الحجّاجُ على جيشِه - وهو بهذا المكانِ - مائةً وخمسين ألفَ ألفِ درهمٍ، وخندَقَ حولَ جيشِه خَنْدقًا، وجاءَ أهلُ العراقِ فدخَلوا البصرةَ واجتمَعوا بأهالِيهم وشمُّوا أولادَهم، ودخَل ابنُ الأشعثِ البصرةَ فخطَب الناسَ بها(٣) وبايعَهم وبايعُوه على خَلْعِ عبدِ الملكِ ونائبِه الحجاجِ بنِ يوسفَ، وقال لهم ابنُ الأشعثِ: ليس الحجّاجُ بشىءٍ، ولكن اذْهَبوا بنا إلى عبدِ الملكِ لنقاتِلَه. ووافَقه على خَلْعِهما جميعُ مَن بالبصرةِ مِن الفقهاءِ، والقرَّاءِ، والشُّيوخِ، والشَّبابِ، ثم أمَرَ ابنُ الأشعثِ بخندقٍ حولَ البصرةِ فعمِل ذلك، وكان ذلك فى أواخرِ ذى الحجّةِ من هذه السنةِ.

وحجّ بالناسِ فيها (٤)سليمانُ بنُ عبدِ الملكِ(٤) فيما ذكره الواقدِىُّ وأبو

(١ - ١) سقط من: الأصل.

ودب: مشى. ودرج: مات وانقضى عقبه. ويقال: أكذب من دب ودرج. أى أكذب الأحياء والأموات. وانظر تاج العروس (د ب ب).

(٢) تاريخ الطبرى ٦/ ٣٤٠.

(٣) سقط من: الأصل، وفى م: «بهم».

(٤ - ٤) فى النسخ: «إسحاق بن عيسى». وهو خطأ فهو أحد رجال سند الطبرى، يروى عن أبى معشر هذا القول، والمثبت هو الصواب.

مَعْشَرٍ[1] . واللهُ سبحانَه وتعالى أعلمُ .

وفيها غزا موسى بنُ نُصيرٍ أميرُ بلادِ المغربِ مِن جهةِ عبدِ الملكِ بلادَ الأندلسِ ، فافْتَتح مُدنًا كثيرةً ، وأراضِيَ عامرةً ، وأوغَل فى بلادِ المغربِ إلى أنْ وصَل إلى الزقاقِ المنبثقِ مِن البحرِ الأخضرِ المحيطِ[2] . واللهُ أعلمُ .

وممّن تُوفى فيها مِن الأعيانِ :

بَحيرُ بنُ وَرْقاءَ الصُّرَيمىُّ البصرىُّ[3] أحدُ الأشرافِ بخراسانَ ، والقوّادِ والأمراءِ ، وهو[4] الذى حاربَ ابنَ خازمٍ وقتَله ، وقَتَل بُكيرَ بنَ وِشاحٍ .

ثم قُتِل فى هذه السنةِ :

سُويدُ بنُ غَفَلَةَ بنِ عَوْسجةَ بنِ عامرٍ[5] : أبو أميَّةَ الجعفىُّ الكوفىُّ ، شهِد اليرموكَ وحدَّث عن جماعةٍ من الصحابةِ ، وكان مِن كبارِ المخضرمين ، ويقالُ : إنه رأى النبىَّ ﷺ وصلَّى معه . والصحيحُ أنَّه لم يَرَه ، وكان مولدُه عامَ وِلِد النبىُّ ﷺ . وقِيل : إنه وُلد بعدَه بسنتين . وعاش مائةً وعشرين سنةً ، لم يُرَ يومًا محتبيًا[6] ولا متساندًا ، وافتضَّ بِكرًا عامَ وفاتِه [٩٤/٧ظ] ، وكانت وفاتُه فى سنةِ إحدى وثمانين ، قاله أبو عبيدٍ ، وغيرُ واحدٍ[7] . وقِيل : إنه تُوفى فى سنةِ ثنتينِ

(١) تاريخ الطبرى ٦/ ٣٤١.
(٢) انظر معجم البلدان ١/ ٥٠٤.
(٣) ترجمته فى : تاريخ الإسلام حوادث ووفيات ٨١- ١٠٠ هـ) ص ٤٥، والوافى بالوفيات ١٠/ ٨٤. وانظر نهاية الأرب ٢١/ ٢٢٩، ٢٣٢.
(٤) سقط من : م .
(٥) الاستيعاب ٢/ ٦٧٩، وأسد الغابة ٢/ ٤٩٢، والإصابة ٣/ ٢٢٧، وسير أعلام النبلاء ٤/ ٦٩. وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٨١- ١٠٠ هـ) ص ٥.
(٦) فى م : « محتنيا » .
(٧) تهذيب الكمال ١٢/ ٢٦٨، وسير أعلام النبلاء ٤/ ٧٢.

وثمانينَ . فاللَّهُ أعلم[1] .

عبدُ اللَّهِ بنُ شدَّادِ بنِ الهادِ[2] : [3]كان مِن العُبّادِ الزُّهّادِ العلماءِ ، وله وصايا وكلماتٌ حِسانٌ ، وقد روى عدَّةَ أحاديثَ عن الصحابةِ ، وعنه[4] خلقٌ مِن التابعين[3] .

---

(١) بعده فى ١ ٣، ص : « قال الشعبى : قال سويد بن غفلة : أنا أصغر من النبى ﷺ سنة . وقال عثمان ابن أبى شيبة : حدثنا أبى وعمى أبو بكر قال : حدثنا هشيم عن هلال بن حبان عن ميسرة أبى صالح عن سويد بن غفلة قال : أتانا مصدق النبى ﷺ وصليت معه ولم ألقه عليه السلام . وقال أبو حاتم : حدثنا أبو نعيم حدثنا حنش بن الحارث النخعى قال : رأيت سويد بن غفلة يمر بنا فى المسجد إلى امرأة له من بنى أسد وهو ابن سبع وعشرين ومائة سنة . وقال سفيان : عاصم قال : تزوج سويد بن غفلة وهو ابن ست عشرة ومائة سنة فكان يمشى يأتى الجمعة يؤمنا . وفى رواية : كان يؤمنا فى شهر رمضان فى قيام الليل وقد أتى عليه عشرون ومائة سنة . وقال أبو نعيم : حدثنا زهير عن عمران بن مسلم قال : كان سويد بن غفلة جل ما يصنع أن يكبر قبل أن يقول المؤذن : قد قامت الصلاة وقد كان سويد بن غفلة الصلاة والأذان عمله . وقال : لو استطعت أن أكون مؤذن الحى لفعلت . وقال أبو نعيم بن دكين : حدثنا حنش بن الحارث عن على بن مدرك قال : كان سويد بن غفلة يؤذن بالهاجرة فسمعه الحجاج وهو بالدير فقال : ائتونى بهذا المؤذن . فأتوا به إلى الحجاج فقال له : ما حملك على الصلاة بالهاجرة . فقال : صليتها فى هذا الوقت مع أبى بكر وعمر رضى الله عنهما . ولسويد بن غفلة مناقب كثيرة وقد رحل سويد إلى رسول الله ﷺ فوجده قد قبض وتولى أبو بكر فصحب أبا بكر وعمر وعثمان وعليا . وروى عنهم وعن خلق من الصحابة وكان إذا قيل له : أعطى فلان وولى فلان يقول : حسبى كسرى وملحى . وقال : إذا أراد الله أن ينسى أهل النار جعل لكل واحد منهم تابوتا من نار على قدره ثم أقفل عليه بأقفال من نار فلا يبقى فيه عرق إلا وفيه مسمار من نار ثم يجعل ذلك التابوت فى تابوت آخر من نار ثم يقفل عليه بأقفال من نار ثم يضرم بينهما نار فلا يرى أحد منهم أن فى النار غيره . وقال : إن الملائكة تمشى أمام الجنازة فيقولون : ماذا قدم . ويقول الناس : ماذا ترك » . ولعلها زيادة من الناسخ منقولة عن ترجمته من حلية الأولياء ٤/ ١٧٤.

(٢) انظر ترجمته فى : طبقات خليفة ١/ ٣٤٨، وتاريخ بغداد ٩/ ٤٧٣، وتهذيب الكمال ١٥/ ٨١، وسير أعلام النبلاء ٣/ ٤٨٨، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٨١- ١٠٠ هـ) ص ١١١، والوافى بالوفيات ١٧/ ٢١٠.

(٣ - ٣) زيادة من : ١ ٣، ١ ٢، م، ص.

(٤) فى م : « عن » .

محمدُ بنُ عليِّ بنِ أبى طالبٍ[1] : أبو القاسمِ وأبو عبدِ اللَّهِ أيضًا ، وهو المعروفُ **بابنِ الحنفيَّةِ** ، وكانت أُمُّه أَمَةً سوداءَ سِنْدِيَّةً مِن سَبْىِ[2] بنى حنيفةَ ، اسمُها خَوْلَةُ . وُلِد محمدٌ فى خلافةِ عمرَ بنِ الخطابِ ، ووفَد على معاويةَ ، وعلى عبدِ الملكِ بنِ مروانَ وقد صرَع مروانَ يومَ الجملِ وقعَد على صَدْرِه وأراد قتلَه فناشَده مروانُ باللَّهِ ، وتذَلّل له فأطلَقه ، فلَمَّا وفَد على عبدِ الملكِ ذكَّره بذلك ، فقال : عفوًا يا أميرَ المؤمنين . فعفا عنه وأجزَل له الجائزةَ . وكان محمدُ بنُ عليٍّ مِن ساداتِ قريشٍ ومِن الشُّجعانِ المشهورينَ ، ومِن الأقوياءِ المذكورينَ ، ولمّا بُويِع لابنِ الزبيرِ لم يُبايِعْه ، فجرَى بينهما شرٌّ عظيمٌ حتى هَمَّ ابنُ الزبيرِ به وبأهلِه ، كما تقدَّم ذلك . فلمّا قُتِل ابنُ الزبيرِ واستقَرَّ أمرُ عبدِ الملكِ وبايعَه ابنُ عمرَ ، تابَعه ابنُ الحنفيّةِ ، وقدِم المدينةَ فماتَ بها فى هذه السنةِ ، وقِيل : فى التى قبلَها ، أو فى التى بعدَها . ودُفِن بالبقيعِ . والرّافضةُ يَزعمونَ أنه بجبلِ رَضْوى ، وأنه حيٌّ يُرزقُ ، وهُمْ يَنْتظِرونه ، وقد قال كُثيِّرُ عزةَ[3] فى ذلك :

أَلَا إنَّ الأئمةَ مِن قريشٍ ... وُلاةَ الحقِّ أربعةٌ سَواءُ
عليٌّ والثلاثةُ مِنْ بَنيهِ ... [4]هُمُ الأسْباطُ ليس بهم خَفاءُ[4]
فسِبطٌ سِبْطُ إيمانٍ وبِرٍّ[5] ... وسِبْطٌ غيَّبتهُ كربلاءُ

---

(١) ترجمته فى: طبقات ابن سعد ٥/ ٩١، وطبقات خليفة ٢/ ٥٨٠، وتاريخ دمشق ٧٢٢/١٥ (مخطوط)، وتهذيب الكمال ٢٦/ ١٤٧، وسير أعلام النبلاء ٤/ ١١٠، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٨١- ١٠٠هـ) ص ١٨١، والوافى بالوفيات ٤/ ٩٩.

(٢) سقط من: م.

(٣) ديوان كثير عزة ص ٥٢١، والأغانى ٩/ ١٤، ١٥.

(٤ - ٤) فى الديوان: «هم أسباطه والأوصياء».

(٥) فى الديوان: «وحلم».

وسبطٌ [(1)]لا تَرَاهُ العينُ[1)] حتى يقودَ[(2)] الخيلَ يَقْدُمُها لواءُ

[(3)]تَغَيَّبَ لا يُرى عنهم زمانًا برَضْوَى عنده عسلٌ وماءُ[3)]

(١ - ١) فى الديوان : « لا يذوق الموت » .

(٢) فى م : « تعود » .

(٣ - ٣) فى ا ٣، ا ٢، م ، ص : « ولما هم ابن الزبير بابن الحنفية كتب ابن الحنفية إلى شيعتهم بالكوفة مع أبى الطفيل واثلة بن الأسقع ، وعلى الكوفة المختار بن أبى عبيد ، وقد كان ابن الزبير جمع لهم حطبا كثيرا على أبوابهم ليحرقهم بالنار ، فلما وصل كتاب ابن الحنفية إلى المختار ، وقد كان المختار يدعو إليه ، ويسميه المهدى ، فبعث المختار أبا عبد الله الجدلى فى أربعة آلاف فاستنقذوا بنى هاشم من يدى ابن الزبير . وخرج معهم ابن عباس فمات بالطائف ، وبقى ابن الحنفية فى شيعتهم ، فأمره ابن الزبير أن يخرج عنه ، فخرج إلى أرض الشام بأصحابه ، وكانوا نحو سبعة آلاف ، فلما وصل إلى ايلة كتب إليه عبد الملك يقول : إما أن تبايعنى وإما أن تخرج من أرضى . فكتب إليه ابن الحنفية : أبايعك على أن تؤمن أصحابى ؟ قال : نعم . فقام ابن الحنفية فى أصحابه ، فحمد الله واثنى عليه ، وقال : الحمد لله الذى حقن دماءكم ، وأحرز دينكم ، فمن أحب منكم أن يأتى مأمنه إلى بلده محفوظا فليفعل . فرحل عنه الناس إلى بلادهم حتى بقى فى سبعمائة رجل ، فأحرم بعمرة ، وقلد هديا وسار نحو مكة ، فلما أراد دخول الحرم بعث إليه ابن الزبير خيلًا فمنعه أن يدخل ، فأرسل إليه : إنا لم نأت لحرب ولا لقتال ، ولكن دعنا ندخل حتى نقضى نسكنا ، ثم نخرج عنك ، فأبى عليه وكان معه بدنٌ قد قلدها ، فرجع إلى المدينة فأقام بها محرما حتى قدم الحجاج وقتل ابن الزبير ، فكان ابن الحنفية فى تلك المدة محرما ، فلما سار الحجاج إلى العراق مضى ابن الحنفية إلى مكة وقضى نسكه ، وذلك بعد عدة سنين ، وكان القمل يتناثر منه فى تلك المدة كلها ، فلما قضى نسكه رجع إلى المدينة فأقام بها حتى مات ، وقيل : إن الحجاج لما قتل ابن الزبير بعث إلى ابن الحنفية يقول : قد قتل عدو الله فبايع . فكتب إليه : إذا بايع الناس كلهم بايعت . فقال الحجاج : والله لأقتلنك . فقال ابن الحنفية : إن لله فى كل يوم ثلاثمائة وستين نظرة فى اللوح المحفوظ ، فى كل نظرة منها ثلاثمائة وستون قضية ، فلعل الله تعالى أن يجعلنى فى قضية منها فيكفينيك . فكتب الحجاج بذلك إلى عبد الملك فأعجبه قوله ، وكتب إليه : قد عرفنا أن محمدا ليس عنده خلاف فارفق به فهو يأتيك ويبايعك . وكتب عبد الملك بكلامه ذلك - إن لله ثلاثمائة وستين نظرة - إلى ملك الروم ، وذلك أن ملك الروم كتب إلى عبد الملك يتهدده بجموع من الجنود لا يطيقها أحدٌ ، فكتب بكلام ابن الحنفية ، فقال ملك الروم : إن هذا الكلام ليس من كلام عبد الملك ، وإنما خرج من بيت نبوة . ولما اجتمع الناس على بيعة عبد الملك قال ابن عمر لابن الحنفية : ما بقى شىءٌ فبايع . فكتب بيعته إلى عبد الملك ، ووفد عليه بعد ذلك .

توفى ابن الحنفية فى المحرم بالمدينة ، وعمره خمسٌ وستون سنة ، وكان له من الولد عبد الله وحمزة وعلىٌ وجعفرٌ الأكبر والحسن وإبراهيم والقاسم وعبد الرحمن وجعفرٌ الأصغر وعونٌ ورقية ، وكلهم لأمهات شتى » .

وقال الزبيرُ بنُ بكَّارٍ[1] : كانتْ شيعتُه تزعُمُ أنه لم يَمُتْ ، وفيه يقولُ السّيدُ[2] :

أَلَا قلْ للوصىِّ فدَتْكَ نَفْسى ... أطَلْتَ بذلكَ الجبلِ المُقاما

أضرَّ بمَعْشَرٍ والَوْكَ مِنّا ... وسمَّوكَ الخليفةَ والإمَاما

وعادَوا فيكَ أهلَ الأرضِ طُرًّا ... مُقامُكَ عنهمُ[7] ستِّينَ عاما [٧/٩٥ر]

وما ذاقَ ابنُ خولةَ طعمَ موتٍ ... ولا وارتْ لهُ أرضٌ عِظاما

لقدْ أمْسى بمُورِقِ شِعبِ رَضْوى ... تراجِعُهُ الملائكةُ الكلاما

وإنَّ لهُ بهِ لمَقِيلَ صِدْقٍ ... وأنديةً تحدِّثُهُ كِراما

هدانا اللَّهُ [3]إذْ حُزتُم[3] لأمرٍ ... بهِ وعليهِ نلتمسُ التَّماما

تمامَ مودةِ[4] المهدىِّ حتى ... تَرَوْا راياتِه تَترى نظاما

وقد ذهَب طائفةٌ مِن الرافضةِ إلى إمامتِه ، وأنه يُنْتظَرُ خروجُه فى آخرِ الزمانِ ، كما يَنتظِرُ طائفةٌ أخرى منهم الحسنَ بنَ محمدٍ العسكرىَّ ، الذى يخرُجُ فى زعمِهم مِن سِردابِ سامَرَّا ، وهذا مِن خُرافاتِهم وهذيانِهم وجهلِهم وضلالِهم وبهتانِهم[5] ، وسنزيدُ ذلك وضوحًا فى موضعِه إن شاء اللَّهُ[6] .

---

(١) سير أعلام النبلاء ١١٣/٤. وانظر نسب قريش ص ٤٢، والأغانى ١٤/٩. وأيضا تاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٨١- ١٠٠ هـ) ص ١٨٣.

(٢) هو السيّد الحميرىّ الشاعر الشيعىّ.

(٣) فى م : « منهم » .

(٤ - ٤) فى الأصل، ص: « إذ خرتم » وفى م : « ادخرتم » .

(٥) فى م : « نوره » .

(٦) فى م : « ترهاتهم » .

(٧) بعده زيادة فى : ص . وهى من زيادات الناسخ .

ثم دخلت سنة ثِنتينِ وثمانيـنَ

ففى المحرَّمِ منها كانت وقعةُ الزاويةِ بينَ ابنِ الأَشعثِ والحجاجِ ، فى آخرِه . وكان أوّلُ يومٍ لأهلِ العراقِ على أهلِ الشّامِ ، ثم تواقَعوا يومًا آخرَ ، فحمَل سفيانُ ابنُ الأبردِ أحدُ أمراءِ أهلِ الشّامِ على ميمنةِ ابنِ الأشعثِ (١ فهزَمها ، وقتَل خلقًا[٢] مِن القُرّاءِ مِن أصحابِ ابنِ الأشعثِ ١) فى هذا اليومِ ، وخرَّ الحجاجُ للَّهِ ساجدًا بعدَ ما كان جَثَا على رُكْبتيهِ وسَلَّ شيئًا مِن سيفِه[٣] ، وجعَل يترحَّمُ على مصعبِ بنِ الزبيرِ ، ويقولُ : ما كان أكرمَه حينَ[٤] صبَر نفسَه للقتلِ .

وكان مِن جملةِ مَن قُتِل مِن أصحابِ ابنِ الأشعثِ : الطُّفَيلُ[٥] بنُ عامرِ بنِ واثلةَ[٦] الليثىُّ . ولما فرَّ أصحابُ ابنِ الأشعثِ رجَع ابنُ الأشعثِ بمَن بقِى معه ومَن اتَّبعه مِن أهلِ البصرةِ ، فسار حتى دخَل الكوفةَ ، فعمَد أهلُ البصرةِ إلى عبدِ الرحمنِ بنِ عباسٍ[٧] بنِ ربيعةَ بنِ الحارثِ بنِ عبدِ المطلبِ فبايعوه ، فقاتَلَ الحجاجَ خمسَ ليالٍ أشدَّ القتالِ ، ثم انصرَف فلحِق بابنِ الأشعثِ ، وتبِعه طائفةٌ مِن أهلِ البصرةِ ، فاسْتَنابَ الحجاجُ على البصرةِ أيوبَ بنَ الحكمِ بنِ أبى عقيلٍ ،

(١ - ١) سقط من : ص .
(٢) بعده فى م : « كثيرا » .
(٣) بعده فى الأصل : « واستقبل » .
(٤) فى م : « حتى » .
(٥) فى ١ ٣، ١ ٢، م، ص : « أبو الطفيل » . وانظر تاريخ الطبرى ٦/ ٣٤٣.
(٦) فى م : « وائلة » .
(٧) فى ١ ٢، م : « عياش » . وانظر تاريخ الطبرى ٦/ ٣٤٣.

ودخَل ابنُ الأشعثِ الكوفةَ، فبايعه أهلُها على خَلْعِ الحجاجِ وعبدِ الملكِ بنِ مروانَ، وتفاقَم الأمرُ، وكثُر متابعو ابنِ الأشعثِ على ذلك، واشتَدَّ الحالُ، وتفرَّقتِ الكلمةُ جدًّا، وعظُم الخَطْبُ، واتَّسعَ الخَرْقُ[1].

[2]قال الواقديُّ[3]: لما التقَى جيشُ الحجاجِ وجيشُ ابنِ الأشعثِ بالزاويةِ، جعَل جيشُ الحجاجِ يحمِلُ عليهم مرَّةً بعدَ مرَّةٍ، فقال القُرَّاءُ - وكان عليهم جَبَلَةُ ابنُ زَحْرٍ: أيها النّاسُ ليس الفرارُ مِن أحدٍ بأقبحَ منه[4] منكم، فقاتِلوا عن دينِكم ودُنياكم. وقال سعيدُ بنُ جبيرٍ نحوَ ذلك[5]، وقال الشّعبيُّ[6]: قاتِلُوهم على جَوْرِهم واستذلالِهم الضعفاءَ، وإماتتِهم الصلاةَ. ثم حمَلتِ القرّاءُ - وهم العلماءُ - على جيشِ الحجّاجِ حملةً صادقةً فبدَعوا[7] فيهم، ثم رجَعوا فإذا هم بمُقدَّمِهم جبلةُ بنُ زَحْرٍ[8] صريعًا، فهدَّهم ذلك، فناداهم جيشُ الحجاجِ: يا أعداءَ اللَّهِ، قد قتَلنا طاغيتَكم. ثم حمَل سفيانُ بنُ الأبردِ - وهو على خيلِ الحجاجِ على ميسرةِ ابنِ الأشعثِ - وعليها الأبردُ بنُ قرةَ التميميُّ - فانهزَمُوا ولم يُقاتِلوا كثيرَ قتالٍ، فأنكَر الناسُ منهم ذلك. وكان أميرُ ميسرةِ ابنِ الأشعثِ الأبردُ شجاعًا لا يَفِرُّ، وظَنوا أنه قد خامر، فنُقِضتِ الصفوفُ وركِب الناسُ[2]

---

(١) بعده في م: «على الراقع».

(٢ - ٢) زيادة من: ٣١، ٢١، م، ص.

(٣) لم نجد هذا السياق معزوا للواقدى. وانظر تاريخ الطبرى ٦/ ٣٤٢، ٣٤٣، ٣٥٧، ٣٥٨، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٨١- ١٠٠هـ) ص ١٠- ١٢.

(٤) سقط من: م.

(٥) تاريخ الطبرى ٦/ ٣٥٨.

(٦) تاريخ الطبرى ٦/ ٣٥٧.

(٧) في م: «فبرعوا».

(٨) في تاريخ الطبرى ٦/ ٣٥٧: «زحل».

(١) بعضُهم بعضًا ، وكان ابنُ الأشعثِ يحرِّضُ الناسَ على القتالِ ، فلمّا رأى ما الناسُ فيه أخَذ مَن اتَّبعه وذهَب إلى الكوفةِ فبايَعه أهلُها (١) .

ثم كانت **وقعةُ دَيْرِ الجماجمِ** فى شعبانَ مِن هذه السنةِ . قاله(٢) الواقدىُّ .

وذلك أنَّ ابنَ الأشعثِ لما قصَد الكوفةَ [٧/٩٥ظ] خرَج إليه أهلُها ، فتلقَّوه وحَفَوا به ودخَلوا بينَ يدَيه ، غيرَ أنَّ شِرْذمةً قليلةً أرادتْ أنْ تقاتِلَه دونَ مطرِ بنِ ناجيةَ نائبِ الحجاجِ ، فلم يُمكِنْهم ذلك ، فعدَلوا إلى القصرِ ، فلمّا وصَل ابنُ الأشعثِ (١) إلى الكوفـةِ (١) أمَر بالسلاليمِ فنُصِبتْ على قصرِ الإمارةِ فأخَذه واستنزَلَ مطرَ بنَ ناجيةَ وأراد قَتْلَه ، فقال له : استبقِنى فإنِّى خيرٌ مِن فرسانِك . فحبَسه ، ثم استدعاه فأطلَقه وبايَعه ، واستوثَق لابنِ الأشعثِ أمْرُ الكوفةِ ، وانضَمَّ إليه مَن جاء مِن أهلِ البصرةِ ، وكان ممَّن قدِم عليه عبدُ الرحمنِ بنُ العباسِ بنِ ربيعةَ بنِ عبدِ المطلبِ ، وأمَر بالمسالحِ مِن كلِّ جانبٍ ، وحُفِظتِ الثغورُ والطرقُ والمسالكُ .

ثم إنَّ الحجاجَ ركِب فى مَن معه مِن الجيوشِ الشّاميةِ مِن البصرةِ فى البرِّ ، حتى مرَّ بينَ القادسيةِ والعُذَيبِ ، وبعَث إليه ابنُ الأشعثِ عبدَ الرحمنِ بنَ العباسِ فى خيلٍ عظيمةٍ مِن المِصرين فمنَعُوا الحجاجَ مِن نزولِ(٣) القادسيةِ ، فسار الحجاجُ حتى نزَل دَيْرَ قُرَّةَ ، وجاء ابنُ الأشعثِ بمَن معه مِن الجيوشِ البصريةِ والكوفيةِ حتى نزَل دَيْرَ الجماجمِ ، ومعه جنودٌ كثيرةٌ ، وفيهم القرّاءُ (٤) مِن المِصرَيْن (٤) وخَلْقٌ مِن

(١ - ١) زيادة من : ٣١ ، ٢١ ، م ، ص .

(٢) فى م : « قال » . وانظر تاريخ الطبرى ٦/ ٣٤٦.

(٣) فى م : « دخول » .

(٤ - ٤) زيادة من : الأصل .

الصالحينَ ، وكان الحجاجُ بعدَ ذلك يقولُ : قاتَلَ اللَّهُ ابنَ الأشعثِ ، أَمَا كان يزجُرُ الطيرَ حيثُ رآنى قد نزَلتُ دَيْرَ قُرَّةَ ونزَل هو بدَيْرِ الجماجمِ . وكان جملةُ مَن اجتَمع مع ابنِ الأشعثِ مائةَ ألفِ مقاتلٍ ممَّن يأخُذُ العطاءَ ، ومعهم مِثلُهم مِن مَواليهم ، وقدِم على الحجـــاجِ فى غُبونِ ذلك أمدادٌ كثيرةٌ مِن الشّامِ[1] ، وخَندَقَ كلٌّ مِن الطائفتينِ [2]على نفسِه وحولَ جيشِه[2] خندقًا [3]يمتنِعُ به[3] مِن الوصولِ إليهم ، غيرَ أنَّ الناسَ كان يبْرُزُ بعضُهم لبعضٍ فى كلِّ يومٍ فيقتَتِلونَ قتالًا شديدًا فى كلِّ يومٍ ، حتى أُصِيب مِن رُءوسِ الناسِ خَلْقٌ مِن قريشٍ وغيرِهم ، واستمرَّ هذا الحالُ مدَّةً طويلةً ، واجتمَع الأمراءُ مِن أهلِ المشورةِ عندَ عبدِ الملك بنِ مَرْوانَ ، فقالوا له : إنْ كان أهلُ العراقِ يرضِيهم منك أنْ تَعْزِلَ عنهم الحجاجَ فهو أَيْسرُ مِن قتالِهم وسفكِ دمائِهم . فاستحضَر عبدُ الملكِ عندَ ذلك أخاه محمدَ بنَ مروانَ ، وابنَه عبدَ اللَّهِ بنَ عبدِ الملكِ بنِ مروانَ ، ومعهما جنودٌ كثيرةٌ جدًّا ، وكتَب معهما كتابًا إلى أهلِ العراقِ يقولُ لهم : إنْ كان يرضِيكم منّى عَزْلُ الحجاجِ عنكم ، عزلتُه ، وأبقيتُ[4] عليكم أَعطياتِكم مثلَ أهلِ الشّامِ ، وَلْيَخْتَرِ ابنُ الأشعثِ أىَّ [٩٦/٧و] بلدٍ شاء ، يكونُ عليه أميرًا ما عاش وعِشتُ ، وتكونُ إمرةُ العراقِ لمحمدِ بنِ مروانَ . وقال فى عهدِه هذا : فإنْ لم يُجِبْ أهلُ العراقِ إلى ذلك فالحجاجُ على ما هو عليه ، وإليه إمرةُ الحربِ ، ومحمدُ بنُ مَرْوانَ وعبدُ اللَّهِ بنُ عبدِ الملكِ فى طاعتِه وتحتَ أَمْرِه لا يخرُجونَ

---

(١) بعده فى الأصل : « ومن عند أمير المؤمنين عبد الملك بن مروان » .

(٢ - ٢) فى الأصل : « حولهم » .

(٣ - ٣) فى الأصل : « يمنع » .

(٤) فى م : « بعثت » .

عن رأْيِه فى الحربِ وغيرِه .

ولما بلَغ الحجاجَ ما كتَب به عبدُ الملكِ إلى أهلِ العراقِ مِن عَزْلِه إنْ رضُوا به ، شَقَّ عليه ذلك مشقةً عظيمةً جدًّا ، وعظُم شأنُ هذا الرأيِ عندَه ، وكتَب إلى عبدِ الملكِ : يا أميرَ المؤمنينَ ، واللَّهِ لئن أعطيتَ أهلَ العراقِ نَزْعى عنهم[(١)] لا يلبثون إلا قليلًا حتى يُخالِفُوكَ ويَسيرُوا إليك ، ولا يزيدُهم ذلك إلا جُرْأةً عليك ، ألم تَرَ وتسمَعْ بوُثوبِ أهلِ العراقِ مع الأشْترِ النَّخَعىِّ على ابنِ عفّانَ ، فلمّا سألَهم : ما يُريدونَ ؟ قالوا : نَزْعَ سعيدِ بنِ العاصِ . فلمّا نزَعه لم تَتِمَّ[(٢)] لهم السَّنةُ حتى ساروا إليه فقتلَوه ؟ وإنَّ الحديدَ بالحديدِ يُفْلَحُ[(٣)] ، كان اللَّهُ لك فيما ارتأيتَ ، والسلامُ عليك .

قال[(٤)] : فأبَى عبدُ الملكِ إلا عرْضَ هذه الخصالِ على[(٥)] أهلِ العراقِ كما أمَر ، فتقدَّم عبدُ اللَّهِ ومحمدٌ ، فنادَى عبدُ اللَّهِ : يا معشرَ أهلِ العراقِ ، أنا عبدُ اللَّهِ ابنُ أميرِ المؤمنيـنَ عبدِ الملك بنِ مروانَ ، وإنه يَعرِضُ عليكم كَيتَ وكَيتَ . فذكَر[(٦)] ما كتَب به أبوه معه إليهم مِن[(٦)] هذه الخصالِ . وقال محمدُ بنُ مروانَ : وأنا رسولُ أخى أميرِ المؤمنين إليكم بذلك . فقالوا : ننظُرُ فى أمرِنا غدًا ونرُدُّ عليكم الخبرَ عشيةً . ثم انصرَفُوا ، فاجتمَع جميعُ الأمراءِ إلى ابنِ الأشعثِ ، فقام فيهم خطيبًا

---

(١) سقط من : الأصل .

(٢) فى الأصل : « تقم » .

(٣) فى الأصل ، ا ٣ ، ا ٢ ، ص : « يقرع » . والمثبت كما فى تاريخ الطبرى ٦/ ٣٤٨ . وفلح الحديدَ فلحا إذا شقه وقطعه .

(٤) تاريخ الطبرى ٣٤٨/٦ وما بعدها .

(٥) بعده فى الأصل : « العراق إرادة العافية من الحرب وكتب إلى جنده فعرض ذلك على » .

(٦ - ٦) زيادة من : ا ٣ ، ا ٢ ، م ، ص .

ونَدَبهم إلى قبولِ ما عُرِض عليهم مِن عَزْلِ الحجاجِ عنهم ، وبيعةِ عبدِ الملكِ وإبقاءِ الأَعْطِياتِ ، (١ وإمْرةِ محمدِ بنِ مروانَ على العراقِ بدَلَ الحجاجِ ١) . فنفَر الناسُ مِن كلِّ جانبٍ ، وقالوا : لا واللَّهِ لا نَقبَلُ ذلك ، نحن أكثرُ عَددًا وعِددًا ، وهم فى ضِيقٍ مِن الحالِ ، وقد حكَمنا عليهم وذَلُّوا لنا ، واللَّهِ لا نُجيبُ إلى ذلك أبدًا . ثم جدَّدوا خَلْعَ عبدِ الملكِ (٢ بنِ مروانَ ٢) ثانيةً ، واتَّفقوا على ذلك كلُّهم .

فلمّا بلَغ عبدَ اللَّهِ بنَ عبدِ الملكِ وعمَّه محمدَ بنَ مروانَ الخبرُ ، قالا للحجّاجِ : شأنَك بهم إذًا ، فنحنُ فى طاعتِك كما أمَرَنا أميرُ المؤمنينَ . فكانا إذا لقِياه سلَّما عليه بالإمرةِ ، ويُسلِّمُ هو أيضًا عليهم بالإمرةِ ، وتولَّى الحجاجُ أمرَ الحربِ وتدبيرَها كما كان قبلَ ذلك ، فعندَ [٩٦/٧ظ] ذلك برَز كُلٌّ مِن الفريقينِ للقتالِ والحربِ ، فجعَل الحجاجُ على ميمنتِه عبدَ الرحمنِ بنَ (٣ سُليم الكلبيَّ ٣) ، وعلى ميسرتِه عُمارةَ بنَ تميمٍ اللخميَّ ، وعلى الخيلِ سفيانَ بنَ الأبردِ ، وعلى الرَّجّالةِ عبدَ الرحمنِ بنَ حبيبٍ الحكَمِيَّ ، وجعَل ابنُ الأشعثِ على ميمنتِه الحجاجَ بنَ حارثةَ الخثعميَّ (٤) ، وعلى الميسرةِ الأبردَ بنَ قُرَّةَ التميميَّ ، وعلى الخيَّالةِ عبدَ الرحمنِ بنَ عبّاسِ بنِ ربيعةَ (٥) ، وعلى الرَّجّالةِ محمدَ بنَ سعدِ بنِ أبى وقّاصٍ الزُّهريَّ ، وعلى القُرَّاءِ جبلةَ بنَ زَحْرِ بنِ قيسٍ الجُعْفِيَّ ، وكان فى القرّاءِ سعيدُ بنُ جبيرٍ وعامرٌ الشعبيُّ وعبدُ الرحمنِ بنُ أبى ليلى وكُميلُ بنُ زيادٍ - وكان شجاعًا فاتكًا على

(١ - ١) فى الأصل : « وإبقاء إمرة محمد بن مروان على العراق » .

(٢ - ٢) فى ا ٣، ا ٢، م، ص : « ونائبه » .

(٣ - ٣) فى ا ٣، ا ٢، م، ص : « سليمان » . وانظر تاريخ الطبرى ٦/ ٣٤٩.

(٤) فى م : « الجشم » .

(٥) فى ا ٣، ا ٢، م، ص : « أبو ربيعة » . وانظر تاريخ الطبرى ٦/ ٣٤٩.

كِبرِ سنِّه – وأبو البَخْتَرىِّ الطائىُّ ، وغيرُهم .

وجعَلوا يقتَتلون فى كلِّ يومٍ ، وأهلُ العراقِ تأتيهم المِيرَةُ ، مِن الرساتيقِ والأقاليمِ ؛ مِن العَلَفِ والطّعامِ وغيرِه[1] ، وأما أهلُ الشَّامِ الذينِ مع الحجاجِ [2]ففى ضيقٍ[2] مِن العيشِ ، وقِلَّةٍ مِن الطَّعامِ ، وقد فقَدُوا اللحمَ بالكُلِّيَةِ فلا يَجِدونه ، وما زالتِ الحربُ بينَهم فى هذه المدَّةِ كلِّها حتى انسلَخَتْ هذه السنةُ ، وهم على حالِهم وقتالِهم فى كلِّ يومٍ أو يومٍ بعدَ يومٍ ، والدائرةُ لأهلِ العراقِ على أهلِ الشَّامِ فى أكثرِ الأيامِ . [3]وقد قُتِل مِن أصحابِ الحجاجِ زيادُ بنُ غَنْمٍ ، وكسَر بِسطامُ بنُ مَصقلةَ فى أربعةِ آلافِ جفونَ سيوفِهم ، واستقتَلوا ، وكانوا مِن أصحابِ ابنِ الأشعثِ[3] .

وفى هذه السنةِ كانت وفاةُ **المُهَلَّبِ بنِ أبى صُفْرَةَ** ، [4]**وهو المُهَلَّبُ بنُ أبى صُفْرةَ ظالمُ أبو سعيدٍ الأَزْدِىُّ**[5] ، أحدُ أشرافِ أهلِ البصرةِ ووجوهِهم ودُهاتِهم وأجوادِهم وكرمائِهم . وُلِد عامَ الفتحِ ، وكانوا ينزِلون فيما بينَ عُمانَ والبحرينِ ، وقد ارتَدَّ قومُه فقاتلَهم عكرمةُ بنُ أبى جهلٍ فظفِر بهم ، وبعَث بهم إلى[4]

---

(١) سقط من : م .

(٢ – ٢) فى ا ٣، ٢١، م، ص : « فهم فى أضيق حال » .

(٣ – ٣) سقط من : الأصل . وانظر تاريخ الطبرى ٦/ ٣٦٦، ٣٦٧.

(٤ – ٤) زيادة من : ٣١ ، ٢١ ، م ، ص .

(٥) انظر ترجمته فى : طبقات ابن سعد ٧/ ١٢٩، والمعارف ٣٩٩، وتاريخ دمشق ١٧/ ٤٤١ (مخطوط) وسير أعلام النبلاء ٤/ ٣٨٣، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٨١– ١٠٠هـ) ص ٢٠٦، والإصابة ٦/ ٣٨٦.

(١) الصِّدِّيقِ وفيهم أبو صُفْرَةَ وابنُه المُهَلَّبُ غلامٌ لم يبلُغِ الحِنْثَ ، ثم نزَل المُهَلَّبُ البصرةَ وقد غزا فى أيامِ معاويةَ أرضَ الهندِ سنةَ أربعٍ وأربعينَ ، وولِى الجزيرةَ لابنِ الزبيرِ سنةَ ثمانٍ وستينَ ، ثم ولِى حربَ الخوارجِ أوَّلَ دولةِ الحجاجِ ، وقَتل منهم فى وقعةٍ واحدةٍ أربعةَ آلافٍ وثمانِمائةٍ ، فعظُمَتْ منزلتُه عندَ الحجاجِ . وكان فاضلًا شجاعًا كريمًا يُحِبُّ المدحَ ، وله كلامٌ حسنٌ ؛ فمِنه : نِعمَ الخَصلةُ السَّخاءُ ، تسترُ عورةَ الشريفِ وتلحَقُ خَسيسَةَ[٢] الوضيعِ ، وتُحبِّبُ المزهودَ فيه[٣] . وقال[٤] : يُعجِبُنى فى الرَّجلِ خَصْلتانِ ؛ أن أرى عقلَه زائدًا على لسانِه ، ولا أرى لسانَه زائدًا على عقلِه .

تُوفِّى المُهَلَّبُ غازيًا بمَرْوِ الرُّوذِ ، وعمرُه ستةٌ وسبعون سنةً ، رحِمه اللَّهُ . وكان له عشَرةٌ مِن الولدِ ، وهم : يزيدُ ، وزيادٌ ، والمفضَّلُ ، ومُدْرِكٌ ، وحبيبٌ ، والمغيرةُ ، وقَبيصةُ ، ومحمدٌ ، وهندُ ، وفاطمةُ . تُوفى المُهَلَّبُ (١) فى ذى الحجةِ منها ، وكان مِن الشُّجعانِ ، وله مواقفُ حميدةٌ وغزواتٌ مشهورةٌ فى التركِ والأزارقةِ وغيرِهم مِن أنواعِ الخوارجِ[٥] ، وجعَل الأمرَ مِن بعدِه لولدِه يزيدَ بنِ المهلبِ على إمرةِ خُراسانَ ، فأمضَى ذلك الحجاجُ وعبدُ الملكِ بنُ مروانَ .

(٦) وفى جمادَى الآخِرةِ منها عزَل أميرُ المؤمنين عبدُ الملكِ بنُ مروانَ عن (٦)

(١ - ١) زيادة من : ٣١ ، ٢١ ، م ، ص .
(٢) فى الأصل ، ٣١ ، ٢١ ، ص : « خسيسته » ، وانظر مختصر تاريخ دمشق ٤٥/٢٦ .
(٣) تاريخ دمشق ٤٥١/١٧ (مخطوط) .
(٤) تاريخ دمشق ٤٥٠/١٧ (مخطوط) .
(٥) بعده فى الأصل : «وأصناف الكفرة وقد أوصى عند موته بكلمات تشتمل على مكارم الأخلاق ومحاسن القيم ومعالى الهمم» .
(٦ - ٦) سقط من : ا ٣، ا ٢، م، ص . وانظر تاريخ الطبرى ٦/ ٣٥٥، ٣٥٦.

(١) إمْرَةِ المدينةِ أبانَ بنَ (٢) عثمانَ وولَّى عليها هشامَ بنَ إسماعيلَ المخزوميَّ ، وكانت ولايةُ أبانَ على المدينةِ سبعَ سنين وثلاثةَ أشهُرٍ وثلاثةَ عشَرَ يومًا ، وكان على إمرةِ بلادِ المشرقِ بكمالِه الحجاجُ بنُ يوسفَ ، والنوّابُ فى الأقاليمِ مِن تحتِ يدِه ، وهو مشغولٌ عن تدبيرِ الممالكِ بحربِ ابنِ الأشعثِ فى هذه المدةِ كلِّها .

قال أبو معشرٍ (٣) : وحجَّ بالناسِ فى هذه السنةِ أبانُ بنُ عثمانَ الذى كان نائبَ المدينةِ .

[٩٧/٧و] **وفيها تُوفِّى** (١) (٤) **أسماءُ بنُ خارجةَ الفَزارىُّ الكوفىُّ** (٥) ، كان جوادًا مُمدَّحًا ، حُكى عنه أنه رأى يومًا شابًّا على بابِ دارِه جالسًا ، فسألَه عن قعودِه على بابِه فقال : حاجةٌ لا أستطيعُ ذِكْرَها . فألَحّ عليه ، فقال : جاريةٌ رأيتُها دخلَتْ هذه الدارَ ، لم أَرَ أحسنَ منها وقد خطَفتْ قلبى معها . فأخَذ بيدِه وأدخَله دارَه ،وعرَض عليه كُلَّ جاريةٍ عندَه حتى مرَّتْ تلك الجاريةُ فقال : هذه ؟ فقال له : اخْرُجْ فاجلِسْ على البابِ مكانَك . فخرَج الشّابُّ فجلَس مكانَه ، ثم خرَج إليه بعدَ ساعةٍ والجاريةُ معه قد ألبَسها أنواعَ الحُلِىِّ ، وقال له : ما منَعَنى أنْ أدفعَها إليك وأنت داخلَ الدارِ إلا أنَّ الجاريةَ كانت لأُختى ، وكانت ضنينةً بها ، فاشتريتُها لك منها بثلاثةِ آلافٍ ، وألْبستُها هذا الحُلِىَّ ، فهى لك بما عليها . فأخَذها الشّابُّ وانصرَف (٤) .

(١ - ١) سقط من : ا ٣، ا ٢، م، ص. وانظر تاريخ الطبرى ٦/ ٣٥٥، ٣٥٦.

(٢) سقط من : الأصل. وانظر تاريخ الطبرى ٦/ ٣٥٥.

(٣) تاريخ الطبرى ٦/ ٣٥٦.

(٤ - ٤) سقط من : الأصل.

(٥) انظر ترجمته فى : تاريخ دمشق ٩/ ٥١، وسير أعلام النبلاء ٣/ ٥٣٥، وفوات الوفيات ١/ ١٦٨، ١٦٩، والوافى بالوفيات ٩/ ٥٩، والإصابة ١/ ١٩٥.

(١)**المغيرةُ بنُ المهلَّبِ بنِ أبى صُفْرةَ**(٢) ، كان جوادًا مُمَدَّحًا شجاعًا ، له مواقفُ مشهورةٌ .

الحارثُ بنُ عبدِ اللَّهِ بنِ أبى(٣) **ربيعةَ المخزوميُّ**(٤) ، المعروفُ بقُبَاعٍ ، ولِى إمْرةَ البصرةِ لابنِ الزبيرِ .

محمدُ بنُ أسامةَ بنِ زيدِ بنِ حارثةَ(٥) ، كان مِن فضلاءِ أبناءِ الصحابةِ وأعقلِهم . تُوفى بالمدينةِ ، ودُفن بالبقيعِ .

عبدُ اللَّهِ بنُ أبى طلحةَ بنِ الأسودِ(٦) ، والدُ الفقيهِ إسحاقَ . حمَلتْ به أُمُّه أمُّ سليمٍ ليلةَ ماتَ ابنُها ، فأصبَح أبو طلحةَ فأعلَم النبىَّ ﷺ ، فقال ﷺ : « أعرَسْتُم ؟ بارَك اللَّهُ لكما فى ليلتِكما »(٧) . ولمَّا وُلِد حنَّكه بتَمَراتٍ .

عبدُ اللَّهِ بنُ كعبِ بنِ مالكٍ(٨) ، كان قائدَ كعبٍ حينَ عمِى ، له رواياتٌ . تُوفِّى بالمدينةِ هذه السنةَ(١) .

(١ - ١) سقط من : الأصل .

(٢) انظر ترجمته فى : وفيات الأعيان ٥/ ٣٥٤، وفوات الوفيات ٢/ ٣٠، ٣١، وخزانة الأدب ١٠/ ٤، وانظر الكامل فى التاريخ ٤/ ٤٧٢.

(٣) سقط من النسخ . وانظر مصادر ترجمته التالية .

(٤) انظر ترجمته فى : طبقات ابن سعد ٥/ ٢٨، ٤٦٤، وأسد الغابة ١/ ٤٠٢، وسير أعلام النبلاء ٤/ ٤٨١، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٨١- ١٠٠هـ) ص ٤٨، والإصابة ٢/ ١٩٥.

(٥) سقط من النسخ . انظر ترجمته فى : طبقات ابن سعد ٥/٢٤٦، والثقات لابن حبان ٥/ ٣٥٣، ومشاهير علماء الأمصار ٥/ ٦٧، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٨١- ١٠٠هـ) ص ١٧٩.

(٦) فى م : « أبى الأسود » . وانظر ترجمته فى : طبقات ابن سعد ٥/ ٧٤، والاستيعاب ٣/ ٩٢٩، وأسد الغابة ٣/ ٢٨٤، وتهذيب الكمال ١٥/ ١٣٣، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٨١- ١٠٠ هـ) ص ١١٣، والإصابة ٥/ ١٥.

(٧) البخارى (٥٤٧٠)، ومسلم (٢٣/ ٢١٤٤) .

(٨) انظر ترجمته فى : طبقات ابن سعد ٥/ ٢٧٢، والجرح والتعديل ٥/ ١٤٢، وتهذيب الكمال =

(١ سفيانُ(٢) بنُ وَهْبٍ أبو أيمنَ الخَوْلَانِيُّ المصريُّ ، له صُحبةٌ وروايةٌ ، وغزا المغربَ ، وسكَن مصرَ وبها مات ١) .

جَميلُ بنُ عبدِ اللَّهِ(٣) بنِ مَعْمرِ بنِ صُبَاحِ(٤) بنِ ظَبْيانَ بنِ حُنٍّ(٥) بنِ ربيعةَ بنِ حَرامِ بنِ ضِنَّةَ(٦) بنِ عبدِ(٧) بنِ كَثِيرِ(٨) بنِ عُذْرةَ بنِ سعدِ بنِ(٩) هُذَيمِ بنِ زيدِ بنِ ليثِ بنِ سُودِ(١٠) بنِ أَسْلَمَ بنِ الحافِ بنِ قُضَاعةَ ، أبو عمرٍو الشّاعرُ ، صاحبُ بُثينةَ ، كان قد خطَبها فمنِعتْ منه ، فتغَزَّل فيها ، واشتُهِر بها ، وكان أحدَ عشّاقِ العربِ(١١) ، كانت إقامتُه بوادى القُرى (١٢ وما حولَه ١٢) ، وكان عفيفًا صيِّنًا(١٣)

= ١٥/ ٤٧٣، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٨١- ١٠٠هـ) ص ٧٤٨، والوافى بالوفيات ١٧/ ٤١١.

(١ - ١) سقط من : الأصل .

(٢) تحرفت فى ا ٣، ا ٢، م، ص إلى : « عفان » . وانظر ترجمته فى : الاستيعاب ٢/ ٦٣١، وأسد الغابة ٢/ ٤١٠، والإصابة ٣/ ١٣١.

(٣) انظر ترجمته فى : طبقات فحول الشعراء ٢/ ٦٦٩، ، والشعر والشعراء ١/ ٤٣٤، والأغانى ٨/ ٩٠، وتاريخ دمشق ١١/ ٢٥٥، ووفيات الأعيان ١/ ٣٦٦، وسير أعلام النبلاء ٤/ ٣٨٥، ٣٨٦، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٨١- ١٠٠ هـ) ص ٣١١، والوافى بالوفيات ١١/ ١٨٢.

(٤) فى الأغانى ٨/ ٩٠: « الحارث » .

(٥) فى ا ٣، ص: « سحن » . وفى م: « الحسن » . وضبطه ابن خلكان هكذا ؛ بضم الحاء المهملة وتشديد النون .

(٦) فى النسخ، ووفيات الأعيان: « ضبة » والمثبت من الأغانى، وتاريخ دمشق. وانظر التاج (ض ن ن) .

(٧) فى م: « عبيد » . وفى ص: « عبد الله » .

(٨) فى تاريخ دمشق: « كبير » .

(٩) سقط من: الأصل. وتوقف نسبه فى تاريخ دمشق عند « سعد » . وفى الأغانى : « بن سعد ، وهو هذيم ؛ وسمى بذلك إضافة لاسمه إلى عبد لأبيه يقال له : هذيم . كان يحضنه فغلب عليه » .

(١٠) فى ا ٣، ا ٢، م: « سرهد » . وفى ص: « سرمد » . وانظر الأغانى .

(١١) فى الأصل: « العراق » .

(١٢ - ١٢) سقط من: م .

(١٣) فى م: « حييا » .

دَيِّنًا شاعرًا إسلاميًّا ، مِن أفصحِ الشعراءِ فى زمانِه .

وكان كُثَيِّرُ عزَّةَ راويتَه ، وهو يَرْوِى عن هُدْبَةَ بنِ خَشْرَمٍ [(١)] ، عن الحطيئةِ ، عن زهيرِ بنِ أبى سُلْمى وابنِه كعبٍ . قال كثيِّرُ عزةَ [(٢)] : كان جَميلٌ أشعرَ العربِ ، حيثُ يقولُ [(٣)] :

وخبَّرتُمانِى [(٤)] أنَّ تيماءَ منزلٌ ... لليْلَى إذا ما الصّيفُ ألقَى المَراسِيا

فهذِى شهورُ الصّيفِ عنَّا قد انقضَت ... فما للنَّوى ترْمى بلَيلَى [(٥)] المَرامِيا

ومنها قولُه :

وما [(٦)] زِلتِ بِى يا بَثْنُ [(٦)] حتى لوَ اننى ... مِن الشّوقِ أستَبْكِى الحمامَ بكَى ليا

وما زادَنى الواشونَ إلا صَبابةً ... ولا كثرةُ النَّاهيـنَ إلا تمادِيا

وما أحدثَ النّأىُ المفرِّقُ بينَنا ... سُلُوًّا ولا طولُ الليالى [(٧)] تَقَاليا

ألم تَعْلمِى يا عَذْبةَ الرِّيقِ أنَّنى ... أظَلُّ إذا لم ألقَ وجهَكِ صاديا

لقد خِفتُ أن ألقَى المنيةَ بغتةً ... وفى النَّفسِ حاجاتٌ إليكِ كما هيا

ومما أورد له القاضى ابنُ خَلِّكانَ فى الوفياتِ [(٨)] قولَه :

---

(١) فى م : « خترم » . وانظر وفيات الأعيان ١/ ٣٦٦، ٣٦٧.

(٢) الأغانى ٨/ ١٢٥، ووفيات الأعيان ١/ ٣٦٧.

(٣) الأبيات فى ديوانه ص ١٣٩، والأغانى ٨/ ١٢٥، ١٢٦، ووفيات الأعيان ١/ ٣٦٧.

(٤) فى م : « وأخبرتمانى » . وانظر ديوانه ص ١٣٩.

(٥) فى الأصل، ا ٣، ا ٢: « بنيل » .

(٦ - ٦) فى الأصل، ا ٣، ا ٢، ص : « زلتم نائين » . وانظر الديوان ١٣٩.

(٧) فى م : « اجتماع » . وهى كذلك فى الديوان ، وفى الأغانى : « التلقى » . وانظر وفيات الأعيان ١/ ٣٦٧.

(٨) وفيات الأعيان ١/٣٦٧ ، وانظر ديوانه ص ٦٠ ، والأغانى ٨/١٠٢ ، وتاريخ دمشق ١١/٢٧٦ .

إنِّى لأحفظُ سِرَّكم[1] ويسرُّنى ²لو تعلمينَ² بصالحٍ[3] أن تُذْكَرى

إلى أن قال[4]:

ما أنتِ والوعدُ الذى تَعدِينَنى إلّا كبرقِ سحابةٍ لم تُمْطرِ

وقولُه[5] – ورُوى لعُمرَ بنِ أبى ربيعةَ، فيما نقَله ابنُ عساكرَ –: [٧/٩٧ظ]

مازلتُ أَبغِى الحىَّ أتبعُ فَلَّهم حتى دُفعتُ[6] إلى ربيبةِ هَوْدَجِ

فدنوتُ مُختفيًا أُلِمُّ ببيتِها حتى ولَجتُ إلى خَفىِّ المَولِجِ[7]

⁸قالتْ وعيشِ أخى ⁹ونعمةِ⁹ والدِى⁸ لأُنبِّهنَّ الحىَّ إنْ لم تَخرُجِ

فتناولتْ رأسى ¹⁰لِتعرفَ مسَّه¹⁰ بمُخضَّبِ الأطرافِ غيرِ مشنَّجِ

فخرَجتُ خِيفةَ أهلِها فتبسَّمتْ فعلِمتُ أنَّ يمينَها ¹¹لم تَحرَجِ¹¹

---

(١) فى م: «غيبكم». وانظر مصادر التخريج.

(٢ – ٢) فى الأغانى: «إذ تذكرين».

(٣) فى ا ٣، ا ٢، ص: «مصالحا».

(٤) الديوان ٦١، والأغانى ٨/ ١٠٢، ووفيات الأعيان ١/ ٣٦٨.

(٥) الأبيات ليست فى ديوان جميل (ط. صادر). وبعضها فى الشعر والشعراء ٤٤١/١ منسوبا لجميل. والأبيات ضمنها الأستاذ / محيى الدين عبد الحميد شارح ديوان عمر بن أبى ربيعة القسمَ الثالث، من شرح الديوان؛ فيما نسب إلى عمر بن أبى ربيعة وليس فى أصول الديوان. وما أورده المصنف عزاه ابن خلكان فى وفيات الأعيان ١/ ٣٦٩- ٣٧٠ إلى ابن عساكر فى تاريخه. وهو بنحوه فى تاريخ دمشق ١١/ ٣٨٣- ٣٧٤، لجميل أو غيره.

(٦) فى الأصل: «رفعت». وهو فى شرح ديوان ابن أبى ربيعة ٤٨٨:

مازلت أتبعهم اسمع حدوهم حتى دخلت على ربيبة هودج.

(٧) فى النسخ: «المدلج». وانظر مصادر التخريج.

(٨ – ٨) فى شرح ديوان عمر بن أبى ربيعة: «قالت وعيش أبى وحرمة إخوتى».

(٩ – ٩) فى الشعر والشعراء: «ونقمة».

(١٠ – ١٠) فى الأصل: «مسه». وفى ا ٣، ا ٢، ص: «بجيد».

(١١ – ١١) فى الأصل، والشعر والشعراء، وتاريخ دمشق، ووفيات الأعيان: «لم تلجج» وفى ا ٣، =

فلثمتُ فاها آخِذًا بقرونِها ... (١ شُربَ (٢) النزيفِ ببردِ ماءِ الحَشْرجِ ١)

قال كثيِّرُ عزَّةَ (٣) : لقِينى جَميلُ بثينةَ ، فقال : مِن أين أقبلتَ ؟ فقلتُ : مِن عندِ (٤ هذه الحبيبةِ ٤) . فقال : وإلى أين ؟ فقلتُ : إلى هذه الحبيبةِ - يعنى عزَّةَ - فقال : أقسمتُ عليكَ لمَاَ (٥) رجعتَ إلى بثينةَ فواعَدتَها لى ؛ فإن لى مِن أوَّلِ الصَّيفِ (٦) ما رأيتُها ، وكان آخرُ عهدِى بها بوادِى الدَّوْمِ (٧) ، وهى تغسِلُ هى (٨ وأمُّها ٨) ثوبًا ، فتحادَثنا إلى الغُروبِ . قال كثيِّرٌ : فرجَعتُ حتى أَنختُ بهم . فقال أبو بثينةَ : ما ردَّكَ يا ابنَ أخِى ؟ فقُلتُ : أبياتٌ قلتُها ، فرجَعتُ لأعرِضَها عليك . فقال : وما هى ؟ فأنشدتُه ، وبثينةُ تسمَعُ مِن وراءِ الحجابِ :

فقلتُ لها يا عزُّ أُرسِلُ صاحبى ... إليكِ رسولًا والرسولُ مُوَكَّلُ (٩)

بأن تجعَلى بينى وبينَكِ موعدًا ... وأنْ تأمُرِينى (١٠)(١١ ماالذى ١١) فيهأفعَلُ

= ص : « بتلجلج » . وفى ا ٢ : « تلجلج » . وانظر شرح ديوان عمر بن أبى ربيعة ٤٨٨ . وأحرج فى يمينه : حنث فيها .

(١ - ١) فى ا ٣ ، ا ٢ ، م ، ص : « فرشفت ريقًا باردًا متثلج » .

(٢) فى الشعر والشعراء : « فعل » .

(٣) الشعر والشعراء ١/ ٤٣٥، ٤٣٦، والأغانى ٨/ ١٠٦، ١٠٧، باختلاف يسير ، وتاريخ دمشق ١١/ ٢٦٥، ٢٦٦- ٢٦٧. بروايتين مختلفتين ، ووفيات الأعيان ١/ ٣٦٨- ٣٦٩.

(٤ - ٤) فى المصادر : « أبى الحبيبة - يعنى بثينة » .

(٥) فى الأصل : « ألا » .

(٦) فى الأغانى : « الصيد » .

(٧) فى النسخ : « القرى » . والمثبت من مصادر التخريج . ووادى الدوم : واد معترض من شمالى خيبر إلى قبليها ، يفصل بين خيبر والعوارض . ووادى القرى : واد بين المدينة والشام . معجم البلدان ٤/ ٨٧٥، ٨٧٨.

(٨ - ٨) كذا فى النسخ . وفى الشعر والشعراء ، والأغانى ، ووفيات الأعيان أنها كانت معها جارية لها .

(٩) فى الأغانى : « مرسل » .

(١٠) فى ابن عساكر : « تخبرينى » .

(١١ - ١١) فى تاريخ دمشق ، ووفيات الأعيان : « بالذى » .

وآخِرُ عهدِى منكِ يومَ لقِيتِنى بأَسفلِ وادى الدَّوْمِ والثوبُ يُغسلُ

[(1] قال : فضرَبتْ بثينةُ جانبَ خِدرِها ، وقالت : اخسَأْ ، اخسَأْ . فقال أبوها : مَهْيَمْ[(2)] ؟ فقالت : كَلبٌ يأتينا إذا نام الناسُ ، مِن وراءِ الرابيةِ . ثم قالت لجاريتِها : ابغِينا مِن الدَّوْماتِ حطَبًا لِيُشوَى به لكثيِّرٍ شاةٌ . فقلتُ : أنا أعجَلُ مِن ذلك . وانطلقتُ إلى جميلٍ ، فقلْتُ : موعدُك الدَّوْماتُ . قال[1)] : فلمَّا كان الليلُ أقبَلتْ بُثَينةُ [(3] إلى المكانِ الذى واعدَتْه إليه[3)] ، وجاء جميلٌ ، وكنتُ معهم فما رأيتُ ليلةً أعجبَ منها ولا أحسنَ [(4]مُنادَماتٍ ، وانفَضَّ[4)] ذلك المجلسُ وما أدرى أيُّهما أفهمُ لِما فى ضميرِصاحبِه منه .

وذكَر الزبيرُ بنُ بَكَّارٍ[(5)] عن عبّاسِ[(6)] بنِ سَهْلٍ السَّاعدىِّ أنَّه دخَل على جميلٍ ، وهو يموتُ ، فقال له : ما تقولُ فى رجلٍ لم يشربِ الخمرَ قطُّ ، ولم يَزْنِ قطُّ ولم يسرِقْ ، ولم يقتُلِ النفسَ ، وهو[(7)] يشهدُ أنْ لا إلهَ إلا اللَّهُ ؟ قال : أظنُّه قد نجا وأرجو له الجنةَ ، فمَن هذا ؟ قال : أنا . فقلْتُ : واللَّهِ ما أظنُّك [٧/٩٨و] سلِمتَ وأنت تُشبِّبُ[(8)] منذُ عشرين سنةً ببُثينةَ . فقال : لا نالَتنى شفاعةُ محمدٍ ﷺ - وإنِّى لَفِى أوَّلِ يومٍ مِن أيامِ الآخرةِ وآخرِ يومٍ مِن أيامِ الدنيا - إن كنتُ

(١ - ١) سقط من : ا ٣، ا ٢، م، ص .

(٢) مهيم : كلمة يمنية ، يستفهم بها ، معناها : ما أمرك أو شأنك ، ونحو هذا .

(٣ - ٣) سقط من : الأصل .

(٤ - ٤) فى الأصل : « من » .

(٥) الشعر والشعراء ١/ ٤٤٠، وتاريخ دمشق ١١/ ٢٨٠، ووفيات الأعيان ١/ ٣٧٠.

(٦) فى ا ٣: « عياش » .

(٧) سقط من : الأصل .

(٨) بعده فى ا ٣، ا ٢، م، ص : « بالنساء » .

وضعتُ يدِى عليها بريبةٍ . قال : فما برِحنا[1] حتى مات .

قلتُ : كانت وفاتُه بمصرَ ؛ لأنه كان قد قدِم على عبدِ العزيزِ بنِ مروانَ فأكرَمه ، وسأَله عن حُبِّه بثينةَ ، فقال : شديدٌ . واستنشدَه مِن أشعارِه ومدائحِه فأنشَده ، فوَعده أن يجمَعَ بينَه وبينَها فعاجَلتْه المنيةُ فى سنةِ ثِنْتَينِ وثمانينَ ، رحِمه اللَّهُ ، آمين[2] .

وقد ذكَر الأصمعىُّ[3] ، عن رجلٍ ، أنَّ جميلًا قال له : هل أنتَ مُبلغٌ عنى رسالةً إلى حىِّ بثينةَ ، ولك ما عندى ؟ قال : نعم . قال : إذا أنا مِتُّ فاركَبْ ناقتى ، والبَسْ حُلَّتى هذه . وأمرَه أن يقولَ أبياتًا[4] ؛ منها قولُه :

قومِى بُثينةُ فانْدُبِى بعويلِ ... وابكِى خليلَك[5] دونَ كلِّ خليلِ

فلمّا انتهى إلى حيِّهم أنشَد الأبياتَ ، قال : فخرَجتْ بثينةُ كأنَّها بدرٌ [6] بدا فى دُجْنَةٍ [6] ، وهى تتثنَّى فى مِرْطِها فقالت له : ويحَكَ ، إن كنتَ صادقًا فقد قتَلْتنى ، وإن كنتَ كاذبًا فقد فضَحتَنى . فقلتُ : بل واللَّهِ صادقٌ ، [7] وهذه حُلَّتُه وناقتُه [7] . فلمَّا تحقَّقتْ ذلك صاحت[8] بأعلى صوتِها ، وصكَّت وجهَها ، واجتَمع نساءُ الحىِّ إليها ، يبكِين معها ، ثم صُعِقت مغشيًّا عليها ، ثم أفاقت ، وهى تقولُ :

---

(1) فى ص : « برحت » .
(2) سقط من : الأصل .
(3) أخرجه أبو الفرج فى الأغانى ١٥٣/٨ بسنده عن الأصمعى ، وعزاه فى وفيات الأعيان ٣٧٠/١ إلى صاحب الأغانى .
(4) الأبيات فى ديوانه ١١٩، والشعر والشعراء ٤٤٢/١.
(5) فى الأصل : « جميلا » . وفى ا ٣، ا ٢، م ، ص : « خليلا » . والمثبت من مصادر التخريج .
(٦ - ٦) فى الأصل ، ا ٢: « مرداى حية » . وفى م : « سرى فى جنة » . وفى ص : « سرادى حبة » .
(٧ - ٧) سقط من : الأصل .
(8) من هنا وحتى قوله : « لينها » - فى الصفحة التالية - فى ا ٣، ا ٢، م ، ص : « أنشدت أبياتا ترثيه بها =

وإنّ سُلُوِّى عن جميلٍ لساعةٌ[1] من الدهرِ ما حانت[2] ولا حان[3] حينُها

سواءٌ علينا يا جميلُ بنَ معمرٍ إذا مِتَّ بأساءُ الحياةِ ولينُها

قال الرجلُ: فما رأيتُ أكثرَ باكيًا ولا باكيةً مِن يومِئذٍ.

وروَى ابنُ عساكرَ[4] عنه أنه قِيل له بدمشقَ: لو تركتَ الشعرَ وحفِظْتَ القرآنَ؟ فقال: هذا أنسُ بنُ مالكٍ يخبرُنى عن رسولِ اللَّهِ ﷺ، أنه قال: «إنَّ مِن الشِّعرِ حكمةً».

عمرُ بنُ عبيدِ اللَّهِ بنِ مَعْمرِ بنِ عثمانَ، أبو حفصٍ القُرَشِىُّ التيمىُّ[5]، أحدُ الأجوادِ والأمراءِ الأمجادِ، فُتحَتْ على يديه بلدانٌ كثيرةٌ، وكان نائبًا لابنِ الزبيرِ على البصرةِ، [6]وقد فتَح كابُلَ مع عبدِ اللَّهِ بنِ خازمٍ. وهو الذى قتَل قَطَرِىَّ بنَ الفُجَاءةِ[6].

روَى عن ابنِ عمرَ وجابرٍ وغيرِهما، وعنه[7] عطاءُ بنُ أبى رَباحٍ، وابنُ عَونٍ. ووفَد على عبدِ الملكِ، فتُوفِّى بدمشقَ سنةَ ثِنتينِ وثمانينَ، قاله المدائنىُّ[8].

= وتتأسف عليه فيها، وأنه لا يطيب لها العيش بعده، ولا خير فى الحياة بعد فقده. ثم ماتت من ساعتها».

(١) فى الأصل: «ساعة».

(٢) فى الشعر والشعراء: «جاءت».

(٣) فى الأصل: «كان». والمثبت من مصادر التخريج.

(٤) تاريخ دمشق ١١/ ٢٥٦، وعزاه ابن خلكان فى الوفيات ١/ ٣٦٦ إلى ابن عساكر.

(٥) فى م: «التميمى». وانظر ترجمته فى: نسب قريش ٢٨٨، والجرح والتعديل ٦/ ١٢٠، والثقات ٧/ ١٧٧، وجمهرة أنساب العرب ١٤٥، وتاريخ دمشق ١٣/ ٣٣٥ (مخطوط)، وسير أعلام النبلاء ٤/ ١٧٢- ١٧٣، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٨١- ١٠٠هـ) ص ١٦١.

(٦ - ٦) سقط من: الأصل.

(٧) فى م: «عن».

(٨) تاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٨١ - ١٠٠ هـ) ص ١٦٣.

(1) وحكِى(2) أن رجلًا(1) اشترى جاريةً (3)كانت تُحسِنُ القرآنَ والشِّعرَ وغيرَه ، فأحبَّها حُبًّا شديدًا ، وأنفَق عليها مالَه كُلَّه حتى أفلَس ولم يبقَ له شئٌ سوى هذه الجاريةِ ، فقالت له الجاريةُ : قد أرى ما بك مِن قلَّةِ الشيءِ ، فلو بِعتنى وانتفَعتَ بثَمَنى صلَح حالُكَ . فباعَها لعمرَ بنِ عبيدِ اللَّهِ هذا - وهو يومئذٍ أميرُ البصرةِ - بمائةِ ألفِ درهمٍ ، فلمّا قبَض المالَ ندِم وندِمتِ الجاريةُ ، فأنشَأت(3) تخاطبُ (4)مولاها الذى باعها(4) :

[٩٨/٧ظ] هنيئًا لكَ المالُ الذى قد أخذتَهُ ... ولم يبقَ فى كفَّىَّ إلّا تفكُّرى

أقولُ لنَفسى وهْىَ فى كَرْبِ غَشْيةٍ(5) ... أَقِلِّى فقد بانَ الخليطُ أو اكْثِرى

إذا لم يَكُنْ فى الأمرِ عندَكِ حيلةٌ ... ولم تجِدى بُدًّا مِنَ الصَّبرِ فاصبِرِى

فأجابها سيِّدُها ، فقال :

ولولا قعودُ الدَّهرِ بى عنكِ لم يكُنْ ... لفُرْقَتِنا شىءٌ سوى الموتِ فاعذُرى(6)

أَءُوبُ بحُزْنٍ مِن فِراقِكِ مُوجِعٍ ... أناجى به قلبًا طويلَ التَّذَكُّرِ

عليكِ سلامٌ(7) لا زيارةَ بينَنا ... ولا وصلَ إلا أنْ يشاءَ ابنُ مَعْمرِ

(8) فلمّا سمِعها ابنُ معمَرٍ قد شَبَّبتْ ، قال : واللَّهِ لا فرَّقتُ بينَ مُحبَّينِ أبدًا(8) .

(1 - 1) فى الأصل : « ومن مكارمه أنه » .

(2) أخرج هذه القصة ابن عساكر فى تاريخ دمشق ٣٣٩/١٣ (مخطوط) ، وذكرها الذهبى فى تاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٨١- ١٠٠هـ) ص ١٦٣، باختصار .

(3 - 3) فى الأصل : « بمائة ألف فتوجعت على فراق سيدها ، وقالت » .

(4 - 4) فى ا ٣، ا ٢، م ، ص : « سيدها بأبيات شعر هى » .

(5) فى الأصل ، ا ٣، م : « عيشة » . والمثبت كما فى تاريخ الإسلام .

(6) فى ا ٢، م ، ص : « فاصبرى » .

(7) بعده فى ص : « الله » .

(8 - 8) فى الأصل : « فقال ابن معمر : خذها وثمنها » .

(1)ثم أعطاه المالَ - وهو مائةُ ألفٍ - والجاريةَ ، لِما رأى مِن توجُّعِهما على فِراقِ كلٍّ منهما صاحبَه ، فأخَذ الرجلُ الجاريةَ وثمنَها وانطلَق .

تُوفى عمرُ بنُ عبيدِ اللَّهِ بنِ مَعْمرٍ هذا بدمشقَ ، بالطّاعونِ ، وصلَّى عليه عبدُ الملكِ بنُ مروانَ ، ومشَى فى جنازتِه وحضَر دفنَه ، وأثنىَ عليه بعدَ موتِه ، وكان له مِن الولدِ طلحةُ ، وهو مِن ساداتِ قريشٍ ، تزوَّج فاطمةَ بنتَ القاسمِ بنِ محمدِ بنِ جعفرٍ ، على صَداقِ أربعين ألفَ دينارٍ ، فأَولدَها إبراهيمَ ورملةَ ، فتزوَّج رملةَ إسماعيلُ بنُ عليِّ بنِ عبدِ اللَّهِ بنِ عباسٍ ، على صداقِ مائةِ ألفِ دينارٍ ، رحِمهم اللَّهُ(1) .

كُمَيْلُ بنُ زيادِ (2)بنِ نَهيكِ(2) بنِ الهيثمِ(3) النَّخَعِيُّ الكوفيُّ(4) . روَى عن عمرَ وعثمانَ وعليٍّ وابنِ مسعودٍ وأبى هريرةَ . وشهِد مع عليٍّ صِفيـنَ ، وكان شجاعًا فاتكًا ، وزاهدًا عابدًا ، قتَله الحجاجُ فى هذه السنةِ - (5)وقد عاش مائةَ سنةٍ - قتلَه صبرًا بيـنَ يَدَيهِ ، وإنما نقَم عليه لأنه طلَب مِن عثمانَ بنِ عفّانَ القصاصَ مِن لَطْمةٍ لطمَـها إياه . فلما أمكَنه عثمانُ مِن نفسِـه عفا عنه ، فقال له الحجـاجُ : أَوَ مثلُكَ يسـألُ مِن أميرِ المؤمنين القصاصَ(5) ؟ ثم أمَر فضُرِبتْ عنقُه ، قالوا(6) :

(1 - 1) سقط من : الأصل .
(2 - 2) سقط من : ا ٣، ا ٢، ص .
(٣) فى م : « خيثم ». وفى تاريخ الإسلام : « هيثم » . والمثبت موافق لما فى تهذيب الكمال .
(٤) انظر ترجمته فى : طبقات ابن سعد ٦/ ١٧٩، وجمهرة أنساب العرب ٥/ ٤، والكامل ٣/ ١٣٨، ١٤٤، ٤/ ٤٧٢، ٤٨١، وتهذيب الكمال ٢٤/ ٢١٨، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٨١- ١٠٠هـ) ص ١٧٦، والإصابة ٥/ ٦٥٣.
(٥ - ٥) زيادة من : ا٣، ا٢، م ، ص .
(٦) أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ١٤/ ٦٠٧، ٦٠٨ (مخطوط) ، والذهبى فى تاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٨١ - ١٠٠هـ) ص ١٧٧.

(1) وذكَر الحجاجُ عليًّا فى غبونِ ذلك فنالَ منه ، وصلَّى عليه كُميلٌ ، فقال له الحجاجُ : واللّهِ لأبعثَنَّ إليك مَن يُبْغِضُ عليًّا أكثرَ مما تحبُّه أنتَ . فأرسَل إليه ابنَ أدهمَ ، وكان مِن أهلِ حِمصَ ، ويقالُ : أبا الجَهْمِ بنَ كنانةَ . فضَرب عنقَه .

وقد روَى عن كُميلٍ جماعةٌ كثيرةٌ مِن التّابعيـنَ ، وله الأثرُ المشهورُ عن عليٍّ ابنِ أبى طالبٍ ، الذى أوَّلُه[2] : القلوبُ أوعيةٌ ؛ فخيرُها أوعاها . وهو طويلٌ ، قد رواه جماعةٌ مِن الحفَّاظِ الثقاتِ ، وفيه مواعظُ وكلامٌ حسَنٌ ، رضِى اللّهُ عن قائِله (1) .

زاذانُ أبو عمرَ الكِندىُّ[3] ، أحدُ التّابعيـنَ ، كان أوّلًا يشرَبُ المُسْكِرَ ويضرِبُ بالطنبورِ ، فرزَقه اللّهُ التوبةَ على يدِ عبدِ اللّه بنِ مسعودٍ ، وحصَلت له إنابةٌ ورجوعٌ إلى الحقِّ وخشيةٌ شديدةٌ ، حتى إذا كان فى الصَّلاةِ كأنَّه خشبةٌ .

وقال مرَّةً : إنِّى جائعٌ . فنزَل عليه مِن الرَّوزَنةِ رغيفٌ مثلُ الرَّحا .

وهو ثقةٌ عند ابنِ معينٍ وغيرِه . قال خليفةُ[4] : توفِّى سنةَ ثِنتين وثمانين .

قال خليفةُ[5] : وفيها تُوفى **زِرُّ بنُ حُبَيشٍ** أحدُ أصحابِ ابنِ مسعودٍ وعائشةَ ،

(1 - 1) زيادة من : ٣١ ، ٢١ ، م ، ص .

(٢) أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ٦٠٥/١٤ - ٦٠٧ (مخطوط) ، والمزى فى تهذيب الكمال ٢٢٠/٢٤ - ٢٢٢.

(٣) انظر ترجمته فى : طبقات ابن سعد ٦/ ١٧٨، وطبقات خليفة ١/ ٣٦٤، ومشاهير علماء الأمصار ١٠٤، وحلية الأولياء ٤/ ٤٣٠، وتاريخ بغداد ٤٦٣، وصفة الصفوة ٣/ ٥٩، وتهذيب الكمال ٩/ ٢٦٣، وسير أعلام النبلاء ٤/ ٢٨٠، تاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٨١ - ١٠٠هـ) ص ٦٤، الوافى بالوفيات ١٤/ ١٦٢.

(٤) تاريخ خليفة ١/ ٣٧٣.

(٥) المصدر السابق .

وقد أتَت عليه مائةٌ وعشرونَ سنةً . وقال أبو عبيدٍ : مات سنةَ إحدى وثمانين ، وقد تقدَّمت له ترجَمةٌ[1] .

وشقيقُ بنُ سلمةَ أبو وائلٍ[2] ، أدرَك مِن زمنِ الجاهليةِ سَبْعَ سنين ، وأسلَم فى حياةِ النبىِّ ﷺ .

أمُّ الدَّرداءِ الصُّغْرَى[3] ، اسمُها هُجَيمَةُ ، ويقالُ : جُهَيمَةُ . تابعيّةٌ عابدةٌ عالمةٌ فقيهةٌ ، كان الرجالُ يَقْرءُونَ عليها ويتفقَّهون فى الحائطِ الشَّمالىِّ بجامعِ دمشقَ ، وكان عبدُ الملكِ بنُ مروانَ يجلِسُ فى حلقتِها مع المتفقِّهةِ ، يشتغِلُ عليها وهو خليفةٌ ، رضِى اللَّهُ عنها .

---

(١) تقدمت ترجمته فى ٧/ ٢٩.

(٢) الاستيعاب ٢/ ٧١٠، وأسد الغابة ٢/ ٥٢٧، والإصابة ٣/ ٣٨٦.

(٣) انظر ترجمتها فى : اللباب فى تهذيب الأنساب ١/ ٧٦، وتهذيب الكمال ٣٥/ ٣٥٢، والعبر ١/ ٩٣، وتذكرة الحفاظ ١/ ٥٣، وسير أعلام النبلاء ٤/ ٢٧٧، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٨١ - ١٠٠هـ) ص ٧، وغاية النهاية فى طبقات القراء ٢/ ٣٥٤، وطبقات الحفاظ للسيوطى ٢٥.

ثم دَخلتْ سنةُ ثلاثٍ وثمانيـنَ

اسْتُهِلَّتْ هذه السنةُ والناسُ مُتواقِفون لقتالِ الحجّاجِ وأصحابِه بدَيْرِ قُرةَ ، وابنُ الأشعثِ وأصحابُه بدَيرِ الجَماجمِ ، والمبارزةُ فى كلِّ يومٍ بينَهم واقعةٌ ، وفى غالبِ الأيامِ تكونُ النُّصرةُ لأهلِ العراقِ على أهلِ الشَّامِ ، حتى قيل[1] : إنَّ أصحابَ ابنِ الأشعثِ - وهم أهلُ العراقِ - كسَروا أهلَ الشّامِ - وهم أصحابُ الحجاجِ - بضعًا وثمانينَ مرةً ينتصِرون عليهم . ومع هذا [٩٩/٧و] فالحجاجُ ثابتٌ مكانَه صابرٌ ومُصابرٌ ، لا يتزحزَحُ عن موضِعه الذى هو فيه ، بل إذا حصَل له ظفَرٌ فى يومٍ مِن الأيامِ تقدَّم بجيشِه إلى نحرِ[2] عدوِّه - وكان له خبرةٌ بالحربِ - ومازال ذلكَ دأبَه ودأبَهم حتى أمرَ بالحملةِ على كتيبةِ القُرَّاءِ - لأنَّ الناسَ كانوا تبعًا لهم ، وهم الذين يحرِّضونَهم على القتالِ ، والناسُ يقتَدونَ بهم - فصَبَر القُرَّاءُ لحملةِ جيشِه ، ثم جمَع الرُّماةَ مِن جيشِه ، وحمَل بهم ، وما انفكَّ حتى قتَل منهم خلقًا كثيرًا[3] ، ثم حمَل على جيشِ ابنِ الأشعثِ ، فانهزَم أصحابُ ابنِ الأشعثِ وذهَبوا فى كلِّ وجهٍ ، وهرَب ابنُ الأشعثِ بينَ أيديهم ، ومعه فَلٌّ قليلٌ مِن الناسِ ، فأتبعَه الحجاجُ جيشًا كثيفًا مع عمارةَ بنِ تميمٍ[4] اللخميِّ ومعه محمدُ بنُ الحجاجِ ، والإمرةُ لعمارةَ ، فساقوا وراءَهم يَطْرُدونَهم لعلهم يظفَرون به قتلًا أو

---

(١) تاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٨١ - ١٠٠هـ) ص ١٤.

(٢) فى م : «نحو».

(٣) زيادة من : م .

(٤) فى ٣١، ٢١، م، ص: «غنم». وانظر تاريخ الطبرى ٦/ ٣٦٧.

أسرًا ، فما زال يسوقُ ويخترِقُ الأقاليمَ والكُورَ والرساتيقَ ، وهم فى أثرِه حتى وصَل إلى كَرْمانَ ، واتَّبعه الشَّاميون فنزَلوا فى قصرٍ كان فيه أهلُ العراقِ قبلَهم ، فإذا فيه كتابٌ قد كتَبه بعضُ أهلِ الكوفةِ مِن أصحابِ ابنِ الأشعثِ الذين فرُّوا معه ، مِن شعرِ أبى جَلدةَ[1] اليَشْكُرىِّ ، يقولُ[2] :

أيا لَهفًا ويا حَزَنًا جميعًا ... ويا حَرَّ الفُؤادِ لِمَا لَقِينا
تركْنا الدينَ والدُّنيا جميعًا ... وأَسْلَمْنا الحلائلَ والبَنِينا
فما كُنَّا أُناسًا أهلَ دُنيا ... فنمنعَها ولو لم نَرْجُ دِينا
تركْنا دورَنا لطَغامِ عكٍّ ... وأنباطِ القُرى والأشْعَرِينا[3]

ثم إنَّ ابنَ الأشعثِ دخَل هو ومَن معه مِن الفَلِّ إلى بلادِ رُتْبيلَ ملكِ التُّرْكِ ، فأكرَمه رُتْبيلُ وأنزلَه عندَه وأمَّنه وعظَّمه .

قال الواقدىُّ[4] : ومرَّ ابنُ الأشعثِ وهو ذاهبٌ إلى بلادِ رُتْبيلَ على عاملٍ له فى بعضِ المدنِ ، كان ابنُ الأشعثِ قد استعمَله على ذلك عندَ رجوعِه إلى العراقِ ، فأكرَمه ذلك العاملُ وأَهْدَى إليه هدايا وأنزلَه ؛ فعَل ذلك خديعةً به ومكرًا ، وقال له : ادخُلْ إلى عندِى إلى البلدِ لتتحصَّنَ بها مِن عدُوِّك ، ولكنْ لا تَدَعْ أحدًا ممَّن معك يدخُلُ المدينةَ . فأجابه إلى ذلك - وإنَّما أراد المكرَ به - فمنَعه أصحابُه فلم يَقبَلْ منهم ، فتفرَّقَ عنه أصحابُه . فلمّا دخَل المدينةَ وثَب عليه العاملُ

---

(١) فى ٣١، ٢١، م، ص : « خلدة »، وهى غير معجمة فى الأصل . وانظر الشعر والشعراء ٢/ ٧٣٣، والمؤتلف والمختلف ١٠٦، والأغانى ١١/ ٣١٠.

(٢) الأبيات فى تاريخ الطبرى ٦/ ٣٦٨، والأغانى ١١/ ٣١٢ - ٣١٣، كلاهما باختلاف يسير.

(٣) الأنباط والنبط والنبيط جيل من الناس كانوا بالبطائح بين العراقين . والأشعرون جمع أشعرى ، نسبة إلى الأشعر وهو أبو قبيلة باليمن ، وحذفت ياء النسب فى الجمع تخفيفا .

(٤) أورده الطبرى فى تاريخه ٦/ ٣٦٩، عن أبى مخنف ، وليس عن الواقدى .

فمسَكه وأوثَقه بالحديدِ ، وأراد أنْ يتَّخِذَ به يدًا عندَ الحجاجِ ، وقد كان الملكُ رُتْبيلُ سُرَّ بقدومِ ابنِ الأشعثِ ، فلمّا بلَغه ما حدَث له مِن جهةِ ذلك العاملِ بمدينةِ بُسْتَ ، سار حتى أحاط ببُسْتَ ، وأرسَل إلى عاملِها يقولُ له : واللَّهِ لَئِنْ آذيتَ ابنَ الأشعثِ لا أبرحُ حتى أستنزِلَك وأقتُلَ جميعَ مَن فى بلدِك . فخافه ذلك العاملُ وسيَّرَ إليه ابنَ الأشعثِ فأكْرَمه رُتْبيلُ ، فقال ابنُ الأشعثِ لرُتْبيلَ : إنَّ هذا العاملَ كان عامِلى ومِن جِهتى فغدَر بى وفعَل ما رأيتَ ، فَأْذَنْ لى فى قتلِه . فقال : قد أَمَّنتُه . وكان مع ابنِ الأشعثِ عبدُ الرحمنِ بنُ عباسِ بنِ ربيعةَ بنِ الحارثِ بنِ عبدِ المطلبِ ، وكان هو الذى يُصلِّى بالنّاسِ هنالك فى بلادِ رُتْبيلَ ، ثم إنَّ جماعةً مِن الفَلِّ الذين هرَبوا مِن الحجاجِ اجتمعوا وسارُوا وراءَ ابنِ الأشعثِ لِيُدْرِكوه فيكونوا معه - وهم قريبٌ مِن ستينَ ألفًا - فلما وصَلوا إلى سِجِسْتانَ وجَدوا ابنَ الأشعثِ قد دخَل إلى عندِ رُتْبيلَ فتغَلَّبوا على سِجِستانَ وعذَّبوا عاملَها عبدَ اللَّهِ بنَ عامرٍ البعّارَ[1] وإخوتَه وقرائبَه ، واسْتحوَذُوا على ما فيها مِن الأموالِ ، وانتشَرُوا فى تلك البلادِ وأخَذُوها ، ثم كتَبوا إلى ابنِ الأشعثِ : أنِ اخْرُجْ إلينا حتى نكونَ معك ؛ ننصُرُك على مَن يُخالِفُكَ ، ونأخُذُ بلادَ خُراسانَ ، فإنَّ بها جندًا عظيمًا[2] منا ، فنكونُ بها حتى يُهلِكَ اللَّهُ الحجاجَ أو عبدَ الملكِ ، فنَرى بعدَ ذلك رأيَنا . فخرَج إليهم ابنُ الأشعثِ وسارَ بهم قليلًا إلى نحوِ خُراسانَ فاعتزَله[3] شِرْذمةٌ مِن أهلِ العراقِ مع عبيدِ اللَّهِ [4]بنِ عبدِ الرحمنِ[4] [٩٩/٧ظ] بنِ سَمُرةَ ، فقام فيهم ابنُ

---

(١) فى النسخ : « النعار » . والمثبت من تاريخ الطبرى ٦/ ٣٦٩ .

(٢) فى ٣١، ٢١، م، ص : « ومنعة كثيرة » .

(٣) فى الأصل : « فانخزل عنه » .

(٤ - ٤) سقط من : ٣١، م، ص، وفى ٢١: « عبد الله » . وانظر تاريخ الطبرى ٦/ ٣٧٠ .

الأشعثِ خطيبًا ، فذكَر غدرَهم ونُكُولَهم عن الحربِ ، وقال : لا حاجةَ لى بكم ، وأنا ذاهبٌ إلى صاحبى رُتْبيلَ فأكونُ عندَه . ثم انصَرَف عنهم وتبِعه طائفةٌ منهم وبقِى معظمُ الجيشِ . فلَمّا انفصَل عنهم ابنُ الأشعثِ بايعوا عبدَ الرحمنِ بنَ عباسِ بنِ ربيعةَ[(١)] الهاشميَّ ، وساروا معه إلى خُراسانَ ، فخرَج إليهم أميرُها يزيدُ ابنُ المُهَلَّبِ بنِ أبى صُفْرَةَ ليمنعَهم[(٢)] مِن دخولِ بلادِه ، وكتَب يزيدُ إلى عبدِ الرحمنِ بنِ عباسٍ يقولُ له : إنَّ فى البلادِ مُتَّسعًا ، فاذهَبْ إلى أرضٍ ليس بها سلطانٌ فإنِّى أَكرهُ قتالَكَ ، وإنْ كنتَ تريدُ مالًا بعَثْتُ إليك . فقال له : إنّا لم نجئْ لقتالِ أحدٍ ، وإنَّما جِئنا نَستريحُ ونُريحُ خيلَنا ثم نَذْهبُ وليسَتْ بنا حاجةٌ إلى حاجةٍ مما عرَضتَ . ثم أقبَلَ عبدُ الرحمنِ على أخذِ الخراجِ مِمَّا حَوْلَه مِن البلادِ مِن كورِ خُراسانَ ، فخرَج إليه يزيدُ بنُ المُهلَّبِ ومعه أخوه المفضَّلُ[(٣)] فى جيوشٍ كثيفةٍ ، فلمّا صافُّوهم[(٤)] اقْتتَلُوا غيرَ كثيرٍ ، ثم انهَزم أصحابُ عبدِ الرحمنِ بنِ عباسٍ ، وقتَل يزيدُ منهم مَقْتلةً عظيمةً ، وأسَر منهم أسرى كثيرةً ، واحتاز ما فى معسكرِهم[(٥)] ، وبعَث بالأُسارى - وفيهم محمدُ بنُ سعدِ بنِ أبى وقاصٍ - إلى الحجاجِ ، ويقالُ : إنَّ محمدَ بنَ سعدٍ قال ليزيدَ بنِ المُهَلَّبِ : أسأَلُكَ بدعوةِ أبى لأبيك لَمَا أطْلقتَنى . فأطلَقه ، قال أبو جعفرِ بنُ جريرٍ[(٦)] : ولهذا الكلامِ خبرٌ فيه طولٌ .

(١ - ١) فى ٣١، ٢١، م : « عياش بن أبى ربيعة » ، وفى ص : « عباس بن أبى ربيعة » . وانظر تاريخ الطبرى ٦/ ٣٧٠.

(٢) فى ٣١، ٢١، م ، ص : « فمنعهم » .

(٣) فى الأصل ، ٣١، ٢١، ص : « الفضل » . والمثبت كما فى تاريخ الطبرى ٦/ ٣٧٢.

(٤) فى م : « صادفوهم » .

(٥) فى م : « معسكره » .

(٦) تاريخ الطبرى ٦/ ٣٧٤.

ولما قَدِمتِ الأُسارى على الحجاجِ قتَل أكثرَهم وعفا عن بعضِهم ، وقد كان الحجاجُ يومَ ظهَر على ابنِ الأشعثِ بدَيرِ الجماجمِ نادَى منادِيه فى الناسِ : مَن رجَع فهو آمنٌ ، ومَن لحِق (1 بقتيبةَ بنِ مسلمٍ 1) بالرَّىِّ فهو آمنٌ . فلحِق به[2] خلقٌ كثيرٌ ممَّن كان مع ابنِ الأشعثِ ، فأمَّنهم الحجاجُ ، ومَن لم يَلْحَقْ به شرَع الحجاجُ فى تتبُّعِهم فقتَل منهم خلقًا كثيرًا ، حتى كان آخِرَ مَن قَتَل منهم سعيدُ بنُ جُبيرٍ ، على ما سيأتى بيانُه .

وكان الشَّعبىُّ مِن جملةِ مَن صار إلى (3 قتيبةَ بنِ مسلمٍ 3) ، فذكَره يومًا الحجاجُ ، فقيل له : إنه سار إلى[4] قتيبةَ . فكتَب إليه[5] : أن ابْعَثْ إلىَّ بالشَّعبىِّ . قال الشعبىُّ[6] : فلمّا دخَلتُ عليه سلَّمتُ عليه بالإمرةِ ، ثم قلتُ : أيها الأميرُ ، إنَّ الناسَ قد أمَرونى أنْ أعتذِرَ إليك بغيرِ ما يعلَمُ اللَّهُ أنَّه الحقُّ ، وايْمُ اللَّهِ لا أقولُ فى هذا المَقامِ إلا الحقَّ[7] ، قد واللَّهِ تمَرَّدْنا عليك ، وحرَّضْنا[8] [٧/١٠٠و] وجهَدْنا كُلَّ الجُهْدِ فما آلَوْنا ، فما كنّا بالأقوياءِ الفجَرَةِ ، ولا بالأتقياءِ البَرَرةِ ، ولقد نصَرك اللَّهُ علينا وأظفرَك بنا ، فإنْ سطَوتَ فبذنوبنا وما جرَّتْ إليك أيدينا ، وإنْ عفوتَ عنّا فبحِلْمِكَ ، وبعدُ فالحُجَّةُ لك علينا . فقال الحجاجُ : أنتَ واللَّهِ ياشعبىُّ أحبُّ إلىَّ ممَّن يدخُلُ علينا يَقْطُرُ سيفُه مِن دمائِنا ثم يقولُ : ما فعلتُ ولا شهِدْتُ . قد أمِنْتَ

(1 - 1) فى ٣١ ، ٢١ ، م ، ص : « بمسلم بن قتيبة » .

(2) فى ٣١، ٢١، م، ص: « بمسلم ». وانظر تاريخ الطبرى ٦/ ٣٧٤.

(3 - 3) فى ٣١، ٢١، م، ص: « مسلم بن قتيبة ». وانظر الطبرى الموضع السابق.

(4) بعده فى ٣١، ٢١، م، ص: « مسلم بن ».

(5) فى ٣١، ٢١، م، ص: « إلى مسلم ».

(6) تاريخ الطبرى ٣٧٥/٦ .

(7) بعده فى ٣١، ٢١، م، ص: « كائنا فى ذلك ما كان ».

(8) فى م: « خرجنا ».

عندَنا يا شعبىُّ . قال : فانصرَفْتُ فلمّا مَشَيتُ قليلًا ، قال : هلُمَّ يا شعبىُّ . قال : فوَجِلَ لذلك قَلْبى ، ثم ذكرتُ قولَه : قد أمِنْتَ يا شعبىُّ . فاطْمَأَنَّتْ نفسِى ، فقال : كيف وجَدْتَ الناسَ بعدَنا يا شعبىُّ ؟ قال : - وكان لى مُكرِمًا[1] - فقُلْتُ : أصلَح اللّهُ الأميرَ ، قد اكْتحَلْتُ بعدَك[2] السَّهرَ ، واستوعرتُ[3] السُّهولةَ ، واستوخَمْتُ الجَنابَ[4](3) ، واستحْلَسْتُ[5] الخوفَ ، واستحليتُ[6] الهَمَّ ،وفقَدتُ صالحَ الإخوانِ ، ولم أجِدْ مِن الأميرِ خلَفًا . قال : انصرِفْ يا شعبىُّ . فانصرفْتُ[7] . ورَواه أبو مِخْنَفٍ[8] ، عن [9]السَّرِىِّ بنِ إسماعيلَ[9] ، عن الشعبىِّ .

ورَوَى البيهقىُّ[10] أنّه سألَه عن [11]المسألةِ الخرقاءِ[11] فى الفرائضِ ؛ وهى أمٌّ وزوجٌ وأختٌ ، وما كان يقولُه فيها الصِّدِّيقُ وعمرُ وعثمانُ وعلىٌّ وابنُ مسعودٍ ،

---

(١) بعده فى ٣١، ٢١، م، ص: «قبل الخروج عليه».

(٢) فى ص: «بعد».

(٣ - ٣) فى الأصل: «الجبال».

(٤) فى تاريخ خليفة: «أحدب بنا الجناب». وهو كذلك عن النهاية ١/ ٣٠٣. والجناب: الناحية.

(٥) فى الأصل: «استهلت»، وفى ٣١، ٢١، ص: «استجلست». والمعنى: لازمت الخوف ولم أفارقه. النهاية ١/ ٤٢٤.

(٦) فى ٣١، ص: «استجلبت».

(٧) بعده فى ٣١، ٢١، م، ص: «ذكر ذلك ابن جرير وغيره». ولعل المصنف إنما أراد بكلامه بعد ذلك: ورواه أبو مخنف .. إلخ. رواية الطبرى الآتية. انظر الحاشية التالية.

(٨) تاريخ الطبرى ٦/ ٣٧٥.

(٩ - ٩) فى النسخ: «إسماعيل بن عبد الرحمن». والمثبت من تاريخ الطبرى، وهو السرى بن إسماعيل الهمدانى الكوفى، ابن عم الشعبى. تهذيب الكمال ١٠/ ٢٢٧.

(١٠) السنن الكبرى ٦/ ٢٥٢. ولم يذكر الصديق فى الخمسة الذين اختلفوا فى هذه المسألة. وإنما سميت هذه المسألة خرقاء، لكثرة الاختلاف فيها؛ ففيها سبعة أقوال. وليس أبو بكر - رضى اللّه عنه - من جملة الخمسة من الصحابة الذين اختلفوا فيها. وهى تسمى أيضا العثمانية، نسبة لفتوى عثمان بن عفان - رضى اللّه عنه - فيها، كما تسمى الشعبية والحجاجية. انظر «المقنع والشرح الكبير ومعهما الإنصاف» ١٨/ ٣٠ - ٣١.

(١١ - ١١) فى م: «مسألة».

وكان لكلٍّ منهم قولٌ فيها ، فنقَل ذلك كلَّه الشعبيُّ فى ساعتِه ، فاستَحْسَن قولَ عليٍّ ، وحكَم بقولِ عثمانَ ، وأُطلِقَ الشعبيُّ بسببِ ذلك .

وقيل[1] : إنَّ الحجاجَ قتَل خمسةَ آلافِ أسيرٍ مِمَّن سيَّرَهم إليه يزيدُ بنُ المُهلَّبِ . كما تقدَّم ذلك . ثم سار إلى الكوفةِ فدخَلها فجعَل لا يبايعُ أحدًا مِن أهلِها إلا قال : أتشهَدُ على نفسِك أنَّك قد كفَرْتَ . فإذا قال : نعم . بايعَهُ ، وإنْ أَبَى قتَلَه ، فقتَل منهم خلقًا كثيرًا مِمَّن أَبَى أنْ يَشْهَدَ على نفسِه بالكُفْرِ ، قال : فأُتِى برجلٍ ، فقال الحجاجُ : ما أَظُنُّ هذا يشهَدُ على نفسِه بالكُفرِ ؛ لصلاحِه ودينِه - وأراد الحجاجُ مخادعتَه - فقال : أخادعِى أنتَ عن نَفْسِى ! أنا أكفَرُ أهلِ الأرضِ ، وأكفَرُ مِن فرعونَ وهامانَ ونمرودَ . قال : فضحِكَ الحجاجُ وخلَّى سبيلَه[2] .

وذكَر ابنُ جريرٍ مِن طريقِ أبى مِخْنَفٍ[3] ، أنَّ أعشَى هَمْدانَ أُتِىَ به إلى الحجاجِ ، وكان قد عمِل قصيدةً هجا فيها الحجاجَ وعبدَ الملكِ بنَ مروانَ ، ويمدَحُ فيها ابنَ الأشعثِ وأصحابَه ، فاستنشَده إيَّاها ، فأنشدَه قصيدةً طويلةً داليَّةً ، فيها مدحٌ كثيرٌ لعبدِ الملكِ وأهلِ بيتِه ، فجعَل أهلُ الشّامِ يقولون : قد أحسنَ أيُّها الأميرُ . فقال الحجاجُ : إنَّه لم يُحسِنْ ، إنما يقولُ هذا مصانعةً . ثم أَلَحَّ عليه حتى أنشدَه قصيدتَه الأُخرى ، فلَمَّا أنشدَها ، غضِب عندَ ذلك الحجاجُ ، وأمَر به فضرِبتْ عنقُه صبرًا بينَ يَدَيه .

واسمُ الأَعْشَى هذا عبدُ الرحمنِ بنُ عبدِ اللَّهِ بنِ الحارثِ أبو المصبحِ الهَمْدانيُّ

---

(١) تاريخ خليفة ١/ ٣٧٣، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٨١ - ١٠٠هـ) ص ١٦.

(٢) تاريخ الطبرى ٦/ ٣٦٥، والمنتظم ٦/ ٢٤٦، والكامل ٤/ ٤٨١، ٤٨٢.

(٣) تاريخ الطبرى ٦/ ٣٧٥ .

الكوفىُّ ، الشاعرُ ، أحدُ الفصحاءِ البلغاءِ المشهورين ، وقد كان له فَضْلٌ وعبادةٌ فى مبتدئِه ، ثم ترَك ذلك ، وأقبَل على الشِّعر فعُرِف به . وقد وفَد على النعمانِ بنِ بشيرٍ وهو أميرٌ بحِمْصَ فامتدَحه ، وكان محصولُه فى رحلتِه إليه مِنه ومِن جندِ حِمْصَ أربعينَ ألفَ دينارٍ ، وكان زوجَ أختِ [١٠٠/٧ظ] الشَّعبىِّ ، كما أنَّ الشَّعبىَّ كان زوجَ أختِه أيضًا ، وكان مِمَّنْ خرَج مع ابنِ الأشعثِ ، فقتَله الحجاجُ كما ذكرْنا ، رحِمه اللَّهُ .

وقد كان الحجاجُ وهو مواقِفٌ لابنِ الأشعثِ ، بعَث كَمينًا يأتون جيشَ ابنِ الأشعثِ مِن ورائِه ، ثم تواقَف الحجاجُ وابنُ الأشعثِ ، وهرَب الحجاجُ بمَنْ معه ، وترَك معسكرَه ، فجاء ابنُ الأشعثِ فاحتاز ما فى المعسكرِ وبات فيه ، فجاءتِ السَّريةُ إليهم ليلًا وقد وضَعوا أسلحتَهم ، فمالُوا عليهم ميلةً واحدةً ، ورجَع الحجاجُ بأصحابِه فأحاطوا بهم فاقتتَلُوا قتالًا شديدًا ، وقُتِل مِن أصحابِ ابنِ الأشعثِ خَلْقٌ كثيرٌ ، وغرِق كثيرٌ منهم فى دجلةَ ودُجيلٍ ، وجاء الحجاجُ إلى معسكرِهم فقتَل مَن وجَده فيه ، فقَتَل منهم نحوًا مِن أربعةِ آلافٍ ، منهم جماعةٌ مِن الرُّؤساءِ والأعيانِ ، واحْتازُوه بكمالِه ، وانطلَق ابنُ الأشعثِ هاربًا فى ثلاثمِائةٍ (١ مِن أصحابِه ١) فركِبوا دُجيلًا فى السُّفنِ وعقَروا دوابَّهم وجازوا إلى البصرةِ ، ثم ساروا مِن هُنالك (٢) ، (٣ وكان مِن أمرِهم مِن دُخولِهم ٣) بلادَ رُتْبيلَ ما كان (٤) . ثم شرَع الحجاجُ فى تتبُّعِ أصحابِ ابنِ الأشعثِ فقتَلهم مَثْنى (٥)

(١ - ١) سقط من : م .
(٢) بعده فى م : « إلى بلاد الترك » .
(٣ - ٣) فى ٣١، ٢١، م، ص: « فكان فى دخوله » .
(٤) فى ٣١، ٢١، م، ص: « تقدم » . وانظر ما تقدم فى ص ٣٣٩ .
(٥) فى الأصل : « شتى » .

وفُرادَى ، حتى قِيل : إنَّه قَتَل منهم بينَ يديه صبرًا مائةَ ألفٍ وثلاثينَ ألفًا . قاله النَّضْرُ بنُ شُمَيْلٍ ، عن هشامِ بنِ حسَّانَ[1] . منهم محمدُ بنُ سعدِ بنِ أبى وقَّاصٍ ، وجماعاتٌ مِن السّاداتِ ، حتى كان آخرُهم سعيدَ بنَ جُبيرٍ - رحِمهم اللَّهُ ورضِى عنهم - كما سيأتى ذلك فى موضِعِهِ .

بنـاء واسـطٍ

قال ابنُ جريرٍ[2] : وفى هذه السنةِ بنَى الحجاجُ واسطًا ، وكان سببَ بنائِه لها أنه رأى راهبًا على أتانٍ قد أجاز دِجلةَ ، فلمَّا مرَّ بموضعِ واسطٍ وقفَتْ أتانُه فبالَتْ ، فنزَل عنها ، وعمَد إلى موضعِ بَوْلِها فاحتَفَره ، ورمَى به فى دِجْلةَ ، فقال الحجاجُ : علىَّ به . فأُتِى به ، فقال له : لِمَ صنعتَ هذا ؟ قال : إنا نجدُ فى كُتُبِنا أنه يُبنَى فى هذا الموضعِ مسجدٌ يُعبَدُ اللَّهُ فيه ما دامَ فى الأرضِ أحدٌ يُوحِّدُه . فعندَ ذلك اختَطَّ الحجاجُ مدينةَ واسِطٍ فى ذلك المكانِ ، وبنَى المسجدَ فى ذلك الموضعِ .

وفيها[3] كانت غزوةُ عطاءِ بن رافعٍ صِقِلِّيَّةَ .

ومِمَّن تُوفِّى فيها مِن الأعيانِ : عبدُ الرحمنِ بنُ حُجَيْرةَ الخَوْلانِىُّ المصرِىُّ[4] ، روَى عن جماعةٍ مِن الصَّحابةِ ، وكان عبدُ العزيزِ بنُ مروانَ أميرُ مصرَ قد جمَع له

---

(١) تاريخ الطبرى ٦/ ٣٨١، ٣٨٢.

(٢) تاريخ الطبرى ٣٨٣/٦ - ٣٨٤. مطولا .

(٣) تاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٨١ - ١٠٠هـ) ص ١٨.

(٤) فى م : « جحيرة » . وانظر ترجمته فى مشاهير علماء الأمصار ١١٩، وتهذيب الكمال ١٧/ ٥٤، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٨١ - ١٠٠هـ) ص ١٢٦.

بينَ القضاءِ والقَصصِ وبيتِ المال ، وكان رِزقُه فى العامِ ألفَ دينارٍ ، وكان لا يَدَّخِرُ منها شيئًا .

طارقُ بنُ شهابِ بنِ عبدِ شمسٍ الأَحْمَسِىُّ[(١)] ، مِمَّن رأى النبىَّ ﷺ ، وغزَا فى خلافةِ الصِّدِّيقِ وعمرَ ، رضِى اللَّهُ عنهما ، بضعًا وأربعينَ غَزَاةً . تُوفِّى بالمدينةِ هذه السنةَ .

عبيدُ اللَّهِ بنُ عدِىِّ بنِ الخِيَارِ[(٢)] ، أدرَك النبىَّ ﷺ ، وحدَّث عن جماعةٍ مِن الصَّحابةِ ، [(٣)]وكان مِن فقهاءِ قُرَيشٍ وعُلمائِهم ، وأبوه عدِىٌّ مِمَّن قُتِل يومَ بدرٍ كافرًا[(٣)] .

عبدُ اللَّهِ بنُ قَيْسِ بنِ مَخْرمةَ[(٤)] ، كان قاضىَ المدينةِ[(٥)] ، وتُوفِّى بها فى هذه السنةِ .

مَرْثَدُ بنُ عبدِ اللَّهِ ، أبو الخيرِ ، اليَزَنىُّ[(٦)] .

وفيها فُقِد جماعةٌ مِن القُرَّاءِ والعلماءِ الذين كانوا مع ابنِ[(٧)] الأشعثِ ؛ منهم

---

(١) الاستيعاب ٢/ ٧٥٥، وأسد الغابة ٣/ ٧٠، والإصابة ٣/ ٥١٠.

(٢) الاستيعاب ٣/ ١٠١٠، وأسد الغابة ٣/ ٥٢٦، والإصابة ٥/ ٥٠ .

(٣ - ٣) سقط من : م.

(٤) ترجمته فى : الطبقات ٥/ ٢٣٩، وأسد الغابة ٣/ ٣٧٠، وتهذيب الكمال ١٥/ ٤٥٣، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٨١ - ١٠٠هـ) ص ١٢١، والإصابة ٥/ ٢٣.

(٥) بعده فى م: «وكان من فقهاء قريش وعلمائهم وأبوه عدى ممن قتل يوم بدر كافرا».

(٦) ترجمته فى : الطبقات ٧/ ٥١١، وطبقات خليفة ٢/ ٥٧٢، والمنتظم ٦/ ٢٩٨، وتهذيب الكمال ٢٧/ ٣٥٧، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٨١ - ١٠٠هـ) ص ١٩٥، وسير أعلام النبلاء ٤/ ٢٨٤، وحسن المحاضرة ١/ ٢٩٦. وفيه أن وفاته كانت سنة تسعين.

(٧) سقط من : م.

مَن هرَب ، ومنهم مَن قُتِل فى المعركةِ ، ومنهم مَن أُسِر فضرَب الحجّاجُ عنقَه ، ومنهم مَن تَتبَّعَه الحجاجُ حتى قتلَه .

وقد سَمَّى منهم خليفةُ بنُ خيَّاطٍ[1] طائفةً مِن الأعيانِ ؛ فمنهم مسلمُ بنُ يَسَارٍ المُزَنِىُّ ، [٧/١٠١و] وأبو مرّانةَ[2] العِجْلِىُّ قُتِل ، وعُقبةُ بنُ عبدِ الغافرِ[3] قُتِل ، وعقبةُ ابنُ وَسّاجٍ[4] قُتِل ، وعبدُ اللَّهِ بنُ غالبٍ[5] الجَهْضَمِىُّ قُتِل ، وأبو الجَوْزاءِ الرَّبعِىُّ قُتِل ، والنَّضْرُ بنُ أنسٍ ، وعِمرانُ والدُ أبى جَمْرةَ[6] الضُّبَعِىُّ ، وأبو المِنهالِ سيَّارُ بنُ سلامةَ الرِّياحىُّ ، ومالكُ بنُ دينارٍ ، ومُرّةُ بنُ دَبَّابٍ[7] الهَدَادىُّ[8] ، وأبو نُجَيدٍ الجَهْضَمىُّ ، وأبو شيخٍ[9] الهُنائىُّ ، وسعيدُ بنُ أبى الحسنِ[10] ، وأخوه الحسنُ البصرىُّ .

قال أيوبُ[11] : قِيل لابنِ الأشعثِ : إنْ أحببتَ أنْ يُقتلَ الناسُ حولَك كما

---

(١) تاريخ خليفة ١/٣٧١ - ٣٧٢.

(٢) فى حاشية ا ٢: « مرجانة » . وانظر تاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٨١ - ١٠٠هـ) ص ١٥. ولم يذكره خليفة من بين القراء الذين خرجوا مع ابن الأشعث .

(٣) فى م : « الغفار » . وانظر مصدر التخريج .

(٤) فى الأصل ، ا٢ ، م ، ص : « وشاح » . وانظر تهذيب الكمال ٢٠/ ٢٢٨.

(٥) فى م : « خالد » . وانظر تهذيب الكمال ١٥/ ٤١٩، وتاريخ خليفة ١/ ٣٧١.

(٦) فى ا٣ ، م : « حمزة » . وانظر تهذيب الكمال ٢٢/ ٣٤٠.

(٧) فى الأصل ، م : « ذباب » ، وفى ا٢ ، ص : « ذياب » . وانظر المشتبه فى أسماء الرجال ١/ ٢٨٢.

(٨) فى تاريخ خليفة : « الهراوى » . وفى تاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٨١ - ١٠٠هـ) ص ١٥: « الهداوى » . وهو منسوب إلى هداد بن زيد مناة بن الحجر بن عمران بن عمرو بن عامر ماء السماء ، بطن من الأزد . اللباب ٣/ ٢٨٥. والنسبة مذكورة فى الأنساب ٥/ ٦٢٩.

(٩) فى م : « سبيج » .

(١٠) سعيد بن أبى الحسن هـذا ليس فى تاريـخ خليفة . وانظر تاريـخ الإسلام (حـوادث ووفيات ٨١ - ١٠٠هـ) ص ١٥.

(١١) تاريخ خليفة ١/ ٣٧٢.

قُتِلوا حولَ هَوْدَجِ عائشةَ يومَ الجملِ فأخْرِجِ الحسنَ معك. فأَخْرَجه.

ومِن أهلِ الكوفةِ سعيدُ بنُ جُبيرٍ، وعبدُ الرحمنِ بنُ أبى ليلى، وعبدُ اللَّهِ بنُ شدَّادٍ، والشعبيُّ، وأبو عبيدةَ بنُ عبدِ اللَّهِ بنِ مسعودٍ، والمعرورُ[1] بنُ سُوَيدٍ، ومحمدُ بنُ سعدِ بنِ أبى وقّاصٍ، وأبو البَخْتَرىِّ، وطلحةُ بنُ مُصَرِّفٍ وزُبيدُ بنُ الحارثِ اليامِيّانِ[2]، وعطاءُ بنُ السَّائبِ. قال أيوبُ[3]: فما منهم [4]مِن أحدٍ[4] صُرِع مع ابنِ الأشعثِ إلا رُغِب عن مَصْرَعِه، ولا نجا أحدٌ منهم إلا حمِد اللَّهَ الذى سلَّمه.

ومِن أعيانِ مَن قتَل الحجاجُ:

عِمرانُ بنُ عصامٍ الضُّبَعىُّ[5]، والدُ أبى جَمْرةَ[6]، كان مِن علماءِ أهلِ البصرةِ، وكان صالحًا عابدًا، أُتِى به أسيرًا إلى الحجّاجِ فقال له[7]: اشْهَدْ على نفسِك بالكفرِ حتى أُطلِقَك. فقال: واللَّهِ إنِّى ما كفَرتُ باللَّهِ منذُ آمنتُ به. فأمَر فضُرِبتْ عنُقُه.

عبدُ الرحمنِ بنُ أبى ليلى[8]، روَى عن جماعةٍ مِن الصَّحابةِ، ولأبيهِ أبى

---

(١) فى ٣١: «والمعزور». وانظر تاريخ خليفة ١/ ٣٧٢.

(٢) اليامِيان أو الإياميّان نسبة إلى أيام. انظر الأنساب ١/ ٢٣٣، ٥/ ٦٧٧.

(٣) تاريخ خليفة ١/ ٣٧٢.

(٤ - ٤) سقط من: م.

(٥) ترجمته فى: الاستيعاب ٣/ ١٢٠٩، وأسد الغابة ٤/ ٢٨٢، وتهذيب الكمال ٢٢/ ٣٣٩، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٨١ - ١٠٠هـ) ص ١٥٨، والإصابة ٤/ ٧٠٦.

(٦) فى م: «حجزة». وانظر مصادر ترجمته السابقة.

(٧) تاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٨١ - ١٠٠هـ) ص ١٥٩.

(٨) ترجمته فى: طبقات ابن سعد ٦/ ١٠٩، وتاريخ بغداد ١٠/ ١٩٩، وأسد الغابة ٣/ ٤٢٨، وتهذيب الكمال ١٧/ ٣٧٢، وسير أعلام النبلاء ٤/ ٢٦٢، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٨١ - ١٠٠هـ) =

ليلى صُحْبةٌ ، أخَذ عبدُ الرحمنِ القرآنَ عن عليٍّ بنِ أبى طالبٍ . خرَج مع ابنِ الأشعثِ فأُتى به الحجاجُ أسيرًا فضُرِبَ عنُقُه بينَ يَدَيه صبرًا[1] .

= ص ١٢٧، وتذكرة الحفاظ ١/ ٥٨، وغاية النهاية ١/ ٣٧٦، والإصابة ٤/ ٢٢٠.

(١) بعده فى ص : « فأما مسلم بن يسار فكان كثير العبادة والصيام ، شديد الخشوع فى الصلاة . وقع مرة حريق إلى جنبه وهو قائم يصلى فما شعر به . وانهدمت ناحية من المسجد ففزع أهل المسجد لهدتها ، وإنه لفى المسجد قائم يصلى فما التفت . قال ابنه : رأيته ساجدا ، وهو يقول : متى ألقاك وأنت عنى راض . وكان إذا كان فى غير صلاة كأنه فى صلاة .

قال لأصحابه يوم التروية : هل لكم فى الحج ؟ فقالوا : خرف الشيخ ، وعلى ذلك لنطيعنه . فخرجوا إلى الجبان برواحلهم ، فقال : خلوا أزمتها . فأصبحوا ، وهم ينظرون إلى جبال تهامة . قولهم (خرف) أى : تغير عقله من الكبر ؛ لأنهم كانوا بالبصرة ، وقد بقى للوقوف بعرفة يوم واحد ، فعرض عليهم الحج وبينهم وبينه مسيرة أربعين يوما وأربعين ليلة فى ليلة واحدة .

وقال سليمان بن المغيرة : جاء مسلم بن يسار إلى دجلة وهى تقذف بالزبد وترمى بالخشب ، فمشى على الماء ثم التفت إلى أصحابه فقال : تفقدون شيئا ؟ يعنى أن أصحابه كانوا قد مشوا معه على الماء ببركته ، فلما قطعوا دجلة أشفق أن يكون قد ذهب لهم شىء من أمتعتهم ، فقال : هل تفتقدون شيئا ؟

قال مالك بن دينار : رأيت مسلم بن يسار فى منامى بعد موته فسلمت عليه فلم يرد على السلام ، فقلت له : ما لك لا ترد على . فقال : أنا ميت ، فكيف أرد عليك ؟ فقلت : ماذا لقيت بعد الموت ؟ قال : لقيت والله أهوالا وزلازل شدادا عظاما . فقلت : فما كان بعد ذلك ؟ قال : فما تراه يكون من الكريم ؛ قبل منا الحسنات ، وعفا لنا عن السيئات وضمن عنا التبعات . ثم شهق مالك شهقة خر مغشيا عليه ، فلبث أياما مريضا ثم مات .

قتل مسلم بن يسار فى وقعة ابن الأشعث مع الحجاج » .

ثم دَخلتْ سنةُ أربعٍ وثمانيـنَ

قال الواقدىُّ[1] : فيها افْتتَح عبدُ اللَّهِ بنُ عبدِ الملكِ بنِ مروانَ المَصِّيصَةَ .

وفيها غزا محمدُ بنُ مروانَ أرْمينيَّةَ فقتَل منهم خلقًا كثيرًا[2] وحرَق[3] كنائسَهم وضِياعَهم . وتُسمَّى سنةَ الحَريقِ .

وفيها استعمَل الحجّاجُ على فارسَ محمدَ بنَ القاسمِ الثَّقَفِىَّ ، وأمرَه بقَتْلِ الأكرادِ .

وفيها وَلَّى عبدُ الملكِ الإسكندريةَ عِياضَ بنَ غَنْمٍ التُّجيبىَّ[4] ، وعزَل عنها عبدَ الملكِ بنَ أبى الكنودِ الذى كان قد وليها فى العامِ الماضى .

وفيها افتتَح موسى بنُ نُصيرٍ طائفةً مِن بلادِ المغربِ ؛ مِن ذلك بلدُ أَوْرَبَةَ[5] ، وقتَل مِن أهلِها بشرًا كثيرًا جدًّا ، وأسَر نحوًا مِن خمسين ألفًا .

وفيها قتَل الحجّاجُ أيضًا جماعةً مِن رؤساءِ[6] أصحابِ ابنِ الأشعثِ ، منهم : **أيوبُ بنُ القِرِّيَّةِ**[7] ، وكان فصيحًا بليغًا واعظًا ، قتَله صبرًا بيـنَ يَدَيه ،

---

(١) تاريخ الطبرى ٦/ ٣٨٥.

(٢) سقط من : ٢١، م.

(٣) فى م : « صرف ».

(٤) فى م : « البجينى ». وانظر تاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٨١ - ١٠٠هـ) ص ٢١.

(٥) فى ٣١، ص : « أرزمة ». وفى ٢١: « أزرمة »، وفى م : « أرومة ». وانظر معجم البلدان ١/ ٤٠٠.

(٦) سقط من : ٣١، ٢١، م، ص.

(٧) انظر ترجمته الآتية فى صفحة ٣٥٥ .

ويقالُ[1] : إنه ندِم على قتلِه . وهو أَيُّوبُ بنُ زيدِ بنِ قيسٍ ، أبو سليمانَ الهلاليُّ ، المعروفُ بابنِ القِرِّيَّةِ . **وعبدُ اللَّهِ بنُ الحارثِ بنِ نوفلٍ**[2] . **وسعدُ بنُ إياسٍ الشَّيبانيُّ**[3] . **وأبو عِنَبَةَ**[4] **الخَوْلانيُّ**[5] ، له صُحبةٌ وروايةٌ ، سكَن حِمْصَ وبها تُوفى وقد قاربَ المائةَ سنةٍ . **عبدُ اللَّهِ بنُ قتادةَ**[6] ، وغيرُ هؤلاءِ جماعةٌ ؛ منهم مَن قتَله الحجاجُ .

ومنهم مَن تُوفى : **أبو زُرعةَ الجُذاميُّ الفلسطينيُّ**[7] ، كان ذا منزلةٍ عندَ أهلِ الشّامِ ، فخاف منه معاويةُ ، ففهِم منه ذلك أبو زُرعةَ فقال[8] : يا أميرَ المؤمنين ، لا تَهدِمْ ركنًا بنيتَه ، ولا تُحزِنْ صاحبًا سرَرْتَه ، ولا تُشمِتْ عدوًّا كبتَّه . فكَفَّ عنه معاويةُ .

وفيها تُوفى **عتبةُ**[9] **بنُ النُّدَّرِ**[10] **السُّلميُّ**[11] ، صحابيٌّ جليلٌ[12] .

---

(١) تاريخ الطبرى ٦/ ٣٨٦، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٨١ - ١٠٠هـ) ص ٢٠، ٤٤.

(٢) الاستيعاب ٣/ ٨٨٥، وأسد الغابة ٣/ ٢٠٧، والإصابة ٥/ ٩.

(٣) الاستيعاب ٤/ ١٧٢، وأسد الغابة ٢/ ٣٣٨، والإصابة ٣/ ٢٥٤.

(٤) فى م: «غنينما». وفى ص: «عتبة».

(٥) الاستيعاب ٤/ ١٧٢٢، وأسد الغابة ٦/ ٢٣٣، والإصابة ٧/ ٢٩٢.

(٦) لم نجده.

(٧) هو روح بن زنباع وستأتى ترجمته فى صفحة ٣٥٦ .

(٨) تاريخ دمشق ١٨/ ٢٤٧، والوافى بالوفيات ١٤/ ١٥٠، بنحوه.

(٩) الاستيعاب ٣/ ١٠٣١، وأسد الغابة ٣/ ٥٧٠، والإصابة ٤/ ٤٤١، ٤٤٢.

(١٠) فى الأصل: «البدر»، وفى ٣١، ٢١، ص: «المنذر». وفى م: «منذر». والمثبت من مصادر ترجمته الواردة فى الحاشية التالية.

(١١) بعده فى ٣١ ، ٢١ ، م ، ص : « كان يعد فى أهل الصفة » . وانظر مصادر الترجمة .

عِمرانُ بنُ حِطَّانَ الخارجيُّ[1] ، كان أولًا مِن أهلِ السُّنَّةِ والجماعةِ فتزَوَّج امرأةً مِن الخوارجِ حسنةً جميلةً جدًّا فأحبَّها ، وكان هو دميمَ الشّكلِ ، فأراد أنْ يرُدَّها إلى السُّنَّةِ فأبَتْ ، فارتَدَّ معها إلى مذهبِها . وقد كان مِن الشعراءِ المُطْبِقين[2] ، وهو القائلُ فى قتلِ علىٍّ وقاتِله[3] :

يا ضربةً مِنْ تَقِىٍّ ما أرادَ بها ... إلّا ليبْلُغَ (4)مِن ذِى العرشِ(4) رِضْوانا

إنى لأذكُرُه يومًا فأحسَبُهُ ... أَوْفَى البريَّةِ عندَ اللَّهِ مِيزَانا

[١٠١/٧ظ] أَكرِمْ بقومٍ بطونُ الطيرِ قبرُهمُ ... لمْ يَخلِطُوا دِينَهمْ بغيًا وعُدوانا

وقد كان الثَّورِىُّ يتمثَّلُ بأبياتِه هذه فى الزهدِ فى الدنيا ، وهى قولُه[5] :

أَرَى أشقياءَ النّاسِ لا يَسْأَمُونها ... على أنّهُمْ فيها عُراةٌ وجُوَّعُ

أراها وإنْ (6)كانتْ تُحَبُّ(6) فإنّها ... سَحابةُ صيْفٍ عنْ قليلٍ تَقشَّعُ

كرَكْبٍ قَضَوا حاجاتِهمْ وتَرحَّلوا ... طريقُهُمْ بادى العَلامةِ مَهْيَعُ[7]

---

(١) ترجمته فى : طبقات ابن سعد ٧/ ١٥٥، والأغانى ١٨/ ١٠٩، وتهذيب الكمال ٢٢/ ٣٢٢، وسير أعلام النبلاء ٤/ ٢١٤، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٨١ - ١٠٠هـ) ص ١٥٤، والإصابة ٥/ ٣٠٢.

(٢) فى م : « المُفلِقين » .

(٣) الأبيات ، عدا الأخير منها موجودة فى الكامل للمبرد ٣/ ١٦٩، والأغانى ١٨/١١١ باختلاف ، وانظر تاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٨١ - ١٠٠هـ) ص ١٥٦، وسير أعلام النبلاء ٤/ ٢١٥. وقد رد عليه جماعة من الشعراء، انظر تفصيل ذلك فى ترجمته فى الخزانة ٥/ ٣٥٠.

(٤ - ٤) فى الأصل : « عند اللَّه » .

(٥) الأبيات فى الخزانة ٥/ ٣٦١، وانظر تاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٨١ - ١٠٠هـ) ص ١٥٧، والسير ٤/ ٢١٦.

(٦ - ٦) فى الأصل : « سرَّت قليلًا » .

(٧) المَهْيَع من الطرق : البَيِّن .

مات عِمرانُ بنُ حِطّانَ سنةَ أربعٍ وثمانينَ . وقد رَدَّ عليه بعضُ العلماءِ فى أبياتِه المتقدِّمةِ فى قَتْلِ علىٍّ رضِى اللَّهُ عنه ، بأبياتٍ على قافيتِها ووزنِها[1] :

بلْ ضربةٌ مِن شَقِىٍّ ما أرادَ بها إلا ليبْلُغَ مِن ذِى العرشِ خُسْرانا
إنى لأذكرهُ يومًا فأحسَبُهُ أشْقَى البريةِ عندَ اللَّهِ ميزانا

رَوْحُ بنُ زِنْباعٍ الجُذَامِىُّ[2] ، [3]كان مِن أمراءِ الشّامِ ، وكان عبدُ الملكِ يَسْتشيرُه فى أمورِه[3] .

وفيها كان مَهْلِكُ **عبدِ الرحمنِ بنِ** [4]**محمدِ بنِ**[4] **الأشعثِ بن قيسٍ الكِنْدىِّ** ، [5]وقيل : فى التى بعدَها . فاللَّهُ أعلمُ ؛ وذلك[5] أنَّ الحجاجَ كتَب إلى رُتْبيلَ [6]ملكِ التركِ[6] الذى لجأَ ابنُ الأشعثِ إليه يقولُ له : واللَّهِ الذى لا إلهَ إلا هو لئن لم تَبعَثْ إلىَّ بابنِ الأشعثِ لأَبْعثَنَّ إلى بلادِك ألفَ ألفِ مقاتلٍ ؛ ولأُخَرِّبَنَّها . فلمَّا تحقَّقَ الوعيدَ مِن الحجاجِ استشار فى ذلك بعضَ الأمراءِ فَأشار عليه بتسليمِ ابنِ الأشعثِ إليه قبلَ أنْ يُخرِّبَ الحجاجُ ديارَه ويأْخُذَ عامةَ أمصارِه ، فأرسَل إلى الحجاجِ يَشْترِطُ عليه أنْ لا يقاتلَ عشرَ سنين ، وأنْ لا يُؤدِّىَ فى كلِّ سنةٍ منها إلا مائةَ ألفٍ مِن الخَراجِ ، فأجابه الحجاجُ إلى ذلك ، وقِيل : إنَّ الحجاجَ وعدَه أنْ

---

(١) انظر الخزانة ٥/ ٣٥٠، وانظر حاشية تاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٨١ - ١٠٠هـ) ص ١٥٦، ١٥٧، وكذا حاشية سير أعلام النبلاء ٤/ ٢١٥. وطبقات الشافعية الكبرى ١/ ٢٨٨.
(٢) ستأتى ترجمته فى صفحة ٣٥٦ .
(٣ - ٣) زيادة من: ٣١، ٢١، م، ص.
(٤ - ٤) سقط من : ٣١ ، ٢١ ، م ، ص . وانظر ترجمته فى : تاريخ خليفة ٣٧٥/١ ، وسير أعلام النبلاء ١٨٣/٤ ، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٨١ - ١٠٠ هـ) ص ١٢٩ .
(٥ - ٥) فى الأصل: «وكان سبب ذلك».
(٦ - ٦) زيادة من: م.

يُطلِقَ له خَراجَ أرضِه سبعَ سنينَ . فعندَ ذلك غدَر رُتْبيلُ بابنِ الأشعثِ ، فقيل : إنَّه أمَر بضربِ عُنُقِه صبرًا بين يَدَيه ، وبعَث برأسِه إلى الحجاجِ . وقِيل : بل كان ابنُ الأشعثِ قد مرِض مرضًا شديدًا فقتَله وهو بآخرِ رَمَقٍ . والمشهورُ أنه قَبَض عليه وعلى ثلاثينَ مِن أقربائِه فقيَّدَهم في الأصفادِ وبعَث بهم مع رُسُلِ الحجاجِ إليه ، فلَمّا كانوا ببعضِ الطريقِ بمكانٍ يُقالُ له : الرُّخَّجُ[1] . صعِد ابنُ الأشعثِ وهو مُقيَّدٌ بالحديدِ إلى سطحِ قصرٍ ، ومعه رجلٌ موكَّلٌ به لئلَّا يفرَّ ، وألْقَى نفسَه مِن ذلك القصرِ وسقَط معه المُوكَّلُ به فماتا جميعًا ، فعمَد الرسولُ إلى رأسِ ابنِ الأشعثِ فاحتزَّه ، وقتَل مَن معه مِن أصحابِ ابنِ الأشعثِ ، وبعَث برءُوسِهم إلى الحجّاجِ ، فأمَر فطِيف برأسِه في العراقِ ، ثم بعثَه إلى أميرِ المؤمنين عبدِ الملكِ بنِ مروانَ فطِيف برأسِه في الشَّامِ ، ثم بعَث به إلى أخيه عبدِ العزيزِ بمصرَ فطِيفَ برأسِه هنالك ، ثم دَفَنُوا رأسَه بمصرَ وجُثَّتَه بالرُّخَّجِ ، وقد قال بعضُ الشُّعراءِ في ذلك :

[١٠٢/٧و] هيهاتَ موضعُ جثَّةٍ مِن رأسِها ... رأسٌ بمصرَ وجثَّةٌ بالرُّخَّجِ

وإنما ذكَر ابنُ جريرٍ مقتلَ ابنِ الأشعثِ في سنةِ خمسٍ وثمانين[2] . فاللَّهُ أعلمُ .

وعبدُ الرحمنِ هذا هو ابنُ[3] محمدِ بنِ الأشعثِ بنِ قيسٍ ، ومنهم مَن يقولُ : عبدُ الرحمنِ بنُ قيسِ بنِ محمدِ بنِ الأشعثِ بنِ قيسٍ الكِنْديُّ الكوفيُّ . قد روَى

---

(١) في الأصل ، ٣١: « بالرحح » ، وفي ٢١: « بالزحج » ، وفي م : « بالرجح » ، وفي ص : « بالرحج » . وكذا فيما يأتي من مواضع . والمثبت من تاريخ الطبرى ٦/ ٣٩١، ونهاية الأرب ٢١/ ٢٥٩. والرخج : مدينة من نواحي كابل . معجم البلدان ٢/ ٧٧٠.

(٢) تاريخ الطبرى ٦/ ٣٨٩.

(٣) سقط من : ص ، وفي ٢١، م : « أبو » .

له أبو داودَ والنَّسائىُّ، عن أبيه، عن جَدِّه، عن ابنِ مسعودٍ حديثَ[1]: «إذا اختلَف المتبايعانِ والسلعةُ قائمةٌ، فالقولُ ما قال البائعُ أو يتتاركان[2]». وعنه أبو العُمَيسِ، ويُقالُ: إنَّ الحجاجَ قتَله بعدَ التسعين سنةً. فاللَّهُ أعلمُ.

والعجَبُ كُلُّ العجبِ مِن هؤلاءِ الذين بايَعوه بالإمارةِ وليس مِن قريشٍ، وإنما هو كِنْدىٌّ مِن اليمنِ، وقد اجتمَع الصحابةُ يومَ السَّقيفةِ على أنَّ الإمارةَ لا تكونُ إلا فى قريشٍ، واحتَجَّ عليهم الصِّدِّيقُ بالحديثِ فى ذلك، حتى إنَّ الأنصارَ سألوا أنْ يكونَ منهم أميرٌ مع أميرِ المهاجرينَ، فأبَى الصِّدِّيقُ عليهم ذلك، ثم مع هذا كُلِّه ضرَب[3] سعدُ بنُ عبادةَ - الذى دعا إلى ذلك أولًا ثم رجَع عنه - كما قرَّرنا ذلك فيما تقدَّم[4]؛ فكيف يعمَدون إلى خليفةٍ قد بُويعَ له بالإمارةِ على المسلمين مِن سنين فيعزِلونه وهو من صَلِيبَةِ[5] قريشٍ، ويبايِعون لرجلٍ كِنْدىٍّ بيعةً لم يَتَّفِقْ عليها أهلُ الحَلِّ والعَقْدِ؟ ولهذا لما كانت هذه زَلَّةً وفَلْتَةً نشَأ بسببِها شَرٌّ كثيرٌ هلَك فيه خَلْقٌ كثيرٌ، فإنا للَّهِ وإنا إليه راجعون.

أيُّوبُ ابنُ القِرِّيَّةِ[6] - وهى أمُّه - واسمُ أبيه يزيدُ بنُ قيسِ بنِ زُرارةَ بنِ مسلمٍ النَّمَرىُّ الهلالىُّ، كان أعرابيًّا أُمِّيًّا، وكان يُضْرَبُ به المثلُ فى فصاحتِه وبيانِه وبلاغتِه، صحِب الحجاجَ ووفَد على عبدِ الملكِ، ثم بعَثه رسولًا إلى ابنِ

---

(١) أبو داود (٣٥١١)، والنسائى (٤٦٦٢). صحيح (صحيح سنن أبى داود ٢٩٩٧).
(٢) فى م: «تشاركا».
(٣) يعنى: كف ورجع عما كان دعا إليه.
(٤) تقدم فى ٨/٨١ فما بعدها.
(٥) فى م، ص: «صلبية». والصليب: الخالص النسب.
(٦) ترجمته فى: المعارف ص ٤٠٤، وتاريخ دمشق ١٠/ ١٤٠، وسير أعلام النبلاء ٤/ ١٩٧، ووفيات الأعيان ١/ ٢٥٠، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٨١ - ١٠٠هـ) ص ٤٣، ومرآة الزمان ١/ ١٧١، ١٧٢، والوافى بالوفيات ١٠/ ٣٩.

الأشعثِ ، فقال له ابنُ الأشعثِ : لئن لم تَقُمْ خطيبًا فتَخْلَعِ الحجاجَ لأَضْرِبنَّ عُنُقَكَ . ففعَل ، وأقام عندَه ، فلمّا ظهَر الحجاجُ اسْتحضرَه وجرَتْ له معه مقاماتٌ ومقالاتٌ فى الكلامِ ، ثم فى آخرِ الأمرِ ضرَب عنقَه ، وندِم بعدَ ذلك على ما فعَل مِن ضَرْبِ عنقِه ، ولكن ندِم حيثُ لا ينفَعُه النَّدَمُ ؛ كما قيل :

وجادَتْ بوَصْلٍ حينَ لا يَنْفَعُ الوصلُ

وقد ذكَره ابنُ عساكرَ فى تاريخِه[1] ، وابنُ خلِّكانَ فى الوفياتِ[2] ، وأطال ترجمتَه وذكَر فيها أشياءَ حسنةً ، قال[3] : والقِرِّيَّةُ ، بكسرِ القافِ وتشديدِ الياءِ ، وهى جدَّتُه ، واسمُها خُماعةُ[4] بنتُ جُشَمَ .

قال ابنُ خلِّكانَ[5] : ومِن الناسِ مَن أنكَر وجودَه ، ووجودَ مجنونِ ليلى ، وابنِ أبى العَقَبِ صاحبِ الملحمةِ ، وهو يحيى بنُ عبدِ اللَّهِ بنِ أبى العقبِ . واللَّهُ أعلمُ .

رَوْحُ بنُ زِنْباعِ بنِ سلامةَ الجُذَامِىُّ أبو زُرْعةَ[6] ، [١٠٢/٧ظ] ويقالُ : أبو زِنْباعٍ الدِّمشقىُّ . دارُه بدمشقَ فى طرفِ البُزُوريين[7] عندَ دارِ ابنِ

---

(١) تاريخ دمشق ١٠/ ١٤٠.
(٢) وفيات الأعيان ١/ ٢٥٠.
(٣) المصدر السابق ١/ ٢٥١.
(٤) فى النسخ : « جماعة » وهو خطأ ، والمثبت من وفيات الأعيان ، وانظر الإكمال ٣/ ١٩٠.
(٥) وفيات الأعيان ١/ ٢٥٤.
(٦) ترجمته فى الوزراء والكتاب ٣٥، ٣٦، والاستيعاب ٢/ ٥٠٢، وتاريخ دمشق ١٨/ ٢٤٠، وأسد الغابة ٢/ ٢٣٧، وسير أعلام النبلاء ٤/ ٢٥١، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٨١ - ١٠٠هـ) ص ٦١، والوافى بالوفيات ١٤/ ١٥٠، والإصابة ٥٠٥.
(٧) البزوريين: سوق من أسواق دمشق القديمة، يعرف بسوق القمح أيضا واليوم بـ (سوق البزورية) موقعه فى الجهة الجنوبية من الخضراء.

أبى[1] العَقَبِ صاحبِ الملحمةِ. وهو تابعىٌّ جليلٌ، روَى عن أبيه - وكانت له صُحْبةٌ - وتميمٍ الدَّارىِّ، وعبادةَ بنِ الصامتِ، ومعاويةَ، وكعبِ الأحبارِ، وغيرِهم. وعنه جماعةٌ؛ منهم عُبادةُ بنُ نُسَىٍّ.

كان رَوْحٌ عندَ عبدِ الملكِ كالوزيرِ لا يكادُ يفارقُه، وكان مع أبيه مروانَ يومَ مَرْجِ راهطٍ، وقد أمَّره يزيدُ بنُ معاويةَ على جندِ فلسطينَ. وزعَم مسلمُ بنُ الحجاجِ أنَّ رَوْحَ بنَ زِنْباعٍ كانت له صُحبةٌ[2]، ولم يُتابَعْ مسلمٌ على هذا القولِ، والصحيحُ أنه تابعىٌّ وليس بصحابىٍّ. ومِن مآثرِه التى تفرَّد بها أنه كان كلما خرَج مِن الحمّامِ يُعتِقُ نسمةً[3]. قال ابنُ زَبْرٍ[4]: مات سنةَ أربعٍ وثمانينَ بالأُرْدنِّ. وزعَم بعضُهم أنه بقِى إلى أيامِ هشامِ[5] بنِ عبدِ الملكِ.

وقد حجَّ مرَّةً فنزَل على ماءٍ بينَ مكةَ والمدينةِ فأمَر فأُصلِحتْ له أطعمةٌ مختلِفةُ الألوانِ، ثم وُضِعَتْ بينَ يَدَيه، فبينما هو يأكلُ إذ جاء راعٍ مِن الرِّعاةِ يَرِدُ الماءَ، فدعاه رَوْحُ بنُ زِنباعٍ إلى الأكلِ من ذلك الطعامِ، فجاء الرَّاعى فنظَر إلى طعامِه وقال: إنى صائمٌ. فقال له رَوْحٌ: فى مثلِ هذا اليومِ الطويلِ الشديدِ الحرِّ تصومُ يا راعى؟ فقال الراعى: أفأَغْبِنُ أيامى مِن أجلِ طُعَيِّمِك[6]؟ ثم إنَّ الراعىَ ارتاد لنفسِه مكانًا فنزَله وترَك روحَ بنَ زِنباعٍ، فقال رَوْحُ بنُ

(١) سقط من: ٣١، م، ص، وانظر الوافى بالوفيات ١٤/ ١٥٠.
(٢) انظر تاريخ دمشق ١٨/ ٢٤٦، والإصابة ٢/ ٥٠٥.
(٣) تاريخ دمشق ١٨/ ٢٤٦.
(٤) فى ٢١: «زير»، وفى م: «زيد»، وانظر تاريخ دمشق ١٨/ ٢٥١.
(٥) من هنا إلى قول المصنف: «ثم دخلت سنة خمس وثمانين» مكانه فى الأصل: «والصحيح الأول». وانظر تاريخ دمشق ١٨/ ٢٥٠.
(٦) فى م، ص: «طعامك».

زنباعٍ[1] :

لقد ضننتَ بأيَّامِكَ يا راعى إذ جادَ بها رَوْحُ بنُ زِنباعٍ .

ثم إنَّ رَوحًا بكَى طويلًا وأمرَ بتلك الأطعمةِ فَرُفِعَتْ ، وقال : انْظُروا هَلْ تجِدون لها آكلًا مِن هذه الأعرابِ أو الرعاةِ ؟ ثم سار مِن ذلك المكانِ وقد أخَذ الراعى بمجامعِ قَلْبِه وصغُرَتْ إليه نفسُه . واللَّهُ سبحانه وتعالى أعلمُ .

---

(١) تاريخ دمشق ١٨/ ٢٥٠، بنحوه .

ثم دَخلتْ سنةُ خَمْسٍ وثمانيـنَ

فيهَا - كما ذكَر ابنُ جريرٍ[1] - كان مَقتلُ عبدِ الرحمنِ بنِ الأشعثِ الكِنْدِيِّ[2] . فاللَّهُ أعلمُ .

وفيها عزَل الحجاجُ عن إمْرةِ خُراسانَ يزيدَ بنَ المُهَلَّبِ ، ووَلَّى عليها أخاه المفضَّلَ بنَ المُهَلَّبِ . وكان سببَ ذلك أنَّ الحجّاجَ وفَد مرَّةً على عبدِ الملكِ ، فلمَّا انصرَف مَرَّ بدَيْرٍ ، فقيل له[3] : إنَّ فيه شيخًا[4] مِن أهلِ الكتابِ عالمًا . فدُعِي له[5] ، فقال : ياشيخُ ، هل تجِدون فى كُتُبِكم ما أنتم فيه وما نحن فيه ؟ قال : نعم . قال : فما تجِدون صفةَ أميرِ المؤمنينَ ؟ قال : نجِدُه مَلِكًا أقرعَ ، مَن يَقُمْ بسبيلِه يُصْرَعْ . قال : ثم مَن ؟ قال : ثم رجلٌ يقالُ له : الوليدُ . قال : ثم ماذا ؟ قال : ثم رجلٌ اسمُه اسمُ نبيٍّ يُفْتَحُ به على النّاسِ . قال : أفتَعْرِفُنى[6] ؟ قال : قد أُخْبِرْتُ بك . قال : أفتعرِفُ [7]ما أَلِى[7] ؟ قال : نعم . قال : فمَن يَلِى العراقَ بَعْدِى ؟ قال : رجلٌ يقالُ له : يزيدُ . قال : أَفِى حياتى أم بعدَ موتى ؟ قال : لا أدرى . قال : أفتعرِفُ صفتَه ؟ قال : يغدِرُ غَدْرَةً ، لا أعرِفُ غيرَها .

---

(١) تاريخ الطبرى ٦/ ٣٨٩.

(٢) سقط من : ٣١ ، ٢١ ، م ، ص .

(٣) تاريخ الطبرى ٦/ ٣٩٣.

(٤) بعده فى م : « كبيرا » .

(٥) سقط من : م .

(٦) بعده فى م : « له » .

(٧ - ٧) فى الأصل ، ٣١، ٢١، م : « مآلى » ، وفى ص : « ما بى » . والمثبت من تاريخ الطبرى ٦/ ٣٩٣.

قال[1] : فوقَع فى نفسِ الحجاجِ أنه يزيدُ بنُ المُهَلَّبِ ، وسار سبعًا وهو وَجِلٌ مِن كلامِ الشَّيخِ ، ثم بعَث إلى عبدِ الملكِ يَستعفِيه مِن ولايةِ العراقِ ؛ ليعلَمَ مكانتَه عندَه ، فجاء الكتابُ بالتقريعِ ، والتَّأنيبِ ، والتوبيخِ ، والأمرِ بالثباتِ ، والاستمرارِ على ما هو عليه . ثم إنَّ الحجاجَ جلَس يومًا مُفكِّرًا واسْتَدْعى بعُبيدِ بنِ مَوْهَبٍ فدَخَل عليه ، وهو ينكُتُ فى الأرضِ ، فرفَع رأسَه إليه ، فقال : وَيْحك يا عبيدُ ، إنَّ أهلَ الكتابِ يذكُرون أنَّ ما تحتَ يَدى يليه رجلٌ يقالُ له : يزيدُ . وقد تذكَّرتُ يزيدَ [٧/١٠٣و] بنَ أبى كَبْشَةَ ، ويزيدَ بنَ حُصينِ بنِ نُميرٍ ، ويزيدَ بنَ دينارٍ ، فليسُوا هناك ، وما هو - (٢إن كان٢) - إلا يزيدُ بنُ المُهَلَّبِ . فقال عبيدٌ : لقد شرَّفتَهم وعظَّمْتَ ولايتَهم ، وإنَّ لهم لعَددًا[3] وجَلَدًا وحظًّا ، فأَخْلِقْ به . فأجمَعَ رأيُ الحجاجِ على عزلِ يزيدَ بنِ المُهَلَّبِ ، فكتَب إلى عبدِ الملكِ يَذُمُّه[4] ويُخوِّفُه غَدْرَه ، ويُخبرُه بما أخبرَه به ذلك الشَّيخُ (٥وكتَب إليه عبدُ الملكِ٥) : قد أكثَرتَ فى شأنِ يزيدَ فسَمِّ رجلًا يصلُحُ لخراسانَ . فوقَع اختيارُ الحجاجِ على المفضَّلِ بنِ المُهَلَّبِ ، فولَّاه قليلًا تسعةَ أشهرٍ ، فغزا باذَغِيسَ[6] وغيرَها ، وغنِم مغانمَ كثيرةً ، وامتدَحه الشعراءُ ، ثم عزَله بقُتيبةَ بنِ مسلمٍ .

قال ابنُ جريرٍ[7] : وفى هذه السنةِ قُتِل موسى بنُ عبدِ اللَّهِ بنِ خازمٍ بتِرْمِذَ . ثم

---

(١) تاريخ الطبرى ٦/ ٣٩٤.

(٢ - ٢) سقط من : ٣١، ٢١، م، ص.

(٣) فى م : « لقدرا ».

(٤) فى الأصل ، ٣١، ٢١، ص : « يذم منه ».

(٥ - ٥) فى ٣١، ٢١، م، ص : « الكتابى فجاء البريد بكتاب فيه ». وانظر تاريخ الطبرى ٦/ ٣٩٥.

(٦) فى الأصل : « بارعيس ». وفى ٣١، ص : « بلاد عيس ». وفى ٢١: « بلاد تسيس ». وفى م : « بلاد عبس ». والمثبت من تاريخ الطبرى ٦/ ٣٩٧. وباذَغِيس : ناحية تشتمل على قرى من أعمال هراة ومرو الروذ . معجم البلدان ١/ ٤٦١.

(٧) تاريخ الطبرى ٦/ ٣٩٨.

ذكَر سببَ ذلك . وملخَّصُه ، أنه بعدَ مقتلِ أبيه لم يَبْقَ بيدِه بلدٌ يلجَأُ إليه بمَنْ معه مِن أصحابِه ، فجعَل كُلَّما اقْتَرَب مِن بلدةٍ خرَج إليه ملكُها فقاتلَه ، فلم يَزَلْ ذلك دأبَه حتى نزَل قريبًا مِن تِرْمِذَ ، وكان ملكُها[1] فيه ضَعْفٌ ، فجعَل يهادِنُه ويبعَثُ إليه بالألْطَافِ والتُّحفِ ، حتى جعَل يَتصَيَّدُ هو وهو ، ثم عنَّ للملكِ فعمِل له طعامًا ، وبعَث إلى موسى بنِ عبدِ اللَّهِ بنِ خازمٍ : أن ائتنى فى مائةٍ من أصحابِك ، فاختار موسى مِن جيشِه مائةً مِن شُجْعانِهم ، ثم دخَل البلدَ (٢فأكَل مِن طعامِ الملكِ٢) فلمَّا فرَغتِ الضِّيافةُ اضطجَع موسى (٢على جنبِه٢) فى دارِ الملكِ ، وقال : واللَّهِ لا أقومُ مِن هنا حتى يكونَ هذا المنزلُ منزِلى ، أو يكونَ قبرِى . فثار أهلُ القصرِ إليه فحاجفَ عنه أصحابُه ، ثم وقعَت الحربُ بينَهم وبينَ أهلِ تِرْمِذَ ، فاقتتلوا فقُتِل مِن أهلِ تِرْمِذَ خَلْقٌ كثيرٌ وهرَب بقِيَّتُهم ، واستدعى موسى بقيةَ جيشِه إليه ، واستحوَذ موسى على البلدِ فحصَّنها ومنَعها مِن الأعداءِ ، وخرَج منها ملكُها هاربًا فلجَأ إلى إخوانِه مِن الأتراكِ فاستنصَرهم ، فقالوا له : هؤلاءِ قومٌ فى نحوِ مِن مائةِ رجلٍ (٣أخرجوكم مِن بلدِكم٣) ، لا طاقةَ لنا بقتالِ هؤلاءِ . ثم ذهَب ملِكُ تِرْمِذَ إلى طائفةٍ أخرى مِن التركِ فاستصرَخَهم فبعَثوا معه قُصَّادًا نحوَ موسى ليسمَعوا كلامَه . فلمَّا أحسَّ بقدومِهم عليه - وكان ذلك فى شدَّةِ الحرِّ - أمَر أصحابَه أن يُؤَجِّجوا نارًا ويَلْبَسوا ثيابَ الشتاءِ ويُدْنوا أيدِيَهم مِن النَّارِ كأنهم يَصْطلونَ بها ، فلمّا وصَلت إليه[4] الرسلُ رأَوا [٧/١٠٣ظ] أصحابَه وما يصنَعون

---

(١) بعده فى ٣١، ٢١، ص: «ملكًا».
(٢ - ٢) سقط من: م.
(٣ - ٣) فى ٣١، ٢١، م، ص: «أخرجوك من بلدك».
(٤) فى م: «إليهم».

فى شِدَّةِ الحرِّ فقالوا لهم : ما هذا الذىتفعلونَه ؟ فقالوا لهم : إنا نجِدُ البردَ فى الصيفِ ، والكَرْبَ فى الشتاءِ . فرجَعوا إلى أنفسِهم ، فقالوا : ما هؤلاء بَشَرٌ ، ما هؤلاء إلا جِنٌّ . ثم عادوا إلى مَلِكِهم فأخبروه بما رأوا ، فقالوا : لا طاقةَ لنا بقتالِ هؤلاء . ثم ذهَب صاحبُ تِرْمِذَ فاستجاش بطائفةٍ أخرى ، فجاءوا فحاصرُوهم[1] بتِرْمِذَ ، وجاء الخُزَاعىُّ فحاصرَهم أيضًا ، فجعَل يُقاتِلُ الخزاعىَّ أوَّلَ النهارِ ، ويقاتِلُ آخرَه العجَمَ . ثم إن موسى بيَّتهم فقتَل منهم مقتلةً عظيمةً ، وأفزَع ذلك عمرَ الخُزَاعىَّ فصالَحه وكان معه ، فدخَل يومًا عليه ، وليس عندَه أحدٌ ، وليس يَرى معه سلاحًا ، فقال على وجهِ النُّصحِ : أصلَح اللَّهُ الأميرَ ، إنَّ مِثْلَكَ لا يَنْبغى أن يكونَ بلا سلاحٍ . فقال : إنَّ عندى سلاحًا . ثم رفَع صَدْرَ فِراشِه فإذا سيفُه مُنْتضًى[2] ، فأخذَه عمرُ فضرَبه به حتى بَرَد ، وخرَج هاربًا ، ثم تَفَرَّق أصحابُ موسى بنِ عبدِ اللَّهِ بنِ خازمٍ .

قال ابنُ جريرٍ[3] : وفى هذه السنةِ عزَم عبدُ الملكِ على عَزْلِ أخيه عبدِ العزيزِ بنِ مَرْوانَ عن إِمْرةِ الدِّيارِ المصريةِ ، وحسَّن له ذلك رَوْحُ بنُ زِنباعٍ الجُذامِىُّ ، فبينما هما فى ذلك إذ دخَل عليهما قَبِيصَةُ بنُ ذُؤَيبٍ فى الليلِ ، وكان لا يُحْجَبُ عنه أىَّ ساعةٍ جاء مِن ليلٍ أو نهارٍ ، فعزَّاه فى أخيه عبدِ العزيزِ ، فندِم على ما كان منه مِن العزمِ على عزلِه ، وإنما حمَله على إرادةِ عزْلِه أنه أراد أن يَعْهَدَ بالأمرِ مِن بعدِه لأولادِه ؛ الوليدِ ، ثم سليمانَ ، ثم يزيدَ ، ثم هشامٍ ، وذلك عن رأىِ الحجاجِ وترتيبِه ذلك لعبدِ الملكِ ، وكان أبوه مروانُ

(١) فى الأصل : « فحاصروه » ، وفى م : « فحاصره » .
(٢) انتضى السيف : أخرجه من غمده .
(٣) تاريخ الطبرى ٦/ ٤١٢.

عهِدَ بالأمرِ إلى عبدِ الملكِ ، [(1] ثم مِن بعدِه إلى عبدِ العزيزِ ، فأراد عبدُ الملكِ [1)] أن يُنحِّيَه عن الإمرةِ مِن بعدِه بالكُلِّيةِ ، ويجعَلَ الأمرَ فى أولادِه وعَقِبِه ، وأن تكونَ الخلافةُ باقيةً فيهم . واللَّهُ أعلمُ .

عبدُ العزيزِ بنُ مَرْوانَ [(2)] ، رحِمه اللَّهُ تعالى

هو عبدُ العزيزِ بنُ مروانَ بنِ الحكمِ بنِ أبى العاصِ بنِ أميةَ بنِ عبدِ شمسٍ ، أبو الأَصبَغِ ، القُرشىُّ ، الأموىُّ ، وُلِد بالمدينةِ ، ثم دخَل الشَّامَ مع أبيه مروانَ بنِ الحكمِ ، وكان ولىَّ عهدِه مِن بعدِ أخيه عبدِ الملكِ ، وولَّاه أبوه إمرةَ الدِّيارِ المصريةِ فى سنةِ خمسٍ وستين ، فكان واليًا عليها إلى هذه السنةِ ، وشهِد قتْلَ [(3] عمرِو بنِ سعيدِ [3)] بنِ العاصِ ، كما قدَّمنا [(4)] . [١٠٤/٧و] وكانت له دارٌ بدمشقَ ، وهى الدارُ التى للصُّوفيةِ اليومَ ، المعروفةُ بالخانِقاه الشُّمَيْساطِيَّةِ [(5)] ، ثم كانت مِن بعدِه لولدِه عمرَ بنِ عبدِ العزيزِ ، ثم تنقَّلت إلى أن صارت خانِقاهَ للصوفيَّةِ .

وقد روَى عبدُ العزيزِ بنُ مروانَ الحديثَ عن أبيه ، وعبدِ اللَّهِ بنِ الزبيرِ ، وعُقبةَ ابنِ عامرٍ ، وأبى هريرةَ . وحديثُه عنه فى مسندِ أحمدَ ، وسننِ أبى داودَ ، أنَّ

(١ - ١) سقط من : ص .

(٢) طبقات ابن سعد ٥/ ٢٣٦، وتاريخ دمشق (ط . مجمع اللغة العربية بدمشق) ٤٣/ ٢١، وتهذيب الكمال ١٨/ ١٩٧، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٨١ - ١٠٠هـ) ص ١٣٢، وسير أعلام النبلاء ٤/ ٢٤٩.

(٣ - ٣) فى الأصل، ٢١، م، ص : «سعيد بن عمرو»، وانظر تهذيب الكمال ٢٢/ ٣٥.

(٤) تقدم فى ١١٨ ، ١١٩.

(٥) فى ٣١، ٢١، ص : «الشميساتية»، وانظر الدارس فى تاريخ المدارس ٢/ ١٥١.

رسولَ اللَّهِ ﷺ قال[1] : « شَرُّ ما فى الرَّجلِ شُحٌّ هالعٌ وجُبْنٌ خالعٌ » . وعنه ابنُه عمرُ ، والزهريُّ ، وعُلَىُّ بنُ رَباحٍ ، وجماعةٌ .

قال محمدُ بنُ سعدٍ[2] : كان ثقةً قليلَ الحديثِ . وقال غيرُه[3] : كان يلحَنُ فى الحديثِ ، وفى كلامِه . ثم تعلَّم العربيةَ [4]فأتقَنَها وأحسنَها[4] فكان مِن أفصحِ الناسِ ؛ وكان سببَ ذلك أنه دخَل عليه رجلٌ يشكو خَتَنَه – وهو زوجُ ابنتِه – فقال له عبدُ العزيزِ[5] : مَن ختَنَك ؟ فقال الرجلُ : ختَنَنى الخاتنُ الذى يختِنُ الناسَ . فقال لكاتبِه : ويحَك ! بماذا أجابنى ؟ فقال الكاتبُ : يا أميرَ المؤمنين ، كان ينبغى أن تقولَ : مَن خَتَنُك ؟ فآلى على نفسِه أن لا يخرُجَ مِن منزلِه حتى يتعلَّمَ العربيةَ ، فمكَث جُمُعةً واحدةً فتعلَّمها ، فخرَج وهو مِن أفصحِ الناسِ . وكان بعدَ ذلك يُجزِلُ عطاءَ مَن يُعْرِبُ كلامَه ، ويَنْقُصُ عطاءَ مَن يلحَنُ فيه ؛ فتسارَعَ الناسُ فى زمانِه إلى تعلُّمِ العربيةِ . قال عبدُ العزيزِ يومًا لرجلٍ[6] : مِمَّن أنت ؟ فقال : مِن بنو عبدِ الدَّارِ . فقال : تجدُها فى جائزتِك . فنقَصه[7] مائةَ دينارٍ .

وقال أبو يعلَى المَوْصليُّ[8] : حدثنا مجاهدُ بنُ موسى ، ثنا إسحاقُ بنُ

---

(١) المسند ٢/ ٣٠٢، ٣٢٠، وأبو داود (٢٥١١). صحيح (صحيح سنن أبى داود ٢١٩٢).
(٢) الطبقات ٥/ ٢٣٦.
(٣) تاريخ دمشق (ط. مجمع اللغة العربية) ٤٣/ ٢١. وتهذيب الكمال ١٨/ ١٩٨، ١٩٩. بنحوهما.
(٤ - ٤) فى الأصل: « فأحسن تعلمها ».
(٥) تاريخ دمشق (ط. مجمع اللغة العربية) ٤٣/ ٢١، وتهذيب الكمال ١٨/ ١٩٨، ١٩٩.
(٦) فى م: « إلى رجل »، وانظر تاريخ دمشق (ط. مجمع اللغة العربية) ٤٣/ ٢١، وتهذيب الكمال ١٨/ ١٩٩.
(٧) فى ٣١، ٢١، م، ص: « فنقصت جائزته ».
(٨) مسند أبى يعلى (٥٧٣٠).

يوسفَ ، أنبأنا سفيانُ ، عن محمدِ بنِ عَجْلانَ ، عن القَعْقاعِ بنِ حَكيمٍ[1] ، قال : كتَب عبدُ العزيزِ بنُ مروانَ إلى عبدِ اللَّهِ بنِ عمرَ : ارفَعْ إليَّ حاجَتَك . فكتَب إليه ابنُ عمرَ أنَّ رسولَ اللَّهِ ﷺ قال : « اليدُ العُليا خيرٌ مِن اليدِ السفلى ، وابدَأْ بمَن تعولُ » . ولستُ أسأَلُك شيئًا ولا أرُدُّ رِزقًا رَزَقَنيهِ اللَّهُ عزَّ وجلَّ منك .

وقال ابنُ وَهبٍ[2] : حدَّثني يحيى بنُ أيوبَ ، عن يزيدَ بنِ أبي حَبيبٍ ، عن سُوَيدِ بنِ قيسٍ ، قال : بعَثني عبدُ العزيزِ بنُ مروانَ بألفِ دينارٍ إلى ابنِ عمرَ ، قال : فجئتُه فدفَعتُ إليه الكتابَ فقال : أين المالُ ؟ فقلتُ : لا أستطيعُه الليلةَ حتى أُصبِحَ . قال : لا واللَّهِ ، لا يبيتُ ابنُ عمرَ الليلةَ وله ألفُ دينارٍ . قال : فدفَع إليَّ الكتابَ حتى جئتُه بها ففرَّقها ، رضِي اللَّهُ عنه .

ومِن كلامِه ، رحِمه اللَّهُ[3] : عجبًا لمؤمنٍ [4]يُؤمِنُ و[4] يُوقِنُ أنَّ اللَّهَ يرزُقُه ويُخلِفُ عليه ، كيف يحبِسُ مالًا عن عظيمِ أجرٍ وحُسنِ سماعٍ[5] ؟!

ولمَّا حضَرتْه الوفاةُ أُحضِر له مالٌ يخُصُّه ، وإذا هو ثلاثُمائةِ مُدْيٍ مِن ذهَبٍ ، فقال[6] : واللَّهِ لودِدتُ أنه بعرٌ حائلٌ بنجدٍ . وقال[7] : واللَّهِ لودِدتُ أنِّي لم أكُنْ شيئًا مذكورًا ، ولودِدتُ أنْ أكونَ هذا الماءَ الجارىَ ، أو نباتةً بأرضِ الحجازِ .

---

(١) فى ص : « الحكم » .

(٢) أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق (ط . مجمع اللغة العربية) ٢٢/٤٣ عنه به .

(٣) المصدر السابق ٤٣/ ٢٣، وتهذيب الكمال ١٨/ ٢٠٠.

(٤ - ٤) فى الأصل : « موقن » .

(٥) فى ٣١، ص : « سماع ثناء » ، وفى ٢١، م : « ثناء » .

(٦) تاريخ دمشق (ط . مجمع اللغة العربية) ٤٣/ ٢٥، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٨١ - ١٠٠هـ) ص ١٣٥.

(٧) تاريخ دمشق (ط . مجمع اللغة العربية) ٤٣/ ٢٥. وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٨١ - ١٠٠هـ) ص ١٣٤.

وقال[1] : ائْتُونى بكفَنى الذى تُكفِّنُونى فيه . فجعَل يقولُ : [٧/١٠٤ظ] أُفٍّ لك ما أقصرَ طويلَك ، وأقلَّ كثيرَك !

قال يعقوبُ بنُ سفيانَ[2] ، عن ابنِ بُكَيْرٍ ، عن اللَّيْثِ : كانت وفاتُه ليلةَ الاثنينِ لثلاثَ عشْرةَ ليلةً خلَتْ مِن جُمادى الأُولى سنةَ ستٍّ وثمانين . قال ابنُ عساكرَ[3] : وهذا وَهْمٌ مِن يعقوبَ ، والصَّوابُ سنةَ خمسٍ وثمانين ؛ فإنَّه مات قبلَ عبدِ الملكِ أخيه ، ومات عبدُ الملكِ[4] سنةَ ستٍّ وثمانينَ .

وقد كان عبدُ العزيزِ بنُ مروانَ مِن خيارِ الأمراءِ كريمًا جوَادًا مُمدَّحًا ، وهو والدُ الخليفةِ الرَّاشدِ عمرَ بنِ عبدِ العزيزِ ، وقد اكتَسى عمرُ أخلاقَ أبيه ، وزاد عليه بأمورٍ كثيرةٍ . وكان لعبدِ العزيزِ مِن الأولادِ غيرُ عمرَ ، عاصمٌ ، وأبو بكرٍ ، ومحمدٌ ، والأَصْبَغُ - مات قبلَه بقليلٍ فحزِن عليه حُزنًا كثيرًا ومرِض بعدَه ومات - وسُهَيلٌ ، وكان له عدَّةُ بناتٍ ؛ أمُّ محمدٍ[5] ، وأمُّ عثمانَ ، وأمُّ الحكَمِ ، وأمُّ البنينَ ، وهنَّ مِن أمهاتٍ شتَّى ، وله مِن الأولادِ غيرُ هؤلاءِ ، مات بالمدينةِ التى بناها على مرحلةٍ مِن مصرَ ، وحُمِل إلى مصرَ فى النيلِ[6] ودُفِن بها . وقد ترَك عبدُ العزيزِ بنُ مروانَ مِن الأموالِ والأثاثِ والدوابِّ ؛ مِن الخيلِ والبِغالِ والإبلِ وغيرِ ذلك ما يعجِزُ عنه الوصفُ ، مِن جملةِ ذلك ثلاثُمائةِ مُدٍّ[7] ذهبٍ غيرُ الوَرِقِ ، مع جُودِه ، وكرَمِه ، وبَذْلِه ، وعطاياه الجزيلةِ ، فإنه كان مِن أعطَى الناسِ للجزيلِ ،

(١) تاريخ دمشق (ط . مجمع اللغة العربية) ٤٣/ ٢٤، ٢٥، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٨١ - ١٠٠) ص ١٣٤.
(٢) المعرفة والتاريخ ٣/ ٤٣٣.
(٣) تاريخ دمشق (ط . مجمع اللغة العربية) ٤٣/ ٢٦.
(٤) بعده فى ٣١، ٢١، م ، ص : « بعده بسنة » .
(٥) بعده فى ٣١، ٢١، م ، ص : « وسهيل » .
(٦) فى ٢١: « الليل » .
(٧) فى الصفحة السابقة « مُدْى » . والمدّ غير المُدْى . راجع النهاية ٤/ ٣٠٨، ٣١٠.

رحِمه اللَّهُ تعالى .

وقد ذكَر ابنُ جريرٍ[(١)] أنَّ عبدَ الملكِ بنَ مروانَ كتَب إلى أخيه عبدِ العزيزِ ، وهو بالديارِ المصريةِ ، يسألُه أن ينزِلَ عن العهدِ الذى له مِن بعدِه لولدِه الوليدِ ، أو يكونَ ولىَّ العهدِ مِن بعدِه[(٢)] ؛ فإنَّه أعزُّ الخلقِ علىَّ . [(٣)]فكتَب إليه عبدُ العزيزِ يقولُ : إنِّى أرى فى أبى بكرِ بنِ عبدِ العزيزِ ما ترَى فى الوليدِ[(٣)] . فكتَب إليه عبدُ الملكِ يأمرُه بحَمْلِ خراجِ مصرَ - وقد كان عبدُ العزيزِ لا يحمِلُ إليه شيئًا مِن الخَراجِ ولا غيرِه ، وإنما كانت بلادُ مصرَ بكمالِها ، وبلادُ المغربِ ، وغيرُ ذلك ، كلُّها لعبدِ العزيزِ ؛ مغانمُها وخراجُها وحِملُها - فكتَب عبدُ العزيزِ إلى أخيه عبدِ الملكِ : إنِّى وإيَّاك يا أميرَ المؤمنين قد بلَغْنا سنًّا لم يبلُغْها أحدٌ مِن أهلِ بيتِك إلّا كان بقاؤه قليلًا ، وإنِّى لا أدرِى ولا تدرِى أيُّنا يأتيه الموتُ أوَّلًا ! فإنْ رأيتَ أن لا تُغَثِّثَ[(٤)] علىَّ بقيةَ عُمْرى فافعَلْ . فرَقَّ له عبدُ الملكِ ، وقال[(٥)] : لعَمْرِى لا أُغَثِّثُ[(٦)] عليك بقيَّةَ عمرِك .

وقال عبدُ الملكِ لابنِه الوليدِ : إن يُرِدِ اللَّهُ أن يعطِيَكها لا يقدِرْ أحدٌ مِن العبادِ على رَدِّ ذلك عنك . وقال لابنيه[(٧)] الوليدِ وسليمانَ : هل قارفتما[(٨)]

---

(١) تاريخ الطبرى ٤١٤/٦ بنحوه .
(٢) بعده فى ٣١، ٢١: « من بعد ابنه عبد الملك » . وبعده فى ص : « من بعد أبيه عبد الملك » .
(٣ - ٣) سقط من : ٢١.
(٤) فى الأصل ، ٢١: « تعنت » ، وفى ٣١: « تعبت » ، وفى ص : « تعبث » ، وفى م : « تعتب » . والمثبت من تاريخ الطبرى ٦/ ٤١٤.
(٥) فى ٣١، ٢١، م، ص : « كتب إليه » .
(٦) فى الأصل ، م : « أعتب » ، وفى ٣١، ٢١، ص : « أعبث » . والمثبت من تاريخ الطبرى ٦/ ٤١٤.
(٧) فى النسخ : « لابنه » ، والمثبت من تاريخ الطبرى ٦/ ٤١٤.
(٨) فى الأصل، ٣١، ص : « فارقتما » .

(1)مُحرَّمًا أو حرامًا(1) قطُّ ؟ قالا : لا واللَّهِ . فقال : اللَّهُ أكبرُ ، نِلْتُماها وربِّ الكعبةِ .

ويقالُ[2] : إنّ عبدَ الملكِ لمّا امتنَع أخوه عبدُ العزيزِ مِن إجابتِه إلى ما طلَب منه من بيعتِه لولدِه الوليدِ دعا عليه ، وقال : اللهمَّ إنه قطَعَنى فاقْطَعْه . فمات فى هذه السنةِ كما ذَكرْنا ، فلمّا جاءه الخبرُ بموتِ أخيه عبدِ العزيزِ ليلًا حزِن وبكَى ، وبكَى أهلُه بُكاءً كثيرًا على عبدِ العزيزِ . ولكن سرَّه ذلك مِن جهةِ ابنيه الوليدِ وسليمانَ ؛ فإنَّه نال فيهما ما كان يُؤمِّلُه لهما مِن ولايتِه إياهما (3)العهدَ مِن(3) بعدِه .

وقد كان الحجّاجُ كتَب إلى عبدِ الملكِ يُزيِّنُ[4] له ولايةَ الوليدِ[5] مِن بعدِه ، وأوفَد إليه[6] وفدًا فى ذلك ، عليهم عِمرانُ بنُ عصامٍ العنَزِىُّ[7] ، فلمّا دخَلوا عليه قام عِمرانُ خطيباً فتكلَّم ، وتكلَّم الوفدُ[8] ، وحثُّوا عبدَ الملكِ على ذلك ، وأنشَد عِمرانُ بنُ عِصامٍ فى ذلك[9] :

[٧/١٠٥و] أميرَ المؤمنينَ إليكَ نُهدِى	على النَّأْيِ التَّحيّةَ والسَّلاما
أجِبْنى فى بَنيكَ يكُنْ جوابى	لهُمْ عادِيَّةً[10] ولنا قِوامَا
فلو أنَّ الوليدَ أُطاعُ فيه	جعلتَ لهُ الخلافةَ والذِّماما[11]

(١ - ١) فى الأصل : « خيرا » .
(٢) تاريخ الطبرى ٦/ ٤١٤. بنحوه .
(٣ - ٣) سقط من : ٣١، ٢١، م، ص .
(٤) فى ٣١، ٢١، م، ص : « يحسن » . وانظر تاريخ الطبرى ٦/ ٤١٣.
(٥) بعده فى ٣١، ٢١، م، ص : « ويزينها له » .
(٦) فى الأصل : « عليه » .
(٧) فى ٢١: « العنترى » ، وفى م : « العثرى » . وانظر تاريخ الطبرى ٦/ ٤١٣.
(٨) بعده فى ٣١، ٢١، م، ص : « فى ذلك » .
(٩) الأبيات فى تاريخ الطبرى ٦/٤١٣ - ٤١٤.
(١٠) فى الأصل ، ٢١: « عارية » .
(١١) فى الأصل ، ٣١، ٢١، ص : « الإماما » .

شبيهُكَ حولَ قُبَّتِه قريشٌ ... بِهِ يَسْتَمطِرُ الناسُ الغَماما

ومثلُكَ فى التُّقَى لم يَصْبُ يومًا ... لَدُنْ خَلَعَ القلائدَ والتِّماما[1]

فإن تُؤْثِرْ أخاكَ بها فإنَّا ... وجَدِّكَ لا نُطِيقُ لها[2] اتِّهاما

ولكنَّا نُحاذِرُ مِن بنيهِ ... بنى العَلَّاتِ مَأْثَرَةً سَمَاما[3]

ونَخْشَى إن جعلْتَ المُلكَ فيهم ... سَحَابًا[4] أن تَعُودَ[5] لهم جَهَاما[6]

فلا يكُ ما حَلَبْتَ غدًا لقومٍ ... وبعدَ غدٍ بنُوكَ[7] همُ العِياما

فأُقسِمُ لو تخَطَّأَنى[8] عِصَامٌ ... بذلكَ ما عَذَرتُ[9] بِهِ عِصَاما

ولو أنِّى حَبَوتُ أخًا بفضلٍ ... أُرِيدُ بهِ المقالةَ والمَقاما

لعقَّبَ[10] فى بَنِىَّ[11] على بنيهِ[12] ... كذلكَ أو لرُمْتُ[13] لهُ مَراما[14]

فمَن يكُ فى أقاربِه صُدُوعٌ ... فصَدْعُ المُلْكِ أبطؤُهُ التِئَاما[15]

---

(١) فى الأصل، ا٣، ا٢، ص: «البشاما».

(٢) فى ا٣، ا٢، ص: «له».

(٣) فى الأصل، ا٣، ا٢، ص: «شماما».

(٤) فى الأصل، ا٣، ا٢: «سجايا».

(٥) فى الأصل، ا٣، ا٢، ص: «يعود».

(٦) فى الأصل، ا٣، ا٢، ص: «حضاما».

(٧) فى ا٣، ص: «تقول»، وفى ا٢: «يقول».

(٨) فى ا٣، ص: «تخطأ فى».

(٩) فى ا٣، ا٢، ص: «مددت».

(١٠) فى ا٣، ا٢، ص: «لعنت».

(١١) فى الأصل، ا٣، ا٢، ص: «بنيه».

(١٢) فى الأصل، ا٣، ا٢، ص: «بنى».

(١٣) فى الأصل، ا٣، ا٢، ص: «لزمت».

(١٤) فى الأصل: «سراما».

(١٥) بعده فى ا٣، ا٢، م، ص: «قال».

فهاجَه ذلك على أن كتَب إلى أخيه يَستنزِلُه عن الخلافةِ للوليدِ ، فأَبى[1] عليه ، وقدَّر اللَّهُ سبحانَه موتَ عبدِ العزيزِ قبلَ موتِ عبدِ الملكِ بعامٍ واحدٍ ، فتمَكَّن حينئذٍ مِمّا أراد مِن بيعةِ الوليدِ ، وسليمانَ . واللَّهُ سبحانَه وتعالى أعلمُ .

ذكرُ بيعةِ عبدِ الملكِ لولدِه الوليدِ ، ثم مِن بعدِه لأخيه سليمانَ بنِ عبدِ الملكِ

وكان ذلك فى هذه السَّنةِ بعدَ موتِ عبدِ العزيزِ بنِ مروانَ ، بُويعَ له بدمشقَ ، ثم فى سائرِ الأقاليم[2] ، ثم لسليمانَ مِن بعدِه ، ثم لمَّا انتهتِ البيعةُ إلى المدينةِ ، امتنَع[3] سعيدُ بنُ المسيَّبِ أن يُبايعَ فى حياةِ عبدِ الملكِ لأحدٍ ، فأمَر به هشامُ بنُ إسماعيلَ نائبُ المدينةِ ، فضُرِب ستين سوطًا ، وألبسَه ثيابًا مِن شَعْرٍ ، وأركَبه جملًا وطاف به فى المدينةِ ، ثم أمَر به فذهبوا به إلى ثَنيَّةِ ذبابٍ[4] - وهى الثَّنيَّةُ التى كانوا يُصْلَبون[5] عندَها ويُقْتَلون[6] - فلمَّا وصَلوا إليها ردُّوه[7] إلى المدينةِ ، فأودَعوه السجنَ ، فقال لهم : واللَّهِ لو أعلَمُ أنَّكم لا تقتُلوننى لم ألبَسْ هذا التُّبّانَ[8] .

---

(١) فى الأصل : « فلما أبى » .

(٢) بعده فى الأصل : « للوليد » .

(٣) بعده فى ٣١، ٢١، ص : « منها » .

(٤) فى ٣١ : « ذياب » ، وفى ص : « ذيا » . وانظر تاريخ الطبرى ٦/ ٤١٥، ٤١٦.

(٥) فى م : « يصلون » .

(٦) فى م : « يقيلون » .

(٧) بعده فى الأصل : « من عندها » .

(٨) فى ٣١ ، م ، ص : « الثياب » . والتبان : سراويل صغيرة يستر العورة المغلظة . القاموس (ت ب ن) .

ثم كتَب هشامُ بنُ إسماعيلَ المخزوميُّ إلى عبدِ الملكِ [١٠٥/٧ظ] يُعلِمُه بمخالفةِ سعيدٍ فى ذلك، فكتَب إليه يُعنِّفُه فى ذلك، ويأمُرُه بإخراجِه، ويقولُ له: إنَّ سعيدًا كان أحقَّ منك بصلةِ الرَّحمِ مما فعَلتَ به، وإنَّا لنعلَمُ أنَّ سعيدًا ليس عندَه شِقاقٌ ولا خلافٌ.

ويُروَى أنَّه قال له[1]: ما ينبَغى إلا أن يبايِعَ، فإن لم يبايِعْ ضرَبْتَ عنقَه أو خلَّيْتَ سبيلَه.

وذكَر الواقدىُّ[2] أنَّ سعيدًا، رحِمه اللَّهُ، لمَّا جاءت بيعةُ [3]عبدِ اللَّهِ بنِ الزبيرِ[3]، [4]إلى المدينةِ[4]، امتَنع مِن البيعةِ، فضرَبه نائبُها فى ذلك الوقتِ - وهو جابرُ بنُ الأسودِ بنِ عوفٍ - ستين سوطًا أيضًا، وسجَنه. فاللَّهُ أعلمُ.

قال أبو مِخنفٍ، وأبو معشرٍ، والواقدىُّ[5]: وحجَّ بالناسِ فى هذه السنةِ هشامُ بنُ إسماعيلَ المخزومىُّ نائبُ المدينةِ، [6]وكان على[6] العراقِ والمَشرقِ بكمالِه الحجّاجُ.

قال شيخُنا الحافظُ الذهبىُّ[7]: وتوفِّى فى هذه السنةِ **أبانُ بنُ عثمانَ بنِ عفانَ**[8]،

---

(١) تاريخ الطبرى ٦/ ٤١٦، والكامل ٤/ ٥١٤.
(٢) طبقات ابن سعد ٥/ ١٢٢، ١٢٣، وتاريخ الطبرى ٦/ ٤١٦، والكامل ٥/ ٥١٥.
(٣ - ٣) سقط من: م.
(٤ - ٤) فى ٣١، ٢١، م، ص: «للوليد».
(٥) تاريخ الطبرى ٦/ ٤١٧، والكامل ٤/ ٥١٥.
(٦ - ٦) فى الأصل: «نيابة».
(٧) تاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٨١ - ١٠٠هـ) ص ٢٢.
(٨) طبقات ابن سعد ٥/ ١٥١، ونسب قريش ١١٠، وأخبار القضاة ١/ ١٢٩، وطبقات الفقهاء ٤٧، وسير أعلام النبلاء ٤/ ٣٥١، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٨١ - ١٠٠هـ) ص ٣٨، والوافى بالوفيات ٥/ ٣٠١.

أميرُ المدينةِ[1] ، كان مِن فقهاءِ المدينةِ العشرةِ . قاله يحيى القطّانُ[2] ، وقال محمدُ ابنُ سعدٍ[3] : كان ثقةً ، وكان به صَمَمٌ ، ووَضَحٌ[4] كثيرٌ ، وأصابَه الفالِجُ قبلَ أن يموتَ .

وعبدُ اللَّهِ بنُ عامرِ بنِ ربيعةَ[5] .

وعمرُو بنُ حُريثٍ[6] .

وعمرُو بنُ سَلِمةَ[7] .

وواثلةُ بنُ الأَسْقَعِ[8] ، [9]قال الواقديُّ ويحيى بنُ معينٍ[10] : كان يسكُنُ الصُّفةَ فى زمنِ النبىِّ ﷺ . [11]قال الواقديُّ[12] : أسلَم واثلةُ والنبىُّ ﷺ[11] يتجهَّزُ إلى تبوكَ فى آخرِ الأمرِ .

قال واثلةُ[13] : قال لنا رسولُ اللَّهِ ﷺ : « كيف أنتم بعدى إذا شبِعتم مِن[9]

---

(1) فى الأصل : « المؤمنين » .

(2) تاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٨١ - ١٠٠هـ) ص ٣٩، وسير أعلام النبلاء ٤/ ٣٥٣.

(3) الطبقات ٥/ ١٥٢، ١٥٣.

(4) الوَضَحُ : البرص .

(5) الاستيعاب ٣/ ٩٣٠، وأسد الغابة ٣/ ٢٨٧، والإصابة ٤/ ١٣٩.

(6) الاستيعاب ٣/ ١١٧٢، وأسد الغابة ٤/ ٢١٣، والإصابة ٤/ ٦١٩.

(7) الاستيعاب ٣/ ١١٧٩، وأسد الغابة ٤/ ٢٣٤، والإصابة ٤/ ٦٤٣.

(8) بعده فى الأصل : « فقد كان واثلة بن الأسقع ممن نزل الصفة و » ، وترجمته فى : الاستيعاب ٤/ ١٥٦٣، وأسد الغابة ٥/ ٤٢٨، والإصابة ٦/ ٥٩١.

(٩ - ٩) زيادة من : ٣١، ص .

(10) حلية الأولياء ٢/ ٢١.

(١١ - ١١) سقط من : ص .

(12) حلية الأولياء ٢/ ٢١.

(13) حلية الأولياء ٢/ ٢٣، وكنز العمال (٦٢٢٩) .

(١) خبزِ البُرِّ والزيتِ ، فأكلتُم ألوانَ الطعامِ ، ولبِستُم أنواعَ الثيابِ ، فأنتم اليومَ خيرٌ أم ذلك اليومُ ؟ » . قال : قُلنا : ذلك اليومُ . قال : « بل أنتم اليومَ خيرٌ » . قال واثلةُ : فما ذهَبتْ عنَّا الأيامُ حتى أكَلْنا ألوانَ الطعامِ ، ولبِسْنا أنواعَ الثِّيابِ وركِبنا المراكبَ (١) .

شهِد واثلةُ تبوكَ ، ثم شهِد فتحَ دمشقَ ونزَلها ، ومسجدُه بها عندَ حبْسِ بابِ الصغيرِ مِن القبلةِ(٢) . (٣) وهو آخِرُ مَن توفِّى بدمشقَ مِن الصحابةِ . قاله سعيدُ بنُ بشيرٍ(٤) . وقد قال البخاريُّ وغيرُه(٥) : إنَّه تُوفِّى سنةَ ثلاثٍ وثمانين . واللَّهُ أعلمُ (٣) .

خالدُ بنُ يزيدَ بنِ معاويةَ بنِ أبى سفيانَ صخرِ بنِ حربِ بنِ أميةَ(٦) ، كان أعلمَ قريشٍ بفنونِ العلمِ ، وله يدٌ طُولَى فى الطبِّ ، وكلامٌ كثيرٌ فى الكيمياءِ ، وكان قد استَفاد ذلك مِن راهبٍ اسمُه مَرْيانُسُ(٧) ، وكان خالدٌ فصيحًا بليغًا شاعرًا مُطبِقًا كأبيه . دخَل يومًا على عبدِ الملكِ بنِ مروانَ بحضرةِ الحكمِ بنِ أبى العاصِ(٨) ، فشكا إليه أنَّ ابنَه الوليدَ يحتقِرُ أخاه عبدَ اللَّهِ بنَ يزيدَ ، فقال عبدُ الملكِ : ﴿ إِنَّ ٱلْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا۟ قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوٓا۟ أَعِزَّةَ أَهْلِهَآ أَذِلَّةً ﴾ [النمل: ٣٤] . فقال له خالدٌ : ﴿ وَإِذَآ أَرَدْنَآ أَن نُّهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا۟ فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا ٱلْقَوْلُ فَدَمَّرْنَٰهَا تَدْمِيرًا ﴾ [الإسراء: ١٦] . فقال عبدُ الملكِ : واللَّهِ لقد

(١ - ١) زيادة من: ٣١، ص.
(٢) بعده فى ٣١، ٢١، م، ص : زيادة من الناسخ.
(٣ - ٣) سقط من: م.
(٤) تاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٨١ - ١٠٠هـ) ص ٢١٨.
(٥) المصدر السابق.
(٦) أسد الغابة ٢/ ١١٣، ونسب قريش ١٢٩، وتاريخ دمشق ١٦/ ٣٠١، وتهذيب الكمال ٨/ ٢٠١، وسير أعلام النبلاء ٤/ ٣٨٢، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٨١ - ١٠٠هـ) ص ٥٥، والوافى بالوفيات ١٣/ ٢٧٠.
(٧) فى م: « مريانش ». وانظر وفيات الأعيان ٢/ ٢٢٤.
(٨) وفيات الأعيان ٢/ ٢٢٥، ٢٢٦.

دخَل عليَّ أخوكَ عبدُ اللَّهِ ، فإذا هو لا يقيمُ اللَّحنَ . فقال خالدٌ : والوليدُ لا يقيمُ اللحنَ . فقال عبدُ الملكِ : إنَّ أخاه سليمانَ لا يَلْحَنُ . فقال خالدٌ : وأنا أخو عبدِ اللَّهِ لا ألحَنُ . فقال الوليدُ – وكان حاضرًا – لخالدِ بنِ يزيدَ : اسكُتْ ، فواللَّهِ [١٠٦/٧و] ما تُعدُّ فى العِيرِ ولا فى النفِيرِ . فقال خالدٌ : اسمَعْ يا أميرَ المؤمنين . ثم أقبلَ خالدٌ على الوليدِ فقال : ويحكَ ! وما هو العيرُ والنفيرُ غيرُ جدِّى أبى سفيانَ صاحبِ العيرِ ، وجدِّى عتبةَ بنِ ربيعةَ صاحبِ النفيرِ ، ولكن لو قلتَ : غُنَيماتٌ وحُبَيلاتٌ والطائفُ ، ورحِم اللَّهُ عثمانَ . لقلنا[1] : صدَقتَ – يعنى : أن الحكَمَ كان منفيًّا بالطائفِ يرعَى غنمًا ، ويأوِى إلى حَبَلَةِ الكَرْمِ ، حتى آواه عثمانُ بنُ عفانَ حينَ وُلِّى – فسكَت الوليدُ وأبوه ، ولم يُحِيرا جوابًا . واللَّهُ سبحانه وتعالى أعلمُ .

---

(١) فى الأصل : « لقلتما » .

ثم دخلَت سنةُ ستٍّ وثمانين

ففيها غزا قتيبةُ بنُ مسلمٍ نائبُ الحجاجِ على مروَ وخراسانَ ، بلادًا كثيرةً مِن أرضِ التركِ وغيرِهم مِن الكفارِ ، وسبَى وغنِم وسلِم ، وتسلَّم قِلاعًا وحصُونًا وممالكَ ، ثم قفَل فسبَق الجيشَ ، فكتَب إليه الحجاجُ يلومُه على ذلك ، ويقولُ له[1] : إذا كنتَ قاصدًا بلادَ العدوِّ فكُنْ فى مقدِّمَةِ الجيشِ ، وإذا قفَلتَ راجعًا[2] ، فكُنْ فى ساقةِ الجيشِ . يعنى لتكونَ رِدْءًا لهم مِن أنْ ينالَهم أحدٌ مِن العدوِّ وغيرِهم بكيدٍ ، وهذا رأىٌ حسنٌ ، وعليه جاءتِ السُّنةُ[3] .

وكان فى جملةِ السَّبيِ امرأةُ بَرْمكَ - والدُ خالدِ بنِ بَرْمكَ - فأعطَاها قُتَيبَةُ أخاه عبدَ اللَّهِ بنَ مسلمٍ ، فوطِئها فحمَلَتْ منه . ثم إن قتيبةَ مَنَّ على السَّبيِ ورُدَّتْ تلك المرأةُ على زوجِها بَرْمكَ وهى حُبْلَى مِن عبدِ اللَّهِ بنِ مسلمٍ ، وكان ولدُها عندَهم حتى أسلَموا ، فقدِموا به معهم أيامَ بنى العباسِ كما سيأتى .

ولمَّا رجَع قتيبةُ إلى خُراسانَ ، تلقَّاه دَهاقينُ بُلْغارَ[4] وصاغانَ[5] بهدايا عظيمةٍ ، ومِفتاحٍ مِن ذهبِ بُلْغارَ .

وفيها كان طاعونٌ بالشَّامِ والبصرةِ وواسطٍ ، ويُسمَّى طاعونَ الفتياتِ ؛ لأنَّه

---

(١) تاريخ الطبرى ٦/ ٤٢٥.

(٢) بعده فى الأصل : «إلى بلادك» .

(٣) البخارى (٢٩٥٦) ، وأبو داود (٢٦٣٩) .

(٤) بلغار أو بلغر : هى مدينة الصقالبة ، ضاربة فى الشمال ، شديدة البرد . معجم البلدان ١/ ٧٣٢.

(٥) سقط من : م . وانظر معجم البلدان ٢/ ٣٩٢.

أوَّلُ ما بدَأ بالنساءِ فسُمِّى بذلك .

وفيها غزا مسلمةُ بنُ عبدِ الملكِ بلادَ الرومِ ، فقتَل وسبَى وغنِم [(1] وسلِم ، وافتَتَح حصنَ بولَقَ ، وحصنَ الأخرمِ مِن أرضِ الرومِ .

وفيها عقَد عبدُ الملكِ لابنِه عبدِ اللَّهِ على مصرَ ، وذلك بعدَ موتِ أخيه عبدِ العزيزِ ، فدخَلها فى جُمادى الآخِرةِ ، وعمرُه يومَئذٍ سبعٌ وعشرون سنةً .

وفيها هلَك[(2)] ملكُ الرومِ الأخرمُ بورى[(3)] ، لا رحِمه اللَّهُ[1)] .

وفيها حبَس الحجاجُ يزيدَ بنَ المهلبِ .

وحجَّ بالناسِ فيها هشامُ بنُ إسماعيلَ المخزوميُّ .

وفى هذه السنةِ توفِّى أبو أُمامةَ [(4] صُدَىُّ بنُ عَجْلانَ [4)] الباهلىُّ ، وعبدُ اللَّهِ ابنُ أبى أوْفَى[(5)] ، وعبدُ اللَّهِ بنُ الحارثِ بنِ جَزْءٍ الزُّبَيْدىُّ[(6)] فى قولٍ ، [(7] شهِد فتحَ مصرَ وسكَنها ، وهو آخرُ مَن مات مِن الصحابةِ بمصرَ ، وله أحاديثُ[7)] .

وفيها ، فى [(8] النصفِ من [8)] شوالِها ، توفِّى أميرُ المؤمنين :

(1 - 1) زيادة من : ٣١، ٢١، م، ص .

(2) سقط من : ص .

(3) فى م : « لورى » .

(4 - 4) سقط من : م .

وانظر ترجمته فى الاستيعاب ٢/ ٧٣٦، وأسد الغابة ٣/ ١٦، والإصابة ٣/ ٤٢٠.

(5) الاستيعاب ٣/ ٨٧٠، وأسد الغابة ٣/ ١٨٢، والإصابة ٤/ ١٨.

(6) الاستيعاب ٣/ ٨٨٣، وأسد الغابة ٣/ ٢٠٣، والإصابة ٤/ ٤٦.

(7 - 7) زيادة من : ٣١، ٢١، م، ص . وبعده فى م، ص زيادة من زيادات ناسخ المخطوط ص .

(8 - 8) سقط من : ٣١، ٢١، م، ص .

عبدُ الملكِ بنُ مروانَ والدُ الخلفاءِ الأمويين[1]

وهو عبدُ الملكِ بنُ مروانَ بنِ الحكمِ بنِ أبى العاصِ بنِ أميةَ، أبو الوليدِ الأمويُّ أميرُ المؤمنين، وأمُّه عائشةُ بنتُ معاويةَ بنِ المغيرةِ بنِ أبى العاصِ بنِ أمية.

سمِع عثمانَ بنَ عفانَ، وشهِد الدارَ مع أبيه وله عشرُ سنينَ، وهو أولُ مَن سار[2] بالناسِ فى بلادِ الرومِ سنةَ ثنتين وأربعين، وكان أميرًا على أهلِ المدينةِ، وله ستٌّ عشْرةَ سنةً، ولَّاه إيَّاها معاويةُ، وكان [١٠٦/٧ظ] يجالِسُ الفقهاءَ، والعلماءَ، والعبّادَ، والصُّلحاءَ.

وروَى الحديثَ عن أبيه، وجابرٍ، وأبى سعيدٍ الخدرىِّ، وأبى هريرةَ، وابنِ عمرَ، ومعاويةَ، وأمِّ سلمةَ، وبَرِيرةَ مولاةِ عائشةَ.

وروَى عنه جماعةٌ؛ منهم خالدُ بنُ مَعْدانَ، وعروةُ، والزهرىُّ، وعمرُو بنُ الحارثِ، ورجاءُ بنُ حَيوةَ، وجريرُ بنُ عثمانَ.

ذُكِر[3] عن محمدِ بنِ سيرينَ أن أباه كان قد سمَّاه القاسمَ، فكان يُكْنَى (٤بأبى القاسمِ٤)، (٥فلمَّا بلغَه النهىُ عن التكنِّى بأبى القاسمِ٥)، غيَّر اسمَه فسمَّاه عبدَ الملكِ.

---

(١) طبقات خليفة ٢/ ٦٠٢، وتاريخ بغداد ١٠/ ٣٨٨، وتاريخ دمشق (ط. مجمع اللغة العربية) ٤٣/ ٢٣٩، وسير أعلام النبلاء ٤/ ٢٤٦، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٨١ - ١٠٠هـ) ص ١٣٥، وفوات الوفيات ٢/ ٣١.

(٢) فى الأصل: «سبا».

(٣) تاريخ دمشق (ط. مجمع اللغة العربية بدمشق) ٤٣/ ٢٤٢.

(٤ - ٤) فى الأصل: «به».

(٥ - ٥) سقط من: ٣١، ٢١، م.

قال ابنُ أبى خيثمةَ[1] ، عن مصعبِ بنِ الزبيرِ : وكان أولَ مَن سُمِّى فى الإسلامِ بعبدِ الملكِ .

قال ابنُ أبى خيثمةَ[2] : وأولُ مَن سُمِّى فى الإسلامِ بأحمدَ ، والدُ الخليلِ بنِ أحمدَ العروضىِّ .

وبُويعَ له بالخلافةِ فى سنةِ خمسٍ وستين فى حياةِ أبيه[3] ، [4]فى خلافةِ ابنِ الزبيرِ ، وبقِى على الشامِ ومصرَ مدَّةَ سبعِ سنيـنَ ، وابنُ الزبيرِ على باقى البلادِ ، ثم استقلَّ بالخلافةِ على سائرِ البلادِ والأقاليمِ بعدَ مقتلِ ابنِ الزبيرِ ، وذلك فى سنةِ ثلاثٍ وسبعين إلى هذه السنةِ ، كما ذكَرنا ذلك[4] .

وكان مولدُه ومولدُ يزيدَ بنِ معاويةَ فى سنةِ ستٍّ وعشرين ، وقد كان عبدُ الملكِ قبلَ الخلافةِ مِن العُبَّادِ الزُّهادِ الفقهاءِ ، الملازِمين للمسجدِ ، التّالِين للقرآنِ ، وكان رَبْعَةً مِن الرجالِ أقربَ إلى القِصَرِ .

وكانت أسنانُه مشبَّكةً بالذَّهبِ ، وكان أفْوَهَ مفتوحَ الفمِ ، فربَّما غفَل فينفتِحُ فمُه فيدخُلُ فيه الذُّبابُ ؛ ولهذا كان يقالُ له : أبو الذِّبَّانِ[5] . وكان أبيضَ رَبْعَةً ليس بالنحيفِ ولا البادنِ ، مقرونَ الحاجبَين ، أشهلَ[6] ، كبيرَ العينَين ، دقيقَ الأنفِ ، مُشْرِقَ الوجهِ ، أبيضَ الرأسِ واللحيةِ ، حسَنَ[7] الوجهِ ، لم يَخْضِب ،

---

(١) تاريخ بغداد ١٠/ ٣٩٠، وتاريخ دمشق ٤٣/ ٢٤١، ٢٤٢.
(٢) تاريخ دمشق ٤٣/ ٢٤٢.
(٣) فى الأصل : « ابنه » .
(٤ - ٤) فى الأصل : « واستقل بها من بعده إلى هذه السنة » .
(٥) فى م : « الذباب » . وأبو الذبان : هو الأبخر ، لقب غلب على عبد الملك لفساد كان فى فمه . تاج العروس (ذ ب ب) .
(٦) أى : يشوب سواد عينه زرقة .
(٧) بعده فى الأصل : « الجسم » .

ويقالُ : إنه خضَب[1] بعدَ ذلك .

وقد قال نافعٌ[2] : لقد رأيتُ المدينةَ وما فيها شابٌّ أشدُّ تشميرًا ، ولا أفقهُ ولا أقرأُ لكتابِ اللَّهِ مِن عبدِ الملكِ بنِ مروانَ .

وقال الأعمشُ[3] ، عن أبي الزنادِ : كان فقهاءُ المدينةِ أربعةً ؛ سعيدُ بنُ المسيَّبِ ، وعروةُ ، وقَبيصةُ بنُ ذؤيبٍ ، وعبدُ الملكِ بنُ مروانَ قبلَ أنْ يدخُلَ فى الإمارةِ .

وعن ابنِ عمرَ أنه قال[4] : وَلَد الناسُ أبناءً ووَلَد مروانُ أبًا - يعنى عبدَ الملكِ - ورآه يومًا ، وقد ذُكِر اختلافُ الناسِ ، فقال[4] : لو كان هذا الغلامُ اجتمعَ الناسُ عليه .

وقال[5] عبدُ الملكِ[6] : كنتُ أجالِسُ [7]بَريرَةَ بالمدينةِ قبلَ أن أَلِيَ هذا الأمرَ ، فكانت تقولُ[7] : يا عبدَ الملكِ ، إنَّ فيك خصالًا ، وإنك لجديرٌ أن تلىَ أمرَ هذه الأمةِ ، فاحذَرِ الدماءَ ؛ فإنِّى سمِعْتُ رسولَ اللَّهِ ﷺ يقولُ : « إنَّ الرجلَ ليُدفَعُ عن بابِ الجنةِ[8] أن ينظُرَ إليها ، على[9] مِحْجَمَةٍ مِن دمٍ يُريقُه مِن مسلمٍ بغيرِ حقٍّ »[10] .

---

(١) فى ص : « خطب » . وانظر تاريخ دمشق ٤٣/ ٢٤٦.

(٢) طبقات ابن سعد ٥/ ٢٣٤، وتاريخ دمشق ٤٣/ ٢٤٧، بنحوه .

(٣) المعرفة والتاريخ ١/ ٥٦٣، تاريخ دمشق ٤٣/ ٢٤٨.

(٤) تاريخ دمشق ٤٣/ ٢٤٩.

(٥) فى الأصل : « روى عن » .

(٦) أخرجه الطبرانى فى الكبير ٢٠٥/٢٤ (٥٢٦) عن على بن عبد العزيز، وابن عساكر فى تاريخ دمشق ٢٤١/٤٣ بسنده من طريقين عن على بن عبد العزيز أيضًا ، كلاهما - الطبرانى وابن عساكر - بطرقهما عن عبد الملك بن مروان عن بريرة ، به .

(٧ - ٧) فى النسخ : « بريدة بن الحصيب ، فقال لى يومًا » . والمثبت من مصدرى التخريج . وانظر تهذيب الكمال ٤٠٨/١٨ ، ١٣٦/٣٥ .

(٨) بعده فى ٣١، ٢١، م، ص : « بعد » .

(٩) فى ٣١ ، ٢١ ، وتاريخ دمشق : « بملء » . وفى ص : « بملىء » .

(١٠) بعده فى م ، ص : « وقد كان عبد الملك يجالس أم الدرداء ، فقالت له يوما : يا عبد الملك ، إنى لأتوسم فيك خصال الخلافة ، وأشم منك رائحة الإمارة ، فإذا وليت فاحذر الدماء ، فإنى سمعت =

وقد [١٠٧/٧و] أثنَى عليه (١)قبلَ الولايةِ(١) معاويةُ ، وعمرُو بنُ العاصِ ، فى قصَّةٍ طويلةٍ .

وقال سعيدُ بنُ داودَ الزَّنْبَرِىُّ(٢) ، عن مالكٍ ، عن يحيى بنِ سعيدٍ(٣) ، قال : أولُ مَن صلَّى ما بينَ الظُّهرِ والعصرِ عبدُ الملكِ بنُ مروانَ وفِتيانٌ معه . فقال سعيدُ ابنُ المسيَّبِ : ليستِ العبادةُ بكثرةِ الصلاةِ والصومِ ، إنما العبادةُ التفكُّرُ فى أمرِ اللَّهِ ، والورَعُ عن محارمِ اللَّهِ .

وقال الشعبىُّ(٤) : ما جالَستُ أحدًا إلَّا وجَدتُ لِىَ الفضْلَ عليه إلَّا عبدَ الملكِ ابنَ مروانَ ؛ فإنِّى ما ذاكَرتُه حديثًا إلَّا زادَنى فيه(٥) ، ولا شعرًا إلَّا زادَنى فيه .

وذكَر خليفةُ بنُ خياطٍ(٦) ، أنَّ معاويةَ كتَب إلى(٧) مروانَ ، وهو نائبُه على المدينةِ سنةَ خمسين : أنِ ابعثِ ابنَك عبدَ الملكِ على بعْثِ المدينةِ إلى بلادِ المغربِ مع معاويةَ بنِ خَدِيجٍ . فذكَر مِن كفايتِه ، وغَنائِه ، ومُجاهدتِه فى تلك البلادِ شيئًا كثيرًا . ولم يَزلْ عبدُ الملكِ مُقيمًا بالمدينةِ حتى كانت وقعةُ الحرَّةِ ، واستَولَى ابنُ

= أبا الدرداء يقول : إن الرجل ليحبس عن دخول الجنة بعد أن يراها بمحجمة دم أراقها بغير حق . وقد رأى عبد الملك رؤيا قبل أن يلى الخلافة ، فقصها على سعيد بن المسيب فعبرها له بأنه يلى الخلافة . قلت : والذى حذرته منه بريرة وقع فيه ، وسفك دماء كثيرة ولاسيما نائبه على الفرات الحجاج ، فقد جرى على يديه من سفك الدماء المحرمة ما لا يحصى ، واللَّه سبحانه أعلم » .

(١ - ١) زيادة من : ٣١، ٢١، م ، ص .

(٢) فى ٣١ ، ٢١ ، م ، ص : « الزبيرى » . وانظر تهذيب الكمال ٤١٧/١٠ ، وتاريخ دمشق ٢٥٢/٤٣ .

(٣) بعده فى م : « بن داود الزبيرى » .

(٤) تاريخ دمشق ٤٣/ ٢٥٢، وانظر مختصر تاريخ دمشق ١٥/ ٢٢٣.

(٥) فى م : « منه » .

(٦) تاريخ خليفة ١/ ٢٤٧.

(٧) بعده فى الأصل : « ابنه » .

الزبيرِ على بلادِ الحجازِ ، وأجلَى بنى أميةَ مِن هنالك ، فقدِم مع أبيه إلى[1] الشامِ ، ثم لمَّا صارتِ الإمارةُ إلى[2] أبيه ، وبايعَه أهلُ الشامِ ، [3]كما تقدَّم ، أقام فى الإمارةِ[3] تسعةَ أشهرٍ[4] ، ثم عهِد إليه بالإمارةِ مِن بعدِه ، فاستقلَّ عبدُ الملكِ بالخلافةِ فى مستهلِّ رمضانَ أو ربيعِ الأولِ مِن سنةِ خمسٍ وستين ، واجتمَع الناسُ عليه بعدَ مقتلِ ابنِ الزبيرِ سنةَ ثلاثٍ وسبعينَ فى جُمادى الأُولى إلى هذه السنةِ .

وقال ثعلبٌ عن ابنِ الأعرابيِّ[5] : لمَّا سُلِّم على عبدِ الملكِ بالخلافةِ ، كان فى حِجْرِه مصحفٌ ، فأطبَقه ، وقال : هذا فِراقُ بينى وبينِك .

وقال أبو الطُّفيلِ[6] : صُنِع لعبدِ الملكِ مجلسٌ تُوُسِّعَ[7] فيه ، وقد كان بُنِى له فيه قبةٌ قبلَ ذلك ، فدخَله وقال : لقد كان ابنُ حَنْتمةَ[8] الأحْوزِىُّ - يعنى عمرَ بنَ الخطابِ - يرَى أنَّ هذا عليه حرامٌ .

[9]وقيل[10] : إنَّه لمَّا وضَع المصحفَ مِن حجرِه قال : هذا آخِرُ العهدِ منك . وكان عبدُ الملكِ له إقدامٌ على سفكِ الدماءِ ، [11]وكان عمالُه على مذهبِه ؛ منهم الحجَّاجُ ، والمهلبُ ، وغيرُهم[11] ، وكان حازمًا فَهِمًا فطِنًا سائسًا لأمورِ الدُّنيا ،[9]

---

(١) سقط من : م .
(٢) فى ٣١، ٢١، ص، م : « مع » .
(٣ - ٣) فى الأصل : « وقتل الضحاك بن قيس كان مع أبيه مدة ولايته وكانت » .
(٤) بعده فى الأصل : « ولم يمت أبوه حتى عهد بالأمر له من بعده ثم لعبد العزيز » .
(٥) تاريخ بغداد ١٠/ ٣٩٠، وتاريخ دمشق ٤٣/٢٥٦ .
(٦) تاريخ دمشق ٤٣/ ٢٥٨، مختصر تاريخ دمشق ١٥/ ٢٢٤.
(٧) فى تاريخ دمشق « بويع » .
(٨) فى النسخ : « حثمة » ، والمثبت من مصادر التخريج السابقة ، وانظر الإكمال ٣/ ٢١١.
(٩ - ٩) زيادة من ٣١، ٢١، م، ص .
(١٠) تاريخ دمشق ٤٣/ ٢٥٦، مختصر تاريخ دمشق ١٥/ ٢٢٤.
(١١ - ١١) سقط من : م .

(١) لا يكِلُ أمْرَ دنيَاه إلى غيرِه ، وأمُّه عائشةُ بنتُ معاويةَ بنِ المغيرةِ بنِ أبى العاصِ ، وأبوها معاويةُ هو الذى جدَع أنفَ حمزةَ عمِّ النبىِّ ﷺ يومَ أحدٍ (١) .

وقال سعيدُ بنُ عبدِ العزيزِ (٢) : لمَّا خرَج عبدُ الملكِ إلى العراقِ لقتالِ مصعبِ ابنِ الزبيرِ ، خرَج معه يزيدُ بنُ الأسودِ الجُرَشِىُّ ، فلمَّا التقَوا قال : اللهمَّ احجِزْ بينَ هذين الجبلين ، ووَلِّ الأمرَ أحَبَّهما إليك . فظفِر عبدُ الملكِ ، وقد ذكَرنا كيفيةَ قتْلِه مصعبًا ، ودخولِه الكوفةَ ، ووَضْعِه رأسَ مصعبٍ بينَ يدَيه ، وقد كان مِن أعزِّ الناسِ عليه ، وأحبِّهم إليه .

وقال سعيدُ بنُ عبدِ العزيزِ (٣) : لمَّا بويعَ لعبدِ الملكِ بالخلافةِ ، كتَب إليه عبدُ اللَّهِ ابنُ عمَر بنِ الخطابِ : بسمِ اللَّهِ الرحمنِ الرحيمِ ، مِن عبدِ اللَّهِ بنِ عمرَ إلى (٤) عبدِ اللَّهِ (٤) عبدِ الملكِ [٧/١٠٧ظ] أميرِ المؤمنين ، سلامٌ عليك ، فإنِّى أحمَدُ إليك اللَّهَ الذى لا إلهَ إلا هو ، أمَّا بعدُ ، فإنَّك راعٍ ، وكلُّ راعٍ مسئولٌ عن رعيَّتِه ﴿ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ حَدِيثًا ﴾ [النساء ٨٧] . لا أحدَ ، والسلامُ .

وبعَث به مع سالمٍ (٥) ، فوجَدوا عليه (٦) ؛ إذ قدَّم اسمَه على اسمِ أميرِ المؤمنين ، ثم نظَروا فى كتُبِه إلى معاويةَ فوجَدوها كذلك ، فاحتَملوا ذلك منه .

(١ - ١) زيادة من ٣١، ٢١، م، ص.
(٢) تاريخ دمشق ٤٣/ ٢٥٨ .
(٣) تاريخ دمشق ٤٣/ ٢٦٠، مختصر تاريخ دمشق ١٥/ ٢٢٥.
(٤ - ٤) سقط من: م.
(٥) فى ٣١، ٢١، م، ص: «سلام».
(٦) أى: غضبوا عليه.

وقال الواقدىُّ[1] : حدَّثنى [2]ابنُ أبى سَبْرَةَ[2] ، عن أبى موسى الحنّاطِ[3] ، عن ابنِ[4] كعبٍ قال : سمِعتُ عبدَ الملكِ بنَ مروانَ يقولُ : يا أهلَ المدينةِ ، إنَّ أحقَّ الناسِ أن يلزَمَ الأمرَ الأوَّلَ لأنتم ، وقد سالَتْ علينا أحاديثُ مِن قِبَلِ هذا المشرقِ ولا نعرفُها ولا نعرِفُ منها إلّا قراءةَ القرآنِ ، فالزَموا ما فى مصحفِكم الذى جمَعكم[5] عليه الإمامُ المظلومُ ، وعليكم بالفرائضِ التى جمَعكم عليها إمامُكم المظلومُ ، رحِمه اللَّهُ ، فإنَّه قد استَشار فى ذلك زيدَ بنَ ثابتٍ ، ونعم المشيرُ كان للإسلامِ ، رحِمه اللَّهُ ، فأَحْكَما ما أَحْكَما ، وأسْقَطا[6] ما شذَّ عنهما .

وقال ابنُ جُريجٍ[7] ، عن أبيه : حجَّ علينا عبدُ الملكِ بنُ مروانَ سنةَ خمسٍ وسبعين بعدَ مقتلِ ابنِ الزبيرِ بعامين ، فخطَبَنا فقال : أما بعدُ ، فإنّه كان مَن قَبْلى مِن الخلفاءِ يأكُلون مِن المالِ ، ويُؤكِلون ، وإنِّى واللَّهِ لا أُداوى أدواءَ هذه الأمةِ إلا بالسَّيفِ ، ولستُ بالخليفةِ المستضعَفِ - يعنى عثمانَ - ولا الخليفةِ المداهنِ - يعنى معاويةَ - ولا الخليفةِ المأبونِ[8] - يعنى يزيدَ بنَ معاويةَ - أيها الناسُ ، إنَّا نَحتمِلُ لكم[9] كلَّ اللُّغُوبةِ[10] مالم يكُنْ عقدُ رايةٍ ، أو وثوبٌ على منبرٍ . هذا عمرُو بنُ سعيدٍ حقُّه حقُّه ، وقرابتُه قرابتُه[11] ، قال برأسِه هكذا ، فقُلنا

---

(١) أخرجه ابن سعد فى طبقاته ٢٣٣/٥ من طريق الواقدى به .
(٢ - ٢) فى ٣١، ٢١، م : « ابن أبى ميسرة » ، وفى ص : « أبو ميسرة » . وانظر سير أعلام النبلاء ٧/ ٣٣٠.
(٣) فى النسخ : « الخياط » ، والمثبت من مصدر التخريج .
(٤) فى النسخ : « أبى » ، والمثبت من مصدر التخريج ، وانظر تاريخ دمشق ٤٣/ ٣٦٢، ومختصر تاريخ دمشق ١٥/ ٢٢٦.
(٥) فى ٣١، ٢١، م ، ص : « حملكم » .
(٦) فى م : « استقصيا » .
(٧) أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ٤٣/ ٢٦٣، وانظر مختصر تاريخ دمشق ١٥/ ٢٢٦.
(٨) أبنه يأبنه : عابه ، وفى مصادر الخطبة : « المأفون » ، وهو الضعيف العقل .
(٩) فى م : « منكم » .
(١٠) فى النسخ : الغرمة ، والمثبت من مصدر التخريج . واللغوب : الأحمق . والاسم اللغابة واللغوبة . اللسان (ل غ ب) .
(١١) فى م : « وابنه » .

بسيفِنا هكذا ، وإنَّ الجامعةَ التى خلَعها مِن عنُقِه عندى ، وقد أعطَيتُ اللَّهَ عهدًا ألَّا أضَعَها فى رأسِ أحدٍ إلَّا أخرَجها الصُّعَداءَ ، فليبلِّغِ الشاهدُ الغائبَ .

وقال الأصمعىُّ[1] : ثنا عبَّادُ بنُ سلمِ بن عثمانَ بنِ زيادٍ ، عن أبيه، عن جدِّه قال : ركِب عبدُ الملكِ بنُ مروانَ بَكْرًا ، فأنشأ قائدُه يقولُ :

يا أيُّها البَكْرُ الذى أراكا
عليكَ سهلَ الأرضِ فى مَمْشاكا
ويحكَ ! هل تعلَمُ مَن عَلَاكا ؟
خليفةُ اللَّهِ الذى امْتَطاكا
لم يَحْبُ بَكْرًا مثلَ ما حَبَاكا

فلمَّا سمِعه عبدُ الملكِ قال : إيهًا يا هَنَاهُ ، قد أمَرتُ لك بعشرةِ آلافٍ .

وقال الأصمعىُّ[2] : خطَب عبدُ [٧/١٠٨و] الملكِ فحَصِر ، فقال : إن اللسانَ بَضْعةٌ مِن الإنسانِ ، وإنَّا لا نسكُتُ حَصَرًا ولا ننطِقُ هَذَرًا ، ونحن أمراءُ الكلامِ ، فينا رسَختْ عروقُه ، وعلينا تهدَّلتْ[3] أغصانُه ، وبعدَ مقامِنا هذا مقامٌ ، وبعدَ عِيِّنا هذا مقالٌ ، وبعدَ يومِنا هذا أيامٌ ، يُعرَفُ فيها فصْلُ الخِطابِ ، ومواقعُ[4] الصَّوابِ .

قال الأصمعىُّ[5] : قيل لعبدِ الملكِ : أسرَع إليك الشَّيبُ . فقال : وكيف لا وأنا أعرِضُ عقلى على الناسِ فى كلِّ جُمُعَةٍ مرَّةً أو مرَّتَيْنِ !

---

(١) أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ٤٣/ ٢٦٤، بسنده ، من طريق الأصمعى به .
(٢) تاريخ دمشق ٤٣/ ٢٦٥، وانظر مختصر تاريخ دمشق ١٥/ ٢٢٧.
(٣) فى ٣١، ٢١، م، ص: « تدلت » .
(٤) فى الأصل : « مواضع » ، وفى م : « موضع » .
(٥) تاريخ دمشق ٤٣/ ٢٦٦، وانظر مختصر تاريخ دمشق ١٥/ ٢٢٧، وسير أعلام النبلاء ٤/ ٢٤٨.

(١) وقال غيرُه : قيل لعبدِ الملكِ : أسرَع إليك الشَّيبُ (١) . فقال : (٢) شيَّبَنى كثرةُ (٢) ارتقاءِ المنبرِ ومخافةُ اللَّحْنِ . ولحَن رجلٌ عندَ عبدِ الملكِ [٣] ، فقال له آخَرُ : زِدْ أَلِفٌ . فقال له عبدُ الملكِ : وأنت فزِدْ أَلِفًا .

وقال الزهريُّ [٤] : سمِعتُ عبدَ الملكِ يقولُ فى خُطبتِه : إنَّ العلمَ سيُقبَضُ قبضًا سريعًا ، فمَن كان عندَه علمٌ ، فَلْيُظهِرْه غيرَ غالٍ فيه ولا جافٍ عنه .

وروَى ابنُ أبى الدُّنيا [٥] ، أن عبدَ الملكِ كان يقولُ لمَن يُسايرُه فى سفرِه إذا رُفِعتْ له شجرةٌ : سبِّحوا بنا حتى نأتىَ تلك الشجرةَ [٦] ،وكبِّروا بنا حتى نأتىَ تلك الحجرَ [٧] ، ونحوَ ذلك .

وروَى البيهقىُّ [٨] أن عبدَ الملكِ وقَع منه فَلْسٌ فى بئرٍ قذرةٍ ، فاكْترَى عليه بثلاثةَ عشرَ دينارًا حتى أخرَجه منها ، فقيل له فى ذلك ، فقال : إنَّه كان عليه اسمُ اللَّهِ ، عزَّ وجلَّ .

وقال غيرُ واحدٍ [٩] : كان عبدُ الملكِ إذا جلَس للقضاءِ بينَ الناسِ ، يقومُ السَّيَّافون على رأسِه بالسيوفِ [١٠] فيُنشِدُ - وقال بعضُهم : يأمُرُ مَن ينشِدُ

(١ - ١) سقط من : الأصل.
(٢ - ٢) فى م : « وتنسى » .
(٣) بعده فى م : « يعنى أسقط من كلامه ألفًا » . وانظر تاريخ دمشق ٢٦٦/٤٣ .
(٤) المصدر السابق ، وانظر مختصر تاريخ دمشق ١٥/ ٢٢٨.
(٥) أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ٢٦٧/٤٣ .
(٦) بعده فى الأصل : « ثم ترفع أخرى فيقول » .
(٧) فى الأصل : « الشجرة » ، وفى م : « الحجرة » .
(٨) المصدر السابق .
(٩) المصدر السابق ، وانظر مختصر تاريخ دمشق ١٥/ ٢٢٨.
(١٠) فى م : « بالسيف » .

فيقولُ[(١)] - :

إنَّا إذا نالَتْ دواعِى الهوى ... وأنصَت السَّامعُ للقائلِ

واصْطرَع الناسُ بألبابِهم ... نَقْضى بحكمٍ عادلٍ فاصلِ

لا نجعَلُ الباطلَ حقًّا ولا ... نَلُطُّ[(٢)] دونَ الحقِّ بالباطلِ

نخافُ أنْ تُسفَّهَ[(٣)] أحلامُنا ... [(٤)]فنَخْمُلَ الدهرَ مع الخاملِ[(٤)]

وقال الأعمشُ[(٥)] : أخبرَنى محمدُ بنُ الزبيرِ ، أن أنسَ بنَ مالكٍ كتَب إلى عبدِ الملكِ يَشْكو الحجاجَ ، ويقولُ فى كتابِه : لو أنَّ رجلًا [(٦)]آوَى عيسى ليلةً واحدةً ، أو خدَمه فعرَفَته النَّصارى لنزَل عندَهم[(٦)] ، ولعرَفوا له ذلك ، ولو أنَّ رجلًا خدَم موسى ، أو رآه فعرَفَتْه[(٧)] اليهودُ ، [(٨)]فذكَر نحوَه[(٨)] ، وإنِّى خادمُ رسولِ اللَّهِ ﷺ وصاحبُه[(٩)] ، وإنَّ الحجاجَ قد أضرَّ بى ، وفعَل وفعَل . قال : فأخبَرنى مَن شهِد عبدَ الملكِ يقرَأُ الكتابَ وهو يبكى ، وبلَغ به الغضبُ ما شاء اللَّهُ ، ثم كتَب إلى الحجاجِ بكتابٍ غليظٍ ، فجاء إلى الحجاجِ ، فقرَأه فتغيَّر وجهُه[(١٠)] ، ثم قال إلى

---

(١) سقط من : الأصل ، ٣١، ٢١.

(٢) فى ٣١: « نليط » ، وفى ص: « نطل » ، وفى م : « نلفظ » ، ونلط : أى نمنع وندفع الحق .

(٣) فى م : « نسفّه » .

(٤ - ٤) فى ٣١، ٢١، م ، ص : « فنجهل الحق مع الجاهل » . وانظر المصادر السابقة .

(٥) أخرجه الحاكم فى المستدرك ٣/ ٥٧٤، وابن عساكر فى تاريخ دمشق ٢٦٨/٤٣ .

(٦ - ٦) فى ٣١، ٢١، م ، ص : « خدم عيسى بن مريم أو رآه أو صحبه تعرفه النصارى أو تعرف مكانه ، لهاجرت إليه ملوكهم ، ولنزل من قلوبهم بالمنزلة العظيمة » .

(٧) فى الأصل : « لعرفته » ، وفى ٣١، ٢١، م : « تعرفه » . والمثبت من تاريخ دمشق ٢٦٨/٤٣ مخطوط .

(٨ - ٨) فى ٣١، ٢١، ص ، م : « لفعلوا به من الخير والمحبة وغير ذلك ما استطاعوا » .

(٩) فى الأصل : « صاحبيه » ، وبعده فى ٣١، ٢١، م ، ص : « ورأيته وأكلت معه ، ودخلت وخرجت وجاهدت معه أعداءه » .

(١٠) سقط من : ٣١، ٢١، م ، ص .

حاملِ الكتابِ : انطلِقْ بنا إليه نترضَّاه .

وقال أبو بكرِ بنُ دُريدٍ[1] : كتَب عبدُ الملكِ إلى الحجاجِ فى أيامِ ابنِ الأشعثِ : إنك [٧/١٠٨ظ] أعزُّ ما تكونُ باللَّهِ أحوجَ ما تكونُ إليه[2] ، وإذا عَزَزتَ باللَّهِ فاعْفُ له ، فإنَّك به تَعِزُّ وإليه ترجِعُ .

قال بعضُهم[3] : سأل رجلٌ مِن عبدِ الملكِ أن يخلُوَ به ، فأمَر مَن عندَه بالانصرافِ ، فلمَّا تهيَّأ[4] الرجلُ ليتكلَّمَ قال له عبدُ الملكِ[5] : إيّاك أنْ تمدَحَنى ؛ فإنِّى أعلَمُ بنَفسى منك ، أو تَكْذِبَنى ؛ فإنَّه لا رأْىَ لِكذوبٍ[6] ، أو تَسْعى إلىَّ بأحدٍ[7] ، وإن شئْتَ أقلْتُك . فقال الرجلُ : أَقِلْنى . فأقالَه .

وكذا كان يقولُ[8] للرسولِ إذا قدِم عليه مِن الآفاقِ : أعْفِنى مِن أربعٍ ، وقُلْ ما شئْتَ ؛ لا تُطْرِنى ، ولا تُجِبْنى فيما لم أسألْكَ عنه ، ولا تَكْذِبنى ، ولا تحمِلنى على الرعيةِ ؛ فإنَّهم إلى رَأْفتى ومَعْدَلتى أحوجُ .

وقال الأصمعىُّ[8] ، عن أبيه قال : أُتِىَ عبدُ الملكِ برجلٍ كان مع بعضِ مَن خرَج عليه ، فقال : اضْرِبوا عنقَه . فقال : يا أميرَ المؤمنين ، ما كان هذا جَزائى

---

(١) أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ٢٦٩/٤٣ .

(٢) بعده فى ٣١، ٢١، م، ص: «وأذل ما تكون للمخلوق أحوج ما تكون إليهم».

(٣) المصدر السابق ، وانظر مختصر تاريخ دمشق ٢٢٨/١٥.

(٤) فى ٣١، ٢١، م، ص: «خلا به وأراد».

(٥) بعده فى ٣١، ٢١، م ، ص: «احذر فى كلامك ثلاثا».

(٦) فى الأصل: «لمكذوب»، وفى ٣١: «للكذوب». وانظر مصادر التخريج السابقة.

(٧) بعده فى ٣١، ٢١، م، ص: «من الرعية فإنهم إلى عدلى وعفوى أقرب منهم إلى جورى وظلمى».

(٨) المصدر السابق.

منك ! فقال : وما جَزاؤك ؟ فقال : واللَّهِ ما خرَجْتُ مع فلانٍ إلَّا بالنَّظرِ[(١)] لك ، وذلك أنِّى رجلٌ مشئومٌ ، ما كنتُ مع رجلٍ قطُّ إلَّا غُلِب وهُزِم ، وقد بانَ لك صحةُ ما ادَّعيْتُ ، وكنتُ عليك خيرًا لك[(٢)] مِن مائةِ ألفٍ معك[(٣)] . فضحِك وخلَّى سبيلَه .

وقيل لعبدِ الملكِ[(٤)] : أىُّ الرجالِ أفضلُ ؟ قال : مَن تواضَع عن رِفعةٍ ، وزهِد عن قُدْرةٍ ، وترَك النُّصرةَ عن قوةٍ .

وقال[(٤)] أيضًا : لا طُمأنينةَ قبلَ الخبرةِ ، (٥فإنَّ الطُّمأنينةَ قبلَ الخبرةِ٥) ضدُّ الحزمِ .

وقال[(٤)] : خيرُ المالِ ما أفاد حمدًا ودفع ذمًّا ، ولا يقولَنَّ أحدُكم : ابدَأْ بمَن تعولُ . فإنَّ الخلْقَ كلَّهم عيالُ اللَّهِ . وينبغى أن يُحمَلَ هذا على غيرِ ما ثبَت به الحديثُ[(٦)] .

وقال المدائنىُّ[(٧)] : قال عبدُ الملكِ لمؤدِّبِ أولادِه - وهو إسماعيلُ بنُ عبيدِ اللَّهِ ابنِ أبى المهاجرِ -: علِّمْهم الصِّدقَ كما تُعلِّمُهم القرآنَ ، وجنِّبْهم السَّفِلَةَ ؛ فإنَّهم

---

(١) فى ٣١: « بالنظير » .

(٢) سقط من : م .

(٣) بعده فى ٣١، ٢١، ص ، م : « تنصحك ، لقد كنت مع فلان ، فكسر وهزم وتفرق جمعه وكنت مع فلان فقتل وكنت مع فلان فهزم حتى عد جماعة من الأمراء » .

(٤) تاريخ دمشق ٢٦٩/٤٣ .

(٥ - ٥) سقط من : الأصل .

(٦) يقصد المصنف حديث : « الخلق كلهم عيال الله ، فأحب الخلق إلى الله من أحسن إلى عياله » . وهو ضعيف باتفاق الأئمة . كشف الخفاء ومزيل الإلباس ١/ ٣٨٠.

(٧) تاريخ دمشق ٤٣/ ٢٧٤، وانظر مختصر تاريخ دمشق ١٥/ ٢٣٠.

أسوأُ الناسِ رِعَةً[1] ، وأقلُّهم أدبًا ، وجنِّبْهم الحشَمَ ؛ فإنَّهم لهم مفسدَةٌ ، وأحْفِ شعورَهم ، تَغلُظْ رقابُهم ، وأطعِمْهم اللحمَ يقْوَوا ، وعلِّمْهم الشعرَ يمجُدُوا وينجُدُوا ، ومُرْهم أن يَستاكوا عَرْضًا ، ويمصُّوا الماءَ مصًّا ، ولا (٢يعُبُّوا عبًّا٢) ، وإذا احتجْتَ أن تتناولَهم[3] بأدبٍ ، فلْيكُنْ ذلك فى سِرٍّ لا يعلَمُ بهم أحدٌ مِن الغاشيةِ ، فيَهونوا عليهم .

وقال الهيثمُ بنُ عدىٍّ[4] : أذِن عبدُ الملكِ للناسِ (٥فى الدخولِ عليه٥) إذنًا خاصًّا ، فدخَل شيخٌ رثُّ الهيئةِ لم يَأْبَه له الحرسُ ، فألقَى بينَ يدَى عبدِ الملكِ صحيفةً ، وخرَج فلم يَدْرِ أين ذهَب ، وإذا فيها :

بسمِ اللَّهِ الرحمنِ الرحيمِ ، يا أيُّها الإنسانُ إنَّ اللَّهَ قد جعَلك بينَه وبينَ عبادِه ؛ فاحْكُمْ بينَهم بالحقِّ ﴿ وَلَا تَتَّبِعِ ٱلْهَوَىٰ [٦/ ١٠٩و] فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدُۢ بِمَا نَسُواْ يَوْمَ ٱلْحِسَابِ ﴾ [ص: ٢٦] . ﴿ أَلَا يَظُنُّ أُوْلَٰٓئِكَ أَنَّهُم مَّبْعُوثُونَ ﴿٤﴾ لِيَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿٥﴾ يَوْمَ يَقُومُ ٱلنَّاسُ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ [المطففين: ٤- ٦] . ﴿ ذَٰلِكَ يَوْمٌ مَّجْمُوعٌ لَّهُ ٱلنَّاسُ وَذَٰلِكَ يَوْمٌ مَّشْهُودٌ ﴿١٠٣﴾ وَمَا نُؤَخِّرُهُۥٓ إِلَّا لِأَجَلٍ مَّعْدُودٍ ﴾ [هود: ١٠٣، ١٠٤] . إنَّ[6] الذى أنتَ فيه لو بقِى لغيرِك ما وصَل إليك ﴿ فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ خَاوِيَةَۢ بِمَا ظَلَمُوٓاْۚ ﴾ [النمل: ٥٢] .

---

(١) فى ا٣، ا٢، ص، م: « رغبة فى الخبر » . والرعة: قلة الورع .
(٢ - ٢) فى الأصل، ا٣، ص: « يغبوا غبا » .
(٣) بعده فى م: « فتناولهم » .
(٤) تاريخ دمشق ٢٧٤/٤٣ .
(٥ - ٥) زيادة من: ا٣، ا٢، م، ص .
(٦) بعده فى م: « اليوم » .

وإنّى أحذِّرُك يومَ يُنادى المُنـادى ﴿ ٱحْشُرُوا۟ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ وَأَزْوَٰجَهُمْ ﴾ [الصافات : ٢٢] . ﴿ أَن لَّعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ [الأعراف : ٤٤] . قال : فتغيَّر وجهُ عبدِ الملكِ ، فدخَل دارَ حرمِه ، ولم تزَلِ الكآبةُ فى وجْهِه بعدَ ذلك أيامًا .

وكتَب زِرُّ بنُ حُبيشٍ إلى عبدِ الملكِ كتابًا[1] وفى آخرِه : ولا يُطمِعُك[2] يا أميرَ المؤمنين فى طولِ البقاءِ ما يظهَرُ لك مِن صحَّتِك ، فأنتَ أعلمُ بنفسِك ، واذكُرْ ما تكلَّمَ به الأولون :

إذا الرجالُ ولَدتْ أولادَها وبَلِيَتْ مِن كِبَرٍ أجسادُها

وجعَلتْ أسقامُها تعتادُها تلك زُرُوعٌ قد دَنا حَصادُها

فلمَّا قرَأه عبدُ الملكِ بكَى حتى بلَّ طرفَ ثوبِه ، ثم قال : صدقَ زِرٌّ ، ولو كتَب إلينا بغيرِ هذا كان أرفقَ .

وسمِع عبدُ الملكِ جماعةً مِن أصحابِه يذكُرون سيرةَ عمرَ بنِ الخطابِ فقال[3] : إيهًا[4] عن ذكْرِ عمرَ ؛ فإنَّه [5]إزراءٌ على الولاةِ[5] ، مفسدةٌ للرعيَّةِ .

وقال إبراهيمُ بنُ هشامِ بنِ يحيى الغَسَّانىُّ[6] ، عن أبيه ، عن جدِّه قال : كان

---

(١) تقدم ص ٢٩٥.

(٢) فى الأصل : « يطغيك » ، وفى ٢١: « يطعمك » .

(٣) تاريخ دمشق ٤٣/ ٢٧٧، وانظر مختصر تاريخ دمشق ١٥/ ٢٣١.

(٤) فى الأصل : غير منقوطة ، وفى ٣١، ٢١، ص : « إنها » ، وفى م : « أنهى » . والمثبت من مصادر التخريج السابقة .

(٥ - ٥) فى النسخ : « مرارة للأمراء » . والمثبت من مصادر التخريج السابقة .

(٦) فى م : « القبانى » ، والخبر أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ٢٧٧/٤٣، من طريق إبراهيم بن هشام به .

عبدُ الملكِ يجلِسُ فى حَلْقةِ أمِّ الدَّرداءِ فى مُؤخَّرِ المسجدِ بدمشقَ ، فقالت له : بلَغنى أنَّك شَرِبتَ الطِّلاءَ بعدَ العبادةِ والنُّسُكِ . فقال : إى واللَّهِ ، والدِّماءَ[1] قد شَرِبتُها . ثم جاءَه غلامٌ كان قد بعَثه فى حاجةٍ ، فقال : ما حبَسك ، لعَنك اللَّهُ ؟ فقالتْ أمُّ الدَّرداءِ : لا تفعَلْ يا أميرَ المؤمنين ؛ فإنِّى سمِعتُ أبا الدَّرداءِ يقولُ : سمِعتُ رسولَ اللَّهِ ﷺ يقولُ : « لا يدخُلُ الجنةَ لعَّانٌ » .

وقال أبو بكرِ بنُ أبى الدُّنيا[2] : ثنا الحسينُ بنُ عبدِ الرحمنِ قال : قيل لسعيدِ ابنِ المسيَّبِ : إنَّ عبدَ الملكِ بنَ مروانَ قال : قد صِرْتُ لا أفرَحُ بالحسنةِ أعمَلُها ، ولا أحزَنُ على السَّيئةِ أرتكِبُها . فقال سعيدٌ : الآنَ تكامَل موتُ قلبِه .

وقال الأصمعىُّ عن أبيه[3] قال : خطَب عبدُ الملكِ يومًا خُطبةً بليغةً ، ثم قطَعها وبكَى بكاءً شديدًا ، ثم قال : يا ربِّ إنَّ ذُنوبى عظيمةٌ ، وإنَّ قليلَ عفوِك أعظمُ منها ، اللهُمَّ فامْحُ بقليلِ عفوِك عظيمَ ذُنوبى . قال : فبلَغ ذلك الحسنَ فبكَى ، وقال : لو كان كلامٌ يُكتَبُ بالذَّهبِ لكُتِب هذا الكلامُ . وقد رُوِى عن غيرِ واحدٍ[4] نحوُ [٧/١٠٩ظ] ذلك[5] .

وقال أبو[6] مُسْهِرٍ[7] الدِّمشقىُّ[8] : وُضِع سِماطُ عبدِ الملكِ يومًا بينَ يديه

---

(١) بعده فى ٣١، ٢١، م، ص: « أيضا ».
(٢) أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ٤٣/ ٢٧٨.
(٣) بعده فى م: « عن جده ». والخبر أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ٢٧٩/٤٣ من طريق الأصمعى به.
(٤) تاريخ دمشق ٤٣/ ٢٨٠.
(٥) بعده فى ٣١، ٢١، م، ص: « أى أنه لما بلغه هذا الكلام قال مثل مقالة الحسن ».
(٦) سقط من: م.
(٧) فى ص: « مشهر ».
(٨) تاريخ دمشق ٢٨٠/٤٣ مختصرًا.

فقال لحاجبه : ائذَنْ لخالدِ بنِ عبدِ اللَّهِ بنِ خالدِ بنِ أَسيدٍ . فقال : ماتَ يا أميرَ المؤمنينَ . قال : (١ فأميةَ بنِ ١) عبدِ اللَّهِ بنِ خالدِ بنِ أَسِيدٍ . قال : ماتَ . قال : فلِخالدِ بنِ يزيدَ بنِ معاويةَ . قال : مات . قال : فلفلانٍ وفلانٍ ، لأقوامٍ[٢] قد ماتوا - وهو يعلمُ ذلك - فبكى[٣] ، وأمَر برفعِ السِّماطِ ، وأنشَأ يقولُ :

ذَهَبَتْ لِدَاتى[٤] وانقَضَتْ أيّامُهم وغَبَرْتُ بعدَهُمْ ولستُ بخالدِ

(٥ وقِيل[٦] : إنّه لما احْتُضِر دخَل عليه ابنُه الوليدُ فبكَى ، فقال له عبدُ الملكِ : ما هذا ؟ أتحِنُّ حنينَ الجاريةِ والأَمَةِ ؟ إذا أنا مِتُّ فشمِّرْ واتَّزِرْ والبَسْ جلدَ النَّمِرِ ، وضَعِ الأمورَ عندَ أقرانِها ، واحْذَرْ قريشًا . ثم قال له : يا وليدُ ، اتَّقِ اللَّهَ فيما أستخلِفُك فيه ، واحفَظْ وصِيَّتى ، وانظُرْ إلى أخى معاويةَ فصِلْ رحِمَه واحْفَظْنى فيه ، وانظُرْ إلى أخى محمدٍ فأقِرَّه[٧] على الجزيرةِ ، ولا تعزِلْه عنها ، وانظُرْ ابنَ عمِّنا عليَّ (٨ بنَ عبدِ اللَّهِ ٨) بنِ عباسٍ ؛ فإنَّه قد انقطَع إلينا بمودَّتِه ونصيحتِه ، وله نسَبٌ وحقٌّ ؛ فصِلْ رحِمَه ، واعرِفْ حقَّه ، وانظُرْ الحجّاجَ بنَ يوسفَ فأكرِمْه ؛ فإنَّه هو الذى مهَّد لكم البلادَ ، وقهرَ الأعداءَ ، وأخلَص لكم المُلْكَ ، وشتَّت الخوارجَ ، وأنهاكَ وإخوتَك عن الفُرْقةِ ، وكونوا أولادَ أمٍّ واحدةٍ ، وكونوا فى ٥)

(١ - ١) فى الأصل ، ٢١: « فلابنه » ، وفى ٣١، م ، ص : « فلأبيه » . والمثبت من مصدر التخريج .
(٢) فى ٣١، ٢١، م ، ص : « حتى عد أقواما » .
(٣) فى م : « قبلنا » .
(٤) اللدة : من ولد معك فى وقت واحد . والجمع : لدات .
(٥ - ٥) سقط من : الأصل .
(٦) المنتظم ٦/ ٢٧٤ - ٢٧٦ بنحوه ، وتاريخ الخلفاء ص ٢٢٠ مختصرًا بنحوه ، وسمط النجوم العوالى ٣/ ١٧٠، وتاريخ اليعقوبى ٢/ ٢٨٠.
(٧) فى م : « فأمره » .
(٨ - ٨) سقط من : ٣١، ٢١، م ، ص . والمثبت من المنتظم ٦/ ٢٧٥.

(١)الحربِ أحرارًا ، وللمعروفِ مَنارًا ؛ فإنَّ الحربَ لم تُدْنِ مَنيَّةً قبلَ وقتِها ، وإنَّ المعروفَ يُشيِّدُ ذِكْرَ صاحبِه ، ويُميلُ القلوبَ بالمحبَّةِ ، ويُذَلِّلُ الألسنةَ بالذِّكرِ الجميلِ ، ولِلَّهِ دَرُّ القائلِ :

إنَّ الأمورَ[٢] إذا اجتمَعْنَ فرامَها[٣] ... بالكسرِ ذو حَنَقٍ وبطشٍ باليدِ[٤]

عزَّتْ فلم تُكسرْ وإنْ هى بُدِّدَتْ ... فالكسرُ والتَّوهينُ للمُتَبدِّدِ

ثم قال : إذا أنا مِتُّ فادْعُ الناسَ إلى بيعتِك ، فمَن أبَى فالسَّيفُ ، وعليكَ بالإحسانِ إلى أخواتِك فأكرِمْهُنَّ ، وأحبُّهنَّ إلىَّ فاطمةُ - وكان قد أعطاها قُرْطَى ماريةَ[٥] ، والدُّرَّةَ اليتيمةَ - ثم قال : اللهمَّ احْفَظْنى فيها . فتزوَّجها عمرُ بنُ عبدِ العزيزِ ، وهو ابنُ عمِّها .

ولما احتُضِر سمِع غسَّالًا يَغسِلُ الثيابَ ، فقال[٦] : ما هذا ؟ فقالوا : غسَّالٌ . فقال : يا لَيتَنى كنتُ غسَّالًا أكسِبُ ما أعيشُ به يومًا بيومٍ ، ولم ألِ الخلافَةَ ، ثم تمثَّل فقال :

لعَمْرى لقدْ عُمِّرْتُ فى المُلكِ بُرْهةً[٧] ... ودانتْ لىَ الدُّنيا بوقْعِ البَواترِ(١)

(١ - ١) سقط من : الأصل .

(٢) فى مصادر التخريج : « القداح » .

(٣) فى ٢١ : « فراقها » .

(٤) فى ٣١، ٢١، ص: « فنده »، وفى م: « مفند »، والمثبت من تاريخ الخلفاء.

(٥) فى ٣١: « ماية » .

(٦) تاريخ دمشق (ط . مجمع اللغة العربية) ٢٨٣/٤٣ بنحوه دون ذكر الأبيات ، والأبيات فى سمط النجوم العوالى ٣/ ١٦٩، ١٧٠. وتاريخ الخلفاء ص ٢٢٠، ٢٢١ بدون البيت الثانى ، والأبيات كاملة فى مختصر تاريخ دمشق ٢٥/ ٧٩.

(٧) فى م : « بزهة » .

(١ وأُعْطِيتُ جَمَّ(٢) المالِ والحكمَ(٣) والنُّهَى (٤ ودانَ قَماقِيمُ(٥)(٤) الملوكِ الجبابرِ

فأضْحَى الذى قَدْ كانَ مِمَّا يسُرُّنى كحلمٍ(٦) مضَى فى المُزْمِناتِ الغَوَابرِ

فيالَيْتَنى لم أُغْنَ(٧) بالمُلْكِ(٨) ليلةً ولم (٩أَسْعَ فى لذَّاتِ(٩) عيشٍ نواضرِ

(١٠ وكنتُ كذِى طِمْرَيْنِ(١١) عاش ببُلْغَةٍ مِن العيشِ حتى زار ضِيقَ المقابرِ(١٠)

وقد أنشَد هذه الأبياتَ معاويةُ بنُ أبى سفيانَ عندَ موتِه(١٢)(١) .

وقال أبو مُسْهِرٍ(١٣) : قِيل لعبدِ الملكِ فى مرضِ موتِه : كيف تجِدُكَ ؟ فقال : أجِدُنى كما قال اللَّهُ تعالى : ﴿ وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَادَىٰ كَمَا خَلَقْنَٰكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَتَرَكْتُم مَّا خَوَّلْنَٰكُمْ ﴾ [الأنعام: ٩٤] .

وقال سعيدُ بنُ عبدِ العزيزِ(١٤) : لمَّا احْتُضِر عبدُ المَلكِ أمرَ بفتحِ الأبوابِ مِن

(١ - ١) سقط من : الأصل .

(٢) فى النسخ : « حمر » . والمثبت من مختصر تاريخ دمشق .

(٣) فى ص : « العلم » .

(٤ - ٤) فى ٢١: « وسلم ودان فما قيم » . وفى م : « ولى سلمت كل » .

(٥) القمقام والقماقم من الرجال : السيد الكثير الخير الواسع الفضل . اللسان (ق م م) ، ويجمع قياسا على قماقيم .

(٦) فى ٣١، ٢١: « كحكم » .

(٧) فى ٣١، ص : « أغن » .

(٨) فى ٣١، ٢١، ص : « فى الملك » .

(٩ - ٩) فى ٣١، ٢١، ص : « تغن فى اللذات » .

(١٠ - ١٠) سقط من : م .

(١١) الطمر : الثوب الخلق البالى .

(١٢) تاريخ دمشق ٤٣/ ٢٧٦، ومختصر تاريخ دمشق ٢٦/ ٧٩، ٨٠.

(١٣) تاريخ دمشق (ط. مجمع اللغة العربية بدمشق) ٤٣/ ٢٨١.

(١٤) تاريخ دمشق (ط. مجمع اللغة العربية بدمشق) ٢٨٢/٤٣ بنحوه .

قصرِه ، فسمِع قصَّارًا[1] ، فقال : ما هذا ؟ قالوا : قصَّارٌ . فقال : يا ليتنى كنتُ قصَّارًا[2] . فلمَّا بلَغ سعيدًا[3] قولُه ، قال : الحمدُ للَّهِ الذى جعَلهم[4] يَفِرُّونَ إلينا ، ولا نفِرُّ إليهم .

وقال غيرُه[5] : لمَّا حضَره الموتُ جعَل يندَمُ[6] ، ويضرِبُ بيدِه على رأسِه ، ويقولُ : ودِدتُ أنِّى كنتُ أكسِبُ قوتى يومًا بيومٍ ، واشتَغلْتُ [7]بطاعةِ اللَّهِ[7] .

وقال غيرُه[8] : لمَّا حضـرَته الوفاةُ دعا بَنيهِ فوصَّاهُمْ ثم قال : الحمدُ للَّهِ الذى لا [9]يَنْسَى أحدًا[9] مِن خلقِه صغيرًا أو كبيرًا ، ثم يُنشِدُ :

فهَل مِن خالدٍ إمَّا هَلَكْنَا   وهَلْ بالموتِ [10]يا لَلناسِ[10] عارُ

ويُروى أنَّه قال[11] : ارفعُونى . فرفعُوه حتى شَمَّ الهواءَ ، وقال : يا دُنْيا ، ما أطيبَك ! إنَّ طويلَكِ لقصيرٌ ، وإنَّ كثيرَك لحقيرٌ ، وإنْ كُنَّا منكِ[12] لفِى غرورٍ . ثم تمثَّل بهذين البيتَيْنِ ، [13]ويُروى[14] أن معاويةَ قالهما فى هذه الحالِ[13] :

---

(١) بعده فى ٣١، ٢١، م، ص: «بالوادى».
(٢) بعده فى ٣١، ٢١، م، ص: «أعيش من عمل يدى».
(٣) فى ٣١، ٢١، م، ص: «سعيد بن المسيب».
(٤) بعده فى ٣١، ٢١، م، ص: «عند موتهم».
(٥) تاريخ دمشق (ط. مجمع اللغة العربية بدمشق) ٢٨٢/٤٣ بنحوه.
(٦) بعده فى ٣١، ٢١، م، ص: «ويندب».
(٧ - ٧) فى ٣١، ٢١، م، ص: «بعبادة ربى عز وجل وطاعته».
(٨) تاريخ دمشق (ط. مجمع اللغة العربية بدمشق) ٢٨٣/٤٣ بنحوه.
(٩ - ٩) فى الأصل، م: «يسأل أحدا»، وفى ٢١: «لا ينسى أحدا ولا يبقى أحد».
(١٠ - ١٠) فى ٣١، ٢١، م، ص: «للباقين».
(١١) المصدر السابق.
(١٢) فى م: «بك».
(١٣ - ١٣) سقط من: م.
(١٤) تاريخ دمشق ٤٣/ ٢٨٣، ومختصر تاريخ دمشق ٢٥/ ٨٣. والأبيات فى الكامل ٤/ ٨.

إنْ تُناقِشْ يكُنْ نقاشُكَ ياربِّ عذابًا لا طوقَ لى بالعذابِ
أو تُجاوِزْ فأنتَ ربٌّ صَفُوحٌ عن مُسىءٍ ذنوبُه كالتُّرابِ

قالوا[(١)] : وكانتْ وفاتُه بدمشقَ يومَ الجمعةِ. وقِيل: الأربعاءِ. وقِيل: الخميسِ. فى النِّصفِ مِن شوّالٍ، [(٢)]وقِيل: لخمسٍ مضَين منه[(٢)]. سنةَ ستٍّ وثمانينَ. وصلَّى عليه ابنُه الوليدُ ولِيُّ عهدِه مِن بعدِه، وكان عمرُه يومَ مات ستِّينَ سنةً. قاله أبو مَعْشَرٍ[(٣)]. وصحَّحه الواقدىُّ[(٣)]. وقِيل: ثلاثًا وستينَ سنةً. قاله المدائنىُّ[(٣)]. وقِيل: ثمانٍ وخمسين. ودُفِن [٧/١١٠و] ببابِ الجابيةِ الصّغيرِ.

قال ابنُ جريرٍ[(٣)] : ذِكْرُ أولادِه وأزواجِه؛ منهم الوليدُ، وسليمانُ، ومَرْوانُ الأكبرُ - درَجَ[(٤)] - وعائشةُ، وأمُّهم ولَّادةُ بنتُ العبّاسِ بنِ جَزْءِ بنِ الحارثِ بنِ زُهيرِ بنِ جَذِيمَةَ[(٥)] بنِ رَوَاحةَ بنِ ربيعةَ بنِ مازنِ[(٦)] بنِ الحارثِ بنِ قُطيعةَ بنِ عَبْسِ ابنِ بَغِيضٍ[(٧)].

ويزيدُ، ومروانُ الأصغرُ، ومعاويةُ - درَجَ - وأمُّ كلثومَ، وأمُّهم عاتكةُ بنتُ يزيدَ بنِ معاويةَ بنِ أبى سفيانَ. وهشامٌ، وأمُّه أمُّ هشامٍ عائشةُ - فيما قاله

---

(١) تاريخ دمشق (ط. مجمع اللغة العربية بدمشق) ٤٣/٢٨٨، ٢٨٩، وتاريخ الطبرى ٦/٤١٨.
(٢ - ٢) سقط من: ٣١، ٢١، م، ص.
(٣) تاريخ الطبرى ٦/٤١٩.
(٤) أى مات ولم يخلف نسلا. اللسان (د ر ج).
(٥) فى ص: «خزيمة». وانظر جمهرة أنساب العرب ص ٢٥١.
(٦) فى ص: «مالك». وانظر المصدر السابق.
(٧) فى ٣١، ص: «معيص». وانظر جمهرة أنساب العرب ص ٢٥٠.

المدائنىُّ - بنتُ هشامِ بنِ إسماعيلَ المخزومىِّ . وأبو بكرٍ ، واسمُه بكَّارٌ ، وأُمُّه عائشةُ بنتُ موسى بنِ طلحةَ بنِ عُبيدِ اللَّهِ التيمىِّ ، والحكمُ - درَجَ - وأُمُّه أمُّ أيوبَ بنتُ عمرِو بنِ عثمانَ بنِ عفانَ الأُموىِّ . وفاطمةُ ، وأُمُّها أمُّ[1] المغيرةِ بنتُ المغيرةِ بنِ خالدِ بنِ العاصِ بنِ هشامِ بنِ المغيرةِ المخزومىِّ . وعبدُ اللَّهِ ، ومَسْلَمَةُ[2] ، والمنذرُ وعَنْبَسَةُ ، ومحمدٌ ، وسعدُ الخيرِ ، والحجَّاجُ ، لأمهاتِ أولادٍ شَتَّى .

[3]فكان جملةُ أولادِه تسعةَ عشَرَ ؛ ذكورًا وإناثًا ، وكانت مدَّةُ خلافتِه إحدَى وعشرين سنةً ؛ منها تسعُ سنينَ مشارِكًا لابنِ الزبيرِ ، وثلاثَ عشْرةَ سنةً ، وثلاثةُ أشهرٍ ونصفٍ مستقِلًّا بالخلافةِ وحدَه .

وكان قاضِيَه أبو إدريسَ الخَوْلانىُّ ، وكاتبَه رَوْحُ بنُ زِنباعٍ ، وحاجبَه يوسفُ مَولاه ، وصاحبَ بيتِ المالِ والخاتمِ قَبِيصَةُ بنُ ذؤيبٍ ، وعلى شُرطتِه أبو الزُّعَيزِعَةِ ، وقد ذكَرنا عمّالَه فيما مضَى[3] .

قال المدائنىُّ[4] : وكان له زوجاتٌ أُخَرُ ؛ شقراءُ بنتُ سَلَمَةَ[5] بنِ حَلْبَسٍ الطائىِّ ، وابنةٌ لعلىِّ بنِ أبى طالبٍ ، وأمُّ أبيها بنتُ عبدِ اللَّهِ بنِ جعفرٍ .

ومِمَّن يُذكَرُ أنه توفِّى فى هذه السنةِ تقريبًا :

أرطاةُ بنُ زُفَرَ[6] بنِ عبدِ اللَّهِ بنِ مالكِ بنِ شدَّادِ بنِ ضَمْرةَ بنِ

---

(١) سقط من : م .

(٢) فى ٣١، ص : « سلمة » . وانظر جمهرة أنساب العرب ص ٨٩.

(٣ - ٣) سقط من : الأصل .

(٤) الطبرى ٦/ ٤٢٠.

(٥) فى الأصل : « سلم » ، وفى ٣١، ٢١: « مسلم » . وانظر المصدر السابق .

(٦) ترجمته فى : الأغانى ١٣/ ٢٩، وسمط اللآلى ١/ ٩٩، وتاريخ دمشق ٨/ ٣، والوافى بالوفيات ٨/ ٣٤٨، والإصابة ١/ ١٨٩.

عُقْفانَ[١] **بنِ أبى حارثةَ بنِ مُرَّةَ بنِ نُشْبةَ**[٢] **بنِ غَيظِ**[٣] **بنِ مرَّةَ بنِ عوفِ بنِ سعدِ ابنِ ذُبيانَ بنِ بَغيضِ بنِ رَيثِ بنِ غطَفانَ ، أبو**[٤] **الوليدِ المُرِّىُّ**[٥] ، ويعرَفُ بابنِ سُهَيَّةَ[٦] ، وهى أمُّه بنتُ زاملِ[٧] بنِ مروانَ بنِ زهيرِ بنِ ثعلبةَ بنِ خديجِ بنِ أبى[٨] جُشَمِ بنِ كعبِ بنِ عوفِ[٩] بنِ عامرِ بنِ عوفِ ، [١٠]سَبِيَّةٌ مِن كلبِ[١٠] ، وكانت عندَ ضِرَارِ بنِ الأزورِ ، ثم صارت إلى زُفَرَ - وهى حاملٌ - فأتَتْ بأرطاةَ على فِراشِه ، وقد عُمِّر أرطاةُ دهرًا طويلًا حتى جاوَز المائةَ بثلاثين سنةً ، وقد كان سيِّدًا شريفًا مُطاعًا مُمدَّحًا شاعرًا مُطْبِقًا .

قال المدائنىُّ : ويقالُ : إنَّ بنى عُقْفانَ بنِ حنظلةَ بنِ رواحةَ بنِ ربيعةَ بنِ مازنِ ابنِ الحارثِ بنِ قَطيعةَ بنِ عبسٍ ، دخَلوا فى بنى مُرَّةَ[١١] بنِ نُشْبةَ ، فقالوا : بنى عُقْفانَ بنِ أبى حارثةَ بنِ مُرَّةَ .

وقد وفَد أبو الوليدِ أرطاةُ بنُ زُفَرَ هذا على عبدِ الملكِ بن مروان ، فأنشدَه

---

(١) فى ا ٢: « عفقان »، وفى م: « غقعان » .
(٢) فى الأصل: « لشبة ». وغير منقوطة فى ا ٢، وفى م: « شبة » .
(٣) فى ا ٣، ا ٢، م، ص: « نميط » .
(٤) سقط من: ا ٣، ا ٢، م، ص .
(٥) فى ص: « المزنى ». وانظر جمهرة أنساب العرب ص ١٣.
(٦) فى النسخ: « شهبة »، والمثبت من مصادر الترجمة، وانظر تبصير المنتبه ٢/ ٦٩٥.
(٧) فى م: « رامل » .
(٨) سقط من: ا ٣، ا ٢، م، ص .
(٩) فى م: « عون » .
(١٠ - ١٠) فى م، وتاريخ دمشق ٢/ ٦٦٠ (مخطوط)، ومختصر تاريخ دمشق ٤/ ٢٣٣: « شيبة بن كلب » .
(١١) بعده فى الأصل: « بن مرة » .

أبياتًا[1] :

رأيتُ المرءَ تأكُلُهُ الليالى كأكلِ الأرضِ ساقطةَ الحديدِ
وما تُبقى المنيَّةُ حينَ تأتى على نفسِ ابنِ آدمَ مِن مزيدِ
وأعلَمُ أنَّها ستكرُّ حتى تُوَفِّىَ نَذْرَها بأبِى الوليدِ

قال : [٧/١١٠ظ] فارتاعَ عبدُ الملكِ ، وظنَّ أنَّه عناه بذلك ، فقال : يا أميرَ المؤمنين ، إنما عَنَيتُ نفسى . فقال عبدُ الملكِ : وأنا واللَّهِ سيمُرُّ بىَ الذى يمُرُّ بك .

وزاد بعضُهم فى هذه الأبياتِ[2] :

خُلِقْنا أنفُسًا وبنِى نفوسٍ ولسنا بالسَّلامِ[3] ولا الحديدِ
لئِنْ فُجِّعْتُ[4] بالقُرناءِ يومًا لقد مُتِّعتُ بالأملِ البعيدِ

وهو القائلُ[5] :

وإنِّى لقوَّامٌ لدَى الضَّيفِ مُوهَنًا إذا [6]أسبَل السِّتْرَ[6] البخيلُ[7] المُواكِلُ
دعا فأجابتْه كلابٌ كثيرةٌ على ثقةٍ مِنِّى بأنِّىَ فاعِلُ
وما دونَ ضَيفى مِن تلادٍ تَحوزُه لىَ النفسُ إلَّا أنْ تُصانَ الحلائِلُ

---

(١) الأغانى ١٣/ ٣١، وتاريخ دمشق ٨/ ٤، ومختصر تاريخ دمشق ٤/ ٢٣٣، والوافى بالوفيات ٨/ ٣٤٨، والإصابة ١/ ١٩٠.

(٢) يعنى الأبيات السابقة . وانظر تاريخ دمشق ٨/ ٥، ومختصر تاريخ دمشق ٤/ ٢٣٣. وفيها أن الأبيات السابقة سُرِق البيت الثانى منها من قول زبَّان بن منظور بن سيار . نقل ذلك ابن عساكر عن الزبير ابن بكار .

(٣) السلام : ضرب من الشجر .

(٤) فى ٣١، ٢١، م ، ص : « أفجعت » .

(٥) تاريخ دمشق ٨/ ٨، ومختصر تاريخ دمشق ٤/ ٢٣٥.

(٦ - ٦) فى الأصل : « أعدم السير » . وفى مصادر التخريج : « أعذر السير » . وأسبل الستر : أرخاه .

(٧) فى مصادر التخريج : « النجيل » .

يونسُ بنُ عطيةَ الحضرميُّ[1] ، قاضى مصرَ ، وصاحبُ الشرطةِ فى أيامِ عبدِ العزيزِ بنِ مرْوانَ ، ثم تولَّى بعدَه القضاءَ ابنُ أخيه أوسُ بنُ عبدِ اللَّهِ .

مُطَرِّفُ بنُ عبدِ اللَّهِ بنِ الشِّخِّيرِ[2] ، كان مِن كبارِ التّابعين ، وكان مِن أصحابِ عِمرانَ بنِ حُصينٍ ، وكان مجابَ الدعوةِ ، وكان يقولُ : ما أُوتِيَ أحدٌ أفضلَ مِن العقلِ ، وعقولُ الناسِ على قَدْرِ زمانِهم . وقال : إذا استَوتْ سَرِيرةُ العبدِ وعلانيتُه قال اللَّهُ : هذا عبدى حقًّا . وقال : إذا دخَلتُم على مريضٍ ، فإنِ استَطَعتُم أنْ يدعوَ لكم ، فإنَّه قد حُرِّكَ - أىْ قد أُوقِظ مِن غفْلتِه بسببِ مرضِه - فدُعاؤه مستجابٌ مِن أجلِ كَسْرِه ورِقَّةِ قلبِه . وقال : إنَّ أقبحَ ما طُلِبت به الدُّنيا عملُ الآخرةِ .

وقال لبعضِ إخوانِه : إذا كانت لك إلىَّ حاجةٌ ، فلا تكلِّمْنى فيها ؛ فإنِّى أكرَهُ أن أرَى ذُلَّ السؤالِ فى وجهِك ، ولكنِ اكتُبْها فى رُقْعةٍ وارفَعْها .

وكان يقولُ : إن هذا الموتَ قد أفسَد على أهلِ النَّعيمِ نعيمَهم ، فاطلُبوا نعيمًا لا موتَ فيه .

وقال[3] : لو علِمتُ متى أجَلِى ؛ لخشِيتُ على ذَهابِ عقلِى ، ولكنَّ اللَّهَ مَنَّ على عبادِه بالغفلةِ عن الموتِ ، ولولا الغفلةُ لَما تَهنَّوا بعيشٍ ، ولا قامَت بينَهمُ الأسواقُ .

وكان مطرِّفٌ إذا دخَل بيتَه ، سبَّحتْ معه آنيةُ بيتِه .

وكان يسكُنُ الباديةَ ، ويجِيءُ منها إلى الجمُعَةِ مبكِّرًا ، فمرَّ مرَّةً بمقبرةٍ ، فنعَس

---

(١) من هنا إلى ما قبل خلافة الوليد بن عبد الملك زيادة من : ٣١، م ، ص . ويونس بن عطية ترجمته فى : أخبار القضاة ٣/ ٢٢٥، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٨١ - ١٠٠هـ) ص ٢٢٣، وحسن المحاضرة ٢/ ١٣٨.

(٢) طبقات ابن سعد ٧/ ١٤١، وحلية الأولياء ٢/ ٢٠٥، وتهذيب الكمال ٢٨/ ٦٧، وسير أعلام النبلاء ٤/ ١٨٧، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٨١ - ١٠٠هـ) ص ٤٧٩. وتذكرة الحفاظ ١/ ٦٤، والإصابة ٦/ ٢٦٠.

(٣) صفة الصفوة ٣/ ٢٢٤.

فنام عندَ القبورِ ، فرأى فى منامِه أهلَ القبورِ على أفواهِ قبورِهم ، فقالوا : هذا مطرِّفٌ يذهَبُ إلى الجمُعةِ . قال : فقلتُ لهم : وتعرِفون الجمُعَةَ مِن غيرِها ؟ قالوا : نعم ، ونعرِفُ ما يقولُ الطيرُ فيه فى جوِّ السماءِ .

قال : فقلتُ : وما تقولُ ؟ قالوا : تقولُ[1] : سلامٌ سلامٌ ليومٍ صالحٍ .

وكان يقولُ[2] : يا إخوتاه ، اجتهِدوا فى الأعمالِ الصالحةِ ؛ فإن يكُنِ الأمرُ كما نرجو مِن رحمةِ اللَّهِ ، كان لنا درجاتٌ فى الجنةِ ، وإنْ يكنُ الأمرُ شديدًا كما نخافُ لم نقُلْ : ربَّنا ارجِعْنا نعمَلْ صالحًا غيرَ الذى كنَّا نعمَلُ ، نقولُ : قد عَمِلنا فلم ينفَعْنا .

وكان يدعو[3] : اللهمَّ ارضَ عنَّا ؛ فإن لم ترضَ عنَّا ، فاعفُ عنَّا ؛ فإن المولَى قد يعفو عن العبدِ ، وهو عنه غيرُ راضٍ .

وكان مطرِّفٌ قد حفَر فى دارِه قبرًا ، كان كلَّ يومٍ ينزِلُ إليه ، فيصلِّى فيه ، ويقرَأُ القرآنَ .

توفِّى مطرِّفٌ بالبصرةِ ، وكان له منزلةٌ عندَ الخلفاءِ والملوكِ والأمراءِ ، وكان هو مِن أَرْشَدِ الناسِ فيهم ، وكان مجابَ الدعوةِ ؛ كذَب عليه رجلٌ عندَ بعضِ الأمراءِ ، فقال مطرِّفٌ : يا هذا ، إنْ كنتَ كاذبًا عجَّل اللَّهُ حتفَك . فوقَع الرجلُ ميِّتًا مكانَه . واللَّهُ سبحانه أعلمُ .

---

(١) فى ص : « ينزل » .
(٢) صفة الصفوة ٣/ ٢٢٣.
(٣) حلية الأولياء ٢/ ٢٠٧. وصفة الصفوة ٣/ ٢٢٥.

خلافةُ الوليدِ بنِ عبدِ المَلِكِ
بَانِى جامعِ دمشقَ

لمّا رجَع مِن دَفْنِ أبيه خارجَ بابِ الجابيةِ الصغيرِ - وكان ذلك فى يومِ الخميسِ، وقيل[1]: الجمعةِ. للنصفِ مِن شَوّالٍ مِن هذه السنةِ - أعنى سنةَ ستٍّ وثمانين - لم يدخُلِ المنزلَ حتى صعِد المنبرَ - منبرَ المسجدِ الأعظمِ بدمشقَ - فخطَب الناسَ فكان مِمَّا قال[2]: إنّا للَّهِ وإنّا إليه راجعونَ، واللَّهُ المستعانُ على مُصيبتِنا بموتِ أميرِ المؤمنينَ، والحمدُ للَّهِ على ما أنعَم به علينا مِن الخلافةِ، قومُوا فبايِعوا. فكان أوّلَ مَن قام إليه عبدُ اللَّهِ بنُ هَمّامٍ السَّلوليُّ، وهو يقولُ:

اللَّهُ أعطاكَ التى لا فَوْقَها ... وقدْ أرادَ المُلْحِدونَ عَوْقَها
عنكَ ويأبى اللَّهُ إلّا سَوْقَها ... إليكَ حتى قلَّدُوكَ طَوْقَها

ثم بايَعه وبايَعه الناسُ بعدَه.

وذكَر الواقدِيُّ[2]، أنّه حمِد اللَّهَ وأثنَى عليه بما هو أهلُه، ثم قال: أيُّها الناسُ، إنَّه لا مُقَدِّمَ لما أخَّر اللَّهُ، ولا مُؤَخِّرَ لِمَا قدَّم اللَّهُ، وقد كان مِن قضاءِ اللَّهِ وسابقتِه، وما كتَبه على أنبيائِه وحَمَلةِ عرشِه وملائكته الموتُ، وقد صار إلى منازلِ الأبرارِ [3]بما لاقَى فى هذه الأُمَّةِ - يعنى[3] بالذى يحِقُّ للَّهِ عليه - مِن الشِّدَّةِ

---

(١) تاريخ دمشق (ط. مجمع اللغة العربية) ٤٣/ ٢٨٩.

(٢) تاريخ الطبرى ٦/ ٤٢٣، والكامل ٤/ ٥٢٢.

(٣ - ٣) فى الأصل: «وفى هذه الآية نعى نفسه». وفى ٣١: «بما لا فى هذه الأمة يعنى». وفى ٢١: «بما فى هذه الأمة يعنى».

على المُريبِ ، واللِّينِ لأهلِ الحقِّ والفضلِ ، وإقامةِ ما أقام اللَّهُ مِن منارِ الإسلامِ ، وإعلائِه ؛ مِن حَجِّ هذا البيتِ ، وغَزْوِ هذه الثُّغورِ ، وشَنِّ هذه الغاراتِ على أعداءِ اللَّهِ عزّ وجلَّ ، فلم يكُنْ عاجزًا ولا مُفرِّطًا ، أيها الناسُ ، عليكم بالطَّاعةِ ولُزومِ الجماعةِ ؛ فإنَّ الشيطانَ مع الفردِ ، أيها الناسُ ، مَن أبدَى لنا ذاتَ نفسِه ضرَبْنا الذى فيه عَيْناه ، ومَن سكَت [١١١/٧و] مات بدائِه . ثم نزَل فنظَر إلى ما كان مِن دوابِّ الخلافةِ فحازها ، وكان جبَّارًا عنيدًا .

وقد ورَد فى تَوْليةِ[(١)] الوليدِ حديثٌ غريبٌ ، وإنَّما هو الوليدُ بنُ يزيدَ بنِ عبدِ الملكِ ، كما سيأتى بيانُه ، وكما تقدَّم تقريرُه فى كتابِ دلائلِ النبوةِ ، فى بابِ الإخبارِ عن الغيوبِ المستقبَلةِ ، فيما يتعلَّقُ بدولةِ بنى أميةَ[(٢)] .

وأمَّا الوليدُ بنُ عبدِ الملكِ هذا فقد كان صَيِّنًا فى نفسِه حازِمًا فى رأيِه ، يُقالُ : إنَّه لا تُعرَفُ له صَبوةٌ . ومِن جُمْلةِ محاسنِه ما صَحّ عنه أنَّه قال[(٣)] : لولا أنَّ اللَّهَ قصَّ علينا قصَّةَ قومِ لوطٍ فى كتابِهِ ما ظَنَنْتُ أنَّ ذكَرًا [(٤)] يأتى ذكرًا كما تُؤْتَى النِّساءُ[(٤)] . كما سيأْتى ذلك فى ترجَمتِه عندَ ذِكْرِ وفاتِه [(٥)] فى سنةِ ستٍّ وتسعينَ ، إن شاءَ اللَّهُ تعالى[(٥)] ، وهو بانى جامعِ دِمشقَ الذى لا يُعرَفُ فى الآفاقِ أحسنُ بناءً منه ، وقد شرَع فى بنائِه فى ذى القَعدةِ مِن هذه السنةِ ، فلم يزَلْ فى بنائِه وتحسينِه مدَّةَ خلافتِه ، وهى عشْرُ سنينَ ، فلَمَّا أنهاهُ انتهَتْ أيامُ خلافتِه ، كما سيأتى بيانُ

---

(١) فى ٣١، ٢١، م، ص: «ولاية».

(٢) تقدم فى ٩/ ٢٦٦.

(٣) تاريخ دمشق ١٧/ ٨٤٦، ومختصر تاريخ دمشق ٢٦/ ٣٢٣، وسير أعلام النبلاء ٤/ ٣٤٧.

(٤ - ٤) فى الأصل: «يبلو ذكرًا». وفى م: «كان يأتى ذكرًا كما تؤتى النساء».

(٥ - ٥) سقط من: ٣١، ٢١، م، ص.

ذلك مُفصَّلًا . وقد كان موضعَ هذا المسجد كنيسةٌ يُقالُ لها : كنيسةُ يُوحنّا . فلمَّا فتَحَتِ الصحابةُ دمشقَ جعَلوها مناصَفةً ، فأخَذُوا منها الجانبَ الشَّرقِيَّ فحوَّلوه مسجدًا ، وبقِى الجانبُ الغربِيُّ كنيسةً بحاله مِن لَدُنْ سنةِ أربعَ عشْرةَ إلى هذه السنةِ ، فعزَم الوليدُ على أخْذِ بقيةِ هذه الكنيسةِ منهم وعوَّضهم عنها كنيسةَ مريمَ لدخولِها فى جانبِ السيفِ ، وقِيل[1] : عوَّضهم عنها كنيسةَ تُومَا[2] ، وهدَم بقيةَ هذه الكنيسةِ وأضافها إلى مسجدِ الصّحابةِ ، وجعَل الجميعَ مسجدًا واحدًا ، على هيئةٍ بديعةٍ لا يَعرِفُ كثيرٌ مِن الناسِ أو أكثرُهم لها نظيرًا فى البُنيانِ والدياراتِ[3] والآثارِ والعماراتِ . واللَّهُ سبحانَه وتعالى أعلمُ .

---

(١) تاريخ دمشق ٢/ ٢٥٣.

(٢) معجم البلدان ١/ ٨٩٥.

(٣) فى الأصل : « الزيارات » . وفى م : « الزينات » .

ثم دخَلتْ سنةُ سبعٍ وثمانيـنَ

ففيها عزَل الوليدُ بنُ عبدِ الملكِ هشامَ بنَ إسماعيلَ عن إِمْرةِ المدينةِ ، وولَّى عليها ابنَ عمِّه وزَوْجَ أختِه - فاطمةَ بنتِ عبدِ الملكِ - عمرَ بنَ عبدِ العزيزِ ، فدخَلها فى ثلاثيـنَ بعيرًا ، فى ربيعِ الأوّلِ منها ، فنزَل دارَ مَرْوانَ ، وجاء الناسُ للسَّلامِ عليه - وعمرُه إذ ذاك خمسٌ وعشرونَ سنةً - فلمَّا صلَّى الظهرَ دعا عشرةً مِن فقهاءِ المدينةِ ، وهم ؛ عروةُ بنُ الزبيرِ ، (1وعبيدُ اللَّهِ1) بنُ عبدِ اللَّهِ بنِ عُتبةَ ، وأبو بكرِ بنُ عبدِ الرحمنِ بنِ الحارثِ بنِ هشامٍ ، وأبو بكرِ بنُ سليمانَ بنِ أبى[2] خيثمةَ ، وسليمانُ بنُ يَسارٍ ، والقاسمُ بنُ محمدٍ ، وسالمُ بنُ عبدِ اللَّهِ بنِ عمرَ ، وأخوه (3عبيدُ اللَّهِ3) بنُ عبدِ اللَّهِ بنِ عمرَ ، وعبدُ اللَّهِ بنُ عامرِ بنِ ربيعةَ ، وخارجةُ ابنُ زيدِ بنِ ثابتٍ ، فدخَلوا عليه فجلَسوا ، [111/7ظ] فحمِد اللَّهَ وأثنَى عليه بما هو أهلُه ، ثم قال[4] : إنى إنَّما دعوتُكم لأمرٍ تُؤجَرونَ عليه ، وتكونونَ فيه أعوانًا على الحقِّ ، إنِّى لا أريدُ أنْ أقطعَ أمرًا إلّا برأيِكم أو برأيِ مَن حضَر منكم ، فإنْ رأيتُم أحدًا يتعدَّى ، أو بلَغكم عن عاملٍ لى ظُلامةٌ ، فأُحرِّجُ اللَّهَ[5] على مَن بلَغه

(1 - 1) فى الأصل، ص: «عبد الله». وانظر تهذيب الكمال 19/ 73. وانظر السياق فى تاريخ الطبرى 6/ 427.

(2) سقط من: م. وانظر تهذيب الكمال 33/ 93. وانظر أيضا تاريخ الطبرى، الموضع السابق.

(3 - 3) فى الأصل، 31، 21، ص: «عبد الله». وانظر تهذيب الكمال 19/ 77، 15/ 180.

(4) تاريخ الطبرى 6/ 427، والكامل 4/ 526.

(5) سقط من: 31، 21، م، ص. وهذا من باب القسم، جاء فى «أساس البلاغة» (ح ر ج): وحلف فلان بالمحرجات؛ يعنى بالأيمان التى تضيق مجال الحالف. ويمكن أن يكون من التضييق، جاء فى «النهاية» 3/ 332: أحرج عليك ...، فإنى أحرِّج دارى ومنزلى. ويقال: حرج عليه كذا. يعنى حرمه. انظر أيضا النهاية 1/ 361.

ذلك إلَّا أبلَغَنى . فخرجُوا مِن عندِه يَجزُونَه خيرًا ، وافترَقُوا على ذلك .

وكتَب الوليدُ إلى عمرَ بنِ عبدِ العزيزِ[(1)] بأنْ يُوقِفَ هشامَ بنَ إسماعيلَ للناسِ عندَ دارِ مروانَ ، وكان سيِّئَ الرَّأْيِ فيه ، لأنَّه أساءَ إلى الناسِ بالمدينةِ فى مدَّةِ وِلايتِه عليهم ، وكانت نحوًا مِن أربعِ سنينَ ، ولاسيَّما إلى سعيدِ بنِ المسيَّبِ وإلى علىِّ بنِ الحسينِ[(2)] وأهلِ بيتِه ، فلمّا أُوقِفَ للنّاسِ قال هشامٌ : ما أخافُ إلّا مِن سعيدٍ وعلىِّ ابنِ الحسينِ[(2)] . فقال سعيدُ بنُ المسيَّبِ لابنِه ومَوالِيه : لا يَعرِضْ منكم أحدٌ لهذا الرجلِ ، فإنِّى تركتُ ذلك للَّهِ وللرَّحمِ ، وأمّا كلامُه فلا أكلِّمُه أبدًا . وأمَّا علىُّ بنُ الحسينِ فإنَّه مرَّ به وهو موقوفٌ[(3)] عندَ دارِ مَروانَ[(3)] فلم يتَعرَّضْ له ، وكان قد تقدَّم إلى خاصَّتِه أنْ لا يَعرِضَ له أحدٌ منهم ، فلمّا اجتاز به علىُّ بنُ الحسينِ ، وتجاوَزَه ، ناداه هشامُ بنُ إسماعيلَ ، فقال : « اللَّهُ أعلَمُ حيثُ يجعلُ رِسالاتِه »[(4)] .

وفى هذه السّنةِ غزا مَسلمةُ بنُ عبدِ الملكِ بلادَ الرّومِ فقتَل منهم خلقًا كثيرًا ، وفتَح حُصُونًا كثيرةً ، وغَنِم غنائمَ جمَّةً ، ويقالُ[(5)] : إنَّ الذى غزا بلادَ الرومِ فى هذه السنةِ هشامُ بنُ عبدِ الملكِ ، ففتَح حصنَ بولَقَ ، وحصنَ الأخرمِ ، وبحيرةَ الفرسانِ[(6)] ، وحصنَ بولُسَ ، وقُمَيقمَ[(7)] ، وقتَل مِن المستعرِبةِ نحوًا مِن ألفٍ وسبَى ذَرارِيَّهم . وفيها غزا قتيبةُ بنُ مسلمٍ بلادَ التركِ[(8)] ، وصالحَه مَلِكُهم نِيزَكُ[(9)] على

(1) تاريخ الطبرى ٦/ ٤٢٨.

(٢ - ٢) سقط من : م .

(٣ - ٣) سقط من : ٣١، ٢١، م ، ص .

(4) سورة الأنعام : ٦٥، وقد قرأها ابن كثير وحفص بالتوحيد ﴿ رسالته ﴾ . وقرأ الباقون بالجمع هكذا . انظر الكشف عن وجوه القراءات السبع للقيسى ١/ ٤٤٩، وحجة القراءات ص ٢٧٠.

(5) تاريخ الطبرى ٦/ ٤٢٩، والكامل ٤/ ٥٢٨.

(6) فى م : « الفرمان » .

(7) فى الطبرى والكامل : « قمقم » . وانظر معجم ما استعجم ٣/ ١٠٩٥.

(8) تاريخ الطبرى ٦/ ٤٢٨.

(9) فى الأصل : « ينزك خان » ، وفى ٣١: « ونزل » . وفى ٢١، ص : « ينزك » . وانظر مصدر التخريج .

مالٍ جزيلٍ ، وعلى أنْ يُطْلِقَ كلَّ مَن ببلادِه مِن أُسارَى المسلمينَ . وفيها غزا قتيبةُ بِيكَنْدَ ، فاجتمَع له مِن الأتراكِ عندَها بشَرٌ كثيرٌ وجَمٌّ غفيرٌ ، وهى مِن أعمالِ بُخارَا ، فلمَّا نزَل بأرضِهم استنجَدوا عليه بأهلِ الصُّغْدِ ومَن حولَهم مِن الأتراكِ ، فأتَوْهم فى جَمْعٍ عظيمٍ فأخَذوا على قتيبةَ الطرقَ والمضايقَ ، فتواقفَ هو وهُم قريبًا مِن شهرينِ ، وهو لا يقدرُ على أنْ يبعَثَ إليهم رسولًا ، ولا يأتيه مِن جهتِهم رسولٌ ، وأبطَأَ خبرُه على الحجاجِ حتى خاف عليه ، وأشفَق على مَن معه مِن المسلمين مِن كثرةِ الأعداءِ مِن التركِ ، فأمَر الناسَ بالدعاءِ لهم فى المساجدِ ، وكتَب بذلك إلى الأمصارِ .

وقد كان قتيبةُ ومَن معه مِن المسلمين يقتَتلونَ مع التركِ فى كلِّ يومٍ ، وكان لقُتيبةَ عينٌ مِن العَجَمِ يقالُ له : تندرُ[1] ، فأعطاه أهلُ بُخارَى مالًا جزيلًا [٧/ ١١٢و] على أن يأتِيَ قُتيبةَ فيُخذِّلَه عنهم ، فجاء إليه فقال له : أخلِنى . فأخلاه ، فلم يَبْقَ عندَه سوى رجلٍ يقالُ له : ضِرارُ بنُ حُصينٍ . فقال له تندرُ : هذا عاملٌ يقدَمُ عليك سريعًا بعزلِ الحجاجِ ، فلوِ انصرفْتَ بالناسِ إلى مروَ . فقال قتيبةُ لمولَاه سِياهٍ : اضرِبْ عُنُقَه . فقتَله ، ثم قال قتيبةُ لضِرارٍ : لم يَبْقَ أحدٌ سمِعَ هذا غيرِى وغيرُك ، وإنِّى أُعطِى اللَّهَ عَهْدًا إنْ ظهَر هذا الخبرُ حتى يَنْقضِيَ حَربُنا لأُلحقنَّك به ، فامْلِكْ عليك[2] لسانَك ؛ فإنَّ انتشارَ هذا يَفُتُّ فى أعضادِ الناسِ[3] . ثم نهَض قتيبةُ فحرَّض الناسَ على الحربِ ، ووقَف على أصحابِ الرَّاياتِ يُحرِّضُهم ، فاقتَتل الناسُ قتالًا شديدًا ، وأنزَل اللَّهُ على المسلمينَ الصَّبرَ فما انتصَف النَّهارُ

---

(١) فى تاريخ الطبرى ٦/ ٤٣٠: «تنذر». وفى الكامل ٤/ ٥٢٨: «تندر» ، وهو كما أثبتناه.

(٢) فى م : «علينا».

(٣) بعده فى ٣١، ٢١، م، ص: «ونصرة للأعداء»، وانظر تاريخ الطبرى ٦/ ٤٣٠.

حتى أنزَل اللَّهُ عليهم النَّصرَ، فهُزِمتِ التركُ هزيمةً عظيمةً، واتَّبعَهم المسلمونَ يقتُلُونَ فيهم ويأسِرُونَ ماشاءوا، واعتصَم مَن بَقِى منهم بالمدينةِ، فأمَر قتيبةُ الفَعَلةَ بهدْمِها، فسألوه الصُّلحَ على مالٍ عظيمٍ فصالَحهم، وجعَل عليها رجلًا مِن أهلِه وعندَه طائفةٌ مِن الجيشِ ثم سار راجعًا، فلمَّا كان منهم على خمسِ مراحلَ نقَضوا العهْدَ، وقتَلُوا الأميرَ، وجدَعوا أُنوفَ مَن كان معه، فرجَع إليهم، وحاصَرها شهرًا. وأمَر النَّقَّابيـنَ والفَعَلةَ فعلَّقُوا سُورَها على الخشبِ، وهو يريدُ أن يُضرِمَ النارَ فيها، فسقَط السُّورُ فقتَل مِن الفَعَلةِ أربعيـنَ نفسًا، فسألوه الصلحَ فأبَى، ولم يزَلْ حتى افتتحَها، فقتَل المقاتِلةَ وسَبَى الذُّرِّيَةَ وغَنِم الأموالَ.

وكان الذى ألَّب على المسلميـنَ رجلٌ أعورُ منهم، فأُسِر فقال: أنا أَفتدِى نفسِى بخمسةِ أثوابٍ صِينيَّةٍ قيمتُها ألفُ ألفٍ. فأشَار الأمراءُ على قتيبةَ بقَبولِ ذلك منه، فقال قتيبةُ[1]: لا واللَّهِ، لا أُروِّعُ بك مسلمًا مرَّةً ثانيةً. وأمَر به فضُرِبتْ عنُقُه[2] وقد غنِم المسلمونَ مِن بِيكَنْدَ شيئًا كثيرًا مِن آنيةِ الذَّهبِ والفضَّةِ والأصنامِ مِن الذّهبِ، وكان فيها[3] صَنَمٌ سُبِكَ فخرَج منه مائةُ ألفٍ وخمسونَ ألفَ دينارٍ مِن الذَّهبِ، ووجَدُوا فى خزائنِ المُلْكِ أموالًا كثيرةً وسلاحًا كثيرًا وعُددًا متنوِّعةً وجواهرَ نفيسةً، وأخَذوا مِن السَّبيِ شيئًا كثيرًا، فكتَب قتيبةُ إلى الحجّاجِ فى[4] أن يُعطِيَ ذلك للجندِ، فأذِن له فتموَّلَ المسلمونَ (٥ مالًا كثيرًا جدًّا ٥)، وصارتْ لهم

---

(١) تاريخ الطبرى ٦/ ٤٣١، والكامل ٤/ ٥٢٩.

(٢) بعده فى ٣١، ٢١، م، ص: «وهذا من الزهد فى الدنيا، ثم إن الغنائم سيدخل فيها ما أراد أن يفتدى به نفسه فإن».

(٣) فى ٣١، ٢١، م، ص: «من جملتها».

(٤) فى م: «يسأله».

(٥ - ٥) فى ٣١، ٢١، م، ص: «وتقووا على قتال الأعداء، وصار لكل واحد منهم مال مستكثر جدًّا».

أسلحةٌ وعُدَدٌ وخيولٌ ، (١) وتقوَّوا على الأعداءِ (١) قوةً عظيمةً . وللَّهِ الحمدُ والمِنَّةُ .

وقد حجَّ بالناسِ فى هذه السنةِ عمرُ بنُ عبدِ العزيزِ نائبُ المدينةِ ، وقاضِيه بها أبو بكرِ بنُ محمدِ بنِ عمرِو [٧/١١٢ظ] بنِ حزمٍ ، وعلى العراقِ والمشرقِ بكمالِه الحجّاجُ بنُ يوسفَ الثَّقَفِىُّ ، ونائبُه على البصرةِ الجرّاحُ بنُ عبدِ اللَّهِ الحكَمِىُّ[٢] وقاضِيه بها عبدُ اللَّهِ بنُ أُذَيْنةَ ، وعاملُه على الحربِ بالكوفةِ زيادُ بنُ جريرِ بنِ عبدِ اللَّهِ البَجَلِىُّ ، وقاضِيه بها أبو بكرِ بنُ أبى موسى الأشعرىُّ ، ونائبُه على خراسانَ وأعمالِها قتيبةُ بنُ مسلمٍ .

وفى هذه السنةِ تُوفِّى مِن الأعيانِ :

عتبةُ بنُ عبدِ السُّلَمِىُّ[٣] ، صحابىٌّ جليلٌ ، نزَل حِمْصَ ، يُروَى أنَّه شهِد بنى قريظةَ[٤] . وعن العِرْباضِ أنَّه كان يقولُ[٥] : هو خيرٌ منِّى ، أسلَم قَبْلِى بسنةٍ . قال الواقدىُّ وغيرُه[٦] : تُوفِّى فى هذه السنةِ . وقال غيرُه[٧] : بعدَ التِّسعينَ . واللَّهُ أعلمُ . (٨) قال أبو سعيدِ بنُ الأعرابىِّ[٩] : كان عتبةُ بنُ عبدِ السُّلَمىُّ مِن أهلِ الصُّفَّةِ . وروَى بقيةُ ، عن بُجيرِ بنِ سعدٍ ، عن خالدِ بنِ مَعْدَانَ ، عن عتبةَ بنِ عبدٍ السُّلَمىِّ أنَّ النبىَّ ﷺ قال[١٠] : « لو أنَّ رجلًا يُجَرُّ على وجهِه مِن يومِ وُلِد إلى (٨)

(١ - ١) فى ٣١، ٢١، م، ص: « كثيرة فقووا بذلك » .
(٢) فى الأصل: « الحلمى » ، وفى ص: « الحليمى » ، وانظر تاريخ الطبرى ٦/ ٤٣٣.
(٣) الاستيعاب ٣/ ١٠٣١، وأسد الغابة ٣/ ٥٦٣، والإصابة ٤/ ٤٣٦.
(٤) انظر تاريخ دمشق ١١/٥٨ (مخطوط) ، وتهذيب الكمال ١٩/ ٣١٥.
(٥) المسند ٤/ ١٨٦. قال الهيثمى فى المجمع ٩/ ٣٧٨: رواه أحمد ورجاله ثقات .
(٦) طبقات ابن سعد ٧/ ٤١٣، وتاريخ دمشق ١١/ ٥٥، ٥٦، ٥٨، ٥٩ (مخطوط) .
(٧) تهذيب الكمال ٧/ ٤١٣، ١٦/ ٣١٦.
(٨ - ٨) زيادة من: ٣١، م، ص. ولعلها من زيادات النساخ .
(٩) حلية الأولياء ٢/ ١٥.
(١٠) المسند ٤/ ١٨٥، وتاريخ البخارى الكبير ١/ ١٥، والمعجم الكبير ١٧/ ١٢٢، ١٢٣ (٣٠٣) ،=

(١ يومِ يموتُ هَرِمًا فى مَرْضاةِ اللَّهِ لحَقَره يومَ القيامةِ » . وقال إسماعيلُ بنُ عيَّاشٍ ، عن عَقيلِ بنِ مُدْرِكٍ ، عن لقمانَ بنِ عامرٍ ، عن عتبةَ بنِ عبدِ السُّلَمِىِّ ، قال[٢] : اشتكيتُ إلى رسولِ اللَّهِ ﷺ العُرْىَ ، فكسَانى خَيْشَتيْنِ ، فلقد رأيتُنى ألْبَسُهما وأنا أكسَى أصحابى ١) .

المقدامُ بنُ مَعْدِ يكرِبَ[٣] ، صحابىٌّ جليلٌ ، نزَل حِمْصَ أيضًا ، له أحاديثُ ، وروَى عنه غيرُ واحدٍ مِن التابعينَ . قال محمدُ بنُ سعدٍ والفلَّاسُ وأبو عبيدٍ[٤] : تُوفِّى فى هذه السنةِ . وقال غيرُهم[٥] : تُوفِّى بعدَ التسعينَ . فاللَّهُ أعلمُ .

أبو أُمامةَ الباهلىُّ[٦] ، واسمُه صُدَىُّ بنُ عَجْلانَ ، (٧ صحابىٌّ جليلٌ ٧) ، نزَل حِمصَ ، وهو راوى حديثَ تلقينِ الميِّتِ بعدَ الدَّفنِ . رواه الطبرانىُّ فى الدعاءِ[٨] ، وقد تقدَّم له ذكرٌ فى الوَفَياتِ[٩] .

قَبِيصةُ بنُ ذؤَيبٍ أبو سفيانَ الخُزاعىُّ المدنىُّ[١٠] ، ولِد عامَ الفتحِ ، وأُتِى به

= وجود إسناده الألبانى فى السلسلة الصحيحة (٤٤٧) .

(١ - ١) زيادة من : ٣١، م، ص، ولعلها من زيادات النساخ .

(٢) سنن أبى داود (٤٠٣٢)، والمسند ٤/ ١٨٥، والمعجم الكبير ١٢٤/١٧ (٣٠٧)، وقال الألبانى : صحيح . (صحيح سنن أبى داود ٣٤٠٣) .

(٣) الاستيعاب ٤/ ١٤٨٢، وأسد الغابة ٥/ ٢٥٤، والإصابة ٦/ ٢٠٤.

(٤) فى م : « عبيدة » ، وانظر طبقات ابن سعد ٧/ ٤١٥، وتهذيب الكمال ٢٨/ ٤٥٩، ٤٦٠، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات سنة ٨١ - ١٠٠هـ) ص ٢٠٤.

(٥) تاريخ دمشق ١٥٨/١٧، ١٥٩ (مخطوط) ، ودول الإسلام ١/ ٦٦.

(٦) الاستيعاب ٢/ ٧٣٦، وأسد الغابة ٣/ ١٦، والإصابة ٣/ ٤٢٠.

(٧ - ٧) سقط من : ٣١، ٢١، م، ص .

(٨) الدعاء ١٣٦٧/٣ (١٢١٤) . قال الهيثمى فى المجمع ٣/ ٤٥: فى إسناده جماعة لم أعرفهم . وضعفه ابن القيم فى زاد المعاد ١/ ٥٢٣.

(٩) تقدم فى ٣٨٨ .

(١٠) الاستيعاب ٣/ ١٢٧٢، وأسد الغابة ٤/ ٣٨٢، والإصابة ٥/ ٥١٧، ٣٢٧/٧ وفيه أبو قبيصة ذؤيب الخزاعى .

النبىَّ ﷺ ليدعوَ له . روَى عن جماعةٍ كثيرةٍ مِن الصّحابةِ ، وأُصِيبتْ عينُه يومَ الحَرَّةِ ، وكان مِن فقهاءِ المدينةِ ، وكانتْ له مَنزِلَةٌ عندَ عبدِ الملكِ ، ويدخلُ عليه بغيرِ إذنٍ ، وكان يقرأُ الكتُبَ إذا وردَت مِن البلادِ ، ثم يدخُلُ على عبدِ الملكِ فيخبِرُه بما ورَد مِن البلادِ فيها ، وكان صاحبَ سِرِّهِ ، وكان له دارٌ بدمشقَ ببابِ البريدِ ، وتُوفِّى بدمشقَ .

عروةُ بنُ المغيرةِ بنِ شعبةَ[١] ، ولِىَ إمْرَةَ الكوفةِ للحجّاجِ ، وكان شريفًا لبيبًا مُطاعًا فى الناسِ ، وكان أحولَ . تُوفى بالكوفةِ .

يحيى بنُ يَعْمَرَ[٢] ، كان قاضىَ مَرْوَ ، وهو أوّلُ مَن نقَط المصاحفَ ، وكان مِن فضلاءِ الناسِ وعلمائِهم ، وله أحوالٌ ومعاملاتٌ ، وله رواياتٌ ، وكان أحدَ الفصحاءِ ، أخَذ العربيةَ عن أبى الأسودِ الدُّؤَلِىِّ .

شُرَيحُ بنُ الحارثِ بنِ قيسٍ القاضى[٣] ، أدرَك الجاهليةَ ، واستقْضاه عمرُ على الكوفةِ فمكَث بها قاضيًا خمسًا وستينَ سنةً ، وكان عالمًا عادلًا كثيرَ الخيرِ ، حسَنَ الأخلاقِ فيه دُعابةٌ كثيرةٌ ، وكان كَوْسجًا ؛ لا شعرَ بوجهِهِ - وكذلك كان عبدُ اللَّهِ بنُ الزبيرِ ، والأحنفُ بنُ قيسٍ ، وقيسُ بنُ سعدِ بنِ عبادةَ .

[٤]وقد ترجَمْناه فى « التكميلِ » بما فيه كفايةٌ[٤] ، وقد اختُلِفَ فى نسبِهِ وسنِّه

---

(١) طبقات ابن سعد ٢٦٩/٦ ، والجمع بين رجال الصحيحين ٣٩٤/١ ، وتهذيب الكمال ٣٧/٢٠ ، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٨١ - ١٠٠ هـ) ص ١٥١ ، ٤٢٩ ، والكاشف ٢٣٠/٢ .

(٢) طبقات ابن سعد ٧/ ٣٦٨، والوزراء والكتاب ٤١، ٤٢، مراتب النحويين ٥٠، وأخبار النحويين البصريين ٢٢ - ٢٣، وإنباه الرواة ٤/ ١٨، ووفيات الأعيان ٦/ ١٧٣، وتهذيب الكمال ٣٢/ ٥٣، وسير أعلام النبلاء ٤/ ٤٤١، وغاية النهاية ٢/ ٣٨١.

(٣) تقدم فى ص ٢٨١ .

(٤ - ٤) سقط من : ٣١ ، ٢١ ، م ، ص .

وعامِ وفاتِه ، على أقوالٍ ، ورجّح ابنُ خَلِّكانَ وفاتَه فى هذه السنةِ[1] . واللَّهُ أعلمُ[2] .

(١) وفيات الأعيان ٢/٤٦٣.

(٢) بعده فى م ، ص : « قلت قد تقدمت ترجمة شريح القاضى فى سنة ثمان وسبعين بما فيها من الزيادة الكثيرة غير ما ذكره المؤلف هنا وهناك » . وانظر صفحة ٢٨٢.

ثم دخلت سنة ثمانٍ وثمانين

فيها غزا الصّائفةَ مسلمةُ بنُ عبدِ الملكِ وابنُ أخيه العباسُ بنُ الوليدِ بنِ عبدِ الملكِ ، فافتتحا بمَن معهما مِن المسلمينَ حِصْنَ طُوانةَ فى جُمادَى مِن هذه السنةِ ، وكان حِصنًا منيعًا ، اقتتَل الناسُ عندَه قتالًا عظيمًا ، ثم حمَل المسلمون على النَّصارَى فهزَموهم حتى أدخَلُوهم الكنيسةَ ، ثم خرَجتِ النَّصارى ، فحمَلوا على المسلمينَ ، فانهزَم المسلمونَ ولم يَبْقَ أحدٌ منهم فى موقفِه إلَّا العباسَ بنَ الوليدِ ، ومعه ابنُ مُحَيْرِيزٍ الجُمَحِىُّ ، فقال العباسُ لابنِ مُحَيْرِيزٍ[1] : أينَ قرَّاءُ القرآنِ الذين يُريدونَ وجهَ اللَّهِ عزّ وجلّ ؟ فقال : نادِهم يأتوكَ . فنادَى : يا أهلَ القرآنِ . [٧/ ١١٣و] فتراجَع الناسُ ، فحمَلُوا على النَّصارى فكسَرُوهم ولجئوا إلى الحصنِ فحاصَرُوهم حتى فتَحُوه .

وذكر ابنُ جريرٍ[2] أن فى شهرِ ربيعٍ الأولِ مِن هذه السنةِ قدِم كتابُ الوليدِ على عمرَ بنِ عبدِ العزيزِ بالمدينةِ[3] ، يأمُرُه بهدمِ المسجدِ النبوىِّ ، وإضافةِ حُجَرِ أزواجِ رسولِ اللَّهِ ﷺ فيه ، وأن يوسِّعَه مِن قبلتِه وسائرِ نواحيه ، حتى يكونَ مِائتى ذراعٍ فى مِائتى ذراعٍ ، فمَن باعك مِلكَه فاشترِ منه ، وإلّا فقوِّمْه له قيمةَ عِدْلٍ[4] ، ثم اهدِمْ وادفَعْ إليهم أثمانَ بيوتِهم ، فإنّ لك فى ذلك سلفَ صِدْقٍ ؛ عمرَ وعثمانَ . فجمَع عمرُ بنُ عبدِ العزيزِ وُجوهَ الناسِ والفقهاءَ العشَرةَ أهلَ المدينةِ ،

---

(١) تاريخ الطبرى ٦/ ٤٣٤، والكامل ٤/ ٥٣١.

(٢) تاريخ الطبرى ٦/ ٤٣٥، ٤٣٦، بنحوه.

(٣) سقط من : ٣١، ٢١، م، ص.

(٤) العدل بكسر العين مثل الشىء من غير جنسه.

وقرَأ عليهم كتابَ الوليدِ، فشَقَّ عليهم ذلك، وقالوا[1]: هذه حُجَرٌ قصيرةُ السُّقوفِ، وسُقوفُها من جَريدِ النَّخلِ، وحيطانُها مِن اللَّبِنِ، وعلى أبوابِها المُسُوحُ، وترْكُها على حالِها أولى؛ لينظُرَ إليها الحُجَّاجُ والزُّوَّارُ والمسافرونَ، وإلى بيوتِ النبيِّ ﷺ فينتفِعُوا بذلك ويعتبروا به، ويكونَ ذلك أدْعَى لهم إلى الزُّهدِ فى الدُّنيا، فلا يُعمِّرونَ فيها إلَّا بقدرِ الحاجةِ، وهو ما يَستُرُ ويُكِنُّ، ويعرِفونَ أنَّ هذا البنيانَ العالىَ إنَّما هو مِن أفعالِ الفراعنةِ والأكاسرةِ، وكلُّ طويلِ الأملِ راغبٍ فى الدنيا وفى الخلودِ فيها. فعندَ ذلك كتَب عمرُ[2] بنُ عبدِ العزيزِ إلى الوليدِ بما أجمَع عليه الفقهاءُ العشَرةُ المتقدِّمُ ذكْرُهم، فأرسَل إليه يأمرُه بالخرابِ وبناءِ المسجدِ على ما ذكَر، وأن يُعَلِّيَ سُقوفَه. فلم يَجِدْ عمرُ بُدًّا مِن هدمِها. ولمَّا شرَعوا فى الهدمِ، صاح الأشرافُ ووُجوهُ الناسِ مِن بنى هاشمٍ وغيرِهم، وتَباكَوا مثلَ يومِ مات النبيُّ ﷺ، فأجاب مَن له مِلْكٌ متاخمٌ للمسجدِ إلى بيعِه، فاشتَرَى منهم عمرُ، وشرَع فى بنائِه وشمَّر عن إزارِه، واجتهَد فى ذلك، وجاءته فُعولٌ كثيرةٌ [3]مِن قِبَلِ الوليدِ[3]، فأدخَل فيه الحُجرةَ النبويةَ - حجرةَ عائشةَ، فدخَل القبرُ فى المسجدِ، وكانت حَدُّه مِن الشَّرقِ - وسائرَ حُجَرِ أمهاتِ المؤمنينَ[4]، كما أمَر الوليدُ.

ورُوِّينا[5] أنهم لمَّا حفَروا الحائطَ الشرقيَّ مِن حجرةِ عائشةَ بدَتْ لهم قدمٌ فخشُوا أن تكونَ قدمَ النبيِّ ﷺ، حتى تحقَّقوا أنَّها قدمُ عمرَ بنِ الخطابِ

---

(١) تاريخ الإسلام (حوادث ووفيات سنة ٨١ - ١٠٠هـ) ص ٣١، ٣٢.

(٢) فى ص: «محمد».

(٣ - ٣) سقط من: ٣١، ٢١، م، ص.

(٤) بعده فى الأصل: «ووسعه».

(٥) ذكره الحافظ فى الفتح ٣/ ٢٥٥، من طريق هشام بن عروة عن أبيه.

رضِى اللَّهُ عنه . ويُحكَى[1] أنّ سعيدَ بنَ المسيَّبِ أنكرَ إدخالَ حجرةِ عائشةَ فى المسجدِ - كأنَّه خَشِى أن يُتَّخذَ القبرُ مسجدًا - واللَّهُ أعلمُ .

وذكَر ابنُ جريرٍ[2] أنَّ الوليدَ كتَب إلى ملكِ الرومِ يسألُه أن يبعَثَ له صُنّاعًا للبناءِ ، فبعَث إليه بمائةِ صانعٍ ، وفصوصٍ كثيرةٍ مِن أجلِ المسجدِ النبوىِّ - [3]نحوَ خمسينَ حِمْلًا ومائةِ ألفِ دينارٍ[3] - والمَشهورُ أنّ هذا إنما كان مِن أجلِ مسجدِ دمشقَ . فاللَّهُ أعلمُ .

وكتَب الوليدُ إلى عمرَ بنِ عبدِ العزيزِ أن يحفِرَ الفَوّارةَ بالمدينةِ ، وأن يُجرِىَ ماءَها ، ففعَل . وأمَره أن يحفِرَ الآبارَ ، وأن يُسهِّلَ الطرقَ والثَّنايا . وساق إلى الفوّارةِ الماءَ مِن ظاهرِ المدينةِ ، والفوّارةُ بُنِيتْ فى ظاهرِ المسجدِ عندَ بقعةٍ رآها فأعجبَتْه .

وفيها غزا قتيبةُ بنُ مسلمٍ ملكَ التركِ كُورمغانونَ[4] ابنَ أختِ ملكِ الصِّينِ ، ومعه مائتا ألفِ مقاتلٍ مِن أهلِ الصُّغْدِ وفَرْغانةَ وغيرِهم ، فاقتتَلوا قتالًا شديدًا - وكان مع قتيبةَ نيزكُ ملكُ التركِ مأسورًا - فكسَرهم قتيبةُ بنُ مُسلمٍ ، وغنِم مِن أموالِهم شيئًا كثيرًا ، وقتَل منهم خلقًا وسبَى وأسَر .

وفيها حجّ بالناسِ عمرُ بنُ عبدِ العزيزِ ، ومعه جماعاتٌ مِن أشرافِ قريشٍ ، فلمَّا كان بالتَّنْعيمِ لقِيَه طائفةٌ مِن أهلِ مكةَ فأخبَروه عن قِلةِ الماءِ بمكةَ لقِلّةِ المطرِ ،

---

(١) تاريخ الإسلام (حوادث ووفيات سنة ٨١ - ١٠٠هـ) ص ٣٢.

(٢) تاريخ الطبرى ٦/ ٤٣٦، بنحوه.

(٣ - ٣) زيادة من : الأصل .

(٤) فى الأصل، ٣١، ٢١، ص: « كوربغانوين »، وفى م: « كروبغانون ». والمثبت من تاريخ الطبرى ٦/ ٤٣٧.

فقال لأصحابِه[1] : أَلَا نستَمْطِرُ ؟ فدعا ودعا الناسُ ، فما زالوا يدعونَ حتى سُقُوا ودخَلُوا مكةَ ومعهم المطرُ ، وجاء سيلٌ عظيمٌ حتى خاف أهلُ مكةَ مِن شِدَّةِ المطرِ ، ومُطِرتْ عَرَفةُ ومُزدَلِفةُ ومِنىً ، وأخصَبتِ الأَرضُ هذه السنةَ خِصبًا عظيمًا بمكةَ وما حولَها ، وذلك [١١٣/٧ظ] ببركةِ دعاءِ عمرَ بنِ عبدِ العزيزِ ومَن كان معه مِن الصَّالحينَ .

وكان النُّوابُ على البُلدانِ فى هذه السنةِ هم الذين كانوا قبلَها .

وممَّن تُوفِّى فيها مِن الأَعيانِ :

عبدُ اللَّهِ بنُ بُسْرِ بنِ أبى بُسْرٍ المازنىُّ[2] ، صحابىٌّ كأبيه ، سكَن حِمْصَ ، وروَى عنه جماعةٌ مِن التابعينَ . قال الواقدىُّ[3] : تُوفِّىَ فى سنةِ ثمانٍ وثمانينَ ، عن أربعٍ وتسعينَ سنةً . زادَ غيرُه[4] : وهو آخرُ مَن تُوفِّى مِن الصحابةِ بالشّامِ . وقد جاء فى الحديثِ ، أنَّه يعيشُ قرنًا[5] ؛ فعاش مائةَ سنةٍ .

عبدُ اللَّهِ بنُ أبى أَوْفَى علقمةَ بنِ خالدِ بنِ الحارثِ الخزاعىُّ ثم الأسلمىُّ[6] ، صحابىٌّ جليلٌ ، وهو آخرُ مَن بَقِى مِن الصحابةِ بالكوفةِ . وكانت وفاتُه ، فيما قاله البخارىُّ سنةَ سبعٍ[7] أو ثمانٍ وثمانينَ[8] . وقال الواقدىُّ وغيرُ

---

(١) تاريخ الطبرى ٦/ ٤٣٨، والكامل ٤/ ٥٣٤ بنحوه.
(٢) الاستيعاب ٣/ ٨٧٤، وأسد الغابة ٣/ ١٨٦، والإصابة ٤/ ٢٣.
(٣) طبقات ابن سعد ٧/ ٤١٣، وتهذيب الكمال ١٤/ ٣٣٤، وسير أعلام النبلاء ٣/ ٤٣٠.
(٤) الاستيعاب ٣/ ٨٧٤، والإصابة ٤/ ٢٣، غير معزو لأحد.
(٥) أخرجه البخارى فى التاريخ الصغير ١/ ٢١٦، من طريق عبد اللَّه بن بسر.
(٦) الاستيعاب ٣/ ٨٧٠، وأسد الغابة ٣/ ١٨٢، والإصابة ٤/ ١٨.
(٧) فى ٣١، ٢١، م، ص: «تسع».
(٨) التاريخ الصغير ١/ ٢١١.

واحدٍ[1] : سنةَ ستٍّ وثمانينَ. وقد جاوز المائةَ، وقِيل: قارَبَها. رضِى اللَّهُ عنه.

[2]وفيها **تُوفِّى هشامُ بنُ إسماعيلَ بنِ هشامِ بنِ الوليدِ المخزومىُّ المدنىُّ**[3]، وكان حمَا عبدِ الملكِ بنِ مرْوانَ ونائبَه على المدينةِ، وهو الذى ضرَب سعيدَ بنَ المسيّبِ كما تقدَّم[4]، ثم قدِم دمشقَ فمات بها، وهو أوَّلُ مَن أحدَث دراسةَ القرآنِ بجامعِ دمشقَ، فمات بها فى السُّبْعِ[5].

[6]**حكيمُ بنُ عُميرٍ**[6] **العَنْسِىُّ الشامىُّ** - له روايةٌ، ولم يكُنْ أحدٌ فى الشامِ يستطيعُ أن يعِيبَ الحجاجَ علانيةً إلّا هو وابنُ مُحَيْرِيزٍ - [7]أبو الأحْوَصِ[7]. قُتِل فى غزوةِ طُوانةَ مِن بلادِ الرومِ فى هذه السنةِ[2].

---

(1) طبقات ابن سعد ٤/ ٣٠٢، وتهذيب الكمال ١٤/ ٣١٩.

(٢ - ٢) زيادة من: ٣١، ٢١، م، ص.

(٣) انظر ترجمته فى طبقات ابن سعد ٥/ ٢٤٤، والمحبر ص ٢٥، وأخبار القضاة ٢/ ٢٠، ٢١، والجرح والتعديل ٩/ ٥٢، وثقات ابن حبان ٥/ ٥٠١، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٨١ - ١٠٠هـ) ص ٢١٤.

(٤) تقدم فى ص ٣٧٠.

(٥) السبع، على لفظ واحد من السباع - وتفتح الباء - قرية لعمرو بن العاص من فلسطين بالشام بين بيت المقدس والكرك. قال ابن الأعرابى: هو الموضع الذى يكون فيه المحشر يوم القيامة. معجم ما استعجم ٣/٧١٧ - ٧١٩، معجم البلدان ٣/ ٣٤.

(٦ - ٦) فى م: «عمير بن حكيم». وبعده فى ٣١، ص: «بن زهير بن سالم أبو المخارق». وانظر ترجمته فى طبقات ابن سعد ٧/ ٤٥٢، والجرح والتعديل ٣/ ٢٠٦، ومشاهير علماء الأمصار ١١٤، وتهذيب الكمال ٧/ ١٩٩، والكاشف ١/ ١٨٥.

(٧ - ٧) فى النسخ: «أبو الأبيض»، والمثبت من مصادر الترجمة.

ثم دخلت سنة تسعٍ وثمانيـنَ

فيها غزا مَسْلَمةُ بنُ عبدِ الملكِ وابنُ أخيه العباسُ بنُ الوليدِ بلادَ الرومِ ، فقتَلا خلقًا كثيرًا ، وفتحَا حُصونًا كثيرةً ؛ منها حِصنُ سُورِيةَ[(١)] وعَمُّورِيَةَ[(٢)] وهِرَقْلَةَ[(٣)] وقَمودِيةَ[(٤)] ، وغَنِما شيئًا كثيرًا وأسرًا جمًّا غفيرًا .

وفيها غزا قتيبةُ بنُ مسلمٍ بلادَ الصُّغْدِ ، ونَسَفَ[(٥)] ، وكِسَّ[(٦)] ، وقد لقِيه هنالك خلقٌ مِن الأتراكِ فظَفِر بهم فقتَلَهم ، وسار إلى بُخَارا فلقِيه دونَها خلقٌ كثيرٌ مِن التُّركِ فقاتلَهم يومَين وليلتَين عندَ مكانٍ يقالُ له : خَرْقانُ[(٧)] . وظفِر بهم ، فقال فى ذلك نَهارُ بنُ تَوسِعةَ[(٨)] :

وباتَتْ لَهم منَّا بخَرْقانَ لَيْلةٌ ... ولَيْلَتُنا كانتْ بخَرْقانَ أطْوَلَا

ثم قصَد قتيبةُ وَرْدانَ خُذَاهَ ، ملكَ بُخَارَا ، فقاتلَه وَرْدانُ[(٩)] قتالًا شديدًا فلم يظفَرْ به قتيبةُ ، فرجَع عنه إلى مَرْوَ ، فجاءه كتابُ الحجّاجِ يعنِّفُه على الفِرارِ

---

(١) سورية : موضع بالشام بين خناصرة وسلمية . معجم البلدان ٣/ ١٨٧.

(٢) عمورية : بلد فى بلاد الروم . معجم البلدان ٣/ ٧٣٠.

(٣) هرقلة : مدينة ببلاد الروم . معجم البلدان ٤/ ٩٦١.

(٤) فى الأصل ، ٣١، ٢١، ص : « قمولية » . والمثبت موافق لما فى تاريخ الطبرى ٦/ ٤٣٩.

(٥) نسفُ : مدينة كبيرة بين جيحون وسمرقند . معجم البلدان ٤/ ٧٨١.

(٦) فى النسخ : « كش » . تصحيف ، وكس بكسر أوله وتشديد ثانيه ، مدينة تقارب سمرقند . وقال البلاذرى : كس هى الصغد . معجم البلدان ٤/ ٢٧٣. وانظر تاريخ الطبرى ٦/ ٣٣٩، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٨١ - ١٠٠هـ) ص ٢٥٢.

(٧) خرقان : من قرى سمرقند ، على ثمانية فراسخ منها . معجم البلدان ٢/ ٤٢٤.

(٨) تاريخ الطبرى ٦/ ٤٣٩.

(٩) فى الأصل : « ملكها » .

والنُّكُولِ عن أعداءِ الإسلامِ، وكتَب إليه أن يبعَثَ بصورةِ هذا البلدِ - يعنى بُخَارا - فبعَث إليه بصورتِها، فكتَب إليه؛[1] أنِ ارجِعْ إليها وتُبْ إلى اللَّهِ مِن ذنبِك وائتِها مِن مكانِ كذا وكذا، ورِدْ وَرْدانَ خُذَاه، وإياكَ والتَّحويطَ[2]، ودَعْنى وبُنيَّاتِ الطريقِ[3].

وفى هذه السنةِ وَلَّى الوليدُ بنُ عبدِ الملكِ إمْرةَ مكةَ لخالدِ بنِ عبدِ اللَّهِ القَسْرِىِّ، فحفَر بئرًا بأمرِ الوليدِ عندَ ثَنيَّةِ طُوًى وثَنيَّةِ الحَجُونِ، فجاءتْ عذبةَ الماءِ طَيِّبةً، وكان يَستقِى الناسُ منها.

وروَى الواقدىُّ[4]: حدثنى عمرُ بنُ صالحٍ، عن نافعٍ مَوْلَى بنى مَخْزومٍ، قال: سمِعتُ خالدَ بنَ عبدِ اللَّهِ القَسْرِىَّ يقولُ [١١٤/٧و] على مِنبرِ مكةَ وهو يَخطُبُ الناسَ: أيُّها الناسُ، أيُّهما أعظمُ؛ خليفةُ الرجلِ على أهلِه أم رسولُه إليهم؟ واللَّهِ لو لم تعلَموا فَضْلَ الخليفةِ إلّا أنَّ إبراهيمَ خليلَ الرحمنِ استَسْقاه فسَقاه مِلْحًا أُجاجًا، واستَسْقَى الخليفةُ فسقاه عذبًا فُراتًا - يعنى البئرَ التى احتفَرها له بالثَّنِيَّتَيْنِ؛ ثَنيَّةِ طُوًى وثَنيَّةِ الحَجونِ - فكان يُنقَلُ ماؤها فيُوضَعُ فى حوضٍ مِن أَدَمٍ إلى جَنْبِ زَمْزَمَ ليُعرَفَ فضلُه على زَمزَمَ. قال: ثم غارَت تلك البئرُ فذهَب ماؤُها فلا يُدرَى أين هو إلى اليومِ. وهذا الإسنادُ غريبٌ، وهذا الكلامُ يتَضَمَّنُ كفرًا إن صَحَّ عن قائلِه، وعندِى أنَّ خالدَ بنَ عبدِ اللَّهِ القَسْرِىَّ لا يصِحُّ عنه هذا الكلامُ، وإن صحَّ فهو عدوُّ اللَّهِ، وقد قِيل عن الحجاجِ بنِ يوسفَ نحوُ هذا

---

(١) تاريخ الطبرى ٦/ ٤٤٠، والكامل ٤/ ٥٣٥، ٥٣٦.

(٢) حوط حول الأمر، يعنى دار فى القول فيه وأكثر فيه المراجعة والرد.

(٣) بنيات الطريق، يعنى الطرق الصغار المتشعبة، يريد: اسلك الطريق المستقيم الذى لا تعريج فيه.

(٤) تاريخ الطبرى ٦/ ٤٤٠.

الكلامِ[1] ؛ مِن أنَّه جعَل الخليفةَ أفضلَ مِن الرسولِ الذى أرسَله اللَّهُ ، وكلُّ هذه الأقوالِ تتضَمَّنُ كُفرَ قائلِها .

وفى هذه السنةِ غزَا مَسْلمةُ[2] التُّركَ حتى بلَغ البابَ[3] مِن ناحيةِ أَذْرَبِيجانَ ، وفتَح حصونًا ومدائنَ[4] هنالك . وحجَّ بالناسِ فيها عمرُ بنُ عبدِ العزيزِ . قال شيخُنا الحافظُ أبو عبدِ اللَّهِ الذَّهبىُّ[5] : وفى هذه السنةِ فُتِحتْ صِقِلِّيَّةُ ومَيُورْقَةُ - [6]وقِيل : مَنُورْقَةُ[7] - وهما فى البحرِ بينَ جزيرةِ صِقِلِّيَّةَ وحَدَارُه[8] مِن بلادِ الأَنْدلُسِ . وفيها سيَّر موسى بنُ نُصيرٍ ولدَه إلى النقريسِ ملكِ الفرنجِ فافتَتَح بلادًا كثيرةً[6] .

وفيها تُوفِّى مِن الأعيانِ : [9]**عبدُ اللَّهِ**[10] **بنُ بُسْرِ بنِ أبى بُسْرٍ المازنىُّ** ، له ولأبيه صحبةٌ ، والصحيحُ أنَّه توفى فى التى قبلَها .

قال : و[9] **عبدُ اللَّهِ بنُ ثَعْلبةَ بنِ صُعَيرٍ**[11] - أحدُ التابعينَ - العُذْرىُّ الشاعرُ .

---

(1) تاريخ دمشق ١٢/ ١٥٨.

(2) فى ٣١، ٢١، م، ص: « قتيبة بن مسلم ». وانظر تاريخ الطبرى ٦/ ٤٤١.

(3) فى ٣١، ٢١، م، ص: « باب الأبواب » .

(4) بعده فى ٣١، ٢١، م، ص : « كثيرة » .

(5) تاريخ الإسلام (حوادث ووفيات سنة ٨١ - ١٠٠هـ) ص ٣٤. والسياق فيه أن عبد اللَّه بن موسى ابن نصير إنما فتح جزيرتى ميورقة ومنورقة فقط . وانظر تاريخ خليفة ص ٤٠٠ . وانظر أيضا حاشية (8) .

(6 - 6) زيادة من : ٣١، ٢١، م، ص .

(7) فى النسخ : « ميرقة » . والمثبت من مصدر التخريج ، وانظر معجم البلدان ٤/ ٧٢٠.

(8) فى ٣١ ، ٢١ ، م ، ص : « خدرة » بالخاء المعجمة ، وفى تاريخ الإسلام : « جزيرة الأندلس » . وحَدارُّه بالراء المضمومة المشددة - وبعض أهل الأندلس يقول : هَدَرُّه - : نهر معروف يشق مدينة غرناطة . معجم البلدان ٢/ ٢١٧ ، ٣/ ٧٨٨ ، وصفة جزيرة الأندلس ٢٣ .

(9 - 9) سقط من : ٣١، ٢١، م، ص .

(10) الاستيعاب ٣/ ٨٧٤، وأسد الغابة ٣/ ١٨٦، والإصابة ٤/ ٢٣.

(11) الاستيعاب ٣/ ٨٧٦، وأسد الغابة ٣/ ١٩٠، والإصابة ٤/ ٣١.

وقد قِيل[1] : إنَّه أدرَك حياةَ النبىِّ ﷺ ، ومسَح على رأسِه . وكان الزهرىُّ يتعلَّمُ منه النسبَ .

والعمالُ فى هذه السنةِ هم المذكُورُونَ فى التى قبلَها ، وقد تقدَّم ذِكرُهم . واللَّهُ سبحانه أعلمُ .

(١) تاريخ دمشق ٢٧/ ١٨٥، وتهذيب الكمال ١٤/ ٣٥٣.

ثم دخلت سنة تسعين من الهجرة

فيها غزَا مسلمةُ بنُ عبدِ الملكِ والعباسُ بنُ الوليدِ بلادَ الرومِ ، ففتَحا حصونًا ، وقتَلا خلقًا مِن الرومِ ، وغنِما وأسَرا خلقًا كثيرًا . وفيها أسَرتِ الرومُ خالدَ بنَ كَيْسانَ صاحبَ البحرِ ، وذهَبوا به إلى ملكِهم فأهداه ملكُ الرومِ إلى الوليدِ بنِ عبدِ الملكِ . وفيها عزَل الوليدُ أخاه عبدَ اللَّهِ بنَ عبدِ الملكِ عن إمْرةِ مصرَ وولَّى عليها قُرَّةَ بنَ شَريكٍ . وفيها قتَل محمدُ بنُ القاسمِ الثقفيُّ ملكَ السِّندِ داهرَ بنَ صَصَّةَ[1] ، وكان محمدُ بنُ القاسمِ هذا على جيشٍ مِن جهةِ الحجاجِ . وفيها فتَح قتيبةُ بنُ مسلمٍ مدينةَ بُخارَا ، وهزَم جمعَ العدُوِّ مِن التركِ بها ، وجرَتْ بينَهم فصولٌ يطولُ ذِكْرُها ، وقد تقصَّاها ابنُ جريرٍ[2] . وفيها طلَب طَرْخونُ ملكُ الصُّغْدِ بعدَ فتحِ بُخارَا مِن قتيبةَ أن يصالِحَه على مالٍ يبذُلُه فى كلِّ عامٍ فأجابَه قتيبةُ إلى ذلك وأخَذ منه رَهْنًا عليه .

[3]وفيها استنجَد وَرْدانُ خُذَاه بالتُّركِ فأتَوْه مِن جميعِ النَّواحى - وهو صاحبُ بُخارَا بعدَ أخْذِ قتيبةَ لها - وخرَج وَرْدانُخُذَاه وحمَل على المسلمين فحطَّموهم ، ثم عاد المسلمونَ عليهم فقتَلُوا منهم مقتلةً عظيمةً ، وصالَح قتيبةُ ملكَ الصُّغدِ ، وفتَح بُخارَا وحصونَها ، ورجَع قتيبةُ بالجندِ إلى بلادِه فأذِن له الحجاجُ ، فلمّا سار إلى بلادِه بلَغه أنَّ صاحبَ الصُّغدِ قال لملوكِ التركِ : إن العربَ بمنزلةِ اللصوصِ فإن أُعْطُوا شيئًا ذهَبُوا ، وإنَّ قتيبةَ هكذا يقصِدُ الملوكَ ، فإن[3]

---

(1) فى ٣١: «صعهه»، وفى ٢١، ص: «صعصعة». وانظر تاريخ الطبرى ٦/ ٤٤٢.

(2) تاريخ الطبرى ٦/٤٤٢ - ٤٤٤.

(٣ - ٣) زيادة من ٣١ ، ٢١ ، م ، ص . وانظر تاريخ الطبرى ٦/٤٤٢ ، ٤٤٣ .

(١)أعطَوه شيئًا أخَذه ورجَع عنهم ، وإنَّ قتيبةَ ليس بمَلكٍ ولا يَطلُبُ مُلْكًا . فبلَغ قُتيبةَ قولُه فرجَع إليهم ، فكاتَب نِيزَكُ[٢] ملكُ التركِ ملوكَ ما وراءَ النهرِ ؛ منهم ملكُ الطالَقانِ ، وكان قد صالحَ قُتيبةَ فنقَض(١) الصُّلْحَ[٣] الذى [٧/١١٤ظ] كان بينَه وبينَ قُتيبةَ ، واستجاشَ عليه بالملوكِ كلِّها ، فأتاه ملوكٌ كثيرٌ كانوا قد عاهَدُوا قتيبةَ على الصُّلحِ ، فنقَضُوا كلُّهم وصاروا يدًا واحدةً على قتيبةَ ، واتَّعَدُوا إلى الربيعِ ، وتعاهَدُوا وتعاقَدُوا على أن يجتَمِعوا فيُقاتِلُوا كلُّهم فاجتمعوا فى فصلِ الربيعِ مِن السنةِ الآتيةِ ، فقتَل منهم قُتيبةُ فى ذلك الحينِ مَقتَلَةً عظيمةً جدًّا لم يُسمَعْ بمثلِها ، وصلَب منهم سِماطَيْنِ فى مسافةِ أربعةِ فراسخَ فى نِظامٍ واحدٍ ، وذلك مما كسَر جموعَهم كلِّهم .

وفى هذه السنةِ هرَب يزيدُ بنُ المُهَلَّبِ وأخواه المفضَّلُ وعبدُ الملكِ مِن سجنِ الحجّاجِ[٤] ، فلحِقُوا بسليمانَ بنِ عبدِ الملكِ فأَمَّنَهم مِن الحجاجِ ، وذلك أنّ الحجاجَ كان قد احْتاطَ عليهم قبلَ ذلك وعاقَبهم عقوبةً عظيمةً ، وأخَذ منهم ستةَ آلافِ ألفٍ ، وكان أصبرَهم على العقوبةِ يزيدُ بنُ المُهَلَّبِ ، كان لا يُسمَعُ له صوتٌ ولو فعَلوا به ما فعَلوا ، فكان ذلك يغِيظُ الحجاجَ حتى قال قائلٌ للحجاجِ[٥] : إنَّ فى ساقِه أثرَ نُشَّابةٍ بقِى نصلُها فيه ، وإنَّه متى أصابَها شىءٌ لا يملِكُ نفسَه أن يصرُخَ . فأمَر الحجّاجُ أن يُنالَ ذلك الموضعُ منه بعذابٍ ، فصاح فلمَّا سمِعتْ أختُه هندُ بنتُ المُهَلَّبِ - وكانت تحتَ الحجّاجِ - صوتَه بكَتْ

(١ - ١) زيادة من ٣١ ، ٢١ ، م ، ص . وانظر تاريخ الطبرى ٦/٤٤٦ ، ٤٤٧ .
(٢) فى ٣١، ٢١، ص: «بترك»، وانظر تاريخ الطبرى ٦/ ٤٤٥.
(٣) فى الأصل : « وفى هذه السنة نقض ملك الترك الصلح » .
(٤) بعده فى م: «نكاية لذلك». والخبر بتمامه فى تاريخ الطبرى ٦/٤٤٨ - ٤٥٣، والكامل ٤/ ٥٤٥.
(٥) تاريخ الطبرى ٦/ ٤٤٨، والكامل ٤/ ٥٤٥.

وناحَتْ عليه ؛ فطَلَّقها الحجّاجُ ثم أودَعهم السجنَ . ثم خرَج الحجّاجُ إلى بعضِ المَحالِّ ليُنْفِذَ جيشًا إلى الأكرادِ واستصحَبهم معه ، فخندَق حولَهم ، ووَكَّل بهم الحرَسَ . فلمّا كان فى بعضِ الليالى أمَر يزيدُ بنُ المُهلَّبِ بطعامٍ كثيرٍ فصُنِع للحرَسِ ، [١]فاشتَغلوا به[١] ، ثم تنكَّر فى هيئةِ بعضِ الطَّبَّاخينَ وجعَل لحيتَه لحيةً بيضاءَ ثم خرَج فرآه بعضُ الحرَسِ ، فقال : ما رأيتُ مِشيةً أشبَهَ بمِشيةِ يزيدَ بنِ المُهَلَّبِ مِن هذا . ثم اتَّبَعَه يَتحقَّقُه ، فلمّا رأى بياضَ لحيتِه انصرَف عنه ، ثم لحِقَه أخواه فركِبُوا السُّفُنَ وسارُوا نحوَ الشّامِ ، فلمّا بلَغ الحجّاجَ هرَبُهم انزعَج لذلك ، وذهَب وَهْمُه أنَّهم سارُوا إلى خُراسانَ ، فكتَب إلى قتيبةَ بنِ مسلمٍ يُحذِّرُه قُدومَهم ، ويأمُرُه بالاستعدادِ لهم ، وأن يرصُدَهم فى كلِّ مكانٍ ، ويكتُبَ إلى أمراءِ الثغورِ والكُورِ بتحصِيلِهم . وكتَب إلى أميرِ المؤمنينَ [١]الوليدِ بنِ عبدِ الملكِ[١] يُخبرُه بهرَبِهم ، وأنَّه لا يراهُم هرَبوا إلَّا إلى خُراسانَ ، وخاف الحجّاجُ مِن يزيدَ بنِ المهلَّبِ أن يصنَعَ كما صنَع عبدُ الرحمنِ بنُ محمدِ بنِ الأَشعثِ مِن الخروجِ عليه وجَمْعِ الناسِ له[٢] .

وأمَّا يزيدُ بنُ المُهَلَّبِ فإنَّه سلَك على البطائحِ وجاءَتْه خيولٌ كان قد أعَدَّها له أخوه مروانُ بنُ المُهَلَّبِ لهذا [١١٥/٧و] اليومِ ، فركِبها وسلَك به دليلٌ مِن بنى كلبٍ يُقالُ له : عبدُ الجَبَّارِ بنُ يزيدَ . فأخَذ بهم على السَّمَاوَةِ[٣] . وجاء الخبرُ إلى الحجاجِ بعدَ يومينِ أنَّ يزيدَ قد سلَك نحوَ الشّامِ ، فكتَب إلى الوليدِ يُعلِمُه بذلك ،

(١ - ١) سقط من : ٣١، ٢١، م، ص.

(٢) بعده فى ٣١، ٢١، م، ص: «وتحقق عنده قول الراهب».

(٣) السماوة : بادية بين الكوفة والشام ، وقال السكرى : السماوة ماءة لكلب . معجم البلدان ٣/ ١٣١.

وسار يزيدُ حتى نزَل الأُرْدُنَّ على وُهَيبِ بنِ عبدِ الرحمنِ الأَزْدِيِّ - وكان كريمًا على سليمانَ بنِ عبدِ الملكِ - فسار وُهيبٌ إلى سليمانَ بنِ عبدِ الملكِ فقال له : إنَّ يزيدَ بنَ المُهَلَّبِ وأخويه فى منزِلى ، قد جاءُوا مُستعيذِينَ بك مِن الحجّاجِ . قال : فاذهَبْ فأْتِنى بهم فهم آمنونَ ما دُمتُ حيًّا . فجاءهم فذهَب بهم حتى أدخَلهم على سليمانَ بنِ عبدِ الملكِ ، فأمَّنهم سليمانُ ، وكتَب إلى أخيه الوليدِ : إنَّ آلَ المُهَلَّبِ قد أمَّنتُهم ، وإنَّما بقِى للحجّاجِ عندَهم ثلاثةُ آلافِ ألفٍ ، وهى عندِى . فكتَب إليه الوليدُ : لا واللَّهِ لا أُؤَمِّنُه حتى تبعَثَ به إلىَّ . فكتَب إليه : لا واللَّهِ لا أبعثُه حتى أَجِيءَ معه ، فأنشُدُكَ اللَّهَ يا أميرَ المؤمنينَ أن تفضَحَنى أو تُخفِرَنى[1] فى جوارِى . فكتَب إليه : لا واللَّهِ لا تَجِئْ معه وابعَثْ به إلىَّ فى وَثاقٍ . فقال يزيدُ : ابعَثْنى إليه ، فما أُحِبُّ أن أُوقِعَ بينَكَ وبينَه عداوةً وحرْبًا ، فابعَثْنى إليه وابعَثْ معى ابنَكَ ، واكتُبْ إليه بأَلْطَفِ عِبارةٍ تَقْدِرُ عليها . فبعَثه وبعَث معه ابنَه أيوبَ ، وقال لابنِه : إذا دخَلْتَ فى الدِّهليزِ فادخُلْ مع يزيدَ فى السِّلسلةِ ، وادخُلا عليه كذلك .

فلمَّا رأى الوليدُ ابنَ أخيه فى السِّلسلةِ ، قال : واللَّهِ لقد بلَغْنا مِن سليمانَ . ودفَع أيوبُ كتابَ أبيهِ إلى عمِّه وقال : يا أميرَ المؤمنينَ ، نفسِى فِداؤُكَ ، لا تُخفِرْ[2] ذِمَّةَ أبى وأنتَ أحقُّ مَن منعها ، ولا تقطَعْ مِنَّا رجاءَ مَن رَجا السَّلامةَ فى جِوارِنا لمكانِنا مِنكَ ، ولا تُذِلَّ مَن رَجا العزَّ فى الانقطاعِ إلينا لعِزِّنا بِكَ . ثم قرَأ الوليدُ كتابَ سليمانَ بنِ عبدِ الملكِ فإذا فيه : أمَّا بعدُ يا أميرَ المؤمنينَ ، فواللَّهِ إن كُنتُ لأَظُنُّ لو استَجار بى عدُوٌّ قد نابذَكَ وجاهَدَكَ فأنزَلْتُه وأجَرْتُه ، أنَّك لا تُذِلُّ

---

(١) فى ٣١، ١، ٢١: « تحقرنى » ، وفى ص : « تحتقرنى » . وأخفرت الرجل إذا نقضت عهده وذمامه . النهاية ٥٢/٢ - ٥٣ .

(٢) فى ٣١، ١، ٢١، ص: « تحقر » .

جارِى[1] ولا تُخفِرُ جِوارِى ، بل لم أُجِرْ إلَّا سامعًا مُطيعًا ، حَسَنَ البلاءِ والأثَرِ فى الإسلامِ هو وأبوه وأهلُ بيتِه ، وقد بعَثْتُ به إليكَ فإن كنتَ إنَّما تُعِدُّ[2] قَطِيعَتى والإخفارَ بذِمَّتى والإبلاغَ فى مَساءَتى ، فقد قدَرْتَ إن أنتَ فعلتَ ، وأنا أُعِيذُكَ باللَّهِ مِن احترادِ[3] قطيعَتى وانتهاكِ حُرْمَتى ، وتَرْكِ بِرِّى[4] وصِلَتى ، فواللَّهِ يا أميرَ المؤمنينَ ما تَدْرِى ما بقائى وبقاؤُكَ ، ولا متى يُفرِّقُ الموتُ بينى وبينَك ، فإنِ استطاع [١١٥/٧ظ] أميرُ المؤمنينَ - أدام اللَّهُ سرورَه - أن لا يأتىَ أجلُ الوفاةِ علينا إلّا وهو لى واصلٌ ، ولحَقِّى مُؤدٍّ ، وعن مَساءَتى نازعٌ ، فَلْيفعَلْ ، وواللَّهِ يا أميرَ المؤمنينَ ما أصبحتُ بشىءٍ مِن أمرِ الدنيا بعدَ تَقْوى اللَّهِ فيها بأَسَرَّ منِّى بِرِضاكَ وسرورِكَ ، وإنَّ رِضاكَ وسرورَكَ[5] مِمَّا ألتمِسُ به رِضوانَ اللَّهِ عزَّ وجلَّ[6] ، وإن كنتَ يا أميرَ المؤمنينَ يومًا مِن الدَّهرِ تريدُ مَسَرَّتى وصِلَتى وكرامَتى وإعظامَ حقِّى فتجاوَزْ لى عن يزيدَ ، وكلُّ ما طلبتَه به فهو علىَّ .

فلمَّا قرَأ الوليدُ كتابَه قال : لقد أشقَقْنا[7] على سليمانَ ! ثم دعا ابنَ أخيهِ فأدناه منه ، وتكلَّم يزيدُ بنُ المُهَلَّبِ فحمِد اللَّهَ وأثنَى عليه وصلَّى على رسولِه ، ثم قال : يا أميرَ المؤمنين ، إن بلاءَكم عندَنا أحسنُ البلاءِ ، فمَن يَنْسَ ذلك فلَسْنا ناسِيه ، ومَن يَكفُرْه فلَسْنا بكافرِيه ، وقد كان مِن بلائِنا أهلَ البيتِ فى طاعتِكم

---

(١) فى ٣١، ٢١، م، ص : « جوارى » .

(٢) فى الطبرى ٦/ ٤٥١ : « تغزو » .

(٣) فى الأصل ، ٣١، ٢١، ص : « اجترار » . وانظر تاريخ الطبرى ٦/ ٤٥٢ . وحرده يحرده بالكسر ، حردًا إذا قصده . التاج (ح ر د) .

(٤) بعده فى ٣١، ٢١، م، ص : « وإجابتى إلى ما سألتك » .

(٥) بعده فى ٣١، ٢١، م، ص : « أحب إلى من رضائى وسرورى و » .

(٦) بعده فى ٣١، ٢١، م، ص : « لصلتى ما بينى وبينك » .

(٧) فى م : « أشفقنا » .

والطَّعنِ فى أعينِ أعدائِكم فى المواطنِ العِظامِ فى المشارقِ والمغاربِ ما إنَّ المِنَّةَ علينا فيه عظيمةٌ . فقال له : اجلِسْ . فجلَس فأمَّنه وكفَّ عنه وردَّه إلى سليمانَ ، فكان عندَه يُعلِّمُه الهيئةَ ، ويصِفُ له ألوانَ الأطعمةِ الطيبةِ ، وكان حظِيًّا عندَه ، لا يُهدَى إليه بهدِيَّةٍ إلَّا بعَث إليه بنصفِها . وتقرَّب يزيدُ بنُ المُهَلَّبِ إلى سليمانَ بأنواعِ الهدَايا والتُّحفِ والتقادمِ .

وكتَب الوليدُ إلى الحَجاجِ : إنِّى لم أصِلْ إلى يزيدَ بنِ المُهَلَّبِ ، وأهلُ بيتِه مع أخى سليمانَ ، فاكفُفْ عنهم والْهَ عن الكتابِ إلىَّ فيهم . فكَفَّ الحجاجُ عن آلِ المُهَلَّبِ وترَك ما كان يطالِبُهم به مِن الأموالِ ، حتى ترَك لأبى عُيينةَ بنِ المُهَلَّبِ ألفَ ألفِ درهمٍ ، ولم يزَلْ يزيدُ بنُ المُهَلَّبِ عندَ سليمانَ بنِ عبدِ الملكِ حتى هلَكَ الحجاجُ فى سنةِ خمسٍ وتسعينَ - كما سيأتى بيانُه - ثم وَلِى يزيدُ بلادَ العراقِ بعدَ الحجاجِ ، كما أخبَرَه الرَّاهبُ .

وفيها تُوفِّى مِن الأعيانِ : **تياذوقُ**[1] **الطبيبُ الحاذقُ** ، له مصنَّفاتٌ فى فنِّه ، وكان حظِيًّا عندَ الحجاجِ . مات فى حدودِ سنةِ تسعين بواسطٍ .

وفيها تُوفِّى عبدُ الرحمنِ بنُ المِسْوَرِ بنِ مَخْرَمةَ[2] ، **وأبو العاليةِ الرِّياحِىُّ**[3] ،

---

(١) فى م : « يتاذوق » . وانظر ترجمته فى عيون الأنباء فى طبقات الأطباء ١٧٩، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٨١ - ١٠٠هـ) ص ٤٧، والوافى بالوفيات ١٠/ ٤٤٩.

(٢) انظر ترجمته فى طبقات خليفة ٢/ ٦٠٩، وتاريخ دمشق ١٠/١٩٨ (مخطوط)، وتهذيب الكمال ١٧/ ٤٠٢، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٨١ - ١٠٠هـ) ص ١٣١، ومرآة الجنان ١/ ١٨٠.

(٣) انظر ترجمته فى طبقات ابن سعد ٧/ ١١٢، وتاريخ دمشق ١٥٩/١٨ - ١٩١، وأسد الغابة ٢/ ٢٣٥، وسير أعلام النبلاء ٤/ ٢٠٧، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٨١ - ١٠٠هـ) ص ٢٤١، وتذكرة الحفاظ ٦١ - ٦٢، وغاية النهاية ١/ ٢٨٤، والإصابة ٢/ ٥١٤.

وسِنانُ بنُ سلمةَ بنِ المحبّقِ[1] ، أحدُ الشجعانِ المذكورين ، أسلَم يومَ الفتحِ ، وتولّى غزوَ الهندِ ، وطال عمرُه .

وتوفّى فى هذه السنةِ **محمدُ بنُ يوسفَ الثقفىُّ**[2] ، أخو الحجاجِ ، وكان أميرًا على اليمنِ ، وكان يلعَنُ عليًّا على المنابرِ ، قيل : إنَّه أمَر حُجْرًا المَدَرىَّ[3] أن يلعَنَ عليًّا . فقال : بل لعَن اللَّهُ مَن يلعَنُ عليًّا ، ولعنةُ اللَّهِ على مَن لعَنه اللَّهُ . وقيل : إنَّه ورَّى فى لعنِه . فاللَّهُ أعلمُ .

خالدُ بنُ يزيدَ بنِ معاويةَ أبو هاشمٍ الأمويُّ الدمشقىُّ[4] ، وكانت دارُه بدمشقَ ، تلِى دارَ الحجارةِ ، وكان عالمًا شاعرًا ، ويُنسَبُ إليه شىءٌ مِن علمِ الكِيمياءِ ، وكان يعرِفُ شيئًا مِن علومِ الطبيعةِ . روَى عن أبيه ودِحيةَ الكلبىِّ . وعنه الزهرىُّ ، وغيرُه .

قال الزهرىُّ[5] : كان خالدٌ يصومُ الأعيادَ كلَّها ؛ الجمُعةَ والسبتَ والأحدَ ؛ يعنى يومَ الجُمُعةِ وهو عيدُ المسلمين ، ويومَ السبتِ وهو عيدُ اليهودِ ، والأحدِ للنصارَى . وقال أبو زُرعةَ الدمشقىُّ[6] : كان [٧/١١٦و] هو وأخوه معاويةُ من

---

(١) انظر ترجمته فى طبقات ابن سعد ٧/ ١٢٤، ٢١٢، والاستيعاب ٢/ ٦٤٢، وأسد الغابة ٢/ ٣٥٧، والوافى بالوفيات ١٥/ ٤٦١، والإصابة ٣/ ١٨٦، ٣٠٠.

(٢) انظر ترجمته فى المعارف ٣٩٦، وثمار القلوب ٦٤٩، وتاريخ دمشق ١٤٣/١٦ (مخطوط)، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٨١ - ١٠٠هـ) ص ٤٧٠، والوافى بالوفيات ٥/ ٢٤٢.

(٣) فى ٣١، ٢١، م: «المنذرى»، وفى الوافى: «المدنى». وانظر موضع ترجمته فى تاريخ الإسلام.

(٤) أسد الغابة ٢/ ١١٣، ووفيات الأعيان ٢/ ٢٢٤، وتهذيب الكمال ٨/ ٢٠١، وسير أعلام النبلاء ٤/ ٣٨٢، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٨١ - ١٠٠هـ) ص ٥٥، والعبر ١/ ١٠٥، والوافى بالوفيات ١٣/ ٢٧٠، والإصابة ٢/ ٣٧٦.

(٥) تاريخ دمشق ١٦/ ٣٠٦.

(٦) تاريخ أبى زرعة ٣٥٨/١ (٧٥٦)، وتهذيب الكمال ٢٠٣/٨.

خيارِ القومِ . وقد ذُكر للخلافةِ بعدَ أخيه معاويةَ بنِ يزيدَ ، وكان وليَّ العهدِ من بعدِ مروانَ فلم يلتئمْ له الأمرُ ، وكان مروانُ زوجَ أمِّه . ومن كلامِه[(١)] : أقربُ شيءٍ الأجلُ ، وأبعدُ شيءٍ الأملُ ، وأرجَى شيءٍ العملُ .

وقد امتدَحه بعضُ الشعراءِ ، فقال[(٢)] :

سألتُ الندَى والجودَ حُرَّانِ أنتما … [(٣)]فقالا جميعًا[(٣)] إننا لعبيدُ

فقلتُ ومَن مولاكُما فتطاولا … عليَّ وقالا خالدُ بنُ يزيدِ

قال : فأمَر له بمائةِ ألفٍ[(٤)] .

[(٥)]وكانت وفاتُه في هذا العامِ ، وقيل[(٦)] : في سنةِ أربعٍ وثمانين . وقد ذُكِر هناك ، والصحيحُ الأوَّلُ[(٥)] .

---

(١) تاريخ دمشق ١٦/ ٣١١، وتهذيب الكمال ٨/ ٢٠٣.

(٢) البيتان في معجم الأدباء ١١/ ٣٧، ومختصر تاريخ دمشق ٨/ ٣٧، وسير أعلام النبلاء ٤/ ٣٨٢ - ٣٨٣، والوافى بالوفيات ١٣/ ٢٧٢.

(٣ - ٣) في ٣١، ٢١، م، ص: «فردا وقالا».

(٤) بعده في ٣١، م، ص: «قلتُ: وقد رأيتُهما قد أُنشدا في خالدِ بنِ الوليدِ، رضى اللَّهُ عنه، فقال: وقالا خالدُ بنُ وليدِ. واللَّهُ أعلمُ. وخالدُ بنُ يزيدَ هذا كان أميرًا على حِمصَ، وهو الذى بنَى جامعَ حِمصَ، وكان له فيه أربعُمائةِ عبدٍ يعمَلون، فلما فرَغ منه أعتَقهم، وكان خالدٌ يَبغُضُ الحجاجَ، وهو الذى أشار على عبدِ الملكِ لمَّا تزوَّج الحجاجُ بنتَ جعفرٍ، أن يرسلَ إليه فيطلِّقَها، ففعَل. ولما مات مشَى الوليدُ في جِنازتِه، وصلَّى عليه. وكان قد تجدَّد على خالدٍ اصفرارٌ وضعفٌ، فسأَله عبدُ الملكِ عن ذلك فلم يُخبِرْه، فما زال به حتى أخبَره أنَّه مِن حُبِّ رملةَ أختِ مصعبِ بنِ الزُّبيرِ، فأرسَل عبدُ الملكِ يخطُبُها لخالدٍ، فقالت: حتى يُطلِّقَ نساءَه. فطلَّقهن وتزوَّجها، وأنشَد فيها الشعرَ».

(٥ - ٥) زيادة من: ٣١، ٢١، م، ص.

(٦) تاريخ دمشق ١٦/ ٣١٥، وتهذيب الكمال ٨/ ٢٠٧.

عبدُ اللَّهِ بنُ الزَّبِيرِ بنِ سُليمِ الأسديُّ الشاعرُ أبو كَثيرٍ[1] ، ويقالُ : أبو سعدٍ[2] . وهو مشهورٌ ، وفَد على عبدِ اللَّهِ بنِ الزُّبَيْرِ ، فامتدَحه فلم يُعطِه شيئًا ، فقال[3] : لعَن اللَّهُ ناقةً حمَلتنى إليكَ . فقال ابنُ الزُّبيرِ : إنْ وصاحِبَها .

يقالُ : إنه مات فى زمنِ الحجاجِ .

---

(١) فى الأصل ، ٣١، ٢١، ص : « عبيد اللَّه بن الزبير » . وانظر ترجمته فى الأغانى ١٤/ ٢١٧، ومقاتل الطالبيين ١٠٨، ١٠٩، وسمط اللآلى ١/ ١٦٦، وتاريخ دمشق ٢٩٧/٩ (مخطوط) ، وسير أعلام النبلاء ٣/ ٣٨٣، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٨١ - ١٠٠هـ) ص ١٠٨، والوافى بالوفيات ١٧/ ١٨٠، ومعاهد التنصيص ٣/ ٣١٠، وخزانة الأدب ٢/ ٢٦٤.

(٢) فى م : « سعيد » . وانظر مصادر الحاشية السابقة .

(٣) تاريخ دمشق ٢٨/ ٢٦٠، وسير أعلام النبلاء ٣/ ٣٨٣.

ثم دخَلت سنةُ إحدَى وتسعين

فيها غزا الصائفةَ مَسلَمةُ بنُ عبدِ الملكِ وابنُ أخيه عبدُ العزيزِ بنُ الوليدِ .

وفيها غزا مسلمةُ بلادَ التركِ حتى بلَغ البابَ من ناحيةِ أَذْرَبِيجانَ ، ففتَح مدائِنَ ، وحصونًا كثيرةً أيضًا ، [1] وكان الوليدُ قد عزَل عمَّه محمدَ بنَ مروانَ عن الجزيرةِ وأَذْرَبِيجانَ ، وولَّاهما أخاه مسلمةَ بنَ عبدِ الملكِ [1] .

وفيها غزا موسى بنُ نُصَيرٍ بلادَ المغربِ ، ففتَح مُدُنًا كثيرةً ، [1] ودخَل فى تلك البلادِ ، وولَج فيها حتى دخَل أراضِيَ غابرةً قاصيةً ، فيها آثارُ قُصورٍ وبُيوتٍ ليس بها ساكنٌ ، ووجَد هناك من آثارِ نعمةِ أهلِ تلك البلادِ ما يلُوحُ على سماتِها أنَّ أهلَها كانوا أصحابَ أموالٍ ونعمةٍ دارَّةٍ سابِغةٍ ، فبادوا جميعًا فلا مَخبرَ بها [1] .

وفيها مهَّد قتيبةُ بنُ مُسلمٍ بلادَ التركِ ، الذين كانوا قد نقَضوا ما كانوا عاهَدوه عليه من المصالحةِ ، [1] وذلك بعد قتالٍ شديدٍ وحربٍ يَشيبُ لها الوليدُ ، وذلك أنَّ ملوكَهم كانوا قد اتَّعَدوا فى العامِ الماضِى فى أوانِ [2] الربيعِ أن يجتمِعوا ويقاتِلوا قتيبةَ ، وأن لا يُولُّوا عن القتالِ حتى يُخرِجوا العربَ مِن بلادِهم . فاجتمَعوا اجتماعًا هائلًا لم يجتمِعوا مثلَه فى موقفٍ ، فكسَرهم قتيبةُ [1] ، وقتَل منهم أممًا كثيرةً ، وردَّ الأمورَ إلى ما كانت عليه ، حتى ذُكر [3] أنه صلَب منهم فى

(١ - ١) زيادة من : ٣١، ٢١، م، ص .

(٢) فى م : « أول » .

(٣) تاريخ الطبرى ٦/ ٤٤٧، والكامل ٤/ ٥٤٥.

بعضِ المواضعِ مِن جملةِ مَن أخَذ مِن الأُسارى سِماطَين طولُهما أربعةُ فراسِخَ مِن هاهنا وهاهنا[(1)] ، واتَّبَع نِيزَكَ خان مِلِكَ التركِ الأعظَمَ مِن إقليمٍ إلى إقليمٍ ، ومِن كُورةٍ إلى كُورةٍ ، ومن رُستاقٍ إلى رستاقٍ ، ولم يزَلْ ذلك دأبَه ودأبَه حتى حصَره فى قلعةٍ هنالك شهرين مُتَتابِعَين ، حتى نفِد ما عند نِيزَكَ خان مِن الأطعمةِ ، وأشرَف هو ومَن معه على الهلاكِ ، فبعَث إليه قتيبةُ مَن جاء به مُستأمَنًا [(2)] مذمومًا مخذولًا[(2)] ، فسجَنه عندَه ، ثم كتَب إلى الحجاجِ فى أمرِه ، فجاء الكتابُ بعدَ أربعين يومًا بقتلِه ، فجمَع قتيبةُ الأمراءَ ، فاستشارهم فيه فاختَلفوا عليه ؛ فقائلٌ يقولُ : اقتُلْه . وقائلٌ يقولُ : لا تقتُلْه . فقال له بعضُ الأمراءِ : إنك أَعطيتَ اللَّهَ عهدًا أنَّك إنْ ظفِرتَ به لتقتُلَنَّه ، وقد أمكَنك اللَّهُ منه . فقال قتيبةُ : واللَّهِ لو لم يبقَ من عُمْرِى إلَّا ما يسَعُ ثلاثَ كلماتٍ لقتَلتُه . ثم قال : اقتُلوه اقتُلوه اقتُلوه . فقُتل هو وسبعُمائةٍ مِن أصحابِه فى غداةٍ واحدةٍ ، [(2)] وأخَذ قتيبةُ مِن أموالِهم وخيولِهم وثيابِهم وأبنائِهم ونسائِهم شيئًا كثيرًا[(2)] ، وفتَح فى هذا العامِ مُدُنًا كثيرةً ، وقرَّر ممالكَ كثيرةً[(3)] .

---

(1) بعده فى : ا٣، ا٢، م، ص : « عن يمينه وشماله صلب الرجل منهم بجنب الرجل وهذا شىء كثير وقتل فى الكفار قتلا ذريعا ثم لا يزال » .

(٢ - ٢) زيادة من : ا٣، ا٢، م، ص .

(3) بعده فى ا٣، ا٢، م، ص - وهو تفصيل لما سبق إجماله : « وأخذ حصونا كثيرة مشحونة بالأموال والنساء ، ومن آنية الذهب والفضة شيئا كثيرًا . ثم سار قتيبة إلى الطالقان - وهى مدينة كبيرة وبها حصون وأقاليم - فأخذها واستعمل عليها ، ثم سار إلى الفارياب ، وبها مدن ورساتيق ، فخرج إليه ملكها سامعًا مطيعًا فاستعمل عليها رجلا من أصحابه ، ثم سار إلى الجوزجان فأخذها من ملكها واستعمل عليها ، ثم أتى بلخ فدخلها وأقام بها نهارًا واحدًا ، ثم خرج منها ، وقصد نيزك خان ببغلان ، وقد ترك نيزك خان عسكرًا على فم الشعب الذى منه يدخل إلى بلاده ، وفى الشعب قلعة عظيمة تسمى شمسة لعلوها وارتفاعها واتساعها . فقدم على قتيبة الرؤب خان ملك الرؤب وسمنجان ، فاستأمنه على أن يدله على مدخل القلعة ، فأمنه وبعث معه رجالًا إلى القلعة ، فأتوها ليلًا ففتحوها وقتلوا خلقًا من أهلها =

قال الواقديُّ، وغيرُه[1] : وحجَّ بالناسِ فى هذه [١١٦/٧ظ] السنةِ أميرُ المؤمنين الوليدُ بنُ عبدِ الملكِ، فلمَا قَرُب من المدينةِ أمَر عمرُ بنُ عبدِ العزيزِ نائبُ المدينةِ أشرافَ المدينةِ فتلقَّوه، فرحَّب بهم، وأحسَن إليهم، ودخَل المدينةَ النبويةَ فأُخلِى له المسجدُ النبوىُّ، فلم يبقَ به أحدٌ سِوى سعيدِ بنِ المسيَّبِ، لم يتجاسرْ أحدٌ أن يُخرِجَه، وإنما عليه ثيابٌ لا تُساوِى خمسةَ دراهمَ، فقالوا له : تنحَّ عن المسجدِ أيُّها الشيخُ، فإنَّ أميرَ المؤمنين قادمٌ. فقال : واللَّهِ لا أخرُجُ منه. فدخَل الوليدُ المسجدَ فجعَل يدورُ فيه؛ يصلِّى هٰهنا وهٰهنا، ويدعو اللَّهَ عزَّ وجل. قال عمرُ ابنُ عبدِ العزيزِ : وجعلتُ أعدِلُ به عن موضعِ سعيدٍ خشيةَ أن يراه، فحانت منه التِفاتةٌ فقال : من هذا، أهو سعيدُبنُ المسيَّبِ؟ فقلتُ : نعمْ يا أميرَ المؤمنين، ولو علِم بمكانِك[2] لقام إليك وسلَّم عليك. فقال الوليدُ : قد علِمتُ[3] حاله، وجعَل يدورُ فى المسجدِ ويتفرَّجُ فى عمارتِه ويسألُنى عن سعيدِ بنِ المسيَّبِ، فقلتُ : إنَّه وإنَّه، وقصدتُ موافقتَه فى ذلك»[3]، فشرَع الوليدُ يُثنى عليه بالعلمِ والدينِ، فقلتُ : يا أميرَ المؤمنين، إنَّه ضعيفُ البصرِ - وإنما قلتُ ذلك لأعتذِرَ له - فقال : نحنُ أحقُّ بالسعيِ إليه. فجاء فوقَف عليه فسلَّم عليه، فلم يقُمْ له سعيدٌ، ثم قال

= وهرب الباقى، ودخل قتيبة الشعب، وأتى سمنجان - وهى مدينة كبيرة - فأقام بها وأرسل أخاه عبد الرحمن خلف ملك تلك البلاد والمدن نيزك خان فى جيش هائل، فسار خلفه إلى بغلان فحصره بها، وأقام يحاصره شهرين، حتى نفد ما عنده من الأقوات، فأرسل قتيبة من عنده ترجمانا يسمى الناصح، فقال له : اذهب فائتنى بنيزك خان، ولئن عدت إلىّ وليس هو معك ضربت عنقك. وأرسل قتيبة معه هدايا وأطعمة فاخرة، فسار الترجمان إلى نيزك حتى أتاه وقدم إليه الأطعمة فوقع عليها أصحابه يتخاطفونها - وكانوا قد أجهدهم الجوع - ثم أعطاه الناصح الأمان، وحلف له، فقدم به على قتيبة ومعه سبعمائة أمير من أصحابه ومن أهل بيته جماعة. وكذلك استأمن قتيبة جماعة من الملوك فأمنهم وولى على بلادهم، والله سبحانه وتعالى أعلم».

(١) أخرجه الطبرى فى تاريخه ٤٦٥/٦ - ٤٦٦ من طريق الواقدى وأبى معشر.

(٢) فى ٣١، ٢١، م، ص : «بأنك قادم».

(٣ - ٣) فى ٣١، ٢١، م، ص : «بغضه لنا. فقلت : يا أمير المؤمنين إنه وإنه وشرعت أثنى عليه».

الوليدُ : كيفَ الشيخُ ؟ فقال : بخيرٍ والحمدُ للَّهِ ، كيفَ أميرُ المؤمنين ؟ فقال الوليدُ : بخيرٍ والحمدُ للَّهِ وحدَه . ثم انصرَف ، وهو يقولُ لعمرَ بنِ عبدِ العزيزِ : هذا بقيَّةُ[(1)] الناسِ . فقال : أجَلْ يا أميرَ المؤمنين .

قالوا[(2)] : ثم خطَب الوليدُ على منبرِ رسولِ اللَّهِ ﷺ ، فجلَس فى الخطبةِ الأُولَى ، وانتصَب قائمًا فى الثانيةِ ، وقال : هكذا خطَب عثمانُ بنُ عفَّانَ . ثم انصرَف فصَرَف على الناسِ مِن أهلِ المدينةِ ذهبًا كثيرًا ، وفضةً كثيرةً ، ثم كسا المسجدَ النبويَّ كُسوةً من كُسوةِ الكعبةِ التى معَه ، وهى مِن ديباجٍ غليظٍ .

وتُوفِّى فى هذه السنةِ : **السائبُ بنُ يزيدَ بنِ سعيدِ**[(3)] **بنِ ثُمامةَ** ، وقد حجَّ به أبوه مع رسولِ اللَّهِ ﷺ ، وكان عمْرُ السائبِ سبعَ سنين . رَواه البخاريُّ[(4)] . فلهذا قال الواقدىُّ[(5)] : إنه ولِد سنةَ ثلاثٍ من الهجرةِ ، وتوُفِّى فى سنةِ إحدى وتسعين . وقال غيرُه : سنةَ ستٍّ . وقيل : ثمانٍ وثمانين[(6)] . واللَّهُ أعلمُ .

سهلُ بنُ سعدٍ الساعدىُّ[(7)] ، صحابىٌّ مدنىٌّ جليلٌ ، تُوفِّى رسولُ اللَّهِ ﷺ وله من العمرِ خمسَ عشْرةَ سنةً ، وكان ممَّن ختَمه الحجاجُ فى عنقِه [(8)] فى سنةِ أربعٍ وسبعين[(8)] هو وأنسُ بنُ مالكٍ ، وجابرُ بنُ عبدِ اللَّهِ فى يدِه ؛ ليُذِلَّهم كيلا يسمَعَ الناسُ من رأيِهم ، قال الواقدىُّ[(9)] : تُوفِّى سنةَ [٧/١١٧و] إحدى وتسعين

---

(١) فى النسخ : « فقيه » . والمثبت من تاريخ الطبرى .
(٢) تاريخ الطبرى ٦/٤٦٦ - ٤٦٧، والكامل ٤/ ٥٥٥.
(٣) فى م : « سعد » . وانظر ترجمته فى : الاستيعاب ٢/ ٥٧٦، وأسد الغابة ٢/ ٣٢١، والإصابة ٣/ ٢٦.
(٤) صحيح البخارى (١٨٥٩) .
(٥) تاريخ دمشق ٢٠/ ١١٢، وتهذيب الكمال ١٠/ ١٩٥.
(٦) فى ص : « ستين » . وانظر تهذيب الكمال ١٠/ ١٩٥.
(٧) الاستيعاب ٢/ ٦٦٤، وأسد الغابة ٢/ ٤٧٢، والإصابة ٣/ ٢٠٠.
(٨ - ٨) سقط من : م .
(٩) تهذيب الكمال ١٢/ ١٩٠.

عن مائةِ سنةٍ ، وهو آخرُ مَن مات فى المدينةِ مِن الصحابةِ . قال محمدُ بنُ سعدٍ[1] : ليس فى هذا خلافٌ . وقد قال البخاريُّ وغيرُه[2] : إنَّه تُوفِّى سنةَ ثمانٍ وثمانين . واللَّهُ أعلمُ .

---

(١) تهذيب الكمال ١٢/ ١٩٠.

(٢) التاريخ الكبير ٤/ ٩٧، ٩٨، وتهذيب الكمال ١٢/ ١٩٠.

ثم دخلت سنةُ ثنتين وتسعين

فيها غزا مسلمةُ ، وابنُ أخيه عمرُ بنُ الوليدِ بلادَ الرومِ ، ففتَحا حصونًا كثيرةً ، وغنِما شيئًا كثيرًا ، وهرَبت منهم الرومُ إلى أقصى بلادِهم .

وفيها غزا طارقُ بنُ زيادٍ مولى موسى بنِ نُصيرٍ بلادَ الأندلسِ فى اثنىْ عشَرَ ألفًا ، فخرَج إليه ملِكُها أذَرينوقُ[1] فى جحافلِه ، وعليه تاجُه ومعه سَريرُ مُلكِه ، فقاتله طارقٌ ، فهزَمه وغنِم ما فى معسكرِه ، فكان مِن جملةِ ذلك السريرُ ، وتملَّك بلادَ الأندلسِ بكمالِها . قال الذهبىُّ[2] : كان طارقُ بنُ زيادٍ أميرَ طَنجةَ ، وهى أقصى بلادِ المغربِ ، وكان نائبًا لمولاه موسى بنِ نُصيرٍ ، فكتَب إليه صاحبُ الجزيرةِ الخضراءِ يستنجدُ به على عدوِّه ، فدخَل طارقٌ إلى جزيرةِ الأندلسِ من زُقاقِ سَبْتةَ ، وانتهَز الفرصةَ لكونِ الفرنجِ قد اقتتَلوا فيما بينَهم ، وأمعَن طارقٌ فى بلادِ الأندلسِ فافتتَح قرطبةَ ، وقتَل ملكَها أذَرينوقَ[3] ، وكتَب إلى موسى بنِ نُصيرٍ بالفتحِ ، فحسَده موسى على الانفرادِ بهذا الفتحِ ، وكتَب إلى الوليدِ يبشِّرُه بالفتحِ وينسِبُه إلى نفسِه ، وكتَب إلى طارقٍ يتوعَّدُه ؛ لكونِه دخَل بغيرِ أمرِه ، ويأمُرُه أن لا يتجاوزَ مكانَه حتى يلحَقَ به ، ثم سار إليه مسرعًا بجيوشِه ، فدخَل الأندلسَ ، ومعه حبيبُ بنُ أبى عبيدةَ الفهرىُّ ، فأقام سنين يفتَحُ فى بلادِ الأندلسِ ، ويأخُذُ المُدُنَ والأموالَ ، ويقتُلُ الرجالَ ، ويأسِرُ النساءَ والأطفالَ ، فغنِم شيئًا لا يُحَدُّ ، ولا

---

(١) فى الأصل ، ٣١ ، ٢١ : « ادرينون » . وفى م : « أذيقون » ، وفى تاريخ الطبرى : « أدرينوق » . وانظر الكامل ٤/ ٥٥٦.

(٢) تاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٨١ - ١٠٠هـ) ص ٢٥٥، ٢٥٦.

(٣) فى الأصل : « اذرينون » ، وفى ٣١ ، ص : « الذريق » ، وفى ٢١ : « الذورق » ، وفى م : « أدرينوق » . والمثبت من الكامل ٤/ ٥٥٦.

يُوصَفُ ولا يُعَدُّ من الجواهرِ واليَواقيتِ والذهبِ والفضةِ، ومن آنيةِ الذهبِ والفضةِ والأثاثِ، والخُيولِ والبِغالِ، وغيرِ ذلك شيئًا كثيرًا، وفتَح من الأقاليمِ الكبارِ والمدنِ شيئًا كثيرًا. وكان ممّا فتَح مسلمةُ، وابنُ أخيه عمرُ بنُ الوليدِ مِن حصونِ بلادِ الرومِ حصنُ سُوسَنَةَ، وبلغا إلى خليجِ القسطَنْطِينيةِ.

وفيها فتَح قتيبةُ بنُ مسلمٍ شُومانَ، وكِسَّ[1]، ونَسَفَ، وامتَنع عليه أهلُ فريابَ فأحرَقها، وجهَّز أخاه عبدَ الرحمنِ إلى الصُّغْدِ إلى طَرَخونَ خان ملكِ تلك البلادِ، فصالحَه عبدُ الرحمنِ وأعطاه طَرَخونُ خان أموالًا كثيرةً، وقدِم على أخيه وهو ببُخارَى فرجَع إلى مَرْوَ، ولمَّا صالَح طَرَخونُ عبدَ الرحمنِ ورحَل عنه، اجتمعتِ الصُّغْدُ وقالوا لطرَخونَ: إنَّك قد بُؤْتَ بالذُّلِّ وأدَّيتَ الجزيةَ، وأنت شيخٌ كبيرٌ فلا حاجةَ لنا فيك. ثم عزَلوه وولَّوا عليهم غَوْزَكَ[2] خان أخا طَرَخونَ خان، ثم إنَّهم عصَوا ونقَضوا العهدَ، وكان من أمرِهم ما سيأتى.

وفيها غزا قتيبةُ سِجِستانَ يريدُ رُتْبيلَ ملكَ التركِ الأعظمَ، فلما انتهى إلى أولِ مملكةِ رُتْبيلَ تَلَقَّتْه رسلُه يريدون منه الصلحَ على أموالٍ عظيمةٍ؛ خيولٍ ورقيقٍ ونساءٍ مِن بناتِ الملوكِ، يُحمَلُ ذلك إليه، فصالحَه.

وحجَّ بالناسِ فى هذه السنةِ عمرُ بنُ عبدِ العزيزِ نائبُ المدينةِ، رحِمه اللَّهُ.

وتوفِّى فيها من الأعيانِ:

مالكُ بنُ أوسِ بنِ الحَدَثانِ النصرىُّ[3] أبو سعيدٍ المدنىُّ، مختلَفٌ فى

---

(١) فى النسخ: «كش». وانظر معجم البلدان ٤/ ٢٧٣.

(٢) فى الأصل، م: «غورك». وفى ٣١، ٢١، ص: «غور». والمثبت من الطبرى ٦/ ٤٦٢، وانظر الكامل ٤/ ٥٥٤، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٨١ - ١٠٠هـ) ص ٢٥٣.

(٣) فى الأصل: «البصرى». وفى ٣١، م: «النضرى». وانظر ترجمته فى الاستيعاب ٣/ ١٣٤٦،=

صحبتِه . وقال بعضُهم[1] : ركِب الخيلَ فى الجاهليةِ ورأى أبا بكرٍ . وقال محمدُ ابنُ سعدٍ[2] : رأى رسولَ اللَّهِ ﷺ ولم يحفَظْ منه شيئًا . وأنكَر ذلك ابنُ معينٍ والبخاريُّ وأبو حاتمٍ ، وقالوا[3] : لا تصِحُّ له صحبةٌ . واللَّهُ أعلمُ . مات فى هذه السنةِ ، وقيل[4] فى التى قبْلَها . فاللَّهُ أعلمُ .

طُوَيسٌ المغنِّى[5] ، اسمُه عيسى بنُ عبدِ اللَّهِ ، أبو عبدِ المُنْعِمِ المدنىُّ ، مولى بنى مخزومٍ ، كان بارعًا فى صناعتِه ، وكان طويلًا مضْطَرِبًا[6] أحولَ العينِ[7] ، وكان مشئومًا ؛ لأنَّه ولِد يومَ توفِّى رسولُ اللَّهِ ﷺ ، وفطِم يومَ توفِّى الصدِّيقُ ، واحتلَم يومَ قُتِل عمرُ ، وتزوَّج يومَ قُتِل عثمانُ ، وولِد له يومَ قُتِل الحسينُ بنُ علىٍّ ، وقيل : ولِد له يومَ قُتِل علىٌّ . حكاه ابنُ خَلِّكانَ وغيرُه[8] . وكانت وفاتُه فى هذه السنةِ عن ثِنتين وثمانين سنةً بالسُّوَيداءِ[9] ، وهى على مرحلتين من المدينةِ .

الأخطلُ[10] ، كان شاعرًا مُطْبِقًا ، فاق أقرانَه فى الشعرِ .

= وأسد الغابة ٥/ ١١، وتهذيب الكمال ٢٧/ ١٢٢، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٨١ - ١٠٠هـ) ص ٤٦٤، والإصابة ٥/ ٧٠٩.

(١) انظر الطبقات ٥/ ٥٦، وتهذيب الكمال ٢٧/ ١٢٢، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٨١ - ١٠٠هـ) ص ٤٦٤.

(٢) تهذيب الكمال ٢٧/ ١٢٢. وعزاه المزى إلى ابن سعد فى الصغير، وهى الطبقات الصغرى.

(٣) تاريخ ابن معين ٣/ ٥٢، والتاريخ الكبير ٧/ ٣٠٥، والجرح والتعديل ٨/ ٢٠٣.

(٤) تهذيب الكمال ٢٧/ ١٢٤.

(٥) انظر ترجمته فى الأغانى ٣/ ٢٧، ونهاية الأرب ٤/ ٢٤٦، ووفيات الأعيان ٣/ ٥٠٦، وسير أعلام النبلاء ٤/ ٣٦٤، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٨١ - ١٠٠هـ) ص ٣٩٥.

(٦) فى ٣١: « مطربا ».

(٧) فى ٢١: « العينين ».

(٨) وفيات الأعيان ٣/ ٥٠٧، والأغانى ٣/ ٢٧، ونهاية الأرب ٤/ ٢٤٦.

(٩) فى م: « بالسويد ».

(١٠) انظر ترجمته فى: طبقات فحول الشعراء ١/ ٤٥١، والشعر والشعراء ١/ ٤٨٣، والأغانى ٨/ ٢٨٠،=

ثم دخلت سنة ثلاثٍ وتسعين

فيها افتتح مسلمةُ بنُ عبدِ الملكِ حصونًا كثيرةً مِن بلادِ الرومِ ؛ منها حصنُ الحديدِ ، وغَزالةُ ، وماسةُ ، وغيرُ ذلك . وفيها غزا العباسُ بنُ الوليدِ ففتَح سَبَسْطِيَةَ(١) . وفيها غزا مرْوانُ بنُ الوليدِ الرومَ فبلَغ خَنجَرةَ(٢) .

وفيها كتَب خوارزمُ شاه إلى قتيبةَ يدعُوه إلى الصُّلحِ ، وأن يعطِيَه مِن بلادِه مدائنَ ، وأن يدفَعَ إليه أموالًا ورقيقًا كثيرًا على أن يقاتِلَ أخاه ، ويُسلِّمَه إليه ؛ فإنَّه قد أفسَد في الأرضِ وبغَى على الناسِ [١١٧/٧ظ] وعسَفهم ، وكان أخوه هذا لا يسمَعُ بشيءٍ حسَنٍ عندَ أحدٍ إلَّا بعَث إليه فأخَذه منه ، سواءٌ كان مالًا ، أو نساءً ، أو صبيانًا ، أو دوابَّ ، أو غيرَه . فأقبَل قتيبةُ - نصَره اللَّهُ - في الجيوشِ ، فسلَّم إليه خوارزمُ شاه ما صالحَه عليه ، وبعَث قتيبةُ إلى بلادِ أخي خوارزمَ شاه جيشًا ، فقتَلوا منهم خلقًا كثيرًا وأسَروا أخاه ومعه أربعةُ آلافِ أسيرٍ(٣) ، فدفَع أخاه إليه ، وأمَر قتيبةُ بالأُسارَى فضُرِبت أعناقُهم بحضرتِه ؛ قتَل ألفًا بينَ يدَيه ، وألفًا عن يمينِه ، وألفًا عن شِمالِه ، وألفًا مِن وراءِ ظهرِه ؛ ليُرْهِبَ بذلك الأعداءَ ، مِن الأتراكِ وغيرِهم .

= وسير أعلام النبلاء ٤/ ٥٨٩، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٨١ - ١٠٠هـ) ص ٢٨٤، وخزانة الأدب ١/ ٤٥٩.

(١) في النسخ ، وتاريخ الطبرى ٦/ ٤٦٩: « سمسطية » ، والمثبت من الكامل ٤/ ٥٧٨، وانظر معجم البلدان ٣/ ٣٣.

(٢) في النسخ : « حنجرة » . وانظر معجم البلدان ٢/ ٤٧٥.

(٣) بعده في ٣١، ٢١، م : « من كبارهم » .

فتحُ سَمَرْقَنْدَ

وذلك أنَّ قتيبةَ لمَّا فرَغ مِن هذا كلِّه ، وعزَم على الرُّجوعِ إلى بلادِه ، قال له بعضُ الأُمراءِ[1] : إنَّ أهلَ الصُّغْدِ قد أمِنوك عامَك هذا ، فإن رأَيتَ أن تعدِلَ إليهم وهم لا يشعُرون ، فإنَّك متى فعَلتَ ذلك أخذتَها إن كنتَ تريدُها يومًا مِن الدهرِ . فقال قتيبةُ لذلك الأميرِ : هل قلتَ هذا لأحدٍ ؟ قال : لا . قال : فلَئن[2] يسمَعْه منك أحدٌ أضرِبْ عُنُقَك . ثم بعَث قتيبةُ أخاه عبدَ الرحمنِ بنَ مسلمٍ بينَ يدَيه فى عشرين ألفًا فسبَقه إلى سَمَرْقندَ ، ولحِقه قتيبةُ فى بقيةِ الجيشِ ، فلمّا سمِعتِ الأتراكُ بقدومِهم إليهم ، انتخَبوا مِن بينِهم كلَّ شديدِ السطوةِ مِن أبناءِ الملوكِ والأُمراءِ ، وأمَروهم أن يسيروا إلى قتيبةَ فى الليلِ ، فيَكبِسوا جيشَ المسلمين . وجاءتِ الأخبارُ إلى قتيبةَ بذلك ، فجرَّد أخاه صالحًا فى ستِّمائةِ فارسٍ مِن الأبطالِ الذين لا يُطاقونَ ، وقال : خُذوا عليهم الطريقَ . فساروا فوقَفوا لهم فى أثناءِ الطريقِ وتفرَّقوا ثلاثَ فِرقٍ ، فلمّا اجتازوا بهم فى الليلِ - وهم لا يَشعرون بأمرِهم - ثارُوا[3] عليهم فاقتَتلوا هم وإيّاهم ، فلم يُفلِتْ مِن أولئك الأتراكِ إلّا النفرُ اليسيرُ ، واحتزّوا رءوسَهم ، وغنِموا ما كان معهم مِن الأسلحةِ المحُلّاةِ بالذهبِ ، والأمتعةِ ، وقال لهم بعضُ أولئك : تعلَمون أنّكم لم تقتُلوا فى مَقامِكم هذا إلّا ابنَ ملكٍ ، أو بطلًا مِن الأبطالِ المعدودينَ بمائةِ فارسٍ أو بألفِ فارسٍ . فنَفَلهم قتيبةُ جميعَ ما غنِموه منهم مِن ذهَبٍ وسلاحٍ .

---

(١) تاريخ الطبرى ٦/ ٤٧٢، والكامل ٥٧١/٤ بنحوهما .

(٢) فى الأصل، ٣١، ٢١، ص: « فلا » .

(٣) فى م : « نادوا » .

واقترَب قتيبةُ مِن المدينةِ العُظمى التى بالصُّغْدِ ، وهى سَمَرْقَنْدُ ، فنصَب عليها المجانيقَ فرماها بها ، وهو مع ذلك يقاتلُهم لا يُقلِعُ عنهم ، وناصَحه مَن معه مِن أهلِ بُخارى وخوارزمَ ، فقاتَلوا أهلَ الصُّغْدِ قتالًا شديدًا ، فأرسَل إليه غَوْزَكُ ملكُ الصُّغْدِ[1] : إنما تُقاتلُنى بإخوتى[2] وأهلِ بيتى ، فأخرِجْ إلىَّ[3] العربَ . فغضِب عند ذلك قتيبةُ ، وميَّز العربَ مِن العجَمِ وأمَر العجَمَ باعتزالِهم ، وقدَّم الشُّجعانَ مِن العربِ ، [١١٨/٧و] وأعطاهم جيِّدَ السلاحِ ، وانتزَعه مِن أيدى الجبَناءِ ، وزحَف بالأبطالِ على المدينةِ ، ورماها بالمجانيقِ ، فثَلَم فيها ثُلْمَةً ، فسدَّها الترك بغَرائرِ الدُّخْنِ ، وقام رجلٌ منهم فوقَها فجعَل يَشتُمُ قتيبةَ ، فرماه رجلٌ مِن المسلمِين بسهمٍ فقلَع عَيْنَه حتى خرَجَت مِن قفاهُ ، فلم يلبَثْ أن مات - قبَّحه اللَّهُ - فأعطَى قتيبةُ الذى رماه عشرَةَ آلافٍ . ثم دخَل الليلُ ، فلمّا أصبَحوا رماهم بالمجانيقِ فثَلَم أيضا ثُلْمَةً وصعِد المسلمون فوقَها ، وترامَوا هم وأهلُ البلدِ بالنُّشّابِ ، فقالت التركُ لقتيبةَ : ارجِعْ عنا يومَك هذا ، ونحن نصالحُك غدًا . فرجَع عنهم وصالَحوه مِن الغدِ على ألفَىْ ألفِ ومائتَى[4] ألفِ يحمِلونَها إليه فى كلِّ عامٍ ، وعلى أن يُعطوه فى هذه السنةِ ثلاثين ألفَ رأسٍ مِن الرقيقِ ، ليس فيهم صغيرٌ ولا شيخٌ ولا عيبٌ ، وفى روايةٍ[5] : مائةَ ألفٍ مِن رقيقٍ ، وعلى أن يأخذَ حِليةَ الأصنامِ وما فى بيوتِ النيرانِ ، وعلى أن يُخْلُوا المدينةَ مِن المقاتِلةِ حتى يبنىَ فيها قتيبةُ مسجدًا ، ويُوضَعَ له فيه مِنبرٌ يخطُبُ عليه ، ويتغدَّى ويخرُجُ ، فأجابوه

---

(١) فى ٢١: « الترك ».

(٢) فى م: « باخوانى ».

(٣) بعده فى ٣١، ٢١، م، ص: « فى ». وانظر تاريخ الطبرى ٦/ ٤٧٤.

(٤) فى م: « مائة »، وانظر تاريخ الطبرى ٦/ ٤٧٥.

(٥) تاريخ الطبرى ٦/ ٤٧٥، والكامل ٤/ ٥٧٣.

إلى ذلك . فلمّا دخَلها قتيبةُ دخَلها ومعه أربعةُ آلافٍ مِن الأبطالِ ، وذلك بعد أن بُنِى المسجدُ ووُضِع فيه المِنبرُ ، فصلَّى فى المسجدِ ، وخطَب وتغدَّى ، وأُتِى بالأصنامِ التى لهم فسُلِبت بين يديْه ، وأُلْقِيتْ بعضُها فوقَ بعضٍ ، حتى صارت كالقصْرِ العظيمِ ، ثم أمَر بتحريقِها[1] ، وقال المجوسُ : إنَّ فيها أصنامًا قديمةً مَن أحرَقها هلَك . وجاء الملكُ غَوْزَكُ ، فنهَى عن ذلك ، وقال لقتيبةَ : إنِّى لك ناصحٌ[2] . فقال : أنا أُحرِقُها بيدى . [3]ثم أخَذ شعلةً مِن نارٍ[3] ، ثم قام إليها وهو يكبِّرُ اللَّهَ عزَّ وجلَّ ، وألقَى فيها النارَ فاحترَقت ، فوجَد مِن بقايا ما كان فيها مِن الذهبِ خمسين ألفَ مثقالٍ مِن ذهبٍ .

وكان مِن جملةِ ما أصاب قتيبةُ فى السبيِ جاريةٌ مِن ولدِ يَزْدَجِرْدَ ، [4]فأهداها إلى الحجّاج[4] ، فأهداها إلى الوليدِ فولدَت له يزيدَ بنَ الوليدِ . ثم استَدْعى قتيبةُ بأهلِ سَمَرْقَنْدَ فقال لهم : إنِّى لا أريدُ منكم أكثرَ مما صالَحتُكم عليه ، ولكن لابدَّ مِن جندٍ يُقيمونَ عندَكم مِن جهتِنا . فانتقَل عنها ملكُها غَوْزَكُ خان ، فتلا قتيبةُ : ﴿ وَأَنَّهُۥٓ أَهْلَكَ عَادًا ٱلْأُولَىٰ ۝٥٠ وَثَمُودَاْ فَمَآ أَبْقَىٰ ﴾ . الآيات [النجم : ٥٠، ٥١] . ثم ارتحَل عنها قتيبةُ إلى بلادِ مَرْوَ ، واستخلَف على سَمَرْقَنْدَ أخاه عبدَ اللَّهِ بنَ مسلمٍ ، وقال له : لا تدَعَنَّ مشرِكًا يدخلُ بابَ سَمَرْقَنْدَ إلّا مختومَ اليدِ ، ثم لا تدعْه بها إلّا بمقدارِ ما تجِفُّ طينةُ خَتْمِه ، فإن جَفَّت وهو بها فاقتُلْه ، ومَن رأيتَه منهم ومعه حديدةٌ أو سكِّينةٌ فاقتُلْه بها ، وإذا أغلَقتَ البابَ فوجَدتَ بها أحدًا منهم[5] فاقتُلْه .

---

(١) بعده فى ٣١، ٢١، م، ص : « فتصارخوا وتباكوا » .

(٢) بعده فى ٣١، ٢١، م، ص : « فقام قتيبة وأخذ فى يده شعلة نار » .

(٣ - ٣) فى ٣١، ٢١، م، ص : « فكيدونى جميعا ثم لا تنظرون » .

(٤ - ٤) سقط من : م. وانظر تاريخ الطبرى ٦/ ٤٧٦، والكامل ٤/ ٥٧٤.

(٥) سقط من : م.

فقال فى ذلك كعبٌ الأشْقَرِىُّ[١] - [١١٨/٧ظ] ويُقالُ : هى لرجلٍ مِن جُعْفِىٍّ[٢] :

كلَّ يومٍ يَحْوِى قتيبةُ نَهبًا ... ويَزيدُ الأموالَ مالًا جديدا

باهلىٌّ قد أُلبِسَ التاجَ حتى ... شابَ منه مَفارِقٌ كنَّ سودا

دوَّخ الصُّغْدَ بالكتائبِ حتى ... تركَ الصُّغْدَ بالعراءِ قُعُودا

فوليدٌ يبكِى لفقدِ أبيهِ ... وأبٌ مُوجَعٌ يُبَكِّى الوليدا

كلَّما حلَّ بلدةً أو أتاها ... تركَتْ خيلُهُ بها أُخْدودا

وفى هذه السنةِ عزَل موسى بنُ نُصيرٍ نائبُ بلادِ المغربِ مولاه طارقًا عن الأندلسِ[٣] ، وكان قد بعَثه إلى مدينةِ طُلَيطِلَةَ ففتَحها ، فوجَد فيها مائدةَ سليمانَ ابنِ داودَ ، عليهما السلامُ ، وفيها مِن الذهبِ والجواهرِ شىءٌ كثيرٌ جدًّا ، فبعَثوا بها إلى الوليدِ بنِ عبدِ الملكِ ، فما وصَلت إليه حتى مات - [٤]فيما قِيل - فقُدِم بها على سليمانَ بنِ عبدِ الملكِ[٤] ، على ما سيأتى بيانُه فى مَوضِعِه[٥] .

---

(١) فى الأصل : « الأسيرى » . وفى ٣١، ٢١، ص : « الأشترى » . وانظر تاريخ الطبرى ٦/ ٤٨٠، والكامل ٤/ ٥٧٥.

(٢) فى الأصل، ٢١، ص : « جعن » . وفى ٣١: « حمص » . وانظر تاريخ الطبرى ٦/ ٤٨٠، والكامل ٤/ ٥٧٥.

(٣) تاريخ الطبرى ٦/ ٤٨١، والكامل ٤/ ٥٧٦، والمنتظم ٦/ ٣٠٩.

(٤ - ٤) فى ٣١، ٢١، م، ص : « وتولى أخوه سليمان بن عبد الملك فوصلت مائدة سليمان عليه السلام إلى سليمان » .

(٥) بعده فى ٣١، ٢١، م، ص : « وكان فيها ما يبهر العقول ، لم ير منظر أحسن منها . واستعمل موسى ابن نصير مكان مولاه ولده عبد العزيز بن موسى بن نصير . وفيها بعث موسى بن نصير العساكر وبثها فى بلاد المغرب ، فافتتحوا مدنا كثيرة من جزيرة الأندلس منها قرطبة وطنجة ، ثم سار موسى بنفسه إلى غرب الأندلس فافتتح مدينة باجة والمدينة البيضاء وغيرهما من المدن الكبار والأقاليم ومن القرى والرساتيق شيئا كثيرا فكان لا يأتى مدينة فيبرح عنها حتى يفتحها أو ينزلوا على حكمه وجهز البعوث والسرايا غربا وشرقا وشمالا فجعلوا يفتتحون المغرب بلدا بلدا ، وإقليما إقليما ، ويغنمون الأموال ويسبون الذرارى والنساء ، ورجع موسى بن نصير بغنائم وأموال وتحف لا تحصى ولا تعد كثرة » .

وفيها قحَط أهلُ إفريقيَّةَ ، وأجدَبوا جَدْبًا شديدًا ، فخرَج بهم موسى بنُ نُصيرٍ يستسقِي بهم ، فما زال يدعو حتى انتصَف النهارُ ، فلمّا أراد أن ينزِلَ عن المِنبرِ قِيل له : ألَا تدعو لأميرِ المؤمنين ؟ قال : ليس هذا الموضِعُ موضِعَ ذاك . (١ فسقاهم اللَّهُ ١) مطَرًا غزيرًا (٢) .

وفيها ضرَب عمرُ بنُ عبدِ العزيزِ خُبَيبَ بنَ عبدِ اللَّهِ بنِ الزبيرِ خمسين سوطًا بأمرِ الوليدِ له بذلك ، وصبَّ فوقَ رأسِه قِربةً مِن ماءٍ باردٍ في يومٍ شاتٍ (٣) ، وأقامه على بابِ المسجدِ يومَه ذلك فمات ، رحِمه اللَّهُ . فكان عمرُ بنُ عبدِ العزيزِ بعدَ موتِ خُبيبٍ شديدَ الخوفِ لا يأمَنُ ، وكان إذا بُشِّر بشيءٍ ، مِن أمرِ الآخرةِ يقولُ (٤) : وكيف وخبيبٌ لى بالطريقِ ؟ وفى روايةٍ يقولُ : هذا إذا لم يكنْ خبيبٌ بالطريقِ . ثم يصيحُ صِياحَ المرأةِ الثَّكلَى ، وكان إذا أُثْنِى عليه يقولُ (٥) : خُبيبٌ ، وما خُبيبٌ ! إن نجَوتُ منه فأنا بخيرٍ . ومازال على المدينةِ إلى أن ضرَب خُبيبًا فمات ؛ فاستقال ، وركِبه الحزنُ والخوفُ مِن حينئذٍ ، وأخَذ فى الاجتهادِ فى العبادةِ والبكاءِ ، وكانت تلك هفوةً منه وزَلَّةً ، ولكن حصَل له بسببِها خيرٌ كثيرٌ ؛ مِن عبادةٍ وبكاءٍ وحزنٍ وخوفٍ وإحسانٍ وعدلٍ وصدَقةٍ وبرٍّ وعتقٍ ، وغيرِ ذلك .

وفيها افتتَحَ محمدُ بنُ القاسمِ - وهو ابنُ عمِّ الحجَّاجِ بنِ يوسُفَ - مدينةَ الدَّيْبُلِ (٦) ، وغيرَها مِن بلادِ الهندِ ، وكان قد ولّاه الحجاجُ غزوَ الهندِ ، وعمْرُه

(١ - ١) فى ٣١، ٢١، م، ص : « فلما قال هذه المقالة أرسل اللَّه عليهم الغيث فأمطروا » .

(٢) بعده فى م : « وحسن حالهم وأخصبت بلادهم » . وانظر المصادر السابقة .

(٣) فى م : « شتاء بارد » .

(٤) سيرة عمر بن عبد العزيز لابن الجوزى ص ٤٣ بنحوه .

(٥) سير أعلام النبلاء ٥/ ١٢٠ بنحوه .

(٦) مدينة مشهورة على ساحل بحر الهند . معجم البلدان ٢/ ٦٣٨.

سبعَ عشْرَةَ سنةً ، فسار فى الجيوشِ فلقُوا الملكَ داهرَ - وهو ملكُ الهندِ - فى جمعٍ عظيمٍ ، ومعه سبعةٌ وعشرون فيلًا مُنتخَبَةً ، فاقتتَلوا ، فهزمهم اللَّهُ ، وهرَب الملكُ داهرُ ، فلمّا كان الليلُ أقبلَ الملكُ ومعه خلقٌ كثيرٌ جدًّا ، (١فأحاطُوا بالمسلمين١) ، فاقتتَلوا قتالًا شديدًا ، فقُتِل الملكُ داهرُ وغالبُ مَن معه ، وتبِع المسلمون مَن انهزَم مِن الهنودِ فقتَلوه . ثم سار محمدُ بنُ القاسمِ فافتتَح مدينةَ الكَيْرَجِ[٢] ، وبَرَّها ، ورجَع بغنائمَ كثيرةٍ وأموالٍ لا تُحصَى كثرةً ، مِن الجواهرِ والذهبِ وغيرِ ذلك[٣] .

وفيها عزَل الوليدُ عمرَ بنَ عبدِ العزيزِ عن إمْرةِ المدينةِ ، وكان سببَ ذلك أنَّ عمرَ بنَ عبدِ العزيزِ كتَب إلى الوليدِ يُخبِرُه عن أهلِ العراقِ أنَّهم فى ضَيمٍ وضِيقٍ مع الحجاجِ مِن ظلمِه وغَشْمِه ، فسمِع بذلك الحجاجُ فكتَب إلى الوليدِ[٤] : إن عمرَ ضعيفٌ عن إمرةِ (٥المدينةِ ، وإنَّ جماعةً مِن أهلِ الشرِّ مِن أهلِ العراقِ قد لجئوا إلى٥) المدينةِ ومكةَ ، وهذا وَهْنٌ وضَعْفٌ فى الولايةِ ، فاجعَلْ على الحرمينِ مَن يضبِطُ أمرَهما ، فولِّ على المدينةِ عثمانَ بنَ حيّانَ ، وعلى مكةَ خالدَ بنَ عبدِ اللَّهِ القَسْرِيَّ . ففعَل ما أمَره به الحجاجُ ، فخرَج عمرُ بنُ عبدِ العزيزِ مِن المدينةِ فى شوالٍ فنزَل السُّوَيداءَ ، وقدِم عثمانُ بنُ حيّانَ المدينةَ للَيلتينِ بقِيَتا مِن شوالٍ مِن هذه السنةِ .

وحجّ بالناسِ فيها عبدُ العزيزِ بنُ الوليدِ بنِ عبدِ الملكِ .

(١ - ١) سقط من : م .

(٢) فى م : « الكبرج » . انظر فتوح البلدان ٥٣٩، ٥٤١.

(٣) بعده فى ٣١، ٢١، م، ص زيادة من الناسخ .

(٤) تاريخ الطبرى ٦/ ٤٨١، ٤٨٢.

(٥ - ٥) سقط من : م .

ومَّن تُوفِّى فيها مِن الأعيانِ :

أنسُ بنُ مالكِ بنِ النضرِ بنِ ضَمْضَمِ بنِ زيدِ بنِ حَرامِ بنِ جُندَبِ بنِ عامرِ ابنِ غَنْمِ بنِ عدىِّ بنِ النجّارِ ، أبو حمزةَ - [١١٩/٧و] **ويُقالُ : أبو ثُمامةَ** - الأنصاريُّ النجّاريُّ[١] ، خادمُ رسولِ اللَّهِ ﷺ وصاحبُه ، وأمُّه أمُّ حرامٍ مُلَيكةُ بنتُ مِلحانَ بنِ خالدِ بنِ زيدِ بنِ حرامٍ ، زوجةُ أبى طلحةَ زيدِ بنِ سهلٍ الأنصاريِّ . روَى عن رسولِ اللَّهِ ﷺ أحاديثَ جمَّةً ، وأخبَر بعلومٍ مهمةٍ ، وروَى عن أبى بكرٍ ، وعمرَ ، وعثمانَ ، وابنِ مسعودٍ ، وغيرِهم ، وحدَّث عنه خلقٌ مِن التابعينَ . قال أنسٌ[٢] : قدِم رسولُ اللَّهِ ﷺ المدينةَ وأنا ابنُ عشْرِ سنينَ ، وتوُفِّى وأنا ابنُ عشرينَ سنةً .

وقال محمدُ بنُ عبدِ اللَّهِ الأنصاريُّ ، عن أبيه ، عن ثُمامةَ قال[٣] : قيل لأنسٍ : أشهِدْتَ بدرًا ؟ فقال : وأين أغيبُ عن بدرٍ ، لا أمَّ لك ؟ قال الأنصاريُّ : شهِدها يخدُمُ رسولَ اللَّهِ ﷺ . قال شيخُنا الحافظُ أبو الحجاجِ المِزِّيُّ[٤] : لم يذكُرْ ذلك أحدٌ مِن أصحابِ المَغازِى . قلتُ : الظاهرُ أنَّه إنَّما شهِد ما بعدَ ذلك مِن المغازى[٥] . واللَّهُ أعلمُ .

---

(١) الاستيعاب ١/ ١٠٩، وأسد الغابة ١/ ١٥١، والإصابة ١/ ١٢٦.

(٢) مسلم (٢٠٢٩/١٢٥).

(٣) أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ٩/ ٣٦١، والمزى فى تهذيب الكمال ٣/ ٣٦٧، والذهبى فى سير أعلام النبلاء ٣/ ٣٩٧، كلهم من طريق محمد بن عبد اللَّه الأنصارى به .

(٤) تهذيب الكمال ٣/ ٣٦٨.

(٥) فى الأصل : « المشاهد » .

وقد ثبَت[1] أنَّ أمَّه أتتْ به - وفى رِوايةٍ[2] عمُّه زوجُ أمِّه أبو طلحةَ - إلى رسولِ اللَّهِ ﷺ فقالت : يا رسولَ اللَّهِ ، هذا أنسٌ خادمٌ لَبيبٌ يخدُمُكَ . فوهَبتْه [له][3] فقبِله ، وسألتْه أن يدعوَ له ، فقال : « اللهم أكثِرْ مالَه وولدَه ، وأدخِلْه الجنةَ » . وثبَت عنه أنَّه قال[4] : كنَّانى رسولُ اللَّهِ ﷺ ببَقْلةٍ[5] كنتُ أجتَنِيها . وقد استعمَله أبو بكرٍ ، ثم عمرُ على عِمالةِ البحرَينِ ، وشكَراه فى ذلك .

(6) وقد ثبَت عنه أنَّه قال[7] : خدَمتُ النبىَّ ﷺ عَشْرَ سِنينَ فما ضرَبَنى ، ولا سَبَّنى ، ولا عبَس فى وجهِى ، ولا قال لى لشىءٍ : « لِمَ لا فعَلْتَ كذا ؟ » وقيل[8] : إنَّ النبىَّ ﷺ دعا له فقال : « اللهمَّ كثِّرْ مالَه وولدَه ، وطَوِّلْ حياتَه » . وكان أنسٌ رضِى اللَّهُ عنه كثيرَ الصلاةِ والصيامِ والعبادةِ (6) .

وقد انتقَل بعدَ النبىِّ ﷺ فسكَن البصرةَ ، وكان له بها أربعُ دُورٍ ، وقد ناله أذًى مِن جهةِ الحجاجِ ، وذلك فى فتنةِ ابنِ الأشعثِ ؛ توهَّم الحجاجُ منه أنَّه داخلٌ[9] فى الأمرِ ، وأنَّه أفتَى فيه ، فختَمه الحجاجُ فى عنقِه : هذا عتيقُ الحجاجِ .

---

(١) صحيح البخارى (٦٣٣٤، ٦٣٤٤) ، ومسلم (٢٤٨٠، ٢٤٨١) وفيهما : « وبارك له فيما أعطيته » بدلا من : « وأدخله الجنة » .

(٢) طبقات ابن سعد ٧/ ١٩.

(٣) فى النسخ : « منه » . وما أثبتناه إنما هو لمقتضى المعنى .

(٤) الترمذى (٣٨٣٠)، والطبرانى فى الكبير ١/ ٢١٠ (٦٥٦): ضعيف (ضعيف سنن الترمذى ٨٠٢) .

(٥) فى م، ص: « نخلة » .

قال ابن الأثير : أى كناه أبا حمزة ، وقال الأزهرى : البقلة التى جناها أنس كان فى طعمها لذع فسميت حَمْزةً بفعلها . يقال : رمانة حامزة . أى فيها حموضة . النهاية لابن الأثير ١/ ٤٤٠.

(٦ - ٦) سقط من : ٣١، ٢١، م، ص .

(٧) تاريخ دمشق ٩/ ٣٤١، ٣٤٢، بنحوه مطوَّلًا . وسير أعلام النبلاء ٣/ ٣٩٨.

(٨) تاريخ دمشق ٩/ ٣٤٩، وسير أعلام النبلاء ٣/ ٣٩٩.

(٩) فى ٣١، ٢١: « مداخله » ، وفى م : « له مداخلة » .

وقد شكاه أنسٌ - كما قدَّمنا - إلى عبدِ الملكِ ، فكتَب إلى الحجاجِ يعنِّفُه ، ففزِع الحجاجُ مِن ذلك وصالَح أنسًا . وقد وفَد أنسٌ على الوليدِ بنِ عبدِ الملكِ فى أيامِ ولايتِه ، قيل : فى سنةِ ثِنتينِ وتسعينَ ، وهو يبنى جامعَ دِمَشْقَ .

قال مكحولٌ[1] : رأيتُ أنسًا يمشِى فى مسجدِ دِمَشقَ فقمتُ إليه فسألتُه عن الوُضوءِ مِن الجِنازةِ [٧/١١٩ظ] فقال : لا وُضوءَ .

وقال الأوزاعىُّ[2] : حدَّثنى إسماعيلُ بنُ [3] عبيدِ اللَّهِ [3] بنِ أبى المُهاجرِ ، قال : قدِم أنسٌ على الوليدِ ، فقال له الوليدُ : ماذا سمِعتَ مِن رسولِ اللَّهِ ﷺ يذكرُ به الساعةَ ؟ فقال : سمِعتُ رسولَ اللَّهِ ﷺ يقولُ : « أنتم والساعةُ كهاتينِ » . ورَواه عبدُ الرزاقِ بنُ عمرَ[4] ، عن إسماعيلَ ، قال : قدِم أنسٌ على الوليدِ فى سنةِ ثِنتين وتسعينَ . فذكَره .

وقال الزهرىُّ[5] : دخَلتُ على أنسِ بنِ مالكٍ بدِمشقَ وهو يبكِى فقلتُ : ما يُبكيكَ ؟ قال : لا أعرِفُ ممّا كان عليهِ[6] رسولُ اللَّهِ ﷺ وأصحابُه إلّا هذه الصلاةَ ، وقد صنَعتم[7] فيها ما صنَعتم[7] . وفى روايةٍ[8] : وهذه الصلاةُ قد

---

(١) تاريخ دمشق ٩/ ٣٣٤.

(٢) أخرجه الإمام أحمد فى المسند ٣/ ٢٢٣، من طريق الأوزاعى به .

(٣ - ٣) فى ٣١، ٢١، م، ص: « عبد اللَّه » ، وانظر أطراف المسند ١/ ٢٧٩.

(٤) أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ٩/ ٣٣٦، من طريق عبد الرزاق بن عمر به . بنحوه .

(٥) صحيح البخارى (٥٢٩) من طريق غيلان وليس من طريق الزهرى .

(٦) سقط من : م .

(٧) فى الأصل ، ٣١: « ضيعتم » . وكذا فى صحيح البخارى ، وما أثبتناه موافق لإحدى نسخ البخارى . وانظر فتح البارى ٢/ ١٣.

(٨) صحيح البخارى (٥٣٠) من طريق الزهرى به .

ضُيِّعتْ . يعنى ما كان يفعلُه خلفاءُ بنى أُميَّةَ مِن تأخيرِ الصلاةِ إلى آخرِ وقتِها الموسَّعِ ؛ كانوا يواظِبونَ على التأخيرِ إلَّا عمرَ بنَ عبدِ العزيزِ فى أيامِ خلافتِه كما سيأتى .

وقال عبدُ بنُ حميدٍ[1] ، عن عبدِ الرزاقِ ، عن جعفرِ بنِ سليمانَ ، عن ثابتٍ ، عن أنسٍ قال : جاءت بى أمُّ سُلَيمٍ إلى رسولِ اللَّهِ ﷺ وأنا غلامٌ ، فقالت : يا رسولَ اللَّهِ[2] ، أنيسٌ فادعُ اللَّهَ له . فقال : « اللَّهمَّ أكثِرْ مالَه وولدَه وأدخِلْه الجنةَ » . قال : فقد رأيتُ اثنتينِ وأنا أرجو الثالثةَ . وفى روايةٍ[3] : قال أنسٌ : فواللَّهِ إنَّ مالِى لكثيرٌ حتى إنَّ نَخْلِى وكَرْمِى ليُثمِرُ فى السنةِ مرَّتينِ ، وإنّ ولَدى وولَدَ ولدى ليتعادُّون على نحوِ المائةِ . وفى روايةٍ[4] : وإنَّ وَلَدى لِصُلْبى مائةٌ وستةٌ . ولهذا الحديثِ طرُقٌ كثيرةٌ وألفاظٌ منتشرةٌ جدًّا . وفى روايةٍ : قال أنسٌ[5] : وأخبَرَتْنى ابنتى أُمَينةُ[6] أنَّه دُفِن لِصُلْبى إلى حينِ مَقْدَمِ الحجاجِ عشرونَ ومائةٌ . وقد تقصَّى ذلك بطرُقِه وأسانيدِه وأورَد ألفاظَه الحافظُ ابنُ عساكرَ فى ترجمةِ أنسٍ[7] ، وقد أورَدنا طرَفًا مِن ذلك فى كتابِ دلائلِ النبوةِ فى أواخرِ السيرةِ[8] . وللَّهِ الحمدُ .

---

(١) المنتخب من مسند عبد بن حميد (١٢٥٣) .

(٢) بعده فى م : « خويدمك » .

(٣) طبقات ابن سعد ٧/ ١٩، ٢٠، وتاريخ دمشق ٩/ ٣٤٥، وتهذيب الكمال ٣/ ٣٦٤، ٣٦٥.

(٤) تاريخ دمشق ٩/ ٣٤٩، وتهذيب الكمال ٣/ ٣٦٥، وسير أعلام النبلاء ٣/ ٣٩٩.

(٥) صحيح البخارى (١٩٨٢) .

(٦) فى ا ٣١، ٢١، م، ص : « آمنة » .

(٧) تاريخ دمشق ٩/٣٤٥ - ٣٥٥.

(٨) تقدم فى ٨/ ٣٠١.

وقال ثابتٌ لأنسٍ[1] : هل مسّت يدُك كفَّ رسولِ اللَّهِ ﷺ ؟ قال : نعم . قال : فأعطِنيها أقبِّلْها .

وقال محمدُ بنُ سعدٍ[2] ، عن أبي نعيمٍ ، عن يونسَ بنِ أبي إسحاقَ ، عن المِنهالِ بنِ عمرٍو ، قال : كان أنسٌ صاحبَ نعلِ رسولِ اللَّهِ ﷺ وإداوتِه . وقال محمدُ بنُ سعدٍ[3] ، عن مسلم بنِ إبراهيمَ ، عن المثنَّى بنِ سعيدٍ الذَّارعِ[4] ، قال : سمِعتُ أنسَ بنَ مالكٍ يقولُ : [١٢٠/٧و] ما مِن ليلةٍ إلّا وأنا أرى فيها حبيبى ﷺ ثم يبكِى .

وقال أبو داودَ[5] : ثنا الحكمُ بنُ عطيةَ ، عن ثابتٍ ، عن أنسٍ ، قال : إنِّى لأرجو أنْ ألقَى رسولَ اللَّهِ ﷺ فأقولَ : يارسولَ اللَّهِ خُوَيدِمُك .

وقال الإمامُ أحمدُ[6] : حدَّثنا يونسُ ، ثنا حربُ بنُ ميمونٍ ، عن النضْرِ بنِ أنسٍ ، عن أنسٍ ، قال : سألْتُ رسولَ اللَّهِ ﷺ أن يشْفَعَ لى يومَ القيامةِ ، قال : « أنا فاعلٌ » . قلتُ : فأين أطلُبُك يومَ القيامةِ يانبىَّ اللَّهِ ؟ قال : « اطلُبْنى أولَ ما تطلُبُنى على الصِّراطِ » . قلتُ : فإذا لم ألقَكَ ؟ قال : « فأنا عندَ الميزانِ » . قلتُ : فإن لم ألقَكَ عندَ الميزانِ ؟ قال : « فأنا عندَ الحوضِ ، لا أُخطِئُ هذه الثلاثَ مواطنَ يومَ القيامةِ » . ورَواه الترمذىُّ وغيرُه[7] مِن حديثِ حربِ بنِ ميمونٍ أبِى[8]

---

(١) تاريخ دمشق ٩/ ٣٥٧.
(٢) الطبقات ١/ ٤٨٢، من طريق أبى نعيم الفضل بن دكين .
(٣) الطبقات ٧/ ٢٠.
(٤) فى ٣١، ٢١، م، ص: « الذراع » .
(٥) أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ٩/ ٣٥٩، من طريق أبى داود به .
(٦) المسند ٣/ ١٧٨.
(٧) الترمذى (٢٤٣٣) ، وروى وابن عساكر فى تاريخ دمشق ٣٥٩/٩ - ٣٦١ عدة روايات مدارها على حرب بن ميمون به . صحيح (صحيح سنن الترمذى ١٩٨١) .
(٨) فى الأصل، ٣١، ص: « بن » .

الخطابِ[1] الأنصاريُّ به ، وقال : حسنٌ غريبٌ لا نعرِفُه إلّا مِن هذا الوجهِ .

وقال شعبةُ[2] ، عن ثابتٍ ، قال : قال أبو هريرةَ : ما رأيتُ أحدًا أشبهَ صلاةً برسولِ اللَّهِ ﷺ مِن ابنِ أمِّ سُلَيمٍ ، يعنى أنسَ بنَ مالكٍ . وقال أنسُ[3] بنُ سِيرينَ : كان أحسنَ الناسِ صلاةً فى الحَضَرِ والسَّفرِ . وقال أنسٌ[4] : [5]يا ثابتُ[5] خذْ منِّى ، فإنِّى أخذتُ مِن رسولِ اللَّهِ ﷺ ، [6]وأخَذ رسولُ اللَّهِ ﷺ[6] عن اللَّهِ عزَّ وجلَّ ، ولستَ تجِدُ أوثقَ منِّى .

وقال مُعتمِرُ بنُ سليمانَ[7] ، عن أبيه ، سمِعتُ أنسًا يقولُ : ما بقِى أحدٌ صلَّى[8] القبلتَينِ غيرِى .

وقال محمدُ بنُ سعدٍ[9] : حدَّثنا عفانُ ، حدَّثنى شيخٌ لنا يكنَّى أبا حُبَابٍ[10] سمِعتُ الجُرَيْرِىَّ[11] يقولُ : أحرَم أنسٌ مِن ذاتِ عِرْقٍ ، فما سمِعناه متكلِّمًا إلّا

---

(١) بعده فى الأصل : « صاحب الأعية » ، وفى ٣١، ص : « صاحب الأعمه » ، وفى ٢١: « صاحب الأعمسه » ، وفى م : « صاحب الأعمش » . والمثبت من الترمذى . والذى أشارت إليه النسخ بذكر « صاحب الأغمية » هو ميمون بن حرب الأصغر ، أبو عبد الرحمن ، وهو خلط وقع فيه غير واحد . انظر تهذيب الكمال ٥/٥٣١ - ٥٣٨.

(٢) أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ٩/٣٦٢ ، من طريق شعبة به .

(٣) سقط من : ٢١، م . والخبر أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ٩/ ٣٦٢.

(٤) الترمذى (٣٨٣١) بنحوه ، والحاكم فى المستدرك ٣/ ٥٧٤. ضعيف (ضعيف سنن الترمذى ٨٠٣) .

(٥ - ٥) سقط من : ٣١، ٢١، م ، ص .

(٦ - ٦) سقط من : م ، ص .

(٧) صحيح البخارى (٤٤٨٩) .

(٨) بعده فى الأصل ، م : « إلى » .

(٩) الطبقات ٧/٢٢ ، من طريق محمد بن عبد اللَّه الأنصارى عن أبى حباب ، وأخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ٩/٣٦٦ ، من طريق محمد بن سعد عن عفان بن مسلم ، عن أبى حباب به .

(١٠) فى ٢١، ص : « خباب » ، وفى م : « جناب » .

(١١) فى م : « الحريرى » .

بذكرِ اللَّهِ عزَّ وجلَّ حتى أَحَلَّ، فقال لى : يا ابنَ أخى ، هكذا الإحرامُ .

وقال صالحُ بنُ إبراهيمَ بنِ عبدِ الرحمنِ بنِ عوفٍ[1] : [2]دخَل علينا[2] أنسٌ يومَ الجُمُعةِ ، ونحن فى بعضِ أبياتِ أزواجِ النبىِّ ﷺ نتحدَّثُ ، فقال : مَهْ . فلمَّا أُقيمتِ الصلاةُ قال : إنِّى أخافُ أن أكونَ قد أبطَلتُ جمُعتى بقَولى لكم : مَهْ .

وقال ابنُ أبى الدُّنيا[3] : ثنا بشّارُ بنُ موسى الخَفَّافُ ، ثنا جعفرُ بنُ سليمانَ ، عن ثابتٍ ، قال : كنتُ مع أنسٍ [4]فجاء قَهْرَمانُه[4] فقال : يا أبا حمزةَ ، عَطِشتْ أرضُنا . قال : فقام أنسٌ فتوضَّأ ، وخرَج إلى البَرِّيَّةِ ، فصلَّى ركعتينِ ، ثم دعا ، فرأيتُ السحابَ يلتئمُ ثم مطَرتْ حتى[5] مَلأَت كلَّ شىءٍ ، فلمّا سكَن المطرُ ، بعَث أنسٌ بعضَ أهلِه ، فقال : انظُرْ أين بلَغتِ السماءُ . فنظَر فلم تَعْدُ أرضَه إلّا يسيرًا .

وقال الإمامُ أحمدُ[6] : حدَّثنا معاذُ بنُ معاذٍ ، ثنا ابنُ عونٍ ، عن محمدٍ ، قال : كان أنسٌ إذا حدَّث عن رسولِ اللَّهِ ﷺ حديثًا ففرَغ منه قال : أو كما قال رسولُ اللَّهِ ﷺ .

وقال [٧/١٢٠ظ] الأنصارىُّ[7] ، عن ابنِ عونٍ[8] ، عن محمدٍ ، قال : بعَث

---

(١) تاريخ دمشق ٩/ ٣٦٥.

(٢ - ٢) فى الأصل : « دخلنا على » .

(٣) مجابو الدعوة (٤٤) .

(٤ - ٤) فى م : « فجاءت قهرمانة » .

(٥) بعده فى م : « خيل إلينا أنها » .

(٦) المسند ٣/ ٢٠٥.

(٧) أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ٩/٣٦٨ ، من طريق الأنصارى به .

(٨) فى م : « عوف » .

أميرٌ مِن الأمراءِ إلى أنسٍ شيئًا مِن الفَىْءِ ، فقال : أخُمُسٌ ؟ قال : لا . فلم يقبَلْه .

وقال النضرُ بنُ شدّادٍ[1] ، عن أبيه : مرِض أنسٌ ، فقيل له : ألَا ندعو لك الطبيبَ ؟ فقال : الطبيبُ أمْرَضنى .

وقال حنبلُ بنُ إسحاقَ[2] : ثنا أبو عبدِ اللَّهِ الرَّقاشىُّ ، ثنا جعفرُ بنُ سليمانَ ، ثنا علىُّ بنُ يزيدَ ، قال : كنتُ فى القصرِ مع الحجاجِ وهو يعرِضُ الناسَ ليالىَ ابنِ الأشعثِ ، فجاء أنسُ بنُ مالكٍ ، فقال الحجاجُ : هِى يا خبيثُ ، جوّالٌ فى الفِتَنِ ؛ مرَّةً مع علىٍّ ، ومرَّةً مع ابنِ الزبيرِ ، ومرَّةً مع ابنِ الأشعثِ ، أمَا والذى نفسُ الحجاجِ بيدِه لأَستأصِلنَّك كما تُستأصَلُ الصَّمْغَةُ ، ولأُجرِّدنَّك[3] كما يُجرَّدُ الضبُّ . قال : يقولُ أنسٌ : [4]مَن يَعْنى[4] الأميرُ ؟ قال إياكَ أعنى ، أصمَّ اللَّهُ سمعَك . قال : فاسترجَع أنسٌ ، وشُغِل الحجاجُ فخرَج أنسٌ فتبِعناه إلى الرَّحْبةِ ، فقال : لولا أنى ذكرتُ ولدى[5] وخِفتُه عليهم[6] لكلَّمتُه بكلامٍ فى مقامى هذا لا يستحيِينى[7] بعدَه أبدًا .

وقد ذكَر أبو بكرِ بنُ عيّاشٍ[8] أنَّ أنسًا بعَث إلى عبدِ الملكِ يشكو إليه الحجاجَ ويقولُ [9]فى كتابِه : إنِّى خدَمتُ رسولَ اللَّهِ ﷺ عَشْرَ[10] سنين[9] ، واللَّهِ لو أن

---

(١) أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ٣٦٨/٩ ، من طريق النضر به .

(٢) أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ٣٧٢/٩ ، من طريق حنبل بن إسحاق به .

(٣) فى م : « لأخردنك » . ومعنى « لأجردنك » أى لأسلخنّك ، لأن الضّب إذا شُوى جُرد من جِلده . النهاية ١/ ٢٥٧.

(٤ - ٤) فى ٣١، ٢١، ص : « إياى يعنوا » . وفى م : « إياى يعنى » .

(٥) بعده فى ٣١، ٢١، م ، ص : « وفى رواية لولا أنى ذكرت أولادى الصغار » .

(٦) بعده فى ٣١، ٢١، م ، ص : « ما باليت أى قتلة أقتل و » .

(٧) فى ٣١، ٢١، م، ص : « لا يستخفنى » .

(٨) تاريخ دمشق ٣٧١/٩ - ٣٧٢، وتهذيب الكمال ٣/ ٣٧٣، ٣٧٤.

(٩ - ٩) سقط من : ٣١، ٢١، م، ص .

(١٠) فى مصادر التخريج : « تسع » .

اليهودَ والنصارَى (١أدرَكوا رجلًا١) خدَم نبيَّهم لأكرَموه. (٢وذكر له أذِيَّةَ الحجاجِ له، فلمّا قرَأ عبدُ الملكِ كتابَه حصَل عندَه أمرٌ عظيمٌ، فكتَب إليه يقولُ: ويلَك، لقد خَشِيتُ أن لا يَصلُحَ على يدِيَّ[٣] أحدٌ. وذكَر له كلامًا فيه غِلظةٌ ويقولُ فيه٢): إذا جاءك كتابى فقمْ إلى (٤أنسٍ واعتذِرْ إليه. فجاء٤) كتابُ عبدِ الملكِ إلى الحجاجِ بالغِلظةِ (٥فى ذلك، فهَمَّ٥) أن ينهَضَ إليه، فأشار إسماعيلُ بنُ عبدِ اللَّهِ ابنِ أبى المُهاجرِ، الذى قدِم بالكتابِ، (٦أن لا يذهبَ إلى أنسٍ، وأشارَ٦) على أنسٍ أن يُبادرَ الحجاجَ بالمُصالحةِ - وكان إسماعيلُ صديقَ الحجّاجِ - فجاء أنسٌ فقام إليه الحجاجُ يتلقّاهُ، وقال: إنما مَثَلى ومَثَلُك (٧كما قيل٧): إياكِ أعنى واسمَعى يا جارةُ. أرَدتُ أن لا يبقَى لأحدٍ علىَّ مَنطِقٌ.

وقال ابنُ قتيبةَ[٨]: كتَب عبدُ الملكِ إلى الحجّاجِ لمّا قال لأنسٍ ما قال: يا ابنَ المُسْتَفْرِمةِ[٩] بعَجَمِ[١٠] الزَّبيبِ، لقد همَمْتُ أن أرْكُلَك رَكْلةً تهوِى بها إلى نارِ

(١ - ١) فى ا٣، ا٢، م، ص: «رأوا من».
(٢ - ٢) فى ا٣، ا٢، م، ص: «وأنا قد خدمت رسول اللَّه ﷺ عشر سنين. فكتب عبد الملك إلى الحجاج كتابا فيه كلام جد وفيه».
(٣) فى الأصل: «يدك» والمثبت من مصادر التخريج.
(٤ - ٤) فى ا٣، ا٢، م، ص: «أبى حمزة فترضاه وقبل يده ورجله، وإلا حل بك منى ما تستحقه فلما جاء».
(٥ - ٥) فى ا٣، ا٢، م، ص: «والشدة هم».
(٦ - ٦) فى الأصل: «الحجاج».
(٧ - ٧) سقط من: ا٣، ا٢، م، ص.
(٨) غريب الحديث ٣/ ٧٠٩، ٧١١، ٧١٢.
(٩) فى الأصل: «المستفرية»، وفى ا٣: «المستكفرة»، وفى ا٢، ص: «المستنفرة»، وفى م: «المستقرمة». والمثبت من مصدر التخريج.
(١٠) فى م: «عجب».

جهنَّم ، قاتَلك اللَّهُ أُخَيفِشَ العينَينِ ، أُقَيْبِلَ[1] الرِّجلين ، أسودَ الجاعِرتين[2] . ومعنى قولِه : المُسْتَفْرِمةِ[3] بحبِّ[4] الزبيبِ . أى : تُضَيِّقُ فرجَها عندَ الجماعِ به . ومعنى : أركُلُك . أى : أرفُسُك برِجلى . وسيأتى بَسْطُ ذلك فى ترجمةِ الحجاجِ فى سنةِ خمسٍ وتسعين .

[١٢١/٧و] وقال أحمدُ بنُ صالحٍ العِجْلىُّ[5] : لم يُبْتَلَ أحدٌ مِن الصحابةِ إلَّا رجُلين ؛ مُعَيقِيبٌ ، كان به الجُذامُ ، وأنسُ بنُ مالكٍ ، كان به وَضَحٌ . وقال الحميدىُّ[6] ، عن سفيانَ بنِ عُيينةَ ، عن عمرِو بنِ دينارٍ ، عن أبى جعفرٍ ، قال : رأيتُ أنسًا يأكُلُ فرأيتُه يلقَمُ لُقَمًا عِظامًا ، ورأيتُ به وَضَحًا شديدًا .

وقال أبو يعْلَى[7] : حدثنا [8]عبيدُ اللَّهِ[8] بنُ معاذِ بنِ معاذٍ [9]العَنْبَرِىُّ ، ثنا أبى ، ثنا عِمرانُ[9] ، عن أيوبَ ، قال : ضعُف أنسٌ عن الصومِ فصنَع [10]جَفْنةً مِن ثَرِيدٍ[10]

---

(١) فى ا٣، م ، ص : « أقيتل » . والأُقْبَل : والأفحج ؛ وهو الذى تتدانى صدور قدميه ويتباعد عقباهما . النهاية ٤/ ٩.

(٢) فى ا٣، ا٢، ص : « العاجزتين » . وفى م : « العاجزين » .

(٣) فى الأصل : « المستفرية » . وفى ا٣، ص : « المستقرمة » . وفى ا٢: « المستنفرة » . وفى م : « المستقرة » . والمثبت من مصدر التخريج .

(٤) فى م : « عجب » .

(٥) تاريخ دمشق ٩/ ٣٧٥.

(٦) أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ٩/ ٣٧٦، من طريق الحميدى بنحوه . كما أخرجه ابن عساكر – فى الموضع نفسه – من طريق محمد بن حرب المكى بلفظ المصنف .

(٧) مسند أبى يعلى ٧/ ٢٠٤ (٤١٩٤) . قال الهيثمى فى المجمع ٣/ ١٦٤: « ... ورجاله رجال الصحيح » .

(٨ – ٨) فى م : « عبد الله » .

(٩ – ٩) فى ا٣، ا٢، م ، ص : « ابن يزيد » .

(١٠ – ١٠) فى ا٣، ا٢، م ، ص : « طعاما » .

ودعا ثلاثين مِسكينًا فأطعَمَهم . وذكَره البخاريُّ تعليقًا[1] . وقال شعبةُ[2] ، عن موسى السُّنْبُلانيِّ[3] ، قلتُ لأنسٍ : أنت آخِرُ مَن بقِى مِن أصحابِ رسولِ اللَّهِ ﷺ ؟ قال : قد بقِى قومٌ مِن الأعرابِ ، فأمّا مِن أصحابِه فأنا آخِرُ مَن بقِى . وقيل له في مرَضِه[4] : ألَا ندعو لك طبيبًا ؟ فقال : الطبيبُ أمرَضنى . وجعل يقولُ : لقِّنونى لا إلهَ إلا اللَّهُ . وهو مُحتضِرٌ ، فلم يزَلْ يقولُها حتى قُبِض . وكان عندَه عُصيَّةٌ مِن رسولِ اللَّهِ ﷺ فأمَر بها فدُفِنت معه .

قال عمرُ بنُ شبَّةَ وغيرُ واحدٍ[5] : مات وله مائةٌ وسبعُ سنين . وقال الإمامُ أحمدُ في مسندِه[6] : حدَّثنا مُعْتَمِرُ بنُ سليمانَ ، عن حُميدٍ أنَّ أنسًا عُمِّر مائةَ سنةٍ غيرَ سنةٍ[7] . قال الواقديُّ[8] : وهو آخِرُ مَن مات مِن الصحابةِ بالبصرةِ . وكذا قال عليُّ بنُ المدينيِّ والفلّاسُ وغيرُ واحدٍ[9] . وقد اختلَف المؤرِّخون في سنةِ وفاتِه[10] ، فقيل : سنةَ تسعين . وقيل : إحدى وتسعين . وقيل : ثنتَين وتسعين . وقيل : ثلاثٍ وتسعين . وهذا هو المشهورُ وعليه الجمهورُ ، واللَّهُ أعلمُ .

---

(١) فتح البارى ٨/ ١٨٠، باب ﴿أياما معدودات فمن كان منكم مريضا ...﴾ . وانظر تغليق التعليق ٤/ ١٧٧.
(٢) أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ٩/ ٣٧٩، من طريق شعبة به . وانظر تهذيب الكمال ٣/ ٣٧٦.
(٣) فى م : « السنبلاوى » .
(٤) تاريخ دمشق ٩/ ٣٧٨. وتقدم من طريق النضر بن شداد عن أبيه ص ٤٥٣ من هذا الجزء.
(٥) تاريخ دمشق ٣٧٨/٩ ، ٣٨٥ ، ٣٨٦ ، وطبقات ابن سعد ٢٥/٧ ، وتهذيب الكمال ٣٧٦/٣ ، ٣٧٧ .
(٦) المسند ٣/ ١٢٤.
(٧) فى م: « ستة » .
(٨) طبقات ابن سعد ٧/ ٢٦.
(٩) تاريخ دمشق ٣٧٨/٩، ٣٧٩، ٣٨٤.
(١٠) تاريخ دمشق ٣٧٩/٩ - ٣٨٥.

وقال الإمامُ أحمدُ[1] : حدَّثنى أبو نعيمٍ قال : تُوفِّى أنسُ بنُ مالكٍ وجابرُ بنُ زيدٍ فى جمُعةٍ واحدةٍ سنةَ ثلاثٍ وتسعين .

وقال قتادةُ[2] : لمّا مات أنسٌ ، قال مُورِّقٌ العِجْلىُّ : ذهَب اليومَ نصفُ العلمِ . قيل له : وكيف ذاك يا أبا المعتَمِرِ ؟ قال : كان الرجلُ مِن أهلِ الأهواءِ ، إذا خالَفونا فى الحديثِ عن رسولِ اللَّهِ ﷺ ، قلنا لهم : تعالَوا إلى مَن سمِعه منه .

عمرُ بنُ عبدِ اللَّهِ بنِ أبى ربيعةَ بنِ المغيرةِ بنِ عبدِ اللَّهِ بنِ عمرَ بنِ مخزومٍ ، المخزومىُّ ، الشاعرُ المشهورُ[3] ، يقال : إنَّه وُلِد يومَ تُوفِّى عمرُ بنُ الخطابِ ، وخُتِن يومَ مقتلِ عثمانَ ، وتزوَّج يومَ مقتلِ علىٍّ . فاللَّهُ أعلمُ . وكان مشهورًا بالتغزُّلِ المَليحِ البليغِ ، كان يتغزَّلُ فى امرأةٍ يقال لها : الثُّرَيّا بنتُ علىِّ بنِ عبدِ اللَّهِ الأمويةُ . وقد تزوَّجها سهلُ بنُ عبدِ الرحمنِ بنِ عوفٍ الزهرىُّ ، فقال فى ذلك [١٢١/٧ظ] عمرُ بنُ أبى ربيعةَ[4] :

أيُّها المُنكِحُ الثُّرَيّا سُهَيْلًا ... عَمْرَكَ اللَّهَ كيفَ يلتَقيانِ
هى شامِيَّةٌ إذا ما استَقَلَّتْ ... وسهيلٌ إذا استقلَّ يمانِى

ومِن مُستجادِ شعْرِه ما أورَده القاضى ابنُ خَلِّكانَ[5] :

حىِّ طيفًا مِن الأحبَّةِ زارا ... بعد ما صرَّع[6] الكَرَى السُّمّارا

---

(١) أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ٣٨٤/٩ ، من طريق أحمد بن حنبل به .

(٢) التاريخ الكبير ٢/ ٢٨، وتاريخ دمشق ٩/ ٣٨٦.

(٣) انظر ترجمته فى : الشعر والشعراء ٢/ ٥٥٣، والأغانى ١/ ٦١، ووفيات الأعيان ٣/ ٤٣٦، وسير أعلام النبلاء ٤/ ٣٧٩.

(٤) ديوان عمر بن أبى ربيعة ص ٥٠٣.

(٥) وفيات الأعيان ٣/ ٤٣٩، والأبيات فى ديوانه ص ٤٩٣.

(٦) فى النسخ : «برح» . والمثبت من مصدرى التخريج .

طارقًا فى المنامِ تحتَ[1] دُجَى الليـ ـلِ ضنينًا[2] بأن يَزورَ نَهارا
قلتُ ما بالُنا جُفِينا وكنّا قبلَ ذاكَ الأسماعَ والأبصارا
قال إنّا كما عهِدتَ ولكِن شغَلَ الحَلْىُ أهلَه أن يُعارا[3]

---

(١) فى النسخ: «بعد». والمثبت من مصدر التخريج.

(٢) فى الأصل: «حيقنا». وفى ٣١، م، ص: «خفيا».

(٣) بعده فى ٣١ ، م ، ص : «بلالُ بنُ أبى الدّرداءِ وَلِى إمْرةَ دمشقَ ، ثم وَلِى القضاءَ بها ، ثم عزَله عبدُ الملكِ بأبى إدريسَ الخوْلانىّ . كان بلالٌ حسَنَ السيرةِ ، كثيرَ العِبادةِ ، والظاهرُ أنَّ هذا القبرَ الذى بباب الصغيرِ الذى يقالُ له : قبرُ بلالٍ . إنّما هو قبرُ بلالِ بن أبى الدرداءِ ، لا قبرُ بلالِ بنِ حَمامةَ مؤذِّنِ رسولِ اللّهِ ﷺ ، فإنَّ بلالًا المؤذنَ دُفِن بداريّا . واللّهُ أعلمُ . بُسرُ بنُ سعيدٍ المدنىُّ ، السيدُ العابدُ الفقيهُ ، كان مِن العبّادِ المنقَطِعين ، الزُّهادِ المعروفِين ، تُوفِّى بالمدينةِ . زُرارةُ بنُ أوفَى بنِ حاجبِ العامرىُّ ، قاضِى البصرةِ ، كان من كبارِ علماءِ أهلِ البصرةِ وصلحائِها ، له رواياتٌ كثيرةٌ ، قرَأ مرةً فى صلاةِ الصبحِ سورةَ المدَّثرِ فلمّا بلَغ ﴿فَإِذَا نُقِرَ فِي ٱلنَّاقُورِ﴾ [المدثر: ٨] خرّ ميّتًا . توفِّى بالبصرةِ وعمرُه نحوَ سبعين سنةً . خُبيبُ بنُ عبدِ اللّهِ بنِ الزبيرِ ، ضرَبه عمرُ بنُ عبدِ العزيزِ بأمرِ الوليدِ له فى ذلك فمات ، ثم عُزِل عمرُ بعدَه بأيامٍ قليلةٍ ، فكان يتأسَّفُ على ضرْبِه له ويبكِى . مات بالمدينةِ . حفصُ بنُ عاصمِ بنِ عمرَ بنِ الخطابِ المدنىُّ ، له رواياتٌ كثيرةٌ ، وكان مِن الصالحِين . توفِّى بالمدينةِ . سعيدُ بنُ عبدِ الرحمنِ بن عتّابِ بنِ أَسِيدٍ الأموىُّ ، أحدُ الأشرافِ بالبصرةِ ، كان جوَادًا ممدَّحًا ، وهو أحدُ الموصوفِين بالكرَمِ ، قيل : إنَّه أعطى بعضَ الشعراءِ ثلاثين ألفًا . فروةُ بنُ مجالدٍ قيل : إنَّه كان مِن الأبدالِ ، أُسِر مرةً وهو فى غزوةٍ هو وجماعةٌ معه ، فأتَوا بهم الملكَ ، فأمَر بتقييدِهم وحبسِهم فى المكانِ والاحترازِ عليهم إلى أن يُصبِحَ ، فيرَى فيهم رأيَه ، فقال لهم فروةُ : هل لكم فى المُضِىِّ إلى بلادِنا ؟ فقالوا : أوَ ما ترَى ما نحن فيه مِن الضِّيقِ ؟ فلمَس قُيودَهم بيدِه فزالتْ عنهم ، ثم أتى بابَ السجنِ فلمَسه بيدِه فانفتَح ، فخرَجوا منه ومضَوا ، فأدرَكوا جيشَ المسلمين قبلَ وصولِهم إلى البلدِ . أبو الشَّعْثاءِ جابرُ بنُ زيدٍ كان لا يماكِسُ فى ثلاثٍ ؛ فى الكَرْىِ إلى مكةَ ، وفى الرقَبةِ يشترِيها للعِتقِ ، وفى الأُضحيةِ . وقال : لا تماكِسْ فى شىءٍ يُتقرَّبُ به إلى اللّهِ . وقال ابنُ سِيرينَ : كان أبو الشعثاءِ مسلِمًا عندَ الدينارِ والدرهمِ . قلتُ : كما قيل :

إنِّى رأيتُ فلا تظنُّوا غيرَه أنَّ التورُّعَ عندَ هذا الدرهمِ
فإذا قدَرْتَ عليه ثم تركتَه فاعلمْ بأنَّ تُقاكَ تقْوَى المسلمِ

وقال أبو الشَّعثاءِ : لأَنْ أتصدقَ بدرهمٍ على يتيمٍ ومسكينٍ أحبُّ إلىَّ مِن حَجةٍ بعدَ حَجةِ الإسلامِ . كان أبو الشعثاءِ مِن الذين أوتوا العلمَ ، وكان يُفتِى فى البصرةِ ، وكان الصحابةُ مثلَ جابرِ بنِ عبدِ اللّهِ ، إذا سأله أهلُ البصرةِ عن مسألةٍ يقولُ : كيف تسألونا وفيكم أبو الشعثاءِ ؟ وقال له ابنُ عمرَ: يا جابرُ بنَ زيدٍ ، إنَّك مِن فقهاءِ البصرةِ ، وإنَّك ستُسْتفتَى فلا تُفتِيَنَّ إلّا بقرآنٍ ناطقٍ ، أو سُنةٍ ماضيةٍ ، فإنَّك إن فعلتَ غيرَ =

....

= ذلك ، فقد هلكتَ وأهلكتَ . وقال عمرُو بنُ دينارٍ : ما رأيتُ أحدًا أعلمَ بفُتْيا مِن جابرِ بنِ زيدٍ . وقال إياسُ بنُ معاويةَ : أدركتُ أهلَ البصرةِ ، ومُفْتيهم جابرُ بنُ زيدٍ مِن أهلِ عمانَ . وقال قتادةُ لمَّا دُفِن جابرُ بنُ زيدٍ : اليومُ دفِن أعلمُ أهلِ الأرضِ . وقال سفيانُ بنُ عيينةَ ، عن عمرِو بنِ دينارٍ ، قال أبو الشعثاءِ : كتَب الحكمُ بنُ أيوبَ نفَرًا للقضاءِ أنا أحدُهم - أى عمرٌو - فلو أنِّى ابتُليتُ بشىءٍ منه ، لركِبتُ راحِلَتى وهرَبتُ فى الأرضِ . وقال أبو الشعثاءِ : نظَرتُ فى أعمالِ البِرِّ ، فإذا الصلاةُ تُجهِدُ البدنَ ولا تُجهِدُ المالَ ، والصيامُ مثلُ ذلك ، والحَجُّ يُجهِدُ المالَ والبدنَ ، فرأيتُ أن الحَجَّ أفضلُ مِن ذلك . وأخَذ مرةً قصبةً مِن حائطٍ ، فلمَّا أصبَح ردَّها فى الحائطِ ، وكان الحائطُ لقومٍ فقال : لو كان كلُّ مَن مرَّ به أخَذ منه قصبةً ، لم يبقَ منه شىءٌ . وقال أبو الشعثاءِ : إذا جئتَ يومَ الجُمُعةِ إلى المسجدِ ، فقِفْ على البابِ وقلْ : اللهمَّ اجعَلْنى اليومَ أوجهَ مَن توجَّه إليك ، وأقربَ مَن تقرَّب إليك ، وأنجَحَ مَن دعاك ، ورغِب إليك . وقال سيَّارٌ : حدَّثنا حمادُ ابنُ زيدٍ ، ثنا الحجَّاجُ بنُ أبى عيينةَ ، قال : كان جابرُ بنُ زيدٍ يأتِينا فى مصلَّانا ، قال : فأتانا ذاتَ يومٍ ، وعليه نعلانِ خَلِقانِ ، فقال : مضَى مِن عمرِى ستون سنةً نعلاى هاتان أحبُّ إلىَّ ممَّا مضَى منه إلَّا أن يكونَ خيرًا قدَّمتُه . وقال صالحٌ الدَّهَّانُ : كان جابرُ بنُ زيدٍ إذا وقَع فى يدِه درهمٌ سُتُّوقٌ كسَره ورمَى به ؛ لِئلَّا يُغَرَّ به مسلمٌ . السُّتُّوقُ ؛ الدرهمُ المغايرُ أو الدَّغَلُ ، وقيل : هو المغشوشُ . وروَى الإمامُ أحمدُ ، حدَّثنا أبو عبدِ الصمدِ العَمِّىُّ ، حدَّثنا مالكُ بنُ دينارٍ قال : دخَل علىَّ جابرُ بنُ زيدٍ وأنا أكتُبُ المصحفَ ، فقلتُ له : كيف ترَى صنعتى هذه يا أبا الشعثاءِ؟ قال : نِعْمَ الصنعةُ صنعتُك ، تنقُلُ كتابَ اللَّهِ مِن ورقةٍ إلى ورقةٍ ، وآيةٍ إلى آيةٍ ، وكلمةٍ إلى كلمةٍ ، هذا الحلالُ لا بأسَ به . وقال مالكُ بنُ دينارٍ : سألتُه عن قولِه تعالى ﴿ إِذًا لَّأَذَقْنَٰكَ ضِعْفَ ٱلْحَيَوٰةِ وَضِعْفَ ٱلْمَمَاتِ ﴾ [الإسراء : ٧٥] . قال : ضعفُ عذابِ الدُّنيا ، وضعفُ عذابِ الآخرةِ ، ﴿ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ عَلَيْنَا نَصِيرًا ﴾ . وقال سفيانُ : حدَّثنى أبو عُميرٍ ، الحارثُ بنُ عميرٍ ، قال : قالوا لجابرِ بنِ زيدٍ عندَ الموتِ : ما تشتَهى أو ما تريدُ ؟ قال : نظرةً إلى الحسنِ . وفى روايةٍ عن ثابتٍ قال : لمَّا ثقُل على جابرِ بنِ زيدٍ ، قيل له : ما تشتَهى ؟ قال : نظرةً إلى الحسنِ . قال ثابتٌ : فأتَيتُ الحسنَ فأخبَرتُه ، فركِب إليه ، فلمَّا دخَل عليه ، قال لأهلِه : أرفِدُونى فجلَس ، فما زال يقولُ : أعوذُ باللَّهِ مِن النارِ وسوءِ الحسابِ . وقال حمَّادُ بنُ زيدٍ : حدَّثنا حجَّاجُ بنُ أبى عيينةَ ، عن هندِ بنتِ المهلَّبِ بنِ أبى صُفْرةَ - وكانتْ مِن أحسنِ النساءِ - وذكَروا عندَها جابرَ بنَ زيدٍ ، فقالوا : إنَّه كان إباضيًّا . فقالتْ : كان جابرُ بنُ زيدٍ أشدَّ الناسِ انقطاعًا إلىَّ وإلى أمِّى ، فما أعلَمُ شيئًا كان يقرِّبُنى إلى اللَّهِ ، عزَّ وجلَّ ، إلَّا أمَرنى به ، ولا شيئًا يُباعِدُنى عن اللَّهِ إلَّا نَهانى عنه ، وما دَعانى إلى الإباضيَّةِ قطُّ ، ولا أمَرنى بها ، وإنْ كان ليأمُرُنى أن أضَعَ الخِمارَ ، ووضَعتْ يدَها على الجبْهةِ . أسنَد عن جماعةٍ مِن الصحابةِ ، ومعظمُ روايتِه عن ابنِ عمرَ ، وابنِ عباسٍ » ، وقد صرح فى المخطوط ٣١ ، أنها زيادة .

ثم دخلت سنةُ أربعٍ وتسعين

فيها غزا العباسُ بنُ الوليدِ أرضَ الرومِ، فقيل[1]: إنه فتَح أَنطاليَةَ[2].

وغزا أخوه عبدُ العزيزِ بنُ الوليدِ فبلَغ غَزالةَ، وبلَغ الوليدُ بنُ هشامٍ المُعَيطِيُّ أرضَ برجِ الحَمامِ، وبلغ يزيدُ بنُ أبى كَبْشةَ أرضَ سورِيَّةَ.

وفيها كانت الرجفةُ بالشامِ.

[3]وفيها افتتَح مسلمةُ بنُ عبدِ الملكِ سَنْدَرَةَ من أرضِ الرومِ.

وفيها فتَح اللَّهُ على الإسلامِ فتوحاتٍ عظيمةً فى دولةِ الوليدِ بنِ عبدِ الملكِ، على يدَىْ أولادِه وأقربائِه وأمرائِه، حتى عاد الجهادُ شبيهًا بأيامِ عمرَ بنِ الخطابِ، رضِى اللَّهُ عنه[3].

وفيها افتتَح القاسمُ بنُ محمدٍ الثقفىُّ أرضَ الهندِ، [3]وغنِم أموالًا لا تُعَدُّ، ولا تُوصَفُ[3]، وقد ورَد فى غزوِ الهندِ حديثٌ [3]رَواه الحافظُ ابنُ عساكرَ وغيرُه[4][3].

وفيها غزا قتيبةُ بنُ مسلمٍ الشاشَ[5] وفَرْغانةَ[6] حتى بلَغ خُجَنْدةَ[7]،

---

(١) تاريخ الطبرى ٦/ ٤٨٣، والكامل ٤/ ٥٨٢.

(٢) فى النسخ، والطبرى، والكامل: «أنطاكية». والصواب ما أثبتناه. فأنطالية بلدة على الساحل. معجم البلدان ١/ ٣٨٨. أما أنطاكية فهى فى الداخل وفتحت أيام عمر بن الخطاب، كما فى فتوح البلدان ١/ ١٧٤، ١٧٥، والكامل ٢/ ٤٩٤.

(٣ - ٣) سقط من: الأصل.

(٤) تقدم تخريجه فى ٩/ ٢١٨. ورواية ابن عساكر لم أقف عليها.

(٥) من بلاد ما وراء النهر ثم ما وراء نهر سيحون، متاخمة لبلاد الترك. معجم البلدان ٣/ ٢٣٣.

(٦) مدينة وكورة واسعة بما وراء النهر متاخمة لبلاد تركستان. معجم البلدان ٣/ ٨٧٨.

(٧) بلدة مشهورة بما وراء النهر على شاطئ سيحون، متاخمة لفرغانة. معجم البلدان ٢/ ٤٠٤.

وكاشانَ[١] مدينتَىْ فَرْغانةَ ، وذلك بعدَ فراغِه من الصُّغْدِ ، وفتحِ سَمَرقَندَ ، [٢]ثم خاضَ تلك البلادَ ، يفتَحُ فيها حتى وصَل إلى كابُلَ ، فحاصرَها وافتتَحها[٢] ، وقد لقِيَه المشركون فى جموعٍ هائلةٍ من التركِ فقاتَلهم قتيبةُ عند خُجَنْدَةَ مِرارًا . [٣]كلُّ ذلك يكونُ الظفَرُ له[٣] .

قال ابنُ جريرٍ[٤] : وقد قال سَحْبانُ وائلٍ يذكُرُ قِتالَهم بخُجَنْدةَ[٥] :

فسلِ الفوارسَ فى خُجَنْـ ـدَةَ تحت مُرهَفةِ العوَالى
هلْ كنتُ أجمَعُهُم[٦] إذا هُزِموا وأُقدِمُ فى قِتالى
أمْ كنتُ أضرِبُ هامةَ الـ ـعاتى وأصْبِرُ للنِّزَالِ
هذا وأنتَ قريعُ قيـ ـسٍ كلِّها ضخمُ النَّوالِ
وفضَلتَ قيسًا فى النَّدَى وأبوكَ فى الحِجَجِ الخوالى
تمَّت مروءتُكمْ [٧]ونا غَى[٧] عزُّكم غُلبَ الجبالِ
ولقدْ تبينَ عدلُ حُكـ ـمِك فيهمُ فى كلِ مَالِ[٨]

هكذا ذكَر ابنُ جريرٍ أنَّ هذا من شعرِ سَحْبانَ وائلٍ فى هذه الغزوةِ . وقد

---

(١) مدينة بما وراء النهر ، على بابها وادى أخسيكث . معجم البلدان ٤/ ٢٢٧.

(٢ - ٢) سقط من : الأصل. وانظر تاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٨١ - ١٠٠هـ) ص ٢٦٠.

(٣ - ٣) فى ٣١، ٢١، م ، ص : «وظفر بهم ، وأخذ البلاد منهم ، وقتل منهم خلقا وأسر آخرين ، وغنم أموالا كثيرة» .

(٤) تاريخ الطبرى ٦/ ٤٨٤. وانظر الكامل ٤/ ٥٨١.

(٥) بعده فى ٣١، ٢١، م ، ص : «التى هى قريبة من بلاد الصين أبياتا فى ذلك» .

(٦) فى الأصل ، ٣١، ٢١، ص : «أحميهم» .

(٧ - ٧) فى الأصل ، ٣١، ٢١، ص : «ونامى» .

(٨) فى ٢١، والكامل : «حال» .

ذكَرنا ما أورَده ابنُ الجَوزىُّ فى منتظَمِه[1]؛ أنَّ سحبانَ مات فى خلافةِ معاويةَ بنِ أبى سُفيانَ بعدَ الخمسين، فاللَّهُ أعلَمُ.

مقتلُ سعيدِ بنِ جُبَيْرٍ، رحِمه اللَّهُ

قال ابنُ جريرٍ[2]: وفى هذه السنةِ [١٢٢/٧و] قتَل الحجّاجُ بنُ يوسفَ سعيدَ ابنَ جُبيرٍ، وكان سببَ ذلك أنَّ الحجّاجَ كان قدْ جعَله على نفقاتِ الجندِ حينَ بعَثه مع عبدِ الرحمنِ بنِ محمدِ بنِ الأشعثِ إلى قتالِ رُتْبِيلَ، فلمّا خلَعه ابنُ الأشعثِ، خلَعه معه سعيدُ بنُ جُبيرٍ، فلمّا ظفِر الحجّاجُ بابنِ الأشعثِ وأصحابِه، هرَب سعيدُ بنُ جُبيرٍ إلى أصبهانَ، فكتَب الحجاجُ إلى نائبِها أن يبعَثه إليه، [3]فلمّا سمِع بذلك سعيدٌ هرَب[3] منها، ثم كان يعتمِرُ فى كلِّ سنةٍ ويَحُجُّ، ثم إنه لجأَ إلى مكةَ، فأقام بها إلى أن وَلِيها خالدُ بنُ عبدِ اللَّهِ القَسْرىُّ، فأشار مَن أشار على سعيدٍ بالهرَبِ منها، فقال [4]سعيدٌ: واللَّهِ لقد[4] استحيَيْتُ من اللَّهِ، مِمَّ أفِرُّ ولا مَفرَّ مِن قَدَرِه ؟!

وتولَّى على المدينةِ عثمانُ بنُ حيّانَ بدلَ عمرَ بنِ عبدِ العزيزِ، فجعَل يبعَثُ مَن بالمدينةِ مِن أصحابِ ابنِ الأشعثِ مِن أهلِ العِراقِ إلى الحجاجِ فى القيودِ، فتعلَّم منه خالدُ بنُ عبدِ اللَّهِ القَسْرىُّ، فعيَّن مَن عندَه مِن مكةَ؛ سعيدَ بنَ جُبيرٍ، وعطاءَ

---

(١) فى م: «منظمه». وانظر المنتظم ٥/ ٢٨٣.

(٢) تاريخ الطبرى ٤٨٧/٦ - ٤٩١. وانظر الكامل ٤/ ٥٧٩، ٥٨٠.

(٣ - ٣) فى الأصل: «فهرب».

(٤ - ٤) فى الأصل: «قد».

ابنَ أبى رباحٍ ، ومجاهدَ بنَ جَبرٍ[1] ، وعمرَو بنَ دينارٍ ، وطلقَ بنَ حَبيبٍ .

ويقالُ : إنَّ الحجاجَ كتَبَ[2] إلى الوليدِ يُخبِرُه أنّ بمكةَ أقوامًا من أهلِ الشقاقِ ، فبعَث خالدٌ بهؤلاءِ إليه ، ثم عفا عن عطاءٍ ، وعمرِو بنِ دينارٍ ؛ لأنَّهما من أهلِ مكةَ ، وبعَث بأولئك الثلاثةِ ؛ فأما طلقٌ فمات فى الطريقِ قبلَ أنْ يَصِلَ ، وأما مجاهدٌ فحُبِس[3] حتى مات الحجاجُ .

وأما سعيدُ بنُ جُبيرٍ فإنه لمّا وقَف بين يدَىِ الحجاجِ ، قال له : يا سعيدُ ، أَلَمْ أُشرِكْكَ فى أمانتى ؟ أَلم أَستعمِلْكَ ؟ أَلم أفعَلْ ، أَلم أفعَلْ ؟ كلُّ ذلك يقولُ : نعم . حتى ظنَّ مَن عندَه أنه سيُخلِى سبيلَه ، حتى قال له : فما حمَلكَ على أنْ خرجتَ علىَّ ، وخلَعتَ بيعةَ أميرِ المؤمنين ؟ فقال سعيدٌ : إن ابنَ الأشعثِ أخَذ منى البيعةَ على ذلك ، وعزَم علىَّ . فغضِب عند ذلك الحجّاجُ غضَبًا شديدًا ، وانتفَخ حتى سقَط أحدُ طرفَىْ ردائِه عن مَنكِبِه ، وقال له : ويحَك ، أَلَمْ أَقدَمْ مكةَ ، فقتَلتُ ابنَ الزبيرِ ، وأخذتُ بيعةَ أهلِها ، وأخذتُ بيعتَك لأميرِ المؤمنين عبدِ الملكِ ؟ قال : بلى . قال : ثم قدِمتُ الكوفةَ واليًا على العراقِ فجدَّدتُ لأميرِ المؤمنين البيعةَ فأخذتُ بيعتَك له ثانيةً ؟ قال : بلى . قال : فتنكُثُ بيعتَين لأميرِ المؤمنين ، وتفِى بواحدةٍ للحائكِ ابنِ الحائكِ ؟ يا حَرَسىُّ ، اضرِبْ عنقَه . قال : فضُرِبتْ عنقُه ، فندَر[4] رأسُه ، عليه لاطِئةٌ صغيرةٌ بيضاءُ .

---

(١) فى ٣١: «جبير». وهو مجاهد بن جبر، ويقال له: ابن جبير. انظر تهذيب الكمال ٢٧/ ٢٢٨. وعلق محقق الطبرى، قال: مجاهد هو أبو حَصين عثمان بن عاصم. وهو خلط، فليسا بواحد؛ فأبو حصين من الرواة عن مجاهد. وانظر تهذيب الكمال ١٩/ ٤٠١، ٢٧/ ٢٣١.

(٢) فى ٣١، ٢١، م، ص: «أرسل».

(٣) بعده فى ٣١، ٢١، م، ص: «فمازال فى السجن».

(٤) فى م: «فبدر».

(1) وقال الواقديُّ(2) : لمّا أُوقِف سعيدُ بنُ جُبيرٍ قدَّامَ الحجاجِ ، قال : ياشَقِيُّ بنَ كُسيرٍ ، أمَا قدِمتَ الكوفةَ فجعَلتُك إمامًا ؟ قال : بلى . قال : أما [122/7ظ] ولَّيتُك القضاءَ ، فضَجَّ أهلُ الكوفةِ : إنه لا يصلُحُ للقضاءِ إلّا عربيٌّ . فجعَلتُ أبا بُردةَ ، وأمَرتُه أن لا يقطَعَ أمرًا دونَك ؟ قال : بلى . قال : أمَا أعطَيتُك مائةَ ألفٍ تُفرِّقُها على أهلِ الحاجةِ ؟ قال : بلى . قال : فما أخرَجك علىَّ ؟ قال : بيعةٌ كانت فى عُنُقِى لابنِ الأشعثِ . فغضِب الحجاجُ ، وقال : أمَا كانت بيعةُ أميرِ المؤمنين فى عنُقِك مِن قبلُ ؟ ثم قال(3) : أكفَرتَ إذ خرَجتَ علىَّ ؟ فقال : ما كفَرتُ منذُ آمَنتُ . فقال : اختَرْ أىَّ قِتلةٍ أقتُلُك . فقال : اختَرْ أنت ، فإنَّ القِصاصَ أمامَك . فقال الحجاجُ : يا حَرَسِىُّ ، اضرِبْ عنُقَه . وذلك فى رمضانَ سنةَ خمسٍ وتسعين ، بواسطٍ ، وقبرُه ظاهرٌ يُزارُ .

ولـمّا قتَله خرَج منه دمٌ كثيرٌ حتى راع الحجاجَ ، فدعا طبيبًا ، فسأله عن ذلك ، فقال(4) : إنَّك قتَلتَه ونفسُه معه ، وقلبُه حاضِرٌ . وقيل(5) : إن الحجاجَ رُئِى فى المنامِ ، فقيل له : ما فعَل اللَّهُ بك ؟ فقال : قتَلنى بكلِّ رجلٍ قتَلتُه قَتْلةً ، وقتَلنى بسعيدِ بنِ جُبيرٍ اثنتين وسبعين قَتْلةً . واللَّهُ أعلمُ(1) .

(1 - 1) فى 31، 12، م، ص : « وقد ذكر الواقدى نحو هذا ، وقال له : أما أعطيتك مائة ألف ؟ أما فعلت ، أما فعلت ؟ » .

(2) وفيات الأعيان 2/ 373، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات 81 - 100هـ) ص 367، 368، وسير أعلام النبلاء 4/ 328، والوافى بالوفيات 15/ 207، بنحوه من غير طريق الواقدى .

(3) تاريخ الإسلام (حوادث ووفيات 81 - 100هـ) ص 368، وسير أعلام النبلاء 4/ 338.

(4) وفيات الأعيان 2/ 374، وتاريخ الإسلام (81 - 100هـ) ص 368، وسير أعلام النبلاء 4/ 340، 341، بنحوه .

(5) وفيات الأعيان 2/ 374، وتاريخ الإسلام (81 - 100هـ) ص 369، بنحوه .

قال ابنُ جريرٍ[1] : فحدِّثتُ عن أبى غسَّانَ مالكِ بنِ إسماعيلَ ، قال : سمِعتُ خلَفَ بنَ خليفةَ يذكُرُ عن رجلٍ ، قال : لمّا قتَل الحجاجُ سعيدَ بنَ جُبيرٍ فندَر رأسُه ، هلَّل ثلاثًا ؛ مرةً يفصِحُ بها ، وفى الثِّنتَينِ يقولُ مثلَ ذلك ، لا يُفصِحُ بها .

وذكَر أبو بكرٍ[2] الباهلىُّ قال[3] : سمِعتُ أنسَ بنَ أبى شيخٍ يقولُ : لمّا أُتى الحجاجُ بسعيدِ بنِ جبيرٍ ، قال : لعَن اللَّهُ ابنَ النصرانيةِ - يعنى خالدًا القسْرىَّ ، وكان هو الذى أرسَل به مِن مكةَ - أمَا كنتُ أعرِفُ مكانَه ؟! بلى واللَّهِ ، والبيتَ الذى هو فيه بمكةَ . ثم أقبَل عليه ، فقال : يا سعيدُ ، ما أخرَجك علىَّ ؟ فقال : أصلَح اللَّهُ الأميرَ ، أنا امرؤٌ مِن المسلمين ، يُخطِئُ مرةً ويصيبُ أخرَى ، فطابتْ نفسُ الحجاجِ وتطلَّق وجهُه ، ورجا الحجاجُ أن يتخلَّصَ مِن أمرِه ، ثم عاوَده فى شىءٍ ، فقال سعيدٌ : إنما كانت بيعةً فى عُنُقِى ، فغضِب عندَ ذلك الحجاجُ ، وكان ما كان من قتلِه .

وذكَر عتّابُ بنُ بَشيرٍ[4] ، عن سالمٍ الأفطسِ ، قال[5] : أُتى الحجاجُ بسعيدِ ابنِ جُبيرٍ ، وهو يريدُ الركوبَ ، وقد وضَع إحدى رجلَيهِ فى الغرْزِ ، فقال : واللَّهِ لا أركَبُ حتى تتبوَّأَ مقعدَك من النارِ ، اضرِبوا عنُقَه . فضرِبت عنقُه . قال : والتبَس الحجّاجُ فى عقلِه مكانَه ، فجعَل يقولُ : [6]قيودَنا قيودَنا[6] . فظنُّوا أنه يُريدُ القيودَ

---

(١) تاريخ الطبرى ٦/ ٤٨٩.
(٢) فى الأصل ، ٣١، ٢١، ص: «بكرة». وهو كذلك بإحدى نسخ الطبرى.
(٣) تاريخ الطبرى ٦/ ٤٨٩، ٤٩٠، بنحوه.
(٤) فى النسخ ، ومصدر التخريج : «بشر». والصواب ما أثبتناه . انظر التاريخ الكبير للبخارى ٧/ ٥٦، وطبقات ابن سعد ٧/ ٤٨٥، وطبقات خليفة ٢/ ٨٢٧، وتهذيب الكمال ١٩/ ٢٨٦، وشذرات الذهب ١/ ٣٢٠.
(٥) تاريخ الطبرى ٦/ ٤٩٠، بنحوه.
(٦ - ٦) فى ٢١: «قيدونا قيدونا».

التى على سعيدٍ ، فقطَعوا رجليهِ مِن أنصافِ ساقيهِ ، وأخَذوا القيودَ .

وقال محمدُ بنُ[1] حاتمٍ : ثنا عبدُ الملكِ [٧/١٢٣و] بنُ عبدِ اللَّهِ ، عن هلالِ[2] ابنِ خبّابٍ[2] ، قال[3] : جِيء بسعيدِ بنِ جُبيرٍ إلى الحجاجِ ، فقال : كتَبتَ إلى مصعبِ بنِ الزبيرِ ؟ فقال : [4]بل كتَب[4] إلىَّ مصعبٌ . قال : واللَّهِ لأقتُلنَّك . قال : إنى إذًا لسعيدٌ ، كما سمَّتنى أُمِّى . قال : فقتَله ، فلم يلبثِ الحجاجُ بعدَه إلَّا أربعين يومًا ، فكان إذا نام يراه فى المنامِ يأخُذُ بمجامعِ ثوبهِ فيقولُ : يا عدوَّ اللَّهِ ، فيم قتَلتَنى ؟ فيقولُ الحجاجُ : مالى ولسعيدِ بنِ جُبيرٍ ، مالى ولسعيدِ بنِ جُبيرٍ ؟!

قال ابنُ خلِّكانَ[5] : كان سعيدُ بنُ جُبيرِ بنِ هشامٍ ، الأسديُّ ، مولى بنى[6] والبةَ كوفيًّا ، أحدَ الأعلامِ مِن التابِعين ، وكان أسودَ اللونِ ، وكان لا يكتُبُ على الفُتْيا ، فلّما عمِى ابنُ عباسٍ كتَب ، فغضِب ابنُ عباسٍ مِن ذلك . وذكَر مقتَلَه بنحوِ ما تقدَّم ، وذكَر أنه كان فى شعبانَ ، وأنَّ الحجاجَ مات بعدَه فى رمضانَ ، وقِيل : بستةِ أشهرٍ .

وذكَر عن الإمامِ أحمدَ بنِ حنبلٍ أنَّه قال[7] : قتِل سعيدُ بنُ جُبيرٍ وما على وجهِ الأرضِ أحدٌ إلَّا وهو محتاجٌ - أو قال : مُفتقِرٌ - إلى علمِه .

---

(١) بعده فى ٣١، ١٢، م، ص : « أبى » .

(٢ - ٢) فى الأصل، ٢١، م، ص: « بن خباب » ، وفى ٣١: « بن حبان » . والمثبت من تاريخ الطبرى . وانظر تهذيب الكمال ٣٠/ ٣٣٠.

(٣) تاريخ الطبرى ٦/ ٤٩٠، ٤٩١ بنحوه .

(٤ - ٤) فى ٣١، ٢١، م، ص: « بلى كتبت » .

(٥) وفيات الأعيان ٢/٣٧١ - ٣٧٤ بنحوه .

(٦) بعده فى م : « قبل » .

(٧) وفيات الأعيان ٢/٣٧٤ .

ويقالُ : إنَّ الحجاجَ لم يُسلَّطْ بعدَه على أحدٍ . وسيأتى فى ترجمةِ الحجاجِ أيضًا شيءٌ من هذا .

قال ابنُ جريرٍ[1] : وكان يقالُ لهذه السنةِ : سنةُ الفقهاءِ ؛ لأنه مات فيها عامَّةُ فقهاءِ المدينةِ ؛ مات فى أولِها عليُّ بنُ الحسينِ[2] زينُ العابدين ، ثم عروةُ بنُ الزُّبيرِ ، ثم سعيــدُ بنُ المسيَّبِ ، وأبو بكرِ بنُ[3] عبدِ الرحمنِ بنِ الحارثِ بنِ هشامٍ ، [4]وسعيدُ بنُ جُبيرٍ من أهلِ مكةَ[4] .

وقد ذكَرْنا تراجمَ هؤلاءِ فى كتابِنا « التكميلِ » ، وسنذكُرُ طرَفًا صالحًا هاهنا ، إن شاء اللَّهُ تعالى .

قال ابنُ جريرٍ[5] : واستقضَى الوليدُ بنُ عبدِ الملكِ فى هذه السنةِ على الشامِ سليمانَ بنَ حبيبٍ[6] .

وحجَّ بالناسِ [7]أخوه مَسلمةُ فى قولِ بعضِهم[8] .

وقال الواقديُّ[9] : حجَّ بالناسِ[7] فيها [10]عبدُ العزيزِ[10] بنُ الوليدِ ، ويقال :

---

(١) تاريخ الطبرى ٦/ ٤٩١.

(٢) بعده فى م : « ابن » .

(٣) سقط من : م .

(٤ - ٤) سقط من : الأصل .

(٥) تاريخ الطبرى ٦/ ٤٩١.

(٦) فى الأصل : « حرب » . وفى ٣١ ، ٢١ ، م ، ص : « صرد » . والمثبت من مصدر التخريج . وانظر تهذيب الكمال ١١/ ٣٨٢.

(٧ - ٧) سقط من : ٣١، ٢١، م، ص.

(٨) الطبرى ٦/ ٤٩١، والكامل ٤/ ٥٨٢، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٨١ - ١٠٠هـ) ص ٢٦١.

(٩) أخرجه الطبرى ٦/ ٤٩١ بنحوه . وانظر الكامل ٤/ ٥٨٢.

(١٠ - ١٠) فى النسخ : « العباس » . والمثبت من الطبرى . وانظر الكامل ٤/ ٥٨٢.

مَسلمةُ بنُ عبدِ الملكِ .

وكان على نِيابةِ مكةَ خالدُ بنُ عبدِ اللَّهِ القسرىُّ ، وعلى المدينةِ عثمانُ بنُ حيّانَ ، وعلى المشرقِ بكمالِه الحجاجُ ، وعلى خراسانَ قتيبةُ بنُ مُسلمٍ ، وعلى الكوفةِ من (1) جهةِ الحجاجِ (1) زيادُ بنُ جريرٍ ، وعلى قضائِها أبو بكرِ بنُ أبى موسى ، وعلى إمرةِ البصرةِ من جهةِ الحجاجِ الجرَّاحُ بنُ عبدِ اللَّهِ الحَكَمِىُّ ، وعلى قضائِها (2) عبدُ الرحمنِ (2) بنُ أُذينةَ . واللَّهُ سبحانَه وتعالى أعلَمُ (*) .

ذكرُ مَن تُوفِّى فيها من المشاهيرِ والأعيانِ

سعيدُ بنُ جُبيرِ بنِ هشامٍ الأسدىُّ الوالبىُّ (3) مولاهم ، أبو محمدٍ ، ويقالُ : أبو عبدِ اللَّهِ . الكوفىُّ المكىُّ ، من أكابرِ أصحابِ ابنِ عباسٍ ، كان مِن أئمةِ الإسلامِ فى التفسيرِ والفقهِ وأنواعِ العلومِ ، وكثرةِ العملِ الصالحِ ، رحِمه اللَّهُ ، وقد رأَى خلقًا من الصحابةِ ، وروَى عن جماعةٍ منهم ، وعنه خلقٌ مِن التابِعين ، وغيرِهم ، يقالُ : إنه كان يقرَأُ القرآنَ (4) فيما بينَ المغربِ [7/123ظ] والعشاءِ خَتْمةً تامةً ، وكان يقعُدُ فى الكعبةِ القَعدةَ فيقرَأُ فيها الختمةَ ، وربَّما قرَأها فى ركعةٍ

(1 - 1) فى الأصل : « جهته » .

(2 - 2) فى 31، 21، م، ص : « عبد الله » . وانظر الكامل 4/ 548، وتهذيب الكمال 16/ 510.

* إلى هنا ينتهى الجزء العاشر من نسخة أحمد الثالث والتى رمزنا لها بـ (31) .

(3) انظر ترجمته فى : طبقات ابن سعد 6/ 256، وطبقات خليفة 2/ 702، والحلية 4/ 272، وتهذيب الكمال 10/ 358، وسير أعلام النبلاء 4/ 321، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات 81 - 100هـ) ص 366، والوافى بالوفيات 15/ 206.

(4) بعده فى 21، م، ص : « فى الصلاة » . وانظر طبقات ابن سعد 6/ 259، والحلية 4/ 273.

في جوفِ الكعبةِ ، (١ وقد قال ابنُ عباسٍ(٢) ، وقدْ أتاه أهلُ الكوفةِ يسألُونه : أليس فيكم سعيدُ بنُ جُبيرٍ ؟ ١) .

وقال سفيانُ الثوريُّ ، عن عمرِو بنِ ميمونٍ ، عن أبيه ، قال(٣) : لقد مات سعيدُ بنُ جُبيرٍ ، وما على وجهِ الأرضِ أحدٌ إلا وهو مُحتاجٌ إلى علمِه .

وكان في جملةِ مَن خرَج مع ابنِ الأشعثِ على الحجاجِ ، فلمّا ظفِر الحجاجُ هرَب سعيدٌ إلى أصبهانَ ، ثم كان يتَرَدَّدُ في كلِّ سنةٍ إلى مكةَ مرتين ؛ مرةً للعمرةِ ، ومرةً للحجِّ ، وربَّما دخَل الكوفةَ في بعضِ الأحيانِ فحدَّث بها ، وكان بخُراسانَ يتحزَّنُ(٤) ؛ لأنه كان لا يسألُه أحدٌ عن شيءٍ مِن العلمِ هناك ، وكان يقولُ : إنَّ مِمَّا يَهُمُّني ما عندى مِن العلمِ ، ودِدتُ أنَّ الناسَ أخَذوه . واستمَر في هذا الحالِ مختفيًا مِن الحجاجِ قريبًا مِن ثِنتَىْ عشْرةَ سنةً ، ثم أَرسَله خالدٌ القسْريُّ مِن مكةَ إلى الحجاجِ ، فكان مِن مُخاطبتِه له ما ذكَرناه قريبًا .

وقد قال أبو نُعيمٍ في كتابِه « حليةِ الأولياءِ »(٥) : ثنا أبو حامدِ بنُ جَبَلةَ ، ثنا محمدُ بنُ إسحاقَ ، ثنا محمدُ بنُ أحمدَ بنِ أبي خلَفٍ ، ثنا سفيانُ(٦) ، عن سالمِ ابنِ أبي حفصةَ ، قال : لمّا أُتِيَ بسعيدِ بنِ جُبيرٍ إلى الحجاجِ ، قال له : أنت شَقيُّ

(١ - ١) في ٢١، م، ص: « وقد روى عنه أنه ختم القرآن مرتين ونصفا في الصلاة في ليلة في الكعبة » .

(٢) طبقات ابن سعد ٦/ ٢٥٧، والحلية ٤/ ٢٧٣، بنحوه . وبلفظه في تهذيب الأسماء واللغات ١/ ٢١٦، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٨١ - ١٠٠هـ) ص ٣٦٧.

(٣) تاريخ ابن معين ٢/ ١٩٧، والمعرفة والتاريخ ١/ ٧١٢، والحلية ٢٧٣/٤ به .

(٤) في م : « لا يتحدث » .

(٥) الحلية ٤/ ٢٩٠، بنحوه .

(٦) في م : « شعبان » .

ابنُ كُسيرٍ؟ قال : لا ، إنما أنا سعيدُ بنُ جُبيرٍ . قال : لأقتُلَنَّكَ . قال : أنا إذًا كما سمَّتنى أُمِّى[1] . [2]ثم قال : دعُونى أُصلِّ ركْعتَين . قال : وجِّهوه إلى قِبلةِ النصارَى . قال : ﴿ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا۟ فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِ ﴾ [البقرة : ١١٥] ، ثم قال : إنى أستعيذُ منكَ بما عاذتْ به مريمُ . قال : وما عاذت به؟ قال : قالتْ : ﴿ إِنِّىٓ أَعُوذُ بِٱلرَّحْمَٰنِ مِنكَ إِن كُنتَ تَقِيًّا ﴾ [مريم : ١٨] . قال سفيانُ : لم يَقتُلْ بعدَه إلا رجلًا واحدًا[3][2] .

وقد ذكَرنا صفةَ مقتلِه إيّاه ، وقد رُويتْ آثارٌ غريبةٌ فى صفةِ مقتَلِه ، أكثرُها لا يصِحُّ ، وقد عُوقِب الحجاجُ بعدَه وعوجِل بالعقوبةِ ، فلم يَلبَثْ بعدَه إلَّا قليلًا ثم أخذه اللَّهُ أخْذَ عزيزٍ مقتدرٍ - كما سنذكُرُ وفاتَه فى السنةِ الآتيةِ - فقِيل[4] : إنَّه مكَث بعدَه خمسةَ عشَرَ يومًا . وقِيل[5] : أربعين يومًا . وقِيل[6] : ستةَ أشهرٍ . فاللَّه أعلَمُ .

واختلَفوا فى عمرِ سعيدِ بنِ جُبيرٍ ، رحِمه اللَّهُ ، حين قُتِل ، فقيل[7] : كان عمرُه تسعًا وأربعين سنةً . وقيل[8] : سبعًا وخمسين . فاللَّهُ أعلَمُ .

---

(١) بعده فى ا ٢ : « سعيدا » ، وبعده فى م ، ص : « سعيدا قال : شقيت وشقيت أمك . قال الأمر ليس إليك . ثم قال : اضربوا عنقه » .

(٢ - ٢) سقط من : ا ٢ .

(٣) بعده فى م ، ص زيادة من زيادات الناسخ .

(٤) الحلية ٤/ ٢٩٤، وسير أعلام النبلاء ٤/ ٣٣٢ نقلًا عن أبى نعيم . واستنكر الذهبى الرواية التى فيها أنه مكث بعده هذه المدة .

(٥) تاريخ الطبرى ٦/ ٤٩١ .

(٦) وفيات الأعيان ٢/ ٣٧٤، وتهذيب الكمال ١٠/ ٣٧٦ .

(٧) طبقات ابن سعد ٦/ ٢٦٦، والتاريخ الكبير ٣/ ٤٦١ .

(٨) الحلية ٤/ ٢٧٥، ونقله الذهبى فى سير أعلام النبلاء ٤/ ٣٣٢، ٣٣٣، ٣٤١، ٣٤٢، وصححه .

قال أبو القاسمِ اللالكائئ[1] : كان مقتلُه فى سنةِ خمسٍ وتسعين . وذكَر ابنُ جريرٍ[2] مقتلَه فى هذهِ السنةِ ، سنةِ أربعٍ وتسعين . فاللَّهُ أعلمُ[3] .

سعيدُ بنُ المسَيَّبِ بنِ حَزْنِ بنِ أبى وَهْبِ بنِ عائذِ بنِ عِمْرانَ بنِ مخزومٍ القُرَشِئُ[4] ، أبو محمدٍ ، [5]المدنئ ، المخزومئ[5] ، سيِّدُ التابعين على الإطلاقِ ، وُلِد لسنتيْن مضَتا - وقيل[6] : بقِيتا - مِن خلافةِ عمرَ بنِ الخطابِ ، [١٢٤/٧و] وقيل[7] : لأربعٍ مضَيْنَ منها . وقولُ الحاكمِ أبى عبدِ اللَّهِ : إنَّه أدْرَك العشَرةَ . وَهْمٌ منه . واللَّهُ أعلمُ . ولكنْ أرسَل عنهم كما أرسَل كثيرًا عن النبئ ﷺ ، وروَى عن عمرَ كثيرًا - فقيل[8] : سمِع منه . وقيل[9] : لم يسمَعْ - وعن عثمانَ ، وعلئٍ ، وسعدٍ[10] ، وأبى هريرةَ - وكان زوجَ ابنتِه ، وأعلمَ الناسِ بحديثِه - وروَى عن جماعةٍ مِن الصحابةِ آخرين ، وحدَّث عنه[11] جماعةٌ مِن التابعين ، وخلقٌ ممَّن سِواهم .

---

(١) تهذيب الكمال ١٠/ ٣٧٦.

(٢) تاريخ الطبرى ٦/٤٨٧ - ٤٩١.

(٣) بعده زيادة فى م ، ص . ولعلها من زيادات الناسخ .

(٤) انظر ترجمته فى : طبقات ابن سعد ٥/ ١١٩ ، وطبقات خليفة ٢/ ٦١١ ، وحلية الأولياء ٢/ ١٦١ ، وطبقات الفقهاء ٥٧ ، ووفيات الأعيان ٢/ ٣٧٥ ، وتهذيب الكمال ١١/ ٦٦ ، وسير أعلام النبلاء ٤/ ٢١٧ ، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٨١ - ١٠٠هـ) ص ٣٧١.

(٥ - ٥) فى ٢١ ، ص : « المدنى » ، وفى م : « المدنف » .

(٦) طبقات ابن سعد ٥/ ١١٩.

(٧) طبقات ابن سعد ٥/ ١١٩ ، وتهذيب الكمال ١١/ ٦٧ ، وسير أعلام النبلاء ٤/ ٢١٨.

(٨) طبقات ابن سعد ٥/ ١١٩ ، وتهذيب الكمال ١١/ ٧٣.

(٩) طبقات ابن سعد ٥/ ١٢٠ ، وتاريخ ابن معين ٢/ ٢٠٧.

(١٠) فى النسخ : « سعيد » . والمثبت من تهذيب الكمال ١١/ ٦٧. وانظر سير أعلام النبلاء ٤/ ٢١٨.

(١١) فى م : « عن » .

قال ابنُ عمرَ[1] : كان سَعيدٌ أحدَ المفتين[2] .

وقال الزهْرِىُّ[3] : جالستُه سبعَ حِجَجٍ ، وأنا لا أَظُنُّ عندَ أحدٍ علْمًا غيرَه .

وقال محمدُ بنُ إسحاقَ ، عن مَكحُولٍ قال[4] : طُفْتُ الأرضَ كلَّها فى طلبِ العلمِ ، فما لَقِيتُ أعلمَ مِن سعيدِ بنِ المسيَّبِ .

وقال الأَوْزاعِىُّ[5] : سُئِلَ الزهرىُّ ومكحولٌ : مَن أفقهُ مَن لَقِيتُما ؟ قالا : سعيدُ بنُ المسيَّبِ .

وقال [6]قتادةُ[7] : ما رأيتُ أعلمَ بالحلالِ والحرامِ منه . وكان الحسنُ إذا أشهَلَ[8] عليه شىءٌ كتَب إلى سعيدِ بنِ المسيَّبِ . وقال[6] غيرُه[9] : كان يقالُ له : فقيهُ الفقهاءِ .

وقال مالكٌ ، عن يحيى بنِ سعيدٍ ، [10]عن سعيدِ بنِ المسيَّبِ[10] : كنتُ أرحَلُ

---

(١) الجرح والتعديل ٤/ ٦٠، وتهذيب الكمال ١١/ ٧٠.

(٢) فى الأصل ، ٢١: «المتقنين». وبعده فى الأصل: «وكان أعلم أهل الأرض كلها فى زمانه وكان يسرد الصوم وقال عن نفسه إنه ما فاتته التكبيرة الأولى منذ خمسين سنة وحج أربعين حجة».

(٣) تاريخ ابن معين ٢/ ٢٠٨، والجرح والتعديل ٤/ ٦٠، وتهذيب الكمال ١١/ ٧٠.

(٤) أخرجه البخارى فى التاريخ الكبير ٣/ ٥١١، وابن أبى حاتم فى الجرح والتعديل ٤/ ٦٠، والمزى فى تهذيب الكمال ١١/ ٧١.

(٥) الجرح والتعديل ٤/ ٦١، وتهذيب الكمال ١١/ ٧١.

(٦ - ٦) سقط من: ٢١، م، ص.

(٧) الجرح والتعديل ٤/ ٦٠، وتهذيب الكمال ١١/ ٧١.

(٨) أشهل: اختلط. وشهل اللونان شهلًا: اختلط أحدهما بالآخر. الوسيط (ش هـ ل).

(٩) طبقات ابن سعد ٥/ ١٢١، وتهذيب الأسماء واللغات ، القسم الأول ١/ ٢٢٠، وتهذيب الكمال ١١/ ٧١.

(١٠ - ١٠) سقط من: الأصل، ص. والقول أخرجه ابن سعد فى الطبقات ٥/ ١٢٠، والفسوى فى المعرفة والتاريخ ١/ ٤٦٨، والمزى فى تهذيب الكمال ١١/ ٧١.

الأيّامَ والليالىَ فى طلَبِ الحديثِ الواحدِ .

قال مالكٌ[1] : وبلَغنى أنَّ ابنَ عمرَ كان يُرسِلُ إلى سعيدِ بنِ المسيَّبِ يسألُه عن قضايا عمرَ وأحكامِه .

وقال الرَّبيعُ ، عن الشافعىِّ ، أنَّه قال[2] : إرسالُ سعيدِ بنِ المسيَّبِ عندَنا حَسَنٌ .

وقال الإمامُ أحمدُ بنُ حنبلٍ[3] : هى صِحاحٌ . قال[4] : وسعيدُ بنُ المسيَّبِ أفضلُ التابعينَ .

وقال علىُّ بنُ المدِينىِّ[4] : لا أعلَمُ فى التابعين أوسعَ علْمًا منه ، وإذا قال سعيدٌ : مضَتِ السُّنَّةُ فحسْبُكَ به ، وهو عندِى أجَلُّ التابعينَ .

وقال أحمدُ بنُ عبدِ اللَّهِ العِجْلىُّ[5] : كان سعيدٌ رجلًا صالحًا فقيهًا ، كان لا يَأخُذُ العطاءَ ، وكانت له بضاعةٌ ؛ أربعُمائةِ دينارٍ ، وكان يتَّجرُ فى الزَّيتِ ، وكان أعورَ .

وقال أبو زُرعةَ[6] : مَدَنِىٌّ ثِقَةٌ إمامٌ .

---

(١) المعرفة والتاريخ ١/ ٤٦٨، وتهذيب الكمال ١١/ ٧٤.

(٢) أخرجه المزنى فى مختصر الأم ، باب بيع اللحم بالحيوان ص ٧٨، والنووى فى تهذيب الأسماء واللغات ، القسم الأول ١/ ٢٢١، والمزى فى تهذيب الكمال ١١/ ٧٤.

(٣) تهذيب الكمال ١١/ ٧٣، وجامع التحصيل ص ٤٧.

(٤) تهذيب الأسماء واللغات القسم الأول ١/ ٢٢٠، وتهذيب الكمال ١١/ ٧٣.

(٥) تاريخ الثقات ص ١٨٨.

(٦) الجرح والتعديل ٤/ ٦١، وتهذيب الكمال ١١/ ٧٤.

وقال أبو حاتمٍ[1] : ليس فى التابعين أنبلُ منه ، وهو أثبتُهم فى أبى هريرةَ .

قال الواقدىُّ[2] : تُوفِّى فى سنةِ الفقهاءِ ، وهى سنةُ أربعٍ وتسعين ، عن خمسٍ وسبعين سنةً ، رحِمه اللَّهُ[3] .

---

(١) تهذيب الأسماء واللغات ، القسم الأول ١/ ٢٢٠، وتهذيب الكمال ١١/ ٧٤.

(٢) تاريخ الطبرى ٦/ ٤٩١، وتهذيب الكمال ١١/ ٧٥.

(٣) بعده فى م ، ص : « وكان سعيدُ بنُ المسيَّبِ من أورعِ الناسِ فيما يدخُلُ بيتَه وبطنَه ، وكان مِن أزهدِ الناسِ فى فضولِ الدُّنيا ، والكلامِ فيما لا يَعْنى ، ومِن أكثرِ الناسِ أدبًا فى الحديثِ ، جاءه رجلٌ وهو مريضٌ ، فسأله عن حديثٍ ، فجلَس فحدَّثه ثم اضطجَع ، فقال الرجلُ : وَدِدْتُ أنَّك لم تتَعَنَّ . فقال : إنِّى كرِهتُ أن أُحدِّثَك عن رسولِ اللَّهِ ﷺ وأنا مضطجِعٌ . وقال بُرْدٌ مولاهُ : ما نُودِى للصَّلاةِ منذُ أربعين إلّا وسعيدٌ فى المسجدِ . وقال ابنُ إدريسَ : صلَّى سعيدُ بنُ المُسيَّبِ الغداةَ بوُضوءِ العَتَمةِ خمسينَ سنةً . وقال سعيدٌ : لا تملَئوا أعينَكم مِن أعوانِ الظَّلَمةِ إلا بالإنكارِ مِن قلوبِكم ؛ لكَيْلَا تَحْبَطَ أعمالُكم الصالحةُ . وقال : ما يئِس الشيطانُ مِن شىءٍ إلا أتاه مِن قِبَلِ النساءِ . وقال : ما أكرَمَتِ العبادُ أنفُسَها بمثلِ طاعةِ اللَّهِ ، ولا أهانتْ أنفُسَها إلّا بمعصيةِ اللَّهِ تعالى . وقال : كفَى بالمرءِ نُصْرةً مِن اللَّهِ له أن يرَى عدوَّه يعمَلُ بمعصيةِ اللَّهِ . وقال : مَن استغْنى باللَّهِ افتقَر الناسُ إليه . وقال : الدُّنيا نَذْلةٌ ، وهى إلى كلِّ نَذْلٍ أَمْيَلُ ، وأَنْذَلُ منها مَن أخَذها مِن غيرِ وجهِها ، ووضَعها فى غيرِ سبيلِها . وقال : إنَّه ليس مِن شريفٍ ولا عالمٍ ولا ذى فَضْلٍ إلّا وفيه عَيْبٌ ، ولكنْ مِن الناسِ مَن لا يَنْبغِى أن تُذْكَرَ عيوبُه . وقال : مَن كان فَضْلُه أكثرَ مِن نَقْصِه وهَب نقصَه لفضلِه . وقد زوَّج سعيدُ بنُ المَسيَّبِ ابنتَه على دِرهَمينِ لكَثيرِ بنِ أبى وَداعةَ - وكانت مِن أحسنِ النساءِ ، وأكثرِهم أدبًا ، وأعلمِهم بكتابِ اللَّهِ وسُنَّةِ رسولِ اللَّهِ ﷺ ، وأعرفِهم بحقِّ الزَّوجِ ، وكان فقيرًا ، فأرسَل إليه بخمسةِ آلافٍ - وقيل : بعشرينَ ألفًا - وقال : استَنفِقْ هذه . وقصتُه فى ذلك مشهورةٌ ، وقد كان عبدُ الملكِ خطَبها لابنِه الوليدِ فأبَى سعيدٌ أن يُزوِّجَه بها ، فاحتال عليه حتى ضرَبه بالسِّياطِ - كما تقدَّم - لمَّا جاءتْ بيعةُ الوليدِ إلى المدينةِ فى أيامِ عبدِ الملكِ ، ضرَبه نائبُه على المدينةِ هشامُ بنُ إسماعيلَ . وأطافَه المدينةَ ، وعرَضُوه على السَّيفِ فمضَى ، ولم يبايِعْ ، فلمَّا رجَعُوا به رأَتْه امرأةٌ فقالتْ : ما هذا الخِزْىُ يا سعيدُ ؟ فقال : مِن الخِزْىِ فرَرْنا إلى ما تَرَين ، أىْ لو أجبْناهم وقَعْنا فى خِزْىِ الدُّنيا والآخرةِ . وكان يجعَلُ على ظهرِه إهابَ الشَّاةِ ، وكان له مالٌ يتَّجِرُ فيه ، ويقولُ : اللهمَّ إنَّك تعلمُ أنِّى لم أمسِكْه بُخْلًا ولا حِرْصًا عليه ، ولا محبةً للدُّنيا ونَيلَ شهواتِها ، وإنَّما أُريدُ أن أصُونَ به وَجْهِىَ عن بَنِى مَرْوانَ حتى أَلْقَى اللَّهَ فيحكُمَ فىَّ وفيهم ، وأَصِلَ مِنه رَحِمى ، وأُؤدِّىَ منه الحقوقَ التى فيه ، وأعودَ منه على الأرملَةِ ، والفقيرِ ، والمسكينِ ، واليتيمِ ، والجارِ . واللَّهُ سبحانه وتعالى أعلمُ » . ولعلها من زيادات الناسخ .

طَلْقُ بنُ حبيبٍ العَنَزِىُّ[1] ، تابعىٌّ جليلٌ ، روَى عن أنسٍ ، وابنِ الزبيرِ ، وابنِ عبّاسٍ ، وعبدِ اللَّهِ بنِ عمرٍو[2] ، وغيرِهم ، وعنه حُميدٌ الطَّويلُ ، والأعمشُ ، وطاوسٌ ، وهو مِن أقرانِه ، وأَثْنَى عليه [3] فى قراءتِه [3] عمرُو بنُ دينارٍ ، [١٢٤/٧ ظ] وقد أَثْنى عليه غيرُ واحدٍ مِن الأئمةِ ، ولكنْ تكلَّموا فيه مِن جهةِ أنَّه كان يقولُ : بالإرْجاءِ .

وقد كان فيمَن خرَج مع ابنِ الأشعثِ ، وكان يقولُ : اتَّقوها[4] بالتَّقوى . فقِيل له : صِفْ لنا التَّقْوى ؟ فقال : التَّقْوى ؛ العملُ بطاعةِ اللَّهِ ، على نورٍ مِن اللَّهِ ؛ رجاءَ رحمةِ اللَّهِ ، والتَّقْوى ؛ تَرْكُ مَعاصى اللَّهِ ، على نورٍ مِن اللَّهِ ؛ مخافةَ[5] عذابِ اللَّهِ .

وقال أيضًا : إنَّ حقوقَ اللَّهِ أعظمُ مِن أن يقومَ بها العبادُ ، وإنَّ نِعَمَه أكثرُ مِن أن تُحْصَى[6] ، ولكن أَصبِحُوا تائبين ، وأَمسُوا تائبين[7] . قال مالكٌ[8] : قتَله الحجّاجُ ، وجماعةً مِن القرّاءِ ؛ منهم سعيدُ بنُ جُبيرٍ[9] .

---

(١) انظر ترجمته فى : طبقات خليفة ١/ ٥٠١، وحلية الأولياء ٣/ ٦٣، وتهذيب الكمال ١٣/ ٤٥١، وسير أعلام النبلاء ٤/ ٦٠١، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ١٠١ - ١٢٠هـ) ص ١٢١.

(٢) فى الأصل، م: «عمر». وانظر مصادر الترجمة.

(٣ - ٣) سقط من: ١، م، ص.

(٤) فى ٢١، م، ص: «تقووا».

(٥) فى ٢١، م، ص: «يخاف».

(٦) بعده فى ٢١، م، ص: «أو يقوم بشكرها العباد».

(٧) بعده فى ٢١، م، ص: «وكان طلق لا يخرج إلى صلاة إلا ومعه شىء يتصدق به ، وإن لم يجد إلا بصلا ، ويقول: قال اللَّه تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا إذا ناجيتم الرسول فقدموا بين يدى نجواكم صدقة﴾ ، فتقديم الصدقة بين يدى مناجاة اللَّه أعظم وأعظم».

(٨) تهذيب الكمال ١٣/ ٤٥٤، وسير أعلام النبلاء ٤/ ٦٠٢.

(٩) فى الأصل: «جرير».

وقد ذكَر ابنُ جريرٍ - فيما سبَق[1] - أنَّ خالدَ بنَ عبدِ اللَّهِ القَسْرِىَّ[2] بعَث مِن مكَّةَ ثلاثةً إلى الحجّاجِ ؛ وَهُمْ مجاهدٌ ، وسعيدُ بنُ جُبيرٍ ، وطلقُ بنُ حبيبٍ ، فمات طلقٌ فى الطَّريقِ ، وحُبِس مجاهدٌ ، وكان مِن أمرِ سعيدٍ ما كان . واللَّهُ أعلمُ .

عُروةُ بنُ الزبيرِ بنِ العوَّامِ ، القُرَشىُّ الأسَدىُّ ، أبو عبدِ اللَّهِ المَدَنِىُّ[3] ، تابعىٌّ جليلٌ ، روَى عن أبيهِ ، وعن العبادِلةِ ، ومعاويةَ ، والمغيرةِ ، وأبى هريرةَ ، وأمِّه أسماءَ ، وخالتِه عائشةَ ، وأمِّ سلَمةَ . وعنه جماعةٌ مِن التابعينَ ، وخَلْقٌ ممَّن سِواهم .

قال محمدُ بنُ سعدٍ[4] : كان عروةُ ثقةً ، كثيرَ الحديثِ ، عالمًا ، مأمونًا ، ثَبْتًا .

وقال العِجْلىُّ[5] : مدنىٌّ ، تابعىٌّ ، رجلٌ صالحٌ لم يدخُلْ فى شىءٍ مِن الفتنِ .

وقال الواقدىُّ[6] : كان فقيهًا عالمًا حافظًا ثَبْتًا حُجَّةً عالمًا بالسِّيَرِ ، وهو أوَّلُ مَن صنَّف المغازِىَ . وكان مِن فقهاءِ المدينةِ المعدودينَ ، ولقد كان أصحابُ رسولِ اللَّهِ ﷺ يسألونَه ، وكان أرْوَى الناسِ للشِّعرِ . وقال [7]أبو بكرِ بنُ عبدِ الرحمنِ بنِ الحارثِ بنِ هشامٍ[7] : العلمُ لواحدٍ مِن ثلاثةٍ ؛ لذِى حَسَبٍ يُزَيِّنُه به أو ذِى دِينٍ

---

(١) تقدم فى ٩٦/٩ مطبوع .

(٢) فى ص : « القشيرى » .

(٣) انظر ترجمته فى : طبقات خليفة ٢/ ٦٠٣، وحلية الأولياء ٢/ ١٧٦، وتاريخ دمشق ٥٥٩/١١ (مخطوط)، وتهذيب الكمال ٢٠/ ١١، وسير أعلام النبلاء ٤/ ٤٢١، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٨١ - ١٠٠هـ) ص ٤٢٤.

(٤) طبقات ابن سعد ٥/ ١٧٩.

(٥) تاريخ الثقات للعجلى ص ٣٣١.

(٦) تاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٨١ - ١٠٠هـ) ص ٤٢٤، غير منسوب .

(٧ - ٧) فى الأصل : « ابنه هشام قال أبى » . وفى ٢١، م، ص : « ابنه هشام » . والمثبت من سير أعلام=

يَسُوسُ به دِينَه، أو مُختلِطٌ بسلطانٍ يُتحِفُه بعلمِه[1] قال: ولا أعلمُ أحدًا أَشْرَطَ لهذه الخِصالِ الثلاثِ إلَّا عروةَ بنَ الزبيرِ، وعمرَ بنَ عبدِ العزيزِ.

وكان عروةُ يقرأُ كلَّ يومٍ رُبُعَ القرآنِ، ويقومُ به في الليلِ. وكان أيامَ الرُّطَبِ يَثْلِمُ حائطَه (٢ثم يأذَنُ٢) للناسِ فيدخُلون فيأكُلون ويحمِلون[3]، (٤فإذا ذهَب الرُّطَبُ، أعادَه٤). وقال الزُّهْريُّ[5]: كان عروةُ بحرًا لا يُنْزَفُ، (٢وقال مرَّةً[6]: كان بحرًا٢) لا تكدِّرُه الدِّلاءُ.

وقال عمرُ بنُ عبدِ العزيزِ[7]: ما أحدٌ أعلمَ مِن عروةَ، وما أعلَمُه يعلَمُ شيئًا أجهَلُه. وقد ذكَره غيرُ واحدٍ في فقهاءِ المدينةِ السبعةِ الذين يُنْتَهَى إلى قولِهم[8]. وكان مِن جملةِ الفقهاءِ العشَرةِ الذين كان عمرُ بنُ عبدِ العزيزِ يرجِعُ إلى قولِهم في زمنِ ولايتِه على المدينةِ. وقد ذكَر [١٢٥/٧و] غيرُ واحدٍ[9]؛ أنَّه وفَد على الوليدِ بدمشقَ، فلمّا رجَع أصابَتْه في رجلِه الأَكِلَةُ، فأرادوا قطعَها، فعرَضُوا عليه أن يشرَبَ شيئًا يُغيِّبُ عقلَه (١٠حتى لا يحِسَّ بالألمِ ويتمكَّنُوا مِن قَطْعِها١٠)،

= النبلاء ٤/ ٤٢٦، وانظر تاريخ دمشق ٥٦٩/١١ (مخطوط)، ومختصر تاريخ دمشق ١٧/ ٩، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٨١ - ١٠٠هـ) ص ٤٢٦.

(١) في م: «بنعمه». وبعده في ٢١، م، ص: «ويتخلص منه بالعلم فلا يقع في هلكة».

(٢ - ٢) سقط من: ٢١، م، ص.

(٣) سقط من: ٢١، م، ص.

(٤ - ٤) زيادة من: ٢١، م، ص.

(٥) طبقات ابن سعد ٥/ ١٨١.

(٦) تهذيب الكمال ٢٠/ ١٨.

(٧) تاريخ دمشق ٥٦٦/١١ (مخطوط)، وتهذيب الكمال ٢٠/ ١٧.

(٨) المعرفة والتاريخ ١/ ٣٥٢، وتاريخ أبي زرعة ص ٤٠٦، وتهذيب الكمال ٢٠/ ١٨.

(٩) تاريخ دمشق ٥٧١/١١ (مخطوط)، وتهذيب الكمال ٢٠/ ٢٠، وسير أعلام النبلاء ٤/ ٤٣٠.

(١٠ - ١٠) في الأصل: «من المراقد».

فقال: (1) ما ظننتُ أنَّ أحدًا يؤمِنُ باللَّهِ (1) يشرَبُ شيئًا يُغيِّبُ عقلَه حتى لا يعرِفَ ربَّه، عز وجلَّ، ولكنْ هَلُمُّوا فاقطَعوها، فقطَعوها مِن ركبتِه وهو صامتٌ لا يتكلَّمُ، ولا (2) يُسمَعُ له حِسٌّ (2). ورُوِى أنهم قطَعوها وهو فى الصَّلاةِ فلم يَشعُرْ؛ لِشُغلِه بالصَّلاةِ. فاللَّهُ أعلمُ.

ووقَع فى هذه الليلةِ التى قُطِعتْ فيها رجلُه ولدٌ له يُسمَّى محمدًا - كان أحبَّ أولادِه - مِن سطحٍ فماتَ، فدخَلوا عليه فعزَّوه فيه، فقال[3]: اللهمَّ لك الحمدُ، كانوا سبعةً فأخَذْتَ واحدًا وأبقيتَ سِتَّةً، وكنَّ أطرافًا أربعًا فأخَذتَ واحدةً وأبقَيْتَ ثلاثًا، فلئن كُنتَ قد أخَذتَ فلقد أعطَيتَ، ولئن كُنتَ قد ابتَلَيتَ فلقد عافَيْتَ[4].

(5) وقيل[6]: إنَّه لمَّا رأَى رجلَه المقطوعةَ فى الطَّستِ، قال: اللَّهُ أعلمُ أنِّى ما مشَيْتُ بها إلى معصيةٍ قطُّ (5).

قِيل: إنَّه وُلِد فى حياةِ عمرَ. والصَّحيحُ أنَّه وُلِد بعدَ عمرَ فى سنةِ ثلاثٍ وعشرينَ، وكانت وفاتُه فى سنةِ أربعٍ وتسعينَ على المشهورِ، وقِيل: سنةَ تسعينَ. وقِيل: سنةَ مائةٍ. وقِيل: إحدَى وتسعين. وقيل: سنةَ إحدَى ومائةٍ. وقيل: سنةَ اثنتينِ أو ثلاثٍ أو أربعٍ أو خمسٍ وتسعينَ. وقيل: سنةَ تسعٍ وتسعين. واللَّهُ أعلمُ.

(1 - 1) فى الأصل: «واللَّه لا يحل لمسلم أن».

(2 - 2) فى ٢١، م، ص: «يعرف أنه أن».

(3) حلية الأولياء ٢/ ١٧٩، وتاريخ دمشق ٥٧٢/١١ (مخطوط)، وتهذيب الكمال ٢٠/ ٢٠.

(4) بعده فى الأصل: «فلك الحمد على ما أخذت وعلى ما أعطيت». وبعده زيادة فى م، ص، وهى من زيادات الناسخ.

(5 - 5) سقط من: ٢١، م، ص.

(6) تاريخ دمشق ٥٧٣/١١ (مخطوط).

عليُّ بنُ الحسينِ بنِ عليِّ بنِ أبى طالبٍ ، القرشىُّ الهاشمىُّ ، المشهورُ بزينِ العابديـنَ[1] ، وأمُّه أمُّ ولدٍ اسمُها سَلَّامةُ[2] ، وكان له أخٌ أكبرُ منه يقالُ له : عليٌّ أيضًا . قُتِل مع أبيه . روَى عليٌّ - هذا - الحديثَ عن أبيهِ ، وعمِّه الحسنِ بنِ عليٍّ ، وجابرٍ ، وابنِ عباسٍ ، والمِسْوَرِ بنِ مَخْرَمةَ ، وأبى هريرةَ ، وصفيةَ ، وعائشةَ ، وأمِّ سلَمةَ ، أمهاتِ المؤمنين .

وعنه جماعةٌ منهم بَنُوه ؛ زيدٌ ، وعبدُ اللَّهِ ، وعمرُ ، وأبو جعفرٍ محمدُ بنُ عليٍّ الباقرُ[3] ، وزيدُ بنُ أسلمَ ، وطاوسٌ وهو مِن أقرانِه ، والزُّهرىُّ ، ويحيى بنُ سعيدٍ الأنصارىُّ ، وأبو سلمةَ وهو مِن أقرانِه ، وخَلْقٌ .

قال القاضِى ابنُ خلِّكانَ[4] : كانت [5]أمُّه سَلَّامَةَ[5] ، بنتَ يَزْدَجِرْدَ آخرِ ملوكِ الفرسِ .

وذكَر الزمخشَرِىُّ[6] فى « ربيعِ الأبرارِ » : أنَّ يَزْدجردَ كان له ثلاثُ بناتٍ سُبِين فى زمنِ عمرَ بنِ الخطَّابِ ، فحصَلَتْ واحدةٌ لعبدِ اللَّهِ بنِ عمرَ فأولَدَها سالمًا ، والأُخْرى لمحمدِ بنِ أبى بكرٍ الصِّدِّيقِ فأولَدَها القاسمَ ، والأُخْرى للحسينِ ابنِ عليٍّ فأولَدَها عليًّا زينَ العابدين هذا ، فكُلُّهم بنو خالةٍ .

---

(١) انظر ترجمته فى : طبقات خليفة ٢/ ٥٩٨ ، والمعرفة والتاريخ ١/ ٣٦٠، ٥٤٤، والحلية ٣/ ١٣٣، ووفيات الأعيان ٣/ ٢٦٦، وتاريخ دمشق ١٢/ ٢٩، وتهذيب الكمال ٢٠/ ٣٨٢، وسير أعلام النبلاء ٤/ ٣٨٦، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٨١ - ١٠٠هـ) ص ٤٣١.

(٢) وورد أن اسمها سلافة وغزالة أيضا . وانظر تهذيب الكمال ٢٠/ ٣٨٣، وسير أعلام النبلاء ٤/ ٣٨٦.

(٣) فى م : « بن قر » .

(٤) وفيات الأعيان ٣/ ٢٦٧.

(٥ - ٥) فى م : « أم سلمة » . وفى مصدر التخريج : « أمه سلافة » .

(٦) انظر وفيات الأعيان ٣/٢٦٧ .

قال ابنُ خلِّكانَ[1] : ولمّا قتَل قتيبةُ بنُ مسلمٍ فيروزَ بنَ يَزْدجِردَ بعَث بابنتَيْه إلى [١٢٥/٧ظ] الحجّاجِ ، فأخَذ إحداهما ، وبعَث بالأُخرَى إلى الوليدِ بنِ عبدِ الملكِ ، فأَوْلَدَها الوليدُ يزيدَ الناقصَ .

وذكَر ابنُ قتيبةَ فى كتابِ « المعارفِ »[2] ؛ أنَّ زَيْنَ العابدين هذا كانت أُمُّه سِنديَّةً ، يقالُ لها : سَلّامةُ[3] ، ويقالُ : غَزالةُ .

وكان مع أبيهِ بكَرْبلاءَ ، فاستُبْقِيَ لصِغَرِه ، وقيل : لمرَضِه . فإنّه كان ابنَ ثلاثٍ وعشرين سنةً ، وقيل : أكثرَ مِن ذلك . وقد هَمَّ بقتْلِه عبيدُ اللَّهِ بنُ زيادٍ ، ثم صرَفه اللَّهُ عنه . وأشار بعضُ الفجَرَةِ على يزيدَ بنِ معاويةَ بقتلِه أيضًا ، فمنَعه اللَّهُ (٤ تعالى مِن ذلك ، فللهِ الحمدُ والمنّة ٤) ، ثم كان يزيدُ بعدَ ذلك يُكرِمُه ويُعظِّمُه ، ويُجْلِسُه معه ، ولا يأكلُ إلّا وهو عندَه ، ثم بعَثهم إلى المدينةِ مُكرَّمِين[5] ، وكان عليٌّ بالمدينةِ مُحترَمًا مُعظَّمًا .

قال الحافظُ ابنُ عساكرَ[6] : ومَسجِدُه بدمشقَ - المنسوبُ إليه - معروفٌ . قلتُ : وهو (٧ الذى يقالُ له ٧) : مَشهَدُ عليٍّ شرقِيَّ جامعِ دمشقَ ، وقد استَقْدَمه عبدُ الملكِ بنُ مروانَ مرّةً أخرَى إلى دِمشقَ ، فاستَشاره فى جَوابِ ملكِ الرومِ عن بعضِ ما كتَب إليه فيه مِن أمرِ السّكّةِ وطِرازِ القَراطِيسِ .

---

(١) وفيات الأعيان ٣/ ٢٦٧.
(٢) المعارف ص ٢١٤.
(٣) فى المعارف : « سلافة » .
(٤ - ٤) فى ٢١، م، ص: « منه » .
(٥) سقط من : ٢١، م، ص.
(٦) تاريخ دمشق ٢٩/١٢ (مخطوط).
(٧ - ٧) سقط من : ٢١، م، ص.

قال الزُّهريُّ[1] : ما رأَيتُ قرشيًّا أفضلَ منه ، وكان مع أبيهِ يومَ قُتِل ابنَ ثلاثٍ وعشرين سنةً ، وهو مريضٌ ، فقال عمرُ بنُ سعدٍ : لا تَعَرَّضُوا لهذا المريضِ .

وقال الواقديُّ[2] : كان مِن أورعِ الناسِ وأعبدِهم ، وأتقاهم للَّهِ عزَّ وجلَّ ، وكان إذا مشَى لا يَخطِرُ بيدِه ، وكان يعتَمُّ بعِمامةٍ بيضاءَ يُرخِيها مِن ورائِه ، وكان كنيتَه أبو الحسنِ ، وقِيل : أبو محمدٍ . وقِيل : أبو عبدِ اللَّهِ .

وقال محمدُ بنُ سعدٍ[3] : كان ثِقةً مأمونًا كثيرَ الحديثِ عاليًا رفيعًا ورِعًا . وأمُّه غزالةُ خَلَفَ عليها بعدَ الحسينِ مولاه زُبَيْدٌ ، فولَدَت له عبدَ اللَّهِ بنَ زُبَيْدٍ ، وهو عليٌّ الأصغرُ ، فأمَّا عليٌّ الأكبرُ فقُتِل مع أبيهِ . وكذا قال غيرُ واحدٍ[4] .

وقال سعيدُ بنُ المسيَّبِ ، وزيدُ بنُ أسلمَ ، ومالكٌ ، وأبو حازمٍ[5] : لم يكُنْ فى أهلِ البيتِ مثلُه . وقال يحيى بنُ سعيدٍ الأنصاريُّ[6] : سمِعتُ عليَّ بنَ الحسينِ - وهو أفضلُ هاشميٍّ أدرَكْتُه - يقولُ : ياأيُّها الناسُ ، أَحِبُّونا حُبَّ الإسلامِ ، فما برِح بنا حُبُّكم حتى صار علينا عارًا . وفى روايةٍ : حتى بَغَّضْتُمونا إلى الناسِ .

وقال الأصمعيُّ[7] : لم يكُنْ للحسينِ عَقِبٌ إلّا مِن عليِّ بنِ الحسينِ ، ولم

---

(١) تاريخ دمشق ٣٢/١٢ (مخطوط)، وتهذيب الكمال ٢٠/ ٣٨٤، ٣٨٥، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٨١ - ١٠٠هـ) ص ٤٣٢.

(٢) لم نجده عن الواقدى، وانظر طبقات ابن سعد ٥/ ٢١٢، ٢١٣، ٢١٨، وحلية الأولياء ٣/ ١٤١، وتاريخ دمشق ٣٧/١٢ (مخطوط)، وتهذيب الكمال ٢٠/ ٣٨٩.

(٣) طبقات ابن سعد ٥/ ٢٢٢.

(٤) طبقات ابن سعد ٢١١/٥ بنحوه، وتهذيب الكمال ٣٨٤/٢٠ بنحوه.

(٥) تهذيب الكمال ٢٠/ ٣٨٧.

(٦) طبقات ابن سعد ٢١٤/٥ بنحوه، والحلية ١٣٦/٣ بنحوه، وتهذيب الكمال ٢٠/ ٣٨٧.

(٧) تاريخ دمشق ٣٦/١٢ (مخطوط)، وتهذيب الكمال ٣٨٧/٢٠، ٣٨٨، وسير أعلام النبلاء ٤/ ٣٩٠. وقال الذهبى: «إسنادها منقطع، ومروان ما احتضر، فإن امرأته غمته تحت وسادة هى وجواريها».

يكُنْ لعليِّ بنِ الحسينِ نَسْلٌ إلّا مِن ابنةِ[1] عمِّه الحسنِ ، فقال له مَرْوانُ بنُ الحكَمِ : لو اتَّخَذْتَ السرارِيَّ حتى يكثُرَ أولادُكَ . فقال : ليس لى ما أتسرَّى به . فأقرَضَه مائةَ ألفٍ ، فاشترَى له السَّرارِيَّ فولَدْنَ[2] له وكثُر نسلُه ، ثم لمّا مرِض مرْوانُ أوصَى أن لا يُؤخَذَ مِن [3]عليِّ بنِ الحسينِ[3] [١٢٦/٧و] ما[4] كان أقرَضَه ، فجميعُ الحسينيِّين مِن نسلِه ، رضِى اللَّهُ عنه .

وقال أبو بكرِ بنُ أبى شيبةَ[5] : أصحُّ الأسانيدِ كلِّها الزُّهرِىُّ عن علىِّ بنِ الحسينِ ، عن أبيه ، عن جَدِّه . وذكَروا أنَّه احترَق البيتُ الذى هو فيه ، وهو قائمٌ يُصلِّى ، فلمّا انصرَف ، قالوا له[6] : ما لكَ لم تنصرِفْ ؟ فقال : إنِّى اشتغَلتُ عن هذه النارِ بالنارِ الأُخرَى . وأنَّه كان إذا توضَّأ يصفَرُّ لونُه ، فإذا قام إلى الصلاةِ ارتعَد مِن الفَرَقِ ، فقيل له فى ذلك فقال : ألا تدرون بينَ يدَىْ مَن [7]أُريدُ أن[7] أقومَ ، ولِمَن أُناجِى ؟ ولمّا حَجَّ أراد أن يُلبِّىَ فارتعَد وقال[8] : أخشَى أن أقولَ : لبَّيْكَ اللهمَّ لبَّيْكَ ، فيقولُ لى : لا لبَّيكَ . فشجَّعوه ، وقالوا : لابُدَّ مِن التَّلْبيةِ . فلمّا لبَّى غُشِى عليه حتى سقَط عن الراحلَةِ . وأنَّه كان يُصلِّى فى كلِّ يومٍ وليلةٍ ألفَ ركْعةٍ .

وقال طاوسٌ[9] : سمِعتُه وهو ساجدٌ عندَ الحِجْرِ يقولُ : عُبَيْدُكَ بفِنائِك ،

---

(١) فى ا ٢، م، ص : « ابن » .

(٢) فى ا ٢، م، ص : « فولدت » .

(٣ - ٣) فى الأصل : « الحسين بن على » .

(٤) فى ا ٢، م، ص : « شىء مما » .

(٥) تاريخ دمشق ٣٧/١٢ (مخطوط)، وسير أعلام النبلاء ٤/ ٣٩١.

(٦) تهذيب الكمال ٢٠/ ٣٨٩، ٣٩٠ بنحوه .

(٧ - ٧) سقط من : الأصل، م. وانظر تهذيب الكمال ٢٠/ ٣٩٠.

(٨) تهذيب الكمال ٢٠/ ٣٩٠.

(٩) تاريخ دمشق ٣٨/١٢، ٣٩ (مخطوط)، وتهذيب الكمال ٢٠/ ٣٩١، وصفة الصفوة ٢/ ١٠٠.

(1) مِسكينُك بفنائِك (1) ، سائِلُك بفنائِك ، فقيرُك بفنائِك . قال طاوسٌ : فواللَّهِ ما دعَوتُ بها فى كَرْبٍ قطُّ إلَّا كُشِف عنى . وذكَروا أنَّه كان كثيرَ الصَّدَقةِ بالليلِ ، وكان يقولُ[2] : صدقةُ الليلِ تُطفِئُ غضَبَ الربِّ[3] ، وأنَّه قاسَم اللَّهَ تعالى مالَه مرَّتَيْن[4] .

وقال محمدُ بنُ إسحاقَ[5] : كان ناسٌ بالمدينةِ يعيشون لا يدرون مِن أين يعيشون ومَن يُعطِيهم ، فلمّا مات علىُّ بنُ الحسينِ فقَدوا ذلك ، (6) فعرَفوا أنَّه هو الذى كان يأتِيهم فى الليلِ بما يأتِيهم به (6) . ولمّا مات وجَدوا فى ظهرِه وأكتافِه أثرَ حَمْلِ الجُرُبِ إلى بيوتِ الأراملِ والمساكينِ فى الليلِ . وقيل[7] : إنَّه كان يعولُ مائةَ أهلِ بيتٍ بالمدينةِ ، ولا يدرون بذلك حتى ماتَ . ودخَل علىُّ بنُ الحسينِ على محمدِ بنِ أسامةَ بنِ زيدٍ يعودُه فبكَى ابنُ أسامةَ ، فقال له[8] : ما يُبكِيكَ ؟ قال : علىَّ دَينٌ . قال : وكم هو؟ قال : خمسةَ عشَرَ ألفَ دينارٍ - وفى روايةٍ : سبعةَ عشَرَ ألفَ دينارٍ - فقال : هى علىَّ .

وقال علىُّ بنُ الحسينِ[9] : كان أبو بكرٍ ، وعمرُ مِن رسولِ اللَّهِ ﷺ فى حياتِه بمنزلتِهما منه بعدَ وفاتِه . ونال منه رجلٌ يومًا ، فجعَل يتغافلُ عنه - يُرِيه أنَّه لم

(1 - 1) سقط من : 21، م، ص .
(2) حلية الأولياء 3/ 135، 136، وتهذيب الكمال 20/ 392.
(3) بعده فى 21، م، ص : « وتنور القلب والقبر ، وتكشف عن العبد ظلمة يوم القيامة » .
(4) طبقات ابن سعد 5/ 219، وحلية الأولياء 3/ 140.
(5) حلية الأولياء 3/ 136، وتهذيب الكمال 20/ 392.
(6 - 6) سقط من : الأصل .
(7) طبقات ابن سعد 5/ 222، وتهذيب الكمال 20/ 392.
(8) حلية الأولياء 3/ 141، وتهذيب الكمال 20/ 393.
(9) تاريخ دمشق 12/ 42 (مخطوط) ، وتهذيب الكمال 20/ 393.

يسمَعْه - فقال له الرجلُ[(١)] : إياكَ أعنى . فقال له علىٌّ : وعنك أُغضِى . وخرَج يومًا مِن المسجدِ فسبَّه رجلٌ فابتَدَر[(٢)] الناسُ إليه ، فقال[(٣)] : دَعُوه . ثم أقبَل عليه ، فقال : ما سُتِر عنك مِن أمرِنا[(٤)] أكثرُ ، ألك حاجةٌ نُعِينُك عليها ؟ فاستَحيا الرجلُ ، فألقَى إليه خَمِيصةً[(٥)] كانت عليه ، وأمَر له بألفِ درهمٍ ، فكان الرجلُ بعدَ ذلك[(٦)] يقولُ : أشهَدُ[(٧)] أنَّك مِن أولادِ الأنبياءِ .

قالوا[(٨)] : واختصَم علىُّ بنُ الحسينِ وحسَنُ[(٩)] بنُ حسنٍ - وكان بينَهما [١٢٦/٧ظ] منافسةٌ - فنال منه حسنُ[(٩)] بنُ حسنٍ وهو ساكتٌ ، فلمّا كان الليلُ ذهَب علىُّ بنُ الحسينِ إلى منزلِه فقال : يا ابنَ عمِّ إن كنتَ صادقًا يغفِرُ اللَّهُ لى ، وإن كنتَ كاذبًا يَغفِرُ اللَّهُ لك ، والسلامُ عليك . ثم رجَع ، فلحِقه فصالَحه ، رحِمهما اللَّهُ . وقيل له[(١٠)] : مَن أعظمُ الناسِ خطَرًا ؟ فقال : من لَم يرْضَ[(١١)] الدنيا لنفسِه خطَرًا[(١٢)] . وقال أيضًا[(١٣)] : الفِكرَةُ مرآةٌ تُرِى المؤمنَ حسناتِه وسيئاتِه .

---

(١) تاريخ دمشق ٤٦/١٢ (مخطوط)، وتهذيب الكمال ٣٩٨/٢٠.
(٢) فى ا ٢: «ابتذر»، وفى م، ص: «فانتدب».
(٣) تاريخ دمشق ٤٥/١٢ (مخطوط)، وصفة الصفوة ١٠٠/٢.
(٤) فى ا ٢، م، ص: «عيوبنا».
(٥) الخميصة: كساء أسود مربّع له علمان.
(٦) بعده فى ا ٢، م، ص: «إذا رآه».
(٧) سقط من: م.
(٨) تاريخ دمشق ٤٦/١٢ (مخطوط)، وصفة الصفوة ٩٤/٢.
(٩) فى الأصل، ا ٢: «حسين».
(١٠) تاريخ دمشق ٥٣/١٢ (مخطوط)، وتهذيب الكمال ٣٩٨/٢٠.
(١١) فى ا ٢، م، ص: «ير».
(١٢) فى ا ٢، م، ص: «قدرا».
(١٣) تاريخ دمشق ٥٣/١٢ (مخطوط).

وقال[1] : فقْدُ الأحِبَّةِ غُرْبَةٌ . وكان يقولُ[2] : إنَّ قومًا عبدوا اللَّهَ تعالى رَهبةً ؛ فتلك عبادةُ العبيدِ ، وآخرون عبَدوه رغبةً ؛ فتلك عبادةُ التُّجّارِ ، وآخرون عبدُوه محبةً وشكرًا ؛ فتلك عبادةُ الأحرارِ الأخيارِ .

وقال لابنِه[3] : يا بُنَيَّ لا تصحَبْ فاسقًا ؛ فإنَّه يبيعُك بأُكلَةٍ وأقلَّ منها ، يطمَعُ فيها ثم لا ينالُها ، ولا بخيلًا ؛ فإنَّه يخذُلُك في مالِه ، أحوَجَ ما تكونُ إليه ، ولا كذّابًا ؛ فإنَّه كالسَّرابِ يُقرِّبُ منك البعيدَ ، ويُباعِدُ عنك القريبَ ، ولا أحمقَ ؛ فإنَّه يريدُ أن ينفَعَك فيضُرَّك ، ولا قاطِعَ رحِمٍ ؛ فإنَّه ملعونٌ في كتابِ اللَّهِ ، قال اللَّهُ تعالى : ﴿ فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ ﴿٢٢﴾ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعْمَىٰ أَبْصَارَهُمْ ﴾ [محمد: ٢٢].

وكان عليُّ بنُ الحسينِ إذا دخَل المسجدَ تخطَّى الناسَ حتى يجلِسَ في حَلْقةِ زيدِ بنِ أسلمَ ، فقال له نافعُ بنُ جُبيرِ بنِ مُطْعِمٍ[4] : غفَر اللَّهُ لك ، أنتَ سيِّدُ الناسِ تأتي تَخَطَّى[5] حتى تجلِسَ مع هذا العبدِ الأسودِ ؟ فقال له عليُّ بنُ الحسينِ : إنَّما يجلِسُ الرجلُ حيثُ ينتفِعُ ، وإن العلمَ (6يُبتغَى ويؤتَى و6) يُطلَبُ مِن[7] حيثُ كان .

وقال الأعمشُ[8] ، عن مسعودِ بنِ مالكٍ قال : قال لي عليُّ بنُ الحسينِ :

---

(١) تاريخ دمشق ١٢/٥٤ (مخطوط) .
(٢) حلية الأولياء ٣/ ١٣٤، وتاريخ دمشق ١٢/٥٤ (مخطوط) ، وصفة الصفوة ٢/ ٩٥.
(٣) تاريخ دمشق ١٢/٥٣ - ٥٤ (مخطوط) ، وصفة الصفوة ٢/ ١٠١.
(٤) تاريخ دمشق ١٢/٣٣ (مخطوط) .
(٥) بعده في ٢١، م، ص: «خلق أهل العلم وقريش» .
(٦ - ٦) سقط من النسخ، والمثبت من مصدر التخريج .
(٧) سقط من النسخ، والمثبت من مصدر التخريج .
(٨) أخرجه ابن عساكر في تاريخه ١٢/٣٤ (مخطوط) .

أتستطيعُ أن تجمَعَ بينى وبينَ سعيدِ بنِ جبيرٍ؟ فقلتُ: ما تصنَعُ به؟ قال: أريدُ أن[1] أسألَه عن أشياءَ ينفَعُنا اللَّهُ بها[2]، إنَّه ليس عندَنا ما يرمينا به هؤلاء - وأشار بيدِه إلى العراقِ.

وقال الإمامُ أحمدُ[3]: حدَّثنا يحيى بنُ آدمَ، ثنا إسرائيلُ، عن أبى إسحاقَ، عن رَزِينِ[4] بنِ عُبيدٍ قال: كنتُ عندَ ابنِ عباسٍ، فأتَى علىُّ بنُ الحسينِ، فقال ابنُ عباسٍ: مرحبًا بالحبيبِ ابنِ الحبيبِ.

وقال أبو بكرٍ[5]، محمدُ بنُ يحيى الصُّولىُّ[6]: ثنا العلائىُّ[7] ثنا إبراهيمُ بنُ بشارٍ، عن سفيانَ بنِ عيينةَ، عن أبى الزبيرِ قال: كنّا عندَ جابرِ بنِ عبدِ اللَّهِ، [8]فدخَل عليه علىُّ بنُ الحسينِ فقال: كنتُ عندَ رسولِ اللَّهِ ﷺ[8]، فدخَل عليه الحسينُ بنُ علىٍّ، فضَمَّه إليه وقبَّله، وأقعَده إلى جنبِه، ثم قال: «يولَدُ لابنى هذا ابنٌ يقالُ له: علىٌّ. إذا كان يومُ القيامةِ نادَى منادٍ مِن بُطْنانِ العرشِ: لِيقُمْ سيدُ العابدين. [١٢٧/٧و] فيقومَ هو. هذا حديثٌ غريبٌ جدًّا أورَده ابنُ عساكرَ.

وقال الزهرىُّ[9]: كان أكثرُ مجالسَتى مع علىِّ بنِ الحسينِ، وما رأيتُ أفقهَ منه، وكان قليلَ الحديثِ، وكان مِن أفضلِ أهلِ بيتِه وأحسنِهم طاعةً، وأحبِّهم

---

(١) سقط من: م.

(٢) بعده فى ٢١، م، ص: «ولا ننقضه».

(٣) أخرجه ابن عساكر فى تاريخه ٣٤/١٢ (مخطوط).

(٤) فى م: «زر».

(٥) بعده فى ٢١، م، ص: «بن».

(٦) أخرجه ابن عساكر فى تاريخه ٣٤/١٢ (مخطوط)، من طريق أبى بكر الصولى به.

(٧) فى م: «العلاء».

(٨ - ٨) سقط من: ص.

(٩) أخرجه ابن عساكر فى تاريخه ١٢/ ٣٤، ٣٥ (مخطوط)، من طريق الزهرى به.

إلى مروانَ ، وابنِه عبدِ الملكِ ، وكان يُسَمِّيه[1] : زينَ العابدين .

وقال جويريةُ بنُ أسماءَ[2] : ما أكَل عليُّ بنُ الحسينِ بقرابتِه مِن رسولِ اللَّهِ ﷺ درهمًا قطُّ ، رحِمه اللَّهُ ورضِى عنه .

وقال محمدُ بنُ سعدٍ[3] : أنبأ عليُّ بنُ محمدٍ ، عن سعيدِ بنِ خالدٍ ، عن المَقْبُرىِّ قال : بعَث المختارُ إلى عليِّ بنِ الحسينِ بمائةِ ألفٍ ، فكرِه أن يقبَلَها ، وخاف أن يردَّها ، فاحتبَسها عندَه ، فلمّا قتِل المختارُ كتَب إلى عبدِ الملكِ بنِ مروانَ : إن المختارَ بعَث إلىَّ بمائةِ ألفٍ ، فكرِهتُ أن أقبَلَها ، وكرِهتُ أن أَردَّها ، فابعَثْ مَن يقبِضُها . فكتَب إليه عبدُ الملكِ : يا ابنَ عمٍّ ، خذْها ، فقد طيَّبتُها لك ، فقبِلها .

وقال عليُّ بنُ الحسينِ[4] : سادةُ الناسِ فى الدنيا الأسخياءُ الأتقياءُ ، وفى الآخرةِ أهلُ الدينِ وأهلُ الفضلِ والعلمِ[5] ؛ لأنَّ العلماءَ ورثةُ الأنبياءِ .

وقال أيضًا[6] : إنِّى لأستَحى مِن اللَّهِ ، عزَّ وجلَّ ، أن أرَى الأخَ مِن إخوانى ، فأسأَلَ اللَّهَ له الجنةَ ، وأبخَلَ عليه بالدنيا ، فإذا كان يومُ القيامةِ ، قيل لى : لو كانتِ الجنةُ بيدِك لكنتَ بها أبخلَ ، وأبخلَ وأبخلَ[7] .

وذكَروا[8] أنَّه كان كثيرَ البكاءِ ، فقيل له فى ذلك ، فقال : إن يعقوبَ ، عليه

---

(١) فى م : « يسمى » .
(٢) أخرجه ابن عساكر فى تاريخه ٣٧/١٢ (مخطوط) ، من طريق جويرية بن أسماء به .
(٣) طبقات ابن سعد ٢١٣/٥.
(٤) تاريخ دمشق ٤١/١٢ (مخطوط) .
(٥) بعده فى ٢١، م ، ص : « الأتقياء» .
(٦) تاريخ دمشق ٤١/١٢ (مخطوط) .
(٧) سقط من : ٢١.
(٨) تاريخ دمشق ٤١/١٢ (مخطوط) بنحوه .

السلامُ ، بكَى حتى ابيضَّتْ عَيناه على يوسفَ ، ولم يعلَمْ أنَّه مات ، وإنِّى رأيتُ بضعةَ عشَرَ مِن (١)أهلِ بيتى(١) يُذْبَحون فى غداةٍ واحدةٍ ، أفترَون حزنَهم يذهَبُ مِن قلبى أبدًا ؟!

وقال عبدُ الرزاقِ(٢) : سكَبتْ جاريةٌ لعلىِّ بنِ الحسينِ عليه ماءً ليتوضَّأَ ، فسقَط الإبريقُ مِن يدِها على وجهِه فشَجَّه ، فرفَع رأسَه إليها ، فقالتِ الجاريةُ : إنَّ اللَّهَ ، عزَّ وجلَّ ، يقولُ : ﴿ وَٱلْكَٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ ﴾ . فقال : قد كظَمتُ غَيظى . قالت : ﴿ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ ﴾ . فقال : قد عفا اللَّهُ عنكِ . فقالت : ﴿ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾ [آل عمران : ١٣٤] . قال : فاذهَبى(٣) ، أنتِ حرةٌ .

وقال الزبيرُ بنُ بكارٍ(٤) : ثنا عبدُ اللَّهِ بنُ إبراهيمَ أبو(٥) قدامةَ الجُمَحىُّ(٦) ، عن أبيه ، عن جدِّه ، عن محمدِ بنِ علىٍّ ، عن أبيه قال : جلَس إلىَّ(٣) قومٌ مِن أهلِ العراقِ ، فذكَروا أبا بكرٍ ، وعمرَ فنالوا منهما ، ثم ابتدءُوا فى عثمانَ ، فقلتُ(٧) لهم : أخبِرونى ، أنتم مِن ﴿ ٱلْمُهَٰجِرِينَ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُوا۟ مِن دِيَٰرِهِمْ ﴾ . (٨)وإلى قولِه : ﴿ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ [٧/١٢٧ظ] ٱلصَّٰدِقُونَ ﴾(٨) [الحشر : ٨]؟ قالوا : لا ، (٨)لسنا منهم(٨) . قلتُ : فأنتمَ مِن الذين ، (٨)قال اللَّهُ ، عزَّ وجلَّ(٨) : ﴿ وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَٰنَ

(١ - ١) فى الأصل، ١٢، ص : « أهلى » .
(٢) أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ١٢/ ٤٢. (مخطوط) ، من طريق عبد الرزاق به .
(٣) سقط من : ١٢، م ، ص .
(٤) أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ١٢/ ٤٣. (مخطوط) ، من طريق الزبير بن بكار به .
(٥) فى النسخ : « بن » . والمثبت من مصدر التخريج .
(٦) فى م : « اللخمى » .
(٧) فى ١٢، م ، ص : « فقال » .
(٨ - ٨) سقط من : ١٢، م ، ص .

مِن قَبۡلِهِمۡ يُحِبُّونَ مَنۡ هَاجَرَ إِلَيۡهِمۡ﴾، إلى قوله: ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ﴾ [الحشر: ٩]؟ قالوا: لا، (١ لسنا منهم ١). قال: فقلتُ لهم: أمَّا أنتم فقد (١ تبرَّأتم و ١) أقررتُم وشهِدتُم (٢ أن تكونوا منهم، وأنا أشهَدُ ٢) أنكم لستُم مِن (٣) الفرقةِ الثالثةِ الذين قال اللَّهُ تعالى فيهم: ﴿وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعۡدِهِمۡ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لَنَا وَلِإِخۡوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلۡإِيمَٰنِ وَلَا تَجۡعَلۡ فِي قُلُوبِنَا غِلّٗا لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٞ رَّحِيمٌ﴾ [الحشر: ١٠] قوموا عنِّى، لا بارَك اللَّهُ فيكم، ولا قرَّب دورَكم، أنتم مستهزئون بالإسلامِ، ولستُم مِن أهلِه.

وجاء رجلٌ(٤) فسأله: متى يُبعَثُ علىٌّ؟ فقال: يُبعَثُ واللَّهِ يومَ القيامةِ وتهُمُّه نفسُه.

وقال ابنُ أبى الدُّنيا(٥): حُدِّثتُ عن سعيدِ بنِ سليمانَ، عن علىِّ بنِ هاشمٍ، عن أبى حمزةَ الثُّمالىِّ، أن علىَّ بنَ الحسينِ كان إذا خرَج مِن بيتِه قال: اللهمَّ إنِّى أتصدَّقُ اليومَ - أو أهَبُ عِرضى اليومَ - مَن استحلَّه.

وروَى ابنُ أبى الدنيا(٦) أن غلامًا سقَط مِن يدِه سَفُّودٌ وهو يشوِى شيئًا فى التَّنُّورِ على رأسِ صبىٍّ لعلىِّ بنِ الحسينِ فقتَله، فنهَض علىُّ بنُ الحسينِ مسرِعًا، فلمَّا نظَر إليه، قال للغلامِ: (٧ يابنىَّ ٧)، إنَّك لم تتعمَّدْ، أنت حرٌّ. ثم شرَع فى

(١ - ١) سقط من: ١٢، م، ص.

(٢ - ٢) فى ١٢، م، ص: «على أنفسكم».

(٣) بعده فى ١٢، ص: «هؤلاء وأنا أشهد أنكم لستم من»، وفى م: «هؤلاء ولا من هؤلاء، وأنا أشهد أنكم من».

(٤) تاريخ دمشق ١٢/٤٣، ٤٤ (مخطوط).

(٥) أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ١٢/٤٦ (مخطوط) من طريق ابن أبى الدنيا به.

(٦) المصدر السابق.

(٧ - ٧) سقط من: م.

جهازِ ابنِه .

وقال المدائنيُّ[1] : سمِعتُ سفيانَ يقولُ : كان عليُّ بنُ الحسينِ يقولُ : ما يسُرُّنى أن لى بنصيبى مِن الذلِّ حُمْرَ النَّعَمِ . ورَواه الزبيرُ بنُ بكارٍ[2] مِن غيرِ وجهٍ عنه .

ومات لرجلٍ ولدٌ مسرفٌ على نفسِه فجزع عليه من أجلِ إسرافِه فقال له عليُّ ابنُ الحسينِ[2] : إنَّ مِن وراءِ ابنِك خِلالًا ثلاثًا ؛ شهادةَ أنْ لا إلهَ إلا اللَّهُ ، وشفاعةَ رسولِ اللَّهِ ، ورحمةَ اللَّهِ ، عزَّ وجلَّ .

وقال المدائنيُّ[3] : قارَف الزهريُّ ذنبًا ، فاستوحَش منه ، وهام على وجهِه ، وترَك أهلَه ومالَه ، فلمَّا اجتَمع بعليِّ بنِ الحسينِ قال له : يازُهريُّ ، قنوطُك مِن رحمةِ اللَّهِ التى وسِعتْ كلَّ شىءٍ أعظمُ مِن ذنبِك . فقال الزهريُّ : ﴿ اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُۥ ﴾ [الأنعام : ١٢٤] . وفى روايةٍ[2] ، أنَّه كان أصاب دمًا[4] خطأً ، فأمَره علىٌّ بالتوبةِ والاستغفارِ ، وأن يبعَثَ الدِّيَةَ إلى أهلِه[5] . وكان الزهريُّ يقولُ : علىُّ بنُ الحسينِ أعظمُ الناسِ علىَّ منةً .

وقال سفيانُ بنُ عيينةَ[6] : كان علىُّ بنُ الحسينِ يقولُ: لا يقولُ رجلٌ فى

---

(١) أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ٤٧/١٢ (مخطوط) ، من طريق المدائنى به .
(٢) تاريخ دمشق ٤٧/١٢ (مخطوط) .
(٣) أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ٤٧/١٢ (مخطوط) ، من طريق المدائنى به .
(٤) بعده فى ا٢، م ، ص : « حراما » .
(٥) بعده فى ا٢، م ، ص : « ففعل ذلك » .
(٦) أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ٤٨/١٢ (مخطوط) ، من طريق سفيان به .

رجـلٍ مِن الخيرِ ما لا يعلَمُ إلّا أوشَك أن يقولَ فيه مِن الشرِّ ما لا يعلَمُ ، وما اصطحَب اثنان على معصيةٍ إلا أوشَك أن يفترِقا على غيرِ طاعةِ [٧/١٢٨و] اللّهِ .

وذكَروا[1] : أنَّه زوَّج ابنةً[2] مِن مولًى له ، وأعتَق أمَةً فتزوَّجها ، فأرسَل إليه عبدُ الملكِ يلومُه فى ذلك ، فكتَب إليه ﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ ﴾ [الأحزاب : ٢١] ، وقد أعتَق صفيةَ فتزوَّجها ، وزوَّج مولاه زيدَ بنَ حارثةَ مِن ابنةِ عمَّتِه زينبَ بنتِ جحشٍ . قالوا[3] : وكان يلبَسُ فى الشتاءِ خميصةً مِن خزٍّ بخمسين دينارًا ، فإذا جاء الصيفُ تصدَّق بها . ويلبَسُ فى الصيفِ الثيابَ المرقعةَ[4] ودونَها ، ويتلو قولَه تعالى : ﴿ قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِيٓ أَخْرَجَ لِعِبَادِهِۦ وَٱلطَّيِّبَٰتِ مِنَ ٱلرِّزْقِۚ ﴾ [الأعراف ٣٢] .

وقد رُوى مِن طرقٍ ذكَرها الصولىُّ ، والجُريرىُّ ، وغيرُ واحدٍ[5] ، أنَّ هشامَ بنَ عبدِ الملكِ حجَّ فى خلافةِ أبيه - أو أخيه الوليدِ - فطاف بالبيتِ ، فلمّا أراد أنْ يستلِمَ الحجَرَ لم يتمكَّنْ حتى نصِب له منبرٌ فاستلَم وجلَس عليه ، وقام أهلُ الشامِ حولَه ، فبينما هو كذلك إذْ أقبَل علىُّ بنُ الحسينِ ، فلما دنا مِن الحجرِ ؛ ليستلمَه تنحّى عنه النّاسُ إجلالًا له وهيبةً واحترامًا ، وهو فى بِزَّةٍ حسَنةٍ ، وشكلٍ مَليحٍ ، فقال أهلُ الشامِ لهشامٍ : مَن هذا ؟ فقال : لا أعرِفُه[6] . لئلّا يرغَبَ فيه أهلُ الشامِ ، فقال

---

(١) تاريخ دمشق ١٢/٤٨ (مخطوط) .
(٢) فى الأصل ، ١٢١، م : « أمه » . والمثبت موافق لما فى مصدر التخريج ، وانظر طبقات ابن سعد ٥/ ٢١٤.
(٣) تاريخ دمشق ١٢/٤٨ (مخطوط) ، وسير أعلام النبلاء ٤/ ٣٩٨.
(٤) فى ٢١، ص : « المترقعة » .
(٥) حلية الأولياء ٣/ ١٣٩، وتاريخ دمشق ١٢/٤٩ (مخطوط) .
(٦) بعده فى ٢١، م ، ص : « استنقاصا واحتقارا » .

الفرزدقُ ، وكان حاضرًا : أنا أعرِفُه . فقالوا : ومَن هو ؟ فأنشأ الفرزدقُ يقولُ[(1)] :

هذا الذى تعرِفُ البطحاءُ وطأتَهُ ... والبيتُ يعرِفُهُ والحِلُّ والحرمُ

هذا ابنُ خيرِ عبادِ اللَّهِ كلِّهِمُ ... هذا التقىُّ النقىُّ الطاهرُ العلَمُ

إذا رأتْه قريشٌ قال قائلُها ... إلى مكارمِ هذا ينتهِى الكرَمُ

يُنمَى إلى ذِروةِ العزِّ التى قصُرتْ ... عن نَيلِها عَرَبُ الإسلامِ والعجمُ

يكادُ يُمْسِكُه عِرفانَ راحتِه ... ركنُ الحطيمِ إذا ما جاءَ يستلمُ

يُغضِى حياءً ويُغضَى مِن مهابتِه ... فما يُكلَّمُ إلا حينَ يبتسِمُ

بكفِّه خَيزُرانٌ ريحُها عبِقٌ ... من كفِّ أروعَ فى عِرنينِه[(2)] شَمَمُ[(3)]

مشتقَّةٌ مِن رسولِ اللَّهِ نَبعتُه[(4)] ... طابَت عناصرُها والخِيمُ[(5)] والشِّيَمُ

ينجابُ نورُ الهدى مِنْ نورِ غُرَّتِه ... كالشمسِ ينجابُ عن إشراقِها القتَمُ[(6)]

حمّالُ أثقالِ أقوامٍ إذا فُدِحوا ... حُلْوُ الشمائلِ تحلو عندهُ[(7)] نَعَمُ

[٧/١٢٨ظ] هذا ابنُ فاطمةٍ إن كنتَ جاهلَهُ ... بجَدِّه أنبياءُ اللَّهِ قد خُتِموا

[(8)]اللَّهُ فضَّله قِدْمًا وشَرَّفه ... جَرَى بذاك له فى لوحِه القلمُ[(8)]

---

(١) الأبيات فى الأغانى ١٥/٣٢٧، ٣٢٩، والحيوان ٣/١٣٣، وتاريخ دمشق ١٢/٤٨، ٤٩ (مخطوط)، ومختصر تاريخ دمشق ١٧/٢٤٧، ٢٤٨.

(٢) عرنين : الأنف . اللسان مادة (ع ر ن) .

(٣) الشمم : ارتفاع القصبة وحسنها واستواء أعلاها . اللسان مادة (ش م م) .

(٤) النبعة : شجرة من أشجار الجبال يتخذ منها القسى . اللسان مادة (ن ب ع) .

(٥) الخيم : الشيمة والطبيعة والخلق والسجية . اللسان (خ ى م) .

(٦) فى م : « الغيم » .

(٧) فى الأصل : « عنه » .

(٨ - ٨) سقط من : م .

مَن جدُّه دان فضلُ الأنبياءِ له | وفضلُ أمَّتِه دانتْ لها الأُمَمُ
عمَّ البريةَ بالإحسانِ فانقشَعتْ | عنها الغَيابةُ[1] والإملاقُ والظلَمُ
كلتا يديهِ غِياثٌ عمَّ نفعُهما | يُسْتَوكَفانِ ولا يعْروهما العدَمُ
سهلُ الخليقةِ لا تُخشَى بوادرُه | يزينُه اثنان : حُسْنُ الخُلْقِ والكَرَمُ[2]
لا يُخلِفُ الوعدَ ميمونٌ نقيبتُه[3] | رحبُ الفِناءِ أريبٌ حين يعتزِمُ
مِنْ معشرٍ حبُّهمْ دِينٌ وبغضُهمْ | كفرٌ وقرْبُهمُ مَنْجًى ومُعتصَمُ
يُستدفَعُ السوءُ[4] والبلوى بحبِّهمُ | °ويُسْتَرَبُّ به° الإحسانُ والنِّعمُ
مُقَدَّمٌ بعدَ ذكرِ اللَّهِ ذكرُهمُ | فى كلِّ حكمٍ ومختومٌ به الكلِمُ
إنْ عُدَّ أهلُ التُّقى كانوا أئِمَّتَهمْ | أو قيل مَن خيرُ أهلِ الأرضِ قيلَ هُمُ
لا يستطيعُ جوَادٌ بُعْدَ غايتِهمْ | ولا يدانيهمُ قومٌ وإن كرُموا
همُ الغُيوثُ إذا ما أزمةٌ أزَمتْ | والأُسْدُ أُسدُ الشَّرى والبأسُ محتدِمُ
يأبى لهم أن يحُلَّ الذمُّ ساحتَهم | خِيمٌ كريمٌ[6] وأيدٍ بالندى هُضُمُ
لا يَنْقُصُ العُسْرُ[7] بَسْطًا مِن أكُفِّهمُ | سيَّانِ ذلك إنْ أثْرَوا وإن عَدِموا
أيُّ الخلائقِ ليستْ فى رقابِهمُ | لأوَّليَّةِ هذا أوْ لَهُ نِعمُ
فليسَ قولُكَ مَن هذا بضائرِهِ | العُرْبُ تعرِفُ مَن[8] أنكرتَ والعجَمُ

(١) فى م : « الغواية » .
(٢) فى النسخ : « تزينه ثنتان الحلم والكرم » . وهو مضطرب ، والمثبت من طبقات الشافعية الكبرى ١/ ٢٩٢.
(٣) فى م : « بغيبته » .
(٤) فى الأصل ، ١ ٢، ص : « الشر » .
(٥ - ٥) فى ١ ٢: « يسترب » ، وفى م : « ويستزاد به » ، وفى ص : « ويستزد به » .
(٦) فى م : « كرام » .
(٧) فى ١ ٢: « العشر » . وفى م : « العدم » .
(٨) فى الأصل ، ١ ٢، ص : « ما » .

مَنْ يعرِفِ اللَّهَ يعرِفْ أوّليّةَ ذا فالدِّينُ مِن بيتِ هذا نالَهُ الأمَمُ

قال : فغضِب هشامٌ مِن ذلك ، وأمَر بحبسِ الفرزدقِ بعُسْفَانَ ، بين مكةَ والمدينةِ ، فلمّا بلَغ ذلك عليَّ بنَ الحسينِ بعَث إلى الفرزدقِ باثْنَى عشَرَ ألفَ درهمٍ ، [1] وأرسَل يعتذِرُ إليه أن ليس عندَه اليومَ غيرُها ، فردَّها الفرزدقُ [1] ، وقال : إنَّما قلتُ ما قلتُ للَّهِ ، عز وجل ، ونصرةً للحقِّ ، وقيامًا بحقِّ رسولِ اللَّهِ ﷺ فى ذريتِه ، ولستُ أعتاضُ عن ذلك بشىءٍ . فأرسَل إليه عليُّ بنُ الحسينِ يقولُ : قد علِم اللَّهُ صدقَ نيتِك فى ذلك ، وأقسمتُ [2] لَتقبلَنَّها . فقبِلها منه ثم جعَل يهجو هشامًا فكان ممّا قال فيه [3] :

يحبِّسُنى بينَ المدينةِ والتى إليها قلوبُ الناسِ يهوِى منيبُها

[١٢٩/٧و] يُقلِّبُ رأسًا لم يكنْ رأسَ سيدٍ وعينينِ حولاوَين بادٍ عيوبُها

وقد رُوِّينا عن عليِّ بن الحسينِ أنَّه كان إذا مرَّت به الجنازةُ يقولُ [4] :

نُراعُ إذا الجنائزُ قابلتْنا ونلهو حينَ تمضِى ذاهباتِ

كروعةِ ثَلَّةٍ لمُغارِ سَبْعٍ فلمّا غابَ عادتْ راتعاتِ

ورَوَى الحافظُ ابنُ عساكرَ [5] مِن طريقِ محمدِ بنِ عبدِ اللَّهِ المقرئِ، حدَّثنى سفيانُ بنُ عيينةَ ، عن الزهرىِّ ، قال : سمِعتُ عليَّ بنَ الحسينِ سيدَ العابدين

(١ - ١) فى م : « فلم يقبلها » .

(٢) بعده فى ا ٢، م ، ص : « عليك باللَّه » .

(٣) بعده فى ا ٢، م ، ص : « هذين البيتين » . والبيتان فى الأغانى ١٥/ ٣٢٧، وتاريخ دمشق ١٢/ ٥٠ (مخطوط) ، ومختصر تاريخ دمشق ١٧/ ٢٤٩.

(٤) البيتان فى تاريخ دمشق ١٢/ ٥٤ (مخطوط) ، ومختصر تاريخ دمشق ١٧/ ٢٥٦.

(٥) أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ١٢/ ٥٠- ٥٣ (مخطوط) .

يحاسبُ نفسَه ويناجى ربَّه يقولُ[1] :-

يا نفسُ حتّامَ إلى الدنيا غُرورُك[2] ، وإلى عمارتِها ركونُك ، أمَا اعتبرتِ بمَن مضَى مِن أسلافِك ، ومَن وارتْه الأرضُ مِن أُلّافِك ؟ ومَن فُجعتِ به مِن إخوانِك ، ونُقِل إلى البِلى[3] من أقرانِك ؟

فهم فى بطونِ الأرضِ بعدَ ظهورِها ... محاسنُهم فيها بوالٍ دواثرُ
خلَت دورُهمْ منهمْ وأقوَتْ عِراصُهمْ ... وساقتْهمُ نحوَ المنايا المقادرُ
وخُلّوا عن الدنيا وما جمَعوا لها ... وضمَّتهمُ[4] تحتَ الترابِ الحفائرُ

كم تخرَّمتْ أيدى المنونِ مِن قرونٍ بعدَ قرونٍ ، وكم غيَّرَتِ الأرضُ ببلائِها ، وغيَّبتْ فى ثراها[5] ممَن عاشرتَ مِن صنوفِ الناسِ[6] وشيَّعتهم إلى الأرماسِ[7] .

وأنتَ على الدنيا مكِبٌّ منافِسٌ ... لخُطّابِها فيها حريصٌ مكاثِرُ
على خطرٍ تُمسِى[8] وتُصبحُ لاهيًا ... أتدرى بماذا لو عقَلتَ تخاطِرُ ؟!
وإنّ امرأً يسعَى لدنياه دائبًا ... ويَذهَلُ عن أخراهُ لاشكَّ خاسِرُ

فحتّامَ على الدنيا إقبالُك ؟ وبشهواتِها اشتغالُك ؟ وقد وخَطك القتيرُ[9] ،

---

(١) سقط من : م .
(٢) فى ا ٢، م، ص : « سكونك » .
(٣) فى ا ٢، م، ص : « الثرى » .
(٤) فى م : « ضمهم » .
(٥) فى ا ٢، م، ص : « ترابها » .
(٦) سقط من : م .
(٧) فى م : « الأمارس » . وبعده فى ا ٢، م، ص : « ثم رجعت عنهم إلى عمل أهل الأفلاس » .
(٨) فى الأصل، م : « تمشى » .
(٩) وخطك : فشا فيك . والقتير : أول ما يظهر من الشيب . الوسيط (و خ ط) ، (ق ت ر) .

وأتاك النذيرُ، وأنت عمّا يرادُ بك ساهٍ، وبلَذَّةِ يومِك[1] لاهٍ[2].

وفى ذِكرِ هَولِ الموتِ والقبرِ والبِلى ... عن اللهوِ واللذّاتِ للمرءِ زاجرُ
أبعدَ اقترابِ الأربعين تربُّصٌ ... وشيبِ قَذَالٍ منذِرٌ [3]لك كاسرُ[3]
كأنَّكَ معنِيٌّ بما هو صائِرٌ ... لنفسِكَ عمْدًا أو[4] عن الرشدِ جائرُ

انظُرْ إلى الأممِ الماضيةِ، والملوكِ الفانيةِ كيف أفنتهم[5] الأيامُ، ووافاهم الحِمامُ؛ فانمحت مِن الدنيا آثارُهم، وبقِيَت فيها أخبارُهم[6].

وأضحَوا[7] رميمًا فى الترابِ وعُطِّلَت ... [8]مجالسُ منهم أقفرتْ و[8]مقاصِرُ
[١٢٩/٧ظ] وحلُّوا بدارٍ لا تزاوُرَ بينَهم ... وأنَّى لسكّانِ القبورِ تَزاوُرُ[9]
فما إن ترَى إلا جُثًى[10] قد ثَوَوْا بها ... مسطَّحةً تَسفِى عليها الأعاصرُ

كم مِن ذى مَنَعةٍ وسلطانٍ وجنودٍ وأعوانٍ، تمكَّن مِن دنياه، ونال فيها ما

---

(١) بعده فى ا ٢، م، ص: «وغدك».

(٢) بعده فى ا ٢، م، ص: «وقد رأيت انقلاب أهل الشهوات، وعاينت ما حل بهم من المصيبات».

(٣ - ٣) فى ا ٢، م: «للكاسر».

(٤) فى م: «و».

(٥) فى ا ٢، م، ص: «اختطفتهم عقبان».

(٦) بعده فى ا ٢، م: «وأضحوا رمما فى التراب إلى يوم الحشر والمآب»، وبعده فى ص: «وأضحوا رمما فى التراب إلى يوم الحشر والحساب».

(٧) فى م: «أمسحوا».

(٨ - ٨) فى ا ٢، ص: «مجالسهم منهم وأخلوا». وفى م: «مجالسهم منهم وأخلى».

(٩) فى ا ٢، م، ص: «التزاور».

(١٠) فى الأصل: «إن جثا»، وفى ا ٢: «جثاء»، وفى م: «قبورا». وفى ص: «حساد». والمثبت من تاريخ دمشق ٥١/١٢ (مخطوط).

تمنّاه ، وبنَى فيها القصورَ والدساكِرَ ، وجمَع الأعلاقَ[1] والذخائرَ[2] .

فما صرَفتْ كفُّ المنيةِ إذ أتتْ مبادِرةً تهوِى إليه الذخائرُ
ولا دفَعتْ عنه الحصونُ التى بنَى وحفَّ بها أنهارُه والدّساكرُ
ولا قارَعتْ عنه المنيةَ حيلةٌ ولا طمِعت فى الذَّبِّ عنه العساكرُ

أتاه مِن اللَّهِ ما لا يُرَدُّ ، ونزَل به مِن قضائِه ما لا يُصَدُّ ، فتعالى اللَّهُ الملكُ الجبّارُ ، المتكبِّرُ[3] القهّارُ ، قاصمُ الجبّارين ، ومبيدُ[4] المتكبِّرين[5] .

مليكٌ عزيزٌ لا يُرَدُّ قضاؤُه حكيمٌ عليمٌ نافذُ الأمرِ قاهرُ
عَنَا كلُّ ذِى عزٍّ لعزةِ وجهِه فكلٌّ[6] عزيزٍ للمهيمِنِ صاغرُ
لقد خضَعتْ واستسلَمتْ وتضاءَلتْ لعزّةِ ذى العرشِ الملوكُ الجبابرُ

فالبِدارَ البِدارَ ، والحِذارَ الحذارَ من الدنيا ومكايدِها ، وما نصَبتْ لك مِن مصايدِها ، وتحلَّت لك مِن زينتِها ، وأظهَرتْ لك مِن بهجتِها[7] .

وفى دونِ ما عايَنتَ مِن فَجَعاتِها إلى رفضِها[8] داعٍ وبالزهدِ آمرُ[9]

---

(1) فى ا ٢، م، ص : « فيها الأموال » . والأعلاق : جمع عِلق ، وهو النفيس من كل شىء . القاموس ، مادة (ع ل ق) .

(2) بعده فى ا ٢: « ونكح السرائر والحرائر » . وبعده فى م : « وملح السرارى والحرائر » . وبعده فى ص : « ونكح السرارى والحرائر » .

(3) بعده فى ا ٢، م، ص : « العزيز » .

(4) فى الأصل : « مبير » .

(5) بعده فى ا ٢، م، ص : « الذى ذل لعزه كل سلطان ، وأباد بقوته كل ديان » .

(6) فى م : « فكم من » .

(7) بعده فى ا ٢، م، ص : « وأبرزت لك من شهواتها ، وأخفت عنك من قواتلها وهلكاتها » .

(8) فى ا ٢: « وصفها » . وفى م : « دفعها » . وفى ص : « ذمها » .

(9) بعده فى ا ٢، م، ص :

« فجد ولا تغفل وكن متيقظا فعما قليل يترك الدار عامر »

(١فجِدَّ ولا تغْفُلْ فعيشُك١) زائلٌ وأنتَ إلى دارِ الإقامةِ صائرُ
ولا تطلُبِ الدنيا فإنَّ طِلابَها(٢) وإنْ نِلتَ منها غُبَّةً(٣) لكَ ضائرُ

فهل يحرِصُ عليها لبيبٌ ، أو يُسَرُّ بها أريبٌ ؟ وهو على ثقةٍ مِن فَنائِها ، وغيرُ طامعٍ فى بقائِها ، أم كيف تنامُ عينا مَن يخشَى البَياتَ ، وتسكُنُ نفسُ مَن يتوقَّعُ(٤) المَماتَ .

ألَا لَا ولكنّا نَغُرُّ نفوسَنا وتشغَلُنا اللَّذّاتُ عما نحاذِرُ
وكيف يَلَذُّ العيشَ مَن هو مُوقِنٌ(٥) بموقفِ عدلٍ يومَ تُبلَى السرائرُ
كأنّا نرَى أنْ لا نشورَ وأنّنا سُدًى ما لنا بعدَ المَماتِ مصائرُ(٦)

وما عسَى أن ينالَ صاحبُ الدّنيا مِن لذّتِها ويتمتَّعُ به مِن بهجتِها ، مع صنوفِ [١٣٠/٧و] عجائِبِها(٧) ، وكثرةِ تعبِه(٨) فى طلبِها ، وما يكابِدُ من أسقامِها وأوصابِها وآلامِها ؟!

أما قد ترَى فى كلِّ يومٍ وليلةٍ يروحُ علينا صرفُها ويباكِرُ؟
تعاوَرُنا آفاتُها وهمومُها وكمْ قد ترَى يَبقَى لها المُتعاوَرُ؟

(١ - ١) فى ا ٢، م، ص: «فشمر ولا تفتر فعمرك».
(٢) فى ا ٢، م، ص: «نعيمها».
(٣) الغبة: البلغة من العيش. القاموس (غ ب ب).
(٤) بعده فى ا ٢، م، ص: «فى جميع أموره».
(٥) فى م: «موقف».
(٦) فى ا ٢، م، ص: «مصادر».
(٧) بعده فى ا ٢، م، ص: «وقوارع فجائعها».
(٨) فى ا ٢، م، ص: «عذابه بمصابها و».

فلا هو مغبوطٌ بدنياه آمِنٌ ولا هوَ عنْ تَطلابِها النفسَ قاصرُ

كم قد غرَّت الدنيا مِن مُخلِدٍ إليها ، وصرَعت مِن مكِبٍّ عليها ، فلم تُنعِشْه مِن عثْرتهِ ، ولم تُقِمْه[1] مِن صرْعتِه ، ولم تَشْفِه مِن ألِمه ، ولم تُبرِه مِن سقَمِه[2] .

بلى أوردَته بعدَ عزٍّ ومَنْعةٍ مواردَ سوءٍ ما لهنَّ مصادرُ

فلمّا رأى أن لا نجاةَ وأنّه هو الموتُ لا يُنجيه منه التحاذُرُ

تندَّمَ إذْ لم تُغنِ عنه ندامةٌ عليه وأبكَتْه الذنوبُ الكبائرُ

بكَى على ما سلَف مِن خطاياه ، وتحسَّر على ما خلَف مِن دنياه ، حين[3] لا ينفَعُه الاستغفارُ ، ولا يُنجِيه الاعتذارُ ، عند هولِ المنيةِ ونزولِ البليةِ .

أحاطتْ به أحزانُهُ وهمومُهُ وأُبلِسَ لمّا أعجَزتْهُ المعاذرُ[4]

فليس له مِن كُربةِ الموتِ فارجٌ وليس له مما يحاذِرُ ناصرُ

وقد جشَأتْ خوفَ المنيةِ نفسُهُ تُرِدِّدُها منه اللَّها والحناجرُ

هنالك خفَّ عُوّادُه ، وأسلَمه أهلُه وأولادُه ، وارتفَعتْ الرنَّةُ[5] بالعَويلِ ، وقد أيِسوا مِن العليلِ ، فغَمَّضوا بأيديهم عينَيه ، ومدّ عندَ خروجِ روحِه رجلَيه[6] .

فكم موجَعٍ يبكِي عليه ومُفْجَعٍ ومستنجِدٍ صبْرًا وما هو صابرُ

ومسترجِعٍ داعٍ له اللَّهَ مخلِصًا يعدِّدُ منه خيرَ[7] ما هوَ ذاكرُ

---

(١) فى ا ٢، م، ص : « تنقذه » .

(٢) بعده فى ا ٢، م، ص : « ولم تخلصه من وصمه » .

(٣) فى ا ٢ : « واستغفر حين » ، وفى م : « استغفر حتى » .

(٤) فى م : « المقادر » .

(٥) فى ا ٢ : « الرزية » ، وفى م : « البرية » .

(٦) بعده فى ا ٢، م : « وتخلى عنه الصديق والصاحب الشفيق » .

(٧) فى ا ٢، م : « كل » .

وكَمْ شامتٍ مستبشِرٍ بوفاتِه وعمّا قليلٍ كالذى صار صائرُ

فشقَّ جيوبَها نساؤه، ولطَم خدودَها إماؤه، وأعْوَل لفقدِه جيرانُه، وتوجَّع لرزئِه إخوانُه، ثم أقبَلوا على جَهازِه، وشمّروا لإبرازِه[1].

وظلَّ[2] أحبُّ القومِ كان لقربه[3] يحُثُّ على تجهيزِه ويبادِرُ

وشمَّر مَنْ قد أحضَروه لغَسلِه ووجَّه لمّا قام[4] للقبرِ حافرُ

[١٣٠/٧ظ] وكُفِّن فى ثوبين واجتمَعتْ لهُ مُشيِّعةً إخوانُهُ والعشائرُ

فلو رأيْتَ الأصغرَ مِن أولادِه، وقد غلَب الحزنُ على فؤادِه، وغُشِى[5] مِن الجزَعِ عليه، وخضَّبتْ الدموعُ خدَّيه[6]، وهو يندُبُ أباه، ويقول: يا ويلاه[7].

لعايَنتَ مِن قبحِ المنيةِ[8] منظرًا يُهالُ لمرآهُ ويَرْتاعُ ناظرُ

أكابرُ أولادٍ يَهيجُ اكتئابُهمْ إذا ما تناساه[9] البنون الأصاغرُ

ورنَّةُ[10] نسوانٍ عليهِ جوازعٍ مدامعُهمْ فوقَ الخدودِ غوازرُ

ثم أُخرِج مِن سَعةِ قصرِه إلى ضِيقِ قبرِه، فلمّا استقرّ فى اللحدِ وهَى[11] عليه

---

(١) بعده فى ا ٢، م: «كأنه لم يكن بينهم العزيز المفدى ولا الحبيب المبدى».

(٢) فى ا ٢: «ضل»، وفى م: «حل».

(٣) فى م: «بقربه».

(٤) فى النسخ: «فاض». وانظر تاريخ دمشق ٥٢/١٢ (مخطوط).

(٥) فى ا ٢، م: «يخشى».

(٦) فى ا ٢، م: «عينيه».

(٧) بعده فى ا ٢، م: «واحرباه».

(٨) فى الأصل: «المدينة».

(٩) فى الأصل: «تناسوه».

(١٠) فى م: «ربة».

(١١) وهى: تخرق وانشق واسترخى رباطه. القاموس (و هـ ى).

اللبِنُ[١] ، وحثَوا بأيديهم عليه الترابَ ، وأكثَروا التلَدُّدَ[٢] عليه والانتحابَ ، ثم وقَفوا ساعةً عليه ، وأيِسوا مِن النظرِ إليه[٣] .

فولَّوا عليهِ مُعْوِلين وكلُّهم ... لِمثلِ الذى لاقى أخوهُ محاذِرُ

كشاءٍ رِتاعٍ آمنيـنَ بدا لهـا ... بُمديتِه بادِى الذراعيـنِ حاسرُ

فرِيعَت ولم ترتَعْ قليلًا وأجفَلتْ ... فلمّا نأى عنها الذى هو جازِرُ

عادت إلى مَرْعاها ، ونسِيتْ ما فى أختِها دهاها ، أفبأفعالِ البهائمِ[٤] اقتدَينا ؟ أم على عادتِها جرَيْنا ؟ عُدْ إلى ذكرِ المنقولِ إلى دارِ البِلى و[٥] الثَّرَى ، المدفوعِ إلى هَوْلِ ما ترَى .

ثوَى مفرَدًا فى لحدِه وتوزَّعت ... مواريثَه [٦]أرحامُه والأواصِرُ[٦]

وأحنَوا على أموالِه يقسِمونها ... فلا حامدٌ منهم عليها وشاكرُ

فيا عامرَ الدنيا ويا ساعيًا لها ... ويا آمنًا مِن أنْ تدورَ الدوائرُ

كيف أمِنتَ هذه الحالةَ وأنت صائرٌ إليها لا محالةَ ؟! أم كيف [٧]تتهنَّأُ لحياتِك[٧] وهى مطِيَّتُك إلى مماتِك ؟! أم كيف تَسيغُ[٨] طعامَك وأنت منتظِرٌ حِمامَك[٩] ؟!

---

(١) بعده فى ا ٢، م : «احتوشته أعماله وأحاطت به خطاياه ، وضاق ذرعا بما رآه» .

(٢) فى ا ٢، م : «البكاء» . والتلدد هو التلفت يمينا وشمالًا . القاموس (ل د د) .

(٣) بعده فى ا ٢، م : «وتركوه رهنا بما كسب وطلب» .

(٤) فى ا ٢، م : «الأنعام» .

(٥) بعده فى ا ٢، م : «اعتبر بموضعه تحت» .

(٦ - ٦) فى ا ٢، م : «أولاده والأصاهر» .

(٧ - ٧) فى ا ٢، م : «ضيعت حياتك» .

(٨) فى م : «تشبع من» .

(٩) بعده فى ا ٢، م : «أم كيف تهنأ بالشهوات وهى مطية الآفات» .

ولم تتزوَّدْ للرحيلِ وقد دنا	وأنت على حالٍ وشيكًا مسافرُ

فيا لهفَ نفسى كم أسوِّفُ توبتى	وعُمرىَ فانٍ والرَّدَى لىَ ناظرُ

وكلُّ الذى أسلَفتُ فى الصحُفِ مثبَتٌ	يُجازِى عليه عادلُ الحكمِ قادرُ

فكم ترقَعُ بآخرتِك دنياك؟ وتركَبُ (1في ذلك1) هواك؟ أراك ضعيفَ اليقينِ، يامؤثِرَ الدنيا على الدينِ، أبهذا أمَرك الرحمنُ؟ أم على هذا نزَل القرآنُ[2]؟

[١٣١/٧و] تُخَرِّبُ ما يَبْقَى وتَعْمُرُ فانيًا	فلا ذاكَ موفورٌ ولا ذاكَ عامرُ

وهل لك إن وافاكَ حتفُك بغتةً	ولم تَكْتسِبْ خيرًا لدى اللّهِ عاذرُ

أترضَى بأنْ تَفْنَى الحياةُ وتنقَضِى	ودِينُكَ منقوصٌ ومالُكَ وافرُ

وقد اختلَف أهلُ التاريخِ فى السنةِ التى تُوفِّى فيها علىُّ بنُ الحُسينِ، زينُ العابدين؛ فالمشهورُ عن الجمهورِ[3] أنَّه تُوفِّى فى هذه السنةِ - أعنى سنةَ أربعٍ وتسعين - فى أوَّلِها عن ثمانٍ وخمسين سنةً، وصُلِّى عليه بالبقيعِ، ودُفِن به.

قال الفلَّاسُ[4]: مات سعيدُ بنُ المسيَّبِ، وعلىُّ بنُ الحسينِ، وعُروةُ، وأبو بكرِ بنُ عبدِ الرحمنِ سنةَ أربعٍ وتسعين.

وقال بعضهم[5]: تُوفِّى ثِنتيْنِ، أو ثلاثٍ وتسعينَ.

(١ - ١) فى ١ ٢، م: «غيك و».

(٢) بعده فى ١ ٢، م: «أما تذكر ما أمامك من شدة الحساب وشر المآب، أما تذكر حال من جمع وثمر، ورفع البناء وزخرف وعمر، أما صار جمعهم بورا ومساكنهم قبورا».

(٣) طبقات ابن سعد ٥/ ٢٢١، وتاريخ دمشق ١٢/ ٥٦، ٥٧ (مخطوط)، وتهذيب الكمال ٢٠/ ٤٠٣، ٤٠٤، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٨١ - ١٠٠هـ) ص ٤٣٩، وسير أعلام النبلاء ٤/ ٣٩٩، ٤٠٠.

(٤) تاريخ دمشق ١٢/ ٥٧ (مخطوط).

(٥) تاريخ دمشق ١٢/ ٥٦ (مخطوط)، وتهذيب الكمال ٢٠/ ٤٠٣، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٨١ - ١٠٠هـ) ص ٤٣٩، وسير أعلام النبلاء ٤/ ٤٠٠.

وأغرَبَ المدائنيُّ فى قولِه[(١)] : إنَّه تُوفِّى سنةَ تسعٍ وتسعينَ. واللَّهُ أعلمُ[(٢)] .

[(٣)]**ومن تُوفِّى فيها** من الأعيان[(٣)] :

أبو بكرِ بنُ عبدِ الرحمنِ بنِ الحارثِ بنِ هشامِ بنِ المغيرةِ بنِ عبدِ اللَّهِ بنِ عمرَ[(٤)] بنِ مخزومٍ القرشيُّ، المدنيُّ[(٥)] ، أحدُ الفقهاءِ السبعةِ ، قِيل : اسمُه محمدٌ . وقيل : اسمُه أبو بكرٍ ، وكنيتُه أبو عبدِ الرحمنِ . والصحيحُ أنَّ اسمَه وكنيتَه واحدٌ . وله من الأولادِ والإخوةِ كثيرٌ ، وهو تابعيٌّ جليلٌ ، روَى عن عمّارٍ ، وأبى هريرةَ ، وأسماءَ بنتِ أبى بكرٍ ، وعائشةَ ، وأمِّ سلمةَ ، وغيرِهم ، وعنه جماعةٌ ، منهم بنوه ؛ سلَمةُ ، وعبدُ اللَّهِ ، وعبدُ الملكِ ، وعمرُ ، ومولاه سُمَىٌّ ، وعامرٌ الشعبىُّ ، وعمرُ بنُ عبدِ العزيزِ ، وعمرُو بنُ دينارٍ ، ومُجاهدٌ ، والزُّهْرِىُّ .

وُلِد فى خلافةِ عُمَرَ ، وكان يُقالُ له : راهبُ قُريشٍ . لكثرةِ صلاتِه ، وكان مكفوفًا ، وكان يصومُ الدهرَ ، وكان مِن الثقةِ ، والأمانةِ ، والفقهِ ، وصحةِ الروايةِ على جانبٍ عظيمٍ .

[(٦)]وكان عبدُ الملكِ بنُ مَرْوانَ يُكرِمُه ويعرِفُ فضلَه ، ويقولُ[(٧)] : إنِّى أَهُمُّ[(٦)]

---

(١) تاريخ دمشق ٥٧/١٢ (مخطوط) ، وتهذيب الكمال ٢٠/ ٤٠٤.

(٢) بعده فى م ، ص زيادة ، وهى من زيادات الناسخ .

(٣ - ٣) سقط من : ا٢، م ، ص .

(٤) فى ا٢: «عمرو» .

(٥) ترجمته فى : طبقات ابن سعد ٥/ ٢٠٧، وطبقات خليفة ٢/ ٦١١، وحلية الأولياء ٢/ ١٨٧، وطبقات الفقهاء ٥٩، وتهذيب الكمال ٣٣/ ١١٢، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٨١ - ١٠٠هـ) ص ٥١٢، وسير أعلام النبلاء ٤/ ٤١٦.

(٦ - ٦) سقط من : ا٢، م ، ص .

(٧) طبقات ابن سعد ٥/ ٢٠٨، ٢٠٩.

(1) بالشىءِ أفعَلُه بأهلِ المدينةِ ؛ لسوءِ أثرِهم عندَنا ، فأذكُرُ أبا بكرِ بنَ عبدِ الرحمنِ فأستحْيِى منه ، وأترُكُ ذلك الأمرَ مِن أجلِه . وله مناقبُ كثيرةٌ(1) .

قال أبو داودَ(2) : وكان قد كُفَّ ، وكان إذا سجَد يضَعُ يدَه فى طَشتٍ ؛ لعلَّةٍ كان يجِدُها . والصحيحُ أنه ماتَ فى هذه السنةِ . وقيل : فى التى قبلَها . وقيل : فى التى بعدَها . واللَّهُ أعلم(3) .

(1 - 1) سقط من : 21، م، ص .

(2) تهذيب الكمال 33/ 114، وسير أعلام النبلاء 4/ 417.

(3) بعده فى م، ص زيادة ، وهى من زيادات الناسخ .

ثم دخلت سنة خمسٍ وتسعين

فيها غزا العبّاسُ بنُ الوليدِ بلادَ الرومِ ، وافتتَح حصونًا كثيرةً .

وفيها افتتَح مسلَمةُ بنُ عبدِ الملكِ مدينةَ (١ الباب مِن إرمينيّةَ ١) ، (٢ وخرّبها ٢) ثم بنَاها مسلمةُ بعد ذلك بتسعٍ (٣) سنينَ .

وفيها افتتَح محمدُ بنُ القاسمِ [٧/١٣١ظ] الثقفيُّ مدينةَ المُولْتانِ (٤) من أرضِ الهندِ ، (٥ وأخَذ منها أموالًا جزيلةً .

وفيها قَدِم موسى بنُ نُصَيْرٍ مِن بلادِ الأندلُسِ إلى إفريقيّةَ ، ومعه الأموالُ على العَجَلِ تُحمَلُ مِن كثرتِها ، ومعه ثلاثونَ ألفَ رأسٍ مِن السَّبيِ ٥) .

وفيها غزا قتيبةُ بنُ مسلمٍ بلادَ الشاشِ ، (٥ ففتَح مُدنًا وأقاليمَ كثيرةً ٥) ، فلمّا كان هناك جاءه الخبرُ بموتِ الحجاجِ بنِ يوسفَ فقمَعه ذلك ، ورجَع بالناسِ إلى مدينةِ مروَ ، وتمثّل بقولِ بعضِ الشعراءِ (٦) :

لَعَمْرِى لَنِعْمَ المرءُ مِنْ آلِ جَعْفَرٍ ... بحَوْرَانَ أمْسَى أعلَقَتْهُ الحَبَائلُ

فإنْ تَحْىَ لا أملَلْ (٧) حَياتى وإن تَمُتْ ... فمَا فى حَيَاتى بعْدَ موتِكَ طائِلُ

(١ - ١) فى ١٢، م، ص: «فى بلاد الروم».

(٢ - ٢) فى ١٢، م، ص: «ثم حرقها».

(٣) فى ١٢، م، ص: «بعشر».

(٤) فى الأصل: «المولبان»، وفى ١٢، ص: «الموليا»، وفى م: «المولينا». والمثبت من تاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٨١ - ١٠٠ هـ) ص ٢٦٢. ومُولْتان بلد فى بلاد الهند على سمت غزنة. معجم البلدان ٤/ ٦٨٩.

(٥ - ٥) زيادة من: ١٢، م، ص.

(٦) البيتان للحطيئة، وهما فى ديوانه ٢٤، وانظر الطبرى ٦/ ٤٩٢، والكامل ٤/ ٥٨٣.

(٧) فى النسخ: «أملك». والمثبت من مصادر التخريج.

(١) وفيها كتَب الوليدُ إلى قُتَيْبةَ (١) بأن يستمِرَّ على ما هو عليه مِن مُناجَزَةِ الأعداءِ، ويَعِدُه على ذلك، ويَجزيه خيرًا، ويُثْنى عليه بما صنَع مِن الجهادِ، وفتحِ البلادِ، وقتالِ أهلِ الكفرِ والعِنادِ، وقد كان الحجّاجُ استخلَف على الصلاةِ ابنَه عبدَ اللَّهِ، فولَّى الوليدُ الصلاةَ والحربَ بالمِصرينِ - الكوفةِ والبصرةِ - يزيدَ بنَ أبى كَبْشةَ، وولَّى خَراجَهما يزيدَ بنَ مُسلمٍ، وقيل[٢]: إنّ الحجّاجَ كان يستخلِفُهما على ذلك فأَقَرَّهما الوليدُ. واستمرَّ سائرُ نوّابِ الحجاجِ على ما كانوا عليه، وكانت وفاةُ الحجّاجِ لخمسٍ - وقيل: لثلاثٍ بَقِينَ مِن رمضانَ. وقيل: مات فى شوّالٍ مِن هذه السنةِ.

وحجَّ بالناسِ فيها بشرُ بنُ الوليدِ بنِ عبدِ الملكِ، قاله أبو مَعشَرٍ والواقدىُّ[٣].

وفيها قُتِل الوضّاحِىُّ بأرضِ الرومِ، ومعه ألفٌ مِن أصحابِه.

وفى هذه السنةِ كان مولدُ أبى جعفرٍ المنصورِ عبدِ اللَّهِ بنِ محمدِ بنِ علىٍّ[٤] ابنِ عبدِ اللَّهِ بن عبّاسٍ.

(١ - ١) فى الأصل: «وكتب قتيبة إلى الوليد». وانظر الطبرى ٦/ ٤٩٢.
(٢) تاريخ الطبرى ٦/ ٤٩٣.
(٣) تاريخ الطبرى ٦/ ٤٩٣، ٤٩٤.
(٤) بعده فى الأصل: (بن على). وانظر تاريخ بغداد ١٠/ ٥٣، وسير أعلام النبلاء ٧/ ٨٣، وتاريخ الخلفاء ص ٢٥٩.

وهذه ترجمةُ الحجاجِ بنِ يوسفَ الثقفىّ[1] وذِكرُ وفاتِه

هو الحجاجُ بنُ يوسفَ [2] بنِ الحكمِ [2] بنِ أبى عقيلِ بنِ مسعودِ بنِ عامرِ بنِ مُعَتِّبِ بنِ مالكِ بنِ كعبِ بنِ عمرِو بن سعدِ بنِ عوفِ بنِ ثقيفٍ - وهو قَسِيُّ بنُ مُنَبِّهِ بنِ بكرِ بنِ هَوازنَ - أبو محمدٍ الثقفىُّ ، سمِع ابنَ عباسٍ وروَى عن أنسٍ ، وسَمُرةَ بنِ جندبٍ ، وعبدِ الملكِ بنِ مروانَ ، وأبى بُرْدةَ بنِ أبى موسى . وروَى عنه أنسُ بنُ مالكٍ ، وثابتٌ البُنانىُّ ، وحميدٌ الطويلُ ، ومالكُ بنُ دينارٍ ، وجَرادُ[3] بن مجالدٍ ، وقتيبةُ بنُ مسلمٍ ، وسعيدُ بنُ أبى عَرُوبةَ ، قاله ابنُ عساكرَ[4] . قال[5] : وكانت له بدمشقَ آدُرٌ مِنها دارُ الزاويةِ بقربِ قصرِ ابنِ أبى الحديدِ ، وولَّاه عبدُ الملكِ الحجازَ فقتَلَ ابنَ الزبيرِ ، ثم عزَله عنها وولَّاه العراقَ ، وقدِم دمشقَ وافدًا على عبدِ الملكِ . ثم روَى[6] مِن طريقِ المغيرةِ بنِ مسلمٍ ، [7] حدثنا سالمُ[8] بنُ قتيبةَ ابنِ مسلمٍ[7] ، سمعتُ أبى يقولُ : خطَبَنا الحجاجُ بنُ يوسفَ ، [٧/١٣٢و] فذكَر

---

(١) انظر ترجمته وأخباره فى : الجمع بين رجال الصحيحين ١/ ٩٩، وتاريخ دمشق ١٢/ ١١٣، ووفيات الأعيان ٢/ ٢٩، ونهاية الأرب ٢١/ ٣٣١، ودول الإسلام ١/ ٦٥، وسير أعلام النبلاء ٤/ ٣٤٣، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٨١ - ١٠٠هـ) ص ٣١٤، والعقد الثمين ٤/ ٥٤، والوافى بالوفيات ١١/ ٣٠٧، ومرآة الجنان ١/ ١٩٢، وتهذيب التهذيب ٢/ ٢١٠، وغيرها من كتب التواريخ والأدب.

(٢ - ٢) سقط من : النسخ ، والمثبت من تاريخ دمشق ، والوافى بالوفيات .

(٣) فى ٢١، م ، ص : « جواد » . والمثبت من تاريخ دمشق ، وبغية الطلب ٥/ ٤ (مخطوط) . وانظر الجرح والتعديل ٢/ ٥٣٨.

(٤) تاريخ دمشق ١٢/ ١١٣.

(٥) تاريخ دمشق الموضع السابق .

(٦) تاريخ دمشق ١٢/ ١١٤.

(٧ - ٧) سقط من : م .

(٨) فى الأصل ، ٢١، ص : « مسلم » . والمثبت من تاريخ دمشق ١٢/ ١١٤، ٤/ ٢٠٨ (مخطوط) . ومن أبناء قتيبة مسلم وسلم . انظر الطبرى ٦/ ٤٢٥، ٤٧٦. وذكر ابن قتيبة فى المعارف ٤٠٧ فى ترجمة =

القبرَ، فما زال يقولُ: إنَّه بيتُ الوَحدةِ، وبيتُ الغربةِ. حتى بكَى وبكَى مَن حولَه، ثم قال: سمعتُ أميرَ المؤمنين عبدَ الملكِ بنَ مروانَ يقولُ: سمِعتُ مروانَ يقولُ في خطبتِه: خَطَبنا عثمانُ بنُ عفانَ، فقال في خطبتِه: ما نظَر رسولُ اللَّهِ ﷺ إلى قبرٍ أو ذكَره إلَّا بكَى. وهذا الحديثُ له شاهدٌ في «سُننِ أبي داودَ» وغيرِه[1]، وساقَ من طريقِ أحمدَ بنِ عبدِ الجبارِ[2]: ثنا سيَّارٌ[3]، عن جعفرٍ، عن مالكِ بنِ دينارٍ قال: دخَلتُ يومًا على الحجاجِ، فقال لي: يا أبا يحيى، ألا أحدِّثُك بحديثٍ حسنٍ عن رسولِ اللَّهِ ﷺ؟ فقلتُ: بلى. فقال: حدَّثَني أبو بُردةَ، عن أبي موسى قال: قال رسولُ اللَّهِ ﷺ: «مَن كانتْ له إلى اللَّهِ حاجةٌ فليدعُ بها في دُبُرِ[4] صلاةٍ مفروضةٍ». وهذا الحديثُ له شاهدٌ عن فَضالةَ بنِ عبيدٍ[5] وغيرِه[6] في السننِ والمسانيدِ، واللَّهُ أعلمُ.

قال الشافعيُّ[7]: سمِعتُ مَن يذكُرُ أنَّ المغيرةَ بنَ شعبةَ دخَل على امرأتِه وهي تتخلَّلُ - [8] أي تخلِّلُ أسنانَها ليَخرُجَ ما بينَها مِن أذًى - وكان ذلك في[8] أوَّلِ النَّهارِ، فقال: واللَّهِ لئِن كنتِ باكرتِ الغذاءَ إنك لَرَغيبةٌ[9] دَنيَّةٌ، وإنْ كان الذي

= قتيبة أولاده ولم يذكر فيهم سالمًا. ويمكن أن تكون «سالم» تحرفت عن «سلم» واللَّه أعلم.

(١) سنن أبي داود (٣٢٣٤) صحيح (صحيح سنن أبي داود ٢٧٧١) - والحديث عند مسلم (١٠٨/٩٧٦) - وابن ماجه (٤١٩٥). قال البوصيري في مصباح الزجاجة ٣/ ٢٩٢: هذا إسناد فيه مقال.

(٢) تاريخ دمشق ١٢/ ١١٤.

(٣) في ١، ٢، م، ص: «يسار». وانظر تاريخ دمشق، وبغية الطالب ٥/ ٤.

(٤) بعده في الأصل: «كل».

(٥) أبو داود (١٤٨١)، والترمذي (٣٤٧٦، ٣٤٧٧)، والنسائي (١٢٨٣)، والإمام أحمد في المسند ١٨/٦، كلهم من حديث فضالة. صحيح (صحيح سنن أبي داود ١٣١٤).

(٦) الترمذي (٥٩٣). حسن (صحيح سنن الترمذي ٤٨٦).

(٧) تاريخ دمشق ١٢/ ١١٥، ١١٦.

(٨ - ٨) في الأصل: «من».

(٩) في النسخ: «لرعينة». والمثبت من تاريخ دمشق.

تخلَّلين مِن شىءٍ يَبْقى فى فِيكِ مِن البارحةِ إنكِ لقَذِرَةٌ . فطلَّقها ، فقالتْ : واللَّهِ ما كان شىءٌ ممَّا ذكرتَ ، ولكنَّنى باكرتُ ما تُباكرُه الحرةُ مِن السِّواكِ ، فبقِيتْ شَظِيَّةٌ فى فمى منه فحاولتها لأخرِجَها . فقال المغيرةُ ليوسفَ أبى الحجاجِ : تزوَّجْها فإنَّها لخليقةٌ أنْ تأتىَ برجلٍ يسودُ ، فتزوَّجَها يوسفُ أبو الحجاجِ . قال الشافعىُّ : فأُخبِرتُ أنَّ أبا الحجاجِ لمَّا بنَى بها واقعَها فنامَ ، فقِيل له فى النومِ : ما أسرَعَ ما ألْقَحتَ بالمبيرِ .

قال ابنُ خلِّكانَ[1] : واسمُ أُمِّه الفارعةُ بنتُ همامِ بنِ عروةَ بنِ مسعودٍ الثقفىِّ ، وكان زوجُها الحارثَ بنَ كَلَدةَ الثقفىَّ طبيبَ العربِ . وذكَر عنه هذه الحكايةَ فى السِّواكِ . وذكَر صاحبُ « العِقدِ »[2] أنَّ الحجاجَ كان هو وأبوه يُعلِّمان الغلمانَ بالطائفِ ، ثم قدِم دمشقَ فكان عندَ رَوحِ بنِ زِنْباعٍ وزيرِ عبدِ الملكِ ، فشكا عبدُ الملكِ إلى رَوحٍ أنَّ الجيشَ لا ينزِلون لنزولِه ولا يرحَلون لرحيلِه ، فقال رَوحٌ : عندى رجلٌ تُولِّيه ذلك . فولَّى عبدُ الملكِ الحجاجَ أمرَ الجيشِ ، فكان لا يتأخرَ أحدٌ فى النزولِ والرحيلِ ، حتى اجتازَ إلى فسطاطِ رَوْحِ بنِ زِنْباعٍ وهم يأكلونَ ، فضرَبهم وطوَّفَ بهم ، وأحرَق الفسطاطَ ، فشكا روحٌ ذلك إلى عبدِ الملكِ ، فقال للحجاجِ : لم صنعتَ هذا ؟ فقال : لم أفعلْه ، إنما فعلَه أنتَ ؛ فإنَّ [٧/١٣٢ظ] يدى يدُك وسوطى سوطُك ، وما ضرَّك إذا أعطيتَ رَوحًا فسطاطَين بدلَ فسطاطِه ، وبدلَ الغلامِ غلامين ، ولا تكسِرُنى فى الذى ولَّيتَنى ؟ ففعلَ ذلك وتقدَّم الحجاجُ عنده .

قال[3] : وبنَى واسطَ فى سنةِ أربعٍ وثمانين ، وفرَغ مِنها فى سنةِ ستٍّ

---

(١) وفيات الأعيان ٢/ ٢٩.

(٢) العقد الفريد ٥/١٣ - ١٤ .

(٣) وفيات الأعيان ٢/ ٥٠.

وثمانين . وقيلَ قبلَ ذلك . قال[1] : وفى أيَّامِه نُقِطتِ المصاحفُ . وذكَر[2] فى حكايتِه ما يدلُّ على[3] أنَّه كان أولًا يُسمَّى كليبًا ، ثم سُمِّى الحجاجَ . وذكَر[4] أنَّه وُلِد ولا مخرجَ له حتى فُتِقَ له مخرجٌ ، وأنَّه لم يرتضِعْ أيامًا حتى سقَوه دمَ جديٍ أيامًا[3] ثم دمَ سالخٍ[5] ولُطِّخَ وجهُه بدمِه فارتضَع ، وكانت فيه شهامةٌ وحبٌّ لسفكِ الدماءِ ؛ لأنَّه أوَّلُ ما ارتضَع ذلك الدمُ الذى لُطِّخَ به وجهُه .

ويقال[6] : إنَّ أمَّه هى المتمنيةُ لنصرِ بنِ حجاجِ بنِ عِلاطٍ . وقيل : إنَّها أمُّ أبيه . واللَّهُ أعلمُ .

وكانت فيه شهامةٌ عظيمةٌ ، وفى سيفِه رَهَقٌ[7] ، وكان كثيرَ قتلِ النفوسِ التى حرَّمها اللَّهُ بأدنى شبهةٍ ، وكان يغضَبُ غضَبَ الملوكِ ، وكان - فيما يَزعُمُ - يَتشبَّهُ بزيادِ بنِ أَبِيهِ ، وكان زيادٌ يَتشَبَّهُ بعمرَ بنِ الخطابِ ، فيما يَزعمُ أيضًا . ولا سواءٌ ولا قريبٌ . وقد ذكَر ابنُ عساكرَ[8] فى ترجمةِ سُلَيْمِ بنِ عِتْرٍ[9] التُّجيبىِّ قاضِى مصرَ ، وكانَ مِن كبارِ التابعين ، وكان ممَّن شهِد خطبةَ عمرَ بنِ الخطابِ بالجابيةِ ، وكان مِن الزَّهادةِ والعبادةِ على جانبٍ عظيمٍ ، وكان يختِمُ القرآن فى كلِّ ليلةٍ ثلاثَ ختماتٍ فى الصلاةِ وغيرِها . والمقصودُ أنَّ الحجاجَ كان مع أبيه بمصرَ فى جامعِها ، فاجتاز بهما سُلَيْمُ بنُ عِتْرٍ[9] هذا ، فنهَض إليه أبوالحجَّاجِ فسلَّم

(١) وفيات الأعيان ٢/ ٣٢، وذكر حكاية تدل على ذلك .
(٢) المصدر السابق ٢/ ٥٠ - ٥١.
(٣) سقط من : م .
(٤) وفيات الأعيان ٢/ ٣٠.
(٥) فى النسخ : « سالح » ، والمثبت من وفيات الأعيان . والسالخ : اسم الأسود من الحيات . التاج (س ل خ) .
(٦) وفيات الأعيان ٢/ ٣١، ٣٢.
(٧) الرهق ، بالتحريك : الهلاك والظلم . التاج (ر هـ ق) .
(٨) مختصر تاريخ دمشق ١٠/ ٢٠٠ .
(٩) فى ا ٢، م، ص: « عنز » . والمثبت موافق لما فى المختصر ، وانظر تبصير المنتبه ٣/ ٩٧٥.

عليه ، وقال له : إنِّى ذاهبٌ إلى أميرِ المؤمنين ، فهل مِن حاجةٍ لك عندَه ؟ قال : نعم ، تسألُه أنْ يعزِلَنى عن القضاءِ . فقال : سبحانَ اللَّهِ ! واللَّهِ لا أعلمُ قاضيًا اليومَ خيرًا مِنك . ثم رجَع إلى ابنِه الحجَّاجِ ، فقال له ابنُه : يا أبه ، أتقومُ إلى رجلٍ مِن تُجِيبَ وأنت ثقفىٌّ ؟ فقال له : يا بُنىَّ واللَّهِ إنِّى لأحسَبُ أنَّ الناسَ إنَّما[1] يُرحَمون بهذا وأمثالِه . فقال الحجاجُ[1] : واللَّهِ ما على أميرِ المؤمنين أضرُّ مِن هذا وأمثالِه . فقال : ولم يا بُنىَّ ؟ قال : لأنَّ هذا وأمثالَه يجتمعُ الناسُ إليهم فيحدثُونهم عن سيرةِ أبى بكرٍ وعمرَ ، فيحقِرُ الناسُ سيرةَ أميرِ المؤمنيـنَ ولا يرَوْنها شيئًا عندَ سيرتِهما ، فيخلَعونَه ويخرُجون عليه ويُبْغِضُونه ولا يرَوْن طاعتَه ، واللَّهِ لو خَلَص إلىَّ مِن الأمرِ شىءٌ لأضرِبنَّ عنقَ هذا وأمثالِه . فقال له أبوه : يابنىَّ ، واللَّهِ إنِّى لأظنُّ أنَّ اللَّهَ عزَّ وجلَّ خلقَك شقيًّا . وهذا يدلُّ على أنَّ أباه كان ذا وجاهةٍ عندَ الخليفةِ ، وأنَّه كان ذا فِراسةٍ صحيحةٍ ؛ فإنَّه تفرَّسَ فى ابنِه ما آلَ إليه أمرُه بعدَ ذلك .

قالوا : وكان مولدُ الحجاجِ فى سنةِ [١٣٣/٧و] تسعٍ وثلاثين . وقيل : فى سنةِ أربعينَ . وقيل : فى سنةِ إحدى وأربعين . ثم نشَأ شابًّا لبيبًا فصيحًا بليغًا حافظًا للقرآنِ ، قال بعضُ السلفِ[2] : كان الحجاجُ يقرأُ القرآنَ فى كلِّ ليلةٍ . وقال [3]أبو العلاءِ[3] : ما رأيتُ أفصحَ منه ومِن الحسنِ البصرىِّ ، وكان الحسنُ أفصحَ مِنه . وقال الدارقطنىُّ[4] : ذكَر سليمانُ بنُ أبى شيخٍ[5] ، عن صالحِ بنِ سليمانَ قال :

---

(١) سقط من : م .

(٢) تاريخ دمشق ١١٦/١٢.

(٣ - ٣) فى النسخ : «أبو عمرو بن العلاء» ، والمثبت من تاريخ دمشق ٢١٠/٤ (مخطوط) ، وانظر تاريخ دمشق ١١٦/١٢.

(٤) تاريخ دمشق ١١٧/١٢.

(٥) فى م : «منيح» . وانظر مصدر التخريج .

قال عُتبةُ[1] بنُ عمرٍو: ما رأيتُ عقولَ الناسِ إلَّا قريبًا بعضُها مِن بعضٍ، إلَّا الحجاجَ وإياسَ بنَ معاويةَ، فإنَّ عقولَهما كانت ترجَحُ على عقولِ الناسِ.

وتقدَّم[2] أن عبدَ الملكِ لمَّا قُتِل مُصعبُ بنُ الزبيرِ سنةَ ثلاثٍ وسبعينَ بعَث الحجاجَ إلى أخيه عبدِ اللَّهِ بمكةَ فحاصَره بها، وأقام للناسِ الحجَّ عامَئذٍ، ولم يتمكَّنِ الحجاجُ[3] ومَن معه مِن الطوافِ بالبيتِ، ولا تمكَّن ابنُ الزبيرِ ومَن عندَه مِن الوقوفِ بعرفةَ[4]، ولم يزلْ محاصِرَه حتى ظفِرَ به فى جُمادى سنةَ ثلاثٍ [5]وسبعين[5]، ثم استنابه عبدُ الملكِ على مكةَ والمدينةِ والطائفِ واليمنِ[6]، ثم وَلَّاه عبدُ الملكِ العراقَ بعدَ موتِ أخيه بشرٍ، فدخَل الكوفةَ كما ذكَرْنا، وقال لهم وفعَل بهم ما تقدَّم إيرادُه مفصلًا، فأقام بينَ ظهرانَيهم عشرينَ سنةً كاملةً. وفتَح فيها فتوحاتٍ كثيرةً هائلةً منتشرةً، حتى وصلتْ خيولُه إلى بلادِ الهندِ والسندِ، [7]ففتَح فيها جملةَ مدنٍ وأقاليمَ، ووصلتْ خيولُه أيضًا إلى قَرِيب بلادِ الصِّينِ[7]، وجرتْ له فصولٌ قد ذكرناها. ونحن نورِدُ هنا أشياءَ أُخرَ مما وقَع له مِن الأمورِ والجراءةِ والإقدامِ، والتهوُّرِ[8] فى الأمورِ العظامِ، مما يُمدحُ على مثلِه، ومما يُذمُّ بقولِه وفعلِه، مما ساقه الحافظُ ابنُ عساكرَ وغيرُه:

فروَى أبو بكرِ بنُ أبى خَيثَمةَ[9]، عن يحيى بنِ أيوبَ، عن عبدِ اللَّهِ بنِ

---

(١) فى الأصل، ا٢، م: «عقبة». وانظر تاريخ دمشق ١٢/١١٧.
(٢) انظر ما تقدم فى ص ١٧٧، ١٧٨.
(٣) سقط من: م.
(٤) سقط من: ا٢، م، ص.
(٥ - ٥) فى الأصل: «فقتله كما قدمنا وأقام للناس الحج أيضا فى سنة ثلاث وسبعين».
(٦) بعده فى الأصل: «وحج بالناس فى سنة أربع وسبعين أيضا».
(٧ - ٧) فى الأصل: «ففتحها أيضا».
(٨) فى م: «التهاون».
(٩) أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ١٢/١١٩، من طريق أبى بكر بن أبى خيثمة به.

كثيرٍ - ابنِ أخى إسماعيلَ بنِ جعفرٍ المدينىِّ - ما معناه أنَّ الحجاجَ بنَ يوسفَ صلَّى مرةً بجنبِ سعيدِ بنِ المسيَّبِ - وذلك قبلَ أنْ يَلِىَ شيئًا - فجعَلَ يرفعُ قبلَ الإمامِ ويقعُ قبلَه فى السُّجودِ ، فلمَّا سلَّم أخَذ سعيدٌ بطرفِ ردائِه - وكان له ذِكرٌ يقولُه بعدَ الصلاةِ - فما زالَ الحجاجُ ينازِعُه رداءَه حتى قضَى سعيدٌ ذِكْرَه ، ثم أقبلَ عليه سعيدٌ فقال له : يا سارقُ يا خائنُ ، تصلِّى هذه الصَّلاةَ ! لقد هممتُ أنْ أضرِبَ بهذا النَّعلِ وجهَك . فلم يرُدَّ عليه ، ثم مضَى الحجاجُ إلى الحجِّ ، ثم رجَع فعادَ إلى الشامِ ، ثم جاء نائبًا على الحجازِ . فلما [١٣٣/٧ظ] قُتِل ابنُ الزبيرِ كرَّ راجعًا إلى المدينةِ نائبًا عليها ، فلما دخَل المسجدَ إذا مجلسُ سعيدِ بنِ المسيَّبِ ، فقصدَه الحجاجُ ، فخشِى الناسُ على سعيدٍ منه ، فجاء حتى جلَس بينَ يديه ، فقال له : أنت صاحبُ الكلماتِ ؟ فضرَب سعيدٌ صدرَه بيدِه ، وقال : نعم . قال : فجزاك اللَّهُ مِن معلِّمٍ ومؤدِّبٍ خيرًا ، ما صليتُ بعدَك صلاةً إلا وأنا أذكُرُ قولَك . ثم قام فمضَى .

وروَى الرِّيَاشِىُّ[1] ، عن الأصمعىِّ وأبى زيدٍ ، عن معاذِ بنِ العلاءِ - أخِى أبى عمرِو بنِ العلاءِ - قال : لما قَتَل الحجاجُ ابنَ الزبيرِ ارتجتْ مكةُ بالبكاءِ ، فأمَر بالناسِ فجُمِعوا فى المسجدِ ، ثم صعِد المنبرَ ، فقال بعد حمدِ اللَّهِ والثناءِ عليه : يا أهلَ مكةَ ، بلَغنى إكبارُكم قتلَ ابنِ الزبيرِ ، ألا وإنَّ ابنَ الزبيرِ كان مِن خِيارِ هذه الأمةِ ، حتى رغِب فى الخلافةِ ونازَع فيها أهلَها ، فنزَع طاعةَ اللَّهِ واستكَنَّ بحرمِ اللَّهِ ، ولو كان شىءٌ مانِعَ العُصاةِ لمَنَعتْ آدمَ حرمةُ اللَّهِ ؛ إنَّ اللَّهَ خلقَه بيدِه ، ونفَخ فيه مِن رُوحِه ، وأسجَد له ملائكتَه ، وأباحَ له كرامتَه ، وأسكَنَه جنَّتَه ، فلما أخطأَ أخرجَه مِن الجنةِ بخطيئتِه ، وآدمُ أكرَمُ على اللَّهِ مِنَ ابنِ الزبيرِ ، والجنةُ أعظَمُ حرمةً

---

(١) أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ١٢/ ١٢٠، من طريق الرياشى به.

مِن الكعبةِ ، اذكروا اللَّهَ يذكُرْكم .

وقال الإمامُ أحمدُ[1] : حدَّثنا إسحاقُ [2]بنُ يوسفَ ، ثنا عوفٌ[3][2] ، عن أبى الصديقِ الناجىِّ أنَّ الحجاجَ دخَل على أسماءَ بنتِ أبى بكرٍ بعدَ ما قُتِل ابنُها عبدُ اللَّهِ ، فقال : إنَّ ابنَك ألْحَد فى هذا البيتِ ، وإنَّ اللَّهَ أذاقَه مِن عذابٍ أليمٍ ، وفعَل [4]به وفعَل[4] . فقالتْ : كذَبتَ ، كان برًّا بوالديه ، صوَّامًا قوَّامًا ، واللَّهِ لقد أخبَرَنا رسولُ اللَّهِ ﷺ أنَّه يخرجُ مِن ثقيفٍ كذَّابان ؛ الآخِرُ منهما شرٌّ مِن الأولِ ، وهو مبيرٌ . ورواه أبو يَعْلَى[5] ، عن وهبِ بنِ بقيةَ ، عن خالدٍ ، عن عوفٍ[6] ، عن أبى الصديقِ . قال : بلَغنى أنَّ الحجاجَ دخَل على أسماءَ .... فذكَر مثلَه . وقال أبو يَعْلَى[5] : ثنا زهيرٌ ، ثنا جريرٌ ، عن يزيدَ بنِ أبى زيادٍ ، عن قيسِ بنِ الأحنفِ ، عن أسماءَ بنتِ أبى بكرٍ . قالت : سمعتُ رسولَ اللَّهِ ﷺ نهَى عن المُثْلَةِ ، وسمعتُه يقولُ : « يخرُجُ مِن ثقيفٍ رجلانِ ؛ كذَّابٌ ومُبيرٌ » . قالت : فقلتُ للحجاجِ : أمَّا الكذَّابُ فقد رأيناه ، وأمَّا المبيرُ فأنتَ هوَ يا حجاجُ .

وقال عبدُ[7] بنُ حُمَيْدٍ : أنبأ يزيدُ بنُ هارونَ ، أنبأ العوَّامُ بنُ حَوْشَبٍ ، حدَّثنى مَن سمِع أسماءَ بنتَ أبى بكرٍ الصديقِ تقولُ للحجاجِ حين دخَل عليها

---

(١) أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ١٢/ ١٢١، من طريق الإمام أحمد به .

(٢ - ٢) سقط من : ص .

(٣) فى ا ٢، م : « عون » . وانظر تهذيب الكمال ٢/ ٤٩٦.

(٤ - ٤) سقط من النسخ . والمثبت من مصدر التخريج .

(٥) أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ١٢/ ١٢١، من طريق أبى يعلى به .

(٦) فى م : « عون » . وانظر حاشية (٣) .

(٧) فى م : « عبيد » . والأثر أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ١٢/ ١٢١، وابن العديم فى بغية الطلب ١٥/٥ ، كلاهما من طريق عبد بن حميد به .

يُعَزِّيها فى ابنِها : [١٣٤/٧و] سمعتُ رسولَ اللَّهِ ﷺ يقولُ : « يخرُجُ مِن ثقيفٍ رجلان ؛ مُبيرٌ وكذَّابٌ » . فأمَّا الكذابُ فابنُ أبى عُبَيدٍ - تعنى المختارَ - وأما المبيرُ فأنتَ . وتقدَّم فى « صحيح مسلمٍ »[1] مِن وجهٍ آخرَ أورَدناه عندَ مقتلِ ابنِها عبدِ اللَّهِ ، وقد رواه غيرُ[2] أسماءَ عن النبىِّ ﷺ . فقال أبو يعلى[3] : ثنا أحمدُ بنُ عمرَ الوكيعىُّ . ثنا وكيعٌ ، حدَّثتْنا أمُّ غُرابٍ[4] ، عن امرأةٍ يقال لها : عَقيلةُ . عن سَلامةَ بنتِ الحُرِّ ، قالت : قال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « فى ثقيفٍ كذابٌ ومُبيرٌ » . تفرَّد به أبو يَعْلَى .

وقد روَى الإمامُ أحمدُ[5] ، عن وكيعٍ ، عن أُمِّ غُرابٍ - واسمُها طلحةُ - عن عَقيلةَ ، عن سلامةَ حديثًا آخرَ فى[6] الصلاةِ . وأخرَجه أبو داودَ وابنُ ماجه[7] . ورُوِىَ مِن حديثِ ابنِ عمرَ ، فقال أبو يعلى[3] : ثنا أميةُ بنُ بِسطامَ ، ثنا يزيدُ بنُ زُرَيعٍ[8] ، ثنا إسرائيلُ ، ثنا عبدُ اللَّهِ بنُ عِصْمةَ ، قال : سمِعتُ ابنَ عمرَ ، أنبأنا رسولُ اللَّهِ ﷺ أنَّ فى ثقيفٍ مُبيرًا وكذَّابًا . وأخرَجه الترمذىُّ[9] مِن حديثِ شَريكٍ ، عن عبدِ اللَّهِ بنِ عُصْمٍ[10] - ويقالُ : عِصْمةَ - وقال : حسنٌ غريبٌ ، لا نعرفُه إلَّا مِن حديثِ شريكٍ .

---

(١) تقدم فى ٢٥١/٩ .

(٢) بعده فى ص : « واحد عن » .

(٣) أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ١٢/ ١٢٢، من طريق أبى يعلى .

(٤) فى ا ٢، م، تاريخ دمشق: « عراب » وانظر تهذيب الكمال ٣٥/ ٢٢٥.

(٥) المسند ٦/ ٣٨١.

(٦) بعده فى الأصل : « الإمامة فى » .

(٧) أبو داود (٥٨١)، وابن ماجه (٩٨٢) . ضعيف (ضعيف سنن أبى داود ١١٤) .

(٨) فى م : « ربيع » .

(٩) الترمذى : (٢٢٢٠، ٣٩٤٤) . صحيح (صحيح سنن الترمذى ٣٠٩٠) .

(١٠) فى م : « عاصم » .

وقال الشافعيُّ[1] : أنبأ مسلمُ بنُ خالدٍ ، عن ابنِ جُرَيْجٍ ، عن نافعٍ أنَّ ابنَ عمرَ اعتزلَ ليالىَ قتالِ ابنِ الزبيرِ والحجاجِ بمِنًى ، فكان[2] يُصَلِّى مع الحجاجِ . وقال الثوريُّ[3] ، عن محمدِ بنِ المنكدرِ ، عن جابرٍ أنَّه دخَل على الحجاجِ فلم يُسلِّمْ عليه ولم يكنْ يصلِّى وراءَه . وقال إسحاقُ بنُ راهَويْه[4] : أنبأ جريرٌ ، عن القَعقاعِ ابنِ الصلتِ قال : خطَب الحجاجُ ، فقال : إنَّ ابنَ الزبيرِ غيَّر كتابَ اللَّهِ . فقال ابنُ عمرَ : ما سلَّطَه اللَّهُ على ذلك ، ولا أنت معه ، ولو شئتُ أن[5] أقولَ : كذبتَ ، لفعلتُ . ورُوِى عن شَهْرِ بنِ حوشبٍ وغيرِه[6] أنَّ الحجاجَ أطالَ الخطبةَ فجعَل ابنُ عمرَ يقولُ : الصلاةَ الصلاةَ ، مِرارًا ، ثم قامَ فأقامَ الصلاةَ ، فقامَ الناسُ ، فصلَّى الحجاجُ بالناسِ ، فلمّا انصرفَ قال لابنِ عمرَ : ما حمَلكَ على ذلك ؟ فقال : إنَّما نجىءُ للصلاةِ ، فصَلِّ الصلاةَ لوقتِها ، ثم بَقْبِقْ[7] ماشئتَ بعدُ مِن بَقْبقةٍ[8] .

وقال الأصمعىُّ[9] : سمعتُ عمِّى يقولُ : بلَغنى أنَّ الحجاجَ لمَّا فرَغ مِن ابنِ الزبيرِ ، وقدِم إلى المدينةِ لقِى شيخًا خارجًا مِن المدينةِ ، فسأَله عن حالِ أهلِ المدينةِ ، فقال : بشَرِّ حالٍ ؛ قُتِل ابنُ حوارىِّ رسولِ اللَّهِ ﷺ . فقال الحجاجُ : ومَن قتَله ؟ قال : الفاجرُ اللَّعينُ الحجاجُ ، [٧/١٣٤ظ] عليه لَعائنُ اللَّهِ وتهلُكتُه[10] ؛ مِن

(١) أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ١٢/ ١٢٣، من طريق الشافعى به .
(٢) بعده فى م: «لا».
(٣) العقد الفريد ٥/ ٤٩.
(٤) أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ٢١٣/٤ (مخطوط)، من طريق إسحاق بن راهويه به .
(٥) سقط من: م.
(٦) أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ٤/ ٢١٣، ٢١٤ (مخطوط) ، من طريق مكحول وشهر بن حوشب .
(٧) فى الأصل، ا٢، ص، تاريخ دمشق: «نقنق». وفى م: «تفتق». والمثبت من مختصر تاريخ دمشق ٦/ ٢٠٤. وبقبق الرجل يعنى: كثر كلامه .
(٨) فى الأصل، ا٢، ص: «نقنقة». وفى م: «تفتقه». والمثبت من مختصر تاريخ دمشق ٦/ ٢٠٤.
(٩) هكذا فى النسخ. والراجح أن هنا سقطا، وهو «وقال عبد الرحمن بن أخى الأصمعى» فإن هذا سند معروف. وانظر ترجمة الأصمعى فى إنباه الرواة ٢/ ١٩٧.
(١٠) فى الأصل: «تهلته» وفى ا٢: «تهلبه».

قليلِ المراقبةِ للَّهِ . فغضِب الحجاجُ غضبًا شديدًا ثم قال : أيُّها الشيخُ ، أتعرِفُ الحجاجَ إذا رأيتَه ؟ قال : نعم ، فلا عرَّفه اللَّهُ خيرًا ، ولا وقاه ضُرًّا . فكشَف الحجاجُ عن لِثامِه وقال : ستعلمُ أيُّها الشيخُ الآنَ إذا سال دَمُك الساعةَ . فلمَّا تحقَّق الشيخُ الجِدَّ ، قال : واللَّهِ إنَّ هذا لَهُو العجبُ ياحجاجُ ، لو كنتَ تعرِفُني ما قلتَ هذه المقالةَ ، أنا العباسُ بنُ أبي داودَ ، أُصرَعُ كلَّ يومٍ خمسَ مراتٍ . فقال الحجاجُ : انطلِقْ ، فلا شفَى اللَّهُ الأبعدَ مِن جنونِه ولا عافاه .

وقال الإمامُ أحمدُ[1] : حدَّثنا عبدُ الصمدِ ، ثنا حمادُ بنُ سلمةَ ، عن ابنِ أبي رافعٍ ، عن عبدِ اللَّهِ بنِ جعفرٍ [2]أنَّه زوَّج ابنتَه مِن الحجاجِ بنِ يوسفَ ، فقال لها : إذا دخَل بك فقولي : لا إلهَ إلا اللَّهُ الحليمُ الكريمُ ، سبحانَ اللَّهِ ربِّ العرشِ العظيمِ ، الحمدُ للَّهِ ربِّ العالمين . وزعَم أنَّ رسولَ اللَّهِ ﷺ كان إذا حزَبه أمرٌ قال هذا . قال حمادٌ : فظنَنتُ أنَّه قال : فلم يَصِلْ إليها . قال الشافعيُّ : لمَّا تزوَّج الحجاجُ بنتَ عبدِ اللَّهِ بنِ جعفرٍ[2] ، قال خالدُ بنُ يزيدَ بنِ معاويةَ لعبدِ الملكِ بنِ مرْوانَ : أتمكِّنُه مِن ذلك ؟ فقال : وما بأسٌ بذلك[3] ؟ قال : أشدُّ البأسِ[4] واللَّهِ . قال : وكيف ؟ قال : واللَّهِ يا أميرَ المؤمنين لقد ذهَب ما في صدري على آلِ الزبيرِ منذُ تزوجتُ رَمْلةَ بنتَ الزبيرِ . قال : فكأنَّه كان نائمًا فأيقَظه ، فكتَب إلى الحجاجِ يعزِمُ عليه في طلاقِها فطلَّقها .

وقال سعيدُ بنُ أبي عَروبةَ[5] : حجَّ الحجاجُ مرةً ، فمرَّ بينَ مكةَ والمدينةِ فأُتي

(١) أخرجه ابن عساكر في تاريخ دمشق ١٢/ ١٢٥، من طريق الإمام أحمد به .

(٢ - ٢) سقط من : م .

(٣) في م : « من ذلك » .

(٤) في م : « الناس » .

(٥) أخرجه ابن عساكر في تاريخ دمشق ١٢/ ١٢٥ ، من طريق سعيد بن أبي عروبة . وانظر تاريخ دمشق ٤/ ٢١٤ (مخطوط) .

بغدائِه فقال لحاجبِه : انظرْ مَن يأكلُ معى . فذهَب ، فإذا أعرابىٌّ نائمٌ فضرَبه برجلِه وقال : أجبِ الأميرَ . فقام ، فلمَّا دخَل على الحجاجِ قال له : اغسلْ يديك ثم تغدَّ معى . فقال : إنَّه دعانى مَن هو خيرٌ مِنك . فأجبتُه[1] . قال : ومَن هو[1] ؟ قال : اللَّهُ دعانى إلى الصومِ فأجبتُه . قال : فى هذا الحرِّ الشديدِ ؟ قال : نعم ، صمتُ ليومٍ هو أشدُّ حرًّا منه . قال : فأفطِرْ وصُمْ غدًا . قال : إنْ ضمِنتَ لى البقاءَ إلى غدٍ . قال : ليس ذلك إلىَّ . قال : فكيف تسألُنى عاجلًا بآجلٍ لا تقدِرُ عليه ؟ قال : إنَّ طعامَنا طعامٌ طيبٌ . قال : لَمْ تُطَيِّبْه أنت ولا الطباخُ ، إنَّما طَيَّبتْه العافيةُ .

فصل

قد ذكَرْنا كيفيةَ دخولِ الحجاجِ الكوفةَ فى سنةِ خمسٍ وسبعين وخطبتَه إيَّاهم بغتةً ، وتهديدَه ووعيدَه [١٣٥/٧و] إيَّاهم ، وأنَّهم خافوه مخافةً شديدةً ، وأنَّه قتَل عُمَيْرَ بنَ ضابئٍ ، وكذلك قتَل كُمَيْلَ بنَ زيادٍ صبرًا أيضًا ، ثم كان مِن أمرِه فى قتالِ ابنِ الأشعثِ ما قدَّمنا [2]ذِكْرَه ؛ من ظَفَرِه به بعدَ المطاولةِ والمقاتَلةِ وتَسلُّطِه[2] على مَن كان معه مِن الرؤساءِ والأمراءِ والعُبّادِ والقُرّاءِ ، حتى كان آخرُ مَن قتَل منهم سعيدَ بنَ جُبَيْرٍ . قال القاضى المُعَافَى بنُ[3] زكريا[4] : ثنا أحمدُ بنُ محمدِ بنِ سعيدٍ[5] الكلبىُّ ، ثنا محمدُ بنُ زكريا

---

(١) سقط من : م .

(٢ - ٢) فى ٢١ ، م ، ص : « ثم تسلط » ، وانظر ما تقدم فى ص ٣٠٥ - ٣٤٥ .

(٣) سقط من : م . وانظر سير أعلام النبلاء ١٦/ ٥٤٤.

(٤) أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ١٣٢/١٢ ، من طريق المعافى بن زكريا به بنحوه .

(٥) فى م ، ص : « سعد » . وانظر تاريخ دمشق ، وبغية الطلب ٥/ ٥٣، ٥٤.

الغَلَّابيُّ ، ثنا محمدٌ - يعنى ابنَ عُبَيْدِ[1] اللَّهِ بنِ عباسٍ - عن عطاءٍ - يعنى ابنَ مصعبٍ - عن عاصمٍ قال : خطَب الحجاجُ أهلَ العراقِ بعدَ دَيرِ الجماجمِ ، فقال : يا أهلَ العراقِ ، إنَّ الشيطانَ قد استبطَنكم فخالَط اللحمَ والدمَ ، والعصبَ والمسامعَ ، والأطرافَ ، ثم أفضَى إلى الأسماخِ[2] والأمخاخِ ، والأشباحِ والأرواحِ ، ثم ارتفَع[3] فعشَّش ، ثم باضَ وفرَّخ ، ثم دبَّ ودرَج ، فحشاكم نفاقًا وشقاقًا ، وأشعَركم خلافًا ، اتخذْتُموه دليلًا تتبِعُونَه ، وقائدًا تُطيعُونه ، ومؤامِرًا[4] تُشاورونه وتستأمِرونه ، فكيف تنفعُكم تجربةٌ أو ينفعُكم بيانٌ ؟ ألستمْ أصحابى بالأهوازِ حيثُ رُمْتُم[5] المكرَ وأجمَعتُم[6] على الكفرِ ، وظننتُم أنَّ اللَّهَ يخذُلُ دينَه وخلافتَه ؟ وأنا[7] أرميكم بطَرْفى وأنتم تتسلَّلون لِواذًا ، وتنهزمون سِراعًا ، يومُ الزاويةِ ، وما يومُ الزاويةِ ! مما كان مِن فشلِكم وتنازُعِكم وتخاذُلِكم وبراءةِ اللَّهِ منكم ، [8]ونُكوسِ قلوبِكم[8] ؛ إذ وَلَّيتُم كالإبلِ الشاردةِ عن أوطانِها النوازعِ ، لا يَسألُ المرءُ عن أخيه ، ولا يَلْوى الشيخُ على بنِيه ، حين عضَّكم السلاحُ ، ونَخستْكم[9] الرماحُ . يومُ دَيرِ الجماجمِ ، وما يومُ دَيرِ الجماجمِ ! بها كانتِ المعاركُ والملاحمُ ، بضربٍ يُزيلُ الهامَ عن مَقيلِه ، ويُذهِلُ[10] الخليلَ عن خليلِه ،

---

(١) فى م : « عبد » ، وانظر المصدرين السابقين .
(٢) الأسماخ : جمع سماخ وهو ثقب الأذن الذى يدخل فيه الصوت .
(٣) فى م : « ارتع » .
(٤) فى م : « مؤتمنا » .
(٥) فى م : « منيتم » .
(٦) فى ا ٢، ص : « وأجمعتم الغدر واتفقتم » ، وفى م : « واجتمعتم على الغدر واتفقتم » .
(٧) بعده فى م : « والله » .
(٨ - ٨) زيادة من : ا ٢، م ، ص ، وفى تاريخ دمشق : « ونكوص وليكم » .
(٩) فى م : « نخعتكم » .
(١٠) فى ا ٢: « يذهب » .

يا أهلَ العراقِ ، يا أهلَ الكَفَراتِ[1] بعدَ الفَجَراتِ[2] ، والغَدَراتِ[3] بعدَ الخَتَراتِ[4] ، والنزوةِ بعدَ النَّزَواتِ ، إنْ بَعَثْناكم إلى ثغورِكم غلَلتُم وخُنتُم[5] ، وإن أمِنتُم أرجَفْتُم ، وإن خِفْتُم نافقْتُم ، لا تذكرون نعمةً ، ولا تشكُرون معروفًا ، هلِ[6] استخفَّكم ناكِثٌ ، أوِ[7] استغواكم غاوٍ ، أو[7] استنقَذَكم عاصٍ ، أو[7] استنصَركم ظالمٌ ، أو[7] استعضَدكم خالعٌ - إلَّا لبَّيتُم دعوتَه ، وأجبتُم صيحتَه ، ونفرتُم إليه خِفافًا وثِقالًا ، وفُرسانًا ورِجالًا ؟ يا أهلَ العراقِ ، هل شَغَب شاغبٌ ، أو نَعَب ناعبٌ ، أو زَفَر زافرٌ إلَّا كنتُم أتباعَه وأنصارَه ؟ يا أهلَ العراقِ ، ألم تنفعْكم المواعظُ ؟ ألم تزجُرْكم الوقائعُ ؟ ألم يُشدِّدِ اللَّهُ عليكم وطأتَه ، ويُذِقْكم حرَّ سيفِه ، وأليمَ بأسِه ومَثُلاتِه ؟

ثم التفتَ إلى أهلِ الشامِ ، فقال : يا [٧/١٣٥ظ] أهلَ الشامِ ، إنَّما أنا لكم كالظَّليمِ الرامحِ[8] عن فِراخِه يَنفى عنها القذرَ ، ويباعدُ عنها الحجرَ ، ويُكِنُّها مِن المطرِ ، ويَحميها من الضِّبابِ ، ويَحرُسُها من الذِّئابِ[9] ، يا أهلَ الشامِ ، أنتم

---

(١) في م : « الكفران » .

(٢) في م : « الفجران » .

(٣) في م : « الغدران » .

(٤) في الأصل : « الجيرات » وفي م : « الخذلان » . وأصل الختْر : الغدر .

(٥) في الأصل وتاريخ دمشق : « جبتم » .

(٦) في ا ٢، م ، ص : « ما » .

(٧) في ا ٢، م ، ص : « ولا » .

(٨) يعني : كذكر النعام الذي يدافع عن فراخه ، والعرب تجعل الرمح كناية عن الدفع والمنع . اللسان (ر م ح) .

(٩) في م ، ص : « الذباب » .

الجُنَّةُ والرِّداءُ[1] ، وأنتم المُلاءةُ والحِذاءُ[2] ، أنتم الأولياءُ والأنصارُ ، [3]والشِّعارُ والدِّثارُ[3] ، بكم يُذَبُّ[4] عن البيعةِ[5] والحَوْزَةِ ، وبكم تُرمى كتائبُ الأعداءِ ، ويُهزَمُ مَن عانَد وتولَّى .

قال ابنُ أبى الدنيا[6] : حدَّثنى محمدُ بنُ [7]أبى الحسينِ[7] ، حدَّثنا عبيدُ اللَّهِ بنُ محمدٍ التميمىُّ ، سمعتُ شيخًا مِن قريشٍ يُكْنَى أبا بكرٍ التيمىَّ ، قال : كان الحجاجُ يقولُ فى خطبتِه - وكان لَسِنًا -: إنَّ اللَّهَ خلَق آدمَ وذريتَه مِن الأرضِ ، فأمشاهم على ظهرِها ، فأكلوا ثمارَها ، وشرِبوا أنهارَها ، وهتَكوها بالمساحى[8] والمرورِ ، ثم أدالَ اللَّهُ الأرضَ منهم ، فردَّهم إليها ، فأكَلتْ لحومَهم كما أكلوا ثمارَها ، وشرِبتْ دماءَهم كما شرِبوا أنهارَها ، وقطَّعتهم فى جوفِها ، وفرَّقت أوصالَهم كما هَتَكوها بالمساحى والمرورِ .

ومِمّا روَاه غيرُ واحدٍ[9] عن الحجاجِ أنَّه قال فى خطبتِه فى المواعظِ : أيُّها[10] الرجلُ ، وكلُّكم ذلك الرجلُ ، رجلٌ خطَم نفسَه وزمَّها فقادَها بخِطامِها إلى طاعةِ اللَّهِ ، وكفَّها بزمامِها عن معاصى اللَّهِ ، رحِم اللَّهُ امرأً ردَّ نفسَه ، امرأً اتَّهَم نفسَه ، امرأً

---

(١) فى م : « البرد » .

(٢) فى م : « الجلد » .

(٣ - ٣) الشعار : الثوب الذى يلى الجسد ، لأنه يلى شعره مباشرة ، والدثار : الثوب الذى فوق الشعار . يقصد أنهم الخاصه والبطانة . النهاية ٢/ ٤٨٠.

(٤) بعده فى ١ ، ص : « إليه » .

(٥) فى م : « البيضة » .

(٦) أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ١٢/ ١٤٠، من طريق ابن أبى الدنيا به بنحوه .

(٧ - ٧) فى النسخ : « الحسين » . والمثبت من تاريخ دمشق .

(٨) المساحى : جمع مسحاة ، وهى المجرفة من الحديد .

(٩) تاريخ دمشق ١٢/١٤٠ - ١٤٢.

(١٠) سقط من : م .

اتَّخَذ نفسَه عدوَّه ، امرَأً حاسَب نفسَه قبلَ أن يكونَ الحسابُ إلى غيرِه ، امرَأً نظَر إلى ميزانِه ، امرَأً نظَر إلى حسابِه ، امرَأً وزَن عملَه ، امرَأً فكَّر فيما يقرأُ غدًا فى صحيفتِه ويراه فى ميزانِه ، وكان عندَ قلبِه زاجرًا ، وعندَ همِّه آمِرًا ، امرَأً أخَذ بعِنانِ عملِه كما يأخذُ بعِنانِ جَمَلِه ، فإن قادَه إلى طاعةِ اللَّهِ تَبِعَه ، وإنْ قادَه إلى معصيةِ اللَّهِ كفَّ ، امرَأً عقَل عن اللَّهِ أمرَه ، امرَأً فاق واستفاق ، وأبغَض المعاصىَ والنفاقَ ، وكان إلى ما عندَ اللَّهِ بالأشواقِ . فما زال يقولُ امرَأً امرَأً . حتى بكَى مالكُ بنُ دينارٍ .

وقال المدائنىُّ[1] ، عن عَوانةَ بنِ الحكمِ قال : قال الشعبىُّ : سمِعتُ الحجاجَ تكلَّم بكلامٍ ما سبَقه إليه أحدٌ ؛ يقولُ : أما بعدُ ، فإنَّ اللَّهَ تعالى كتَب على الدُّنيا الفناءَ ، وعلى الآخرةِ البقاءَ ، فلا فناءَ لما كتَب عليه البقاءَ ، ولا بقاءَ لما كتَب عليه الفناءَ . فلا يَغُرَّنَّكم شاهدُ الدنيا عن[2] غائبِ الآخرةِ ، واقهَروا طولَ الأملِ بقِصَرِ الأجلِ .

وقال المدائنىُّ[3] ، عن أبى عبدِ اللَّهِ الثقفىِّ ، عن عمِّه ، قال : سمعتُ الحسنَ البصرىَّ يقولُ : وقَذتْنى كلمةٌ سمِعتُها مِن الحجاجِ ، سمِعتُه يقولُ على هذه الأعوادِ : إنَّ امرَأً ذهبتْ ساعةٌ [١٣٦/٧و] مِن عُمرِه فى غيرِ ما خُلِق له لحَرِىٌّ أنْ تطولَ عليها حسرتُه إلى يومِ القيامةِ .

وقال شرَيكٌ القاضى[4] ، عن عبدِ الملكِ بنِ عُمَيْرٍ قال : قال الحجاجُ يومًا : مَن كان له بلاءٌ أعطيناه على قدرِه . فقام رجلٌ فقال : أعطِنى فإنِّى قتلتُ

---

(١) أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ١٢/ ١٤٢، من طريق المدائنى به .
(٢) فى تاريخ دمشق : «على» .
(٣) أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ١٤٢/١٢ - ١٤٣، من طريق المدائنى به .
(٤) أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ١٢/ ١٤٣، من طريق شريك به .

الحسينَ . فقالَ : وكيف قتلتَه ؟ قال : دَسَرتُه بالرمحِ دَسْرًا[1] ، وهبَرتُه بالسيفِ هبرًا[2] ، وما أشركتُ معى فى قتلِه أحدًا . فقال : اذهبْ فواللّٰهِ لا تجتمعُ أنت وهو فى موضعٍ واحدٍ . ولم يُعْطِه شيئًا .

وقال الهيثمُ بنُ عدىٍّ[3] : جاء رجلٌ إلى الحجاجِ فقال : إنَّ أخى خرَج مع ابنِ الأشعثِ ، فضُرِب على اسمى فى الديوانِ ، ومُنعتُ العطاءَ ، وقد هُدِمَتْ دارى . فقال الحجاجُ : أما سمعتَ قولَ الشاعرِ[4] :

جانيك[5] مَنْ يَجْنى عليكَ وَقَدْ ... تُعْدِى الصِّحاحَ مَبارِكُ الجُرْبِ

ولربَّ مأخوذٍ بذنبِ قَريبِه[6] ... ونجا المُقارِفُ صاحبُ الذنْبِ

فقال الرجلُ : أيُّها الأميرُ ، إنِّى سمعتُ اللّٰهَ يقولُ غيرَ هذا ، وقولُ اللّٰهِ أصدقُ مِن هذا . قال : وما قال ؟ قال : ﴿ قَالُواْ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلْعَزِيزُ إِنَّ لَهُۥٓ أَبًا شَيْخًا كَبِيرًا فَخُذْ أَحَدَنَا مَكَانَهُۥٓ إِنَّا نَرَىٰكَ مِنَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٧٨﴾ قَالَ مَعَاذَ ٱللَّهِ أَن نَّأْخُذَ إِلَّا مَن وَجَدْنَا مَتَـٰعَنَا عِندَهُۥٓ إِنَّآ إِذًا لَّظَـٰلِمُونَ ﴾ [يوسف : ٧٨، ٧٩] . قال : يا غلامُ أَعِدِ اسمَه فى الديوانِ ، وابْنِ دارَه ، وأَعْطِه عطاءَه ، ومُرْ مناديًا ينادى : صدَق اللّٰهُ وكذَب الشاعرُ .

وقال الهيثمُ بنُ عدىٍّ[7] ، عن ابن عَيَّاشٍ[8] : كتَب عبدُ الملكِ إلى الحجاجِ أنِ

---

(١) يعنى : طعنته به طعنًا شديدا . وانظر النهاية ٢/ ١١٦.

(٢) يعنى : قطعته به قطعا .

(٣) أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ١٢/ ١٤٤، من طريق الهيثم بن عدى به .

(٤) هو ذؤيب بن كعب بن عمرو . وقيل : هو عوف بن عطية بن الخَرِع . وكلاهما جاهلى . انظر العقد الفريد ١/ ٣٠، ٥/ ١٥، ٢٣٧، ومعجم الشعراء للمرزبانى ص ١٢٥.

(٥) فى ٢١، م، ص : « حنانيك » . وانظر مصدر التخريج .

(٦) فى مختصر تاريخ دمشق ٦/ ٢١٠: « قرينه » .

(٧) أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ١٢/ ١٤٥ ، من طريق الهيثم بن عدى به .

(٨) فى الأصل ، م، ص : « عباس » . وانظر مصدر التخريج .

ابعثْ إلىَّ برأسِ أسلمَ بنِ عبدِ البكريِّ؛ لِما بلغَنى عنه. فأحضَره الحجاجُ، فقال: أيُّها الأميرُ، أنت الشاهدُ، وأميرُ المؤمنينِ الغائبُ، وقال اللَّهُ تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن جَآءَكُمۡ فَاسِقُۢ بِنَبَإٖ فَتَبَيَّنُوٓاْ أَن تُصِيبُواْ قَوۡمَۢا بِجَهَٰلَةٖ فَتُصۡبِحُواْ عَلَىٰ مَا فَعَلۡتُمۡ نَٰدِمِينَ﴾ [الحجرات: ٦]. وما بلَغه عنى[(١)] فباطلٌ، وإنِّى أعولُ أربعةً وعشرين امرأةً، ما لهنَّ كاسبٌ غيرى، وهنَّ بالبابِ. فأمَر الحجاجُ بإحضارِهنَّ، فلما حضَرْنَ جعَلَتْ هذه تقولُ: أنا خالتُه. وهذه: أنا عمَّتُه. وهذه: أنا أختُه، وهذه: أنا ابنتُه. وهذه: أنا زوجتُه. وتقدَّمت إليه جاريةٌ فوقَ الثمانِ ودونَ العَشَرةِ، فقال لها الحجاجُ: مَن أنتِ؟ فقالتْ: أنا ابنتُه. ثم قالتْ: أصلَح اللَّهُ الأميرَ. وجثَتْ على ركبتيها، وقالت:

أحجاجُ لم تشهدْ مقامَ بناتِه ... وعمَّاتِه يندُبْنَه الليلَ أجمَعا

أحجاجُ كم تقتُلْ بهِ إن قتَلتَه ... ثمانًا وعشرًا واثنتينِ وأربَعا

أحجاجُ مَنْ هذا يقومُ مَقامَه ... علينا فمهلًا أن تَزِدْنا تضَعضُعا [١٣٦/٧ظ]

أحجاجُ إما أن تجودَ بنعمةٍ ... علينا وإما أن تُقتِّلَنا مَعا

قال: فبكَى الحجاجُ، وقال: واللَّهِ لا أَعنتُ عليكنَّ ولا زِدْتُكنَّ تضعضُعًا. ثم كتَب إلى عبدِ الملكِ بما قال الرجلُ وبما قالتِ ابنتُه هذه، فكتَب عبدُ الملكِ إلى الحجاجِ يأمرُه بإطلاقِه وحسنِ صلتِه، وبالإحسانِ إلى هذه الجاريةِ وتفقُّدِها فى كلِّ وقتٍ. وقيل[(٢)]: إن الحجاجَ خطَب يومًا فقال: أيُّها الناسُ، الصبرُ عن محارمِ اللَّهِ أيسرُ مِن الصبرِ على عذابِ اللَّهِ. فقام إليه رجلٌ، فقال له: وَيْحك ياحجاجُ، ما أصفَقَ وجهَك وأقلَّ حياءَك، تفعلُ ما تفعلُ وتقولُ مثلَ هذا

---

(١) سقط من: م.

(٢) تاريخ دمشق ١٤٣/١٢.

الكلامِ ؟ خِبْتَ وضلَّ سعيُك . فقال للحرسِ : خذوه . فلما فرَغ من خطبتِه ، قال له : ما الذى جرَّأك علىَّ ؟ فقال : ويحك يا حجاجُ ، أنت تجترِئُ على اللَّهِ ولا أجترِئُ أنا عليك ! ومَن أنت حتى لا أجترِئَ عليك وأنت تجترِئُ على اللَّهِ ربِّ العالمين ؟ فقال : خلُّوا سبيلَه . فأُطْلِق .

وقال المدائنىُّ[1] : أُتِىَ الحجاجُ بأسيرَيْن مِن أصحابِ ابنِ الأشعثِ ، فأمَر بقتلِهما ، فقال أحدُهما : إنَّ لى عندك يدًا . قال : وما هى ؟ قال : ذكَر ابنُ الأشعثِ يومًا أمَّك ، فرددتُ عليه . فقال : ومَن يشهَدُ لك ؟ قال : صاحبى هذا . فسأَله ، فقال : نعم . فقال : فما منَعك أن تفعَلَ كما فعَل ؟ قال : بُغضُك . قال : أَطلِقوا هذا لصدقِه ، وهذا لفعلِه . فأطلَقوهما[2] .

[3]وحكَى الواقدىُّ[4] أنَّ الحجّاجَ نادَى فى البلدِ ؛ أنَّ مَن خرَج بعدَ العشاءِ الآخِرةِ مِن بيتِه قُتِل ، فأُتِى ليلةً برجلٍ ، فقال : ما أخرجَك مِن بيتِك هذه الساعةَ مِن بعدِ ما سمِعتَ المنادِىَ ؟ فقال : أمَا واللَّهِ إنِّى لا أكذِبُ الأميرَ ، إنَّ أمِّى مريضةٌ هالكةٌ ، وأنا عندَها منذُ ثلاثةِ أيامٍ ، فلمّا كان الساعةُ أفاقت ، وقالت : يا بُنىَّ إنِّى أعزِمُ عليك بحقِّى عليك إلّا ما مضَيتَ إلى أهلِك وأولادِك ، فإنَّهم مغمومون بتخلُّفِك عنهم . فخرجتُ مِن عندِها فأخذَنى العَسَسُ وأتَوْا بى إليك . فقال الحجاجُ : ننهاكم وتعصُوننا . ثم أمَر فضُرِبت عنقُه . قال : ثم أُتِى بآخَرَ ، فقال له الحجاجُ : ما أخرَجك هذه الساعةَ ؟ فقال : واللَّهِ ما أكذِبُك ، إنَّه كان عندى[3]

---

(١) تاريخ دمشق ١٢/١٤٦.

(٢) زيادة من : م .

(٣ - ٣) زيادة من : الأصل .

(٤) أخرجه ابن العديم فى بغية الطلب ٥/٢١ ، ٢٢ (مخطوط) ، من طريق عنبسة بن سعيد ، وليس فى سنده الواقدى ، وهو فى مختصر تاريخ دمشق ٦/٢٢٣.

(١ لرجُلٍ دراهمُ فأقعَدَنى على بابِه ولزِمنى ، وقال : لا أفارقُك إلّا بحقِّى . فلمّا كان هذه الساعةُ دخَل إلى منزِلِه وأغلَق بابَه وتركَنى على بابِه ، فجاءنى طائفُك فأخَذَنى إليك . فقال الحجّاجُ : اضرِبوا عنقَه . قال : ثم أُتِى بآخَرَ ، فقال له : ما أخرَجك هذه الساعةَ ؟ فقال : كنتُ أشرَبُ مع قومٍ ، فلمّا سكِرتُ خرَجتُ مِن عندِهم وأنا لا أدرى ، فأخذونى إليك . فقال الحجاجُ لرجُلٍ كان عندَه : ما أراه إلّا صادقًا . ثم قال : خَلُّوا سبيلَه . فخَلَّوْا سبيلَه ١) .

وذكَر محمدُ بنُ زيادٍ[٢] بنِ الأعرابىِّ[٣] فيما بلَغه أنّه كان رجلٌ مِن بنى حنيفةَ يقال له : جَحْدَرُ بنُ مالكٍ . وكان فاتكًا بأرضِ اليمامةِ ، فأرسَل الحجاجُ إلى نائبِها يؤنِّبُه ويلومُه على عدمِ أخذِه ، فما زال نائبُها فى طلبِه حتى أسَرَه وبعَث به إلى الحجاجِ ، فقال له الحجاجُ : ما حملَك على ما كنتَ تصنَعُه ؟ فقال : جراءةُ الجَنانِ[٤] ، وجفاءُ السلطانِ ، وكَلَبُ الزمانِ ، ولو اختبَرنى الأميرُ لوجَدنى من صالحِ [٧/١٣٧و] الأعوانِ ، وبُهَمِ[٥] الفُرسانِ ، ولوجَدنى من أصلحِ رعيتِه ؛ وذلك أنِّى ما لقِيتُ فارسًا قطُّ إلا كنتُ عليه فى نفسى مقتدِرًا . فقال له الحجاجُ : إنَّا قاذفوك فى حائرٍ[٦] فيه أسدٌ عاقِرٌ فإنْ قتَلَك كفانا مؤنتَك ، وإن قتلته

(١ - ١) زيادة من : الأصل .

(٢) بعده فى ١ ٢، م، ص : «عن» . وهو محمد بن زياد، المعروف بابن الأعرابى . انظر طبقات النحاة واللغويين، لابن قاضى شهبة ١١٥، وبغية الوعاة ١/ ١٠٥.

(٣) أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ١٤٨/١٢، وابن العديم فى بغية االطلب ٥/ ٤٤، كلاهما من طريق محمد بن زياد به .

(٤) الجنان : القلب .

(٥) فى الأصل : «نهم» ، وفى ١ ٢، م، ص : «شهم» ، والمثبت من تاريخ دمشق .

(٦) الحائر : المكان المطمئن الوسط، المرتفع الحروف ، والحائر أيضا : البستان . التاج (ح ى ر) .

خلَّينا سبيلَك. ثم أودَعه السجنَ مُقيَّدًا مغلولةً يدُه اليمنى إلى عنقِه، وكتب الحجاجُ إلى نائبِه بكَسْكَرَ أن يبعثَ إليه بأسدٍ عظيمٍ ضارٍ، وقد قال جَحْدَرٌ هذا فى محبسِه هذا أشعارًا يتحزَّنُ فيها على امرأتِه سُليمى أمِّ عمرٍو، يقولُ فى بعضِها[1]:

أَليسَ الليلُ يجمعُ أمَّ عمرٍو وإيانا فذاكَ بنا تدانِى

بلى ونرى الهلالَ كما تراهُ ويعلوها النهارُ إذا علانِى

إذا جاوَزْتُما نخَلاتِ حَجْرٍ[2] وأوديةَ اليمامةِ فانعَيانى

وقولا جَحدرٌ أمسى رهينًا يحاذرُ وقْعَ مصقولٍ يمانى

فلما قدِم الأسدُ على الحجاجِ أمرَ به فجُوِّعَ ثلاثةَ أيامٍ، ثم أُبْرِزَ إلى حائرٍ - وهو البستانُ - وأَمَر بجحدرٍ فأُخرِج فى قيودِه ويدُه اليمنى مغلولةٌ بحالِها، وأُعْطِى سيفًا في يدِه اليسرى، وخلَّى بيْنَه وبينَ الأسدِ، وجلَس الحجاجُ وأصحابُه فى منظرةٍ، وأقبَل جحدرٌ نحوَ الأسدِ، وهو يقولُ[3]:

ليثٌ وليثٌ فى مجالٍ ضنكٍ كلاهما ذو أَنَفٍ ومَحْكٍ

وشدةٍ فى نفسِه وفتكِ إنْ يكشفِ اللَّهُ قِناعَ الشكِ

* فهْوَ أحقُّ منزلٍ بتركِ *

فلما نظَر إليه الأسدُ زأَر زأْرةً شديدةً، وتمطَّى وأقبلَ نحوَه، فلمَّا صارَ منه على قدرِ رُمحٍ وثَب الأسدُ على جحدرٍ وَثْبةً شديدةً، فتلقَّاه جحدرٌ بالسيفِ، فضرَبه ضَربةً حتى[4] خالَط ذبابُ السيفِ لَهَواتِه، فخرَّ الأسدُ كأنَّه خيمة قد

---

(١) الأبيات لجحدر اللص. انظر الأمالى لأبى على القالى ١/ ٢٨١.

(٢) فى م: «نجد». وحَجْر بالفتح مدينة اليمامة وأم قراها. معجم البلدان ٢/ ٢٠٨.

(٣) الأبيات لجحدر أيضا. انظر الأمالى لابن الشجرى ٢/ ٤٨٧.

(٤) سقط من: م.

صرعتْها الريحُ ، من شدةِ الضربةِ ، وسقَط جَحدرٌ مِن شدةِ وثبةِ الأسدِ ؛ وشدةِ موضعِ القيودِ عليه ، فكبَّر الحجاجُ وأصحابُه ، وأنشأ[1] جَحْدرٌ يقولُ[2] :

يا جُمْلُ إنَّكِ لو رأيتِ كَريهتى ... فى يــومِ هولٍ مُسْدِفٍ وعَجَاجِ

[3]وتقدُّمى للَّيثِ أرسُفُ موثَقًا[3] ... كيما أُثاوِرَهُ[4] على الأحراجِ[5]

شَـثْـنٌ بـراثـنُـه كـأنَّ نـيـوبَـهُ ... زُرْقُ المعاولِ أو شِباه زجاجِ

يسمو بناظرتين تحسَبُ فيهما ... لـهبًا أحدُهـما شُعاعُ سِراجِ

وكأنَّما خِيطتْ عليه عباءةٌ ... برقاءُ أو خِرَقٌ مِن الدِّيباجِ [١٣٧/٧ظ]

لعلمتِ أنِّى ذو حفاظٍ ماجدٌ ... مـن نـسـلِ أقـوامٍ ذوى أبـراجِ

[6]ثم التفَتَ إلى الحجاجِ ، فقال[7] :

عَلِم النساءُ بأنَّنى لا أَنْثَنى ... إذ لا يَـثِـقْـن بـغَـيـرةِ الأزواجِ

وعلمتُ أنِّى إنْ كرهتُ نزالَه ... أنِّى مِن الحجاجِ لستُ بناجِ[6]

فعندَ ذلك خيَّره الحجاجُ إنْ شاءَ أقام عنده ، وإن شاء انطلَق إلى بلادِه ، فاختارَ المُقامَ عندَ الحجاجِ ، فأحسَنَ جائزَته وأعطاه أموالًا .

وقد كان الحجاجُ مع فصاحتِه وبلاغتِه يلحَنُ فى حروفٍ مِن القرآنِ أنكَرها يحيى بنُ يَعْمَرَ ؛ منها أنه كان يُبدِلُ « إِنْ » المكسورةَ بـ« أَنْ » المفتوحةِ ، وعكسُه ،

---

(١) فى م : « وأشار » .

(٢) أشعار اللصوص وأخبارهم ص ٧٩.

(٣) فى تاريخ دمشق : « وتقدمى الليث أسفر موثقا » .

(٤) فى النسخ : « ساوره » . وثاوره مثاورة وثوارًا : واثبه .

(٥) فى النسخ : « الأخراج » . وفى مصدرى التخريج : « الإحراج » . والأحراج : جمع حَرَج ، وهو اسم لمجتمع الشجر ، يعنى الغيضة . التاج (ح ر ج) .

(٦ - ٦) سقط من : ١ ٢، م ، ص .

(٧) قبل هذين البيتين ورد بيت فى مصدرى التخريج ، لم يورده ابن كثير ، وهو :

ولئن قصدت بى المنية عامدًا ... إنى لخيرك بعد ذاك لراجِ

وكان يقرأ : ﴿ قُلْ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ ﴾ إلى قوله : ﴿ أَحَبَّ إِلَيْكُم ﴾ [التوبة : ٢٤] فيقرؤها برفعِ « أحبُّ » .

وأنكَر يومًا أن يكونَ الحسينُ مِن ذريةِ رسولِ اللَّهِ ﷺ ؛ لكونِه ابنَ بنتِه ، فقال له يحيى بنُ يَعْمَرَ[1] : كذَبتَ . فقال الحجاجُ : لتأْتِيَنِّى على ما قلتَ ببينةٍ مِن كتابِ اللَّهِ أو لأضربَنَّ عنقَك . فقال : قال اللَّه : ﴿ وَمِن ذُرِّيَّتِهِۦ دَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ ﴾ إلى قوله : ﴿ وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَىٰ وَعِيسَىٰ ﴾ [الأنعام : ٨٤، ٨٥] . فعيسى مِن ذريةِ إبراهيمَ ، وهو إنَّما يُنسَبُ إلى أمِّه مريمَ ، والحسينُ ابنُ بنتِ رسولِ اللَّهِ ﷺ . فقال الحجاجُ : صدقتَ . ونفاه إلى خُراسانَ .

وقال الأصمعىُّ وغيرُه[2] : كتَب عبدُ الملكِ إلى الحجاجِ يسألُه عن أمسِ واليومَ وغدٍ ، فقال للرسولِ : أكان خويلدُ بنُ يزيدَ بنِ معاويةَ عنده ؟ قال : نعم . فكتَب الحجاجُ إلى عبدِ الملكِ : أمّا أمسِ فأجلٌ ، وأما اليومَ فعملٌ ، وأما غدًا فأملٌ .

وقال ابنُ دُرَيْدٍ[3] ، عن أبى حاتمٍ السِّجِسْتَانىِّ ، عن أبى عُبَيْدَةَ معمرِ بنِ المُثَنَّى ، قال : لما قتَل الحجاجُ ابنَ الأشعثِ ، وصَفَتْ له العراقُ وسَّعَ على الناسِ فى العطاءِ ، فكتَب إليه عبدُ الملكِ : أما بعدُ ، فقد بلَغ أميرَ المؤمنين أنَّك تُنفقُ فى اليومِ ما لا يُنفقُه أميرُ المؤمنين فى الأسبوعِ ، وتُنفقُ فى الأسبوعِ ما لا يُنفقُه أميرُ المؤمنين فى الشهرِ ، ثم قال منشدًا :

---

(١) تاريخ دمشق ١٢/١٥١ - ١٥٢.

(٢) أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ١٢/١٥٣، من طريق الأصمعى به .

(٣) أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ١٢/١٥٣ ، وابن العديم فى بغية الطلب ٥/٦٥ - ٦٧، كلاهما من طريق ابن دريد، به .

عليكَ بتقوى اللّهِ فى الأمرِ كلِّهِ وكن لوعيدِ[1] اللّهِ تخشى وتَضرَعُ

ووفِّرْ خراجَ المسلمين وفيئَهم وكنْ لهمُ حِصنًا تُجيرُ وتَمنَعُ

فكتَب إليه الحجاجُ :

لعَمْرى لقدْ جاءَ الرسولُ بكُتْبِكمْ قراطيسَ تُملى ثم تُطوى فتُطبَعُ

كتابٌ أتانى فيه لينٌ وغِلظةٌ وذُكِّرتُ والذكرى لذى اللُّبِّ تَنفَعُ

[١٣٨/٧و] وكانت أمورٌ تعترينى كثيرةٌ فأرضَخُ أو أعتلُّ حينًا فأُمنعُ

إذا كنتُ سوطًا مِن عذابٍ عليهمُ ولم يكُ عندى فى المنافعِ مطمعُ

أيرضَى بذاكَ الناسُ أو يسخَطونه أمُ آحْمَدُ فيهمْ أم ألامُ فأُقْذَعُ

وكانت بلادٌ جئتُها حينَ جئتُها بها كلُّ نيرانِ العداوةِ تلمَعُ

فقاسيتُ منها ماعلِمتَ ولم أزَلْ أصارعُ حتى كِدْتُ بالموتِ أُصْرَعُ

وكم أرجَفوا مِنْ رجفةٍ قد سمِعتُها ولو كان غيرى طار مما يُرَوَّعُ

وكنتُ إذا همُّوا بإحدى قَنَاتِهم[2] حَسَرْتُ لهم رأسى ولا أتقنَّعُ

فلو لم يذُدْ عنى صناديدُ منهمُ تَقَسَّمَ أعضائى ذئابٌ وأضبُعُ

قال : فكتَب إليه عبدُ الملكِ أنِ اعمَلْ برأيِك . وقال التَّوَّزِىُّ[3] : عن محمدِ ابنِ المستوردِ الجُمَحىِّ قال : أُتِى الحجاجُ بسارقٍ ، فقال له : لقد كنتَ غنيًّا أن "يأتِيَك الحكمُ"[4] ، فيُبْطِلَ عليك عضوًا من أعضائِك . فقال الرجلُ : إذا قلَّ ذاتُ اليدِ سَخَتِ النفسُ بالمَتالِفِ . قال : صدقتَ ، واللّهِ لو كان حُسْنُ اعتذارٍ يُبْطِلُ

---

(١) فى م : « يا عبيد » .

(٢) فى م ، ص : « نهاتهم » ، وفى ا ٢ : « دهاتهم » .

(٣) فى الأصل ، ا ٢ ، م : « الثورى » . والمثبت من تاريخ دمشق . وقد أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ١٢/ ١٥٥ ، من طريق التوزى به .

(٤ - ٤) فى ا ٢ ، م ، ص : « تكسب جناية فيؤتى بك إلى الحاكم » .

حدًّا لكنتَ له مَوْضِعًا ، يا غلامُ ، سيفٌ صارمٌ ورجُلٌ قاطعٌ . فقطَع يدَه .

وقال أبو بكرِ بنُ مجاهدٍ[1] ، عن محمدِ بنِ الجَهمِ ، عن الفراءِ ، قال : تغدَّى الحجاجُ يومًا مع الوليدِ بنِ عبدِ الملكِ ، فلمَّا انقضَى غداؤُهما دعاه الوليدُ إلى شربِ النبيذِ ، فقال : يا أميرَ المؤمنين ، الحلالُ ما أحللتَ ، ولكنى أنهَى عنه[2] أهلَ عملى ، وأكرهُ أنْ أخالفَ قولَ العبدِ الصالحِ : ﴿ وَمَآ أُرِيدُ أَنۡ أُخَالِفَكُمۡ إِلَىٰ مَآ أَنۡهَىٰكُمۡ عَنۡهُۚ ﴾ [هود : ٨٨] .

وقال عُمَرُ بنُ شَبَّةَ[3] ، عن أشياخِه ، قال : كتَب عبدُ الملكِ إلى الحجاجِ يعتِبُ عليه فى إسرافِه فى صرفِ الأموالِ ، وسفكِ الدماءِ ، ويقولُ له : إنما المالُ مالُ اللَّهِ ونحن خُزَّانُه ، وسيّانِ منعُ حقٍّ وإعطاءُ باطلٍ . وكتَب فى أسفلِ الكتابِ :

إذا أنتَ لم تتركْ أمورًا كرِهتُها ... وتطلبْ رضائى فى الذى أنا طالبُهْ

وتخشى الذى يخشاهُ مثلُكَ هاربًا ... إلى اللَّهِ منهُ ضيَّعَ الدُّرَّ جالبُهْ

فإنْ ترَ منى غفلةً قُرشِيَّةً ... فيا ربَّما قَدْ غَصَّ بالماءِ شاربُهْ

وإنْ ترَ منى وثبةً أُمويةً ... فهذا وهذا كلُّهُ أنا صاحبُهْ

فلا تَعْدُ ما يأتيكَ منى فإنْ تَعُدْ ... تقُمْ فاعلمنْ يومًا عليكَ نوادبُهْ

[١٣٨/٧ظ] فلما قرأَه الحجاجُ كتَب : أمَّا بعدُ ، فقد جاءنى كتابُ أميرِ المؤمنين يذكرُ فيه سَرَفى فى الأموالِ والدماءِ ، فواللَّهِ ما بالغتُ فى عقوبةِ أهلِ المعصيةِ ، ولا قضيتُ حقَّ أهلِ الطاعةِ ، فإن كان ذلك سَرَفًا فليَحُدَّ لى أميرُ المؤمنين حدًّا أنتهِى

---

(١) أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ١٢/ ١٥٥، من طريق أبى بكر بن مجاهد به .

(٢) بعده فى ا ٢، م، ص : «أهل العراق و» .

(٣) أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ١٥٥/١٢ - ١٥٦، من طريق عمر بن شبة به .

إليه ولا أتجاوزُه . وكتَب فى أسفلِ الكتابِ :

إذا أنا لم أطلبْ رضاكَ وأتَّقى ... أذاكَ فيومى لا توارتْ كواكبُهْ
إذا قارَف الحجاجُ فيك خطيئةً ... فقامتْ عليه فى الصباحِ نوادبُهْ
أُسالمُ مَنْ سالمتَ مِن ذى هَوادةٍ ... ومَنْ لم تسالمْه فإنِّى محاربُهْ
إذا أنا لم أُدْنِ الشفيقَ لنصحهِ ... وأُقْصِ الذى تَسْرى إلىَّ عقاربُهْ
فمن يتَّقى يومى ويرجو إذًا غَدِى ... على ما أرى والدهرُ جمٌّ عجائبُه

وعن الشافعىِّ[1] أنَّه قال : قال الوليدُ بنُ عبدِ الملكِ للغازِ بنِ ربيعةَ أنْ يسألَ الحجاجَ فيما بينَه وبينَه ؛ هل يَجِدُ فى نفسِه ممَّا أصابَ مِن الدماءِ[2] شيئًا ؟ فسأله كما أمَره ، فقال : واللَّهِ ما أحبُّ أن لى لُبنانَ أو سَنيرًا[3] ذهبًا أُنفقُه فى سبيلِ اللَّهِ مكانَ ما أبلانى اللَّهُ مِن الطاعةِ .

فصلٌ فيما رُوى عنه مِن الكلماتِ الناقصةِ[4] والجراءةِ البالغةِ

قال أبو دوادَ[5] : ثنا محمدُ بنُ العلاءِ ، ثنا أبو بكرٍ ، عن عاصمٍ قال : سمِعتُ الحجاجَ وهو على المنبرِ يقولُ : اتقوا اللَّهَ ما استطعتُم - ليس فيها

(١) أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ١٥٧/١٢ - ١٥٨، من طريق الشافعى به بنحوه.

(٢) فى م : « الدنيا » .

(٣) فى الأصل : « ثبير » ، وفى ا ٢، ص : « سنين » ، وفى م : « سبير » . والمثبت من تاريخ دمشق ، وهى فيه غير مصروفة . قال فى « شرح القاموس » (س ن ر) : وسنيرٌ ، كأميرٍ : جبل بين حمص وبعلبك . وانظر معجم البلدان ٣/ ١٧٠.

(٤) فى م : « النافعة » .

(٥) أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ١٥٨/١٢ - ١٥٩، من طريق أبى داود به .

مثنويةٌ[1] - واسمعوا وأطيعوا - ليس فيها مثنويةٌ[1] - لأميرِ المؤمنين عبدِ الملكِ، واللَّهِ لو أمرتُ الناسَ أن يخرُجوا مِن بابِ[2] المسجدِ فخرَجوا مِن بابٍ آخرَ لحلَّتْ لي دماؤُهم وأموالُهم، واللَّهِ لو أخذتُ ربيعةَ بمضرَ لكان ذلك لي مِن اللَّهِ حلالًا، وما[3] عَذيرى من عبدِ هُذيلٍ[4] يزعمُ أنَّ قرآنَه مِن عندِ اللَّهِ، واللَّهِ ما هي إلا رَجَزٌ مِن رَجَزِ الأعرابِ ما أنزلَها اللَّهُ على نبيِّه ﷺ، وعَذيرى مِن هذه الحمراءِ[5]، يزعمُ أحدُهم يرمى بالحجرِ فيقولُ: إلى أن يقَعَ الحجرُ حدَث أمرٌ. فواللَّهِ لأدعنَّهم كالأمسِ الدابرِ. قال: فذكرتُه للأعمشِ، فقال: وأنا واللَّهِ سمِعتُه منه.

ورواه أبو بكرِ بنُ أبي خَيْثَمَةَ[6]، عن محمدِ بنِ يزيدَ، عن أبي بكرِ بنِ عيَّاشٍ، عن عاصمِ بنِ أبي النَّجودِ والأعمشِ، أنَّهما سمِعا الحجاجَ - قبَّحه اللَّهُ - يقولُ ذلك، وفيه: واللَّهِ لو أمرتُكم أن تخرُجوا مِن هذا البابِ، فخرجتُم مِن هذا البابِ، لحلَّتْ لي دماؤُكم، ولا أجدُ أحدًا يقرأُ [٧/١٣٩و] على قراءةِ ابنِ أمِّ عَبْدٍ إلا ضربتُ عنقَه، ولأَحُكَّنَّها مِن المصحفِ ولو بضِلَعِ خنزيرٍ.

ورواه غيرُ واحدٍ عن أبي بكرِ بنِ عياشٍ بنحوِه[7]. وفي بعضِ الرواياتِ[8]: واللَّهِ لو أدركتُ عبدَ هُذيلٍ لضربتُ عنقَه. وهذا مِن جراءةِ الحجاجِ - قبَّحه اللَّه،

---

(١) كذا بالنسخ وتاريخ دمشق ٢٣٥/٤ (مخطوط)، وفي تاريخ دمشق ١٢/ ١٥٩، ومختصر ابن منظور ٦/ ٢١٤: «مثوبة».
(٢) سقط من: الأصل، وليس في تاريخ دمشق.
(٣) في تاريخ دمشق: «يا».
(٤) يعني: عبد اللَّه بن مسعود رضي اللَّه عنه.
(٥) في تاريخ دمشق: «الحمر».
(٦) أخرجه ابن عساكر في تاريخ دمشق ١٢/ ١٦٠، من طريق ابن أبي خيثمة به.
(٧) انظر تاريخ دمشق ١٢/ ١٥٩، ١٦٠.
(٨) المصدر السابق ١٢/ ١٦٠.

وإقدامِه على الكلامِ السيِّئ ، والدماءِ الحرامِ . وإنما نقَم على قراءةِ ابنِ مسعودٍ - رضِى اللَّهُ عنه - لكونِه خالَف القراءةَ على المصحفِ الإمامِ الذى جمَع الناسَ عليه عثمانُ ، والظاهرُ أنَّ ابنَ مسعودٍ رجَع إلى قولِ عثمانَ ومُوافقيه[1] ، واللَّهُ أعلمُ .

وقال علىُّ بنُ عبدِ اللَّهِ بنِ مُبَشِّرٍ[2] ، عن عباسٍ الدُّورِىِّ ، عن مسلمِ بنِ إبراهيمَ ، ثنا الصلتُ بنُ دينارٍ ، سمعتُ الحجاجَ على منبرِ واسطٍ يقولُ : عبدُ اللَّهِ ابنُ مسعودٍ رأْسُ المنافقين ، لو أدركتُه لأسقيتُ الأرضَ مِن دمِه . قال : وسمعتُه على منبرِ واسطٍ وتلا هذه الآيةَ ﴿ وَهَبْ لِى مُلْكًا لَّا يَنۢبَغِى لِأَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِىٓ ﴾ [ص : ٣٥] . قال : واللَّهِ إنْ كان سليمانُ لحسودًا . وهذه جراءةٌ عظيمةٌ تُفْضِى به إلى الكفرِ ، قبَّحه اللَّهُ وأخزاه ، وأبعدَه وأقصاه[3] .

ومن الطامّاتِ أيضًا ما رواه أبو داودَ[4] ، ثنا إسحاقُ بنُ إسماعيلَ الطالْقانىُّ ، ثنا جريرٌ (ح)[5] . وحدَّثنا زهيرُ بنُ حربٍ ، ثنا جريرٌ ، عن المغيرةِ ، عن بَزِيعِ بنِ خالدٍ الضبىِّ ، قال : سمعتُ الحجاجَ يخطُبُ ، فقال فى خطبتِه : رسولُ أحدِكم فى حاجتِه أكرمُ عليه أم خليفتُه فى أهلِه ؟ فقلتُ فى نفسى : للَّهِ علىَّ أن لا أُصلِّىَ خلفَك صلاةً أبدًا ، وإن وجدتُ قومًا يُجاهدونك لأُجاهِدنَّك معهم . زادَ إسحاقُ[6] فى حديثِه[6] : فقاتَلَ فى الجماجمِ حتى قُتِل . فإن صحَّ هذا عنه فظاهِرُه

(١) فى الأصل، ص : « موافقته » .
(٢) أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ١٢/ ١٦١.
(٣) بعده فى ص زيادة من زيادات الناسخ، وأثبتها ناشرو طبعة المعارف (م)، وهى بمقدار ثلاث صفحات تقريبا من المطبوع .
(٤) أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ١٥٨/١٢ - ١٥٩، من طريق أبى داود به .
(٥) سقط من : م .
(٦ - ٦) سقط من : م .

كفرٌ إنْ أرادَ تفضيلَ منصبِ الخلافةِ على الرسالةِ، أو أرادَ أنَّ الخليفةَ مِن بنى أمية أفضلُ مِن الرسولِ.

وقال الأصمعىُّ[1]: ثنا أبو عاصمٍ النبيلُ، ثنا أبو حفصٍ الثقفىُّ، قال: خطَب الحجاجُ يومًا فأقبلَ عن يمينِه فقال: ألا إنَّ الحجاجَ كافرٌ. ثم أطرقَ فقال: إنَّ الحجاجَ كافر. ثم أطرقَ فأقبلَ عن يسارِه فقال: ألا إنَّ الحجاجَ كافرٌ. فعَل ذلك مرارًا، ثم قال: كافرٌ يا أهلَ العراقِ باللاتِ والعُزَّى.

وقال حنبلُ بنُ إسحاقَ[2]: ثنا هارونُ بنُ معروفٍ، ثنا ضَمرةُ، ثنا ابنُ شَوْذَبٍ، عن مالكِ بنِ دينارٍ قال: بينما الحجاجُ يخطُبُنا يومًا إذ قال: الحجاجُ كافرٌ. قلنا: ما له؟ أىَّ شىءٍ يريدُ؟ قال: الحجاجُ كافرٌ بيومِ الأربعاءِ والبغلةِ الشَّهْباءِ. وقال الأصْمَعِىُّ[3]: قال عبدُ الملكِ يومًا للحجاجِ: إنَّه[4] ما مِن أحدٍ إلا [١٣٩/٧ظ] وهو يعرفُ عيبَ نفسِه، (5) فصِفْ لى عيبَ (5) نفسِك. فقال: اعفِنى يا أميرَ المؤمنين. فأبَى، فقال: أنا لَجوجٌ حقودٌ حسودٌ. فقال عبدُ الملكِ: ما فى الشيطانِ شرٌّ مما ذكرتَ. وفى روايةٍ[6] أنَّه قال: إذًا بينَك وبينَ إبليسَ نسبٌ.

وبالجملةِ فقد كان الحجاجُ نقمةً على أهلِ العراقِ بما سلَف لهم مِن الذنوبِ والخروجِ على الأئمةِ، وخِذلانِهم لهم، وعصيانِهم، ومخالفتِهم، والافتياتِ

---

(١) أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ١٢/ ١٦٦، من طريق الأصمعى به.

(٢) أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ١٢/ ١٦٦، من طريق حنبل بن إسحاق به.

(٣) أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ١٢/ ١٦٧، من طريق الأصمعى.

(٤) سقط من: ا ٢، م، ص.

(٥ - ٥) فى الأصل، وتاريخ دمشق: «فعيب نفسك».

(٦) تاريخ دمشق ١٢/ ١٦٧.

عليهم . قال يعقوبُ بن سفيانَ[1] : حدَّثنا أبو صالحٍ عبدُ اللَّهِ بنُ صالحٍ ، حدَّثنى معاويةُ بنُ صالحٍ ، عن شريحِ بنِ عبيدٍ ، عن مَن حدَّثه ، قال : جاء رجلٌ إلى عمرَ ابنِ الخطابِ ، رضِى اللَّهُ عنه ، فأخبرَه أنَّ أهلَ العراقِ حصَبوا أميرَهم فخرَج غضبانَ ، فصلَّى لنا صلاةً ، فسَها فيها حتى جعَل الناسُ يقولون : سبحانَ اللَّهِ سبحانَ اللَّهِ . فلما سلَّم أقبلَ على الناسِ ، فقال : مَن هٰهنا مِن أهلِ الشامِ ؟ فقام رجلٌ ، ثم قامَ آخرُ ، ثم قمتُ أنا ثالثًا أو رابعًا ، فقال : يا أهلَ الشامِ ، استعِدّوا لأهلِ العراقِ ؛ فإنَّ الشيطانَ قد باضَ فيهم وفرَّخ ، اللهم إنَّهم قد لَبَسوا عليهم فالبِسْ عليهم ، وعجِّلْ عليهم بالغلامِ الثقفيِّ ، يحكمُ فيهم بحكمِ الجاهليةِ ؛ لا يقبَلُ مِن محسنِهم ، ولا يتجاوزُ عن مسيئِهم . وقد روَيناه فى كتابِ « مسندِ عمرَ ابنِ الخطابِ » ، مِن طريقِ أبى عَذَبَةَ الحِمْصىِّ ، عن عمرَ مثلَه[2] . وقال عبدُ الرزاقِ[3] : أخبرنا جعفرُ بنُ سليمانَ ، عن مالكِ بنِ دينارٍ ، عن الحسنِ ، قال[4] : قال علىُّ بنُ أبى طالبٍ : اللهمَّ كما ائتمنتُهم فخانُونى ، ونصحتُ لهم فغشُّونى ، فسلِّطْ عليهم فتى ثقيفٍ الذَّيّالَ[5] الميّالَ ، يأكلُ خَضِرتَها[6] ، ويلبَسُ فروتَها ، ويَحْكمُ فيها بحكمِ الجاهليةِ . قال : يقولُ الحسنُ : وما خُلِق الحجاجُ يومئذٍ . ورواه معتمرُ بنُ سليمانَ[7] ، عن أبيه ، عن أيوبَ ، عن مالكِ بنِ أوسِ بنِ

---

(١) أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ١٦٧/١٢ - ١٦٨، من طريق يعقوب بن سفيان به .
(٢) مسند الفاروق ٦٦٣/٢ ، وقد أخرجه البيهقى فى دلائل النبوة ٤٨٦/٦ - ٤٨٧، من طريق أبى عذبة الحمصى به .
(٣) أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ١٢/ ١٦٩، من طريق عبد الرزاق به .
(٤) سقط من : ٢١، م، ص .
(٥) الذيال : المتبختر فى مشيه .
(٦) يعنى هنيئها . النهاية ٢/ ٤١.
(٧) أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ١٢/ ١٦٩، من طريق معتمر بن سليمان به .

الحَدَثانِ ، عن عليٍّ أنه قال : الشابُّ الذَّيَّالُ أميرُ المِصرين يلبَسُ فروتَها ويأكلُ خَضِرتَها ، ويقتلُ أشرافَ أهلِها ، يشتدُّ منه الفرَقُ ، ويكثُرُ مِنه الأرَقُ ، ويسلِّطُه اللَّهُ على شِيعتِه .

وقال الحافظُ البيهقيُّ فى « دلائلِ النبوةِ »[1] : أخبرَنا أبو عبدِ اللَّهِ الحافظُ ، ثنا أبو العباسِ محمدُ بنُ أحمدَ المحبوبيُّ ، ثنا سعيدُ بنُ مسعودٍ ، ثنا يزيدُ بنُ هارونَ ، أنبأ العوامُ بنُ حَوشبٍ ، حدَّثنى حبيبُ بنُ أبى ثابتٍ قال : قال عليٌّ لرجلٍ : لا مِتَّ حتى تدرِكَ فتَى ثقيفٍ . (2) قيل له : يا أميرَ المؤمنين (2) ، وما فتى ثقيفٍ ؟ قال : ليُقالَنَّ له يومَ القيامةِ : اكفِنا زاويةً مِن زوايا جهنمَ . رجلٌ يملِكُ عشرين ، أو [١٤٠/٧و] بضعًا وعشرين سنةً ، لا يَدعُ للَّهِ معصيةً إلا ارتكَبها ، حتى لو لم يَبْقَ إلا معصيةٌ واحدةٌ ، وكان بينَه وبينَها بابٌ مغلقٌ لكسَرَه حتى يرتكِبَها ، يقتُلُ بمَن أطاعه مَن عصاه .

وقال الطبرانىُّ[3] : حدَّثنا القاسمُ بنُ زكريا ، ثنا إسماعيلُ بنُ موسى السُّدِّىُّ[4] ، ثنا علىُّ بنُ مُسْهِرٍ ، عن الأجلحِ ، عن الشعبىِّ ، عن أمِّ حكيمٍ بنتِ عمرَ بنِ سنانٍ الجَدَليَّةِ ، قالت : استأذَن الأشعثُ بنُ قيسٍ على عليٍّ فردَّه قُنْبُرٌ فأدمَى أنفَه ، فخرَج عليٌّ فقال : ما لَكَ وله يا أشعثُ ، أما واللَّهِ لو بعبدِ ثقيفٍ

---

(١) دلائل النبوة ٦/ ٤٨٩.

(٢ - ٢) فى ٢١، م، ص: « قال ».

(٣) أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ١٢/ ١٦٩، وابن العديم فى بغية الطلب ٥/ ٢٩، كلاهما من طريق الطبرانى به.

(٤) فى ٢١: « السدس ». وفى م، ص: « السدسى »، وفى تاريخ دمشق: « السهمى ». وقال محققه :... والمثبت من بغية الطلب . والذى فى بغية الطلب ٥/ ٢٩: « السدى »، وهو كما أثبتنا . وانظر تهذيب الكمال ٣/ ٢١٠.

تمرَّسْتَ[1] لاقشعَرَّتْ شعيراتُ استِك . قيل له : يا أميرَ المؤمنين ، ومَن عبدُ ثقيفٍ ؟ قال : غلامٌ يَلِيهم لا يُبقِى أهلَ بيتٍ مِن العربِ إلَّا أَلبَسهم ذُلًّا . قيل : كم يملكُ ؟ قال : عشرين إنْ بلَغ .

وقال البيهقىُّ[2] : أخبَرنا الحاكمُ ، أنبأ الحسينُ[3] بنُ الحسنِ بنِ أيوبَ ، ثنا أبو حاتمٍ الرازىُّ ، ثنا عبدُ اللَّهِ بنُ يوسفَ التِّنِّيسِىُّ ، ثنا هشامُ[4] بنُ يحيى الغسَّانىُّ[5] قال : قال عمرُ بنُ عبدِ العزيزِ : لو جاءت كلُّ أمَّةٍ بخبيثِها ، وجِئْنا بالحجاجِ لغلبناهم . وقال أبو بكرِ بنُ عياشٍ[6] ، عن عاصمِ بنِ أبى النَّجُودِ أنَّه قال : ما بَقِيتْ للَّهِ عزَّ وجلَّ حُرْمَةٌ إلا وقد ارتكَبها الحجاجُ .

وقد تقدَّم الحديثُ[7] : « إنَّ فى ثقيفٍ كذابًا ومُبِيرًا » . وقد ذكَرنا شأنَ المختارِ ابنِ أبى عبيدٍ ، وهو الكذابُ المذكورُ فى هذا الحديثِ ، وقد كان يُظْهِرُ الرفضَ أولًا ويُبطِنُ الكفرَ المحضَ ، وأما المبيرُ فهو الحجاجُ بنُ يوسفَ هذا ، وقد كان ناصبيًّا يُبْغِض عليًّا وشيعتَه فى هوى آلِ مروانَ بنى أميةَ ، وكان جبارًا عنيدًا ، مِقدامًا على سفكِ الدماءِ بأدنَى شبهةٍ . وقد رُوِى عنه ألفاظٌ بشعةٌ شنيعةٌ ظاهرُها الكفرُ كما قدَّمنا[8] ، فإنْ كان قد تابَ منها وأقلَع عنها ، وإلَّا فهو باقٍ فى عهدتِها ، ولكن قد يُخشَى أنَّها رُوِيتْ عنه بنوعٍ مِن زيادةٍ عليه ؛ فإن الشيعةَ كانوا

---

(١) فى م : « تحرشت » .
(٢) أخرجه البيهقى فى دلائل النبوة ٦/ ٤٨٩، من طريق الحاكم به .
(٣) فى م : « الحسن » .
(٤) سقط من : م .
(٥) فى م : « الغانى » .
(٦) أخرجه البيهقى فى الدلائل ٤٨٩/٦ ، من طريق أبى بكر بن عياش به .
(٧) تقدم بنحوه فى ٩/ ٢٥١، ٢٥٢.
(٨) انظر ص ٥٣٢ - ٥٣٥ .

يُبْغِضونه جدًّا لوجوهٍ، وربَّما حرَّفوا عليه بعضَ الكلمِ، وزادوا فيما يحكُونه عنه بَشاعاتٍ وشَناعاتٍ.

وقد روَّينا عنه[1]، أنَّه كان يتديَّنُ بتركِ المسْكِرِ، وكان يُكثِرُ تلاوةَ القرآنِ، ويتجنَّبُ المحارمَ، ولم يُشتهَرْ عنه شيءٌ من التلطُّخِ بالفروجِ، وإن كان متسرِّعًا فى سفكِ الدماءِ. فاللَّهُ تعالى أعلمُ بالصوابِ وحقائقِ الأمورِ وسرائرِها[2]، وخفيَّاتِ الصدورِ وضمائرِها[3].

وقال المعافى بنُ زكريا الجريرىُّ - المعروفُ بابنِ طَرَارًا[4] - البغدادىُّ: ثنا محمدُ بنُ القاسمِ الأنبارىُّ، ثنا أبى، ثنا أحمدُ بنُ عبيدٍ، ثنا هشامُ [٧/١٤٠ظ] ابنُ[5] محمدِ بنِ السائبِ الكلبىُّ، ثنا عَوانةُ بنُ الحكمِ الكلبىُّ، قال: دخَل أنسُ ابنُ مالكٍ على الحجَّاجِ بنِ يوسفَ، فلمَّا وقَف بينَ يدَيه [6]سلَّم عليه[6] فقال له: إيهِ إيهِ يا أُنَيْسُ، يومٌ لك مع علىٍّ، ويومٌ لك مع ابنِ الزبيرِ، ويومٌ لك مع ابنِ الأشعثِ، واللَّهِ لأستأصِلَنَّك كما تُستأصلُ الشأفةُ[7]، ولأدمَغنَّك كما تُدمَغُ الصمغةُ. فقال أنسٌ: إيَّاىَ يعنى الأميرُ أصلَحه اللَّهُ؟ قال: إياك[8]، سكَّ اللَّهُ سمعَك. قال أنسٌ: إنّا للَّهِ وإنّا إليه راجعون، واللَّهِ لولا الصبيةُ الصغارُ ما باليتُ

---

(١) انظر تاريخ دمشق ١٢/١١٦، ١٨٢، ١٩٢.

(٢) فى ا ٢، م: «سائرها».

(٣) بعده فى م، ص زيادة من زيادات الناسخ.

(٤) فى الأصل، م، ص: «طرار»، وفى ا ٢، وتاريخ بغداد ١٣/ ٢٣٠: «طراز». والمثبت من وفيات الأعيان ٥/ ٢٢١، وانظر سير أعلام النبلاء ١٦/ ٥٤٤، وطبقات الفقهاء ٩٣.

والأثر أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ١٢/١٧١ - ١٧٣، وابن العديم فى بغية الطلب ٥/٢٢ - ٢٥.

(٥) فى ا ٢، م، ص: «أبو». وانظر سير أعلام النبلاء ١٠/ ١٠١.

(٦ - ٦) سقط من: م.

(٧) فى م: «الشاة». والشأفة بالهمز وغير الهمز: قرحة تخرج فى أسفل القدم فتقطع أو تكوى فتذهب، النهاية ٢/ ٤٣٦.

(٨) بعده فى ا ٢، م، ص: «أعنى».

أيَّ قِتلةٍ قُتِلتُ ، ولا أيَّ مِيتةٍ مِتُّ . ثم خرَج مِن عندِ الحجاجِ ، فكتَب إلى عبدِ الملكِ بنِ مروانَ يخبِرُه بما قال له الحجّاجُ ، فلمَّا قرأ عبدُ الملكِ كتابَ أنسٍ استَشاط غضبًا ، وصفَّق[1] عجبًا ، وتعاظَم ذلك مِن الحجاجِ ، وكان كتابُ أنسٍ إلى عبدِ الملكِ بنِ مروانَ :

بسمِ اللَّهِ الرحمنِ الرحيمِ ، إلى عبدِ الملكِ بنِ مروانَ أميرِ المؤمنين مِن أنسِ بنِ مالكٍ ، أما بعدُ ؛ فإنَّ الحجاجَ قال لى هُجْرًا[2] ، وأسمَعنى نُكرًا ، ولم أكنْ لذلك أهلًا ، فخُذْ لى على يديه ، فإنِّى أمُتُّ بخِدمتى رسولَ اللَّهِ ﷺ ، وصحبتى إياه ، والسلامُ عليك ورحمةُ اللَّهِ وبركاتُه . فبعَث عبدُ الملكِ إلى[3] إسماعيلَ بنِ عُبيدِ اللَّهِ بنِ أبى المهاجرِ - وكان مُصادقًا للحجاجِ - فقال له : دونَك كتابيَّ هذين فخُذْهما ، واركبِ البريدَ إلى العراقِ ، وابدأْ بأنسِ بنِ مالكٍ صاحبِ رسولِ اللَّهِ ﷺ ، فادفعْ كتابى إليه وأبلِغْه منى السلامَ ، وقلْ له : يا أبا حمزةَ ، قد كتبتُ إلى الحجاجِ الملعونِ كتابًا ، إذا قرأَه كان أطوعَ لك مِن أمَتِك . وكان كتابُ عبدِ الملكِ إلى أنسِ بنِ مالكٍ :

بسمِ اللَّهِ الرحمنِ الرحيمِ ، مِن عبدِ الملكِ بنِ مروانَ إلى أنسِ بنِ مالكٍ خادمِ رسـولِ اللَّهِ ﷺ ، أما بعدُ ؛ فقد قرأْتُ كتابَك وفهمتُ ما ذكرتَ من شكايتِك الحجاجَ ، وما سلطتُه عليك ولا أمرتُه بالإساءةِ إليك ، فإن عادَ لمثلِها فاكتبْ إليَّ بذلك ، أُنزلْ به عقوبتى ، وتَحْسُنْ لك معونتى ، والسلامُ . فلما قرأَ أنسٌ كتابَه وأُخبِر برسالتِه قال : جزَى اللَّهُ أميرَ المؤمنين عنِّى خيرًا ، وعافاه وكفاه وكافأَه بالجنةِ ، فهذا كان ظنِّى به والرجاءَ منه . فقال إسماعيلُ بنُ عُبيدِ اللَّهِ لأنسٍ :

---

(١) فى الأصل : « شقق » ، وفى ١ ، ٢ ، ص : « شقق » . كذا ، وفى م : « شفق » . والمثبت من تاريخ دمشق .
(٢) يعنى : فحشا .
(٣) سقط من : النسخ . والمثبت من تاريخ دمشق .

يا أبا حمزةَ ، إنَّ الحجاجَ عاملُ أميرِ المؤمنين ، وليس بك عنه غنًى ولا بأهلِ بيتِك ، ولو جعِل لك فى جامعةٍ ثم دفِع إليك (١لقدَر أن يضرَّ وينفعَ١) ، فقارِبْه [١٤١/٧و] ودارِه تَعِشْ معه بخيرٍ وسلامٍ . فقال أنسٌ : أفعلُ إن شاءَ اللَّهُ . ثم خرَج إسماعيلُ مِن عندِه فدخَل على الحجاجِ ، (١فلما رآه الحجاجُ قال١) : مرحبًا برجلٍ أُحِبُّه وكنتُ أُحِبُّ لقاءَه . فقال إسماعيلُ : أنا واللَّهِ كنتُ أُحِبُّ لقاءَك فى غيرِ ما أتيتُك به (٢فتغيَّرَ لونُ الحجاجِ ، و٢) قال : ما أتَيتنى به ؟ قال : فارقتُ أميرَ المؤمنين وهو أشدُّ الناسِ عليك غضبًا ، ومنك بعدًا . قال : فاستوى الحجاجُ جالسًا مرعوبًا ، فرمى إليه إسماعيلُ بالطومارِ[٣] ، فجعَل الحجاجُ ينظرُ فيه مرةً ويعرَقُ ، وينظرُ إلى إسماعيلَ أخرى ، فلما نقَضه[٤] قال : قمْ بنا إلى أبى حمزةَ نعتذِرُ إليه ونترضَّاه . فقال له إسماعيلُ : لا تَعْجَلْ . فقال : كيف لا أعجلُ وقد أتيتنى بآبدةٍ[٥] .

وكان فى الطومارِ : (٦إلى الحجاجِ بنِ يوسفَ٦) : بسمِ اللَّهِ الرحمنِ الرحيمِ ، مِن عبدِ الملكِ بنِ مروانَ أميرِ المؤمنين إلى الحجاجِ بنِ يوسفَ ، أما بعدُ : فإنَّك عبدٌ طَمَتْ[٧] بك الأمورُ فسموتَ فيها ، وعدوتَ طورَك ، وجاوزتَ قدرَك ، وركِبتَ داهيةً إدًّا ، وأردتَ أن تَبُورَنى[٨] فإن سوَّغْتُكها مضيتَ قُدُمًا ، وإن لم أُسَوِّغْها

(١ - ١) سقط من : م .

(٢ - ٢) زيادة من : ا ٢، م ، ص .

(٣) الطومار ، والطامور الصحيفة .

(٤) فى م : « فضه » .

(٥) الآبدة : الأمر العظيم ينفر منه ويستوحش . النهاية ١/ ١٣.

(٦ - ٦) سقط من : م .

(٧) طمَت : ارتفعت وسمت .

(٨) فى الأصل ، ا ٢ : « نتورى » ، وفى م : « تبدو لى » ، وفى ابن عساكر : « تبرز بى » . والمثبت من بغية الطلب ٥/ ٢٤. وتبورنى : تختبرنى . تاج العروس (ب و ر) .

رجَعتَ القَهْقَرَى ، فلعَنك اللَّهُ عبدًا[1] أخفشَ العينين ، منقوصَ الجاعرتين[2] ، أنسيتَ مكاسبَ آبائِك بالطائفِ ، وحفرَهم الآبارَ ، ونقلَهم الصخورَ على ظهورِهم فى المناهِلِ ؟ يا ابنَ المستَفْرِمَةِ[3] بعجمِ الزبيبِ ، واللَّهِ لأغمِزَنَّك غَمزَ الليثِ الثعلبَ ، والصقرِ الأرنبَ ، وثَبْتَ على رجُلٍ مِنْ أصحابِ رسولِ اللَّهِ ﷺ بينَ أظهرِنا ، فلم تقبلْ له إحسانَه ، ولم تجاوَزْ له[4] إساءَتَه ، جُرْأَةً منك على الربِّ عزَّ وجلَّ ، واستخفافًا منك بالعهدِ ، واللَّهِ لو أنَّ اليهودَ والنصارى رأتْ رجلًا خدَم عُزيرَ بنَ عَزْرَا[5] ، وعيسى ابنَ مريمَ ، لعظَّمتْه وشرَّفتْه وأكرمتْه[6] ، فكيف وهذا أنسُ بنُ مالكٍ خادمُ رسولِ اللَّهِ ﷺ ثمانىَ سنينَ ، يطلعُه على سرِّه ، ويشاورُه فى أمرِه ، ثم هو مع هذا بقيةٌ من بقايا أصحابِه ، فإذا قرأتَ كتابى هذا فكنْ أطوعَ له من خُفِّه ونعلِه ، وإلّا أتاك منى سهمٌ مثكِلٌ[7] بحتفٍ قاضٍ ، ولكلِّ نبأٍ مُستقَرٌّ وسوف تعلمون .

وقد تكلَّم ابنُ طَرَارا[8] على ما وقَع فى هذا الكتابِ من الغريبِ[9] ، وكذلك ابنُ قتيبةَ[10] وغيرُهما مِن أئمةِ اللغةِ . واللَّهُ أعلمُ .

---

(١) فى م : « من عبد » .

(٢) الجاعرتان : حرفا الوركين المشرفين على الفخذين . التاج (ج ع ر) .

(٣) فى الأصل ، ا ٢ ، ص : « المستفربة » وفى م : « المستفرية » . والمثبت من تاريخ دمشق .

(٤) بعده فى م : « عن » .

(٥) فى تاريخ دمشق ، وبغية الطلب : « عزرة » .

(٦) بعده فى ا ٢ ، م ، ص : « وأحبته ، بل لو رأوا من خدم حمار العزير أو من خدم حوارى المسيح لعظموه وأكرموه » . والمثبت موافق لما فى مصدرى التخريج .

(٧) فى الأصل ، م : « ثكل » ، وفى ا ٢ : « نكل » ، وفى ص : « فكل » . والمثبت من مصدرى التخريج .

(٨) فى النسخ : « طرار » .

(٩) تاريخ دمشق ١٢/ ١٧٤ ، بغية الطلب ٥/ ٢٥ .

(١٠) انظر غريب الحديث ٣/ ٧٠٩ ، ٧١١ ، ٧١٢ .

وقال الإمامُ أحمدُ[1] : ثنا عبدُ الرحمنِ بنُ مهديٍّ ، عن سفيانَ ، عن الزبيرِ - يعنى ابنَ عديٍّ - قال : شكَوْنا إلى أنسِ بنِ مالكٍ ما نلقَى مِن الحجاجِ ، فقال : [١٤١/٧ظ] اصبِروا ؛ فإنَّه لا يأتى عليكم عامٌ أو يومٌ إلَّا الذى بعدَه شرٌّ منه ، حتى تلقَوْا ربَّكم عزَّ وجلَّ ، سمعتُه مِن نبيِّكم ﷺ . وهذا رواه البخاريُّ[2] ، عن محمدِ بنِ يوسفَ ، عن سفيانَ - وهو الثوريُّ - عن الزبيرِ بن عديٍّ ، عن أنسٍ ، قال : « لا يأتى عليكم زمانٌ إلا والذى بعدَه شرٌّ منه » الحديث . قلتُ : ومِن الناسِ مَن يروِى هذا الحديثَ بالمعنى فيقولُ : كلُّ عامٍ ترذُلون[3] . وهذا اللفظُ لا أصلَ له ، وإنما هو مأخوذٌ مِن معنى هذا الحديثِ ، واللَّهُ أعلمُ[4] .

وقد قال سفيانُ الثوريُّ[5] : عن إسماعيلَ بنِ أبى خالدٍ ، عن الشعبىِّ ، قال : يأتى على الناسِ زمانٌ يصلُّون فيه على الحَجّاجِ . وقال أبو نعيمٍ[6] ، عن يونُسَ بنِ أبى إسحاقَ ، عن أبى السَّفْرِ ، قال : قال الشعبىُّ : واللَّهِ لئن بقِيتم لتمنَّوُنَّ الحجاجَ . وقال الأصمعىُّ[7] : قيل للحسنِ : إنَّك تقولُ : الآخِرُ شرٌّ مِن الأولِ . وهذا عمرُ بنُ عبدِ العزيزِ بعدَ الحجاجِ . فقال الحسنُ : لابدَّ للناسِ من تنفيساتٍ .

وقال ميمونُ بنُ مِهرانَ[8] : بعَث الحجاجُ إلى الحسنِ وقد همَّ به ، فلمَّا قامَ بين يديه ، قال : يا حجاجُ ، كم بينَك وبين آدمَ مِن أبٍ ؟ قال : كثيرٌ . قال : فأين

---

(١) المسند ٣/ ١٣٢، ١٧٧.

(٢) صحيح البخارى (٧٠٦٨).

(٣) انظر تمييز الطيب من الخبيث ١٥٠، وكشف الخفاء ومزيل الإلباس ٢/ ١٢٢ - ١٢٣.

(٤) بعده فى م، ص: زيادة من زيادات الناسخ.

(٥) أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ١٢/ ١٧٥ ، من طريق سفيان الثورى به.

(٦) أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ١٢/ ١٧٤ ، من طريق أبى نعيم به.

(٧) أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ١٢/ ١٧٥ ، من طريق الأصمعى.

(٨) أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ١٢/ ١٧٥.

هم؟ قال: ماتوا. قال: فنكَّس الحجاجُ رأسَه وخرَج الحسنُ. وقال أيوبُ السَّختيانيُّ[1]: إنَّ الحجاجَ أراد قتْلَ الحسنِ مرارًا، فعصَمه اللَّهُ منه. وقد ذكَر له معه مناظراتٍ، على أنَّ الحسنَ لم يكنْ ممن يرَى الخروجَ عليه، وكان ينهَى أصحابَ ابنِ الأشعثِ عن ذلك، وإنَّما خرَج معهم مكرَهًا، كما قدَّمنا، وكان الحسنُ يقولُ[2]: إنَّما هو نقمةٌ فلا تقابِلوا نقمةَ اللَّهِ بالسيفِ، وعليكم بالصبرِ والسكينةِ والتضرعِ. وقال ابنُ دريدٍ[3]، عن الحسنِ بنِ الخضرِ، عن ابنِ عائشةَ، قال: أُتِيَ الوليدُ بنُ عبدِ الملكِ برجلٍ مِن الخوارجِ، فقيل له: ما تقولُ فى أبى بكرٍ وعمرَ؟ فأثنَى خيرًا، قال: فعثمان؟ فأثنَى خيرًا[4]، حتى قيل له: فما تقولُ فى عبدِ الملكِ بنِ مروانَ؟ فقال: الآنَ جاءتِ المسألةُ، ما أقولُ فى رجلٍ الحجاجُ خطيئةٌ مِن خطاياه؟

وقال الأصمعىُّ[5]، عن علىِّ بنِ مسلمٍ[6] الباهلىِّ، قال: أُتِىَ الحجاجُ بامرأةٍ مِن الخوارجِ، فجعَل يكلِّمُها وهى لا تنظرُ إليه ولا تردُّ عليه كلامًا، فقال لها بعضُ الشُّرَطِ: يكلمُك الأميرُ وأنت معرِضةٌ عنه؟ فقالتْ: إنِّى [١٤٢/٧و] لأستحى مِن اللَّهِ أنْ أنظرَ إلى مَن لا ينظرُ اللَّهُ إليه. فأمَر بها فقُتِلتْ. وقد ذكَرنا فى سنةِ أربعٍ وتسعين كيفيةَ مقتلِ الحجاجِ لسعيدِ بنِ جبيرٍ، وما دارَ بينهما مِن الكلامِ والمراجعةِ.

---

(١) تاريخ دمشق ١٧٥/١٢، بنحوه.

(٢) أخرج نحوه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ١٧٧/١٢، ١٧٨، عن الحسن.

(٣) أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ١٧٩/١٢ - ١٨٠، من طريق ابن دريد به.

(٤) بعده فى ا ٢، م، ص: «قيل له فما تقول فى على فأثنى خيرا فذكر له الخلفاء واحدا بعد واحد، فيثنى على كل بما يناسبه».

(٥) أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ١٨٠/١٢، من طريق الأصمعى به.

(٦) فى تاريخ دمشق ١٢/ ١٨٠، وفى ٢٤٧/٤ (مخطوط): «سالم». وانظر مختصر تاريخ دمشق ٦/ ٢٢٤.

وقد قال أبو بكرِ بنُ أبى خيثمةَ[1] : ثنا أبو ظَفَرٍ ، ثنا جعفرُ بنُ سليمانَ ، عن بِسطامَ ابنِ مسلمٍ ، عن قتادةَ ، قال : قيل لسعيدِ بنِ جُبَيْرٍ : خرجتَ على الحجاجِ ؟ قال : إنِّى واللَّهِ ما خرجتُ عليه حتى كفَر . ويقال : إنَّه لم يَقْتُلْ بعدَه إلّا رجلًا واحدًا اسمُه ماهانُ ، وكان قد قتَل قبلَه خلقًا كثيرًا ، أكثرُهم ممن خرَج مع ابنِ الأشعثِ .

وقال أبو عيسى الترمذىُّ[2] : ثنا أبو داودَ سليمانُ بنُ سَلْمٍ[3] البَلْخِىُّ ، ثنا النضرُ بنُ شُمَيْلٍ ، عن هشامِ بنِ حسانَ ، قال : أَحْصَوْا ما قتَل الحجاجُ صبرًا فبلَغ مائةَ ألفٍ وعشرين ألفًا . قال الأصمعىُّ[4] : ثنا أبو عاصمٍ ، عن عبَّادِ بنِ كثيرٍ ، عن قَحْـذَمٍ ، قال : أطلَق سليمانُ بنُ عبدِ الملكِ فى غداةٍ واحِدَةٍ أحدًا وثمانين ألفَ أسيرٍ[5] ، وعرِضتِ السجونُ بعدَ الحجاجِ فوجَدوا فيها ثلاثةً وثلاثين ألفًا ، لم يجبْ على أحدٍ منهم قطعٌ ولا صلبٌ ، وكان فى مَن حُبِس أعرابىٌّ وُجِد يبولُ فى أصلِ رَبَضِ مدينةِ واسطٍ ، وكان فى مَن أُطلِق فأنشأَ يقولُ :

إذا نحن جاوَزْنا مدينةَ واسطٍ خَرِيْنَا وصلَّيْنا بغيرِ حسابِ

وقد كان الحجاجُ مع هذا العنفِ الشديدِ لا يستخرجُ مِن خراجِ العراقِ كبيرَ أمرٍ . قال ابنُ أبى الدنيا وإبراهيمُ الحربىُّ[6] : ثنا سليمانُ بنُ أبى شيـخٍ[7] ، ثنا

---

(١) أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ١٢/ ١٨٣، من طريق أبى بكر بن أبى خيثمة به .

(٢) أخرجه الترمذى فى سننه ، عقب الحديث (٢٢٢٠) . صحيح الإسناد مقطوع (صحيح سنن الترمذى ١٨٠٨/ ٢٣٣٣).

(٣) فى ا ٢، م، ص: «مسلم» ، وفى تاريخ دمشق: «سليم» . والمثبت كما فى بغية الطلب ، وانظر تهذيب الكمال ١١/ ٤٣٨، ٤٣٩، ٢٩/ ٣٧٩.

(٤) أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ١٢/ ١٨٤، من طريق الأصمعى به .

(٥) بعده فى ا ٢، ص: «كانوا فى سجن الحجاج ، وقيل إنه مات فى سجنه ثمانون ألفًا منهم ثلاثون ألف امرأة» ، وفى م نفس السياق وفيها: «لبث» بدلا من «مات» .

(٦) أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ١٢/١٨٥ - ١٨٦، من طريق ابن أبى الدنيا وإبراهيم الحربى به .

(٧) فى م : «سنح» .

صالحُ بنُ سليمانَ، قال: قال عمرُ بنُ عبدِ العزيزِ: لو تخابثَتِ الأمَمُ[1] وجئنَا بالحجاجِ لغلَبناهم، وما كان يصلحُ لدنيا ولا لآخرةٍ، لقد ولِى العراقَ وهو أوفرُ ما يكونُ فى العمارةِ، فأخسَّ به حتى[2] صيَّره إلى أربعينَ ألفَ ألفٍ، ولقد أُدِّىَ إلىَّ[3] فى عامى هذا ثمانون ألفَ ألفٍ، وإن بقيتُ إلى قابلٍ رجوتُ أنْ يؤدَّى إلىَّ ما أُدِّىَ إلى عمرَ بنِ الخطابِ مائةُ ألفِ ألفٍ وعشرةُ آلافِ ألفٍ.

وقال أبو بكرِ بنُ المقرئِ[4]: ثنا أبو عَروبةَ، ثنا عمرُو بنُ عثمانَ، ثنا أبى، سمِعتُ جدِّى قال: كتَب عمرُ بنُ عبدِ العزيزِ إلى عدىِّ بنِ أرطاةَ: بلَغنى أنَّك تستَنُّ بسَنَنِ الحجاجِ فلا تستَنَّ بسَنَنِه، فإنَّه كان يصلِّى الصلاةَ لغيرِ وقتِها، ويأخذُ الزكاةَ مِن غيرِ حقِّها، وكان لِما سوى ذلك أضيعَ.

وقال يعقوبُ بنُ سفيانَ[5]: ثنا سعيدُ بنُ أسدٍ، ثنا ضَمرةُ، عن الرَّيَّانِ بنِ مسلمٍ، [١٤٢/٧ظ] قال: بعَث عمرُ بنُ عبدِ العزيزِ بآلِ أبى عقيلٍ - أهلِ بيتِ الحجاجِ - إلى صاحبِ اليمنِ، وكتَب إليه: أمَّا بعدُ، فإنِّى قد بعثتُ بآلِ أبى عقيلٍ، وهم شرُّ بيتٍ فى العربِ[6]، ففرِّقْهم فى العملِ على قدرِ هوانِهم على اللَّهِ وعلينا، وعليك السلامُ. وإنَّما نفاهم.

وقال الأوزاعىُّ[7]: سمِعت القاسمَ بنَ مُخَيْمِرَةَ يقولُ: كان الحجاجُ ينقُضُ

---

(١) بعده فى ا ٢، م، ص: «فجاءت كل أمة بخبيثها».
(٢) فى م: «إلى أن».
(٣) بعده فى ا ٢، م، ص: «عمالى».
(٤) أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ١٨٦/١٢ - ١٨٧، من طريق أبى بكر بن المقرئ به.
(٥) المعرفة والتاريخ ١١٨/١.
(٦) فى م: «العمل».
(٧) أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ١٢/ ١٨٧، من طريق الأوزاعى.

عُرَى الإسلامِ . وذكَر حكايةً . وقال أبو بكرِ بنُ عياشٍ [1] ، عن عاصمٍ : لم يَبْقَ للَّهِ حرمةٌ إلا ارتكبَها الحجاجُ بنُ يوسفَ . وقال يحيى بنُ عيسى الرمليُّ [2] ، عن الأعمشِ : اختلَفوا فى الحجاجِ ، فسألوا مجاهدًا ، فقال : تسألونى عن الشيخِ الكافرِ ؟

وروَى ابنُ عساكرَ [3] ، عن الشعبيِّ أنَّه قال : الحجاجُ مؤمنٌ بالجبتِ والطاغوتِ ، كافرٌ باللَّهِ العظيمِ . كذا قال واللَّهُ أعلمُ . وقال الثوريُّ [4] ، عن معمرٍ ، عن ابنِ طاوسٍ ، عن أبيه ، قال : عجبًا لإخوانِنا من أهلِ العراقِ ؛ يُسمُّون الحجاجَ مؤمنًا ! وقال [5] الثوريُّ [6] ، عن ابنِ عونٍ [7][5] : سمِعتُ أبا وائلٍ يُسألُ عن الحجاجِ : أتشهدُ أنَّه مِن أهلِ النارِ ؟ قال : أتأمُرونى أنْ أشهدَ على اللَّهِ العظيمِ . وقال الثوريُّ [8] ، عن منصورٍ ، سألْتُ إبراهيمَ عن لعنِ [9] الحجاجِ أو بعضِ الجبابرةِ ، فقال : أليس اللَّهُ يقولُ : ﴿ أَلَا لَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴾ [هود : ١٨] ؟ وبه [10] ؛ قال إبراهيم : وكفَى بالرجلِ عمًى أن يعمَى عن أمرِ الحجاجِ . وقال سلامُ ابنُ أبى مُطيعٍ [11] : لأنا للحجاجِ أرجَى منى لعمرِو بنِ عبيدٍ ؛ لأنَّ الحجاجَ قتَل

---

(١) أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ١٢/ ١٨٨، من طريق أبى بكر بن عياش به بنحوه .

(٢) سقط آخر السند من تاريخ دمشق ١٢/ ١٨٧، ومن المخطوط ٤/ ٢٥٠. وانظر مختصر ابن منظور ٦/ ٢٢٨ .

(٣) تاريخ دمشق ١٢/ ١٨٧.

(٤) أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ١٢/ ١٨٨، من طريق الثورى به .

(٥ - ٥) فى تاريخ دمشق : « سفيان بن عون » . وانظر تهذيب الكمال ١١/ ١٥٨ .

(٦) أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ١٢/ ١٨٨ ، من طريق الثورى عن ابن عون به .

(٧) فى م : « عوف » . وانظر تهذيب الكمال ١٥/ ٣٩٤.

(٨) أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ١٢/ ١٨٨ ، من طريق سفيان به .

(٩) سقط من : م .

(١٠) تاريخ دمشق ١٢/ ١٨٩.

(١١) أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ١٢/ ١٨٩، ١٩٠.

الناسَ على الدنيا ، وعمرُو بنُ عُبَيْدٍ أحدَثَ للناسِ بدعةً[1] ، فقتَل الناسُ بعضُهم بعضًا . وقال الزِّبْرِقانُ[2] : سَبَبْتُ الحجاجَ يومًا عندَ أبى وائلٍ ، فقال : لا تسبَّه لعلَّه قال يومًا : اللهم ارحمْنى . فيرحمَه[3] ، إياك ومجالسةَ مَنْ يقولُ : أرأيتَ أرأيتَ . وقال عوفٌ[4] : ذُكِر الحجاجُ عندَ محمدِ بنِ سيرينَ ، فقال : مسكينٌ أبو محمدٍ ؛ إنْ يعذِّبْه اللَّهُ عَزَّ وجلَّ فبذنبِه ، وإنْ يغفرْ له فهنيئًا له ، وإن يلقَ اللَّهَ بقلبٍ سليمٍ ، فقد[5] أصاب الذنوبَ مَن هو خيرٌ منه . فقِيل له : ما القلبُ السليمُ ؟ قال : أن تعلمَ[6] أنَّ اللَّهَ حقٌّ ، وأنَّ الساعةَ حقٌّ قائمةٌ ، وأنَّ اللَّهَ يبعثُ مَن فى القبورِ .

وقال أبو القاسمِ البغوىُّ[7] : ثنا أبو سعيدٍ ، ثنا أبو أسامةَ ، قال : قال رجلٌ لسفيانَ الثورىِّ : اشهَدْ[8] على الحجاجِ وعلى أبى مسلمٍ[9] أنَّهما فى النارِ . قال : لا ، إذا أقرَّا بالتوحيدِ . وقال الرِّيَاشىُّ[10] : حدَّثنا عبَّاسٌ[11] الأزرقُ ، عن السَّرِىِّ بنِ يحيى ، قال : مرَّ الحجاجُ فى يومِ جُمُعةٍ فسمِع استغاثةً ، فقال : ما هذا ؟ فقيل له : [٧/١٤٣و] أهلُ السجونِ يقولون : قتَلَنا الحرُّ . فقال : قولوا لهم : اخسئوا فيها

---

(١) بعده فى ا ٢، م، ص: «شنعاء».
(٢) فى م: «الزبير». وقد أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ١٢/ ١٩٠.
(٣) فى تاريخ دمشق: «فرحمه».
(٤) أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ١٢/ ١٩٠.
(٥) فى ا ٢، ص: «فهو خير لنا فقد»، وفى م: «فهو خير منا وقد».
(٦) فى م: «يعلم اللَّه تعالى منه الحياء والإيمان وأن يعلم».
(٧) أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ١٢/ ١٩٠، من طريق أبى القاسم البغوى به.
(٨) فى م: «أتشهد».
(٩) بعده فى ا ٢، م، ص: «الخراسانى».
(١٠) أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ١٢/ ١٩٢، من طريق الرياشى به.
(١١) فى الأصل، تاريخ دمشق: «عياش». وانظر بغية الطلب ٥/ ٣١، وتهذيب الكمال ١٠/ ٢٣٣.

ولا تكلّمون . قال : فما عاشَ بعدَ ذلك إلا أقلَّ مِن جُمُعَةٍ[(١)] . وقال بعضُهم : رأيتُه وهو يأتى الجُمُعةَ وقد كاد يهلِكُ مِن العلةِ . وقال الأصمعىُّ[(٢)] : لما مرِض الحجاجُ أرجَفَ الناسُ بموتِه ، فقال فى خطبتِه : إنَّ طائفةً مِن أهلِ الشقاقِ والنفاقِ نزَغ الشيطانُ بينهم ، فقالوا : مات الحجاجُ ، ومات الحجاجُ . فمَهْ ، وهل يرجو الحجاجُ الخيرَ إلَّا بعدَ الموتِ ؟ واللّهِ ما يسُرُّنى أنْ لا أموتَ وأنَّ لى الدنيا وما فيها ، وما رأيتُ اللّهَ رضِى التخليدَ إلا لأهونِ خلقِه عليه إبليسَ ، قال اللّهُ له : ﴿ إِنَّكَ مِنَ ٱلْمُنظَرِينَ ﴾ [الأعراف : ١٥] . فأنظَره إلى يومِ الدينِ ، ولقد دعا اللّهَ العبدُ الصالحُ فقال : ﴿ وَهَبْ لِي مُلْكًا لَّا يَنۢبَغِي لِأَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِيٓ ﴾ [ص: ٣٥] . فأعطاه اللّهُ ذلك إلا البقاءَ[(٣)] ، فما عسى أنْ يكونَ أيُّها الرجلُ ، وكلُّكم ذلك الرجلُ ، كأنِّى واللّهِ بكلِّ حىٍّ منكم ميتًا ، وبكلِّ رطبٍ يابسًا ، ثم نُقِل فى ثيابِ أكفانِه إلى[(٤)] ثلاثةِ أذرعٍ طولًا فى ذراعٍ عرضًا ، فأكلتِ الأرضُ لحمَه ، ومصَّتْ صديدَه ، وانصَرف الحبيبُ[(٥)] من ولدِه يقسِمُ الحبيبَ[(٥)] من مالِه ، إن الذين يعقلون يعقلون ما أقولُ . ثم نزَل .

وقال إبراهيمُ بنُ هشامِ بنِ يحيى [(٦)] بنِ يحيى [(٦)] الغسانىُّ[(٧)] ، عن أبيه ، عن جدِّه ، عن عمرَ بنِ عبدِ العزيزِ أنَّه قال : ما حسَدتُ الحجاجَ عدوَّ اللّهِ على شىءٍ

---

(١) بعده فى ١ ٢، م، ص: «حتى قصمه اللّه قاصم كل جبار».

(٢) أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ١٩٣/١٢.

(٣) بعده فى ١ ٢، م، ص: «ولقد طلب العبد الصالح الموت بعد أن تم له أمره فقال توفنى مسلما وألحقنى بالصالحين».

(٤) سقط من: م.

(٥) فى م: «الخبيث».

(٦ - ٦) سقط من: م، ص. وانظر الأنساب ٢٩٦/٤.

(٧) أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ١٩٤/١٢ ، من طريق إبراهيم به.

حسدِى إياه على حبِّه القرآنَ وإعطائِه أهلَه[1] ، وقولِه حين حضَرتْه الوفاةُ : اللهمَّ اغفرْ لى فإنَّ الناسَ يزعُمون أنَّك لا تفعلُ . وقال أبو بكرِ بنُ أبى الدنيا[2] : حدَّثنا علىُّ بنُ[3] الجعدِ ، حدَّثنا عبدُ العزيزِ بنُ عبدِ اللَّهِ بنِ أبى سلمةَ الماجشونُ ، عن محمدِ بنِ المنكدرِ ، قال : كان عمرُ بنُ عبدِ العزيزِ يُبْغِض الحجاجَ ، فنفَسَ عليه بكلمةٍ قالها عندَ الموتِ : اللهمَّ اغفرْ لى ؛ فإنَّهم زعَموا[4] أنَّك لا تفعلُ . قال : وحدَّثنى بعضُ أهلِ العلمِ[5] ، قال : قيل للحسنِ : إنَّ الحجاجَ قال عندَ الموتِ كذا وكذا . قال : أقالها ؟ قالوا : نعم . قال[6] : عسى . وقال أبو العباسِ المبرِّدُ[7] ، عن الرِّيَاشىِّ ، عن الأصمعىِّ ، قال : لما حضَرَتِ الحجاجَ الوفاةُ أنشَأ يقولُ :

يارَبِّ قد حلَفَ الأعداءُ واجتهَدوا بأنَّنى رجلٌ مِن ساكنى النارِ
أيحلِفون على عمياءَ ويحَهمُ ما عِلْمُهم بعظيمِ العفوِ غفَّارِ

قال : فأُخبِرَ بذلك الحسنُ ، فقال : (8)تاللَّهِ إن نجا فبِهما(8) . وزاد بعضُهم فى ذلك :

[١٤٣/٧ظ] إنَّ الموالى إذا شابتْ عبيدُهمُ فى رِقِّهم عتَقوهم عِتقَ أبرارِ
وأنتَ يا خالِقى أولَى بذا كرمًا قد شِبتُ فى الرقِّ فاعتِقْنى مِن النارِ

---

(١) بعده فى ا ٢، م، ص : « عليه » .
(٢) أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ١٩٤/١٢، من طريق ابن أبى الدنيا به .
(٣) بعده فى ا ٢، ص : « أبى » ، وانظر سير أعلام النبلاء ١٠/ ٤٥٩.
(٤) فى ا ٢، م، ص : « يزعمون » .
(٥) تاريخ دمشق ١٢/ ١٩٤.
(٦) بعده فى م : « فما » .
(٧) فى م : « المرمى » . والأثر أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ١٢/ ١٩٤، ١٩٥ .
(٨ - ٨) فى ا ٢، م، ص : « باللَّه إن نجا لينجون بهما » .

وقال ابنُ أبي الدنيا[1] : ثنا أحمدُ بنُ عبدِ اللَّهِ التيميُّ ، قال : لما مات الحجاجُ لم يُعْلَمْ[2] بموتِه حتى أشرَفتْ جاريةٌ فبكتْ ، فقالت : ألا إنَّ مُطعِمَ الطعامِ[3] ومُفلِّقَ الهامِ ، وسيدَ أهلِ الشامِ قد مات ، ثم أنشأت تقولُ :

اليومَ يرحَمُنا مَن كان يغبِطُنا[4] والیومَ يأمنُنا مَن كان يخشانا

وروَى عبدُ الرزاقِ[5] ، عن معمرٍ ، عن ابنِ طاوسٍ ، عن أبيه أنَّه أُخْبِر بموتِ الحجاجِ مرارًا ، فلما تحقَّق وفاتَه قال : ﴿ فَقُطِعَ دَابِرُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ [الأنعام : ٤٥] . وروَى غيرُ واحدٍ[6] أنَّ الحسنَ لمَّا بُشِّرَ بموتِ الحجاجِ سجَد شكرًا للَّهِ تعالى ، وكان مختفِيًا فظهَر ، وقال : اللهمَّ أَمَتَّه فأذهِبْ عنا سُنَّتَه . وقال حمادُ بنُ أبي سليمانَ[7] : لما أخبَرتُ إبراهيمَ النخعيَّ بموتِ الحجاجِ بكَى مِن الفرحِ . وقال أبو بكرِ بنُ أبي خيثمةَ : ثنا سليمانُ بنُ أبي شيخٍ ، ثنا صالحُ بنُ سليمانَ ، قال : قال زيادُ بنُ الربيعِ الحارثيُّ[8] لأهلِ السجنِ : يموتُ الحجاجُ في مرضِه هذا في ليلةِ كذا وكذا . فلما كانت تلك الليلةُ لم ينمْ أهلُ السجنِ فرحًا ، جلَسُوا ينتظرون حتى سمِعوا الواعيةَ[9] ، وذلك ليلةَ سبعٍ وعشرين مِن شهرِ رمضانَ ، وقيل : كان ذلك لخمسٍ بقِين مِن رمضانَ . وقيل : في شوالٍ مِن هذه

---

(١) أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ١٢/١٩٥ ، من طريق ابن أبى الدنيا .
(٢) بعده فى م : « أحد » .
(٣) بعده فى ١ ٢، م ، ص : « وميتم الأيتام ومرمل النساء » .
(٤) فى م ، ص : « يبغضنا » .
(٥) أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ١٢/١٩٥ ، من طريق عبد الرزاق به .
(٦) انظر تاريخ دمشق ١٢/ ١٩٥، ١٩٦.
(٧) أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ١٢/١٩٧.
(٨) فى م : « ابن الحارث » .
(٩) فى م : « الناعية » ، والواعية : الصارخة . اللسان (و ع ى) .

السنةِ . وكان عمرُه إذ ذاك خمسًا وخمسين سنةً ؛ لأنَّ مولدَه كان عامَ الجماعةِ سنةَ أربعين ، وقيل : بعدَها بسنةٍ . وقيل : قبلَها بسنةٍ . فاللَّهُ أعلمُ .

مات بواسطٍ وعُفى قبرُه ، وأُجْرِى عليه الماءُ لكيلا يُنبَشَ ويُحرقَ ، واللَّهُ أعلمُ .

وقال الأصمعيُّ[(١)] : ما كان أعجبَ الحجاجَ ، ما ترَك إلَّا ثلاثَمائةِ درهمٍ . وقال الواقديُّ[(٢)] : ثنا عبدُ اللَّهِ بنُ محمدِ بنِ عبيدٍ ، حدَّثنى عبدُ الرحمنِ بنُ [(٣)]عبدِ اللَّهِ بنِ قُريبٍ[(٣)] ، ثنا عمِّى قال : زعَموا أنَّ الحجاجَ مات ولم يترك إلَّا ثلاثَمائةِ دِرْهمٍ ومُصْحفًا وسيفًا وسَرْجًا ورحلًا ومائةَ درعٍ موقوفةً . وقال شهابُ بنُ خِراشٍ : حدثنى عمِّى يزيدُ بنُ حوشبٍ قال : بعَث إلىَّ أبو جعفرٍ المنصورُ فقال : حدِّثْنى بوصيةِ الحجاجِ بنِ يوسفَ . فقلتُ[(٤)] : اعفنى يا أميرَ المؤمنين . فقال : حدِّثنى بها . فقلتُ : بسمِ اللَّهِ الرحمنِ الرحيمِ ، هذا ما أوصَى [١٤٤/٧و] به الحجاجُ بنُ يوسفَ ، أنه يشهدُ أن لا إلهَ إلَّا اللَّهُ وحدَه لا شريكَ له ، وأنَّ محمدًا عبدُه ورسولُه ، وأنه لا يعرِفُ إلَّا طاعةَ الوليدِ بنِ عبدِ الملكِ ، عليها يحيا ، وعليها يموتُ ، وعليها يُبْعَثُ ، وأوصى بتسعِمائةِ درعِ حديدٍ ؛ ستُّمائةٍ منها لمنافِقِى أهلِ العراقِ يغزون بها ، وثلاثِمائةٍ للتُّركِ . قال : فرفَع أبو جعفرٍ رأسَه إلى أبى العباسِ الطوسىِّ - وكان قائمًا على رأسِه - فقال : هذه واللَّهِ الشيعةُ لا شيعتُكم .

وقال الأصمعيُّ عن أبيه قال[(٥)] : رأيتُ الحجاجَ فى المنامِ فقلتُ : ما فعَل اللَّهُ بك ؟ فقال : قتَلنى بكلِّ قتلةٍ قتلتُ بها إنسانًا ، قال : ثم رأيتُه بعدَ الحولِ فقلتُ :

---

(١) تاريخ دمشق ١٢/ ١٩٢.

(٢) أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ١٢/ ١٩٢، من طريق أحمد بن محمد بن عمر . وليس عن أبيه .

(٣ - ٣) فى ١ ٢، م: «عبيد اللَّه بن فرن» ، وفى ص : «عبيد بن مرى» . وهو ابن أخى الأصمعى .

(٤) فى م: «فقال» .

(٥) أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ١٢/ ٢٠١، من طريق الأصمعى به .

يا أبا محمدٍ ما صنَع اللَّهُ بك؟ فقال: يا ماصَّ بَظْرِ أُمِّه أما سألتَ عن هذا عامَ أوّلَ؟ وقال القاضى أبو يوسفَ[1]: كنتُ عندَ الرشيدِ فدخَل عليه رجلٌ فقال: يا أميرَ المؤمنين رأيتُ الحجاجَ البارحةَ فى النومِ، قال: فى أىِّ زِىٍّ رأيتَه؟ قال: فى زِىٍّ قبيحٍ. فقلتُ له: ما فعَل اللَّهُ بك؟ فقال: ما أنت وذاك يا ماصَّ بَظْرِ أُمِّه؟ فقال هارونُ: صدقتَ واللَّهِ، أنت رأيتَ الحجاجَ حقًّا، ما كان أبو محمدٍ لِيَدَعَ صرامتَه حيًّا وميتًا.

وقال حنبلُ بنُ إسحاقَ[2]: ثنا هارونُ بنُ معروفٍ، ثنا ضمرةُ، ثنا[3] ابنُ[4] شوذبٍ، عن أشعثَ الحُدّانىِّ[5]. قال: رأيتُ الحجاجَ فى المنامِ فى حالةٍ سيئةٍ فقلتُ: يا أبا محمدٍ ما صنَع بك ربُّك؟ قال: ما قتلتُ أحدًا قِتْلَةً إلّا قتَلنى بها. [6]فقلتُ: ثم مه[6]. قال: ثم أمَر بى إلى النارِ. قلتُ: ثم مهْ. قال: ثم أرجو ما يرجو أهلُ لا إلهَ إلّا اللَّهُ. قال: وكان ابنُ سيرينَ يقولُ: إنّى لأرجو له. فبلَغ ذلك الحسنَ فقال: أما واللَّهِ ليُخلِفنَّ اللَّهُ رجاءَه فيه.

وقال أحمدُ بنُ أبى الحوارىِّ[7]: سمعتُ أبا سليمانَ الدارانىَّ يقولُ: كان الحسنُ البصرىُّ[8] لا يجلسُ مجلسًا إلّا ذكَر فيه الحجاجَ فدعا عليه، قال: فرآه

---

(١) أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ١٢/ ٢٠١، من طريق أبى يوسف به.

(٢) أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ١٢/ ٢٠١، من طريق حنبل به.

(٣) سقط من: م. وانظر تهذيب الكمال ٣١٦/١٣، ٣١٩.

(٤) فى ص: «أبو»، وبعده فى م: «أبى». وانظر تهذيب الكمال ١٣/ ٣١٧.

(٥) فى الأصل: «الخراب»، وفى ١، ٢، م، ص: «الخراز». والمثبت من تاريخ دمشق. وانظر تهذيب الكمال ٢٧٢/٣.

(٦ - ٦) سقط من: م.

(٧) أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ١٢/ ٢٠٢، من طريق أحمد بن أبى الحوارى به.

(٨) زيادة من: م.

فى منامِه فقال له : أنتَ الحجاجُ ؟ قال : أنا الحجاجُ . قال : ما فعَل اللّٰهُ بك ؟ قال : قُتِلتُ بكلِّ قتيلٍ قتلتُه ثم عُزِلتُ مع الموحِّدين . قال : فأمسَكَ الحسنُ بعد ذلك عن شتمِه . واللّٰهُ أعلمُ[1] .

وممَّن تُوفِّى فى هذه السنةِ - أعنى سنةَ خمسٍ وتسعين - : **إبراهيمُ بنُ يزيدَ النَّخَعىُّ**[2] : [3]قال : كنّا إذا حضَرنا جِنازةً ، أو سمِعنا بميِّتٍ عُرِف ذلك فينا أيامًا ؛ لأنّا قد عرَفنا أنَّه نزَل به أمرٌ صيَّره إلى الجنّةِ ، أو إلى النارِ ، وإنّكم فى جَنائزِكم تتحدَّثون بأحاديثِ دنياكم . وقال : لا يَستقيمُ رأىٌ إلا بروايةٍ[4] ، ولا روايةٌ[5] إلا برأيٍ .

وقال : إذا رأيْتَ الرجلَ يتهاوَنُ بالتكبيرةِ الأولى فاغسِلْ يديْك مِن فَلاحِه .

وقال : إنِّى لأرى الشىءَ ممّا يُعابُ فما يمنعُنى مِن عَيبِه إلّا مخافةُ أنْ أُبتلَى به . وبكَى عند موتِه ، فقيل له : ما يُبكيك ؟ فقال : انتظارُ مَلَكِ الموتِ ، ما أدرى يبشِّرُنى بجنَّةٍ ، أو بنارٍ[3] .

الحسنُ بنُ محمدِ ابنِ الحنفيَّةِ[6] : كنيتُه أبو محمدٍ ، كان المقدَّمَ على إخوتِه [7]فى الفضلِ[7] ، وكان [8]أعلَمَ الناسِ[8] بالاختلافِ والفقهِ [7]والتفسيرِ ، وكان مِن[7]

---

(١) بعده فى م ، ص زيادة ولعلها من زيادات الناسخ .

(٢) ترجمته فى طبقات ابن سعد ٦/ ٢٧٠ ، والحلية ٤/ ٢١٩ ، ووفيات الأعيان ١/ ٢٥ ، وتهذيب الكمال ٢/ ٢٣٣ ، وسير أعلام النبلاء ٤/ ٥٢٠ ، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٨١ - ١٠٠) ص ٢٧٠ .

(٣ - ٣) زيادة من : م ، ص .

(٤) فى م : « بروية » .

(٥) فى م : « روية » .

(٦) ترجمته فى طبقات ابن سعد ٥/ ٣٢٨ ، وتاريخ دمشق ١٣/ ٣٧٣ ، وتهذيب الكمال ٦/ ٣١٦ ، وسير أعلام النبلاء ٤/ ١٣٠ ، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٨١ - ١٠٠) ص ٣٣١ .

(٧ - ٧) سقط من : ا ٢ ، م ، ص .

(٨ - ٨) فى ا ٢ ، م ، ص : « عالما فقيها عارفا » .

(1) ظرفاءِ بنى هاشمٍ وعقلائِهم، ولم يكُنْ له عقِبٌ(1). قال أيوبُ السَّختيانىُّ، وغيرُه(2): كان أوَّلَ مَن تكلَّم فى الإرجاءِ. وكتَب فى ذلك [7/144ظ] رسالةً ثم ندِم عليها.

وقال غيرُهم(3): كان يتوقَّفُ فى عثمانَ، وعلىٍّ، وطلحةَ، والزبيرِ، فلا يتولَّاهم، ولا يذُمُّهم، فلما بلَغ ذلك أباه محمدَ ابنَ الحنفيةِ ضرَبه فشجَّه، وقال: ويحَك، ألَا تتولَّى أباك عليًّا؟

وقال أبو عُبيدٍ(4): تُوفِّى سنةَ خمسٍ وتسعينَ.

وقال خليفةُ(5): تُوفِّى فى أيامِ عُمرَ بنِ عبدِ العزيزِ. واللَّهُ أعلمُ.

حُمَيْدُ بنُ عبدِ الرحمنِ بنِ عَوْفٍ الزُّهرىُّ(6): (7) وأُمُّه أمُّ كُلثومٍ بنتُ عُقبَةَ بنِ أبى مُعَيْطٍ، وهى أختُ عثمانَ بنِ عفَّانَ لأمِّه، وكان حُمَيْدٌ فقيهًا نبيلًا عالمًا، له رواياتٌ كثيرةٌ(7).

مُطَرِّفُ بنُ عبدِ اللَّهِ بنِ الشِّخِّيرِ: تقدَّمتْ ترجمتُه(8).

وهؤلاءِ كلُّهم لهم تراجمُ فى كتابِنا «التكميلِ».

(1 - 1) سقط من: ا 2، م، ص.

(2) تاريخ دمشق 13/ 379، 380.

(3) تاريخ دمشق 13/ 380، 381 مطولا.

(4) تاريخ دمشق 13/ 381.

(5) تاريخ خليفة 2/ 469. وقال فى طبقاته 2/ 599: توفى سنة مائة أو تسع وتسعين.

(6) ترجمته فى طبقات ابن سعد 5/ 153، وتهذيب الكمال 7/ 378، وأسد الغابة 2/ 60، وسير أعلام النبلاء 4/ 293، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات 81 - 100) ص 337، والوافى بالوفيات 13/ 195.

(7 - 7) زيادة من: ا 2، م، ص.

(8) تقدم فى 412.

وفيها كان موتُ الحجَّاجِ بواسطٍ كما تقدَّم ذلك مبسوطًا مُستقصًى ، ولِلَّهِ الحمدُ .

وفيها كان مقتلُ سعيدِ بنِ جُبَيْرٍ[1] ، فى قولِ علىِّ بنِ المدائنىِّ ، وجماعةٍ . والمشهورُ أنَّه كان فى سنةِ أربعٍ وتسعين ، كما ذَكَره ابنُ جريرٍ ، وغيرُ واحدٍ[2] . واللَّهُ أعلمُ .

---

(١) تاريخ خليفة ٤١٠/١ ، بدون عزو إلى المدائنى أو غيره .
(٢) تاريخ الطبرى ٤٨٧ - ٤٩١.

ثم دخلت سنة ستٍّ وتسعين

وفيها[1] فتح قُتيبةُ بنُ مسلمٍ ، رحِمه اللَّهُ تعالى ، كاشْغَرَ مِن أرضِ الصينِ[2] ، وبعَث إلى مَلِكِ الصينِ رُسُلًا يتهدَّدُه ويتوعَّدُه ، ويُقسِمُ باللَّهِ لا يرجِعُ حتى يطَأَ بلادَه ، ويخْتِمَ ملوكَهم وأشرافَهم ، ويأخُذَ الجِزيةَ منهم ، أو يدخُلوا فى الإسلامِ ، فدخَل الرسُلُ على الملِكِ الأعظمِ[3] فيهم ، وهو فى مدينةٍ عظيمةٍ - يُقالُ : إنّ عليها تسعين بابًا فى سُورِها المحيطِ بها - يُقالُ لها : خانُ بالِق . مِن أعظمِ المدنِ ، وأكثرِها رَيْعًا ، ومعاملاتٍ وأموالًا ، حتى قِيل : إنّ بلادَ الهندِ مع اتِّساعِها كالشّامةِ فى مُلكِ الصينِ . والصينُ لا يَحتاجون إلى أن يُسافِروا فى مُلْكِ غيرِهم ؛ لكثرةِ أموالِهم ومتاعِهم ، وغيرُهم محتاجٌ إليهم ؛ لمَا عندَهم مِن المتاعِ والدنيا المتَّسعةِ ، وسائرُ ملوكِ تلك البلادِ تُؤدِّى إلى مَلكِ الصينِ الخَراجَ ؛ لقهْرِه ، وكثرةِ جندِه وعُددِه .

والمقصودُ أنّ الرسلَ لمّا دخَلوا على مَلِك الصِّينِ وجَدوا مملكةً عظيمةً (4 وجُندًا كثيرًا ، ومدينةً 4) حصينةً ذاتَ أنهارٍ وأسواقٍ وحُسنٍ وبهاءٍ ، فدخَلوا عليه فى قَلْعةٍ عظيمةٍ حصينةٍ ، بقدْرِ مدينةٍ كبيرةٍ ، فقال لهم مَلِكُ الصينِ : ما أنتم؟ وكانوا ثلاثَمائةِ رسولٍ عليهم هُبَيرةُ - فقال الملِكُ لتُرجمانِه : قل لهم : ما أنتم وما تُريدون ؟ فقالوا : نحنُ رُسُلُ قتيبةَ بنِ مُسلمٍ ، وهو يدْعوك إلى الإسلامِ ، فإن لم

---

(1) تاريخ الطبرى ٦/ ٥٠٠، والكامل ٥/٥ - ٨.

(2) بعده فى الأصل: «وغزا الصين».

(3) من هنا إلى قوله: لا تقوم ولا يدرى أحد قدرها . فى ص ٥٧٦، زيادة من: ا ٢، م، ص.

(٤ - ٤) سقط من: م.

تفعَلْ فالجِزيةُ ، فإن لم تفعَلْ فالحربُ . فغضِب المَلِكُ وأمَر بهم إلى دارٍ ، فلمّا كان الغدُ دعاهم فقال لهم : كيف تكونون فى عبادةِ إلهِكم ؟ فصلَّوُا الصلاةَ على عادتِهم ، فلمّا ركَعوا وسجَدوا ضحِك منهم ، فقال : كيف تكونون فى بيوتِكم ؟ فلبِسوا ثيابَ مِهَنِهم ، فأمَرهم بالانصرافِ . فلما كان مِن الغدِ أرسَل إليهم ، فقال : كيفَ تدخُلون على مُلوكِكم ؟ فلبِسوا الوشْيَ والعمائمَ والمطارِفَ ، ودخَلوا على المَلِكِ ، فقال لهم : ارجِعوا . فرجَعوا ، فقال المَلِكُ لأصحابِه : كيف رأيتُم هؤلاءِ ؟ فقالوا : هذه أشبهُ بهيئةِ الرجالِ مِن تلكَ المرَّةِ الأولى ، وهم أولئك .

فلمّا كان اليومُ الثالثُ ، أرسَلَ إليهم ، فقال لهم : كيف تلقَوْن عدُوَّكم ؟ فشَدُّوا عليهم سلاحَهم ، ولبِسوا المَغافِرَ والبَيْضَ ، وتقلَّدوا السيوفَ ، وتنكَّبوا القِسِيَّ ، وأخَذوا الرِّماحَ ، وركِبوا خيولَهم ومضَوْا ، فنظَر إليهم مِلكُ الصينِ فرأى أمثالَ الجبالِ مُقبِلةً ، فلمّا قرُبوا منه ركَزوا رِماحَهم ، ثم أقبَلوا نحوَه مُشَمِّرين ، فقيل لهم : ارجِعوا - وذلك لِمَا دخَل قلوبَ أهلِ الصِّينِ مِن الخوفِ مِنهم - فانصرَفوا فركِبوا خيولَهم ، واختلَجوا رِماحَهم ، ثم ساقُوا خيولَهم ، كأنَّهم يتطارَدُون بها ، فقال المَلِكُ لأصحابِه : كيف ترَونَهم ؟ فقالوا : ما رأيْنا مثلَ هؤلاءِ قَطُّ .

فلمّا أمسَوْا بعَث إليهم المَلِكُ ؛ أنِ ابعَثوا إليَّ زعيمَكم وأفضَلَكم . فبعَثوا إليه هُبَيرةَ ، فقال له المَلِكُ حينَ دخَل عليه : قد رأيتُم عِظَمَ مُلكِي ، وليس أحدٌ يمنَعُكم منِّى ، وأنتم بمنزلةِ البَيْضةِ فى كفِّى ، وأنا سائِلُك[1] عن أمرٍ فإن لم تصدُقْنى قتَلتُك . فقال : سلْ . فقال المَلِكُ : لِمَ صنَعتُم ما صنَعتُم مِن زِيِّ أوَّلَ يومٍ والثانىَ والثالثَ ؟ فقال : أمّا زِيُّنا أوَّلَ يومٍ فهو لِباسُنا فى أهلِنا ونسائِنا ، وطِيبُنا عندَهم ،

---

(١) فى ١ ٢، ص : « سائلكم » . وانظر تاريخ الطبرى ٦/ ٥٠٢.

وأمّا ما فعَلْنا ثانىَ يومٍ فهو زِيُّنا إذا دخَلْنا على ملوكِنا ، وأمّا زِيُّنا ثالثَ يومٍ فهو إذا لقِينا عدُوَّنا . فقال المَلِكُ : ما أحسنَ ما دبَّرْتُم دَهْرَكم ! انصرِفُوا إلى صاحبِكم - يعنى قُتَيْبةَ - وقولُوا له ينصرِفُ راجعًا عن بلادِى ؛ فإنِّى قد عرَفتُ حِرْصَه وقلَّةَ أصحابِه ، وإلَّا بعَثْتُ إليكم مَن يُهلِكُكم عن آخرِكم . فقال له هُبيرَةُ : تقولُ لقُتَيْبةَ هذا ؟ فكيفَ يكونُ قليلَ الأصحابِ مَن أوَّلُ خيلِه فى بلادِك وآخِرُها فى مَنابتِ الزيتونِ ؟! وكيف يكونُ حريصًا مَن خلَّف الدنيا قادرًا عليها ، وغزَاك فى بلادِك ؟! وأمّا تخويفُك إيّانا بالقتلِ فإنَّا نعلَمُ أنّ لنا أجلًا إذا حضَر فأكرَمُها عندَنا القتلُ ، فلسْنا نَكرَهُه ولا نخافُه . فقال المَلِكُ : فما الذى يُرْضِى صاحبَكم ؟ فقال : قد حلَفَ أنَّه لا ينصرِفُ حتى يطَأَ أرضَكَ ، ويختِمَ ملوكَك ويَجْبِىَ الجزيةَ مِن بلادِكَ . فقال المَلِكُ : أنا أبِرُّ يمينَه وأُخرِجُه منها ؛ أُرسِلُ إليه بترابٍ مِن أرضِى ، وأربعِ غِلمانٍ مِن أبناءِ الملوكِ ، وأُرسِلُ إليه ذهبًا كثيرًا وحريرًا وثيابًا صينيَّةً لا تُقوَّمُ ، ولا يَدْرِى أحدٌ قدرَها ، ثم جرَت لهم معه مُقاوَلاتٌ كثيرةٌ ، (١ثم شرَع يتهدَّدُهم فتهدَّدوه ، ويتوعَّدُهم فتوعَّدوه١) ، ثم اتَّفَق الحالُ على أنَّه بعَث صِحافًا مِن ذهبٍ متَّسعةً فيها ترابٌ مِن أرضِه ليطَأَه قتيبةُ ، وبعَث بجماعةٍ مِن أولادِه وأولادِ الملوكِ ليختِمَ رقابَهم ، وبعَث بمالٍ جزيلٍ ليبِرَّ يميـنَ قتيبةَ ، وقِيل : إنَّه بعَث أربعَمائةٍ مِن أولادِه وأولادِ الملوكِ .

فلما انتهَى إلى قتيبةَ ما أرسَله مَلكُ الصِّينِ قَبلَ ذلك منه ؛ وذلك لأنَّه كان قد انتهَى إليه خبرُ موتِ الوليدِ بنِ عبدِ الملكِ أميرِ المؤمنيـنَ ، فانكسَرتْ همَّتُه لذلك ، وقد عزَم قتيبةُ بنُ مسلمٍ الباهلىُّ على عدمِ مبايعةِ سليمانَ بنِ عبدِ الملكِ ، وأراد الدعوةَ إلى نفسِه ؛ لِمَا تحتَ يدِه مِن العساكرِ ، ولِمَا فتَح مِن البلادِ والأقاليمِ ، فلم

(١ - ١) سقط من : ا ٢، م، ص.

يُمْكِنْه ذلك ، ثم قُتِل فى آخِرِ هذه السنةِ ، رحِمه اللَّهُ تعالى ، فإنَّه يُقالُ : إنه ما كُسِرتْ له رايةٌ . وكان مِن المُجاهدين فى سبيلِ اللَّهِ ، واجتمَع له مِن العساكرِ ما لم يجتمِعْ لغيرِه .

وفيها غزَا مَسلَمةُ بنُ عبدِ الملكِ الصائفةَ ، وغزَا العبّاسُ بنُ الوليدِ الرومَ ، ففتَح طُولسَ[1] والمرزبانين مِن بلادِ الرومِ[2] .

وفيها تكامَل بناءُ الجامعِ الأمويِّ بدمشقَ على يدِ بانيهِ أميرِ المؤمنين الوليدِ بنِ عبدِ الملكِ بنِ مروانَ ، جزاه اللَّهُ عن المسلمين خيرَ الجزاءِ ، وكان أصلُ موضعِ هذا الجامعِ قديمًا معبدًا بنَتْه اليونانُ الكُلْدانيُّون الذين كانوا يَعْمُرونَ دمشقَ ، وهم الذين وضَعوها ، وعمَروها أوَّلًا ؛ فهم أوَّلُ مَن بناها ، وقد كانوا يعبُدون الكواكبَ السَّبعةَ المُتَحَيِّرَةَ[3] ؛ وهى القمرُ فى السَّماءِ الدُّنيا ، وعُطارِدُ فى السَّماءِ الثانيةِ ، والزُّهَرَةُ فى السماءِ الثالثةِ ، والشَّمسُ فى الرابعةِ ، والمِرِّيخُ فى الخامسةِ ، والمُشْتَرِى فى السَّادسةِ ، وزُحَلُ فى السابعةِ . وكانوا قد صوَّروا على كلِّ بابٍ مِن أبوابِ دِمشقَ هيكلًا [١٤٥/٧و] لكوكبٍ مِن هذه الكواكبِ السَّبعةِ ، وكانت أبوابُ دمشقَ سبعةً وضَعوها قصدًا لذلك ، فنصَبوا هياكلَ سبعةً ؛ لكلِّ كوكبٍ هيكلٌ ، وكان لهم عندَ كلِّ بابٍ مِن أبوابِ دمشقَ عيدٌ فى السنةِ ، وهؤلاءِ هم الذين وضَعوا الأرصادَ ، وتكلَّموا على حرَكاتِ الكواكِبِ ، واتِّصالاتِها ومقارنتِها ، وبنَوْا دِمشقَ ، واختارُوا لها هذه البُقعةَ إلى جانبِ الماءِ الواردِ مِن بين هذيْن

---

(١) فى ا ٢، ص : « طوبس » ، وهى كذلك فى تاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٨١ - ١٠٠هـ) ص ٢٦٤، وفى تاريخ خليفة ١/ ٤٢١ : « طبرس » ، والمثبت موافق لما فى تاريخ الطبرى ٦/ ٤٩٢ .

(٢) بعده فى الأصل : « وقال الواقدى : إن قتيبة بن مسلم سير جيشا إلى بلد كاشغر » .

(٣) فى الأصل ، ا ٢، ص : « المتحيزة » ، وفى م : « المتميزة » . والمثبت كما تقدم فى ١/ ٧٦. وانظر مسالك الأبصار فى ممالك الأمصار ٢/ ٢٥٢.

الجبلَيْن ، وصرَّفُوه أنهارًا تجرى إلى الأماكنِ المرتفعةِ والمنخفضةِ ، وسلكوا الماءَ فى أفناءِ أبنيةِ الدُّورِ بدمشقَ ، فكانتْ دمشقُ فى أيامِهم مِن أحسنِ المُدُنِ ، بل هى أحسنُها ، لِمَا فيها مِن التَّصاريفِ العجيبةِ .

وبنَوْا هذا المعبدَ وهو الجامعُ اليومَ إلى جهةِ القُطْبِ ، وكانوا يُصَلُّون إلى القُطْبِ الشَّمالىِّ ، وكانتْ مَحاريبُه تجاهَ الشَّمالِ ، وكان بابُ معبدِهم يفتَحُ إلى جهةِ القبلةِ ، خلفَ المحرابِ اليومَ ، كما شاهَدْنا ذلك عِيانًا ، ورأينا محاريبَهم إلى جهةِ القُطْبِ ، ورأينا البابَ ، وهو بابٌ حسَنٌ مبنىٌّ بحِجارةٍ منقوشةٍ ، وعليه كتابٌ بخطِّهم ، وعن يمينِه ويسارِه بابانِ صغيرانِ بالنسبةِ إليه ، وكان غربىَّ المعبدِ قصرٌ مُنيفٌ جدًّا تحمِلُه هذه الأعمِدةُ التى ببابِ البريدِ ، وشرْقِىَّ المعبدِ قصرُ جَيْرُونَ الملكِ - الذى كان ملكَهم - وكان هناك دارانِ [1]عظيمتانِ مُعَدَّتانِ[1] لمَن يتملَّكُ دمشقَ قديمًا منهم .

ويُقالُ : إنَّه كان مع المعبدِ ثلاثُ دُورٍ عظيمةٍ للملوكِ ، ويحيطُ بهذه الدُّورِ والمعبدِ سورٌ واحدٌ عالٍ مُنيفٌ ، بحِجارةٍ كبارٍ منحوتةٍ ؛ وهُنَّ دارُ المَطْبِقِ ، ودارُ الخَيلِ ، ودارٌ كانت تكونُ مكانَ الخَضراءِ التى بناها مُعاويةُ .

قال الحافظُ ابنُ عساكرَ فيما حكَاه عن كُتُبِ بعضِ الأوائلِ[2] : إنَّهم[3] مكَثُوا يأخُذون الطَّالِعَ لبناءِ دمشقَ وهذه الأماكنِ ثمانىَ عشْرَةَ سنةً ، وقد حفَرُوا أساسَ الجُدْرانِ حتى وافاهم الوقتُ الذى طلَع فيه الكوكبانِ اللّذانِ أرادوا أنَّ المسجِدَ[4]

(١ - ١) فى الأصل : « يكونان » .

(٢) تاريخ دمشق ٢/٢٥٧.

(٣) فى ا ٢، م، ص: « إن اليونان » .

(٤) فى ا ٢، م، ص: « هذا المعبد » .

لا يخرَبُ أبدًا ولا تخلُو منه العبادةُ ، وأنَّ هذه الدارَ إذا بُنِيتْ لا تخلُو مِن أن تكونَ دارَ المُلكِ والسَّلْطَنةِ. قلتُ: أمَّا المَعبَدُ فلم يَخْلُ مِن العبادةِ. قال كعبُ الأحبارِ[1] : لا يخلُو منها حتى تقومَ السَّاعةُ.

وأمّا دارُ الملكِ التى هى الخضراءُ فقد جدَّد بناءَها معاويةُ ، ثم أُحرِقت فى سنةِ إحدى وستِّينَ وأربعمائةٍ - كما سنذكُره - فبادَتْ وصارَتْ مساكنَ ضعفاءِ الناسِ وأراذلِهم فى الغالبِ إلى زمانِنا هذا ، وباللَّهِ المستعان.

والمقصودُ أنَّ اليونانَ استمَرُّوا على هذه الصِّفةِ التى ذكَرناها بدمشقَ مُدَدًا طويلةً ، تزيدُ على أربعةِ آلافِ سنةٍ ، حتى إنَّه يُقالُ[2] : إنَّ أوَّلَ مَن بنَى جُدْرانَ هذا المعبدِ الأربعةَ هودٌ ، عليه الصَّلاةُ والسَّلامُ ، وقد كان هودٌ قبلَ إبراهيمَ الخليلِ بمُدَّةٍ طويلةٍ.

وقد ورَد إبراهيمُ الخليلُ ، عليه السلامُ ، [3]دِمشقَ ونزَل شماليَّها[3] عندَ بَرْزَةَ ، وقاتَل [٧/١٤٥ظ] هنالك قومًا مِن أعدائِه فظفِر بهم ، ونصَره اللَّهُ عليهم ، وكان مُقامُه لمقاتَلتِهم عندَ بَرْزَةَ. فهذا المكانُ المنسوبُ إليه بها منصوصٌ عليه فى الكُتُبِ المتقدِّمةِ يَأْثِرُونَه كابرًا عن كابرٍ ، وإلى زمانِنا[4] . واللَّهُ أعلمُ.

وكانت دمشقُ إذْ ذاكَ عامرةً آهِلةً بمَن فيها مِن اليونانِ وكانوا خَلْقًا لا يُحصِيهم إلّا اللَّهُ ؛ وهم خُصماءُ الخليلِ ، وقد ناظَرهم الخليلُ فى عِبادتِهم الأصنامَ والكواكبَ وغيرَها فى غيرِ موضعٍ ، كما قرَّرْنا ذلك فى التفسيرِ[5] ، وفى قصةِ

---

(١) تاريخ دمشق ٢٣٨/٢ ، بنحوه.
(٢) تاريخ دمشق ٢٦٠/٢ ، بنحوه.
(٣ - ٣) فى الأصل: «شمالى دمشق».
(٤) انظر ما تقدم فى ٣٥٣/١.
(٥) التفسير ٣/ ٢٨٢.

إبراهيمَ الخليلِ ، عليه السلامُ ، مِن كتابِنا هذا « البدايةِ والنهايةِ »[1] ، ولِلَّهِ الحمدُ ، وباللَّهِ المستعانُ .

والمقصودُ أنَّ اليونانَ لم يزالوا يعمُرونَ دمشقَ ، ويبنُونَ فيها وفى معاملاتِها - مِن أرضِ حَوْرانَ والبِقاعِ وبعلَبكَّ وغيرِها - البناياتِ الهائلةَ الغريبةَ العجيبةَ ، حتى إذا كان بعدَ المسيحِ بمُدَّةٍ نحوٍ مِن ثلاثِمائةِ سنةٍ تنصَّر أهلُ الشَّامِ على يدِ الملكِ قُسطَنطِينَ [2]بنِ قُسْطنطينَ[2] ، الذى بنَى المدينةَ المشهورةَ فى بلادِ الرومِ [3]التى تُنسبُ إليه[3] وهى القُسْطَنطِينيَّةُ ، وهو الذى وضَع لهم القوانينَ ، وقد كان أوَّلًا هو وقومُه وغالبُ أهلِ الأرضِ يونانًا ، ووضَعَتْ له بطارِكةُ[4] النَّصارَى دِينًا مُخْتَرَعًا مُركَّبًا مِن أصلِ دينِ النَّصرانيَّةِ ، ممزوجًا بشىءٍ مِن عبادةِ الأوثانِ ، وصَلَّوا به إلى الشَّرقِ ، وزادوا فى الصِّيامِ ، وأحَلُّوا الخِنزيرَ ، وعلَّموا أولادَهم الأمانةَ الكبيرةَ ، فيما يزعُمونَ ، وإنَّما هى فى الحقيقةِ خِيانةٌ كبيرةٌ ، وجِنايةٌ كثيرةٌ حَقيرةٌ ، وهى مع ذلك فى الحَجْمِ صغيرةٌ [3]حَقيرةٌ نَقيرةٌ[3] ، وقد تكلَّمْنا على ذلك فيما سلَف وبيَّنَّاه[5] . فبَنَى لهم هذا المَلِكُ ، الذى تُنسَبُ إليه الطائفةُ الملكيةُ مِن النَّصارَى ، كنائسَ كثيرةً[6] فى دمشقَ وفى غيرِها ، حتى يُقالَ : إنَّه بنَى [7]فى زمانِه[7] ثِنتىْ عشْرةَ ألفَ كنيسةٍ ، وأوقَف عليها أوقافًا دارَّةً ، مِن ذلك كنيسةُ

---

(1) تقدم فى ١/ ٣٢٤.

(2 - 2) فى الأصل : « قسطين » .

(3 - 3) سقط من : ا ٢، م، ص .

(4) فى م : « بطاركته » .

(5) انظر ما تقدم فى ٢/ ٥٣٣.

(6) فى م : « كبيرة » .

(7 - 7) سقط من : م .

بيتِ لحمٍ، وقُمامةَ بالقُدسِ، بنَتْها أُمُّه هَيْلانةُ الفندقانيةُ، وغيرُ ذلك.

والمقصودُ أنَّهم - يَعْنى النَّصارى - حوَّلُوا بناءَ هذا المعبدِ الذى هو بدمشقَ معظَّمًا عندَ اليونانِ، فجعَلُوه كنيسةً، [(1)]وبنَوْا له المذابحَ فى شرقيِّه، وسمَّوْه كنيسةَ مَرْيُحَنَّا. ومنهم مَن يقولُ: كنيسةُ[1)] يُوحنَّا. وبنَوْا بدمشقَ كنائسَ كثيرةً غيرَها مستأنفةً.

واستَمرَّ النَّصارَى على دينِهم هذا بدمشقَ وغيرِها نحوًا مِن ثلاثِمائةِ سنةٍ، حتى بعَث اللَّهُ محمدًا ﷺ، فكان مِن شأنِه، صلواتُ اللَّهِ وسلامُه عليه، ما ذكَرنا[2] بعضَه فى كتابِ السِّيرةِ، مِن هذا الكتابِ. وقد بعَث صلواتُ اللَّهِ وسلامُه عليه إلى ملكِ الرومِ فى زمانِه - وهو قيصرُ ذلك الوقتِ - واسمُه هِرَقْلُ يدْعوه إلى اللَّهِ عزَّ وجلَّ، وكان مِن مراجعتِه ومخاطبتِه إلى أبى سفيانَ صخرِ بنِ حربٍ [٧/١٤٦و] ما تقدَّم[3].

ثم بعَث عليه السلامُ أمراءَه الثلاثةَ[4]؛ زيدَ بنَ حارثةَ مولاه، وجعفرَ بنَ أبى طالبٍ، وعبدَ اللَّهِ بنَ رواحةَ، إلى البلقاءِ مِن تُخومِ الشَّامِ، فبعَث الرومُ إليهم جيشًا كثيرًا فقتَلُوا هؤلاءِ الأمراءَ وجماعةً مِمَّن معهم مِن الجيشِ، فعزَم النبيُّ ﷺ على قتالِ الرومِ ودخولِ الشَّامِ عامَ تبوكَ[5]، ثم رجَع عليه السلامُ عامَه ذلك لشِدَّةِ الحرِّ، وضَعْفِ الحالِ، وضَيقِه على الناسِ.

(١ - ١) سقط من: م.

(٢) فى ١ ٢، م، ص: «تقدم».

(٣) تقدم فى ٦/ ٤٧٤.

(٤) تقدم فى ٦/ ٤١٢.

(٥) تقدم فى ٧/ ١٥٤.

ثمَّ لمَّا تُوفِّى [(1] رسولُ اللَّهِ ﷺ [1)] بعَث الصدِّيقُ الجيوشَ إلى الشَّامِ ، [(2] وإلى العراقِ - كما تقدَّم تفصيلُ ذلك [(3] فى كتابِنا هذا [(4)] ، وللَّهِ الحمدُ [3)] - ففتَح اللَّهُ على المسلمين الشامَ [2)] بكمالِها ، ومِن ذلك مدينةُ دمشقَ بأعمالِها ، وقد بسَطْنا القولَ فى ذلك عندَ ذِكْرِ فَتْحِها [(5)] . فلمَّا استقَرَّتِ اليدُ الإسلاميةُ عليها ، وأنزَل اللَّهُ رحمتَه فيها ، وساق بِرَّه إليها ، وكتَب أميرُ الحربِ إذْ ذاك ؛ وهو أبو عُبيدةَ - وقيل : خالدُ بنُ الوليدِ - لأهلِ دمشقَ كتابَ أمانٍ ، وأقَرُّوا أيدىَ النَّصارَى على أربعَ عشْرةَ كنيسةً ، وأخَذوا منهم نصفَ هذه الكنيسةِ التى كانوا يسمُّونها كنيسةَ مَرْيُحَنَّا ، بحكمِ أنَّ البلدَ فتَحه خالدٌ مِن البابِ الشرقىِّ بالسيفِ ، وأخَذَتِ النَّصارى الأمانَ مِن أبى عبيدةَ ، وكان على بابِ الجابيةِ الصلحُ ، فاختَلفوا ثم اتَّفَقوا على أن جعَلوا نصفَ البلدِ صُلحًا ونصفَه عَنْوةً ، فأخَذوا نصفَ هذه الكنيسةِ الشرقىَّ فجعَله أبو عبيدةَ مسجدًا - [(6] وكان قد صارتْ إليه إمرةُ الشام ؛ لعزلِ عمرَ خالدًا وتوليةِ أبى عبيدةَ [6)] - وكان أوَّلَ مَن صلَّى فى هذا المسجدِ أبو عبيدةَ ، رضِى اللَّهُ عنه ، ثم الصحابةُ بعدَه فى البُقعةِ الشرقيَّةِ منه ؛ التى يقالُ لها : مِحرابُ الصَّحابةِ . ولكنْ لم يكنِ الجِدارُ مفتوحًا بمحرابٍ مَحنىٍّ ، وإنَّما كانوا يُصلُّون عندَ هذه البُقعةِ المُباركةِ ، والظاهرُ أنَّ الوليدَ هو الذى فتَق المحاريبَ فى الجِدارِ القِبلىِّ [(7)] . وقد كرِه كثيرٌ مِن السلَفِ [(8] الصلاةَ فى [8)] مثلِ هذه المحاريبِ ،

(1 - 1) سقط من : ا ٢، م، ص.

(2 - 2) سقط من : م.

(3 - 3) سقط من : ا ٢، ص.

(4) تقدم فى ٩/ ٤٢٠.

(5) تقدم فى ٩/ ٥٧٧.

(6 - 6) فى ا ٢، م، ص: «يصلى فيه المسلمون».

(7) بعده فى م، ص زيادة وهى من زيادات الناسخ.

(8 - 8) سقط من : م، وفى الأصل: «فى»، وفى ص: «الصلاة على».

وجعَلوه مِن البدعِ المحدَثةِ، وكان المسلمون والنصارى يدخُلون هذا المعبدَ مِن بابٍ واحدٍ،وهو بابُ المعبدِ الأصليُّ[1] [2]الذى كان[2] مِن جهةِ القِبلةِ، مكانَ المِحرابِ الكبيرِ الذى فى المَقصورةِ اليومَ، فينصرِفُ النصارَى إلى جهةِ الغربِ إلى كنيستِهم، ويأخُذُ المسلمون يَمْنَةً إلى مسجدِهم، ولا يستطيعُ النصارى أن يجهَروا بقراءةِ كتابِهم، ولا يضرِبوا بناقوسِهم؛ إجلالًا للصَّحابة ومهابةً وخوفًا.

وقد بنَى معاويةُ، رضِى اللهُ عنه، فى أيامِ ولايتِه على الشامِ دارَ الإمارةِ قِبْلِيَّ المسجدِ الذى كان للصَّحابةِ، [١٤٦/٧ظ] وبنَى فيها قُبَّةً خضْراءَ، فعُرِفت الدارُ بكمالِها بها، فسكَنها معاويةُ أربعين سنةً كما قدَّمنا[3].

ثم لم يزَلِ الأمرُ على ما ذكرْنا مِن أمرِ هذه الكنيسةِ شَطرين بين المسلمين والنَّصارى، مِن سنةِ أربعَ عشْرةَ إلى سنةِ ستٍّ وثمانين فى ذى القَعدةِ منها، وقد صارتِ الخلافةُ إلى الوليدِ بنِ عبدِ الملكِ فى شوَّالٍ منها، فعزَم الوليدُ على أخْذِ بقيّةِ هذه الكنيسةِ، وإضافتِها إلى ما بأيدى المسلمين منها، وجَعْلِ الجميعِ مسجدًا واحدًا؛ وذلك [4]لأن بعضَ المسلمين كان يتأذَّى بسماعِ[4] قراءةِ النَّصارَى الإنجيلَ، ورفْعِ أصواتِهم فى صلواتِهم، فأحبَّ أن يُبعِدَهم عن المسلمين، وأن يُضيفَ ذلك المكانَ إلى هذا [5]فيكبُرَ به المسجدُ الجامعُ، فطلَب[5] النَّصارى وسأَل منهم أن يخرُجوا له عن هذا المكانِ، ويعوِّضَهم إقطاعاتٍ كثيرةً، وعرَضها عليهم، وأن يُقِرَّ لهم أربعَ كنائسَ لم تدخُلْ فى العهدِ؛ وهى كنيسةُ مريمَ،

---

(١) فى ١ ٢، م، ص: «الأعلى».

(٢ - ٢) سقط من: ١ ٢، م، ص.

(٣) تقدم فى ١١/١٤٧.

(٤ - ٤) فى الأصل: «لتأذى بعض المسلمين».

(٥ - ٥) فى ١ ٢، م، ص: «فيصير كله معبدا للمسلمين ويتسع المسجد لكثرة المسلمين، فعند ذلك طلب».

وكنيسةُ المُصلَّبةِ داخلَ البابِ الشَّرقىِّ ، وكنيسةُ تلِّ الجُبْنِ ، وكنيسةُ حُمَيْدِ بنِ درَّةَ التى بدربِ الصَّقيلِ[1] ، فأبَوْا ذلك أشدَّ الإباءِ ، فقال : [2] ائتونا بعهدِكم . فأَتَوْا بعهدِهم الذى بأيديهم مِن زمنِ الصحابةِ ، فقُرِئَ[2] بحضْرَةِ الوليدِ ؛ فإذا كنيسةُ تُومَا - التى كانت خارجَ بابِ تُوما عندَ[3] النَّهرِ - لم تدخُلْ فى العهدِ ، وكانتْ - فيما يُقالُ - أكبرَ مِن كنيسةِ مَرْيُحَنّا ، فقال الوليدُ : أنا أهدِمُها وأجعَلُها مسجدًا . فقالوا : بل يترُكُها أميرُ المؤمنين وما ذكَر مِن الكنائسِ ، ونحن نرضَى بأخذِ بقيَّةِ هذه الكنيسةِ ، فأَقَرَّهم على تلك الكنائسِ ، وأخَذ منهم بقيَّةَ هذه الكنيسةِ . هذا قولٌ[4] .

ويُقالُ[5] : إنَّ الوليدَ لمَّا أهمَّه ذلك ، وعرَض ما عرَض على النَّصارى فأبَوْا مِن قَبولِه ، دخَل عليه بعضُ النَّاسِ فأرشَده إلى أنْ يَقيسَ مِن بابِ الشرقِىِّ ومِن بابِ الجابيةِ ، فوجَد[6] منتصفَ ذلك عندَ سُوقِ الرَّيحانِ تقريبًا ؛ فإذا الكنيسةُ [7] المُنازِعُ فيها[7] قد دخَلت فى العَنْوةِ ، فأخَذها .

وحُكِى عن المُغيرةِ مَولى الوليدِ قال[8] : دخَلتُ على الوليدِ فوجَدْتُه مهمومًا ، فقلتُ : ما لكَ يا أميرَ المؤمنينَ مهمومًا ؟ فقال : إنَّه قد كثُر المُسلِمون وقد ضاقَ

---

(١) فى ا ٢: «الصيقل» . وفى م: «الصقل» .
(٢ - ٢) فى ا ٢، م، ص: «ائتونى بعهودكم التى بأيدكم من زمن الصحابة فأتوا بها فقرئت» .
(٣) فى ا ٢، م، ص: «على حافة» .
(٤) تاريخ دمشق ٢/٢٥٣.
(٥) تاريخ دمشق ٢/٢٥١ بنحوه .
(٦) بعده فى ا ٢، ص: «أن الكنيسة المذكورة قد دخلت فى العنوة وذلك أنهم قاسوا من باب شرقى ومن باب الجابية فوجدوا» . وفى م: «أن الكنيسة قد دخلت فى العنوة وذلك أنهم قاسوا من باب شرقى ومن باب الجابية فوجدوا» .
(٧ - ٧) سقط من: م.
(٨) تاريخ دمشق ٢/٢٥٥، ٢٥٦ بنحوه .

بهم المسجدُ ، فأحضَرتُ النَّصارَى وبذَلتُ لهم الأموالَ فى بقيَّةِ هذه الكنيسةِ ؛ لأُضيفَها إلى المسجِدِ فيتَّسعَ على المسلمين فأبَوْا . فقال المغيرةُ : يا أميرَ المؤمنينَ ، عندى ما يُزيلُ همَّك . قال : وما هو ؟ قلتُ : إنّ الصحابةَ لمّا أخَذوا دمشقَ دخَل خالدُ بنُ الوليدِ مِن بابِ الشرقىّ بالسيفِ ، فلمَّا سمِع أهلُ البلدِ بذلك فزِعوا إلى أبى عُبيدةَ يطلُبون منه الأمانَ فآمَنهم ، وفتَحوا له بابَ الجابيةِ ، فدخَل مِنه أبو عُبيدةَ بالصُّلحِ ، فنحنُ نُماسِحُهم إلى أىِّ مَوْضعٍ بلَغ السيفُ أخَذْناه ، وما كان بالصُّلحِ ترَكْناه بأيدِيهم ، وأرجو أن تدخُلَ الكنيسةُ كلُّها فى العَنْوةِ ، فتدخُلَ فى المسجِدِ . فقال الوليدُ : فرَّجتَ عنِّى ، فتوَلَّ أنت ذلك بنفسِك . فتولّاه المغيرةُ ومسَح مِن البابِ الشرقىِّ إلى نحوِ باب الجابيةِ إلى سوقِ الرَّيحانِ ؛ فوجَد السيفَ لم يزَلْ عمَّالًا حتى جاوَزَ القَنْطرةَ الكبيرةَ بأربعةِ أذرُعٍ وكسْرٍ ، فدخَلَتِ الكنيسةُ فى المسجِدِ . فأرسَل الوليدُ إلى النَّصارَى فأخبَرهم ، وقال : إنّ هذه الكنيسةَ كلَّها دخَلَتْ فى العَنْوَةِ فهى لنا دونَكم . فقالوا : إنَّك أوَّلًا دفَعْتَ إلينا الأموالَ ، وأقطَعتَنا الإقطاعاتِ فأبَيْنا ، فمِن إحسانِ أميرِ المؤمنين أن يُصالحَنا فيُبقِيَ لنا هذه الكنائسَ الأربعةَ بأيدينا ، ونحنُ نترُكُ له بقيَّةَ هذه الكنيسةِ . فصالَحهم على إبقاءِ هذه الأربعِ كَنائسَ بأيديهم . واللَّهُ أعلمُ .

وقيل(١) : إنّه عوَّضَهم منها كنيسةً عندَ حمَّام القاسمِ(٢) عند بابِ الفراديسِ(٣) ، فسمَّوْها مَرْيُحَنَّا باسمِ (٤)تلك الكنيسةِ التى أُخِذَتْ منهم(٤) ، وأخَذوا شاهِدَها فوضَعُوه فوقَ التى أخَذوها بدلَها . فاللَّهُ أعلمُ .

---

(١) تاريخ دمشق ٢/٢٥٢ بنحوه .
(٢) فى الأصل : « القسم » ، وفى ١ ٢، ص : « السقيم » .
(٣) بعده فى ١ ٢، م ، ص : « داخله » .
(٤ - ٤) فى الأصل : « التى هدمت لهم » .

ثم أمَر الوليدُ بإحضارِ آلاتِ الهدمِ(1)، واجتمَع إليه الأمراءُ والكُبراءُ (2) مِن رُؤساءِ الناسِ(2)، وجاء إليه أساقِفةُ النَّصارَى وقساوسُتهم(3)، فقالوا: يا أميرَ المؤمنين، إنا نجِدُ فى كتُبِنا أنّ مَن يَهدِمُ هذه الكنيسةَ يُجَنُّ. فقال: أنا أُحِبُّ أنْ أُجَنَّ فى اللَّهِ، عزَّ وجلَّ، وواللَّهِ لا يهدِمُ فيها أحدٌ شيئًا قَبلى، ثم صعِد المنارةَ الشرقيَّةَ [٧/١٤٧و] ذاتَ الأضالِعِ المعروفةِ بالسّاعاتِ، وكانت صومعةً هائلةً(4)، فيها راهبٌ معظَّمٌ عندَهم، فأمَره الوليدُ بالنُّزولِ منها، فأكبَر الراهبُ ذلك، فأخذ الوليدُ بقَفاهُ، فلم يزَلْ يدفعُه حتى أحْدَره(5) منها، ثم صعِد الوليدُ على أعلى مكانٍ فى الكنيسةِ؛ فوقَ المَذبَحِ الأكبرِ منها الذى يُسمُّونه الشاهدَ؛ (6) وهو تِمْثالٌ فى أعلى الكنيسةِ، فقال له الرهْبانُ: احذَرِ الشاهدَ. فقال: أنا أوَّلُ ما أضَعُ فأْسِى فى رأسِ الشاهدِ. ثم كبَّر وضرَبه فهدَمه، وكان على الوليدِ قَباءٌ(6) لونُه أصفرُ سفَرْجَلىٌّ، قد غرَز أذْيالَه فى المِنْطَقَةِ، ثم أخَذ فأْسًا فى يدِه فضرَب بها فى أعلى حَجَرٍ فألقاه، فتبادَر الأمراءُ إلى الهدمِ، وكبَّر المسلمون ثلاثَ تكبيراتٍ، وصرَختِ النصارى بالعَويلِ على دَرَجِ جَيْرُونَ، وكانوا قد اجتمَعوا هنالك، فأمَر الوليدُ أميرَ الشُّرْطةِ وهو (7) أبو ناتلٍ رِيَاحٌ(7) الغسّانىُّ، أن يضرِبَهم حتى يذهَبوا مِن

---

(1) انظر هذا السياق فى تاريخ دمشق ٢/ ٢٥٢، ٢٥٤، ٢٥٦، بنحوه مع تقديم وتأخير.

(٢ - ٢) سقط من : ٢١ ، م ، ص .

(٣) فى الأصل ، ٢١ ، ص : « قساقستهم » . وهما بمعنى .

(٤) فى الأصل، ا ٣: « فإذا ».

(٥) فى ا ٢، م، ص: « أنزله ».

(٦ - ٦) فى الأصل: « وأخذ أذيال قبائه وكان ».

(٧ - ٧) فى الأصل: « أبو نائل رياح ». وفى م، وتهذيب تاريخ دمشق ١/ ٢٠٢: « أبو نائل رياح ». وفى ص، وتاريخ دمشق: « أبو ناتل رباح ». والمثبت موافق لما فى تاريخ دمشق (ط. مجمع اللغة العربية بدمشق) تحقيق صلاح الدين المنجد ٢/ ٢٣.

هُنالك ، ففعَل ذلك ، فهدَم الوليدُ والأمراءُ جميعَ ما جدَّده النَّصارَى فى تربيعِ هذا المكانِ[١] ؛ مِن المذابحِ والأبنيةِ والحَنايا ، حتى بقِى صَرْحةً مُربَّعةً ، ثم شرَع فى بنائِه بفكرةٍ جيِّدةٍ على هذه الصفةِ الحسَنةِ الأنيقةِ ، التى لم يُشتهَرْ مثلُها قبلَها على ما سنذكُره [٢] ونُشيرُ إليه [٢] .

وقد استعمَل الوليدُ فى بناءِ هذا المسجدِ خَلْقًا كثيرًا مِن الصنّاعِ والمُهندسين والفَعَلةِ ، وكان المستحِثُّ على عمارتِه أخوه ، ووليُّ عهدِه مِن بعدِه سليمانُ بنُ عبدِ الملكِ ، ويقالُ[٣] : إنّ الوليدَ بعَث إلى ملِكِ الرومِ يطلُبُ منه صُنّاعًا فى الرُّخامِ ، وغيرِ ذلك ؛ ليستعينَ بهم على عِمارةِ هذا المسجدِ على ما يُريدُ ، وأرسَل يتوعَّدُه ؛ لَئِن لم يفعَلْ ليغزُوَنَّ بلادَه بالجيوشِ ، وليُخرِّبَنَّ كلَّ كنيسةٍ فى بلادِه ، حتى كنيسةَ القُدسِ[٤] ، وكنيسةَ الرُّها ، وسائرَ آثارِ الرومِ ، فبعَث ملكُ الرومِ إليه صُنّاعًا كثيرةً جدًّا ؛ مائتى صانعٍ ، وكتَب إليه يقولُ : إنْ كان أبوكَ[٥] فُهِّم هذا الذى تصنَعُه وترَكه ، فإنّه لوصمةٌ عليك ، وإنْ لم يكُنْ فُهِّمه وفهِّمتَه[٦] أنت ، فإنّه[٧] لوصمةٌ عليه .

فلمّا وصَل ذلك الكتابُ[٨] إلى الوليدِ أراد أنْ يُجيبَ عن ذلك ، واجتمَع

---

(١) فى ا ٢، م، ص : « المعبد » .
(٢ - ٢) سقط من : ا ٢، م، ص .
(٣) تاريخ دمشق ٢٥٨/٢ بنحوه .
(٤) بعده فى ا ٢، م، ص : « وهى قمامة » .
(٥) فى الأصل : « أبوه » .
(٦) فى م : « فهمت » .
(٧) سقط من : م .
(٨) سقط من : ا ٢، م، ص .

الناسُ عندَه لذلك ، وكان فيهم الفرزدقُ الشَّاعرُ ، فقال : أنا أجيبُه يا أميرَ المؤمنين من كتابِ اللَّهِ تعالى . قال الوليدُ : وما هو ويحَك ؟ فقال : قال اللَّه تعالى : ﴿ فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ وَكُلًّا ءَاتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا ﴾ [الأنبياء : ٧٩] . وسليمانُ هو ابنُ داودَ ، ففهَّمه اللَّهُ ما لم يفهَمْه أبوه . فأعجَب ذلك الوليدَ ، فأرسَل به جوابًا إلى مَلكِ الرومِ . وقد قال الفرزدقُ فى ذلك(١) :

فرَّقتَ بينَ النَّصارَى فى كَنائِسِهِمْ ... والعابِدِين مَعَ(٢) الأسحارِ (٣)والعَتَمِ(٣)

وهمْ (٤)جميعًا إذا صَلَّوْا(٤) وأوجُهُهُم [٧/١٤٧ظ] ... شَتَّى إذا سَجَدُوا للَّهِ والصَّنَمِ

وكيفَ يجتمِعُ النّاقوسُ يَضْرِبُهُ ... أهْلُ الصَّليبِ مَعَ(٥) القرّاءِ لم تَنَمِ

فُهِّمتَ تحويلَها عنهُمْ(٦) كما فَهِما(٧) ... إذ يَحْكُمانِ لهُمْ(٥) فى الحَرْثِ والغَنَمِ

داوُدُ والمَلِكُ المَهْدىُّ إذْ جَزَّا(٨) ... أولادَها واجتزازُ الصوفِ بالجَلَمِ(٩)

فهَّمكَ اللَّهُ تحويلًا لبَيْعتِهِمْ ... عن مسجدٍ فيه يُتْلَى طَيِّبُ الكَلِمِ

مَا مِنْ أبٍ (١٠)حمَلتْهُ الأرضُ نعلَمُهُ(١٠) ... خيرٌ بنينَ ولا خيرٌ مِنَ الحكَمِ

---

(١) شرح ديوان الفرزدق ص ٧٦٨.
(٢) فى الأصل، ا ٢، ص : « من » .
(٣ - ٣) فى ا ٢، ص : « فى الظلم » .
(٤ - ٤) فى شرح الديوان : « معا فى مصلاهم » .
(٥) فى الأصل، ا ٢، ص : « له » .
(٦) فى الأصل، ا ٢، ص : « عنه » .
(٧) فى الأصل : « فهمها » .
(٨) فى الأصل : « جزوا » ، وفى ا ٢، ص : « زجروا » ، وفى مصدر التخريج « حكما » .
(٩) فى ا ٢، ص : « بالحكم » .
والجلم : ما يُجَزُّ به . الوسيط (ج ل م) .
(١٠ - ١٠) فى الأصل، ا ٢، ص : « والد فى الناس يعلمه » .

قال الحافظُ (١عبدُ الرحمنِ١) بنُ إبراهيمَ دُحَيْمٌ الدِّمَشْقِيُّ[٢]: بنَى الوليدُ ما كان داخِلَ حِيطانِ المسجِدِ، وزادَ فى سَمكِ الحيطانِ.

وقال الحسنُ بنُ يَحْيَى الخُشَنِىُّ[٣]: إنّ هودًا، عليه السّلامُ، هو الذى بنَى الحائطَ القِبلىَّ مِن مسجِدِ دِمشقَ.

وقال غيرُه[٤]: لمّا أراد الوليدُ بناءَ القُبّةِ التى وسَطَ الرَّوَاقَاتِ - (٥وهى٥) قبّةُ النَّسْرِ، وهو اسمٌ حادثٌ لها، (٦وكأنَّهم شَبَّهُوها٦) بالنَّسر فى شَكلِه؛ لأنَّ الرَّوَاقَاتِ عَن يمينِها وشِمالِها كالأجْنِحةِ لها - حفروا لأركانِها، حتى وَصَلوا إلى الماءِ، وشرِبوا مِنه ماءً عَذْبًا زُلالًا، ثم إنَّهم وضَعوا فيه جِرارَ[٧] الكَرْمِ، وبنَوْا فوقَها بالحِجارةِ، فلمّا ارتفَعتِ الأركانُ بنَوْا عليها القُبَّةَ فسقَطتْ، فقال الوليدُ لبعضِ المهندسين: أُرِيدُ أنْ تبنِيَ لى أنت هذه القُبَّةَ. فقال: على أنْ تُعطيَنى عهدَ اللّهِ وميثاقَه[٨] أن لا يبنِيَها أحدٌ غيرى. ففعَل، فبنَى الأركانَ ثم غلَّفها بالبَوارِى[٩]، وغاب عنها سنةً كاملةً لا يَدرِى الوليدُ أين ذهَب، فلمّا كان بعدَ السنةِ حضَر، فهمَّ به الوليدُ، فأخَذه ومعه رُءوسُ الناسِ، فكشَف البَوارِىَ عن الأركانِ؛ فإذا هى قد هبَطتْ بعد ارتفاعِها حتى ساوتِ الأرضَ، فقال له: مِن هذا أُتيتَ. ثم

(١ - ١) فى ص: «عبد الله». وانظر تهذيب الكمال ١٦/ ٤٩٥.
(٢) أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ٢/ ٢٦٠، من طريق عبد الرحمن به.
(٣) فى الأصل: «الحسينى». وفى ا ٢، ص: «الحسنى». وانظر تهذيب الكمال ٦/ ٣٣٩.
والأثر أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ٢/ ٢٦٠، من طريق الحسن بن يحيى به.
(٤) تاريخ دمشق ٢/٢٦٠، ٢٦١ بنحوه، ومختصر تاريخ دمشق ١/٢٦٣، ٢٦٤ بنحوه.
(٥ - ٥) فى الأصل: «التى يقال لها».
(٦ - ٦) فى ص: «وكانوا سموها».
(٧) فى ا ٢: «زبارة». وفى م: «زيادة».
(٨) بعده فى ا ٢، م، ص: «على».
(٩) البوارى: مفردها البارىّ، وهو الحصير. الوسيط (ب و ر).

بنَاها فانعقَدتْ .

وقال بعضُهم[(١)] : أراد الوليدُ أنْ يجعَلَ بَيْضَةَ القُبَّةِ مِن ذهبٍ خالصٍ ؛ ليُعظِّمَ بذلك شأنَ المسجدِ[(٢)] ، فقال له المِعمارُ : إنَّك لا تقدِرُ على ذلك . فضرَبه خمسين سَوْطًا ، وقال له : ويلك ، أنا [(٣)]لا أقدِرُ على ذلك ، وتزعُمُ أنِّى أعجِزُ عنه ، وخَراجُ الأرضِ وأموالُها تُجبَى إلىّ[(٣)] ؟ قال : نعم ، أنا أُبيِّنُ لك ذلك . قال : فبيِّنْ ذلك . قال : اضرِبْ لبِنةً واحدةً مِن الذهبِ ، وقِسْ عليها ما تُريدُ هذه القُبَّةُ من ذلك . فأمَر الوليدُ ، فأُحضِر من الذهبِ ما [(٤)]سُبِك به[(٤)] لبنةٌ ؛ فإذا هى قد دخَلها أُلوفٌ مِن الذهبِ ، فقال : يا أميرَ المؤمنينَ ، إنّا نريدُ [١٤٨/٧و] [(٥)]مِن هذه[(٥)] كَذا وكَذا ألفِ لبِنةٍ ، فإنْ كان عندَك ما يكفِى مِن ذلك عمِلناه . فلمّا تحقَّق الوليدُ صحةَ قولِه أطلَق له خمسين دينارًا[(٦)] ، ثم عقَدها على ما أشار به المِعمارُ .

ولمّا سقَف الوليدُ الجامعَ جعَلوا سقْفَه جَمَلوناتٍ ، وباطنَها مُسطَّحًا مُقَرْنَصًا بالذَّهبِ ، فقال له بعضُ أهلِه[(٧)] : أتعَبتَ الناسَ بعدَك فى [(٨)]تطيينِ أسطِحةِ[(٨)] هذا المسجدِ فى كلِّ عامٍ[(٩)] . فأمَر الوليدُ أنْ يُجمَعَ ما فى بلادِه مِن الرصاصِ ؛ ليجعَلَه

---

(١) تاريخ دمشق ٢٦١/٢ ، ٢٦٢ بنحوه ، ومختصر تاريخ دمشق ٢٦٤/١ بنحوه .

(٢) فى ا ٢ ، م ، ص : « هذا البناء » .

(٣ - ٣) فى الأصل : « أعجز عن ذلك » .

(٤ - ٤) فى ا ٢ ، م ، ص : « ضرب منه » .

(٥ - ٥) فى ا ٢ ، م ، ص : « مثل هذه اللبنة » .

(٦) بعده فى ا ٢ ، م ، ص : « وقال : إنى لا أعجز كما قلت ، ولكن فيه إسراف وضياع مال فى غير وجهه اللائق به ، ولأن يكون ما أردنا من ذلك نفقة فى سبيل الله ، وردا على ضعفاء المسلمين خير من ذلك » .

(٧) تاريخ دمشق ٢٦٣/٢ بنحوه .

(٨ - ٨) فى ا ٢ ، م ، ص : « طين أسطحته لما يريد » .

(٩) بعده فى ا ٢ ، م ، ص : « من الطين الكثير يشير إلى أن التراب يغلو والفعلة تقل لأجل العمل فى هذا المسجد فى كل عام » .

عِوضَ الطِّينِ، ويكونَ أخفَّ على السقوفِ، فجمع مِن كلِّ ناحيةٍ مِن الشامِ، وغيرِه مِن الأقاليم، فعازوا، فإذا عندَ امرأةٍ مِنه قناطيرُ مقنطَرةٌ، فساوَموها فيه، [(١)]فأبَت أنْ تبيعَه[(١)] إلّا بوزنِه فِضَّةً، فكتَبوا إلى الوليدِ بذلك[(٢)]، فقال: اشترُوه منها، ولو بوزنِه فضةً. فلمّا بذَلوا لها ذلك، قالتْ: أمَا إذا فعَلتُم[(٣)] ذلك فهو صدَقةٌ للَّهِ يكونُ فى سقفِ هذا المسجدِ. فكتَبوا على ألواحِها بطابعٍ: «للَّه». ويُقالُ: إنّها كانت إسرائيليةً، وإنّه كتِب على الألواحِ التى أُخِذتْ منها: [(٤)]هذا ما أعطته[(٤)] الإسرائيليَّةُ.

وقال محمدُ بنُ عائذٍ[(٥)]: سمِعتُ المشايخَ يقولون. ما تمَّ بناءُ مسجدِ دِمشقَ إلّا بأداءِ الأمانةِ، لقد كان يَفْضُلُ عندَ الرجلِ مِن القوَمةِ - يعنُون الفعَلةَ - الفأسُ ورأسُ المسمارِ، فيجىءُ[(٦)] حتى يضعَه فى الخِزانةِ.

وقال بعضُ مشايخِ الدِّماشقةِ[(٧)]: ليس فى الجامعِ مِن الرُّخامِ شىءٌ إلّا الرخامتانِ اللّتانِ فى المقامِ من عرشِ بِلقيسَ، والباقى كلُّه مَرْمَرٌ[(٨)]. وقال بعضُهم[(٩)]: اشترى الوليدُ بنُ عبدِ الملكِ العمودَين الأخضرَين اللّذين تحتَ النَّسْرِ،

(١ - ١) فى ا ٢، م، ص: «فقالت لا أبيعه».

(٢) سقط من: ا ٢، م، ص.

(٣) فى ا ٢، م، ص: «قلتم».

(٤ - ٤) فى الأصل: «الذى أعطتهم».

(٥) مختصر تاريخ دمشق ١/ ٢٦٥.

(٦) فى ا ٢، م، ص: «فيأتى به».

(٧) تاريخ دمشق ٢/ ٢٦٦، ٢٦٧، ومختصر تاريخ دمشق ١/ ٢٦٦

(٨) المرمر: صخر رخامى جيرى متحول يتركب من بلُّورات الكلسيت، يستعمل للزينة فى البناء، ولصنع التماثيل ونحوها. الوسيط (م ر م ر).

(٩) مختصر تاريخ دمشق ١/ ٢٦٧.

من حربِ[1] بنِ خالدِ بنِ يزيدَ بنِ مُعاويةَ بألفٍ وخمسِمائةِ دينارٍ.

وقال دُحَيْمٌ[2]، عن الوليدِ بنِ مُسلمٍ، ثنا مَروانُ بنُ[3] جَناحٍ، عن أبيهِ، قال: كان في مسجدِ دمشقَ اثنا عشَرَ ألفَ مُرَخَّمٍ.

وقال أبو قُصَيٍّ[4]، عن دُحَيْمٍ، عن الوليدِ بنِ مسلمٍ، عن عمرِو بنِ مُهاجرٍ الأنصاريِّ: إنهم حسَبوا ما أنفقه الوليدُ على الكَرْمَةِ التي في قبلةِ[5] المسجدِ؛ فإذا هو سبعون ألفَ دينارٍ.

وقال أبو قُصَيٍّ[6]: أُنفِق في مسجِدِ دمشقَ أربعُمائةِ صندوقٍ[7]، في كلِّ صندوقٍ أربعةَ عشَرَ ألفَ دينارٍ. وفي روايةٍ[8]: في كُلِّ صندوقٍ ثمانيةٌ وعشرون ألفَ دينارٍ. قلت: فعلى الأوَّلِ يكونُ ذلك خمسةَ آلافِ ألفِ دينارٍ، وستَّمائةِ ألفِ دينارٍ، وعلى الثاني يكونُ المصروفُ في عِمارةِ الجامعِ الأُمويِّ أحدَ عشَرَ ألفَ ألفِ دينارٍ، ومائتي ألفِ دينارٍ[9]. واللَّهُ أعلمُ.

قال أبو قُصَيٍّ[10]: وأتى الحَرَسِيُّ[11] إلى الوليدِ [١٤٨/٧ظ] فقال: يا أميرَ

---

(١) في ص: «حرن». وانظر مصدر التخريج.

(٢) أخرجه ابن عساكر في تاريخ دمشق ٢٦٧/٢ من طريق دحيم به.

(٣) بعده في ص: «الحجاج». وانظر تهذيب الكمال ٣٨٦/٢٧.

(٤) أخرجه ابن عساكر في تاريخ دمشق ٢٦٨/٢، من طريق أبي قصي به.

(٥) في م: «قبلى».

(٦) تاريخ دمشق ٢٦٨/٢ بنحوه.

(٧) بعده في ا ٢، م، ص: «من الذهب».

(٨) مختصر تاريخ دمشق ٢٦٦/١.

(٩) بعده في ا ٢، م، ص: «وقيل: إنه صرف أكثر من ذلك بكثير».

(١٠) تاريخ دمشق ٢٦٩/٢ بنحوه.

(١١) في ص: «خرشي».

المؤمنين ، إنَّ الناسَ يقولونَ : أنفَق (١) الوليدُ أموالَ بيتِ المالِ (١) فى غيرِ حقِّها . فنُودِىَ فى الناسِ : الصَّلاةَ جامعةً . فاجتَمَع الناسُ فصعِد الوليدُ المِنبرَ ، وقال : إنَّه بلَغَنى عنكم (٢) أنَّكم قلتُم : أنفَق الوليدُ بيوتَ الأموالِ فى غيرِ حقِّها (٢) . ثم قال : يا عمرُو بنَ مهاجرٍ ، قُمْ فأحضِرْ أموالَ بيتِ المالِ . فحُمِلتْ على البغالِ إلى الجامعِ ، (٣) وبُسِطتِ (٣) الأنطاعُ تحتَ القُبَّةِ (٤) ، ثُم أُفرِغ عليها المالُ ذهَبًا صبيبًا ، وفضَّةً خالصةً حتى صارتْ كومًا ، حتى كان الرجلُ (٥) لا يرَى الرجلَ مِن الجانبِ الآخرِ ، وهذا شىءٌ كثيرٌ ، ثُم جِىء بالقبّانين (٦) فوُزِنتِ الأموالُ ؛ فإذا هى تكفِى الناسَ ثلاثَ سنين مستقبَلةً - وفى روايةٍ (٧) : سِتَّ عشْرةَ سنةً مستقبَلةً لو لم يدخُلْ للناسِ شىء بالكُلِّيةِ (٨) - ففرِح الناسُ وكبَّرُوا ، وحمِدُوا اللَّهَ ، عزَّ وجلَّ ، على ذلك (٩) ، ثم قال الوليدُ : يا أهلَ دمشقَ ، إنَّكم تفخَرون على الناسِ بأربعٍ ؛ بهوائِكم ، ومائِكم ، وفاكهتِكم ، وحمّاماتِكم ؛ فأحبَبتُ أنْ أزيدَكم خامسةً ، وهى هذا الجامعُ فاحمَدوا اللَّهَ تعالى . وانصرَفوا شاكرين داعين .

(١ - ١) فى ا ٢، م، ص: «أمير المؤمنين بيوت الأموال».

(٢ - ٢) فى الأصل: «كذا وكذا».

(٣ - ٣) فى ا ٢، م، ص: «ثم بسط لها».

(٤) فى ا ٢، م، ص: «قبة النسر».

(٥) بعده فى ا ٢، م: «إذا قام من الجانب الواحد».

(٦) فى ا ٢: «بالقيانين»، وفى ص: «بالقبايين».

(٧) تاريخ دمشق ٢/٢٦٧، ٢٦٨.

(٨) بعده فى ا ٢، م، ص: «فقال لهم الوليد: واللَّه ما أنفقت فى عمارة هذا المسجد درهما من بيوت المال، وإنما هذا كله من مالى».

(٩) بعده فى ا ٢، م، ص: «ودعوا للخليفة وانصرفوا شاكرين داعين، فقال لهم الوليد: يا أهل دمشق، واللَّه ما أنفقت فى بناء هذا المسجد شيئا من بيوت المال، وإنما هذا كله من مالى، لم أرزأكم من أموالكم شيئا».

وقال بعضهم[1] : كان في قبلةِ جامعِ دمشقَ ثلاثُ صفائحَ مُذَهَّبةٍ بلازْوَرْدَ[2] ، في كلٍّ منها : بسمِ اللَّهِ الرحمنِ الرحيمِ ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُۚ لَا تَأۡخُذُهُۥ سِنَةٞ وَلَا نَوۡمٞۚ ﴾ . لا إلهَ إلَّا اللَّهُ وحدَه لا شريكَ له ، ولا نعبُدُ إلَّا إيّاه ، ربُّنا اللَّهُ وحدَه ، ودينُنا الإسلامُ ، ونبيُّنا محمدٌ ﷺ . أمَر ببنيانِ هذا المسجدِ ، وهَدْمِ الكنيسةِ التي كانتْ فيه ، عبدُ اللَّهِ أميرُ المؤمنين الوليدُ ، في ذي القَعدةِ سنةَ سِتٍّ وثمانين . وفي صفيحةٍ أخرى رابعةٍ من تلك الصفائحِ : ﴿ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ۝٢ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝٣ مَٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ ﴾ [الفاتحة : ٢- ٤] إلى آخرِ السورةِ ، ثم النازعاتِ ، ثم عبس ، ثم ﴿ إِذَا ٱلشَّمۡسُ كُوِّرَتۡ ﴾ [التكوير : ١] .

قالوا[3] : ثم مُحِيتْ بعدَ[4] مَجِيءِ المأمونِ إلى دمشقَ . وذكَروا أنَّ أرضَه كانت مفضَّضةً[5] كلَّها ، وأنَّ الرخامَ كان في جُدرانِه إلى قاماتٍ ، وفوقَ الرخامِ كَرْمةٌ عظيمةٌ مِن ذهَبٍ ، وفوقَ الكَرْمةِ الفصوصُ المذهَّبةُ والخُضْرُ والحُمْرُ والزُّرْقُ والبِيضُ ، قد صوَّروا بها سائرَ البلدانِ المشهورةِ ؛ الكعبةَ فوقَ المحرابِ ، وسائرَ الأقاليمِ يَمْنةً ويَسْرةً ، وصوَّروا ما في البلدانِ مِن الأشجارِ الحسَنَةِ المثمِرةِ والمزهِرةِ ، وغيرِ ذلك ، وسقفُه مقرنَصٌ بالذَّهبِ ، والسَّلاسلُ المُعلَّقةُ فيه[5] جميعُها مِن ذهبٍ وفضَّةٍ ، وأنوارُ الشُّموعِ في أماكنِه مفرقةٌ .

---

(١) تاريخ دمشق ٢/ ٢٧٠.

(٢) في ص : « بلا زورذ » ، واللازورد : من الأحجار الكريمة لونها أزرق يستخدم فصوصًا للخواتم . المعجم الذهبي ص ٥٢٠.

(٣) تاريخ دمشق ٢/ ٢٧٠.

(٤) في مصدر التخريج : « قبل » . وانظر مروج الذهب ٣/ ١٥٨.

(٥) في م : « فيها » .

قال[1] : وكان فى محرابِ الصحابةِ بَرنِيَّةٌ ؛ حجرٌ مِن بَلُّورٍ - ويقالُ : بل كانت حجرًا مِن جوهرٍ . وهى الدُّرَّةُ ، [١٤٩/٧و] وكانت تُسمَّى القُلَيلةَ[2] ، وكانت إذا طَفِئتِ القناديلُ تُضِيءُ لمَن هناك بنورِها ، فلمَّا كان زمنُ الأمينِ بنِ الرشيدِ - وكان يحِبُّ البَلُّورَ ، وقِيل : الجوهرَ - بعَث إلى سليمانَ والى شرطةِ دمشقَ أن يبعَثَ بها إليه ، فسرَقها ، [3]وسيَّرها إلى الأمينِ[3] ، فلمَّا ولِى المأمونُ ردَّها إلى دمشقَ ؛ ليُشنِّعَ بذلك على الأمينِ .

قال ابنُ عساكرَ[4] : ثم ذهَبتْ بعدَ ذلك فجُعِل مكانَها بَرنِيَّةٌ مِن زجاجٍ . قال : وقد رأيتُ تلك البَرْنِيَّةَ ثم انكسَرتْ بعدَ ذلك ، فلم يُجعَلْ مكانَها شيءٌ[5] . قالوا : وكانت الأبوابُ الشارعةُ مِن داخلِ الصَّحْنِ ليس عليها أغلاقٌ ، وإنَّما كان عليها الستورُ مُرخاةً ، وكذلك الستورُ على سائرِ جُدرانِه إلى حدِّ الكَرْمةِ[6] التى فوقَها الفصوصُ المذهَّبةُ ، ورُءوسُ الأعمدةِ مطليَّةٌ بالذهبِ الخالصِ الكثيرِ ، وعمِلوا له شُرُفاتٍ تحيطُ به ، وبنَى الوليدُ المنارةَ الشماليةَ التى يقالُ لها : مِئْذنةُ العروسِ . فأمّا الشَّرقيةُ والغربيةُ فكانتا فيه قبلَ ذلك بدهورٍ متطاولةٍ ، وقد كان فى كلِّ زاويةٍ مِن هذا المعبدِ صومعةٌ شاهقةٌ جدًّا ، بنَتْها اليونانُ للرَّصدِ ، ثم بعدَ ذلك سقَطَتِ الشماليتانِ وبقِيتِ القبليتان[7] إلى الآنَ ، وقد أُحرِق بعضُ الشرقيةِ بعدَ

---

(١) تاريخ دمشق ٢/ ٢٧٨، ٢٧٩ بنحوه .

(٢) فى الأصل : « القبليتلة » .

(٣ - ٣) فى ٢١، م ، ص : « الوالى خوفا من الناس وأرسلها إليه » .

(٤) تاريخ دمشق ٢٧٩/٢ بنحوه .

(٥) بعده فى ص زيادة وهى من زيادات الناسخ .

(٦) فى م : « الكومة » .

(٧) فى الأصل : « القليتان » .

الأربعين وسبعِمائةٍ ، فنقِضتْ وجدِّد بناؤها مِن أموالِ النَّصارَى ، حيثُ اتُّهِموا بحريقِها ، فقامتْ على أحسنِ الأشكالِ ، بيضاءَ بذاتِها وهى ، واللَّهُ أعلمُ ، (١المنارةُ الشرقيةُ١) التى ينزِلُ عليها عيسى ابنُ مريمَ فى آخرِ الزمانِ بعدَ خروجِ الدَّجّالِ ، كما ثبَت ذلك فى «صحيحِ مسلمٍ» ، عن النوّاسِ بنِ سمعانَ(٢) .

(٣قلتُ : ثم أُحرِق أعلَى هذه المنارةِ وجدِّدتْ ، وكان أعلاها مِن خشبٍ فبنِيتْ بحجارةٍ كلُّها فى آخرِ السبعين وسبعِمائةٍ ، فصارتْ كلُّها مبنيةً بالحجارةِ٣) .

والمقصودُ أنَّ الجامعَ الأمويَّ لمّا كمَل بناؤُه لم يكُنْ على وجهِ الأرضِ بناءٌ أحسنَ منه ، ولا أبهَى ولا أجَلَّ منه ، بحيثُ إنَّه إذا نظَر الناظرُ إليه ، أو إلى أيِّ(٤) جهـةٍ منه ، أو إلى أيِّ(٤) بُقعةٍ ، أو مكانٍ منه ، تحيَّر فيما ينظُرُ إليه ؛ لحُسنِه جميعِه ، (٥ولا يمَلُّ ناظِرُه ، بل كلَّما أدمَن النظرَ ، بانتْ له أُعجوبةٌ ليستْ كالأخرَى٥) .

وكانتْ فيه طِلَّسماتٌ مِن أيامِ اليونانِ ، فلا يدخُلُ هذه البقعةَ شىءٌ مِن الحشَراتِ بالكليَّةِ ؛ لا مِن الحيَّاتِ ، ولا مِن العقاربِ ، ولا الخنافسِ ، ولا العناكيبِ ، ويقالُ : ولا العصافيرُ أيضًا تعشِّشُ فيه ، ولا الحَمامُ ، ولا شىءٌ مِمّا يتأذَّى به الناسُ .

(١ - ١) فى ا ٢: «الشرقية» ، وفى م : «الشرفة» .
(٢) صحيح مسلم (٢٩٣٧/١١٠) .
(٣ - ٣) سقط من : ا ٢ .
(٤) سقط من : م .
(٥ - ٥) زيادة من : ا ٢ ، م ، ص .

وأكثرُ هذه الطِلَّسماتِ أو كلُّها كانتْ مودعَةً فى سقفِ الجامعِ[(1)] ، مِمَّا يلِى السُّبْعَ ، فأحرِقتْ لمّا[(2] وقَع فيه الحريقُ ، وكان ذلك[2)] ليلةَ النصفِ مِن شعبانَ بعدَ العصرِ ، سنةَ إحدَى وستين وأربعِمائةٍ ، فى دولةِ الفاطميِّين ، كما سيأتى ذلك فى موضعِه .

وقد كانتْ بدمشقَ طِلَّسماتٌ وضَعتْها اليونانُ ، [١٤٩/٧ظ] بعضُها باقٍ إلى يومِنا هذا . واللَّهُ أعلمُ .

فمِن ذلك العمودُ الذى فى رأسِه مثلُ الكرةِ[(3] بسوقِ الشعيرِ[3)] عندَ قنطرةِ أمِّ حكيمٍ ، وهذا المكانُ يعرَفُ اليومَ بالعَلَبيين ، ذكَر مشايخُ دمشقَ أنَّه مِن وضْعِ اليونانِ لعُسْرِ بولِ الحيوانِ ، فإذا داروا بالحيوانِ حولَ هذا العمودِ ثلاثَ دوْراتٍ انطلَق بولُه[(4)] ، وذلك مجرَّبٌ عند[(5)] اليونانِ[(6)] .

وما زال سليمانُ بنُ عبدِ الملكِ يعمَلُ فى تكملةِ الجامعِ الأمويِّ بعدَ موتِ أخيه مدةَ ولايتِه ، وجدِّدتْ له فيه المقصورةُ ، فلمّا وَلِى عمرُ بنُ عبدِ العزيزِ ، عزَم

---

(1) فى ا ٢، م : « هذا المعبد » .

(٢ - ٢) فى ا ٢، م ، ص : « أحرق » .

(٣ - ٣) فى الأصل : « بسوق الشعر » ، وفى م : « فى سوق الشعير » . وانظر تاريخ دمشق ٢/ ٢٨١.

(٤) فى ا ٢، م : « باطنه فبال » .

(٥) فى ا ٢، م ، ص : « من عهد » .

(٦) بعده فى م : « قال ابن تيمية عن هذا العمود : إن تحته مدفونا جبار عنيد ، كافر يعذب ، فإذا داروا بالحيوان حوله سمع العذاب ، فراث وبال من الخوف ، قال : ولهذا يذهبون بالدواب إلى قبور النصارى واليهود والكفار ، فإذا سمعت أصوات المعذبين انطلق بولها . والعمود المشار إليه ليس له سر ، ومن اعتقد أن فيه منفعة أو مضرة ، فقد أخطأ خطأ فاحشا . وقيل : إن تحته كنزا وصاحبه عنده مدفون ، وكان ممن يعتقد الرجعة إلى الدنيا ، كما قال تعالى : ﴿وقالوا ما هى إلا حياتنا الدنيا نموت ونحيا وما نحن بمبعوثين﴾ والله سبحانه وتعالى أعلم » .

على أن يجرِّدَ ما[1] فيه مِن الذهبِ، ويقلَعَ السلاسلَ والرُّخامَ والفُسَيفساءَ[2]، ويردَّ ذلك كلَّه إلى بيتِ المالِ، [3]ويُطيِّنَه مكانَ ذلك كلِّه[3]، فشقَّ ذلك على أهلِ البلدِ، واجتمَع أشرافُهم إليه، وقال خالدُ بنُ عبدِ اللهِ القَسْرِيُّ[4]: أنا أكلِّمُه لكم. [5]فلمّا اجتمَعوا قال خالدٌ[5]: يا أميرَ المؤمنين، بلَغَنا [6]أنَّك تريدُ أن تصنَعَ[6] كذا وكذا. قال: نعم. فقال خالدٌ: ليس ذلك لك يا أميرَ المؤمنين. فقال عمرُ: ولِمَ يا ابنَ الكافرةِ؟ وكانت أمُّه نصرانيَّةً روميَّةً أمَّ ولدٍ - فقال: يا أميرَ المؤمنين، إن كانت كافرةً، فقد ولَدتْ رجلًا مؤمنًا. فقال: صدَقتَ. واستحيَا عمرُ، ثم قال له: فلِمَ قلتَ ذلك؟ قال: يا أميرَ المؤمنين، لأنَّ غالبَ ما فيه مِن الرُّخامِ إنَّما حمَله المسلمون مِن أموالِهم مِن سائرِ الأقاليمِ، وليس هو لبيتِ المالِ. فأطرَق عمرُ، رحِمه اللهُ.

قالوا[7]: واتَّفَق في ذلك الزمانِ قُدومُ جماعةٍ مِن بلادِ الرومِ رسلًا مِن عندِ ملكِهم، فلمّا دخَلوا مِن بابِ البريدِ، وانتهَوْا إلى البابِ الكبيرِ الذي تحتَ النَّسرِ، ورأَوْا ما بهَر عقولَهم مِن حُسنِ ذلك الجامعِ الباهرِ، والزخرفةِ التي لم يُسمَعْ بمثلِها صعِق كبيرُهم، وخرَّ مغشيًّا عليه، فحمَلوه إلى منزلِهم، فبقِي أيامًا مدنِفًا، فلما تماثَل، سألوه عمّا عرَض له، فقال: ما كنتُ أظنُّ أن يبنيَ المسلمون مثلَ هذا البناءِ، وكنتُ أعتقِدُ أن مدَّتَهم تكونُ أقصرَ مِن هذا. فلمّا بلَغ ذلك عمرَ بنَ

---

(1) في م: «مما».
(2) في الأصل، ا ٢: «السقوف». وانظر تاريخ دمشق ٢/ ٢٧٥.
(٣ - ٣) في ا ٢، م، ص: «يجعل مكان ذلك كله طينا».
(4) تاريخ دمشق ٢/ ٢٧٥.
(٥ - ٥) سقط من: ا ٢، م.
(٦ - ٦) في ا ٢، م: «عنك».
(7) تاريخ دمشق ٢/٢٧٥، ٢٧٦ بنحوه.

عبدِ العزيزِ قال: أوَ إنَّ (١هذا لَغيظُ١) الكفارِ؟ دعوه.

وسألتِ النصارى(٢) فى أيامِ عمرَ بنِ عبدِ العزيزِ أن يعقِدَ لهم مجلسًا فى شأنِ ما كان أخَذه الوليدُ منهم - وكان عمرُ عادلًا، فأراد أن يردَّ عليهم ما كان أخَذه الوليدُ منه - فأدخَله فى الجامعِ، ثم حقَّق عمرُ القضيَّةَ، ثم نظَر؛ فإذا الكنائسُ التى هى خارجُ البلدِ لم تدخُلْ فى الصلحِ الذى كتَبه لهم الصحابةُ؛ مثلَ كنيسةِ دَيرِ مُرّانَ(٣)، وكنيسةِ الرّاهبِ، وكنيسةِ توما، خارجَ بابِ توما، [٧/١٥٠و] وسائرِ الكنائسِ التى بقُرَى الحواضرِ(٤)، فخيَّرهم بينَ ردِّ ما سألوه، وتخريبِ هذه الكنائسِ كلِّها، أو تبقَى تلك الكنائسُ، ويَطِيبوا نفسًا للمسلمين بهذه البقعةِ، فاتَّفَقتْ آراؤهم بعدَ ثلاثةِ أيامٍ على إبقاءِ تلك الكنائسِ، ويكتُبُ لهم كتابَ أمانٍ بها، ويَطِيبوا نفسًا بهذه البقعةِ، فكتَب لهم كتابَ أمانٍ بها.

والمقصودُ أنَّ الجامعَ الأمويَّ كان حينَ تكامَل بناؤُه ليس له فى الدنيا نظيرٌ(٥) فى حسنِه وبهجتِه.

قال الفرزدقُ: أهلُ دمشقَ، فى بلدِهم قصرٌ مِن قصورِ الجنةِ. يعنى به الجامعَ الأمويَّ.

وقال أحمدُ بنُ أبى الحواريِّ(٦)، عن الوليدِ بنِ مسلمٍ، عن ابنِ ثوبانَ: ما

(١ - ١) فى الأصل: «هذا ليغيظ»، وفى م: «الغيظ أهلك».

(٢) تاريخ دمشق ٢٧٣/٢، ٢٧٤ بنحوه.

(٣) بعده فى ١ ٢: «بسفح قاسيون وهى بقرية المعظمية»، وفى م: «بسفح قاسيون وهى التربة المعظمة».

(٤) فى ١ ٢: «الحواظر»، وفى م: «الحواجز».

(٥) فى ١ ٢، م: «مثيل».

(٦) أخرجه ابن عساكر فى تاريخه ٢/٢٤٦، من طريق أحمد بن أبى الحوارى به.

ينبغي[1] أن يكونَ أحدٌ[2] أشدَّ شوقًا إلى الجنةِ مِن أهلِ دمشقَ ؛ لِما يرَون مِن حسنِ مسجدِها .

قالوا[3] : ولمّا دخَل المهديُّ[2] - أميرُ المؤمنين العباسيُّ[2] - دمشقَ يريدُ زيارةَ [4]بيتِ المقدسِ[4] ، نظَر إلى جامعِ دمشقَ ، فقال لكاتبِه أبي عبيدِ اللَّهِ الأشعريِّ : سبَقنا بنو أميةَ بثلاثٍ ؛ بهذا المسجدِ ، لا أعلَمُ على وجهِ الأرضِ مثلَه ، وبنُبلِ[5] الموالي ، وبعمرَ بنِ عبدِ العزيزِ ، لا يكونُ واللَّهِ فينا مثلُه أبدًا . ثم لمّا أتَى بيتَ المقدسِ ، فنظَر إلى الصخرةِ - وكان [6]عبدُ الملكِ بنُ مروانَ هو الذي[6] بناها - قال لكاتبِه : وهذه رابعةٌ .

ولمّا دخَل المأمونُ دمشقَ ، فنظَر إلى جامعِها ، وكان معه أخوه المعتصمُ ، وقاضيه يحيى بنُ أكثمَ ، قال[7] : ما أعجَبُ ما فيه ؟ فقال أخوه : هذه الأذهابُ التي فيه . وقال يحيى بنُ أكثمَ : هذا[2] الرخامُ ، وهذه العُقَدُ . فقال المأمونُ[8] : إنما أعجَبُ مِن [9]حُسنِ بُنيانِه[9] على غيرِ مثالٍ متقدِّمٍ . ثم قال المأمونُ لقاسمٍ

---

(١) في ١ ٢: «لأحد على وجه الأرض»، وبعده في م: «لأحد من أهل الأرض».
(٢) سقط من: ١ ٢، م.
(٣) تاريخ دمشق ٢/٢٤٦ ، ٢٤٧ بنحوه.
(٤ - ٤) في ١ ٢، م: «زيارة القدس».
(٥) في ١ ٢: «نبيل».
(٦ - ٦) في الأصل، ١ ٢: «الوليد بن عبد الملك». وفي حاشية ١ ٢: «عبد الملك بن مروان هو الذي بناها والله أعلم».
(٧) تاريخ دمشق ٢/٢٤٧.
(٨) بعده في ١ ٢، م: «إني».
(٩ - ٩) في الأصل: «بنائه».

التَّمّارِ : أخبِرْنى باسمٍ حسنٍ أسمِّى به جاريتى هذه . فقال : سمِّها مسجدَ دمشقَ ؛ فإنَّه أحسنُ شىءٍ .

وقال عبدُ الرحمنِ ، (١) بنُ عبدِ اللَّهِ (١) بنِ عبدِ الحكمِ ، عن الشافعىِّ قال(٢) : عجائبُ الدنيا خمسةٌ ؛ أحدُها منارتُكم هذه - يعنى منارةَ ذى القرنين التى بإسكندريةَ - والثانيةُ أصحابُ الرقيمِ ؛ وهم بالرومِ اثنا عشَرَ رجلًا ، (٣) أو ثلاثةَ عشَرَ رجلًا (٣) ، والثالثةُ مرآةٌ ببابِ(٤) الأندلسِ على بابِ مدينتِها ، يجلِسُ الرجلُ تحتَها ، فينظُرُ فيها صاحبَه مِن مسافةِ مائةِ فرسخٍ(٥) ، والرابعُ مسجِدُ دمشقَ ، وما يوصَفُ مِن الإنفاقِ عليه ، والخامسُ الرخامُ والفسيفساءُ ؛ فإنَّه لا يُدرى لهما(٦) موضعٌ ، ويقالُ : إن الرخامَ معجونٌ ، والدليلُ على ذلك أنَّه يذوبُ على(٧) النارِ .

[٧/١٥٠ظ] قال ابنُ عساكرَ(٨) : وذكَر إبراهيمُ بنُ أبى الليثِ الكاتبُ - وكان قدِم دمشقَ سنةَ اثنتين وثلاثين وأربعِمائةٍ - فى رسالةٍ له قال : ثم أُمِرنا بالانتقالِ (٣) إلى البلدِ (٣) ، فانتقَلتُ منه إلى بلدٍ تمَّتْ محاسنُه ، ووافَق ظاهرَه باطنُه ، أزقَّتُه

(١ - ١) سقط من الأصل ، وفى ا ٢ ، م : « عن » . والمثبت من مصدر التخريج الآتى . وانظر تهذيب الكمال ١٧/ ٢١٣.

(٢) أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ٢/٢٤٧ ، ٢٤٨ ، من طريق عبد الرحمن به .

(٣ - ٣) سقط من : ا ٢ ، م .

(٤) فى الأصل : « بنات » .

(٥) بعده فى ا ٢ ، م ، ص : « وقيل : ينظر من بالقسطنطينية » .

(٦) فى الأصل : « له » ، وفى ا ٢ ، م : « لها » . والمثبت من مصدر التخريج .

(٧) فى الأصل : « فى » .

(٨) تاريخ دمشق ٢/ ٢٤٨.

أرِجةٌ، وشوارعُه فَرِجةٌ، فحيثُ ما شئت[1] شمَمتَ طيبًا، وأين سعَيت رأيتَ منظرًا عجيبًا، و[2]أفضَيتُ إلى جامعِه، فشاهَدتُ منه ما ليس فى استطاعةِ الواصفِ أن يصِفَه، ولا الرّائى أن يعرِفَه، وجملتُه أنَّه بِكْرُ[3] الدَّهرِ، ونادِرةُ الوقتِ، وأعجوبةُ الزمانِ، وغريبةُ الأوقاتِ، ولقد أثبَت اللَّهُ، عزَّ وجلَّ، به ذكْرًا يُدرَسُ، وخلَّف به أمرًا لا يخفَى ولا يَدرُسُ.

قال ابنُ عساكرَ[4]: وأنشَدنى بعضُ [5]أهلِ الأدبِ لبعضِ[5] المحدِّثين فى جامعِ دمشقَ، عمَّره اللَّهُ بذكرِه[6]:

دمشقُ قد شاعَ حسنُ جامعِها	وماحوَتْه رُبَى مرابعِها
بديعةُ الحسنِ فى الكمالِ لِما	يُدْرِكُه الطرفُ مِن بدائعِها
طيِّبةٌ أرضُها مباركةٌ	باليُمنِ والسعدِ أخْذُ طالعِها
جامِعُها جامِعُ المحاسنِ قد	فاقَتْ به المُدْنَ فى جوامعِها
بَنِيَّةٌ بالإتقانِ قد وضِعتْ	لا ضيَّع اللَّهُ سعىَ واضعِها
تذكَرُ فى فضلِهِ ورِفْعتِه	أخبارُ[7] صدْقٍ راقَتْ لسامعِها
قد كان قبلَ الحريقِ مَدهشةً	[8]فغيَّرتْه نارٌ[8] بلافِعِها[9]

---

(١) فى م: «مشيت».
(٢) بعده فى ا ٢، م: «إن».
(٣) فى م: «كنز».
(٤) تاريخ دمشق (ط. مجمع اللغة العربية - المجلدة الثانية - القسم الأول) ص ٣٨، ٣٩.
(٥ - ٥) سقط من: ا ٢، م.
(٦) بعده فى ا ٢، م: «وفى دمشق فقال».
(٧) فى ا ٢، م: «آثار».
(٨ - ٨) فى م: «فغيرت ناره».
(٩) فى الأصل، م، ص: «بلاقعها»، وفى ٢١: «بدائعها». والمثبت من مصدر التخريج. وانظر عيون التواريخ أحداث سنة ٨٦.

فأذهَبتْ بالحريقِ بهجتَه فليس يُرجَى إيابُ[1] راجعِها

إذا تفكَّرتَ فى الفصوصِ وما فيها تيقَّنتَ حِذْقَ راصعِها[2]

أشجارُها لا تزالُ مثمِرةً لا تذهَبُ[3] الريحُ مِن مدافعِها

كأنَّها مِن زمرُّدٍ غرِستْ فى أرضِ تِبرٍ تغشَى بفاقعِها[4]

فيها ثمارٌ تخالُها يَنَعتْ وليس يُخشَى فسادُ يانعِها

تُقطَفُ باللَّحظِ لا بجارحةِ الْـ أيدى ولا تُجتَنى[5] لبائعِها

وتحتَها مِن رخامِهِ قِطَعٌ لا قطَّع اللَّهُ كفَّ قاطعِها

أحكَم ترخيمَها المرخِّمُ قد بانَ عليها إحكامُ صانعِها

[١٥١/٧و] وإن تفكَّرتَ فى قناطرِه وسقفِه بان حِذقُ رافعِها[6]

وإن تبيَّنْتَ حُسنَ قُبَّتِه تحيَّر اللبُّ فى أضالِعها

تخترقُ الريحُ فى مخارمِها[7] عصفًا فتقوَى على زعازعِها

[8]وأرضُه بالرخامِ قد فرِشتْ ينفسِحُ الطرفُ فى مواضعِها[8]

مجالسُ العلمِ فيه مُتْقَنةٌ[9] ينشرِحُ الصدرُ فى مجامعِها

---

(١) فى الأصل: «آيات».
(٢) فى الأصل، ا ٢: «واضعها».
(٣) فى ا ٢، م: «ترهب».
(٤) فى ا ٢: «نفافعها»، وفى م: «بنافعها».
(٥) فى الأصل: «تخشى». وانظر تاريخ دمشق ٣١٣/١ (مخطوط).
(٦) فى الأصل: «صانعها».
(٧) فى ا ٢، م، ص: «منافذها».
(٨ - ٨) سقط من: الأصل، ا ٢، ص.
(٩) فى النسخ: «مؤنقة». والمثبت من تاريخ دمشق.

وكـلُّ بـابٍ عـلـيـه مَـطْـهَـرَةٌ   قد أمِن الناسُ دفعَ مانعِها
يرتـفِـقُ الخلقُ[1] مِن مرافقِـهـا   ولا يُـصَـدُّون عن منافعِـهـا
ولا تـزالُ المياهُ جـاريـةً   فيهـا لِما شُـقَّ مِن مشارعِـهـا
وسـوقُـهـا لا تـزالُ آهِـلَـةً   يزدحِمُ النـاسُ فى شوارعِـهـا
لِما يـشـاءون مِـن فـواكِـهِـهـا   ومـا يـريـدون مِـن بـضـائـعِـهـا
كـأنّـهـا جـنّـةٌ مـعـجّـلـةٌ   فى الأرضِ لولا سُرَى[2] فجائعِها
دامَتْ برغمِ العِدَى مسلَّمةً   وحـاطَـهـا اللّـهُ مِن قـوارعِـهـا

فصـلٌ: فيما رُوِى فى جامعِ دمشقَ من الآثارِ، وما وَرَد فى فضلِه مِن الأخبارِ عن جماعةٍ مِن السادةِ الأخيارِ

رُوِى عن قتادةَ أنّه قال فى قولِه تعالى: ﴿وَالتِّينِ﴾ قال[3]: هو مسجدُ دمشقَ. ﴿وَالزَّيْتُونِ﴾ قال: هو مسجدُ بيتِ المقدسِ. ﴿وَطُورِ سِينِينَ﴾ حيثُ كلَّم اللّهُ موسَى ﴿وَهَٰذَا الْبَلَدِ الْأَمِينِ﴾ وهو مكةُ.

[4]ونقَل عثمانُ بنُ أبى العاتِكةِ، عن أهلِ العلمِ، أنّهم قالوا فى قولِه تعالى: ﴿وَالتِّينِ﴾ هو مسجدُ دِمشقَ[4]. رواه ابنُ عساكرَ[3].

---

(1) فى ا ٢، م، ص: «الناس».
(2) فى الأصل، ا ٢، م: «مسرى».
(3) تاريخ دمشق ٢/ ٢٣٧.
(٤ - ٤) سقط من: م.

وقال صفوانُ بنُ صالحٍ[1]، عن عبدِ الخالقِ بنِ زيدِ بنِ واقدٍ، عن أبيه، عن عطيةَ بنِ قيسٍ الكِلابيِّ، قال: قال كعبُ الأحبارِ: ليُبْنَيَنَّ فى دمشقَ مسجدٌ يبقَى بعدَ خرابِ الدنيا أربعين عامًا.

وقال الوليدُ بنُ مسلمٍ[2]، عن عثمانَ بنِ أبى العاتِكَةِ، عن عليِّ بنِ يزيدَ[3]، عن القاسمِ أبى[4] عبدِ الرحمنِ، قال: أوحَى اللَّهُ تعالى إلى جبلِ قاسِيُونَ أنْ هَبْ ظِلَّكَ وبركتَكَ إلى جبلِ بيتِ المقدسِ. قال: ففعَل. فأوحَى اللَّهُ إليه: أمَا إذ فعَلتَ فإنِّى سأبنى لى فى حضنِك[5] بيتًا أُعبَدُ فيه بعدَ خرابِ الدنيا أربعين عامًا، ولا تذهَبُ الأيامُ والليالى حتى أرُدَّ عليك ظِلَّكَ وبركتَكَ. قال: فهو عندَ اللَّهِ بمنزلةِ المؤمنِ الضعيفِ المتضرِّعِ.

وقال دُحَيمٌ[6]: حيطانُ المسجدِ الأربعةُ من بناءِ هودٍ، عليه السلامُ، [١٥١/٧ظ] وما كان من الفُسيفِساءِ إلى فوقَ فهو من بناءِ الوليدِ بنِ عبدِ الملك - يعنى أنَّه رفَع الجِدارَ فعَلَّاه من حدِّ الرخامِ والكرمةِ إلى فوقَ. وقال غيرُه[7]: إنما بنَى هودٌ الجِدارَ القبليَّ فقطْ.

وقال أبو بكرٍ أحمدُ بنُ عبدِ اللَّهِ بنِ الفرجِ، المعروفُ بابنِ البِرَامِيِّ[8]،

---

(١) أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ٢٣٨/٢، من طريق صفوان بن صالح به.

(٢) أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ٢٣٩/٢ من طريق الوليد بن مسلم به.

(٣) فى م: «زيد». وانظر تهذيب الكمال ١٧٨/٢١.

(٤) فى مصدر التخريج: «بن». وهو القاسم بن عبد الرحمن الشامى أبو عبد الرحمن الدمشقى. انظر تهذيب الكمال ٣٨٣/٢٣.

(٥) فى ١ ٢، ص: «حظنك». وفى م: «خطتك».

(٦) أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ٢٣٩/٢.

(٧) تاريخ دمشق ٢٦٠/٢ بنحوه.

(٨) فى تاريخ دمشق: «البرانى». وانظر تكملة الإكمال ٤٩١/١.

الدِّمشقيُّ[1] : ثنا إبراهيمُ بنُ مروانَ ، سمِعتُ أحمدَ بنَ إبراهيمَ بنِ مُلّاسٍ يقولُ : سمِعتُ عبدَ الرحمنِ بنَ يحيى بنِ إسماعيلَ بنِ عُبيدِ اللَّهِ بنِ أبى المهاجرِ ، قال : كان خارجَ بابِ الساعاتِ صخرةٌ يوضَعُ عليها القُربانُ ، فما تُقُبِّل منه جاءتْ نارٌ فأكَلتْه ، وما لم يُتقبَّلْ منه بقِى على حالِه .

قلتُ : وهذه الصخرةُ نُقِلتْ إلى داخلِ بابِ الساعاتِ ، وهى موجودةٌ إلى الآنَ ، وبعضُ العامةِ يزعُمُ أنها الصخرةُ التى وضَع عليها ابنا آدمَ قربانَهما ، فتُقُبِّل مِن أحدِهما ، ولم يُتقبَّلْ من الآخرِ . فاللَّهُ أعلمُ .

وقال هشامُ بنُ عمّارٍ[2] : ثنا الحسنُ بنُ يحيى الخُشَنِيُّ[3] أنَّ رسولَ اللَّهِ ﷺ ، ليلةَ أُسرِى به ، صلَّى فى موضعِ مسجدِ دمشقَ . قال ابنُ عساكرَ : وهذا منقطعٌ . قلتُ : ومنكَرٌ جدًّا ، ولا يثبُتُ أيضًا لا من هذا الوجهِ ، ولا من غيرِه .

وقال أبو بكرٍ البِرَامىُّ[4] : حدَّثنا أبو إسحاقَ إبراهيمُ بنُ عبدِ الملكِ بنِ المغيرةِ المقرئُ ، حدَّثنى أبى ، عن أبيه ، أنَّ الوليدَ بنَ عبدِ الملكِ تقدَّم إلى القُوَّامِ ليلةً مِن الليالى فقال : إنى أريدُ أن أصلِّىَ الليلةَ فى المسجدِ ، فلا تترُكوا (٥) فيه أحدًا حتى أصلِّىَ الليلةَ (٥) . ثم إنَّه أتَى بابَ الساعاتِ ، فاستفتَح البابَ ففتِح له ، فإذا رجلٌ

---

(١) أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ٢/ ٢٣٧، ٢٣٨، من طريق أبى بكر أحمد بن عبد اللّٰه بن الفرج به .
(٢) أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ٢/ ٢٣٨، من طريق هشام بن عمار به .
(٣) فى ا ٢: «الحسن»، وفى م، ص: «الحسنى». وانظر تهذيب الكمال ٦/ ٣٣٩.
(٤) الخبر فى تاريخ دمشق ٣٠٣/١ (مخطوط)، ٢٤٤/٢ ، ٢٤٥. وفى سندهما خلط كبير. والسند كما أورده المصنف هو الصواب ، وانظر تاريخ دمشق (ط. مجمع اللغة العربية بدمشق - المجلدة الثانية - القسم الأول) ص ١٣.
(٥ - ٥) فى ا ٢، م، ص: «أحدا يصلى الليلة فى المسجد فقال له بعضهم: يا أمير المؤمنين هذا الخضر يصلى فى المسجد كل ليلة. وفى رواية ؛ أنه قال لهم: لا تتركوا أحدًا يدخله».

قائمٌ بين بابِ الساعاتِ ، وبابِ الخضراءِ الذى يلى المقصورةَ يُصلِّى ، وهو أقرَبُ إلى بابِ الخضراءِ منه إلى بابِ الساعاتِ ، فقال[1] للقُوَّامِ : ألم آمُرْكم أن لا تترُكوا أحدًا الليلةَ يصلِّى فى المسجِدِ ؟ فقال له بعضُهم : يا أميرَ المؤمنين ، هذا الخَضِرُ ، عليه السلامُ ، يصلِّى كلَّ ليلةٍ فى المسجِدِ . فى إسنادِ هذه الحكايةِ وصحَّتِها نظرٌ ، ولا يثبُتُ بمثلِها وجودُ الخَضِرِ بالكليَّةِ ، ولا صلاتُه فى هذا المكانِ المذكورِ . واللَّهُ أعلَمُ .

وقدِ اشتُهِر فى الأعصارِ المتأخِّرةِ أن الزاويةَ القِبليَّةَ عند بابِ المِئذنةِ الغربيةِ تُسمَّى زاويةَ الخَضِرِ ، وما أدرِى ما سببُ ذلك ، والذى ثبَت بالتواترِ صلاةُ الصحابةِ فيه[2] ، وأولُ مَن صلَّى فيه إمامًا أبو عبيدةَ بنُ الجرَّاحِ ، وهو أميرُ الأمراءِ بالشامِ ، وأحدُ العشَرةِ المشهودِ لهم بالجنةِ ، وأمينُ هذه الأمةِ ، وصلَّى فيه خلقٌ من الصحابةِ[3] ، لكنْ قبلَ أن يغيِّرَه الوليدُ إلى هذه الصفةِ ، فأمّا بعدَ أنْ غيَّر إلى هذا الشكلِ فلم يرَه أحدٌ من الصحابةِ [٧/١٥٢و] كذلكَ إلا أنسُ بنُ مالكٍ ؛ فإنَّه ورَد دمشقَ سنةَ ثنتين وتسعين ، وهو يبنِى [4] فى هذا الجامعِ [4] ، فصلَّى فيه أنسٌ وراءَ[5] الوليدِ ، وأنكَر أنسٌ على الوليدِ تأخيرَ الصلاةِ إلى آخرِ وقتِها ، كما قدَّمنا ذلك فى ترجمةِ أنسٍ ، عند ذكْرِ وفاتِه سنةَ ثلاثٍ وتسعين[6] .

وسيصلِّى فيه عيسى ابنُ مريمَ[7] إذا نزَل فى آخرِ الزمانِ ، إذا خرَج الدَّجّالُ

---

(١) بعده فى ا ٢، م ، ص : « الوليد » .

(٢) بعده فى ا ٢، م ، ص : « وكفى بذلك شرفا له ولغيره من المساجد التى صلوا فيها » .

(٣) بعده فى ا٢، م ، ص : « مثل معاذ بن جبل وغيره » .

(٤ - ٤) فى ا٢، م ، ص : « فيه الوليد » .

(٥) فى م : « ورأى » .

(٦) تقدم فى ص ٤٤٦.

(٧) تقدم فى ٩/ ٣٠٤، من حديث النواس بن سمعان عند مسلم. وأخرجه أحمد ٤/ ١٨١، ١٨٢، وأبو داود (٤٣٢١)، والترمذى (٢٢٤٠)، وابن ماجه (٤٠٧٥)، كلهم من حديث النواس أيضا .

وعمَّتِ البلوَى به ، وانحصَر الناسُ منه بدمشقَ ، فينزِلُ مسيحُ الهُدَى فيقتُلُ مسيحَ الضلالةِ ، ويكونُ نزولُه على المنارةِ الشرقيةِ بدمشقَ وقتَ صلاةِ الفجرِ[1] ، فيأتى وقد أُقيمتِ الصلاةُ ، فيقولُ له إمامُ الناسِ : تقدَّمْ يا رُوحَ اللَّهِ . فيقولُ : إنَّما أُقيمتْ لكَ ، فيصلِّى عيسى تلكَ الصلاةَ خلفَ رجلٍ مِن هذه الأُمةِ . يقالُ : إنَّه المهدىُّ . فاللَّهُ أعلمُ .

ثم يخرُجُ عيسى بالناسِ فيدرِكُ الدجَّالَ عندَ عَقبةِ أَفِيقَ ، وقيل : ببابِ لُدٍّ . فيقتُلُه بيدِه هنالكَ . وقد ذكَرنا ذلك مبسوطًا عندَ قولِه تعالى[2] : ﴿ وَإِن مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِۦ قَبْلَ مَوْتِهِۦ ﴾ [النساء: ١٥٩] . وفى الصحيحِ[3] عن النبىِّ ﷺ : « والذى نفسى بيدِه لينزلَنَّ فيكم ابنُ مريمَ حَكَمًا مُقسِطًا ، وإمامًا عادِلًا ، فيكسِرُ الصليبَ ، ويقتُلُ الخنزيرَ ، ويضَعُ الجزيةَ ، ولا يقبَلُ إلا الإسلامَ » .

والمقصودُ أنَّ عيسى ، عليه السلامُ ، ينزِلُ ، والبلدُ[4] محصَّنٌ من الدجّالِ ، ويكونُ نزولُه على المنارةِ الشرقيةِ بدمشقَ - وهى هذه المنارةُ المبنيةُ فى زمانِنا من أموالِ النصارَى ؛ (٥ حيثُ أحرَقُوها فجدَّدتْ من أموالِهم ٥) - ثم يكونُ نزولُ عيسى حتفًا لهم ، وهلاكًا ودمارًا عليهم ، ينزِلُ بين مَلَكين واضعًا يدَيْه على

---

(١) بعض حديث طويل أخرجه أحمد ٤/ ٢١٦، ٢١٧، والطبرانى فى الكبير ٩/ ٥١، ٥٢ (٨٣٩٢)، والحاكم ٤/ ٤٧٨، كلهم من حديث عثمان بن أبى العاص، بنحوه.
قال الهيثمى فى المجمع ٧/ ٣٤٢: رواه أحمد والطبرانى وفيه على بن زيد وفيه ضعف وقد وثق، وبقية رجالهما رجال الصحيح.

(٢) تفسير ابن كثير ٢/ ٤٠٦ - ٤١٨.

(٣) رواه مسلم من طرق عن أبى هريرة (٢٤٢، ٢٤٣/ ١٥٥) بدون ذكر: « ولا يقبل إلا الإسلام ».

(٤) بعده فى ا ٢، م، ص: « محصور ».

(٥ - ٥) سقط من: ا ٢، م، ص.

مناكِبِهما ، وعليه مَهرُودَتان[(١)] - وفى روايةٍ[(٢)] : ممصَّرتان[(٣)] - يقطُرُ رأسُه ماءً ، كأنَّما خرَجَ من دِيماسٍ[(٤)] ، وذلك وقتَ الفجرِ ، فينزِلُ مِن المنارةِ وقد أُقيمَتِ الصلاةُ ، وهذا إنَّما يكونُ فى المسجدِ الأعظمِ بدمشقَ ، وهو هذا الجامعُ .

وما وقَع فى « صحيحِ مسلمٍ » مِن روايةِ النوّاسِ بنِ سِمْعانَ الكِلابىِّ[(٥)] : « فينزِلُ على المنارةِ البيضاءِ شرقىَّ دمشقَ » . كأنَّه - واللَّهُ أعلمُ - مروىٌّ بالمعنى بحسَبِ ما فهِمه الراوى ، وإنَّما هو ينزِلُ على المنارةِ الشرقيةِ بدمشقَ ، وقد أُخبِرتُ ، ولم أقِفْ عليه إلى الآنَ أنَّه كذلك ، فى بعضِ ألفاظِ هذا الحديثِ ، فى بعضِ المصنَّفاتِ ، واللَّهُ المسئولُ المأمولُ أن يوفِّقَنى ، فيُوقِفَنى على هذه اللفظةِ .

وليس فى البلدِ منارةٌ تعرَفُ بالشرقيةِ سوى هذه ، وهى بيضاءُ بنفسِها ، ولا يعرَفُ فى بلادِ الشامِ منارةٌ أحسنُ منها ، ولا أبهَى ولا أعلى منها ، وللَّهِ الحمدُ والمنةُ[(٦)] .

---

(١) المهرودتان ، روى بالدال المهملة والذال المعجمة ، والمهملة أكثر ، والوجهان مشهوران ، وأكثر ما يقع فى النسخ بالمهملة ، كما هو المشهور ، ومعناه : لابس مهرودتين أى ثوبين مصبوغين بورس ثم بزعفران . وقيل : هما شقتان . والشقة : نصف الملاءة . مسلم بشرح النووى ١٨/ ٦٧.

(٢) رواه أبو داود (٤٣٢٤) ، وأحمد ٢/ ٤٠٦، ٤٣٧.

(٣) الممصرة من الثياب : التى فيها شىء من صفرة ليست بالكثيرة . تاج العروس (م ص ر) .

(٤) الديماس : الحمّام . الوسيط (د م س) .

(٥) تقدم فى ٩/ ٣٠٤.

(٦) بعده فى ص زيادة من زيادات الناسخ .

[٧/١٥٢ظ] الكلامُ على ما يتعلَّقُ برأسِ يحيى بنِ زكريا، عليهما السلامُ

ورَوَى ابنُ عساكرَ، عن زيدِ بنِ واقدٍ، قال[١]: وكَّلَنى الوليدُ على العمّالِ فى بناءِ جامعِ دمشقَ، فوجَدنا فيه مغارةً، فعرَّفنا الوليدَ ذلك، فلمّا كان الليلُ وافانا وبينَ يدَيه الشمعُ، فنزَل فإذا هى كنيسةٌ لطيفةٌ، ثلاثةُ أذرُعٍ فى ثلاثةِ أذرُعٍ، وإذا فيها صندوقٌ، ففتَح الصندوقَ فإذا فيه سَفَطٌ، وفى السَّفَطِ رأسُ يحيى بنِ زكريا، عليهما السلامُ، مكتوبٌ عليه: هذا رأسُ يحيى بنِ زكريا. فأمَر به الوليدُ فرُدَّ إلى المكانِ[٢]، وقال: اجعَلوا العمودَ الذى فوقَه مُغيَّرًا مِن بينِ الأعمدةِ. فجُعِل عليه عمودٌ مُسَفَّطُ الرأسِ.

وفى روايةٍ، عن زيدِ بنِ واقدٍ[٣]: أن ذلك الموضعَ كان تحتَ رُكنٍ مِن أركانِ القبَّةِ - يعنى قبلَ أن تُبنَى - قال: وكان على الرأسِ شعْرٌ وبَشَرٌ.

وقال الوليدُ بنُ مسلمٍ، عن زيدِ بنِ واقدٍ قال[٤]: حضَرتُ رأسَ يحيى بنِ زكريا، وقد أُخرِج مِن اللِّيطةِ[٥] القبليةِ الشرقيةِ التى عندَ مجلسِ بُجَيْلَةَ، فوُضِع تحتَ عمودِ السَّبْطِ[٦] السَّكاسِكِ[٧].

---

(١) أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ٢/ ٢٤٠، ٢٤١، من طريق زيد بن واقد به.

(٢) فى ١ ٢، م، ص: «مكانه».

(٣) أخرجها ابن عساكر فى تاريخ دمشق ٢/٢٤١، من طريق زيد بن واقد به بنحوه.

(٤) أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ٢/٢٤٢، من طريق زيد بن واقد به.

(٥) فى ص: «الميطة»، والليطة: هى كل شىء له صلابة ومتانة. الوسيط (ل ى ط).

(٦) سقط من النسخ، والمثبت من مصدر التخريج.

(٧) فى ١ ٢، ص: «السكاسكة»، وفى م: «الكاسة»، وانظر معجم البلدان ٣/ ١٠٥، والقاموس المحيط (س ك ك).

قال الأوزاعىُّ ، والوليدُ بنُ مسلمٍ[1] : هو العمودُ الرابعُ المُسَقَّطُ .

وروَى أبو بكرِ بنُ البِرَامىِّ ، عن أحمدَ بنِ أنسِ بنِ مالكٍ ، عن حبيبٍ المؤذِّنِ ، عن أبى زيادٍ[2] ، وأبى أميَّةَ الشَّعْبانيَّين ، عن سفيانَ الثورىِّ ، أنَّه قال[3] : صلاةٌ فى مسجدِ دمشقَ بثلاثين ألفَ صلاةٍ . وهذا غريبٌ جدًّا .

وروَى ابنُ عساكرَ[4] ، مِن طريقِ أبى مُسْهِرٍ ، عن المنذرِ بنِ نافعٍ - مولى أمِّ عمرٍو بنتِ مروانَ - عن أبيه - وفى روايةٍ : عن رجلٍ قد سمَّاه - أنَّ واثلةَ بنَ الأسقعِ خرَج مِن بابِ المسجدِ الذى يلِى بابَ جَيْرونَ ، فلَقِيه كعبُ الأحبارِ ، فقال : أين تريدُ ؟ قال واثلةُ : أريدُ بيتَ المقدسِ . فقال : تعالَ حتى[5] أُرِيَكَ موضِعًا فى هذا[5] المسجدِ مَن صلَّى فيه فكأنَّما صلَّى فى بيتِ المقدسِ . فذهَب به فأَراه ما بينَ البابِ الأصفرِ الذى يخرُجُ منه الوالى[6] إلى الحَنيَّةِ - يعنى القنطرةَ الغربيةَ - فقال : مَن صلَّى فيما بينَ هذين فكأنَّما[7] صلَّى فى بيتِ المقدسِ . فقال واثلةُ : إنَّه لمجلِسى ومجلسُ قومى . قال كعبٌ : هو ذاك . وهذا أيضًا غريبٌ جدًّا ، ومنكَرٌ ، ولايُعتَمَدُ على مثلِه .

وعن الوليدِ بنِ مسلمٍ قال[8] : لمَّا أمَر الوليدُ بنُ عبدِ الملكِ ببناءِ مسجدِ دمشقَ

---

(١) تاريخ دمشق ٢/٢٤١ ، ٢٤٢.

(٢) فى الأصل : « زكريا » .

(٣) أخرجه بنحوه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ٢/ ٢٤٣، ٢٤٤، من طريق أبى بكر بن البرامى به .

(٤) أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ٢/ ٢٤٥، من طريق أبى مسهر به .

(٥) سقط من : م .

(٦) بعده فى ا ٢، م، ص : « يعنى الخليفة » .

(٧) سقط من : ا ٢، ص . وفى الأصل : « فقد » .

(٨) أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق (ط . مجمع اللغة العربية بدمشق - المجلدة الثانية - القسم الأول) ص ٨ ، ٩.

وجَدوا فى حائطِ المسجدِ القبليِّ لَوحًا مِن حَجَرٍ فيه كتابٌ نَقْشٌ، فأَتَوا[1] به[2] الوليدَ، فبعَث إلى الرومِ فلم يستخرِجوه، ثم بعَث إلى [3]العِبرانيين، فلم يستخرِجوه[3]، [4]ثم بعَث إلى[4] [5]مَن كان[5] بدمشقَ مِن بقيةِ الأشبانِ[6]، فلم يستخرِجوه، فدُلَّ على وَهْبِ بنِ مُنَبِّهٍ [٧/١٥٣و] فبعَث إليه، فلمَّا قدِم عليه أخبَرَه بموضعِ ذلك اللَّوحِ، فوجَدوه فى ذلك الحائطِ - ويقالُ: إن ذلك الحائطَ بناه هودٌ، عليه السلامُ - فلمَّا نظَر إليه وهبٌ حرَّك رأسَه وقرَأه فإذا هو:

بسمِ اللَّهِ الرحمنِ الرحيمِ، ابنَ آدمَ، لو رأيتَ يسيرَ ما بقِى مِن أجلِك، لزهَدتَ فى طولِ ما ترجو مِن أملِك، وإنَّما تلْقَى ندمَك لو قد زلَّتْ بك قدمُك، وأسلَمك أهلُك وحَشَمُك، وانصرَف عنك الحبيبُ، [7]ووَدَّعك[7] القريبُ، ثم صِرتَ تُدعَى فلا تُجيبُ، فلا أنت إلى أهلِك عائدٌ، ولا فى[8] عملِك زائدٌ، فاعمَلْ لنفسِك قبلَ يومِ القيامةِ، وقبلَ الحسرةِ والندامةِ، قبلَ أن يحُلَّ بك أجلُك، وتُنزَعَ منك روحُك، فلا ينفَعُك مالٌ جمَعتَه، ولا ولدٌ ولَدتَه، ولا أخٌ ترَكتَه، ثم تصيرُ إلى برزَخِ الثرَى، ومجاورةِ الموتى[9]، فاغتَنمِ الحياةَ قبلَ الموتِ، والقوةَ قبلَ الضَّعفِ، والصحةَ قبلَ السَّقَمِ، قبلَ أن تؤخَذَ بالكَظَمِ، ويُحالَ بينَك وبينَ

---

(١) فى م: «فبعثوا».

(٢) بعده فى م: «إلى».

(٣ - ٣) سقط من: ا ٢، م، ص.

(٤ - ٤) سقط من النسخ، والمثبت من مصدر التخريج.

(٥ - ٥) فى الأصل: «مكان».

(٦) فى م: «الأسبان». وانظر مصدر التخريج.

(٧ - ٧) فى ا ٢، م، ص: «أسلمك الصاحب و».

(٨) فى الأصل، م، ص: «إلى».

(٩) فى مصدر التخريج: «المولى».

العملِ. وكُتِب فى زمانِ [(١] سليمانَ بنِ [١)] داودَ، عليهما السلامُ.

وقال ابنُ عساكرَ[(٢)]: قرَأتُ على أبى محمدٍ السلمىِّ، عن عبدِ العزيزِ التميمىِّ، أنبأنا تمامٌ الرازىُّ، أنبأنا ابنُ البِرَامىِّ، سمِعتُ أبا مروانَ عبدَ الرحيمِ[(٣)] ابنَ عمرَ المازنىَّ، يقولُ: لمَّا كان فى أيامِ الوليدِ بنِ عبدِ الملكِ وبنائِه المسجدَ احتفَروا فيه مَوضِعًا، فوجَدوا بابًا مِن حجارةٍ مغلَقًا، فلم يفتَحوه، وأعلَموا به الوليدَ، فخرَج [(٤] مِن دارِه [٤)] حتى وقَف عليه، وفُتِح بينَ يدَيه، فإذا داخِلَه مغارةٌ فيها تمثالُ إنسانٍ مِن حجارةٍ على فرسٍ مِن حجارةٍ، فى يدِ التمثالِ الواحدةِ الدُّرَّةُ التى كانت فى المحرابِ، ويدُه الأخرى مقبوضةٌ، فأَمَر بها فكُسِرتْ، فإذا فيها حَبَّتان؛ حبةُ قمحٍ وحبةُ شعيرٍ، فسأَل عن ذلك فقيل له: لو ترَكْتَ الكفَّ لم تكسِرْها، لم يُسوِّسْ فى هذا البلدِ قمحٌ ولا شعيرٌ.

وقال الحافظُ أحمدُ[(٥)] الورّاقُ[(٦)]، وكان قد عُمِّر مائةَ سنةٍ: سمِعتُ بعضَ الشيوخِ يقولُ: لمَّا دخَل المسلمون دمشقَ، وجَدوا على العمودِ الذى على المِقْسِلَّاطِ - على السَّفُّودِ الحديدِ الذى فى أعلَاه - صنمًا مادًّا يدَه بكَفٍّ مُطْبَقَةٍ، فكسَروه، فإذا فى يدِه حبَّةُ قمحٍ، فسأَلوا عن ذلك، فقيل لهم: هذه الحبةُ القمحِ جعَلها حكماءُ اليونانِ فى كَفِّ هذا الصنَمِ طِلَّسْمًا، حتى لا يسوِّسَ القمحُ[(٧)]،

(١ - ١) سقط من: م.

(٢) تاريخ دمشق ٢/ ٢٧٩.

(٣) فى م: «الرحمن».

(٤ - ٤) سقط من: ا ٢، م، ص.

(٥) فى الأصل، ا ٢: «أبو أحمد»، وفى م، ص: «أبو حمدان»، والمثبت من تاريخ دمشق ٢/ ٢٧٩.

(٦) تاريخ دمشق ٢/ ٢٧٩.

(٧) بعده فى م: «فى هذه البلاد».

ولو أقام سنينَ كثيرةً .

قال ابنُ عساكرَ[1] : وقد رأَيتُ أنا[2] هذا السَّفُّودَ على قناطرِ كنيسةِ المِقْسِلَّاطِ ، [3]فلمّا هُدِمتِ القناطرُ ذهَب . قلتُ : كنيسةُ المِقْسِلّاطِ[3] كانتْ مبنيةً فوقَ القناطرِ التى [١٥٣/٧ظ] فى السوقِ الكبيرِ ، عندَ الصابونيِّين والعطَّارين اليومَ ، وعندَها اجتَمَعتْ جيوشُ الإسلامِ يومَ فتْحِ دمشقَ ، دخَل أبو عبيدةَ مِن بابِ الجابيـةِ ، وخالدٌ مِن البابِ الشرقيِّ ، ويزيدُ بنُ أبى سفيانَ مِن بابِ الجابيةِ الصغيرِ ، [4]كما قدَّمنا[5] ، وللَّهِ الحمدُ والمنةُ[4] .

وقال عبدُ العزيزِ التميميُّ[6] ، عن أبى نصرٍ عبدِ الوهابِ بنِ عبدِ اللَّهِ المُزَنيِّ[7] : سمِعتُ جماعةً مِن شيوخِ أهلِ دمشقَ يقولون : إنَّ فى سقفِ مسجدِ[8] الجامعِ طَلاسمَ عمِلها الحكماءُ فى السقفِ مِمَّا يلى الحائطَ القبليَّ ، فيها طَلاسمُ للصَّنونياتِ ، لا تدخُلُه ولا تعشِّشُ فيه مِن جهةِ الأوساخِ التى تكونُ منها ، ولا يدخُلُه غرابٌ ، وطِلَّسْمٌ للفأْرِ والحيَّاتِ والعقاربِ - [9]ما أبصَر[9] الناسُ مِن هذا شيئًا إلّا الفأرَ ، ويوشَكُ[10] أن يكونَ قد عُدِم طِلَّسْمُها - وطِلَّسْمٌ للعنكبوتِ[11]

---

(١) تاريخ دمشق ٢/ ٢٨٠ بنحوه .
(٢) بعده فى م : « فى » .
(٣ - ٣) سقط من : م .
(٤ - ٤) سقط من : ا ٢، م، ص .
(٥) تقدم فى ٩/ ٥٧٨.
(٦) أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ٢/ ٢٨١، من طريق عبد العزيز التميمى به .
(٧) فى ا ٢، م : « المرى » ، وفى ص : « المزى » ، وانظر تاريخ دمشق ٢/ ٢٨١.
(٨) سقط من : ا ٢، م، ص .
(٩ - ٩) فى ا ٢، م، ص : « فما رأى » .
(١٠) فى م، ص : « يشك » .
(١١) بعده فى ا ٢، م، ص : « حتى » .

لا ينسِجُ[1] فى زَواياه ، فيركَبُه الغبارُ والوسَخُ .

قال الحافظ ابنُ عساكرَ[2] : وسمِعتُ جَدِّى أبا الفضلِ ، يحيى بنَ علىٍّ القاضىَ[3] ، يذكُرُ أنَّه أدرَك فى الجامعِ قبلَ حريقِه طِلَّسْماتٍ لسائرِ الحشَراتِ ، معلَّقةً فى السقفِ فوقَ البطائنِ مِمَّا يلى السَّبْعَ ، وأنَّه لم يَكُنْ يوجَدُ فى الجامعِ شىءٌ مِن الحشَراتِ قبلَ الحريقِ ، فلمَّا احترَقتِ الطِّلَّسْماتُ[4] وُجِدتْ . وكان حريقُ الجامعِ ليلةَ النصفِ مِن شعبانَ بعدَ العصرِ سنةَ إحدَى وستين وأربعِمائةٍ .

وقد كانتْ بدمشقَ طِلَّسْماتٌ كثيرةٌ ، ولم يبقَ منها سوى العمودِ الذى بسوقِ العلبيِّين اليومَ[3] الذى فى أعلاه مثلُ الكرةِ العظيمةِ ، وهو لعُسْرِ بولِ الدوابِّ، إذا دارُوا بالدَّابَّةِ حولَه ثلاثَ مراتٍ انطلَق[5] .

وقد كان شيخُنا [6]العلامةُ أبو العباسِ[6] ابنُ تيمية ، رحِمه اللَّهُ ، يقولُ : إنَّما هذا قَبْرُ[7] مشركٍ مُتَمرِّدٍ[8] مدفونٍ هنالك يعذَّبُ ، فإذا سمِعتِ الدابةُ صياحَه فزِعتْ فانطلَق[9] طَبْعُها . قال : ولهذا يذهَبون بالدوابِّ إلى مقابرِ اليهودِ والنصارى إذا مَغِلَتْ[10] فينطلِقُ طباعُها وتروثُ ، وما ذاك إلَّا لأنَّها تسمَعُ أصواتَهم وهم يعذَّبون . واللَّهُ أعلمُ .

---

(١) بعده فى ا ٢، م، ص : « فيه و » .
(٢) تاريخ دمشق ٢/ ٢٨١.
(٣) سقط من : ا ٢، م، ص .
(٤) بعده فى ا ٢، م، ص : « حين أحرق » .
(٥) بعده فى ا ٢، م، ص : « باطنها » .
(٦ - ٦) سقط من : م .
(٧) فى الأصل، ا ٢، ص : « من كير » .
(٨) فى م : « مفرد » ، وفى ص : « مترد » .
(٩) بعده فى ا ٢، م، ص : « باطنها و » .
(١٠) المغل: المغص يأخذ الدوابّ .

ذكرُ الساعاتِ التى على بابِه

قال القاضى عبدُ اللهِ بنُ أحمدَ بنِ زَبْرٍ[1] : إنَّما سُمِّى بابُ الجامعِ القبليُّ بابَ الساعاتِ ؛ لأنَّه عُمِل هناك بِرْكارُ[2] الساعاتِ ؛ يُعلَمُ[3] بها كلُّ ساعةٍ تَمضِى مِن النهارِ ، عليها عصافيرُ مِن نُحاسٍ ، وحيَّةٌ مِن نُحاسٍ ، وغرابٌ ، فإذا تمَّتِ الساعةُ خرَجتِ الحيةُ فصفَّرتِ العصافيرُ ، وصاح الغرابُ ، وسقَطت حَصاةٌ فى الطَّستِ ؛ فيعلَمُ الناسُ أنَّه قد ذهَب مِن النهارِ ساعةٌ ، وكذلك فى سائرِها .

قلتُ : هذا يَحتَملُ أحدَ [٧/١٥٤و] شيئَين ؛ إمّا أنَّ[4] الساعاتِ كانت فى البابِ القبليِّ مِن الجامعِ ، وهو الذى يُسمَّى[5] بابَ الزيادةِ ، ولكن قد قيل : إنَّه محدَثٌ بعدَ بناءِ الجامعِ ، ولا يَنفِى ذلك أن الساعاتِ كانت عندَه فى زمنِ القاضى ابنِ زَبْرٍ .وإمَّا أنَّه قد كان فى الجانبِ الشرقىِّ مِن الجامعِ ، فى حائطِه القبلىِّ بابٌ آخرُ فى مُحاذاةِ[6] بابِ الزيادةِ ، وعنده الساعاتُ ، ثم نُقِلت بعدَ هذا كلِّه إلى بابِ الورَّاقين اليومَ ؛ وهو بابُ الجامعِ مِن الشرقِ . واللَّهُ أعلمُ[7] .

قلتُ : فأمَّا القبةُ التى فى وسطِ صَحْنِ الجامعِ التى فيها الماءُ الجارِى ، وتقولُ

---

(١) تاريخ دمشق ٢/ ٢٨٠.

(٢) فى النسخ : « بلكار » . والمثبت من تاريخ دمشق ٢/ ٢٨٠.

وبركار : آلة مركبة من ساقين متصلتين ، تثبت إحداهما وتدور حولها الأخرى .

(٣) فى ا ٢، م، ص: « كان يعلم » .

(٤) بعده فى ا ٢، م، ص: « تكون » .

(٥) بعده فى ا ٢، ص: « اليوم » .

(٦) فى ا ٢، م، ص: « محاكاة » .

(٧) بعده في م، ص: « قلت : باب الوراقين قبلى أيضًا ، فيضاف إلى الجامع نسبة إلى من يدخل منه إلى الجامع ، والله أعلم ، أو لمجاورته للجامع ولبابه » .

العامةُ لها : قبةُ أبى نُواسٍ . فكان بناؤُها فى سنةِ تسعٍ وستين وثلاثِمائةٍ ، أرَّخ ذلك ابنُ عساكرَ عن خطِّ بعضِ الدَّماشقةِ . وأمَّا القبةُ الغربيةُ العاليةُ التى فى صَحْنِ الجامعِ ، التى يقالُ لها : قبةُ عائشةَ . فسمِعتُ شيخَنا الذهبىَّ يقولُ : إنَّها إنما بُنيت فى حدودِ سنةِ ستين[1] ومائةٍ ، فى أيامِ المهدىِّ بنِ المنصورِ العباسىِّ ، وجعَلوها لحواصلِ الجامعِ وكُتُبِ أوقافِه . وأمَّا القبةُ الشَّرقيةُ التى على بابِ مَشْهَدِ[2] علىٍّ فيقالُ : إنَّها بُنيت فى زمنِ الحاكمِ[3] العُبَيدىِّ فى حدودِ سنةِ أربعِمائةٍ[4] .

وأمَّا الفوَّارةُ التى تحتَ دُرْجِ جَيْرونَ ، فعمِلها الشَّريفُ فَخْرُ الدولةِ أبو يَعْلَى[5] حمزةُ بنُ الحسنِ بنِ العباسِ الحُسَينىُّ[6] ، وكأنَّه كان ناظرَ الجامعِ ، وجرَّ إليها قطعةً مِن حَجَرٍ كبيرٍ مِن قصرِ حجّاجٍ ، وأجرَى فيها[7] الماءَ ليلةَ الجُمُعةِ لسبعِ ليالٍ خَلَوْن مِن ربيعٍ الأوَّلِ سنةَ سبعَ عشْرَةَ وأربعِمائةٍ ، وعُمِلت حولَها قناطرُ ، وعُقِد عليها قبّةٌ ، ثم سقَطتِ القبةُ بسببِ جِمالٍ تحاكَّت عندَها وازدَحمت ، وذلك فى صفرٍ سنةَ سبعٍ وخمسين وأربعِمائةٍ ، فأعيدَت ، ثم سقَطت أعمدتُها وما عليها مِن حريقِ اللَّبَّادين [8]ودارِ[8] الحجارةِ فى شوالِ سنةَ اثنتَين وستين وخمسِمائةٍ . ذكَر ذلك كلَّه الحافظُ ابنُ عساكرَ .

قلتُ : وأمَّا القَصْعةُ التى كانت فى الفوَّارةِ ، فما زالت وسطَها ، وقد أدرَكتُها

---

(١) فى الأصل : « ست » ، وفى ص : « ست سنين » .
(٢) فى ا ٢، م، ص : « مسجد » .
(٣) فى ا ٢: « الحكم » . وانظر سير أعلام النبلاء ١٥/ ١٧٣ .
(٤) فى ا ٢، م، ص : « أربع ومائة » .
(٥) فى ا ٢، م، ص : « على » . وانظر الوافى بالوفيات ١٣/ ١٨٤ .
(٦) فى ا ٢، م، ص : « الحسنى » . وانظر المصدر السابق .
(٧) فى م : « منها » .
(٨ - ٨) سقط من : ا ٢، م، ص .

كذلك ، ثم رُفِعت بعدَ ذلك .

وكان بطَهّارةِ جَيْرونَ قَصْعةٌ أخرَى مثلُها ، فلم تزَلْ بها ، (١ثم لمَّا١) انهدَمتِ اللَّبّادين بسببِ حريقِ النصارى فى سنةِ إحدى وأربعين وسبعِمائةٍ ، استُؤْنِف بناءُ الطَّهّارةِ على وَجْهٍ آخرَ أحسنَ مِمَّا كانت ، وذهَبت تلك القَصْعةُ فلم يبقَ لها أثرٌ ، ثم عُمِل الشّاذِرْوانُ الذى هو[٢] شرقىَّ فوّارةِ جَيْرونَ ، بعدَ الخمسِمائةِ ، أظُنُّه سنةَ أربعَ عشْرَةَ وخمسِمائةٍ . واللَّهُ أعلمُ .

ذِكرُ ابتداءِ أمْرِ السُّبْعِ بالجامعِ الأمويِّ

قال أبو بكرِ بنُ أبى داودَ[٣] : ثنا أبو عامرٍ[٤] موسى بنُ عامرٍ المُرِّىُّ ، ثنا الوليدُ - هو ابنُ مسلم - [٧/١٠٤ظ] قال : قال أبو عمرٍو الأوزاعىُّ ، عن حسّانَ ابنِ عطيةَ ، قال : الدِّراسةُ مُحدَثةٌ أحدَثها هشامُ بنُ إسماعيلَ المخزومىُّ ، فى قَدْمتِه[٥] على عبدِ الملكِ ، فحجَبه عبدُ الملكِ فجلَس بعدَ الصبحِ فى مسجدِ دمشقَ ، فسمِع قراءةً ، فقال : ما هذا ؟ فأُخبِر أن عبدَ الملكِ يقرأُ فى الخضراءِ ، فقَرَأ هشامُ بنُ إسماعيلَ فجعَل عبدُ الملكِ يقرأُ بقراءةِ هشامٍ ، فقرأَ بقراءتِه مَوْلًى له ، فاستَحسَن ذلك مَن يليه مِن أهلِ المسجدِ ، فقرَءُوا بقراءتِه .

وقال هشامُ بنُ عمّارٍ خطيبُ دمشقَ[٦] : ثنا أيوبُ بنُ حسّانَ ، ثنا الأوزاعىُّ ،

(١ - ١) فى ا ٢، م، ص : «إلى أن» .

(٢) سقط من : ا ٢، م، ص .

(٣) أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ٢/ ٢٨٢، من طريق أبى بكر بن أبى داود به .

(٤) فى الأصل، ا ٢، ص : «عياش»، وفى م : «عباس». وانظر تهذيب الكمال ٢٩/ ٨٧.

(٥) بعده فى ا ٢، م، ص : «قدمها» .

(٦) أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ٢/ ٢٨٣، من طريق هشام بن عمار به .

ثنا خالدُ بنُ دِهْقانَ ، قال : أولُ مَن أحدَثَ القراءَةَ فى مسجدِ دمشقَ هشامُ بنُ إسماعيلَ بنِ هشامِ بنِ المغيرةِ المخزوميُّ ، وأولُ مَن أحدَثَ القراءةَ بفِلَسطينَ الوليدُ ابنُ عبدِ الرحمنِ الجُرَشيُّ .

قلتُ : هشامُ بنُ إسماعيلَ هذا كان نائبًا على المدينةِ النبويةِ ، وهو الذى ضرَب سعيدَ بنَ المسيَّبِ لمَّا امتنَع مِن البيعةِ للوليدِ بنِ عبدِ الملكِ ، قبلَ أن يموتَ أبوه ، ثم عزَله عنها الوليدُ ، وولَّى عليها[(١)] عمرَ بنَ عبدِ العزيزِ ، كما ذكَرنا .

وقد حضَر هذا السُّبْعَ جماعاتٌ مِن ساداتِ السلَفِ مِن التَّابعين بدمشقَ[(٢)] ؛ منهم هشامُ بنُ إسماعيلَ المخزوميُّ ، ومولَاه رافعٌ ، وإسماعيلُ بنُ عبدِ اللَّهِ بنِ أبى المهاجرِ - وكان مُكْتِبًا لأولادِ عبدِ الملكِ بنِ مروانَ ، وقد ولِى إمرةَ إفريقيةَ لهشامِ ابنِ عبدِ الملكِ - وابناه عبدُ الرحمنِ ومروانُ .

وحضَره مِن القضاةِ أبو إدريسَ [(٣]عائذُ اللَّهِ بنُ عبدِ اللَّهِ[٣)] الخَوْلانيُّ ، ونُمَيرُ بنُ أوسٍ الأشعرىُّ ، ويزيدُ بنُ أبى مالكٍ الهَمْدانيُّ ، وسالمُ بنُ عبدِ اللَّهِ المُحاربىُّ[(٤)] ، ومحمدُ بنُ عبدِ اللَّهِ بنِ لبيدٍ الأَسَدىُّ .

ومِن الفقهاءِ والمحدِّثين والحفَّاظِ المقرِئين ، أبو عبدِ الرحمنِ القاسمُ بنُ عبدِ الرحمنِ مولَى آلِ[(٥)] معاويةَ ، ومكحولٌ ، وسليمانُ بنُ موسى الأشدقُ ، وعبدُ اللَّهِ بنُ العلاءِ بنِ زَبْرٍ ، وأبو إدريسَ الأصغرُ عبدُ الرحمنِ بنُ عِرَاكٍ[(٦)] ،

---

(١) فى الأصل : « بعده » .
(٢) تاريخ دمشق ٢/ ٢٨٣.
(٣ - ٣) سقط من : ١ ٢، م، ص، وانظر تهذيب الكمال ٣٣/ ٢٠.
(٤) فى الأصل : « البخارى » ، وانظر تاريخ دمشق ٢/ ٢٨٣.
(٥) سقط من : م .
(٦) فى مصدر التخريج : « عوال » . وانظر تاريخ دمشق ٥٢/١٠ (مخطوط) ، وتاريخ دمشق (ط. مجمع اللغة العربية - المجلدة الثانية - القسم الأول) ص ٤٩.

وعبدُ الرحمنِ بنُ عامرٍ اليَحْصُبيُّ - أخو عبدِ اللَّهِ بنِ عامرٍ - ويحيى بنُ الحارثِ الذِّمَارِيُّ[1]، وعبدُ الملكِ بنُ النُّعمانِ المُزَنيُّ[2]، وأنسُ بنُ أُنَيسٍ[3] العُذْريُّ، وسليمانُ بنُ بَزِيعٍ القارئُ، وسليمانُ بنُ داودَ الخُشَنيُّ، ونمرانُ[4] - أو هَزَّانُ - بنُ حكيمٍ القُرَشيُّ، ومحمدُ بنُ خالدِ بنِ أبى ظَبْيانَ الأزْدِيُّ، ويزيدُ بنُ عبيدةَ بنِ أبى المهاجرِ، وعيّاشُ[5] بنُ دينارٍ، وغيرُهم. هكذا أورَدهم ابنُ عساكرَ[6]. قال: وقد رِوِى عن بعضِهم أنَّه كَرِه اجتماعَهم وأنكَره، ولا وجهَ لإنكارِه.

ثم ساق مِن طريقِ أبى بكرِ بنِ أبى داودَ[7]، ثنا عمرُو بنُ عثمانَ، ثنا الوليدُ - هو ابنُ مسلمٍ - عن عبدِ اللَّهِ بنِ العلاءِ، قال: [١٠٥/٧و] سمِعتُ الضَّحَّاكَ بنَ عبدِ الرحمنِ بنِ عَرْزَبٍ[8] يُنكِرُ الدراسةَ ويقولُ: ما رأَيتُ ولا سمِعتُ، وقد أدرَكتُ أصحابَ النبىِّ ﷺ.

قال ابنُ عساكرَ[9]: وكان الضحّاكُ بنُ عبدِ الرحمنِ أميرًا على دمشقَ[10]، فى خلافةِ عمرَ بنِ عبدِ العزيزِ.

---

(١) فى النسخ: «الدمارى». والمثبت من تاريخ دمشق ٢/ ٢٨٤، وانظر تهذيب الكمال ٣١/ ٢٥٦.
(٢) فى ا ٢، م: «المرى»، وفى ص: «المزى». وانظر تاريخ دمشق ٢/ ٢٨٤.
(٣) فى م: «أنس».
(٤) فى النسخ: «عران». والمثبت من تاريخ دمشق ٢/ ٢٨٤، وانظر تاريخ دمشق ٦٤١/١٧ (مخطوط).
(٥) فى م: «عباس».
(٦) تاريخ دمشق ٢/ ٢٨٣، ٢٨٤.
(٧) أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ٢/ ٢٨٤، من طريق أبى بكر بن أبى داود به.
(٨) فى م: «عروب». وانظر تاريخ دمشق ٢/ ٢٨٤.
(٩) تاريخ دمشق ٢/ ٢٨٥.
(١٠) بعده فى م: «فى أواخر سنة ست وثمانين».

فصل

كان ابتداءُ عِمارةِ جامعِ دمشقَ فى أواخرِ سنةِ ستٍّ وثمانين؛ هُدِمتِ الكنيسةُ التى كانت موضعَه فى ذى القَعدةِ منها، فلمّا فرَغوا مِن الهَدْمِ، شرَعوا فى البناءِ، وتكامَل فى عشرِ سنين، فكان الفراغُ منه فى هذه السنةِ - أعنى سنةَ ستٍّ وتسعين.

وفيها تُوفِّى بانيه الوليدُ بنُ عبدِ الملكِ، وقد بقِيتْ فيه بقايا، فكمَّلها أخوه سليمانُ، كما ذكَرنا.

فأما قولُ يعقوبَ بنِ سُفيانَ[1]: سألتُ هشامَ بنَ عَمّارٍ عن قصَّةِ مسجدِ دمشقَ وهدمِ الكنيسةِ، قال: كان الوليدُ قال للنَّصارَى [2]مِن أهلِ دِمشقَ[2]: ما شِئتُم، إنّا أخَذنا كنيسةَ تُوما عَنوةً وكنيسةَ الداخلةِ صُلحًا، فأنا أهدِمُ كنيسةَ تُوما؟ قال هشامٌ: وتلكَ أكبرُ مِن هذه الداخلةِ، قال: فرضُوا أن أهدِمَ كنيسةَ الداخلةِ، وأُدخِلَها فى المسجدِ. قال: وكان بابُها قِبلةَ المسجدِ اليومَ، وهو المحرابُ الذى يُصلَّى فيه. قال: وهدمُ الكنيسةِ فى أوّلِ خلافةِ الوليدِ سنةَ ستٍّ وثمانين، ومكَثوا فى بنائِه[3] سبعَ[4] سنين، حتى مات الوليدُ، ولم يُتِمَّ بناءَه، فأتمَّه هشامٌ مِن بعدِه. ففيه فوائدُ وفيه غَلَطٌ؛ وهو قولُه: إنهم مكَثوا فى بنائِه سبعَ سنين. والصوابُ عشْرُ سنين، فإنَّه لا خلافَ أنّ الوليدَ بنَ عبدِ الملكِ تُوفِّى فى

(١) المعرفة والتاريخ ٣/ ٤٣٤، ٤٣٥.
(٢ - ٢) سقط من: م.
(٣) فى ١ ٢، م: «بنائها».
(٤) فى المعرفة والتاريخ ٣/ ٤٣٥: «تسع».

هذه السنةِ - أعنى سنةَ ستٍّ وتسعين - وقد حكَى أبو جَعْفرِ بنُ جريرٍ[(1)] : على ذلك إجماعُ أهلِ السِّيَرِ . [(2)]وقولُه : لم يَتِمَّ بناؤه فى زمنِ الوليدِ . بل قد تمَّ ، ولكنْ بقِيت بقِيَّاتٌ مِن الزخرفةِ ، فأكمَلها أخوه سليمانُ لا هشامٌ[(2)] ،واللَّهُ سبحانَه وتعالى أعلمُ .

وهذه ترجمةُ الوليدِ بنِ عبدِ الملكِ بانى جامعِ دمشقَ، وذكرُ وفاتِه فى هذا العامِ

هو الوليدُ بنُ عبدِ الملكِ بنِ مَرْوانَ بنِ الحكَمِ بنِ أبى العاصِ بنِ أميةَ بنِ عبدِ شمسِ بنِ عبدِ منافٍ ، أبو العباسِ الأُمويُّ[(3)] ، بُويع له بالخلافةِ بعدَ أبيه بعهدٍ مِنه فى شوالٍ سنةَ ستٍّ وثمانين ، وكان أكبرَ ولدِه ، والولىَّ مِن بعدِه ، وأُمُّه ولادةُ بنتُ العباسِ بنِ جُزىٍّ[(4)] بنِ الحارثِ بنِ زهيرٍ العَبْسىِّ . وكان مولدُه سنةَ خمسين ، وكان أبواه يُترِفانِه ، فشَبَّ بلا أدبٍ ، وكان لا يحسِنُ العربيةَ ، وكان طويلًا أسمرَ ، به أثرُ جُدَرِىٍّ ، أفطسَ الأنفِ سائلَه ، وكان إذا مشى يتوكَّفُ فى المِشيةِ - أى يتبخْتَرُ - وكان جميلًا ، وقيل : بل كان [٧/١٠٥ظ] دميمًا ، قد شاب فى مُقدَّمِ لحيتِه ، وقد رأى سهلَ بنَ سعدٍ ، وسمِع أنسَ بنَ مالكٍ ؛ لمَّا قدِم

---

(١) تاريخ الطبرى ٦/ ٤٩٥.

(٢ - ٢) فى ا ٢، م، ص: «والذى أتم ما بقى من بنائه أخوه سليمان لا هشام».

(٣) ترجمته فى : المعارف ٣٥٩، وتاريخ دمشق ٨٣٨/١٧ (مخطوط) ، وسير أعلام النبلاء ٤/ ٣٤٧، تاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٨١ - ١٠٠هـ) ص ٤٩٦، وفوات الوفيات ٤/ ٢٥٤، وتاريخ الخلفاء ٢٢٣، وشذرات الذهب ١/ ١١١.

(٤) فى الأصل: «حرب». وفى ا ٢، م، ص: «حزن». والمثبت من تاريخ دمشق ٨٣٨/١٧ (مخطوط). وانظر مختصر تاريخ دمشق ٢٦/ ٣١٧.

عليه سأله : ماذا سمِع فى أشراطِ الساعةِ ؟ كما تقدَّم فى ترجمةِ أنسٍ[1] ، وسمِع سعيدَ بنَ المسيَّبِ ، وحكَى عنه الزهريُّ وغيرُه .

وقد رُوِى[2] أن عبدَ الملكِ أراد أن يعهَدَ إليه ، ثم توقَّف ؛ لأنَّه لا يُحسِنُ العربيةَ ، فجمَع الوليدُ جماعةً مِن أهلِ النحوِ عندَه فأقاموا عندَه سنةً ، وقيل : ستةَ أشهرٍ[3] . فخرجَ يوم خرَج أجهلَ مما كان ، فقال عبدُ الملكِ : قد أُجهِد وأُعذِر .

وقيل[4] : إنَّ أباه عبدَ الملكِ أوصاه عندَ موتِه ، فقال له : لا أُلفِيَنَّكَ إذا مِتُّ ، تجلِسُ تَعصِرُ عينيكَ وتحِنُّ حنينَ الأَمةِ ، ولكن شمِّرْ واتَّزِرْ ودَلِّنى فى حُفرتِى وخلِّنى وشأنِى ، وادعُ الناسَ إلى البيعةِ ؛ فمَن قال برأسِه هكذا فقلْ بسيفِك هكذا .

وقال الليثُ[5] : وفى سنةِ ثمانٍ وسبعين[6] غزا الوليدُ بلادَ الرومِ ، وفيها حجَّ بالناسِ أيضًا . وقال غيرُه[7] : غزا فى التى قبلَها ، وفى التى بعدَها بلادَ مَلَطْيَةَ وغيرَها . وكان نقشُ خاتَمِه : أؤمِنُ باللَّهِ مخلِصًا . وقيل : كان نقشُه : يا وليدُ إنَّك ميِّتٌ . ويقال : إنَّ آخِرَ ما تكلَّم به : سبحانَ اللَّهِ والحمدُ للَّهِ ولا إلهَ إلَّا اللَّهُ .

وقال إبراهيمُ بنُ أبى عبلةَ[8] : قال لِى الوليدُ بنُ عبدِ الملكِ يومًا : فى كمْ تختِمُ القرآنَ ؟ قلتُ : فى كذا وكذا . فقال : أميرُ المؤمنين على شُغْلِه يختِمُه فى

---

(١) تقدم فى ص ٤٤٦.

(٢) تاريخ دمشق ١٧/٨٤٠ (مخطوط) ، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٨١ - ١٠٠هـ) ص ٤٩٧، فوات الوفيات ٤/ ٢٥٤، وتاريخ الخلفاء ٢٢٣.

(٣) بعده فى الأصل، ا ٢، ص: « يشتغل فيها » .

(٤) تاريخ دمشق ١٧/٨٤٢ (مخطوط)، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٨١ - ١٠٠هـ) ص ٤٩٧.

(٥) تاريخ دمشق ١٧/٨٤١ (مخطوط) .

(٦) فى ا ٢، م، ص: « تسعين ». وانظر تاريخ دمشق ١٧/٨٤١ (مخطوط) .

(٧) تاريخ خليفة ١/ ٣٥٥، ٣٥٩.

(٨) تاريخ دمشق ١٧/٨٤٥ (مخطوط) .

كلِّ ثلاثٍ . وقِيل : فى كلِّ سبعٍ . قال : وكان يقرأُ فى شهرِ رمضانَ سبعَ عشرةَ ختمةً . قال إبراهيمُ ، رحِمه اللَّهُ : الوليدُ ! وأين مثلُه ؟ بنى مسجدَ دمشقَ ، وكان يُعطِينى قِصَاعَ[1] الفضَّةِ ، فأقسِمُها على قرّاءِ بيتِ المقدسِ .

وروى ابنُ عساكرَ بإسنادٍ رجالُه كلُّهم ثقاتٌ ، عن عبدِ الرحمنِ بنِ يزيدَ بنِ جابرٍ ، عن أبيه ، قال[2] : خرَج الوليدُ يومًا مِن البابِ الأصغرِ ، فرأَى رجلًا عندَ المِئذنةِ الشرقيةِ يأكلُ شيئًا ، فأتاه فوقَف عليه فإذا هو يأكلُ خبزًا وترابًا ، فقال له : ما حمَلك على هذا ؟ قال : القُنوعُ يا أميرَ المؤمنين . فذهَب إلى مجلسِه ، ثم استدعَى به ، فقال : إن لك لشأنًا[*] ، فأخبِرْنى به وإلّا ضرَبتُ الذى فيه عيناك . فقال : نعم يا أميرَ المؤمنين ، كنتُ رجلًا جمّالًا ، فبينما أنا أسيرُ مِن مرجِ الصُّفَّرِ[3] قاصدًا إلى الكُسْوَةِ[4] ، إذ زَرَتَنى[5] البولُ فعدَلتُ إلى خَرِبةٍ لأبولَ ، فإذا سَرَبٌ فحفَرتُه فإذا مالٌ صبيبٌ ، فملأتُ منه غرائرى ، ثم انطلقتُ أقودُ برواحِلى ، وإذا بمِخلاةٍ معى فيها طعامٌ فألقيتُه منها ، وقلتُ : إنى سآتى الكُسوةَ ، ورجَعتُ إلى الخربةِ ، لأملأَ تلك المِخلاةَ مِن ذلك المالِ ، فلم أهتَدِ إلى المكانِ بعدَ الجَهْدِ فى الطلبِ ، فلمّا أيِستُ رجَعتُ إلى الرواحلِ فلم أجِدْها ولم أجِدِ الطعامَ ، فآليتُ على نفسى أنّى لا آكلُ إلّا خُبزًا وترابًا . [٧/١٥٦و] قال : فهل لك عيالٌ ؟ قال :

---

(١) فى م : « قطع » .

(٢) أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ١٧/ ٨٤٥، ٨٤٦ (مخطوط) ، من طريق عبد الرحمن بن يزيد به .

(*) من هنا تبدأ نسخة مكتبة برنستون بأمريكا ، والتى يرمز لها بالرمز (ب) .

(٣) مرج الصفر : موضع بدمشق . معجم البلدان ٤/ ٤٨٨.

(٤) الكسوة : قرية هى أول منزل تنزله القوافل إذا خرجت من دمشق إلى مصر . معجم البلدان ٤/ ٢٧٥.

(٥) فى الأصل : « أرزمنى » ، وفى باقى النسخ : « زرمنى » . والمثبت من تاريخ دمشق ٨٤٦/١٧ (مخطوط) . وزرت : خنق . تاج العروس (زرت) .

نعم . ففرَض له[1] فى بيتِ المال .

قال ابنُ جابرٍ[2] : وبلَغنا أن تلك الرواحلَ سارت حتى أتَتْ بيتَ المالِ فتسلَّمها خازنُه فوضَعها فى بيتِ المالِ[3] .

وقال نُميرُ بنُ عبدِ اللَّهِ الشَّعْبانىُّ[4] ، عن أبيه ، قال[5] : قال الوليدُ بنُ عبدِ الملكِ : لولا أنَّ اللَّهَ ذكَر قومَ لوطٍ فى القرآنِ ما ظَنَنتُ أنَّ أحدًا يفعلُ هذا[6] .

قالوا[7] : وكان الوليدُ لحّانًا ، كما جاء مِن غيرِ وجهٍ أنّ الوليدَ خطَب يومًا ، فقرَأ فى خطبتِه : ﴿ يَٰلَيۡتَهَا كَانَتِ ٱلۡقَاضِيَةَ ﴾ [الحاقة : ٢٧] فضمَّ التاءَ من ﴿ ليتَها ﴾ ، فقال عمرُ بنُ عبدِ العزيزِ : يا ليتَها كانت عليك وأراحَنا اللَّهُ مِنكَ . وكان يقولُ : يا أهلُ المدينةِ .

وقال عبدُ الملكِ يومًا لرجلٍ مِن قريشٍ[8] : إنَّك لَرجلٌ لولا أنَّك تَلحَنُ . فقال : وهذا ابنُك الوليدُ يلحَنُ . فقال : لكنَّ ابنى سليمانَ لا يلحَنُ . فقال الرجلُ : وأخى أبو فلانٍ لا يلحَنُ .

---

(١) فى الأصل : « لهم » .

(٢) فى ا ٢، ب ، م ، ص : « جرير » . وانظر تاريخ دمشق ٨٤٦/١٧ (مخطوط) .

(٣) بعده فى ا ٢، ب ، م ، ص : « وقيل : إن الوليد قال له : ذلك المال وصل إلينا ، واذهب إلى إبلك فخذها . وقيل : إنه دفع إليه شيئًا من ذلك المال يقيته وعياله » .

(٤) فى الأصل ، ا ٢، ب ، ص : « الشعبانى » . وفى م : « الشعنانى » . والمثبت من تاريخ دمشق ٨٤٦/١٧ (مخطوط) .

(٥) أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ٨٤٦/١٧ من طريق نمير بن عبد الله عن أبيه .

(٦) بعده فى م زيادة من الناسخ .

(٧) تاريخ دمشق ٨٤٦/١٧ (مخطوط) ، وتاريخ الخلفاء ٢٢٣، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٨١- ١٠٠هـ) ص ٤٩٩ بنحوه .

(٨) تاريخ دمشق ٨٤٦/١٧ (مخطوط) .

قال ابنُ جريرٍ[١] : حدّثنى عمرُ ، ثنا علىٌّ - يعنى ابنَ محمدٍ المدائنىَّ - قال : كان الوليدُ بنُ عبدِ الملكِ عندَ أهلِ الشامِ أفضلَ خلائفِهم ، بنَى المساجدَ بدمشقَ ، ووضَع المنارَ ، وأعطَى الناسَ ، وأعطَى المجّذومِين ، وقال لهم : لا تسألوا الناسَ ، وأعطَى كلَّ مُقعَدٍ خادمًا ، وكلَّ ضريرٍ قائدًا ، وفتَح فى ولايتِه فتوحاتٍ كثيرةً عظامًا[٢] ، ففتَح الهندَ والسِّندَ والأندلسَ[٣] ، وغيرَ ذلك . قال : وكان مع هذا يمُرُّ بالبقّالِ فيأخُذُ حُزمةَ البقلِ بيدِه ، ويقول : بكم تبيعُ هذه ؟ فيقولُ : بفَلْسٍ . فيقولُ : زِدْ فيها فإنَّك تربَحُ .

وذكَروا[٤] أنَّه كان يبَرُّ حملةَ القرآنِ ويُكرِمُهم ويقضِى عنهم ديونَهم .

قالوا[٥] : وكانت هِمةُ الوليدِ فى البناءِ وكان الناسُ كذلك ؛ يلقَى الرجلُ الرجلَ ، فيقولُ : ماذا بنيتَ ؟ ماذا عمَرتَ ؟ وكانت همةُ أخيه سليمانَ فى النساءِ ، فكان الناسُ كذلك ؛ يلقى الرجلُ الرجلَ ، فيقولُ : كم تزوجتَ ؟ ماذا عندَك من السرارِى ؟ وكانت همةُ عمرَ بنِ عبدِ العزيز فى قراءةِ القرآنِ ، والصلاةِ والعبادةِ ، فكان الناسُ كذلك ؛ يلقَى الرجلُ الرجلَ ، فيقولُ : كم وِردُك ؟ كم تقرأُ كلَّ يومٍ ؟ ماذا صلَّيتَ[٦] البارحةَ ؟.

وقال الواقدىُّ[٧] : كان الوليدُ جبارًا ذا سطوةٍ شديدةٍ لا يتوقَّفُ إذا غضِب ،

---

(١) تاريخ الطبرى ٦/ ٤٩٦.
(٢) بعده فى ١ ٢، ب ، م ، ص : «وكان يرسل بنيه فى كل غزوة إلى بلاد الروم» .
(٣) بعده فى ١ ٢، ب ، م ، ص : «وأقاليم بلاد العجم حتى دخلت جيوشه إلى الصين» .
(٤) انظر فى ذلك تاريخ الطبرى ٦/ ٤٩٦، وتاريخ دمشق ١٧/٨٤٥ (مخطوط) بنحوها .
(٥) تاريخ الطبرى ٦/٤٩٧ بنحوه .
(٦) فى الأصل : «قرأت» .
(٧) انظر فى ذلك تاريخ الطبرى ٦/ ٤٩٩، وفوات الوفيات ٤/ ٢٥٥.

لجوجًا ، كثيرَ الأكلِ والجماعِ ، مِطلاقًا ، يقالُ : إنَّه تزوَّج ثلاثًا وستين امرأةً غيرَ الإماءِ .

قلتُ: وقد يرادُ بهذا الوليدُ بنُ يزيدَ الفاسقُ لا الوليدُ بنُ عبدِ الملكِ باني الجامعِ ، واللَّهُ أعلمُ .

قلتُ : بنى الوليدُ الجامعَ على الوجهِ الذى ذكَرنا ، فلم يكُنْ له فى الدنيا نظيرٌ ، وبنى صخرةَ بيتِ المقدسِ ، عقَد عليها القُبَّةَ ، وبنى مسجدَ النبىِّ ﷺ ، ووسَّعه حتى دخلتِ الحجرةُ (١التى فيها القبرُ١) فيه ، وله آثارٌ حِسانٌ كثيرةٌ جدًّا ، ثم كانت وفاتُه فى يومِ السبتِ للنصفِ مِن جُمادَى الآخرةِ مِن هذه السنةِ . قال ابنُ جريرٍ[٢] : وهذا قولُ جميعِ أهلِ السيرِ. وقال عمرُو بنُ علىٍّ الفلّاسُ وجماعةٌ[٣] : كانت وفاتُه يومَ السبتِ للنصفِ مِن [٧/١٥٦ظ] ربيعٍ الأولِ مِن هذه السنةِ عن ستٍّ ، وقيل : ثلاثٍ ، وقيل : تسعٍ ، وقيل : أربعٍ وأربعينَ سنةً .

وكانت وفاتُه بدَيْرِ مُرّانَ ، فحُمِل على أعناقِ الرجالِ حتى دُفِن بمقابرِ بابِ الصغيرِ ، وقيل : بمقابرِ بابِ الفراديسِ . حكاه ابنُ عساكرَ[٤] .

وكان الذى صلَّى عليه عمرُ بنُ عبدِ العزيزِ ؛ لأنَّ أخاه سليمانَ كان بالقدسِ الشريفِ ، وقيل : صلَّى عليه ابنُه عبدُ العزيزِ . وقيل : بل صلَّى عليه أخوه سليمانُ . والصحيحُ عمرُ بنُ عبدِ العزيزِ ، واللَّهُ أعلمُ .

(١ - ١) فى الأصل : « النبوية » .

(٢) تاريخ الطبرى ٦/ ٤٩٥.

(٣) تاريخ خليفة ٤١٣، وتاريخ دمشق ٨٤٩/١٧ (مخطوط) .

(٤) تاريخ دمشق ٨٤٨/١٧ (مخطوط) .

وهو الذى أنزَله إلى قبرِه ، وقال حيـنَ أنزَله[1] : لتنزِلْه غيرَ موسَّدٍ ولا ممهَّدٍ ، قد خلَّفتَ الأَسبابَ[2] ، وفارقتَ الأحبابَ ، وسكنتَ الترابَ ، وواجهتَ الحسابَ ، فقيرًا إلى ما [3]تُقدِمُ عليه[3] ، غنيًّا عمَّا تُخلِّفُ[4] .

وجاء مِن غيرِ وجهٍ[5] ، عن عمرَ بنِ عبدِ العزيزِ ، أنه أخبَر أنَّه لمَّا وضَع الوليدَ فى لحدِه ارتكَض فى أكفانِه ، وجُمِعت رِجلاه إلى عنُقِه .

وكانت خلافتُه تسعَ سنينٍ وثمانيةَ أشهرٍ على المشهورِ ، واللَّهُ أعلمُ .

قال المدائنىُّ[6] : وكان له مِن الولدِ تسعةَ[7] عشرَ ولدًا ذكرًا ؛ وهم عبدُ العزيزِ ، ومحمدٌ ، والعباسُ ، وإبراهيمُ ، وتمَّامٌ ، وخالدٌ ، وعبدُ الرحمنِ ، ومبشرٌ ، ومسرورٌ ، وأبو عبيدةَ ، وصدقةُ ، ومنصورٌ ، ومروانُ ، وعنبسةُ ، وعمرُ[8] ، ورَوْحٌ ، وبشرٌ ، ويزيدُ ، ويحيى ، فأمُّ عبدِ العزيزِ ومحمدٍ ؛ أمُّ البنيـنَ[9] بنتُ عمِّه عبدِ العزيزِ بنِ مروانَ ، وأمُّ أبى عبيدةَ فزاريَّةٌ ، وسائرُهم مِن أمهاتِ أولادٍ شتَّى .

قال المدائنىُّ[10] : وقد رثاه جريرٌ ، فقال :

---

(١) تاريخ دمشق ٨٤٧/١٧ (مخطوط) .

(٢) فى ١ ٢، ب ، م، ص: «الأسلاب» . وانظر تاريخ دمشق ٨٤٧/١٧ (مخطوط) .

(٣ - ٣) فى ١ ٢، ب ، م، ص : «قدمت» .

(٤) فى ١ ٢، ب ، م، ص: «أخرت» .

(٥) تاريخ دمشق ٨٤٧/١٧ (مخطوط)، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٨١ - ١٠٠هـ) ص ٥٠٠، وتاريخ الخلفاء ٢٢٥.

(٦) تاريخ الطبرى ٤٩٦/٦ بنحوه .

(٧) فى الأصل : «سبعة» .

(٨) فى تاريخ الطبرى : «عمرو» .

(٩) فى الأصل : «المؤمنين» .

(١٠) تاريخ الطبرى ٤٩٧/٦. والأبيات فى ديوان جرير ٢٤٢/١ (ط. دار المعارف ، تحقيق الدكتور : نعمان محمد أمين طه) . وفيها اختلاف يسير .

يا عينُ جودى بدَمْعٍ هاجهُ الذِّكَرُ فما لدمعِكِ بعدَ اليومِ مدَّخَرُ
إنَّ الخليفةَ قد وارَت شمائلَه غبراءُ مُلْحَدَةٌ[1] فى [2]جُولِها زَوَرُ[2]
أضحى بنُوه وقد جلَّت مصيبتُهمْ مثلَ النجومِ هوَى من بينِها القمرُ
كانوا جميعًا فلم يدفَعْ منيَّتَه عبدُ العزيزِ ولا رَوحٌ ولا عمرُ

وممَّن هلَك أيامَ الوليدِ بنِ عبدِ الملكِ :

زيادُ بنُ جارِيَةَ التميميُّ الدمشقيُّ[3] ، كانت دارُه غربىَّ قصرِ الثقفيِّين . روَى عن حبيبِ بنِ مسلمةَ الفهرىِّ فى النهيِ عن المسألةِ لمَنْ له ما يغدِّيه ويعشِّيه ، وفى النفلِ . ومنهم مَن زعَم أنَّ له صحبةً ، والصحيحُ أنه تابعىٌّ . روَى عنه عطيةُ ابنُ قيسٍ ومكحولٌ ويونسُ بنُ ميسرةَ بنِ حَلْبَسٍ ، ومع هذا قال فيه أبو حاتمٍ : شيخٌ مجهولٌ . ووثقه النسائىُّ ، وابنُ حبانَ .

روى الحافظُ ابنُ عساكرَ[4] أنه دخَل يومَ الجُمعةِ إلى [١٥٧/٧و] مسجدِ دمشقَ وقد أُخِّرتِ الصلاةُ ، فقال : واللَّهِ ما بعَث اللَّهُ نبيًّا بعدَ محمدٍ ﷺ أمرَكم بهذه الصلاةِ هذا الوقتَ . قال : فأُخذ فأُدخِل الخضراءَ فقُطع رأسُه ، وذلك فى زمنِ الوليدِ بنِ عبدِ الملكِ .

---

(١) فى الأصل : « مخلدة » . وفى ا ٢، ب ، ص : « موحشة » . وهى فى الديوان : « ملحودة » .
(٢ - ٢) فى الأصل ، ا ٢: « جوفها زرر » . وفى ب ، ص : « جوفها زور » . والجول : الناحية والجانب . والزور : الاعوجاج .
(٣) ترجمته فى : التاريخ الكبير ٣٤٨/٣ ، والثقات ٢٥٢/٤ ، وتاريخ دمشق ١٣٤/١٩ وفيه حارثة ، وأسد الغابة ٢٦٨/٢ ، وتهذيب الكمال ٤٣٩/٩ ، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٨١ - ١٠٠ هـ) ص ٣٥٩ ، والإصابة ٢/ ٦٥٥.
(٤) تاريخ دمشق ١٩/ ١٣٦.

(1) عبدُ اللَّهِ بنُ عمرٍو(2) بنِ عثمانَ أبو محمدٍ ، كان قاضيَ المدينةِ ، وكان شريفًا كثيرَ المعروفِ جوادًا مُمدَّحًا ، واللَّهُ أعلمُ(1) .

خلافةُ سليمانَ بنِ عبدِ الملكِ(3)

بويع له بالخلافةِ بعدَ موتِ أخيه الوليدِ يومَ مات ، وكان يومَ السبتِ للنصفِ من جُمادَى الآخرةِ سنةَ ستٍّ وتسعين ، وكان سليمانُ بالرملةِ ، وكان وليَّ العهدِ من بعدِ أخيه عن وصيةِ أبيهما عبدِ الملكِ .

وقد كان الوليدُ قد عزَم قبلَ موتِه على خلعِ أخيه سليمانَ ، وأن يجعَلَ ولايةَ العهدِ من بعدِه لوَلدِه عبدِ العزيزِ بنِ الوليدِ ، وقد كان الحجّاجُ طاوَعه على ذلك ، وكذلك قتيبةُ بنُ مسلمٍ وجماعةٌ من أهلِ الشامِ - وقد أنشَد فى ذلك جريرٌ(4) وغيرُه من الشعراءِ قصائدَ - فلم ينتظِمْ ذلك له حتى مات ، وانعقَدت البيعةُ لسليمانَ ، فخَافه قتيبةُ بنُ مسلمٍ وعزَم على أن لا يُبايعَه ، فعزَله سليمانُ وولَّى على إمرةِ العراقِ ثم خراسانَ يزيدَ بنَ المهلَّبِ ؛ فأعاده إلى إمرتِها بعدَ عشرِ سنين ، وأمرَه بمعاقبةِ آلِ الحجاجِ بنِ يوسُفَ ، وكان الحجاجُ هو الذى عزَل يزيدَ عن خُراسانَ .

(1 - 1) زيادة من : ا ٢، ب ، م ، ص .

(2) فى النسخ : « عمر » . وانظر ترجمته فى : التاريخ الكبير ١٥٣/٥ ، وسمط اللآلى ٤٢٢ ، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٨١ - ١٠٠ هـ) ص ٤٠٣ ، والوافى بالوفيات ٣٨٤/١٧ ، وتهذيب التهذيب ٣٣٨/٥ والنجوم الزاهرة ٢٣٣/١ .

(3) انظر ترجمته فى : المعرفة والتاريخ ٢٢٣/١ ، وسير أعلام النبلاء ١١١/٥ ، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٨١ - ١٠٠ هـ) ص ٣٧٧ ، وفوات الوفيات ٤٠٠/١٥ ، وتاريخ الخلفاء ٢٢٥ .

(4) ديوان جرير ٦٦٧/٢ - ٦٦٨، ٧١٥ . وانظر تاريخ الطبرى ٥٠٦/٦ .

(1) ولسبعٍ بقِين مِن رمضانَ مِن هذه السَنةِ عزَل سليمانُ عن إمرةِ المدينةِ عثمانَ ابنَ حيّانَ، وولَّى عليها أبا بكرِ بنَ محمدِ بنِ عمرِو بنِ حزمٍ، وكان أحدَ العلماءِ (1).

وقد كان قتيبةُ بنُ مسلمٍ حين بلَغه ولايةُ سليمانَ الخلافةَ كتَب إليه كتابًا يعزِّيه في أخيه، ويهنِّئُه بولايتِه، ويذكُرُ فيه بلاءَه وعناءَه وقتالَه وهيبتَه في صدورِ الأعداءِ، وما فتَح اللَّهُ من البلادِ والمدنِ والأقاليمِ الكبارِ على يديه، وأنَّه له على مثلِ ما كان للوليدِ من قبلِه من الطاعةِ والنصيحةِ، إن لم يعزِلْه عن خراسانَ، ونال في هذا الكتابِ من يزيدَ بنِ المهلَّبِ، ثم كتَب كتابًا ثانيًا يذكُرُ فيه ما فعَل مِن القتالِ والفتوحاتِ وهيبتَه في صدورِ الملوكِ والأعاجمِ، ويذُمُّ يزيدَ بنَ المهلّبِ أيضًا، ويُقسِمُ فيه لَئِنْ عزَله وولَّى يزيدَ ليخلَعنَّ سليمانَ عن الخلافةِ، وكتَب كتابًا ثالثًا فيه خلْعُ سليمانَ بالكليةِ، وبعَث بها معَ البريدِ، وقال له: ادفع إليه الكتابَ الأولَ، فإن قرَأه ودفَعه إلى يزيدَ بنِ المهلَّبِ فادفَعْ إليه الثانيَ، فإن قرَأه ودفَعه إلى يزيدَ، فادفَعْ إليه الثالثَ، فلما قرَأ (2) سليمانُ الكتابَ الأولَ - واتفَق حضورُ يزيدَ عندَ سليمانَ - دفَعه إلى يزيدَ، فقرَأه، فناوَله البريدُ الكتابَ الثانيَ، فقرَأه ودفَعه إلى يزيدَ، فناوَله البريدُ الكتابَ الثالثَ فقرَأه فإذا (2) فيه التصريحُ بعزلِه وخلْعِه، فتغيَّر وجهُه، ثم ختَمه وأمسَكه بيدِه ولم يدفَعْه إلى يزيدَ، وأمر بإنزالِ البريدِ في دارِ الضيافةِ، فلما كان من الليلِ بعَث إلى البريدِ فأحضَره ودفَع إليه ذهبًا وكتابًا فيه ولايةُ قتيبةَ على خراسانَ، وأرسَل مع ذلك البريدِ بريدًا آخرَ من جهتِه ليقرِّرَه عليها، فلما [١٥٧/٧ظ] وصَلا بلادَ خراسانَ بلَغهما أن قتيبةَ قد خلَع الخليفةَ،

(١ - ١) سقط من: الأصل. وانظر تاريخ الطبرى ٦/ ٥٠٥.
(٢ - ٢) سقط من الأصل.

فدفَع بريدُ سليمانَ الكتابَ الذى معَه إلى بريدِ قتيبةَ ، ثم بلَغهما مقتلُ قتيبةَ قبلَ أن يرجِعَ بريدُ سليمانَ .

ذكرُ سببِ مقتلِ قتيبةَ بنِ مسلمٍ[1]

وذلك أنَّه جمَع الجندَ والجيوشَ ، وعزَم على خلعِ سليمانَ وتركِ طاعتِه ، وذكَر لهم هِمَّتَه وفتوحَه وعدْلَه فيهم ، ودَفْعَه الأموالَ الجزيلةَ إليهم ، فلما فرَغ مِن مقالتِه ، لم يُجِبْه أحدٌ منهم إلى مقالتِه ، فشرَع فى تأنيبِهم وذمِّهم ، قبيلةً قبيلةً ، وطائفةً طائفةً ، فغضِبوا عندَ ذلك ونفَروا عنه وتفرَّقوا ، وعمِلوا على مخالفتِه ، وسعَوا فى قتْلِه ، وكان القائمَ بأعباءِ ذلك رجلٌ يقال له : وكيعُ بنُ أبى سُودٍ ، فجمَع جموعًا كثيرةً ، ثم ناهَضه فلم يزَلْ به حتى قتَله فى ذى الحِجَّةِ[2] مِن هذه السنةِ ، وقتَل معه أحدَ عشرَ رجلًا مِن إخوتِه وأبناءِ إخوتِه ، ولم يبقَ منهم سوى ضرارِ بنِ مسلمٍ - وكانت أُمُّه الغراءَ بنتَ ضِرارِ بنِ القعقاعِ بنِ معبدِ بنِ سعدِ بنِ زُرارةَ ، فحمَتْه أخوالُه - وعمرِو بنِ مسلمٍ ، وكان عاملَ الجوزجانِ . وقتِل قتيبةُ وعبدُ الرحمنِ وعبدُ اللَّهِ وعبيدُ اللَّهِ وصالحٌ وبشارٌ[3] ، وهؤلاء أبناءُ مسلمٍ ، وأربعةٌ مِن أبنائِهم فقتَلهم كلَّهم وكيعُ بنُ سُودٍ .

وقد كان قتيبةُ بنُ مسلمِ بنِ عمرِو بنِ حُصينِ بنِ ربيعةَ أبو حفصٍ الباهليُّ ، مِن ساداتِ الأمراءِ وخيارِهم ، وكان مِن القادةِ النجباءِ الكبراءِ ، والشجعانِ وذوى

---

(١) انظر ترجمته فى : المعارف ٤٠٦، ووفيات الأعيان ٤/ ٨٦، ونهاية الأرب ٢١/ ٣٣٨، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٨١ - ١٠٠هـ) ص ٤٥٤، وسير أعلام النبلاء ٤/ ٤١٠.

(٢) فى ب : « القعدة » .

(٣) فى ١ ٢: « سيار » ، وفى ب ، م ، ص : « يسار » . وانظر المعارف ٤٠٦، وتاريخ الطبرى ٦/ ٥١٦.

الحروبِ والفتوحاتِ السعيدةِ ، والآراءِ (١ الحميدةِ ، وقد هدَى اللَّهُ على يديه خلقًا لا يُحصيهم إلا اللَّهُ ، فأسلَموا ودانوا للَّهِ ، عزَّ وجلَّ ١) ، وفتَح مِن البلادِ والأقاليمِ الكبارِ والمدنِ العظامِ شيئًا كثيرًا ، كما تقدم ذلك مفصَّلًا مبيَّنًا ، واللَّهُ سبحانَه لا يضيِّعُ سعيَه ولا يخيِّبُ تعبَه وجهادَه .

ولكن زلَّ زلَّةً كان فيها حتفُه ، (٢ وفعَل فعلةً ٢) رَغِم فيها أنفُه ، وخلَع الطاعةَ فبادَرتْ إليه المنيةُ ، وفارَق الجماعةَ ، فمات مِيتةً جاهليةً ، لكن سبَق له مِن الأعمالِ الصالحةِ ما قد يكفِّرُ اللَّهُ بها عنه مِن سيئاتِه ، (٣ ويمْحو بها عنه مِن خطيَّاتِه ٣) ، واللَّهُ يسامِحُه ويعفو عنه ، ويتقبَّلُ منه ما كان يكابدُه مِن مُناجزةِ الأعداءِ .وكانَت وفاتُه بفَرْغانةَ مِن أقصى بلادِ خراسانَ ، فى ذى الحِجَّةِ مِن هذه السنةِ ، وله مِن العمرِ ثمانٍ وأربعون سنةً ، وكان أبوه أبو صالحٍ ممن قُتِل مع مصعبِ بنِ الزُّبيرِ ، وكانت ولايتُه على خراسانَ عشْرَ سنين ، واستفاد وأفاد فيها خيرًا كثيرًا ، وقد رثاه عبدُ الرحمنِ بنُ جُمانةَ الباهلىُّ فقال(٤) :

كأنَّ أبا حفصٍ قتيبةَ لم يسِرْ ... بجيشٍ إلى جيشٍ ولم يعْلُ منبرا
ولم تخْفِقِ الراياتُ والقومُ حولَه ... وقوفٌ ولم يشهدْ له الناسُ عسكرا
دعتْه المنايا فاستجاب لربِّهِ ... وراحَ إلى الجنّاتِ عفًّا مُطَهَّرا
فما رُزِئَ الإسلامُ بعْدَ محمدٍ [١٥٨/٧و] ... بمثلِ أبى حفصٍ (٥ فبكِّيهِ عَبْهَرا ٥)

(١ - ١) سقط من : الأصل .
(٢ - ٢) فى الأصل : « ضل ضلة » .
(٣ - ٣) فى ا ٢، ب ، م ، ص : « ويضاعف به حسناته » .
(٤) تاريخ الطبرى ٦/ ٥٢١، والكامل ٥/ ١٩، ونهاية الأرب ٢١/ ٣٤٢.
(٥ - ٥) فى ا ٢: « قتيبة هل ترى » .

ولقد بالغ هذا الشاعرُ فى بيتِه الأخيرِ، وعبْهَرُ أمُّ[1] ولدٍ له. وقال الطِّرماحُ[2] فى هذه الوقعةِ التى قتِل فيها قتيبةُ[3] على يدَى وكيعِ بنِ أبى[4] سُودٍ:

لولا فوارسُ مَذْحِجٍ ابنةِ مَذحِجٍ ... والأزدِ زُعزِعَ واستُبيحَ العسكرُ

وتقطَّعَت بهمُ البلادُ ولم يَؤُبْ ... منهم إلى أهلِ العراقِ مخبِّرُ

واستُضلِعتْ[5] عُقَدُ الجماعةِ وازدرَى ... أمرُ الخليفةِ واستُحِلّ المنكَرُ

قومٌ همو قتَلوا قتيبةَ عَنوةً ... والخيلُ جانحةٌ[6] عليها العِثْيَرُ[7]

بالمرجِ مرجِ الصينِ حيث تبيَّنتْ ... مُضَرُ العراقِ مَن الأعزُّ الأكبَرُ

إذ حالفَتْ جزَعًا ربيعةُ كلُّها ... وتفرّقتْ مضرٌ ومَنْ يَتَمَضَّرُ

وتقدَّمتْ أزدُ العراقِ ومَذْحِجٌ ... للموتِ يجمَعُها أبوها الأكبرُ

قحطانُ تضرِبُ رأسَ كلِّ مُدَجَّجٍ ... تحمِى بصائرَهُنَّ إذ لا تبصِرُ

والأزدُ تعلَمُ أنَّ تحتَ لوائِها ... مُلكًا قُراسِيَةً[8] وموتٌ أحمرُ

فبعزِّنا نُصِر النبىُّ محمدٌ ... وبنا تثبَّت فى دمشقَ المنبرُ

وقد بسَط ابنُ جريرٍ هذه القصةَ[9] بسْطًا كثيرًا وذكَر أشعارًا كثيرةً جدًّا.

---

(١) سقط من النسخ. والمثبت من مصادر التخريج.

(٢) تاريخ الطبرى ٦/ ٥٢٠، ٥٢١.

(٣) سقط من: م.

(٤) سقط من: ا ٢، ب، م، ص.

(٥) فى الأصل، ب، ص: «استطلقت»، وفى ا ٢: «استطلعت».

(٦) فى ا ٢، ب، م، ص: «جامحة».

(٧) فى الأصل: «العنبر»، وفى ا ٢، ص: «العيشر»، وفى ب: «العيثر». والعثير: الغبار.

(٨) فى الأصل، ا ٢، ب، ص: «فراسته».

والقراسية: القوى من الإبل، وقال الزمخشرى: ومن المجاز ملك قراسية، وأورد بيت الطرماح هذا. أساس البلاغة (ق ر س).

(٩) فى م: «القصيدة». تاريخ الطبرى ٦/ ٥٠٦ - ٥٢٢.

وقال القاضى ابنُ خَلِّكان[1] : وقال[2] جريرٌ فى قتيبةَ بنِ مسلمٍ - رحمَه اللَّهُ وسامَحه :

نَدِمتُم على قتلِ الأغرِّ[3] ابنِ مسلمٍ وأنتمْ إذا لاقَيتُمُ اللَّهَ أندَمُ
لقدْ كنتُمُ من غزوِه فى غَنيمةٍ وأنتمْ لمَنْ لاقَيتمُ اليومَ مَغْنَمُ
على أنَّه أفضَى إلى حُورِ جنَّةٍ وتُطبِقُ بالبلوى عليكمْ جهنَّمُ

قال : وقد ولِى مِن أولادِه وذريتِه جماعةٌ الإمرةَ فى البلدانِ ، فمنهم عمرُو[4] ابنُ سعيدِ [5]بنِ سلمٍ[5] بنِ قتيبةَ بنِ مسلم وكان جوَادًا ممدَّحًا ، رثاه حين مات أبو عمرٍو أشجعُ بنُ عمرٍو السُّلَمىُّ الرقِّىُّ[6] نزيلُ البصرةِ بقولِه[7] :

مضَى ابنُ سعيدٍ حين[8] لم يبقَ مَشرِقٌ ولا مَغربٌ إلا له فيه مادحُ
وما كنتُ أدرى ما فواضلُ كفِّهِ على الناسِ حتى غيَّبتْهُ الصفائحُ
وأصبحَ فى لحدٍ مِن الأرضِ ضيِّقٍ وكانت به حيًّا تضيقُ الصَّحاصِحُ[9]
[٧/١٥٨ظ] سأبكيكَ ما فاضتْ دُموعى فإنْ تَغِضْ فحسبُكَ منِّى ما تُجِنُّ[10] الجوانحُ

---

(١) وفيات الأعيان ٤/ ٨٨.
(٢) بعده فى ا ٢، ب ، ص : « ابن » .
(٣) فى ا ٢، ب ، م، ص : « الأمير » .
(٤) فى ا ٢، ب ، م : « عمر » .
(٥ - ٥) سقط من : ا ٢، ب ، م، ص . وفى الأصل : « بن مسلم » . والمثبت من وفيات الأعيان ٤/ ٨٨. وانظر المعارف ص ٤٠٧.
(٦) فى ا ٢، ب ، م، ص : « المرى » .
(٧) الحماسة لأبى تمام ١/ ٤١٣، ٤١٤، وزهر الآداب ٢/ ٧٩٤، ووفيات الأعيان ٤/ ٨٩.
(٨) فى النسخ: « حيث » . وانظر مصادر التخريج .
(٩) الصحاصح : جمع صحصح وهى الأرض المستوية الواسعة. اللسان (صحصح) .
(١٠) فى م : « تجر » .

فما أنا مِنْ رُزْءٍ[1] وإنْ جلّ جازعٌ ولا بسرورٍ بعدَ موتِك فارحُ

كأنْ لم يمُتْ حيٌّ سواكَ ولم يَقُمْ على أحدٍ إلا عليكَ النوائحُ

لئنْ حسُنَتْ فيكَ المراثى وذِكرُها لقد حَسُنَتْ مِن قبلُ فيكَ المدائحُ

قال ابنُ خلِّكانَ[2] : وهى مِن أحسنِ المَراثى ، وهى فى الحماسةِ . ثم تكلَّم على باهلةَ ، وأنَّها قبيلةٌ مَرْذولةٌ عندَ العربِ ، قال : وقد رأيتُ فى بعضِ المجاميعِ أنَّ الأشعَثَ بنَ قيسٍ قال : يا رسولَ اللَّهِ ، أتَتَكافأُ دماؤُنا ؟ قال : « نعم ، ولو قتَلْتَ رجلًا مِن باهلةَ لقَتلتُك به[3] » . وقيل لبعضِ العربِ : أيَسُرُّك أن تدخُلَ الجنةَ وأنت باهليٌّ ؟ قال : بشرطِ أن لا يعلمَ أهلُ الجنةِ بذلك . وسأل بعضُ الأعرابِ رجلًا : ممّن أنت ؟ فقال : مِن باهلةَ . فجعَل يرثى له ، فقال : وأزيدُك أنّى لستُ مِن الصَّميمِ وإنَّما أنا مِن مواليهم . فجعَل يقبِّلُ يدَيْه ورجلَيْه ، فقال : ولِمَ تفعَلُ هذا ؟ فقال : لأنَّ اللَّهَ تعالى ما ابتلاك بهذه الرزيَّةِ فى الدنيا إلا ليعوِّضَك الجنةَ فى الآخرةِ .

ثم قال ابنُ جريرٍ[4] : وفى هذه السنةِ توفِّى قُرَّةُ بنُ شَريكٍ القَيسِىُّ[5] أميرُ مصرَ[6] مِن جهةِ الوليدِ[7] . وفيها حجَّ بالناس أبو بكرِ بنُ[8] محمدِ بنِ عمرِو بنِ حزمٍ ، وكان هو الأميرَ على المدينةِ ، وعلى مكةَ عبدُ العزيزِ بنُ عبدِ اللَّهِ بنِ خالدِ

---

(١) فى م : « رزئى » .

(٢) وفيات الأعيان ٨٩/٤ - ٩١.

(٣) سقط من : م .

(٤) تاريخ الطبرى ٦/ ٥٢٢.

(٥) فى م : « العبسى » .

وانظر ترجمته فى : تاريخ دمشق ٤١٤/١٤ (مخطوط) ، وسير أعلام النبلاء ٤/ ٤٠٩، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٨١ - ١٠٠هـ) ص ٤٥٦. وفيه « العبسى » .

(٦) بعده فى ١ ٢، ب ، م ، ص: « وحاكمها . قلت : هو قرة بن شريك أمير مصر » .

(٧) بعده فى ١ ٢، ب ، م ، ص : « وهو الذى بنى جامع الفيوم » .

(٨) سقط من : م .

ابنِ أَسِيدٍ ، وعلى حَرْبِ العراقِ وصَلاتِها يزيدُ بنُ المهلَّبِ ، وعلى خَراجِها صالحُ ابنُ عبدِ الرحمنِ ، وعلى نيابةِ البصرةِ ليزيدَ بنِ المهلَّبِ سفيانُ بنُ عبدِ اللَّهِ الكنديُّ ، وعلى قضائِها عبدُ الرحمنِ بنُ أُذينةَ ، وعلى قضاءِ الكوفةِ أبو بكرِ بنُ أبى موسى ، وعلى حربِ خراسانَ وكيعُ بنُ أبى[1] سُودٍ .

---

(١) سقط من : م .

ثم دخلت سنة سبعٍ وتسعين

وفيها جهَّز سليمانُ بنُ عبدِ الملكِ الجيوشَ إلى القُسْطَنْطِينيةِ . وفيها أمَّر ابنَه داودَ على الصائفةِ ، ففتَح حصنَ المرأةِ .

قال الواقديُّ[1] : وفيها غزا مسلمةُ بنُ عبدِ الملكِ أرضَ الوضّاحيةِ فافتتَح الحصنَ الذى فتَحه[2] الوضّاحُ صاحبُ الوضّاحيةِ .

[3]وفيها غزا مسلمةُ أيضًا بَرْجَمَةَ ، ففتَح حصونًا ، وبَرْجَمَةَ ، وحصنَ الحديدِ وسَرْدَوْسَلَ[4] ، وشَتَّى بأرضِ الرّومِ[3] .

وفيها غزا عمرُ بنُ هُبيرةَ الفَزاريُّ فى البحرِ أرضَ الرومِ وشتَّى بها . وفيها قتِل عبدُ العزيزِ بنُ موسى بنِ نُصَيرٍ ، وقَدِم برأسِه على سليمانَ بنِ عبدِ الملكِ[5] حبيبُ ابنُ أبى عبيدٍ الفهرِىُّ .

وفيها [٧/١٥٩و] ولَّى سليمانُ نيابةَ خراسانَ ليَزيدَ بنِ المهلَّبِ ، مُضافًا إلى ما بيدِه مِن إمرةِ العراقِ ، وكان سببَ ذلك أنَّ وكيعَ بنَ أبى سُودٍ لـمّا قتَل قتيبةَ بنَ مُسلمٍ وذريتَه ، بعَث برأسِ قتيبةَ إلى سليمانَ فحظِى عندَه ، وكتَب له بإمرةِ خراسانَ ، فبعَث يزيدُ بنُ المهلّبِ عبدَ الرحمنِ بنَ الأهتمِ إلى سليمانَ بنِ عبدِ الملكِ ؛ ليحسِّنَ عندَه أمْرَ يزيدَ بنِ المهلّبِ فى إمرةِ خراسانَ ، وينتقِصَ عندَه

---

(١) تاريخ الطبرى ٦/٥٢٣ .

(٢) فى م : « بناه » .

(٣ - ٣) سقط من : الأصل . وانظر تاريخ خليفة ١/ ٤٢٣، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٨١ - ١٠٠هـ) ص ٢٦٦.

(٤) فى ا ٢، ب ، ص : « سردا » ، وفى م : « دسررا » . والمثبت من مصدرى التخريج .

(٥) بعده فى ا ٢، ب ، م ، ص : «أمير المؤمنين مع » .

وكيعَ بن أبى[(1)] سُودٍ ، فسار ابنُ الأهتمِ - وكان ذا دَهاءٍ ومكرٍ - إلى سليمانَ بنِ عبدِ الملكِ ، فلم يزَلْ به حتى عزَل وكيعًا عن خراسانَ ، وولَّى عليها يزيدَ مع إمرةِ العراقِ ، وبعَث بعهدِه مع ابنِ الأهتمِ ، فسار فى سَبعٍ حتى جاء يزيدَ ، فأعطاه عهدَ خراسانَ مع العراقِ ، وكان يزيدُ وعَده بمائةِ ألفٍ فلم يفِ له بها ، وبعَث يزيدُ ابنَه مَخلَدًا بينَ يدَيه إلى خراسانَ ، ومعه كتابُ أميرِ المؤمنين ؛ مضمونُه أنَّ قيسًا زعَموا أنَّ قتيبةَ بنَ مسلمٍ لم يكُنْ خلَع الطاعةَ ، فإنْ كان وكيعٌ قد تعرَّض له ، وثار عليه بسببِ أنَّه خلَع ولم يكنْ خلَع فقيِّدْه ، وابعَثْ به إلىَّ . فتقدَّم مَخْلَدٌ فأخَذ وكيعًا فعاقَبه ، وحبَسه قبلَ أنْ يجىءَ أبوه ، فكانت إمرةُ وكيعِ بنِ أبى سُودٍ [(2)]على خراسانَ[(2)] تسعةَ أشهرٍ أو عشْرةَ أشهرٍ ، ثم قدِم يزيدُ بنُ المهلَّبِ فتسلَّم خراسانَ وأقام بها ، واستناب فى البلادِ نوّابًا ، ذكَرَهم ابنُ جريرٍ[(3)] .

قال[(4)] : وفيها حجَّ بالناسِ سليمانُ بنُ عبدِ الملكِ . ونوابُ البلادِ هم المذكورون فى التى قبلَها ، غيرَ أنَّ خراسانَ عزَل عنها وكيعَ بنَ أبى[(5)] سُودٍ ، وولِيَها يزيدُ بنُ المهلَّبِ بنِ أبى صُفرةَ مع العراقِ .

ومِمَّن توفِّى فيها مِن الأعيانِ :

---

(1) سقط من : ا ٢، ب ، م ، ص .

(٢ - ٢) فى ا ٢، ب ، م ، ص : « الذى قتل قتيبة » .

(٣) انظر تاريخ الطبرى ٦/ ٥٢٦.

وبعده فى ا ٢، ب ، م ، ص : « قال : ثم سار يزيد بن المهلب فغزا جرجان ولم تكن يومئذ مدينة بأبواب وصور فإنما هى جبال وأودية ، وكان ملكها يقال له : صول . فتحول عنها إلى قلعة هناك وقيل إلى جزيرة فى بحيرة هناك ، ثم أخذوه من البحيرة وقتلوا من أهلها خلقا كثيرا وأسروا وغنموا » .

(٤) تاريخ الطبرى ٦/ ٥٢٩.

(٥) سقط من : م .

الحسنُ بنُ الحسنِ بنِ عليِّ بنِ أبي طالبٍ، أبو محمدٍ القرشيُّ الهاشميُّ[1]. روَى عن أبيه، عن جدِّه مرفوعًا[2]: «مَن عال أهلَ بيتٍ مِن المسلمين يومَهم وليلتَهم غفَر اللَّهُ له ذنوبَه». وعن عبدِ اللَّهِ بنِ جعفرٍ، عن عليٍّ في دعاءِ الكربِ[3]، وعن زوجتِه فاطمةَ بنتِ الحسينِ. وعنه ابنُه عبدُ اللَّهِ وجماعةٌ. وقد وفَد على عبدِ الملكِ بنِ مروانَ فأكْرَمه ونصَره على الحجاجِ، وأقرّه وحدَه على ولايةِ صدقةِ عليٍّ. وقد ترجَمه الحافظُ ابنُ عساكرَ[4] فأحسَن، وذكَر عنه آثارًا تدلُّ على سيادتِه (٥وعلمِه وتسنُّنِه، رحِمه اللَّهُ٥). (٦وقيل[7]: إنَّ الوليدَ ابنَ عبدِ الملكِ كتَب إلى عاملِه بالمدينةِ: إنَّ الحسنَ بنَ الحسنِ كاتَبَ أهلَ العراقِ، فإذا جاءك كتابي هذا فاجلِدْه مائةَ ضربةٍ، وقِفْه للناسِ، ولا أُراني إلا قاتلَه. فأرسَل خلفَه فعلَّمه عليُّ بنُ الحسينِ كلماتِ الكربِ، فقالها حينَ دخَل عليه فنجَّاه اللَّهُ منهم، وهي: لا إلهَ إلّا اللَّهُ الحليمُ الكريمُ، لا إلهَ إلا اللَّهُ العليُّ العظيمُ، لا إلهَ إلّا اللَّهُ ربُّ السمواتِ السبعِ وربُّ الأرضِ ربُّ العرشِ العظيمِ. توفِّي بالمدينةِ، وكانت أمُّه خَوْلَةَ بنتَ منظورٍ الفزاريِّ٦).

---

(١) انظر ترجمته في: طبقات ابن سعد ٥/ ٣١٩، وتاريخ دمشق ١٣/ ٦١، وتهذيب الكمال ٦/ ٩٠، وسير أعلام النبلاء ٤/ ٤٨٣، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٨١ - ١٠٠هـ) ص ٣٢٨، والوافي بالوفيات ١١/ ٤١٦.

(٢) أخرجه ابن عساكر في تاريخ دمشق ٦١/١٣ بسنده، من طريق الحسن به.

(٣) أخرجه النسائي في الكبرى (١٠٤٧٨، ١٠٤٧٩، ١٠٤٨٠)، من ثلاث طرق عن علي بن الحسن به، وفيه قصة.

(٤) انظر تاريخ دمشق ٦١/١٣.

(٥ - ٥) سقط من: ٢١، م، ص.

(٦ - ٦) زيادة من: ا ٢، ب، م، ص.

(٧) تاريخ دمشق ١٣/ ٦٥، ٦٦، وبغية الطلب ٥/ ٣٥١، ٣٥٢.

وقال يومًا لرجلٍ مِن [١٥٩ظ] الرافضةِ: واللَّهِ إنَّ قَتْلَك لَقُربةٌ إلى اللَّهِ، عزَّ وجَلَّ. فقال له الرجلُ: إنك تمزَحُ. فقال: واللَّهِ ما هذا منى بمزْحٍ ولكنه الجِدُّ[(١)].

وقال له رجلٌ[(٢)] منهم[(٣)]: ألم يقُلْ رسولُ اللَّهِ ﷺ: «مَن كنتُ مولاه فعليٌّ مولاه»؟ فقال: بلَى، ولو أرادَ الخلافةَ لخطَب الناسَ فقال: أيُّها الناسُ، اعلَموا أنَّ هذا وليُّ أمرِكم والقائمُ عليكم مِن بعدى، فاسمَعوا له وأطيعوا، واللَّهِ لئن كان اللَّهُ ورسولُه اختار عليًّا لهذا الأمرِ ثم ترَكه عليٌّ لكان أولَ مَن ترَك أمْرَ اللَّهِ ورسولِه.

وقال لهم أيضًا[(٤)]: واللَّهِ لئن وُلِّينا مِن الأمرِ شيئًا لنقطِّعَنَّ أيديَكم وأرجلَكم مِن خِلافٍ ثم لا نقبَلُ لكم توبةً، ويلكم غرَرتمونا مِن أنفسِنا، ويلكم لو كانتِ القرابةُ تنفَعُ بلا عملٍ لنفعتْ أباه وأمَّه. فلو كان ما تقولون فينا حقًّا لكان آباؤنا (٥)إذ لم يُعلِمونا بذلك قد ظلَمونا وكتَموا عنّا أفضلَ الأُمورِ(٥)، واللَّهِ إنِّى لأخشَى أن يضاعَفَ للعاصى منّا العذابُ ضِعفين، كما إنِّى لأرجو للمحسِنِ منّا أن يكونَ له الأجرُ مرّتين، ويلكم أحِبّونا إنْ أطعْنا اللَّهَ[(٦)]، وأبغِضونا إن عصَيْنا اللَّهَ[(٧)].

موسى بنُ نُصَيرٍ أبو عبدِ الرحمنِ اللَّخْمِيُّ[(٨)]، مولاهم، كان مولًى لامرأةٍ

---

(١) تاريخ دمشق ١٣/ ٦٧، وبغية الطلب ٥/ ٣٥٤، ٣٥٥.
(٢) فى ا ٢، ب، م، ص: «آخر».
(٣) تاريخ دمشق ١٣/ ٦٩، وبغية الطلب ٥/ ٣٥٥.
(٤) تاريخ دمشق ٥/ ٦٩.
(٥ - ٥) فى الأصل: «قد غشونا إذ لم يعلمونا بذلك».
(٦) بعده فى ا ٢، ب، م، ص: «على طاعته».
(٧) بعده فى ا ٢، ب، م، ص: «على معصيته». وانظر الأثر فى تاريخ دمشق ٩/ ٧٠.
(٨) انظر ترجمته فى: تاريخ علماء الأندلس ٢/ ١٤٦، وجذوة المقتبس ٣٣٨، وبغية الملتمس ٩٩، والحلة السيراء ٢/ ٣٣٢، ووفيات الأعيان ٥/ ٣١٨، وسير أعلام النبلاء ٤/ ٤٩٦، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٨١ - ١٠٠هـ) ص ٤٨٥، ونفح الطيب ١/ ٢٨٣.

منهم، وقيل: كان مولًى لبنى أُمية. افتتَح بلادَ المغربِ، [1]وغنِم منها أموالًا لا تُعَدُّ ولا توصفُ، وله بها مَقاماتٌ مشهورةٌ هائلةٌ[1]، ويقالُ[2]: إنَّه كان أعرَجَ. ويقالُ[2]: إنَّه وُلِد سنةَ تسعَ عشْرةَ. وأصلُه من عينِ التمرِ، وقيل[2]: إنَّه مِن إراشَةَ[3] مِن بَلِيٍّ. سُبِى أبوه مِن جبلِ الخليلِ مِن الشامِ فى أيامِ الصِّدِّيقِ، وكان اسمُ أبيه نصرًا فصغِّر.

روَى عن تميمٍ الدارىِّ. وروَى عنه ابنُه عبدُ العزيزِ، ويزيدُ بنُ مسروقٍ اليَحْصُبىُّ. ووَلِى غزوَ البحرِ لمعاويةَ، فغزا قُبرُصَ، وبنَى هنالك حصونًا كالماغُوصةِ وحصنِ يانِسَ[4] وغيرِ ذلك مِن الحصونِ التى بناها بقبرصَ، وكان نائبَ معاويةَ عليها بعد أن فتَحها معاويةُ فى سنةِ سبعٍ وعشرين. وشهِد مرجَ راهطٍ مع الضحاكِ بنِ قيسٍ، فلمَّا قُتِل الضحاكُ لجَأ موسى بنُ نُصيرٍ إلى عبدِ العزيزِ بنِ مروانَ، ثم لـمّا دخَل مروانُ بلادَ مصرَ كان معه فترَكه عندَ ابنِه عبدِ العزيزِ، ثم لما أخَذ عبدُ الملكِ بلادَ العراقِ جعَله وزيرًا عند أخيه بشرِ بنِ مروانَ.

وكان موسى بنُ نُصيرٍ هذا ذا رأيٍ وتدبيرٍ وحزمٍ وخبرةٍ بالحربِ. قال الفَسَوىُّ[5]: ولِى موسى بنُ نُصيرٍ إمرةَ بلادِ إفريقيّةَ سنةَ تسعٍ وسبعين، فافتتَح

(١ - ١) زيادة من: ا ٢، ب، م، ص.
(٢) تاريخ دمشق ١٧/٤٠٧ (مخطوط).
(٣) إراشة: أبو قبيلة من بلى، وهو إراشة بن عامر بن عَبيلة بن قِسميل بن فرّان بن عمرو بن بلى. تاج العروس (أ ر ش).
(٤) فى الأصل، ا ٢، م، ص: «بانس».
(٥) المعرفة والتاريخ ٣/ ٤٣٢.

بلادًا كثيرةً[1] . وقد ذكَرْنا أنَّه افتتَح بلادَ الأندلسِ[2] ، [3]وهى بلادٌ ذاتُ مدنٍ وقرًى وريفٍ[3] ، فسبَى منها ومِن غيرِها خلقًا كثيرًا ، وغنِم أموالًا جزيلةً ، [٧/١٦٠و] مِن الذهبِ [4]والجواهرِ النفيسةِ شيئًا لا يُحصَى ولا يُعَدُّ ، وأمّا الآلاتُ والمتاعُ والدوابُّ فشىءٌ لا يُدرَى ما هو ، وسبَى مِن الغِلمانِ الحسانِ والنساءِ الحسانِ شيئًا كثيرًا ، حتى قيل : إنَّه لم يَسْبِ[5] أحدٌ مثلَه مِن الأعداءِ ، وأسلَم أهلُ المغربِ على يديه ، وبثَّ فيهم الدينَ والقرآنَ ، وكان إذا سار إلى مكانٍ ، تُحملُ الأموالُ معه على العجَلِ لكثرتِها وعَجْزِ الدوابِّ عنها .

وقد كان موسى بنُ نُصيرٍ هذا يفتَحُ فى بلادِ المغربِ ، وقتيبةُ يفتَحُ فى بلادِ المشرقِ ، فجزاهما اللّهُ خيرًا ، فكلاهما فتَح مِن الأقاليمِ والبلدانِ شيئًا كثيرًا ، ولكنَّ موسى بنَ نُصيرٍ حظِى بأشياءَ لم يحظَ بها قتيبةُ ، حتى قيل[6] : إنَّه لـمّا فتَح الأندلسَ جاءه رجلٌ فقال : ابعَثْ معى رجالًا حتى أدُلَّك على كَنزٍ عظيمٍ ، فبعَث معه رجالًا فأتى بهم إلى مكانٍ ، فقال : احفِروا . فحفَروا فأفضَى بهم الحَفْرُ إلى قاعةٍ عظيمةٍ ذاتِ لواوِينَ حسَنةٍ ، فوجَدوا هناك مِن اليواقيتِ والجواهرِ والزبرجدِ ما أبهتَهم ، وأما الذهَبُ فشىءٌ لا يعبَّر عنه ، ووجَدوا فى ذلك الموضِعِ الطنافسَ ، الطِّنفِسةُ منها منسوجةٌ بقُضبانِ الذهبِ ، منظومةٌ باللؤلُؤِ الغالى المفتخَرِ ، والطِّنفِسةُ منظومةٌ بالجوهرِ المثمَّنِ ، واليواقيتِ التى ليس لها نظيرٌ فى شكلِها[4]

---

(١) بعده فى ا ٢، ب ، م ، ص : « جدا مدنا وأقاليم » .
(٢) انظر ما تقدم فى ٩/ ٨٣، ٨٦.
(٣ - ٣) فى الأصل : « وأخذ بلدانا كثيرة » .
(٤ - ٤) فى الأصل : « واللآلئ التى قيل : إنه لم يسب أحد مثله من الأعداء » .
(٥) فى م : « يسلب » .
(٦) تاريخ دمشق ١٧/ ٤٠٩، ٤١٠ (مخطوط) .

وحسنِها وصفاتِها . ولقد سمِع يومئذٍ منادٍ ينادى لا يرَون شخصَه : أيُّها الناسُ ، إنَّه قد فُتح عليكم بابٌ مِن أبوابِ جهنمَ فخذوا حِذرَكم . وقيل[2] : إنَّهم وجَدوا فى هذا الكَنزِ مائدةَ سليمانَ بنِ داودَ التى كان يأكُلُ عليها[1] . وقد جمَع أخبارَه وما جرَى له فى حروبِه وغزواتِه رجلٌ من ذريتِه يقال له : أبو معاوية مُعارِكُ بنُ مروانَ بنِ عبدِ الملكِ بنِ مروانَ بنِ موسى بنِ نُصيرٍ النُّصيرِىُّ .

وروَى الحافظُ ابنُ عساكرَ[3] أنَّ عمرَ بنَ عبدِ العزيزِ سأَل موسى بنَ نُصيرٍ حين قَدِم دمشقَ أيامَ الوليدِ عن أعجبِ شىءٍ رآه[4] فى البحرِ ، فقال : انتهَيْنا مرةً إلى جزيرةٍ فيها ستٌّ عشْرةَ جَرَّةً[5] خضراءَ[6] مختومةً عليها بخاتَمِ سليمانَ بنِ داودَ ، عليهما السلامُ ، فأمَرتُ بأربعةٍ منها فأُخرِجتْ ، وأمَرتُ بواحدةٍ منها فنُقِبتْ فإذا[7] شيطانٌ ينفُضُ رأسَه ، وهو[6] يقولُ : والذى أكرَمَك بالنُّبوَّةِ لا أعودُ بعدَها أُفسِدُ فى الأرضِ . قال : ثم[8] نظَر فقال : واللَّهِ[9] لا أرى بها[10] سليمانَ وملكَه . فانساخ فى الأرضِ[11] فذهَب ، قال : فأمَرتُ بالثلاثِ البواقى فرُدَّت إلى مكانِها[12] .

(١ - ١) سقط من : الأصل .

(٢) تاريخ دمشق ٤١١/١٧ (مخطوط) .

(٣) تاريخ دمشق ١٧/ ٤١١، ٤١٢ (مخطوط) .

(٤) فى ا ٢، ب ، م ، ص : « رأيت » .

(٥) فى ص : « حزيرة » .

(٦) سقط من : م .

(٧) بعده فى ا ٢، ب ، م ، ص : « قد خرج منها » .

(٨) بعده فى ا ٢، ب ، م ، ص : « إن ذلك الشيطان » .

(٩) فى م : « إنى » .

(١٠) فى م : « بهاء » .

(١١) انساخ فى الأرض ، يعنى : غاص فيها .

(١٢) بعده فى ا ٢، ب ، م ، ص : « وقد ذكر السمعانىّ وغيرُه عنه أنه سارَ إلى مدينةِ النحاسِ التى =

وقد استَسقَى موسى بنُ نُصيرٍ بالناسِ فى سنةِ ثلاثٍ وتسعين حين أقحَطوا بإفريقيّةَ ، فأمَرهم بصيامِ ثلاثةِ أيامٍ قبل الاستسقاءِ ، ثم خرَج بين الناسِ ، وميَّز أهلَ الذمَّةِ عن المسلمين ، وفرَّق بين البهائمِ وأولادِها ، ثم أمَر برفعِ[1] الضجيجِ والبكاءِ ، وهو يدعو اللَّهَ تعالى حتى انتصَف النهارُ ، ثم نزَل فقيل له : ألا دعوتَ لأميرِ المؤمنين ؟ فقال : هذا موطنٌ لا يُذكَرُ فيه إلا اللَّهُ . فسقاهم اللَّهُ ، عزَّ وجلَّ ، [٢]لمّا قال ذلك[٢] . وقد وفَد موسى بنُ نُصيرٍ على الوليدِ بنِ عبدِ الملكِ فى آخرِ أيامِه ، فدخَل دمشقَ فى يومِ جمُعةٍ والوليدُ على المنبرِ ، وقد لبِس موسى ثيابًا حسنةً وهيئةً حسنةً ، ومعه ثلاثونَ[3] من أبناءِ الملوكِ[4] والأشبانِ ، وقد ألبَسهم تِيجانَ الملوكِ مع ما معهم مِن الخدمِ والحشمِ والأُبَّهةِ العظيمةِ ، فلمّا نظَر إليهم الوليدُ وهو يخطُبُ الناسَ على منبرِ جامعِ دمشقَ بُهِتَ إليهم ، لِما رأَى عليهم مِن

= بقربِ البحرِ المحيطِ الأخضرِ ، فى أقصى بلادِ المغربِ ، وأنهم لما أشرَفوا عليها رأَوا بريقَ شرفاتها وحيطانِها من مسافةٍ بعيدةٍ ، وأنهم لما أتوها نزلوا عندَها ، ثم أرسلَ رجلًا من أصحابِهِ ومعه مائةُ فارسٍ من الأبطالِ ، وأمره أن يدورَ حول سورِها لينظرَ هل لها بابٌ أو منفذٌ إلى داخلِها ، فقيل : إنه سارَ يومًا وليلةً حول سورِها ، ثم رجَع إليه فأخبَره أنه لم يجدْ بابًا ولا منفذًا إلى داخلِها ، فأمَرهم فجمَعوا ما معهم من المتاعِ بعضَه على بعضٍ ، فلم يبلغوا أعلى سورِها ، فأمَر فعمل سلالم فصعِدوا عليها ، وقيل إنه أمر رجلًا فصعِد على سورِها ، فلما رأى ما فى داخلِها لم يملكْ نفسَه أن ألقاها فى داخلِها فكان آخر العهدِ به ، ثم آخر فكذلك ، ثم امتنع الناسُ من الصعودِ إليها ، فلم يُحطْ أحدٌ منهم بما فى داخلِها علمًا ، ثم ساروا عنها فقطعوها إلى بحيرةٍ قريبةٍ منها ، فقيل : إنَّ تلك الجرارَ المذكورةَ وجَدها فيها ، ووجَد عليها رجلًا قائمًا ، فقال له : ما أنتَ ؟ قال : رجلٌ من الجنِّ وأبى محبوسٌ فى هذه البحيرةِ حبَسه سليمانُ ، فأنا أجيء إليه فى كل سنةٍ مرةً أزورُه . فقال له : هل رأيتَ أحدًا خارجًا من هذه المدينةِ أو داخلًا إليها ؟ قال : لا ، إلا أن رجلا يأتى فى كلِّ سنة إلى هذه البحيرةِ يتعبَّدُ عليها أيامًا ثم يذهبُ فلا يعودُ إلى مثلِها ، واللَّهُ أعلمُ ما هو. ثم رجَع إلى إفريقيةَ ، واللَّه أعلمُ بصحةِ ذلك ، والعهدةُ على من ذكَر ذلك أولًا » .

(١) فى ا ٢، ب ، م ، ص : « بارتفاع » .

(٢ - ٢) زيادة من : ا ٢، ب ، م ، ص .

(٣) بعده فى ا ٢، ب ، م ، ص : « غلاما » .

(٤) بعده فى ا ٢، ب ، م ، ص : « الذين أسرهم » .

الحريرِ والجواهرِ والزينةِ البالغةِ ، وجاء موسى بنُ نُصيرٍ فسلَّم على الوليدِ وهو على المنبرِ ، وأمَر أولئك فوقَفوا عن يمينِ المنبرِ وشِمالِه ، فحمِد اللَّهَ الوليدُ ، وشكَره على ما أيَّدَه به ووسَّع مُلكَه ، وأطال الدعاءَ والتحميدَ والشكرَ حتى خرَج وقتُ الجمُعةِ ، ثم نزَل فصلَّى بالناسِ ، ثم استَدعى بموسى بنِ نُصيرٍ فأحسَن جائزتَه وأعطاه شيئًا كثيرًا ، وكان[1] موسى قد قدِم معه[2] بمائدةِ سليمانَ بنِ داودَ ، عليهما السلامُ ، التى كان يأكُلُ عليها وكانت مِن خليطين ؛ ذهبٍ وفضةٍ ، وعليها ثلاثةُ أطواقِ لؤلؤٍ وجوهرٍ لم يُرَ مثلُها[3] ، وجَدها فى مدينةِ طُلَيطِلةَ مِن بلادِ الأندلسِ مع أموالٍ كثيرةٍ . وقيل[4] : إنَّه بعَث ابنَه مروانَ على جيشٍ ، فأصاب مِن السبيِ مائةَ ألفِ رأسٍ ، وبعَث ابنَ أخيه فى جيشٍ ، فأصاب مائةَ ألفِ رأسٍ أيضًا مِن البربرِ ، فلمّا جاء كتابُه إلى الوليدِ وذكَر فيه أنّ خُمُسَ الغنائمِ أربعون ألفَ رأسٍ . قال الناسُ : إنَّ هذا أحمقُ ، مِن أين له أربعون ألفَ رأسٍ خُمُسُ الغنائمِ ؟ فبلَغه ذلك فأرسَل أربعين ألفَ رأسٍ وهى خُمُسُ ما غنِم ، ولم يُسمعْ فى الإسلامِ بمثلِ سبايا موسى بنِ نصيرٍ أميرِ المغربِ .

[5]وقد جرَت له عجائبُ فى فتحِه بلادَ الأندلسِ وقال : لو انقاد الناسُ لى لقدتُهم حتى أفتَحَ بهم مدينةَ روميَةَ - وهى المدينةُ العظمى فى بلادِ الفرنجِ - ثم ليفتحَنَّها اللَّهُ على يدىَّ إن شاء اللَّهُ تعالى . ولـمّا قدِم على الوليدِ[5] قَدِم معه بثلاثين ألفًا مِن السبيِ غيرَ ما ذكَرْنا ، وذلك خُمُسُ ما كان غنِمه فى آخرِ غَزاةٍ غزاها ببلادِ

---

(١) فى ا ٢، ب، م، ص: «كذلك».
(٢) بعده فى ا ٢، ب، م، ص: «بشىء كثير من ذلك».
(٣) فى ا ٢، ب، م، ص: «مثله».
(٤) أخرج نحوه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ١٧/ ٤٠٩، ٤١٠ (مخطوط).
(٥ - ٥) سقط من: الأصل.

المغربِ ، وقدِم معه مِن الأموالِ والتحفِ واللآلئَ والجواهرِ ما لا يُحَدُّ ولا يوصَفُ .

ولم يزَلْ مقيمًا بدمشقَ حتى مات الوليدُ وتولّى سليمانُ ، وكان عاتبًا على موسى فحبَسه عندَه ، وطالَبه [٧/١٦٠ظ] بأموالٍ عظيمةٍ . ولم يَزَلْ فى يدِه حتى حجَّ سليمانُ فى هذه السنةِ وأخَذه معه فمات بالمدينةِ[(١)] . وقيل[(٢)] : بوادى القرى . وقد قارب[(٣)] الثمانين ، وقيل[(٤)] : توفِّى سنةَ تسعٍ وتسعين . فاللَّهُ أعلمُ .

---

(١) تاريخ دمشق ١٧/٤١٢، ٤١٣ (مخطوط) .
(٢) تاريخ دمشق ١٧/٤١٣ (مخطوط) .
(٣) فى الأصل : «جاوز» .
(٤) وفيات الأعيان ٥/٣٢٩.

ثم دخَلتْ سنةُ ثمانٍ وتسعيـنَ

ففى هذه السنةِ جهَّز سليمانُ بنُ عبدِ الملكِ - أميرُ المؤمنين - أخاه مَسلمةَ بنَ عبدِ الملكِ لغزوِ القُسْطَنْطِينيَّةِ وراءَ الجيشِ الذين هُم بها، فسار إليها ومعه جيشٌ عظيمٌ، ثم التفَّ عليه ذلك الجيشُ الذين هم هناك، وقد أمَر كلَّ رجلٍ [(١) مِن الجيشِ (١)] أن يحمِلَ معه على ظهْرِ فرَسِه مُدَّيْن مِن طعامٍ، فلمّا وصَل إليها جمَعوا ذلك، فإذا هو أمثالُ الجبالِ، فقال لهم مسلمةُ[(٢)]: اترُكوا هذا الطعامَ وكُلوا ممّا تجِدونَه فى بلادِهم، وازرَعوا فى أماكنِ الزرعِ واستغِلُّوه، وابنُوا لكم بيوتًا مِن خشَبٍ، فإنّا لا نرجِعُ عن هذه البلدةِ حتى نفتَحَها إن شاءَ اللَّهُ. [(٣)]وقد داخَل مسلمةَ رجلٌ[(٤)(٣)] مِن النصارَى يقال له: إليُونُ. وواطأَه فى الباطنِ ليأْخُذَ له بلادَ الرومِ، فظهَر منه نُصْحٌ فى بادِئَ الأمرِ، ثم إنّه تُوفِّى مَلِكُ القُسطَنطِينيَّةِ، فدخَل إليُونُ فى رسالةٍ مِن مسلمةَ وقد خافتْه الرومُ خوفًا شديدًا، فلمّا دخَل إليهم إليُونُ قالوا له: رُدَّه عنا ونحن نمَلِّكُك علينا. فخرَج فأَعمَل الحيلةَ فى الغدرِ والمكْرِ، ولم يزَلْ - قبَّحه اللَّهُ - حتى أحرَقَ ذلك الطعامَ الذى للمسلمينَ، وذلك لأنَّه قال لمسلمةَ: إنَّهم ما دامُوا يَرَوْنَ هذا الطعامَ عندَك[(٥)] يظنُّونَ أنَّك[(٦)] تُطاوِلُهم فى القتالِ، فلو أحرَقْتَه لتَحَقَّقُوا منك العزْمَ، وسلَّموا لك البلدَ سريعًا، فأمَر مسلمةُ

(١ - ١) فى الأصل: «منهم».
(٢) تاريخ الطبرى ٦/ ٥٣٠، الكامل ٥/ ٢٧.
(٣ - ٣) فى ا ٢، ب، م، ص: «ثم إن مسلمة داخل رجل».
(٤) فى م: «رجلا».
(٥) سقط من: ا ٢، ب، م، ص.
(٦) فى الأصل: «أنهم».

بالطعامِ فأُحرِقَ ، ثم انشَمَر إليُونُ فى السُّفُنِ وأخَذ ما أمكَنه مِن أمتعةِ الجيشِ فى الليلِ ، وأصبَح وهو بالبلدِ محاربًا للمسلمين ، وأظهَر العداوةَ الأكيدةَ ، وتحصَّن بالبلدِ[1] ، واجتمَعت عليه الرومُ ، وضاق الحالُ على المسلمين ، حتى أكَلوا كلَّ شيءٍ إلّا الترابَ ، فلم يزَلْ ذلك دأبَهم حتى جاءتْهم وفاةُ سليمانَ بنِ عبدِ الملكِ وتوليةُ عمرَ بنِ عبدِ العزيزِ ، على ما سيأتى ، فكَرُّوا راجِعِينَ إلى الشامِ ، وقد جَهَدوا جَهْدًا شديدًا ، لكنْ لم يرجِعْ مسلمةُ حتى بنَى مسجدًا بالقُسطَنْطِينيَّةِ[2] شديدَ البناءِ مُحْكَمًا ، رَحْبَ الفناءِ ، شاهِقًا فى السماءِ .

وقال الواقدىُّ[3] : لما وَلِى سليْمانُ بنُ عبدِ الملكِ أراد الإقامةَ ببيتِ المقدسِ ، ثم أرسلَ العساكرَ إلى القُسطَنطِينِيّةِ ، فأشار عليه موسى بنُ نُصيرٍ بأن يفتَحَ ما دونَها مِن المدنِ والرساتيقِ والحصُونِ ، حتى يبلُغَ المدينةَ ، فلا يأتِيَها إلّا وقد هُدِمَت حصُونُها ووهَنَت قوتُها ، فإذا فعَلْتَ ذلك لم يبقَ بينَك وبينَها مانعٌ ، فيُعطوا بأيدِيهم ويُسلِّموا لك البلدَ ، ثم استَشار أخاه مسلمةَ فأشارَ عليه بأن يدَعَ ما دونَها مِن البلادِ ويفتَحَها عَنوةً ، فمتى ما فُتِحَت فإنَّ باقىَ ما دونَها مِن البلادِ والحصُونِ بيدِك . فقال سليمانُ : هذا هو الرأىُ . ثم أخَذ فى تجهيزِ الجيوشِ مِن الشامِ والجزيرةِ فجهَّز فى البَرِّ مائةً وعشرينَ ألفًا ، وفى البحرِ مائةً وعشرينَ ألفًا مِن المقاتِلةِ ، وأخرَج لهم الأَعْطِيةَ ، وأنفَق فيهم الأموالَ الكثيرةَ ، وأعلَمهم بغزوِ القُسطَنطِينيَّةِ والإقامةِ عليها إلى أن يفتَحُوها ، ثم سار سليمانُ مِن بيتِ المقدسِ فدخَل دمشقَ ، وقد اجتمَعَت له العساكرُ فأمَّر عليهم أخاه مسلمةَ ، ثم قال :

---

(١) سقط من : ا ٢، ب ، م ، ص .

(٢) فى الأصل : « المدينة » .

(٣) أورده الذهبى فى سير أعلام النبلاء ٤/ ٥٠١، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٨١ - ١٠٠هـ) ص ٢٦٩، عن سعيد بن عبد العزيز وليس الواقدى .

سِيروا على برَكَةِ اللَّهِ ، وعليكم بتَقْوى اللَّهِ والصبرِ والتَّناصُحِ والتَّناصفِ . ثم سار سليمانُ حتى نزَل مَرْجَ دابِقٍ ، فاجتَمع إليه الناسُ أيضًا مِن المُطَّوِّعةِ المحتَسِبين أجورَهم على اللَّهِ ، فاجتَمع له جندٌ عظيمٌ لم يُرَ مثلُه ، ثم أمَر مسلمةَ أن يرحَلَ بالجيوشِ وأخَذ معه إليُونَ الروميَّ المَرْعَشِيَّ ، ثم ساروا حتى نَزَلوا على القُسطَنْطِينِيَّةِ فحاصَرها إلى أن برَّح بهم[1] ، وعرَض أهلُها الجزيةَ على مسلمةَ ، فأبَى إلَّا أن يفتَحَها عَنوةً ، قالوا[2] : فابعَثْ إلينا إليُونَ نشاوِرْه . فأَرْسَله إليهم ، فقالوا له : رُدَّ هذه العساكرَ عنا ونحن نُعطِيكَ ونُمَلِّكُك علينا . فرجَع إلى مسلمةَ ، فقال له[3] : قد أجابُوا إلى فتحِها غيرَ أنَّهم لا يفتحونَها ما لم تَنَحَّ عنهم . فقال مسلمةُ : إنِّى أَخْشَى غَدْرَك ، فحلَف له أن يدفَعَ إليه مفاتيحَها وما فيها ، فلما تَنَحَّى عنهم أخَذوا فى ترميمِ ما تهَدَّمَ مِن أسوارِها واستَعَدُّوا للحصارِ . وغدَر إليونُ بالمسلمينَ ، قبَّحه اللَّهُ .

قال ابنُ جريرٍ[4] : وفى هذه السنةِ أخَذ سليمانُ بنُ عبدِ الملكِ العَهْدَ لولَدِه أيوبَ أن يكونَ الخليفةَ مِن بعدِه ، وذلك بعدَ موتِ أخيه مرْوانَ بنِ عبدِ الملكِ °ابنِ مَرْوانَ° ، فعَدَل عن ولايةِ أخيه يزيدَ إلى ولايةِ ولَدِه أيوبَ ، وتربَّص بأخيه الدوائرَ ، فماتَ أيوبُ فى حياةِ أبيه ، فبايَع سليمانُ لابنِ عمِّه عمرَ بنِ عبدِ العزيزِ أن يكونَ الخليفةَ مِن بعدِه ، ولنِعْمَ ما فعَل . وفيها فُتِحت مدينةُ الصَّقالِبَةِ[6] . قال

---

(١) برّح به وأبرح به : إذا ألح عليه فى الأذى .

(٢) انظر تاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٨١ - ١٠٠هـ) ص ٢٧١.

(٣) فى ب : « لهم » .

(٤) تاريخ الطبرى ٦/ ٥٣١، ٥٣٢.

(٥ - ٥) زيادة من : الأصل .

(٦) بلاد الصقالبة : بلاد بين بلغار وقسطنطينية . معجم البلدان ٣/ ٤٠٥.

الواقدىُّ[1] : وقد أغارتِ البُرْجانُ على جيشِ مسلمةَ وهو فى قِلَّةٍ مِن الناسِ ، فى هذه السنةِ ، فبعَث إليه سليمانُ جيشًا فقاتَلوا البرجانَ حتى هزَمَهم اللَّهُ عزَّ وجل .

وفى هذه السنةِ غزا يزيدُ بنُ [١٦١/٧و] المهلَّبِ دِهِسْتانَ[2] [3]مِن أرضِ الصينِ[3] فحاصَرها وقاتَل عندَها قتالًا شديدًا ، ولم يَزَلْ حتى تسلَّمَها ، وقتَل مِن التُّركِ الذين بها أربعةَ آلافِ صَبْرًا ، وأخَذ منها مِن الأموالِ والأثاثِ والأمتعةِ ما لا يُحَدُّ ولا يُوصَفُ كثرةً وقيمةً وحُسنًا ، ثم سار منها إلى جُرجانَ فاستَجاشَ صاحبُها بالدَّيْلَمِ ، فقَدِموا لنجدَتِه فقاتَلهم يزيدُ بنُ المهلَّبِ وقاتَلوه ، فحمَل محمدُ ابنُ عبدِ الرحمنِ بنِ أبى سَبْرَةَ الجُعْفِىُّ - وكان فارسًا شجاعًا باهِرًا - على مَلِكِ الدَّيْلَمِ فقتَله وهزَمهم اللَّهُ عزَّ وجلَّ ، ولقد بارَز ابنُ أبى سَبْرَةَ هذا يومًا بعضَ فرسانِ التركِ ، فضرَبه التُّركِىُّ بالسيفِ على البَيْضةِ فنشِب فيها ، وضرَبه ابنُ أبى سَبْرَةَ فقتَله ، ثم أقبلَ إلى المسلمينَ وسيفُه يقطُرُ دمًا [4]وسيفُ التركىِّ ناشبٌ[4] فى خَوْذَتِه ، فنظَر إليه يزيدُ بنُ المهلَّبِ ، فقال : ما رأيتُ منْظرًا أحسنَ مِن هذا ، مَن هذا الرجلُ ؟ قالوا : ابنُ أبى سَبْرةَ . فقال : نِعْمَ الرجلُ لولا انهماكُه فى الشرابِ . ثم صمَّمَ يزيدُ بنُ المهلَّبِ على محاصَرةِ جُرجانَ ، وما زال يُضَيِّقُ على صاحبِها حتى صالَحه على سبعِمائةِ ألفِ درهمٍ وأربعِمائةِ ألفِ دينارٍ ، ومائتى ألفِ ثوبٍ ، وأربعِمائةِ حمارٍ مُوقَرةٍ زعفرانًا ، وأربعِمائةِ رجلٍ ، على رأسِ كلِّ رجلٍ تُرْسٌ ،

---

(١) تاريخ الطبرى ٦/ ٥٣٢.

(٢) فى الأصل، ب ، م ، ص : « قهستان » . وهى كذلك فى الكامل ٥/ ٢٩، وفى ا ٢: « قبستان » . والمثبت من تاريخ الطبرى ٦/ ٥٣٢، والمنتظم ٧/ ٢٧، وانظر معجم البلدان ٢/ ٦٣٣.

(٣ - ٣) زيادة من : ا ٢، ب ، م ، ص .

(٤ - ٤) فى الأصل : « وذلك السيف معلق » .

على التُّرْسِ طَيْلَسانٌ وجَامٌ مِن فضةٍ وسَرَقَةٌ[1] مِن حريرٍ .

وهذه المدينةُ كان سعيدُ بنُ العاصِ قد افتتَحها صُلْحًا على أن يُؤَدُّوا الخراجَ فى كلِّ سنةٍ ، [2]فكانوا يحمِلونَ فى كلِّ سنةٍ[2] مائةَ ألفٍ ، وفى سنةٍ مائتَىْ ألفٍ ، وفى بعضِ السنين ثلاثَمائةِ ألفٍ ، ويمنَعونَ ذلك فى بعضِ السنين ، ثم امتنَعوا جملةً وكفَرُوا ، فغزَاهم يزيدُ بنُ المهلَّبِ وردَّها صُلْحًا على ما كانت عليه فى زَمَنِ سعيدِ بنِ العاصِ . قالوا[3] : وأصاب يزيدُ بنُ المهلَّبِ مِن جُرْجانَ[4] أموالًا كثيرةً جدًّا ، فكان مِن جملتِها تاجٌ فيه جواهِرُ نفيسةٌ ، فقال : أَتَرَوْنَ أحدًا يزهَدُ فى هذا ؟ قالوا : لا[5] . فدعا بمحمدِ بنِ واسِعٍ - وكان فى الجيشِ مغازِيًا - فعرَض عليه أخْذَ التاجِ ، فقال : لا حاجةَ لى فيه . فقال : أقسَمْتُ عليك لتأْخُذَنَّه . فأخَذَه وخرَج به مِن عندِه ، فأمَر يزيدُ رجلًا أن يتْبَعَه فينْظُرَ ماذا يَصنَعُ بالتاجِ ؟ فمرَّ بسائلٍ ، فطلَب منه شيئًا ، فأعطاه التاجَ بكمالِه وانصَرف ، فبعَث يزيدُ إلى ذلك السائلِ ، فأخَذ منه التاجَ وعوَّضه عنه مالًا كثيرًا .

وقال علىُّ بنُ محمدٍ المدائنىُّ[6] : قال أبو بكرٍ الهُذَلىُّ : كان شهرُ بنُ حَوْشَبٍ على خزائنِ يزيدَ بنِ المهلَّبِ فرَفعوا إليه أنه أخَذ[7] خريطةً فيها مائةُ دينارٍ ، فسأَله عنها فقال : نعم . وأحضَرها ، فقال له يزيدُ : هى لك . ثم استَدْعى

---

(١) السرقة : واحدة السَّرَق ، وهو شُقَق الحرير أو أجوده . الوسيط (س ر ق) .

(٢ - ٢) سقط من : م .

(٣) تاريخ الطبرى ٦/ ٥٣٩.

(٤) فى م : « غيرها » .

(٥) بعده فى ا ٢، ب ، م ، ص : « نعلمه ، فقال : والله إنى لأعلم رجلًا لو عرض عليه هذا وأمثاله لزهد فيه » . وانظر تاريخ الطبرى ٦/ ٥٣٩.

(٦) تاريخ الطبرى ٦/ ٥٣٨، ٥٣٩.

(٧) فى ا ٢: « أخرج » .

الذى [٧/١٦١ظ] وشَى به فشتَمه ، فقال فى ذلك القُطامىُّ الكلبىُّ - ويُقالُ : إنَّها لسِنانِ بنِ مكمَّلٍ النُّميرىِّ :

لقدْ باعَ شَهْرٌ دينَهُ بخريطةٍ فمنْ يأمَنُ القُرَّاءَ بعدَكَ يا شهرُ
أخذْتَ بهِ[1] شيئًا طفيفا[2] وبعتَهُ مِن ابنِ [3]جَوَنبوذَ انَّ[3] هذا هو الغدرُ

وقال مُرَّةُ النَّخَعىُّ[4] :

يا ابنَ المُهَلَّبِ ما أردْتَ إلى امْرِئٍ لولاكَ كانَ كصالحِ القُرَّاءِ

قال ابنُ جريرٍ[5] : ويُقالُ : إنَّ يزيدَ بنَ المهلَّبِ كان فى غَزْوةِ جُرْجانَ فى مائةِ ألفٍ وعشرينَ ألفًا ، منهم ستُّون ألفًا مِن جيشِ الشّامِ أثابَهم اللّهُ ، وقد تمهَّدتْ تلك البلادُ بفتحِ جُرْجانَ وسلكَتِ الطرقُ ، وكانت قبلَ ذلك مَخُوفةً جدًّا ، ثم عزَم يزيدُ على المسيرِ إلى طَبَرِسْتانَ[6] ، وقدِم بينَ يديْه سريةٌ هى أربعةُ آلافٍ مِن سُراةِ الناسِ ، فلمّا التقَوْا اقتَتَلوا قِتالًا شديدًا ، وقُتِل مِن المسلمينَ فى المعركةِ أربعةُ آلافٍ فإنّا للّهِ وإنّا إليه راجِعُونَ . ثم عزَم يزيدُ على فتحِ البلادِ لا مَحالةَ ، وما زَال حتى صالَحه صاحبُها - وهو الإصْبَهبَذُ - بمالٍ كثيرٍ ؛ سبعِمائةِ ألفٍ فى كلِّ عامٍ ، وغيرِ ذلك مِن المتاعِ والرقيقِ .

---

(١) فى الأصل ، ا ٢، ب ، ص : « بها » .
(٢) فى ص : « لطيفا » .
(٣ - ٣) فى الأصل ، ا ٢، ص : « حرننوكان » . كذا ، وفى ب : « حرننوكات » . وفى سير أعلام النبلاء ٤/ ٣٧٥: « جرير إن » ، وفى تاريخ دمشق ٨/ ١٤٤: « جرير وان » . والمثبت موافق لما فى الطبرى .
(٤) فى الأصل ، ا ٢، ب ، ص : « الحنفى » . وفى م : « بن النخعى » . والمثبت من مصدر التخريج .
(٥) تاريخ الطبرى ٦/ ٥٣٩ .
(٦) فى م : « خورستان » .

ومِمَّن تُوفِّي فيها مِن الأعيانِ :

عبيدُ اللَّهِ بنُ عبدِ اللَّهِ بنِ عُتْبَةَ[1] ، كان إمامًا حُجَّةً ، وكان مُؤدِّبَ عمرَ بنِ عبدِ العزيزِ ، وله رواياتٌ كثيرةٌ عن جماعةٍ مِن الصحابةِ .

أبو الحَفَصِ النَّخَعِيُّ[2] .

عبدُ اللَّهِ بنُ محمدِ ابنِ الحَنَفِيَّةِ[3] . وقد ذَكَرْنا تراجِمَهم في « التَّكْمِيلِ » . واللَّهُ سبحانَه وتعالى أعلَمُ .

---

(١) انظر ترجمته فى : طبقات ابن سعد ٥/ ٢٥٠، والجرح والتعديل ٥/ ٣١٩، وطبقات الفقهاء ٦٠، وتهذيب الكمال ١٩/ ٧٣، وسير أعلام النبلاء ٤/ ٤٧٥. وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٨١ - ١٠٠هـ) ص ٤٢١.

(٢) طبقات ابن سعد ٦/ ٢٨٩، طبقات خليفة ١/ ٣٦٢، وتهذيب الكمال ١٦/ ٥٣٠، وسير أعلام النبلاء ٥/ ١١، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٨١- ١٠٠) ص ٤١٢.

(٣) انظر ترجمته فى : طبقات ابن سعد ٥/ ٣٢٧، والتاريخ الكبير ٥/ ١٨٧، والجرح والتعديل ٥/ ١٥٥، وتهذيب الكمال ١٦/ ٨٥، وسير أعلام النبلاء ٤/ ١٢٩. وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٨١ - ١٠٠هـ) ص ٤٠٥.

ثم دَخلتْ سنةُ تِسْعٍ وتِسعيـنَ

فيها كانت وفاةُ سليمانَ بنِ عبدِ الملكِ ، أميرِ المؤْمنينَ ، يومَ الجُمُعةِ لعَشْرٍ مَضَيْنَ - وقيل : بقِينَ - مِن صَفَرٍ منها[1] ، عن خَمْسٍ وأربعينَ سنةً . وقيل : عن ثلاثٍ وأربعينَ[2] . وقيل : إنَّه لم يجاوِزِ الأربعينَ[2] . وكانت خلافتُه سنتَيْن وثمانيةَ أشهرٍ ، وزعَم أبو أحمدَ الحاكمُ أنَّه توفِّى يومَ الجُمُعةِ لثلاثَ عشرةَ بقِيَتْ مِن رمضانَ منها ، وأنَّه استَكْمَل فى خلافتِه ثلاثَ سنينَ وثلاثةَ أشهُرٍ وخمسةَ أيامٍ ، وله مِن العمْرِ تسعٌ وثلاثونَ سنةً[3] . والصحيحُ قولُ الجمهورِ ، وهو القولُ الأوَّلِ . واللَّهُ أعلَمُ .

وهو **سليمانُ بنُ عبدِ الملكِ** بنِ مرْوانَ بنِ الحكَمِ بنِ أبى العاصِ بنِ أُمَيَّةَ بنِ عبدِ شمسٍ ، القرَشِىُّ الأُمَوىُّ ، أبو أيوبَ[4] .

كان مولِدُه بالمدينةِ فى بَنِى جَزِيلةَ ، ونشأَ بالشامِ عندَ أبيه ، وروَى الحديثَ عن أبيه ، عن جدِّه ، عن عائشةَ أمِّ المؤْمنينَ فى قصَّةِ الإفْكِ ، رَواه ابنُ عساكرَ[5] ، مِن طريقِ ابنِه عبدِ الواحدِ بنِ سليمانَ عنه . وروَى عن عبدِ الرحمنِ بنِ هُنَيْدةَ أنَّه

---

(١) تاريخ الطبرى ٦/ ٥٤٦.

(٢) مختصر تاريخ دمشق ١٠/ ١٨١.

(٣) مختصر تاريخ دمشق ١٧١/١٠ ، بنحوه.

(٤) انظر ترجمته فى : الإنباء فى تاريخ الخلفاء ٥٠، ووفيات الأعيان ٢/ ٤٢٠، ومختصر تاريخ دمشق ١٠/ ١٧٠، وسير أعلام النبلاء ٥/ ١١١، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٨١ - ١٠٠هـ) ص ٣٧٧، وتاريخ الخلفاء ٢٢٥ - ٢٢٨.

(٥) سقطت ترجمة سليمان بن عبد الملك من تاريخ ابن عساكر (مخطوط الظاهرية)، وأورد ترجمته ابن منظور فى مختصر تاريخ دمشق ١٠/ ١٧٠.

صحِب عبدَ اللَّهِ بنَ عمرَ إلى الغابةِ ، قال[1] : فسكَتُّ ، فقال لى ابنُ عمرَ : ما لَك ؟ فقلتُ : كنتُ أَتمنَّى ، فهل[2] تَتمنَّى يا أبا عبدِ الرحمنِ ؟ فقال : لو أن لى أُحُدًا هذا ذهَبًا أَعلَمُ عدَدَه وأُخرِجُ زَكاتَه ما كَرِهتُ ذلك ، أو قال : ما خَشِيتُ أن يَضُرَّنى . رَواه محمدُ بنُ يحيى الذُّهْلىُّ ، عن أبى صالحٍ ، عن اللَّيثِ ، عن عبدِ الرحمنِ بنِ خالدِ بنِ مسافرٍ ، عن الزُّهْرىِّ عنه .

قال الحافظُ ابنُ عساكرَ[3] : [١٦٢/٧و] وكانت دارُه بدِمشقَ موضعَ مِيضأةِ جَيْرونَ الآنَ فى تلك الساحةِ جميعِها ، وبنَى دارًا كبيرةً ممّا يلى بابَ الصغيرِ - موضعَ الدربِ المعروفِ بدربِ مُحرزٍ - وجعَلها دارَ الإمارةِ ، وعمِل فيها قُبَّةً صفراءَ تَشْبيهًا بالقُبَّةِ الخضراءِ . قال : وكان فصيحًا مُؤْثِرًا للعدْلِ مُحبًّا للغزْوِ ، وقد أنفَذ الجيشَ لحصارِ القُسطَنْطِينيَّةِ حتى صالَحوهم على بناءِ الجامعِ بها .

وقد روَى أبو بكرٍ الصُّولىُّ[4] ، أن عبدَ الملكِ جمَع بنِيه الوليدَ وسليمانَ ومسلمةَ بينَ يدَيه ، فاستقرأَهم القرآنَ فأجادوا القراءةَ ، ثم استنشَدَهم الشِّعْرَ فأجادوا ، غيرَ أنَّهم لم يُكمِلُوا أو يُحكِمُوا شعرَ الأعشَى ، فلامَهم على ذلك ، ثم قال : ليُنشِدْنى كلُّ رجلٍ منكم أَرَقَّ بيتٍ قالتْه العربُ ولا يُفحِشْ ، هاتِ يا وليدُ . فقال الوليدُ :

ما مركبٌ وركوبُ الخيلِ يُعجِبُنى ... كمركبٍ بينَ دُملُوجٍ وخَلْخالِ

فقال عبدُ الملكِ : وهل يكونُ مِن الشِّعرِ أرْفَثُ[5] مِن هذا ؟ هاتِ

(١) مختصر تاريخ دمشق ١٠/ ١٧٠.
(٢) فى م : « فقال ابن عمر : فما » .
(٣) مختصر تاريخ دمشق ١٠/ ١٧٠.
(٤) مختصر تاريخ دمشق ١٠/ ١٧١، ١٧٢.
(٥) فى ا ٢، ب ، م ، ص : « أرق » ، وانظر مختصر تاريخ دمشق ١٠/ ١٧١.

ياسليمانُ . فقال :

حبَّذا رَجْعُها يَديْها إليها في يَدِى دِرْعِها تَحُلُّ الإزارا

فقال : لم تُصِبْ ، هاتِ يا مسلمةُ ، فأنشَدَه قولَ امرئَ القيسِ[1] :

وما ذرَفتْ عَيْناكِ إلّا لِتَضْرِبى بسَهْمَيْكِ فى أعشارِ قلبٍ مُقَتَّلِ

فقال : كذَب امرؤُ القيسِ ولم يُصِبْ ، إذا ذرَفتْ عيناها بالوَجْدِ فما بَقِى إلّا اللقاءُ ، وإنَّما يَنْبَغِى للعاشقِ[2] أن يقْتَضِىَ[3] منها الجفاءَ ويكْسُوَها المودَّةَ . ثم قال : أنا مُؤَجِّلُكم فى هذا البيتِ ثلاثةَ أيامٍ ، فمَن أتانى به فله حُكْمُه - أى مهما طلَب أعطيتُه - فنهَضوا مِن عندِه ، فبينَما سليمانُ فى مَوْكبٍ إذا هو بأعْرابىٍّ يسوقُ إبلَه وهو يقولُ :

لو حُزَّ[4] بالسَّيفِ رأْسى فى مودَّتِها لمالَ يَهْوِى سريعًا نحوَها رأسِى

فأمَر سليمانُ بالأعْرابىِّ فاعتُقِلَ ، ثم جاء إلى أبيه فقال : قد جئتُك بما سأَلتَ . فقال : هاتِ . فأنشَده البيتَ ، فقال : أحسنْتَ ، وأنَّى لك هذا ؟ فأخبَره خبرَ الأعرابىِّ ، فقال : سَلْ حاجتَك ولا تَنْسَ صاحبَك . فقال : يا أميرَ المؤمنينَ ، إنَّك قد عَهِدتَ بالأمرِ مِن بعدِك للوليدِ ، وإنِّى أُحِبُّ أن أكونَ ولىَّ العَهْدِ مِن بعدِه . فأجابَه إلى ذلك ، وبعثَه على الحجِّ فى سنةِ[5] إحدَى وثمانِينَ ، وأطلَق له مائةَ ألفِ دِرهمٍ ، فأعطاها سليمانُ لذلك الأعرابىِّ الذى قال ذلك البيتَ مِن الشِّعرِ ، فلمّا مات أبوه سنةَ ستٍّ وثمانينَ ، وصارتِ الخلافةُ إلى أخيه الوليدِ ، كان بينَ

---

(١) ديوانه ص ١٣ مع اختلاف يسير.

(٢) فى الأصل ، ص : « للفاسق » .

(٣) فى ب : « يقصى » ، وفى م : « يغتضى » ، وفى ص : « يقضى » . وانظر مختصر تاريخ دمشق ١٠/ ١٧٢.

(٤) فى م : « ضربوا » .

(٥) سقط من : م .

يدَيه كالوزيرِ والمُشيرِ ، وكان هو المُستَحِثَّ على عِمارةِ جامعِ دِمشقَ ، فلمّا تُوفِّى أخوه الوليدُ [٧/١٦٢ظ] يومَ السبتِ للنصفِ مِن جُمادَى الآخِرةِ سنةَ ستٍّ وتِسْعينَ ، وكان سليمانُ بالرَّمْلَةِ ، فلمّا أقبَل تَلقّاه الأمراءُ ووجوهُ الناسِ ، وقيل : إنَّهم ساروا إليه إلى بيتِ المقدِسِ فبايَعوه هناك . وعزَم على الإقامةِ بالقُدْسِ ، وأتَتْه الوفودُ إلى بيتِ المقْدسِ ، فلم يرَوْا وِفادةً[١] ، فكان يجلِسُ فى قُبَّةٍ فى صَحْنِ المسجدِ ممّا يلى الصخرةَ مِن جهةِ الشَّمالِ ، وتجلِسُ أكابرُ الناسِ على الكراسِى ، وتُقَسَّمُ فيهم الأموالُ ، ثم عزَم على المجىءِ إلى دِمشقَ ، فدخَلها وكمَّل عِمارةَ الجامعِ .

وفى أيامِه جُدِّدَتِ المقصُورةُ ، واتخَذ ابنَ عمِّه عمرَ بنَ عبدِ العزيزِ مُستشارًا ووَزِيرًا ، وقال له[٢] : إنّا قد وُلِّينا ما ترَى ، وليس لنا عِلْمٌ بتَدبيرِه ، فما رأيتَ مِن مصلحةِ العامَّةِ فمُرْ به فليُكْتَبْ . وكان مِن ذلك عَزْلُ نوّابِ الحجّاجِ ، وإخراجُ أهلِ السُّجونِ منها ، وإطلاقُ الأُسَراءِ ، وبَذْلُ الأَعطيةِ بالعراقِ ، ورَدُّ الصلاةِ إلى ميقاتِها الأوَّلِ ، بعدَ [٣]ما كان مَن كان قبلَه[٣] يُؤَخِّرونَها إلى آخِرِ وقتِها ، مع أمورٍ حسَنةٍ كان يَسمَعُها مِن عمرَ بنِ عبدِ العزيزِ ، رحِمَهما اللَّهُ .

وأمَر بغَزوِ القُسطَنطِينيّةِ ، فبعَث إليها مِن أهلِ الشامِ والجزيرةِ والمَوْصِلِ فى البَرِّ نحوًا مِن مائةِ ألفٍ وعشرينَ ألفَ مقاتلٍ ، وبعَث مِن أهلِ مِصْرَ وإفريقيَّةَ ألفَ مَرْكَبٍ فى البحْرِ ، عليهم عمرُ بنُ هُبَيْرةَ ، وعلى جماعةِ الناسِ كلِّهم أَخُوه مسلمةُ ابنُ عبدِ الملكِ ، ومعه ابنُه داودُ بنُ سليمانَ بنِ عبدِ الملكِ فى جماعةٍ مِن أهلِ بيتِه ،

---

(١) بعده فى م : « هناك » .
(٢) مختصر تاريخ دمشق ١٠/ ١٧٢، ١٧٣.
(٣ - ٣) فى ا ٢، ص : « أن كانت » ، وفى م : « أن كانوا » .

وذلك كلُّه عن مشورةِ موسى بنِ نُصَيْرٍ ، حينَ قدِم عليه مِن بلادِ المغربِ . والصحيحُ أنَّه قدِم فى أيامِ أخيه الوليدِ . واللَّهُ أعلمُ .

قال ابنُ أبى الدنيا[1] : حدَّثنى محمدُ بنُ إسماعيلَ بنِ إبراهيمَ الكوفىُّ ، عن جابرِ بنِ عونٍ الأسدىِّ ، قال : أولُ كلامٍ تكلَّم به سليمانُ بنُ عبدِ الملكِ [2]حينَ ولِى الخلافةَ[2] أن قال :

الحمدُ للَّهِ الذى ما شاء صنَع ، وما شاء رفَع ، وما شاء وضَع ، ومَن شاء أعطَى ، ومَن شاء منَع ، إن الدنيا دارُ غُرورٍ ، ومنزلُ باطلٍ ، وزينةٌ تقلُّبٍ ، تُضحِكُ باكيًا ، وتُبْكِى ضاحكًا ، وتُخيفُ آمنًا ، وتُؤَمِّنُ خائفًا ، تُفقِرُ مُثْرِيَها ، وتُثْرِى فقيرَها ، مَيَّالةٌ لاعبةٌ بأهلِها . يا عبادَ اللَّهِ ، اتَّخِذوا كتابَ اللَّهِ إمامًا ، وارضَوا به حكَمًا ، واجعَلوه لكم قائدًا ، فإنَّه ناسخٌ لِما قبلَه ، ولن ينسَخَه كتابٌ بعدَه . اعلَموا عبادَ اللَّهِ أن هذا القرآنَ يجلو كيدَ الشيطانِ وضغائنَه[3] كما يجلو ضوءُ الصبحِ إذا تنفَّس إدبارَ الليلِ إذا عَسْعَس .

وقال يحيى بنُ معينٍ ، عن حجَّاجِ بنِ محمدٍ ، عن أبى معشرٍ ، عن محمدِ ابنِ قيسٍ قال : سمِعتُ سليمانَ بنَ عبدِ الملكِ يقولُ فى خطبتِه : فضلُ القرآنِ على سائرِ الكلامِ كفضلِ اللَّهِ على خلقِه .

وقال حمادُ بنُ زيدٍ[4] ، عن يزيدَ بنِ حازمٍ ، قال : كان سليمانُ بنُ عبدِ الملكِ يخطُبُنا كلَّ جُمُعةٍ [٧/١٦٣و] لايدَعُ أن يقولَ فى خطبتِه : وإنما أهلُ الدنيا

---

(١) ذم الدنيا (٦٧) .

(٢ - ٢) سقط من : الأصل ، ب .

(٣) فى الأصل ، ا ٢، ص : « صفاصفه » ، وانظر مصدر التخريج .

(٤) أخرجه ابن أبى الدنيا فى ذم الدنيا (٢٧١) ، من طريق حماد بن زيد به .

على رحيلٍ[1] ، لم تمضِ بهم نيةٌ ، ولم تطمَئنَّ [2]لهم دارٌ[2] حتى يأتىَ أمرُ وعْدِ اللَّهِ وهم على ذلك ، كذلك لا يدومُ نعيمُها ، ولا تؤمَنُ فجائعُها ، ولا يُتَّقى[3] مِن شرٍّ أهلِها ، ثم يتلو : ﴿ أَفَرَءَيْتَ إِن مَّتَّعْنَٰهُمْ سِنِينَ ﴿٢٠٥﴾ ثُمَّ جَآءَهُم مَّا كَانُوا۟ يُوعَدُونَ ﴿٢٠٦﴾ مَآ أَغْنَىٰ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يُمَتَّعُونَ ﴾ [الشعراء: ٢٠٥- ٢٠٧] .

وروَى الأصمعىُّ[4] ، أنَّ نَقْشَ خاتمِه : آمنتُ باللَّهِ مخلِصًا .

وقال أبو مُسْهِرٍ[5] ، عن أبى مسلمٍ سلمةَ بنِ العَيَّارِ الفَزارىِّ قال[6] : قال محمدُ بنُ سيرينَ : يرحَمُ اللَّهُ سليمانَ بنَ عبدِ الملكِ ، افتتَح خلافتَه بخيرٍ ، وختَمها بخيرٍ ؛ افتتَحها بإحْيائِه[7] الصلاةَ لمواقيتِها ، وختَمها باستخلافِه عمرَ بنَ عبدِ العزيزِ .

وقد أجمَع علماءُ السِّيرِ[8] والتواريخِ[9] أنَّه حجَّ بالناسِ فى سنةِ سبعٍ وتسعين وهو خليفةٌ .

قال الهيثمُ بنُ عدىٍّ : قال الشعبىُّ[10] : حجَّ سليمانُ بنُ عبدِ الملكِ ، فلمَّا

---

(١) فى ذم الدنيا : « وجل » . وانظر مختصر تاريخ دمشق ١٠/ ١٧٤.

(٢ - ٢) فى ١ ٢، م، ص : « بهم » . وانظر المصدر السابق .

(٣) فى م : « تبقى » .

(٤) نهاية الأرب ٢١/ ٣٥٤، وسير أعلام النبلاء ٥/ ١١١، بنحوه دون عزو .

(٥) أورده الذهبى فى سير أعلام النبلاء ٥/ ١١٢، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٨١ - ١٠٠هـ) ص ٣٧٩، عن ابن سيرين .

(٦) سقط من : ١ ٢، م، ص .

(٧) فى النسخ : « بإجابة » . والمثبت من مصدرى التخريج .

(٨) فى م : « الناس » .

(٩) انظر تاريخ خليفة ١/ ٤٢٣، وتاريخ الطبرى ٦/ ٥٢٩، والمنتظم ٧/ ٢٥، والكامل ٥/ ٢٦، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٨١ - ١٠٠هـ) ص ٢٦٦.

(١٠) مختصر تاريخ دمشق ١٠/ ١٧٤.

رأى الناسَ بالمَوسِمِ ، قال لعمرَ بنِ عبدِ العزيزِ : ألَا ترَى هذا الخلقَ الذى لا يحصِى عـددَهم إلَّا اللَّهُ ، ولا يسَعُ رزقَهم غيرُه . فقال : يا أميرَ المؤمنين ، هؤلاء رعيَّتُك اليومَ ، وهم غدًا خصماؤك[1] . فبكَى سليمانُ بكاءً شديدًا ، ثم قال : باللَّهِ أستعينُ .

وقال ابنُ أبى الدنيا[2] : ثنا إسحاقُ بنُ إسماعيلَ ، ثنا جريرٌ ، عن عطاءِ بنِ السائبِ ، قال : كان عمرُ بنُ عبدِ العزيزِ [3]فى سفرٍ مع سليمانَ بنِ عبدِ الملكِ ، فأصابَتْهمُ السماءُ برَعدٍ وبرقٍ وظُلمةٍ وريحٍ شديدةٍ ، حتى فزِعوا لذلك ، وجعَل عمرُ بنُ عبدِ العزيزِ[3] يضحَكُ ، فقال له سليمانُ : ما أضحَكَك يا عمرُ ؟ أمَا ترَى ما نحن فيه ؟ فقال له : يا أميرَ المؤمنين ، هذه آثارُ رحمتِه ، فيه[4] شدائدُ ما ترَى ، فكيف بآثارِ سَخَطِه وغضَبِه ؟!

ومِن كلامِه الحسنِ ، رحِمه اللَّهُ ، قولُه : الصمتُ منامُ العقلِ والنطقُ يقظتُه ، ولا يتمُّ هذا إلا بهذا .

ودخَل عليه رجلٌ فكلَّمه ، فأعجَبه منطقُه ، ثم فتَّشَه فلم يحمَدْ عقلَه ، فقال[5] : فضْلُ منطقِ الرجلِ على عقلِه خُدْعةٌ ، وفضْلُ عقلِه على منطقِه هُجْنةٌ ، وخيرُ ذلك ما أشبَهَ بعضُه بعضًا . وقال[6] : العاقلُ أحرصُ على إقامةِ

---

(١) بعده فى ا ٢، م ، ص : « عند اللَّه » ، وانظر المصدر السابق .
(٢) أورده الذهبى فى تاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٨١ - ١٠٠هـ) ص ٣٧٩، عن الشعبى ، وهو فى مختصر تاريخ دمشق ١٠/ ١٧٤.
(٣ - ٣) سقط من : الأصل .
(٤) فى م : « فيها » .
(٥) أنساب الأشراف ٨/ ١٠٥، بنحوه .
(٦) بعده فى الأصل : « على » ، والقول فى مختصر تاريخ دمشق ١٠/ ١٧٥.

لسانِه منه على طلبِ معاشِه . وقال أيضًا[1] : إن مَن تكلَّم فأحسَن قادرٌ على أن يسكُتَ فيحسِنَ ، وليس كلُّ مَن سكَت فأحسَن قادرًا على أن يتكلَّمَ فيحسِنَ .

ومِن شعرِه يتسلَّى عن صديقٍ له مات[2] :

وهَوَّن وَجْدى فى شَراحيلَ أنَّنى ... متى شئتُ لاقَيتُ امرءًا مات صاحبُه

ومِن شعرِه أيضًا[3] :

ومِن شِيمَتى[4] أن لا أفارِقَ صاحبى ... وإن مَلَّنى إلا سألتُ له رُشْدا

وإن دامَ لى بالوُدِّ دمتُ ولم أكُنْ ... كآخَرَ لا يرعَى ذِمامًا ولا عَهْدا

وسمِع سليمانُ ليلةً صوتَ غناءٍ فى معسكرِه ، فلم يزَلْ يفحَصُ حتى أُتَى بهم ، فقال سليمانُ[5] : [١٦٣/٧ظ] إن الفرسَ ليَصهَلُ فتستودِقُ له الرَّمَكَةُ[6] ، وإن الجملَ ليخطِرُ[7] فتضبَعُ[8] له الناقةُ ، وإن التَّيسَ ليَنِبُّ ، فكشَرتْ[9] له العَنْزُ ، وإن الرجلَ ليتغنَّى فتشتاقُ له المرأةُ ، ثم أمَر بهم ليَخْصوهم . فيقالُ : إن عمرَ بنَ

---

(١) أنساب الأشراف ١١١/٨ ، بنحوه ، ومختصر تاريخ دمشق ١٠/ ١٧٥ .

(٢) بعده فى ا ٢ ، م ، ص : « فقال » ، وانظر مختصر تاريخ دمشق ١٠/ ١٧٥ ، والوافى بالوفيات ١٥/ ٤٠٢ .

(٣) مختصر تاريخ دمشق ١٠/ ١٧٦ ، باختلاف يسير .

(٤) ف م : « شيمى » .

(٥) مختصر تاريخ دمشق ١٠/ ١٧٦ ، بنحوه .

(٦) تستودق له الرمكة يعنى تدنو له الأنثى .

(٧) فى م : « ليهدر » ، وخطر الجمل : حرك ذنبه يمينا وشمالا .

(٨) فى الأصل ، ا ٢ ، ص : « فتصنع » . وضبعتِ الدابة إذا أرادت الفحل .

(٩) فى الأصل : « فتستخدم » كذا ، وفى ا ٢ : « فتستخدم » ، وفى م : « فتستخذى » ، وفى ص : « فتستخدم » . والمثبت من مختصر تاريخ دمشق ١٠/ ١٧٦ ، والكشر : ضرب من النكاح كالكاشر ، ولا فعل منهما . القاموس (ك ش ر) .

عبدِ العزيزِ قال : يا أميرَ المؤمنين ، إنَّها مُثْلةٌ[1] . فترَكهم .

وفى روايةٍ[2] : أنَّه خصَى أحدَهم ، ثم سأل عن أصلِ الغناءِ فقيل : إنَّه بالمدينةِ . فكتَب إلى عاملِه بها وهو أبو بكرِ بنُ محمدِ بنِ عمرِو بنِ حزمٍ يأمُرُه أن يَخصِىَ[3] مَن عندَه مِن المغنِّين المخنَّثين .

وقال الشافعىُّ[4] : دخَل أعرابىٌّ على سليمانَ ، فدَعاه إلى أكْلِ الفالوذَجِ ، وقال له : إنَّ أكْلَها يَزيدُ فى الدِّماغِ . فقال الأعرابىُّ : لو كان هذا صحيحًا ، لكان ينبغى أن يكونَ رأسُ أميرِ المؤمنين مثلَ رأسِ البغلِ .

وذكَروا[5] أن سليمانَ كان نهِمًا فى الأكْلِ ، وقد نقَلوا عنه أشياءَ فى ذلك غريبةً ؛ فمِن ذلك أنَّه اصطَبَح فى بعضِ الأيامِ بأربعين دجاجةً مشويةً ، وأربعٍ وثمانين كُلْوَةً بشحمِها ، وثمانين جَرْدَقةً[6] ، ثم أكَل مع الناسِ على العادةِ فى السِّماطِ[7] العامِّ .

---

(1) بعده فى ا ٢: «ولكن انفهم فنفاهم ويقال إنه ترك خصيهم»، وفى م، ص: «ولكن انفهم فنفاهم».

(2) مختصر تاريخ دمشق ١٠/ ١٧٦، ١٧٧.

(3) وقيل: إنما كتب له «أن يحصى» بالحاء المهملة، من الإحصاء، فقرأها بالخاء.

(4) أنساب الأشراف ١٠٥/٨ بنحوه، ومختصر تاريخ دمشق ١٧٧/١٠ ، غير معزو للشافعى.

(5) أنساب الأشراف ٨/ ١٠٩، ومروج الذهب ٣/ ١٧٥، ومختصر تاريخ دمشق ١٠/ ١٧٧، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٨١ - ١٠٠هـ) ص ٣٧٩.

(6) الجَرْدقة بالفتح: الرغيف المدور، وهى لفظة فارسية (معرب كَرده) بالكاف العجمية. التاج (ج ر د ق) .

(7) السماط: ما يمد عليه الطعام.

ودخَل ذاتَ يومٍ بستانًا له قد أمَر قيِّمَه أن يحبِسَ[1] ثمارَه، [2]وقطِفَتْ له[2] ومعه أصحابُه، فأكَل القومُ، واستمرَّ هو يأكُلُ أكلًا ذريعًا مِن تلك الفواكهِ، ثم استدعَى بشاةٍ مشويةٍ، فأكَلها، ثم أقبَل على الفاكهةِ، ثم أُتِى بدَجاجتَين فأكَلهما، ثم عاد إلى الفاكهةِ، ثم أتِى بقَعْبٍ يقعُدُ فيه الرجلُ مملوءًا بسَويقٍ وسمنٍ وسكرٍ، فأكَله، ثم عاد إلى دارِ الخلافةِ، وأتِى بالسِّماطِ، فما فقَد[3] مِن أكلِه شيئًا[4].

وقد روِى[5]، أنَّه عرَضَتْ له حُمَّى[6] أدَّتْه إلى الموتِ. وقد قيل: إن سببَ مرضِه كان مِن أكْلِ أربعِمائةِ بيضةٍ، وسلَّتَين مِن تِينٍ. فاللَّهُ أعلمُ.

وذكَر الفضلُ بنُ[7] المُهَلَّبِ[8] [9]وغيرُه[9]، أنَّه لبِس فى يومِ جُمُعةٍ حُلَّةً صفراءَ، ثم نزَعها ولبِس بدلَها حُلةً خضراءَ، واعتمَّ بعمامةٍ خضراءَ، وجلَس على فراشٍ أخضرَ، وقد بُسِط ما حولَه بالخضرةِ، ثم نظَر فى المرآةِ فأعجَبه حسنُه، وشمَّر عن ذِراعَيه وقال: أنا الخليفةُ الشابُّ.

---

(١) فى الأصل، ا ٢: «يحين»، وفى م، ص: «يجنى». والمثبت من مختصر تاريخ دمشق ١٠/ ١٧٧.

(٢ - ٢) فى ا ٢، م، ص: «فدخله».

(٣) فى ا٢، م، ص: «فقدوا».

(٤) فى حاشية م: «هذا وأمثاله من مبالغات الأعاجم التى كانوا يتقربون بها إلى بنى العباس، وسيأتى أن سليمان رحمه اللَّه أنه كان نحيفا جميلا وهى صفة لا تتفق مع ما نسبوه إليه، والذى اخترع هذه الأكاذيب نسى أن المعدة لا تقبل زيادة على حجمها وقد قيل إذا كنت كذوبا فكن ذكورا».

(٥) مختصر تاريخ دمشق ١٠/ ١٧٨.

(٦) بعده فى الأصل: «عقب أكل هذا»، وفى ا ٢، م: «عقب هذا الأكل»، وفى ص: «عقب هذا حمة». وانظر المصدر السابق.

(٧) بعده فى م: «أبى».

(٨) أخرجه الطبرى فى تاريخ دمشق ٦/ ٥٤٦، من طريق الفضل بن المهلب به.

(٩ - ٩) سقط من: م.

(١) وقيل(٢) : إنَّه كان ينظُرُ فى المرآةِ مِن فَرْقِه إلى قدمِه ويقولُ : أنا الملكُ الشابُّ (١) .

وفى روايةٍ(٣) أنَّه كان (٤) ينظُرُ فيها ويقولُ : كان(٤) محمدٌ نبيًّا ﷺ ، وكان أبو بكرٍ صدِّيقًا ، وكان عمرُ فاروقًا ، وكان عثمانُ حَيِيًّا ، وكان علىٌّ شجاعًا ، وكان معاويةُ حليمًا(٥) ، وكان يزيدُ صبورًا ، وكان عبدُ الملكِ سائسًا ، وكان الوليدُ جبّارًا ، وأنا الملكُ الشابُّ .

قالوا(٦) : فما دارَ عليه شهرٌ - وفى روايةٍ(٧) : جُمُعةٌ - حتى مات [٧/١٦٤و] .

قالوا(٨) : ولمَّا حُمَّ شرَع يتوضَّأُ ، فدَعا(٩) بجاريةٍ ، فصبَّتْ عليه ماءَ الوضوءِ ، ثم أنشَدتْه(١٠) :

أنت نعْمَ المتاعُ لو كنتَ تبقَى ... غيرَ أنْ لا بقاءَ للإنسانِ
(١١) ليس فيما علِمتُه فيكَ عيبٌ (١١) ... (١٢) كان فى الناسِ (١٢) غيرَ أنَّك فانِ

قالوا : فصاح بها وقال : عزَّيْتِنى فى نفسى . وصرَفَها ، ثم أمَر خالَه الوليدَ

(١ - ١) زيادة من : ا ٢، م، ص .
(٢) مختصر تاريخ دمشق ١٠/ ١٧٨.
(٣) مختصر تاريخ دمشق ١٠/ ١٧٩.
(٤ - ٤) سقط من : الأصل .
(٥) فى ص : « حكيما » .
(٦) تاريخ الطبرى ٦/ ٥٤٧، ومختصر تاريخ دمشق ١٠/ ١٧٩، ونهاية الأرب ٢١/ ٣٥٤.
(٧) تاريخ الطبرى ٦/٥٤٧ ، وانظر أيضا تاريخ الطبرى ٦/ ٥٤٩، ونهاية الأرب ٢١/ ٣٥٤.
(٨) تاريخ الطبرى ٦/ ٥٤٧، بنحوه .
(٩) سقط من : الأصل .
(١٠) البيتان فى تاريخ الطبرى ٦/٥٤٧ ، ومختصر تاريخ دمشق ١٠/١٧٥ ، ونهاية الأرب ٢١/٣٥٤ ، مع اختلاف فى هذه المصادر جميعا .
(١١ - ١١) فى النسخ : « أنت خلو من العيوب ومما » ، وفى مختصر تاريخ دمشق ، ونهاية الأرب : « ليس فيما بدا لنا منك عيب » . والمثبت من تاريخ الطبرى .
(١٢ - ١٢) فى النسخ : « يكره الناس » ، وفى نهاية الأرب : « عابه الناس » .

ابنَ[1] القَعْقاعِ العَنْسىَّ أن يَصُبَّ عليه وقال[2] :

قَرِّبْ وضوءَك يا وليدُ فإنَّما (3)هذى الحياةُ تَعِلَّةٌ ومتاعُ(3)

(4)فقال الوليدُ(4) :

فاعمَلْ لنفسِك فى حياتِك صالحًا فالدهرُ فيه فُرْقةٌ[5] وجِماعُ

ويروَى[6] أن الجاريةَ لمَّا جاءتْه بالطَّستِ ، جعَلتْ تضطَرِبُ مِن الحمَّى ، فقال : أين فلانةُ ؟ فقالتْ : محمومةٌ . قال : ففلانةُ ؟ قالتْ : محمومةٌ . وكان بمَرْجِ دابِقٍ مِن أرضِ قِنَّسْرينَ ، فأمَر خالَه[7] فوضَّأه ، ثم خرَج يصلِّى بالناسِ ، فأخَذتْه بُحَّةٌ فى الخطبةِ ، ثم نزَل وقد أصابَتْه حُمَّى ، فاستمرَّ فيها حتى مات فى الجمعةِ المقبلةِ .

ويقالُ : إنَّه أصابَه ذاتُ الجَنْبِ ، فمات بها ، رحِمه اللَّهُ .

(8)وكان قد أقسَم أنَّه لا يبرَحُ[9] دابِقًا حتى يرجِعَ إليه الخبرُ بفتْحِ القسطنطينيةِ ، أو يموتَ قبلَ ذلك ، فمات قبلَ ذلك[10] ، رحِمه اللَّهُ(8) ، وأكرَم مَثواه .

---

(1) بعده فى م : « العباس » . وانظر مختصر تاريخ دمشق ١٠/ ١٧٩.

(2) مختصر تاريخ دمشق ١٠/ ١٧٩، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٨١ - ١٠٠هـ) ص ٣٨٠.

(٣ - ٣) فى النسخ : « دنيا هذى بلغة ومتاع » . وانظر مصدرى الحاشية السابقة .

(٤ - ٤) سقط من النسخ . والمثبت من مصدرى التخريج .

(5) فى الأصل : « تفرق » .

(6) مختصر تاريخ دمشق ١٠/ ١٧٨.

(7) فى ا ٢ : « خالد » ، وفى ص : « خالد » .

(٨ - ٨) سقط من : الأصل .

(9) بعده فى ٢١، م ، ص : « بمرج » .

(10) مختصر تاريخ دمشق ١٠/ ١٧٣.

قالوا[1] : وجعَل يلهَجُ فى مرضِه ويقولُ :

إنَّ بَنِىَّ صِبْيَةٌ[2] صِغارُ أفلَحَ مَن كان له كِبارُ

فيقولُ له عمرُ بنُ عبدِ العزيزِ : قد أفلَح المؤمنون يا أميرَ المؤمنين . ثم يقولُ :

إن بنىَّ صبيةٌ صَيفيُّون[3] أفلَح مَن كان له شِتْويُّون[4]

ويروَى أن هذا آخرُ ما تكلَّم به ، والصحيحُ أن آخرَ ما تكلَّم به أن قال[5] : أسألُك منقلبًا كريمًا . ثم قضَى .

وروَى ابنُ جريرٍ[6] ، عن رجاءِ بنِ حيوةَ - وكان وزيرَ صِدْقٍ لبَنِى أمية - قال : استشارَنى سليمانُ بنُ عبدِ الملكِ وهو مريضٌ أن يولِّىَ ابنًا له صغيرًا لم يبلُغِ الحُلُمَ ، فقلتُ : إن ممَّا يحفَظُ[7] الخليفةَ فى قبرِه أن يولِّىَ على المسلمين [8]مِن بعدِه[8] الرجلَ الصالحَ ، ثم شاوَرَنى فى ولايةِ ابنِه داودَ ، فقلتُ له : إنَّه غائبٌ عنك بالقسطنطينيةِ ، ولا تدْرى أحَىٌّ هو أمْ ميِّتٌ ؟ فقال : فمَن ترَى ؟ فقلتُ : رأيَك يا أميرَ المؤمنين .قال : كيف ترَى فى عمرَ بنِ عبدِ العزيزِ ؟ فقلتُ : أعلَمُه واللَّهِ خيِّرًا فاضلًا مسلمًا[9] . فقال : هو واللَّهِ على ذلك ، ولكنْ أتخوَّفُ إخوَتى لا يرضَون بذلك . فأشار رجاءٌ أن يجعَلَ يزيدَ بنَ عبدِ الملكِ ولىَّ العهدِ مِن بعدِ عمرَ

---

(١) مختصر تاريخ دمشق ١٠/ ١٨١، بنحوه.

(٢) سقط من : م .

(٣) بعده فى الأصل ، م : « قد » .

(٤) فى الأصل ، ا ٢، م : « ربعيون » ، وفى ص : « ربيعيون » . والمثبت من مصدر التخريج .

(٥) مختصر تاريخ دمشق ١٠/ ١٨١.

(٦) تاريخ الطبرى ٦/٥٥٠ مختصرًا بنحوه ، وانظر مختصر تاريخ دمشق ١٠/ ١٨٠.

(٧) فى الأصل : « يحيط » ، وفى ا ٢، ص : « يحفظ به » . وانظر تاريخ الطبرى ٦/ ٥٥٠.

(٨ - ٨) سقط من : م .

(٩) بعده فى م : « يحب الخير وأهله » .

ابنِ العزيزِ ؛ ليُرضِيَ بذلك بنى مروانَ ، فكتَب :

بسمِ اللَّهِ الرحمنِ الرحيمِ ، هذا كتابٌ مِن عبدِ اللَّهِ سليمانَ أميرِ المؤمنين لعمرَ بنِ عبدِ العزيزِ ، إنِّى قد ولَّيتُك الخلافةَ مِن بعدى ، [٧/١٦٤ظ] ومِن بعدِه[1] يزيدَ بنَ عبدِ الملكِ ، فاسمَعوا له وأطيعوا ، واتَّقوا اللَّهَ ولا تختَلِفوا فيُطمَعَ فيكم[2] .

وختَم الكتابَ وأرسَل إلى كعبِ بنِ حامدٍ[3] العَبْسىِّ صاحبِ الشُّرطةِ ، فقال له : اجمَعْ أهلَ بيتى ، (٤فمُرْهم فلْيُبايِعوا على ما فى هذا الكتابِ مختومًا ، فمَن أبَى منهم فاضرِبْ عنقَه٤) . فاجتَمعوا ودخَل رجالٌ منهم ، فسلَّموا على أميرِ المؤمنين ، فقال لهم : هذا الكتابُ عهدى إليكم ، فاسمَعوا له وأطيعوا وبايِعوا مَن ولَّيتُ فيه . فبايَعوا[5] رجلًا رجلًا .

قال رجاءٌ : فلمَّا تفرَّقوا جاءنى عمرُ بنُ عبدِ العزيزِ فقال : أنشُدُك اللَّهَ وحُرْمَتى ومَودَّتى إلَّا أعلَمتَنى إن كان (٦كتِب لى٦) ذلك حتى أستَعْفِيَه الآنَ قبلَ أن يأتىَ حالٌ لا أقدِرُ فيها على ما أقدِرُ عليه الساعةَ ! فقلتُ : واللَّهِ لا أخبِرُك حرفًا واحدًا . قال : ولَقِينى هشامُ بنُ عبدِ الملكِ فقال : يا رجاءُ ، إن لى بك حُرمةً ومودةً قديمةً ، فأخبِرْنى هذا الأمرَ ، فإن كان إلىَّ علِمتُ ، وإن كان إلى[7] غيرِى تكلَّمتُ[8] ،

---

(١) فى الأصل : « بعدك » . وانظر تاريخ الطبرى ٦/ ٥٥١.

(٢) بعده فى ا ٢، م ، ص : « عدوكم » .

(٣) فى الأصل : « خالد » . وانظر المصدر السابق .

(٤ - ٤) سقط من : الأصل .

(٥) بعده فى النسخ : « لذلك » . وانظر المصدر السابق .

(٦ - ٦) زيادة من : ا ٢، م ، ص .

(٧) سقط من : م .

(٨) سقط من النسخ . والمثبت من تاريخ الطبرى ٦/ ٥٥١.

فما مِثلى قُصِّر به[1] . فقلتُ : واللَّهِ لا أخبِرُك حرفًا واحدًا ممَّا أسِرَّ إلىَّ .

قال رجاءٌ : ودخَلتُ على سليمانَ ، فإذا هو يموتُ ، فجعَلتُ إذا أخَذتْه السَّكْرَةُ مِن سَكَراتِ الموتِ أحرِّفُه إلى القبلةِ ، فإذا أفاق يقولُ : لم يأنِ لذلك بعدُ يا رجاءُ . [2]ففعَلتُ ذلك مرَّتين[2] ، فلمَّا كانتِ الثالثةُ قال : مِن الآنَ يا رجاءُ إن كنتَ تريدُ شيئًا ، أشهَدُ أن لا إلهَ إلا اللَّهُ وأشهَدُ أن محمدًا عبدُه ورسولُه . قال : فحرَّفتُه إلى القبلةِ ومات ، فغطَّيتُه بقطيفةٍ خضراءَ ، وأغلَقتُ البابَ عليه ، وأرسَلتُ إلى كعبِ بنِ حامدٍ ، فجمَع الناسَ فى مسجدِ دابقٍ ، فقلتُ : بايِعوا لمَن فى هذا الكتابِ . فقالوا : قد بايَعْنا . فقلتُ : بايِعوا ثانيةً . ففعَلوا ، ثم قلتُ : قومُوا إلى صاحبِكم فقد مات . وقرَأتُ الكتابَ عليهم ، فلمَّا انتهَيتُ إلى ذكرِ عمرَ بنِ عبدِ العزيزِ ، تغيَّرت وجُوه بنى مروانَ ، فلمَّا قرَأتُ : وإن يزيدَ[3] بنَ عبدِ الملكِ مِن بعدِه ، تراجَعوا بعضَ الشيءِ ، ونادَى هشامٌ : لا نبايِعُه أبدًا . فقلتُ : أضرِبُ واللَّهِ عنقَك ، قمْ فبايِعْ . ونهَض الناسُ إلى عمرَ بنِ عبدِ العزيزِ وهو فى مؤخرِ المسجدِ ، فلمَّا تحقَّقَ ذلك قال : إنَّا للَّهِ وإنَّا إليه راجعون . ولم تحمِلْه رِجلاه حتى أخَذوا بضَبْعَيه ، فأصعَدوه على المنبرِ ، فسكَت حينًا ، فقال رجاءُ بنُ حيوةَ : ألَا تقومُون إلى أميرِ المؤمنين فتُبايعوه ! فنهَض القومُ فبايَعوه ، ثم قام إليه هشامٌ [4]فصعِد المنبرَ ليبايِعَ[4] وهو يقولُ : إنَّا للَّهِ وإنَّا إليه راجعون . فقال عمرُ : نعم ! إنَّا للَّهِ وإنَّا إليه راجعون ، الذى صِرْتُ أنا وأنت نتنازَعُ هذا الأمرَ . ثم قام فخطَب الناسَ خطبةً

---

(١) بعده فى ا ٢، م، ص: «عن هذا».

(٢ - ٢) سقط من النسخ، والمثبت من تاريخ الطبرى ٦/ ٥٥٢.

(٣) فى ا٢ ، ب ، م ، ص : « هشام » ، وانظر تاريخ الطبرى ٥٥١/٦ .

(٤ - ٤) زيادة من: ا ٢، ب، م، ص.

بليغةً وبايَعوه ، (١ فكان مِمّا قال فى خطبتِه : أيُّها الناسُ لستُ بمبتدعٍ ولكنِّى متَّبِعٌ ، وإن مَن حولكم مِن الأمصارِ والمدنِ إن هم أطاعوا كما أطَعتُم فأنا وَاليكم ، وإن هم أبَوا فلستُ لكم بوالٍ ١) .

ثم [٧/١٦٥و] نزَل ، فشرَعوا(٢) فى جهازِ سليمانَ .

قال الأوزاعىُّ(٣) : فلم يفرُغوا منه حتى دخَل وقتُ المغربِ ، فصلَّى عمرُ بالناسِ صلاةَ المغربِ ، ثم صلَّى على سليمانَ ، ودفِن بعدَ المغربِ ، فلمَّا انصرَف عمرُ أُتِى بمراكبِ الخلافةِ فلم يركَبْها ، ورِكب دابتَه ، ثم سار مع الناسِ (٤ حتى أتَوا دمشقَ ٤) ، فمالُوا به نحوَ دارِ الخلافةِ فقال : لا أنزِلُ إلَّا فى منزلى(٥) حتى تفرُغَ دارُ أبى أيوبَ ، فاستُحسنَ ذلك منه ، ثم استَدعى بالكاتبِ(٦) ، فجعَل يُمْلِى عليه نسخةَ الكتابِ الذى يبايعُ عليه الأمصارَ ، قال رجاءٌ : فما رأيتُ أفصحَ منه .

قال محمدُ بنُ إسحاقَ(٧) : وكانتْ وفاةُ سليمانَ بنِ عبدِ الملكِ بدابقٍ مِن أرضِ قِنَّسْرينَ يومَ الجُمُعةِ لعشرِ ليالٍ خلَتْ مِن صفرٍ سنةَ تسعٍ وتسعين ، على رأسِ سنتين وتسعةِ(٨) أشهرٍ وعشرين يومًا مِن متوفَّى الوليدِ . وكذا قال الجمهورُ

(١ - ١) زيادة من : ا ٢، ب ، م ، ص .

(٢) فى ا ٢، ب ، م ، ص : « فأخذوا » .

(٣) مختصر تاريخ دمشق ١٠/ ١٨١، وانظر تاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٨١ - ١٠٠هـ) ص ٣٨٢.

(٤ - ٤) زيادة من : ا ٢، ب ، م ، ص .

(٥) فى حاشية م : « كان منزله فى موضع مدرسة السميساطية الآن مما يلى باب مسجد بنى أمية الشمالى ، أما قصر الخلافة الذى يسمى الدار الخضراء ، فكان وراء الجدار القبلى من مسجد بنى أمية ويسمى موضعه الآن المصبغة الخضراء » .

(٦) فى الأصل ، ا ٢، ب ، ص : « بالكتاب » .

(٧) تاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٨١ - ١٠٠هـ) ص ٣٨٢.

(٨) فى ا ٢: « سبعة » . وانظر المصدر السابق .

فى تاريخِ وفاتِه ، ومنهم مَن يقولُ : لعشرٍ بقِين مِن صفرٍ . وقالوا : كانتْ ولايتُه سنتين وثمانيةَ أشهرٍ ، زادَ بعضُهم إلَّا خمسةَ أيامٍ . واللَّهُ أعلمُ .

وقولُ الحاكمِ أبى أحمدَ : إنَّه توفِّى يومَ الجُمُعةِ لثلاثَ عشْرَةَ بقِيتْ مِن رمضانَ سنةَ تسعٍ وتسعين ، (1) وكانت خلافتُه ثلاثَ سنينَ وثلاثةَ أشهرٍ وخمسةَ أيامٍ ، وتوفِّى وهو ابنُ تسعٍ وثلاثين سنةً . فقد (1) حكَاه ابنُ عساكرَ[2] ، وهو غريبٌ جدًّا ، وقد خالَفه الجمهورُ فى كلِّ ما قاله ، وعندَهم أنَّه جاوَز الأربعين ، فقيل[2] : بثلاثٍ . وقيل[3] : بخمسٍ . واللَّهُ أعلمُ .

قالوا[4] : وكان طويلًا جميلًا أبيضَ نحيفًا ، حسنَ الوجهِ ، مقرونَ الحاجبين ، وكان فصيحًا[5] بليغًا يحسِنُ العربيةَ ، ويرجِعُ إلى دينٍ وخيرٍ ومحبةٍ للحقِّ وأهلِه ، واتِّباعِ القرآنِ والسنةِ ، وإظهارِ الشرائعِ الإسلاميةِ ، رحِمه اللَّهُ .

وقد كان ، رحِمه اللَّهُ ، آلَى على نفسِه حينَ خرَج مِن دمشقَ إلى مرجِ دابقٍ - (6) ودابِقٌ (6) قريبةٌ مِن بلادِ حلبَ - (7) وقد جهَّزتِ (7) الجيوشُ إلى مدينةِ الرومِ العظمَى المسماةِ بالقسطنطينيةِ ، أن لا يرجِعَ إلى دمشقَ حتى تفتَحَ أو يموتَ ، فمات هنالك كما ذكَرنا[8] ، (6) فحصَل له (6) بهذه النيةِ أجرُ الرِّباطِ

(1 - 1) سقط من : ا ٢، ب ، م ، ص .

(2) مختصر تاريخ دمشق ١٠/ ١٨١.

(3) مختصر تاريخ دمشق ١٠/ ١٨١، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٨١ - ١٠٠هـ) ص ٣٨٢.

(4) مختصر تاريخ دمشق ١٠/ ١٧١، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٨١ - ١٠٠هـ) ص ٣٧٨، سير أعلام النبلاء ٥/ ١١٢.

(5) مختصر تاريخ دمشق ١٠/ ١٧٠.

(6 - 6) سقط من : الأصل .

(7 - 7) فى ا ٢، ب ، م ، ص : «لما جهز» .

(8) تقدم فى ٩/ ١٨١.

(1)في سبيلِ اللَّهِ، فهو، إن شاء اللَّهُ، ممَّن يجرَى له ثوابُه إلى يومِ القيامةِ(1)، رحِمه اللَّهُ.

وقد ذكَر الحافظُ ابنُ عساكرَ[2] في ترجمةِ شَراحيلَ بنِ عبيدةَ بنِ قيسٍ العُقَيلىِّ ما[3] مضمونُه؛ أنَّ مسلمةَ بنَ عبدِ الملكِ لمَّا ضيَّق بمحاصرتِه على أهلِ القسطنطينيةِ، وتتبَّع المسالكَ، واستَحوذ على أكثرِ[4] ما هنالك مِن الممالكِ، كتَب إليُونُ[5] ملكُ الرومِ إلى ملكِ البُرْجَانِ[6] يستَنصِرُه على مسلمةَ، ويقولُ له: (7)إنَّ هؤلاء القومَ(7) ليس لهم هِمَّةٌ إلا فى الدعوةِ إلى [٧/١٦٥ظ] دينِهم، الأقربُ منهم[8] فالأقربُ، وإنَّهم متى فرَغوا منِّى خلَصوا[9] إليك، فمهما كنتَ صانعًا حينَئذٍ فاصنَعْه الآنَ. فعندَ ذلك شرَع، لعَنه اللَّهُ، فى المكرِ والخديعةِ، فكتَب إلى مسلمةَ يقولُ له: إن إليُونَ كتَب إلىَّ يستنصِرُنى عليك، وأنا معك فمُرْنى بما شئتَ. فكتَب إليه مسلمةُ: إنِّى لا أريدُ منك رجالًا ولا عددًا، ولكنْ أرسِلْ إلىَّ[10] بالميرةِ، فقد قلَّ ما عندَنا من الأزوادِ.

فكتَب إليه: إنِّى قد أرسَلتُ إليك بسوقٍ عظيمةٍ إلى مكانِ كذا وكذا،

(١ - ١) فى الأصل: «رحمه الله وبل بالرحمة ثراه».
(٢) تاريخ دمشق ٢٢/ ٤٤٢.
(٣) سقط من: ا ٢، ب، ص.
(٤) سقط من: م.
(٥) فى الأصل: «ليون»، وانظر تاريخ دمشق ٢٢/ ٤٤٢.
(٦) البرجان: بلد من نواحى الخزر. معجم البلدان ١/ ٥٤٨.
(٧ - ٧) سقط من: م.
(٨) فى الأصل: «إليهم».
(٩) فى ب: «خاضوا».
(١٠) فى م: «إلينا».

فأرسِلْ مَن يتسلَّمُها ويشترى منها .

فأذِن مسلمةُ لمَن شاء مِن الجيشِ أن يذهَبَ إلى هنالك فيشتَرِىَ له ما يحتاجُ إليه ، فذهَب خلقٌ كثيرٌ فوجَدوا هنالك سوقًا هائلةً ، فيها مِن أنواعِ البضائعِ والأمتعةِ والأطعمةِ ، فأقبَلوا يشترون ، واشتَغلوا بذلك ، ولا يشعُرون بما أرصَد لهم الخبيثُ مِن الكمائنِ بينَ[(1)] تلك الجبالِ التى هنالك ، فخرَجوا عليهم بغتةً[(2)] ، فقتَلوا خلقًا كثيرًا مِن المسلمين وأسَروا آخَرين ، وما رجَع إلى مسلمةَ إلا القليلُ منهم ، فإنَّا للَّهِ وإنّا إليه راجعون .

فكتَب مسلمةُ[(1)] بذلك إلى أخيه سليمانَ يخبِرُه بما وقَع مِن ذلك ، فأرسَل جيشًا كثيفًا صحبةَ شَراحيلَ بنِ عبيدةَ هذا ، وأمَرهم أن يعبُروا خليجَ القسطنطينيةِ أولًا فيقاتِلوا ملكَ البُرْجانِ ، ثم يعودوا إلى مسلمةَ ، فذهَبوا إلى بلادِ البُرْجانِ ، وقطَعوا إليهم تلك الخُلجانَ ، فاقتَتَلوا معهم قتالًا شديدًا ، فهزَمهم المسلمون بإذنِ اللَّهِ ، وقتَلوا منهم مقتلةً عظيمةً ، وسبَوا وأسَرُوا خلقًا كثيرًا ، [(3)]وخلَّصوا أسرَى المسلمين[(3)] ، ثم تحيَّزوا إلى مسلمةَ ، فكانوا عندَه حتى استقدَم الجميعَ عمرُ بنُ عبدِ العزيزِ ؛ خوفًا عليهم مِن غائلةِ الرومِ وبلادِهم ، [(3)]ومِن ضيقِ العيشِ[(3)] ، وقد كان لهم قبلَ ذلك هنالك[(4)] مدةٌ طويلةٌ . أثابَهم اللَّهُ تعالى .

---

(1) سقط من : الأصل .

(2) بعده فى م : « واحدة » .

(3 - 3) سقط من : الأصل .

(4) سقط من : الأصل ، م .

خِلافةُ عمرَ بنِ عبدِ العزيزِ رضِى اللَّهُ عنه

قد تقدَّم[1] أنه بُويع له بالخلافةِ يومَ الجُمُعةِ لعشرِ مضَيـنَ - وقيل : بقِيـنَ - مِن صفرٍ مِن هذه السَّنةِ - أعنى سنةَ تسعٍ وتسعين - يومَ مات سليمانُ بنُ عبدِ الملكِ ، عن عهدٍ منه إليه مِن غيرِ علمٍ مِن عمرَ - كما قدَّمنا - وقد ظهَرت عليه مخايلُ الورَعِ والدِّينِ والتقشُّفِ والصِّيانةِ والنَّزاهةِ - من أوَّلِ حركةٍ بدَتْ منه ؛ حيثُ أعرَض عن [2]ركوبِ مراكبِ[2] الخلافةِ ، وهى الخيولُ الحِسانُ الجيادُ المُعَدَّةُ لها - والاجتزاءُ بمركوبِه الذى كان يركَبُه ، وسُكنى منزلِه رغبةً عن منزلِ الخلافةِ . ويقال[3] : إنَّه خطَب النَّاسَ [١٦٦/٧و] فقال فى خُطبتِه : أيُّها الناسُ ، إنَّ لى نفسًا توَّاقةً لا تُعطَى شيئًا إلا تاقَتْ إلى ما هو أعلَى منه ، وإنِّى لمَّا أُعطِيتُ الخلافةَ تاقتْ نفسِى إلى ما هو أعلَى منها ، وهو الجنةُ ؛ فأعينُونِى عليها يرحَمْكم اللَّهُ . وستأتى ترجمتُه عندَ وفاتِه إن شاء اللَّهُ تعالى .

وكان ممَّا بادَر إليه عمرُ فى هذه السنةِ أن بعَث إلى مسلمةَ بنِ عبدِ الملكِ ومَن معه مِن المسلمين ، وهم بأرضِ الرومِ محاصِرو القسطنطينيةِ ، وقد اشتدَّ عليهم الحالُ وضاق عليهم المجالُ ؛ [4]لأنهم عسكَرٌ كثيرٌ ، فكتَب إليهم يأمُرُهم بالرجوعِ إلى الشامِ[4] إلى منازلِهم ، وبعَث إليهم بطعامٍ كثيرٍ وخيولٍ كثيرةٍ عِتاقٍ ، يقالُ : خمسُمائةِ فرسٍ . ففرِح الناسُ بذلك .

---

(١) تقدم فى ٩/ ١٨٢.

(٢ - ٢) فى الأصل : « ركوبه خيول » .

(٣) شذرات الذهب ١/ ١٢٠، بنحوه .

(٤ - ٤) فى الأصل : « فأمرهم بالقفول » .

وفى هذه السنةِ أغارتِ التركُ على أَذْرَبيجانَ فقتَلوا خلقًا كثيرًا من المسلمين ، فوجّه إليهم عمرُ بنُ عبدِ العزيزِ حاتمَ بنَ النعمان الباهليَّ فقتَل أولئك الأتراكَ ، ولم يُفلتْ منهم إلا اليسيرُ ، وبعَث منهم أُسارَى إلى عمرَ وهو بخُناصِرَةَ . وقد كان المؤذِّنونَ يُذكِّرونَه بعدَ أذانِهم باقترابِ الوقتِ وضيقِه لئلا يؤخِّرَها ، كما كان يُؤخِّرُها مَن كان قبلَه لكثرةِ الأشغالِ ، وكان ذلك عن أمرِه لهم بذلك . فاللَّهُ أعلمُ .

فروَى ابنُ عساكرَ[(1)] فى ترجمةِ حَريزِ[(2)] بنِ عثمانَ الرَّحَبىِّ الحِمصِىِّ ، قال : رأيتُ مؤذِّنى عمرَ بنِ عبدِ العزيزِ يسلِّمون عليه فى الصَّلاةِ : السَّلامُ عليك أميرَ المؤمنين ورحمةُ اللَّهِ وبركاتُه ، حىَّ على الصَّلاةِ حىَّ على الفلاحِ ، الصَّلاةُ قد قاربَتْ .

وفى هذه السنةِ عزَل عمرُ يزيدَ بنَ المُهلَّبِ عن إمرةِ العراقِ وبعَث عَدِىَّ بنَ أرطاةَ الفَزارِىَّ على إمرةِ البصرةِ ، فاستقضَى عليها الحسنَ البصرىَّ ، فاستعفاه ، فأعفاه واستقضَى مكانَه إياسَ بنَ معاويةَ الذَّكِىَّ المشهورَ ، وبعَث على إمرةِ الكوفةِ وأرضِها عبدَ الحميدِ بنَ عبدِ الرحمنِ بنِ زيدِ بنِ الخطابِ ، وضمَّ إليه أبا الزنادِ[(3)] كاتبًا بين يدَيه ، واستقضَى عليها عامرًا الشعبىَّ . قال الواقدىُّ[(4)] : فلم يزَلْ قاضيًا عليها مدَّةَ خلافةِ عمرَ بنِ عبدِ العزيزِ .

وجعَل على إمرةِ خُراسانَ الجرَّاحَ بنَ عبدِ اللَّهِ الحكَمىَّ ، وكان نائبَ مكةَ

---

(1) تاريخ دمشق ١٢/ ٣٣٨.

(2) فى م ، ص : « جرير » . وانظر مصدر التخريج ، وسير أعلام النبلاء ٧/ ٧٩.

(3) فى الأصل : « الزياد » .

(4) تاريخ الطبرى ٦/ ٥٥٤، والمنتظم ٧/ ٤٦، والكامل ٥/ ٤٤، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٨١ - ١٠٠هـ) ص ٢٧٣، بنحوه.

عبدُ العزيزِ بنُ عبدِ اللَّهِ بنِ خالدِ بنِ أَسيدٍ ، وعلى إمرةِ المدينةِ أبو بكرِ بنُ محمدِ بنِ عمرِو بنِ حزمٍ ، [1]وهو الذى حجَّ بالناسِ فى هذه السنةِ . وعزَل عن إمرةِ مصرَ عبدَ الملكِ بنَ رفاعةَ[2] وولَّى عليها أيوبَ بنَ شُرَحبيلَ ، وجَعل الفُتيا إلى جعفرِ بنِ ربيعةَ ، ويزيدَ بنِ أبى حبيبٍ ، وعبيدِ اللَّهِ بنِ أبى جعفرٍ ، فهؤلاء هم الذين كانوا يُفتُون الناسَ ، واستعمَل على إفريقِيَّةَ وبلادِ المغربِ إسماعيلَ بنَ عبدِ اللَّهِ المخزوميَّ ، وكان حسنَ السِّيرةِ ، وأسلَم فى ولايتِه على بلادِ المغربِ خلقٌ كثيرٌ من البربرِ . واللَّهُ سبحانَه وتعالى أعلمُ[1] .

وممَّن تُوفِّى فيها من الأعيانِ :

الحسنُ[3] **بنُ محمدِ ابنِ الحنفيةِ** ، تابعىٌّ جليلٌ ، يقالُ : إنَّه أوَّلُ من تكلَّم فى الإرجاءِ ، وقد تقدَّم أنَّ أبا عبيدٍ قال : تُوفِّى فى سنةِ خمسٍ وتسعينَ . وذكَر خليفةُ[4] أنَّه تُوفِّى فى خلافةِ عمرَ بنِ عبدِ العزيزِ ، وذكَر شيخُنا الذهبىُّ[5] فى الأعلامِ أنه توفِّى فى هذا العامِ .

وفيها توفى **سليمانُ بنُ عبدِ الملكِ بنِ مَرْوانَ** كما تقدم[6] .

(١ - ١) سقط من : الأصل .

(٢) فى ا ٢، ب ، ص : « بن وداعة » ، وفى م « بن أبى وداعة » . والمثبت من النجوم الزاهرة ١/ ٢٣٨، وانظر حسن المحاضرة ١/ ٥٨٨.

(٣) فى ا ٢، ب « الحسين » . وانظر ترجمته فى : طبقات ابن سعد ٥/ ٣٢٨، وطبقات خليفة ٢/ ٥٩٨، والتاريخ الكبير ٢/ ٣٠٥، وطبقات الفقهاء للشيرازى ٦٣، وتاريخ دمشق ١٣/ ٣٧٣، وتهذيب الكمال ٦/ ٣١٦، وسير أعلام النبلاء ٤/ ١٣٠، والوافى بالوفيات ١٢/ ٢١٣.

(٤) طبقات خليفة ٢/ ٥٩٩، وتاريخ خليفة ٤٣٣.

(٥) الذى عليه الذهبى فى سير أعلام النبلاء ٤/ ١٣٠ ، أنه توفى سنة مائة أو فى التى قبلها ، نقلًا عن خليفة بن خياط فى طبقاته ٢/ ٥٩٩.

(٦) تقدم فى ص ٦٥٥ .

عبدُ اللَّهِ بنُ مُحيريزِ بنِ جُنادةَ بنِ وَهْبٍ[1] **القرشيُّ** [٧/١٦٦ظ] **الجُمَحيُّ المكيُّ**، نزيلُ بيتِ المقدسِ، تابعيٌّ جليلٌ، روَى عن زوجِ أمِّه[2] أبي محذورةَ المُؤذِّنِ، وعُبادةَ بنِ الصَّامتِ، وأبي سعيدٍ، ومعاويةَ، وغيرِهم. وعنه خالدُ بنُ مَعدانَ، ومكحولٌ، وحسانُ بنُ عطيةَ، والزُّهريُّ، وآخرون. وقد وثَّقه غيرُ واحدٍ، وأثنَى عليه جماعةٌ من الأئمَّةِ، حتى قال رجاءُ بنُ حيوةَ: إن يفخَرْ علينا أهلُ المدينةِ بعابدِهم ابنِ عمرَ، فإنا نفخَرُ عليهم بعابدِنا عبدِ اللَّهِ بنِ مُحيريزٍ. وقال بعضُ ولدِه: كان يختِمُ القرآنَ كلَّ[3] جمعةٍ، وكان يُفرَشُ له الفراشُ فلا ينامُ عليه. قالوا: وكان صموتًا معتزِلًا للفتنِ. وكان لا يترُكُ الأمرَ بالمعروفِ[4] والنَّهيَ عن المنكرِ[4]، ولا يذكُرُ شيئًا من خِصالِه المحمودةِ، ورأى على بعضِ الأمراءِ حُلَّةً من حريرٍ فأنكَر عليه، فقال: إنما ألبَسُها مِن أجل هؤلاءِ - وأشارإلى عبدِ الملكِ بنِ مروانَ أميرِ المؤمنين - فقال له ابنُ مُحيريزٍ: لا تعدِلْ بخوفِك من اللَّهِ خوفَ أحدٍ من الناسِ.

وقال الأوزاعيُّ[5]: مَن كان مُقتدِيًا فليقتدِ بمِثلِه، فإنَّ اللَّهَ لا يُضِلُّ أمَّةً فيها مثلُه. وقال بعضُهم[6]: تُوفِّي أيامَ الوليدِ. وقال خليفةُ بنُ خياطٍ[7]: تُوفِّي أيامَ

---

(١) في ١ ٢، ب: «وعيد»، وفي م: «عبيد». وانظر ترجمته في: الاستيعاب ٣/ ٩٨٣، وأسد الغابة ٣/ ٣٧٨، والإصابة ٥/ ٢٠٨، وتهذيب الكمال ١٦/ ١٠٦، وسير أعلام النبلاء ٤/ ٤٩٤، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٨١ - ١٠٠هـ) ص ٤٠٧، والوافي بالوفيات ١٧/ ٥٩٩.

(٢) في ١ ٢، ب، م، ص: «أم».

(٣) بعده في الأصل: «ليلة».

(٤ - ٤) سقط من: الأصل.

(٥) تاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٨١ - ١٠٠ هـ) ص ٤٠٨، وسير أعلام النبلاء ٤/ ٤٩٦، ومختصر تاريخ دمشق ١٤/ ٣٣.

(٦) تاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٨١ - ١٠٠ هـ) ص ٤٠٩، وسير أعلام النبلاء ٤/ ٤٩٦، ومختصر تاريخ دمشق ١٤/ ٣٥.

(٧) طبقات خليفة ٢/ ٧٥٥.

عمرَ بنِ عبدِ العزيزِ . وذكَر الذهبيُّ[1] في «الأعلامِ» أنَّه توفِّي في هذا العامِ . واللَّهُ سبحانَه أعلمُ[2] .

محمودُ بنُ لَبيدِ بنِ عُقبةَ أبو نُعيمٍ الأنصاريُّ الأَشهَليُّ المدَنيُّ[3] ، وُلِد في حياةِ النبيِّ ﷺ ، ورَوَى عنه أحاديثَ ، لكنْ حكْمُها الإرسالُ .

وقال البخاريُّ[4] : له صحبةٌ . وقال ابنُ عبدِ البرِّ[5] : هو أَسَنُّ[6] مِن محمودِ ابنِ الرَّبيعِ . قيل[7] : إنَّه توفِّي في سنةِ سِتٍّ - وقيل[8] : سبعٍ - وتسعين .

وذكَر الذهبيُّ[9] في «الأعلامِ» أنَّه توفِّي في هذا العامِ ، [10]أعنى سنةَ تسعٍ وتسعين[10] . واللَّهُ أعلَمُ باليقينِ .

نافعُ بنُ جُبيرِ بنِ مُطْعِمِ بنِ عديِّ بنِ نوفلِ القرشيُّ النَّوْفليُّ المدَنيُّ[11] ،

---

(١) الذى عليه الذهبى فى سير أعلام النبلاء ٤/٤٩٦ أنه توفى فى أيام دولة الوليد .

(٢) بعده فى ا ٢، م ، ص : «دخل ابن محيريز مرة حانوت بزاز ليشترى منه ثوبًا فرفع فى السوم فقال له جاره ويحك هذا ابنُ محيريزٍ ضع له فأخذ ابن محيريزٍ بيدِ غلامه وقال اذهب بنا إنما جِئنا لنشترِىَ بأموالِنا لا بأديانِنا فذهَب وترَكَه» .

(٣) الاستيعاب ٣/ ١٣٧٨، وأسد الغابة ٥/ ١١٧، والإصابة ٦/ ٤٢.

(٤) التاريخ الكبير ٧/ ٤٠٢، ولم يصرح بأن له صحبة ، ولكنه أسند إلى النبى ﷺ . وقال ابن أبى حاتم فى «الجرح والتعديل» ٨/ ٢٨٩: قال البخارى : له صحبة . فخط أبى عليه ، وقال : لا يعرف له صحبة . ورجح ابن عبد البر قول البخارى .

(٥) الاستيعاب ٣/ ١٣٧٩.

(٦) فى ا ٢، ب ، م ، ص : «أحسن» . وانظر المصدر السابق .

(٧) طبقات ابن سعد ٥/ ٧٧.

(٨) سير أعلام النبلاء ٣/ ٤٨٦.

(٩) سير أعلام النبلاء ٣/ ٤٨٦، لكنه ذكر أنه توفى سنة سبع وتسعين ، أو ست وسبعين .

(١٠ - ١٠) سقط من : ا ٢، ب ، م ، ص .

(١١) انظر ترجمته فى : طبقات ابن سعد ٥/ ٢٠٥، وطبقات خليفة ٢/ ٦٠٣، والتاريخ الكبير ٨/ ٨٢، وتهذيب الكمال ٢٩/ ٢٧٢، وسير أعلام النبلاء ٤/ ٥٤١، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٨١ - ١٠٠هـ) ص ٤٩١، وشذرات الذهب ١/ ١١٦.

روَى عن أبيه ، وعثمانَ[1] ، وعليٍّ ، والعباسِ ، وأبى هريرةَ ، وعائشةَ ، وغيرِهم ، وروَى عنه جماعةٌ من التابعين وغيرِهم ، وكان ثقةً عابدًا يحُجُّ ماشيًا ، ومركوبُه يقادُ معه ، قال غيرُ واحدٍ[2] : توفِّى سنةَ تسعٍ وتسعين بالمدينةِ . واللَّهُ أعلمُ .

كُرَيبُ بنُ مُسلمٍ[3] مولى ابنِ عباسٍ ، روَى عن جماعةٍ من الصحابةِ وغيرِهم ، وكان عندَه حِمْلُ كتبٍ ، وكان مِن الثقاتِ المشهورين بالخيرِ والديانةِ .

محمدُ بنُ جُبيرِ بنِ مُطعِمٍ[4] كان مِن علماءِ قريشٍ وأشرافِها ، وله رواياتٌ كثيرةٌ ، (٥تُوفِّى فى المدينةِ ، ودُفِن فى البَقيعِ .

محمودُ بنُ الربيعِ الأنصاريُّ ، أبو محمدٍ[6] ، له رواياتٌ كثيرةٌ٥) ، وكان يعقِلُ مَجَّةً مجَّها[7] النبيُّ ﷺ فى وجْهِه ، وعمرُه أربعُ سنينَ[8] ، تُوفِّى وعمرُه ثلاثٌ وتسعون سنةً بالمدينةِ .

مُسْلمُ بنُ يَسارٍ ، أبو عبدِ اللَّهِ البصرىُّ[9] ، الفقيهُ الزاهدُ ، له رواياتٌ ،

---

(١) يعنى عثمان بن أبى العاص . انظر تهذيب الكمال ٢٩/ ٢٧٣.

(٢) طبقات ابن سعد ٥/ ٢٠٧.

(٣) انظر ترجمته فى : طبقات ابن سعد ٥/٢٩٣ ، وطبقات خليفة ٢/ ٧٠٣، والتاريخ الكبير ٧/ ٢٣١، وتهذيب الكمال ٢٤/ ١٧٢، وسير أعلام النبلاء ٤/ ٤٧٩، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٨١ - ١٠٠هـ) ص ٤٦٢، وشذرات الذهب ١/ ١١٤.

(٤) انظر ترجمته فى : طبقات ابن سعد ٥/ ٢٠٥، وطبقات خليفة ٢/ ٦٠٢، والتاريخ الكبير ١/ ٥٢، وتهذيب الكمال ٢٤/ ٥٧٣، وسير أعلام النبلاء ٤/ ٥٤٣، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٨١ - ١٠٠هـ) ص ٤٦٦، وشذرات الذهب ١/ ١١٦.

(٥ - ٥) سقط من : م .

(٦) انظر ترجمته فى : الاستيعاب ٣/ ١٣٧٨، وأسد الغابة ٥/ ١١٦، والإصابة ٦/ ٣٩.

(٧) أى : صبَّها من فمه . تاج العروس (م ج ج) .

(٨) البخارى (٧٧) من طريق محمود بن الربيع ، بلفظ : « وأنا ابن خمس سنين من دلو » .

(٩) انظر ترجمته فى : طبقات ابن سعد ٧/ ١٨٦، وطبقات خليفة ١/ ٤٩١، والتاريخ الكبير =

كان لا يُفضَّلُ عليه أحدٌ فى زمانِه ، وكان عابدًا وَرِعًا زاهدًا كثيرَ الصلاةِ ، كثيرَ الخشوعِ . وقيل : إنَّه وقَع فى دارِه حريقٌ فأطفَئوه ، وهو فى الصلاةِ لم يَشعُرْ به ، وله مناقبُ كثيرةٌ ، رحِمه اللَّهُ . قلتُ : وانهدَمتْ مرَّةً ناحيةٌ من المسجدِ ففزِع أهلُ السوقِ لهِدَّتِها ، وإنَّه لفِى المسجدِ فى صلاتِه فما التفَتَ .

وقال ابنُه : رأيتُه ساجدًا ، وهو يقولُ : متى ألقَاك وأنت عنِّى راضٍ ؟ ثم يذهَبُ فى الدعاءِ ، ثم يقولُ : متى ألقاكَ وأنت عنِّى راضٍ ؟ وكان إذا كان فى غيرِ صلاةٍ كأنَّه فى الصَّلاةِ ، وقد تقدَّمتْ ترجَمتُه .

حَنَشُ بنُ (1 عبدِ اللَّهِ بنِ 1) عمرٍو الصَّنعانىُّ[2]

كان والىَ إفريقيَّةَ ، وبلادِ المغربِ ، وبإفريقيَّةَ تُوفِّى غازيًا ، وله رواياتٌ كثيرةٌ عن جماعةٍ من الصحابةِ .

خارجةُ بنُ زيدِ بنِ الضَّحَّاكِ الأنصارىُّ المدنىُّ الفقيهُ[3] ، كان يُفتى بالمدينةِ ، وكان مِن فقهائِها المعدودينَ ، كان عالِمًا بالفرائضِ وتقسيمِ المواريثِ ، وهو أحدُ الفقهاءِ السَّبعةِ الذين مدارُ الفتوى على قولِهم .

= ٧/ ٢٧٥، وحلية الأولياء ٢/ ٢٩٠، وطبقات الشيرازى ص ٨٨، وتهذيب الكمال ٢٧/ ٥٥١، وسير أعلام النبلاء ٤/ ٥١٠، وشذرات الذهب ١/ ١١٩.

(١ - ١) سقط من النسخ ، والمثبت من مصادر الترجمة الآتية .

(٢) انظر ترجمته فى : طبقات ابن سعد ٥/ ٥٣٦، والتاريخ الكبير ٣/ ٩٩، وتاريخ دمشق ١٥/ ٣٠٧، وتهذيب الكمال ٧/ ٤٢٩، وطبقات فقهاء اليمن ٥٧، وسير أعلام النبلاء ٤/ ٤٩٢، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٨١ - ١٠٠هـ) ص ٣٣٩، وشذرات الذهب ١/ ١١٩.

(٣) انظر ترجمته فى : طبقات ابن سعد ٥/ ٢٦٢، وطبقات خليفة ٢/ ٦٢٧، والتاريخ الكبير ٣/ ٢٠٤، وطبقات الفقهاء للشيرازى ص ٦٠، وتهذيب الكمال ٨/ ٨، وسير أعلام النبلاء ٤/ ٤٣٧، والوافى بالوفيات ١٣/ ٢٤١.

سنةُ مائةٍ مِن الهجرةِ النَّبويَّةِ

(1) قال الإمامُ أحمدُ[2] : حدَّثنا عليُّ بنُ حفصٍ ، أنبأ ورقاءُ ، عن منصورٍ ، عن المِنْهالِ بنِ عمرٍو ، عن نُعيمِ بنِ دِجاجةَ ، قال : دخَل أبو[3] مسعودٍ على عليٍّ ، فقال : أنت القائلُ : قال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « لا يأتى على الناسِ مائةُ عامٍ وعلى الأرضِ نفسٌ منفوسةٌ » ؟ إنما قال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « لا يأتى على الناسِ مائةُ عامٍ وعلى الأرضِ نفسٌ منفوسةٌ مِمَّن هو حيٌّ » . وإنَّ رخاءَ هذه الأمةِ بعدَ المائةِ . تفرَّد به أحمدُ .

وفى روايةٍ[4] لابنِه عبدِ اللَّهِ أنَّ عليًّا قال له : يا فرُّوخُ ، أنت القائلُ : لا يأتى على الناسِ[5] مائةُ سنةٍ وعلى الأرضِ عينٌ تَطرِفُ ؟ أخطأَتِ استُك الحفرةَ ، إنما قال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « لا يأتى على الناسِ مائةُ سنةٍ ، وعلى الأرضِ عينٌ تَطْرِفُ مِمَّن هو اليومَ حيٌّ » . وإنما رخاءُ هذه الأمةِ وفرَجُها بعدَ المائةِ . تفرَّد به .

وهكذا جاء فى « الصحيحين »[6] عن ابنِ عمرَ : فوَهَل[7] الناسُ فى مقالةِ رسولِ اللَّهِ ﷺ تلك ، وإنما أراد انخرامَ قرْنِه[8](1) .

وفيها خرَجتْ خارجةٌ مِن الحروريَّةِ بالعراقِ ، فبعَث أميرُ المؤمنين عمرُ بنُ

(1 - 1) زيادة من : ا ٢، ب ، م ، ص .

(2) المسند ١/ ٩٣. إسناده صحيح .

(3) فى ا ٢، م : « ابن » ، وانظر المصدر السابق .

(4) المسند ١/ ١٤٠. إسناده صحيح . وفى النسخ تقديم وتأخير مُخِلٌّ بالمعنى وصارف له إلى غير وجهه . والمثبت من مصدر التخريج . وانظر مسند أبى يعلى (٥٨٤) .

(5) فى ب : « السنة » .

(6) البخارى (١١٦) ، مسلم (٢٥٣٧) .

(7) وهَل الناس : غلطوا وذهب همهم إلى غير الصواب . وانظر الموضعين السابقين .

(8) الانخرام : الانقضاء والانقطاع . أراد أن هذه المدة تخترم الجيل الذى هم فيه فوعظهم بقصر أعمارهم . وانظر الفتح ١/ ٢١٢.

عبدِ العزيزِ إلى عبدِ الحميدِ نائبِ الكوفةِ ، يأمُرُه بأن يدعُوَهم إلى الحقِّ ، ويتلطَّفَ بهم ، ولا يقاتِلَهم حتى يُفسِدوا فى الأرضِ ، فلمَّا فعَلوا ذلك بعَث إليهم جيشًا فكَسَرهم الحروريَّةُ ، فبعَث عمرُ إليه يلومُه على جيشِه ، وأرسَل عمرُ ابنَ عمِّه مَسلمةَ بنَ عبدِ الملكِ مِن الجزيرةِ إلى حربِهم ، فأظفَره اللَّهُ بهم ، وقد أرسَل عمرُ إلى كبيرِ الخوارجِ - وكان يقالُ له : بِسطامُ - يقولُ له : ما أخرَجك علىَّ ؟ فإن كنتَ خرَجتَ غضَبًا [١٦٧/٧و] للَّهِ ، فأنا أحقُّ بذلك منك ، ولستَ أولَى بذلك منِّى ، وهلُمَّ أناظِرْك ؛ فإن رأيتَ حقًّا اتَّبعْتَه ، وإن أبدَيتَ حقًّا نظَرنا فيه .

فبعَث طائفةً مِن أصحابِه إليه ، فاختارَ منهم عمرُ رجلَين فسألَهما : ماذا تنقِمون ؟ فقالا : جعْلَك يزيدَ بنَ عبدِ الملكِ مِن بعدِك . فقال : إنِّى لم أجعَلْه أبدًا ، وإنما جعَله غيرى . قالا : فكيف ترضَى به أمينًا للأُمَّةِ مِن بعدِك ؟ فقال : أنظِرْنى ثلاثةً . فيقالُ : إنَّ بنى أميةَ دسَّتْ إليه سُمًّا ، فقتَلوه ؛ خشيةَ أن يخرُجَ الأمرُ مِن أيديهم ، ويمنعَهم الأموالَ . واللَّهُ أعلمُ .

وفى هذه السنةِ غزَا عمرُ بنُ الوليدِ بنِ هشامٍ المُعَيْطىُّ ، وعمرُو بنُ قيسٍ الكندىُّ - مِن أهلِ حِمصَ - الصائفةَ .

وفيها ولَّى عمرُ بنُ عبدِ العزيزِ عمرَ بنَ هبيرةَ نيابةَ الجزيرةِ ، فسار إليها .

وفيها[(١)] حُمِل يزيدُ بنُ المهلَّبِ إلى عمرَ بنِ عبدِ العزيزِ مِن العراقِ ؛ أرسَله عدىُّ بنُ أرطاةَ نائبُ البصرةِ - [(٢)]وقد كان أظهَر الامتناعَ[(٢)] - مع موسى بنِ وجيهٍ ، وكان عمرُ يُبْغِضُ يزيدَ بنَ المُهلَّبِ وأهلَ بيتِه ، ويقولُ : هؤلاءِ جبابرةٌ ولا

---

(١) تاريخ الطبرى ٦/٥٥٦.

(٢ - ٢) سقط من : ا ٢، ب ، م .

أُحِبُّ مثلَهم .

فلمَّا دخَل على عمرَ طالَبه بما قِبلَه مِن الأموالِ التى كان قد كتَب إلى سليمانَ أنَّها حاصلةٌ عندَه ، فقال : إنما كتَبتُ بذلك لأُرهِبَ الأعداءَ بذلك ، ولم يكُنْ بينى وبينَ سليمانَ شىءٌ ، وقد عرَفتَ مكانتى عندَه . فقال له عمرُ : لا أسمَعُ منك هذا ، ولستُ أُطلِقُكَ حتى تؤدِّىَ أموالَ المسلمين . وأمَر بسَجنِه .

وكان عمرُ قد بعَث على إمرةِ خُراسانَ الجرَّاحَ بنَ عبدِ اللَّهِ الحكَمِىَّ عِوضَه ، وقدِم (١) ولدُ يزيدَ بنِ المُهلَّبِ (١) - مَخلَدُ بنُ يَزيدَ - فقال : يا أميرَ المؤمنينَ ، إنَّ اللَّهَ عزَّ وجلَّ قد مَنَّ على هذه الأمةِ بولايتِك عليها ، فلا نكونَنَّ (٢) أشقَى الناسِ بك ، فعَلَامَ تحبِسُ هذا الشيخَ وأنا أقومُ (٣) بما تصالِحُنِى (٣) عنه ؟ فقال عمرُ : لا أُصالِحُكَ عنه إلَّا أن تقومَ بجميعِ ما يُطلَبُ منه (٤) . فقال : يا أميرَ المؤمنينَ ، إن كانتْ لك بيِّنةٌ عليه بما تقولُ ، وإلَّا فاقبَلْ يمينَه أو فصالِحْنِى عنه . فقال : لا آخُذُ منه إلا جميعَ ما عندَه . فخرَج مَخلَدُ بنُ يزيدَ مِن عندِ عمرَ ، فلم يلبَثْ أن مات مَخلَدٌ ، فكان عمرُ يقولُ : هو خيرٌ مِن أبيه .

ثم إنَّ عمرَ أمَر بأن يلبَسَ يزيدُ بنُ المهلَّبِ جُبَّةً مِن صوفٍ ، ويركَبَ على بعيرٍ ، ويذهَبوا به إلى جزيرةِ دَهْلَكَ (٥) التى كان يُنفَى إليها الفسَّاقُ ، فشفَعوا فيه ، فردَّه إلى السجنِ ، فلم يزَلْ به حتى مرِض عمرُ (٦) مرضَه الذى مات فيه ، فهَرب (٦)

(١ - ١) فى الأصل : « ابنه » .
(٢) بعده فى ا ٢ ، ب ، م ، ص : « نحن » .
(٣ - ٣) فى م : « له أتصالحنى » .
(٤) بعده فى ا ٢ ، ب ، م ، ص : « ولا آخذ منه إلا جميع ما عنده من مال المسلمين » .
(٥) دَهْلَكُ : جزيرة فى بحر اليمن ، وهى مرسى بين بلاد اليمن والحبشة . معجم البلدان ٢/ ٦٣٤.
(٦ - ٦) زيادة من : ا ٢ ، ب ، م ، ص .

(١) مِن السجنِ ، وهو مريضٌ ، وعلِم أنَّه يموتُ فى مرضِه ذلك ، وبذلك كتَب إليه ، كما سيأتى ، وأظُنُّه كان عالمًا أن عمرَ قد سُقِى سُمًّا(١) .

وفى هذه السَّنةِ ، فى رمضانَ منها ، عزَل عمرُ بنُ عبدِ العزيزِ الجرَّاحَ بنَ عبدِ اللَّهِ الحكَمىَّ عن إمرةِ خراسانَ ، بعدَ سنةٍ وخمسةِ أشهرٍ ؛ وإنما عزَله لأنه كان يأخُذُ الجزيةَ ممَّن [٧/١٦٧ظ] أسلَم مِن الكفَّارِ ، ويقولُ : أنتم إنَّما تُسلِمون فِرارًا منها . فامتنَعُوا مِن الإسلامِ ، وثبَتُوا على دينِهم ، وأدَّوا الجزيةَ .

فكتَب إليه عمرُ : إنَّ اللَّهُ إنما بعَث محمدًا ﷺ داعيًا ، ولم يبعَثْه جابيًا . وعزَله وولَّى بدلَه عبدَ الرحمنِ بنَ نُعيمٍ القشيرىَّ على الحربِ ، وعبدَ الرحمنِ بنَ عبدِ اللَّهِ على الخراجِ .

وفيها كتَب عمرُ إلى عُمَّالِه يأمُرُهم بالخيرِ ، وينهاهُم عن الشَّرِّ ، ويبيِّنُ لهم الحقَّ ، ويوضِّحُه لهم ، ويعِظُهم فيما بينَه وبينَهم ، ويخوِّفُهم بأسَ اللَّهِ وانتقامَه ، فكان فيما كتَب إلى عبدِ الرحمنِ بنِ نُعيمٍ القشيرىِّ :

أمَّا بعدُ ، فكُنْ عبدًا للَّهِ ، ناصحًا للَّهِ فى عبادِه ، ولا تأخُذْك فى اللَّهِ لومةُ لائِمٍ ، فإنَّ اللَّهَ أولَى بكَ مِن الناسِ ، وحقُّه عليك أعظمُ ، ولا تُولِيَنَّ شيئًا مِن أمورِ المسلمين إلا المعروفَ بالنَّصيحةِ لهم ، والتوفيرِ عليهم ، وأداءِ الأمانةِ فيما استُرعِىَ ، وإياكَ أن يكونَ مَيْلُكَ مَيْلًا إلى غيرِ الحقِّ ؛ فإنَّ اللَّهَ لا تخفَى عليه خافيةٌ ، ولا تذهَبَنَّ عن اللَّهِ مذهبًا ؛ فإنَّه لا ملجأَ مِن اللَّهِ إلَّا إليه . (١)وكتَب مثلَ ذلك مواعظَ كثيرةً إلى العمالِ(١) .

(١ - ١) زيادة من : ١ ٢، ب ، م ، ص .

(1)وقال البخاريُّ فى «صحيحِه»[2]: وكتَب عمرُ إلى عَدِيِّ بنِ عديٍّ: إن للإيمانِ فرائضَ وشرائعَ وحدودًا وسُننًا، مَن استكمَلها استكمَل الإيمانَ، ومَن لم يستكمِلْها لم يستكمِلِ الإيمانَ، فإن أعِشْ فسأُبَيِّنُها لكم حتى تعمَلوا بها، وإن أمُتْ فما أنا على صُحْبَتِكم بحريصٍ(1).

وفى هذه السنةِ كان بُدوُّ دعوةِ بنى العباسِ

وذلك أنَّ محمدَ بنَ عليٍّ[3] بنِ عبدِ اللَّهِ بنِ عباسٍ - وكان مقيمًا بأرضِ الشَّراةِ[4] - بعَث مِن جهتِه رجلًا يقالُ له: ميسرةُ. إلى العراقِ، وأرسَل طائفةً أُخرَى وهم؛ محمدُ بنُ خُنَيْسٍ[5]، وأبو عكرمةَ السرَّاجُ - وهو أبو محمدٍ الصادقُ - وحيَّانُ العطارُ - خالُ إبراهيمَ بنِ سلمَةَ[6] - إلى خُراسانَ، وعليها يومئذٍ الجرّاحُ بنُ عبدِ اللَّهِ الحكَميُّ قبلَ أن يُعزَلَ فى رمضانَ، وأمَرهم بالدعاءِ إليه، وإلى أهلِ بيتِه، فلقُوا مَن لقُوا ثم انصَرفوا بكتُبِ[7] مَن استجابَ لهم[8] إلى ميسرةَ، الذى بالعراقِ، فبعَث بها إلى محمدِ بنِ عليٍّ ففَرِح بها، واستبشَر به، وسرَّه، وكان مبادِئَ أمرٍ قد كتَب اللَّهُ إتمامَه، وأولَ رأيٍ قد أحكَم اللَّهُ إبرامَه،

(1 - 1) زيادة من: ا 2، ب، م، ص، ولعله من زيادات أحد النساخ، ثم تنوقلت.

(2) فتح البارى 1/ 45، باب قول النبى ﷺ: «بنى الإسلام على خمس»، من كتاب الإيمان، وانظر تغليق التعليق 2/ 19.

(3) بعده فى ص: «بن عبد الملك».

(4) فى ب، ص: «السراة». وانظر معجم البلدان 3/ 270، 271.

(5) فى الأصل: «حسين». وفى ا 2، ب: «حبس». وانظر تاريخ الطبرى 6/ 562.

(6) فى ب، ص: «مسلمة». وانظر المصدر السابق.

(7) فى الأصل، ا 2، ب: «فكتب». وفى ص: «فكتبوا».

(8) فى ا 2، ب، م، ص: «منهم». وانظر تاريخ الطبرى 6/ 562.

وذلك[1] أنَّ دولةَ بنى أُمَيَّةَ كان قد بان عليها مخايلُ الوَهْنِ والضعْفِ ، ولا سِيَّما بعدَ موتِ عمرَ بنِ عبدِ العزيزِ ، كما سيأتى بيانُه . وقد اختارَ أبو محمدٍ الصادقُ لمحمدِ بنِ علىٍّ اثنى عشَرَ نقيبًا ، وهم ؛ سليمانُ بنُ كثيرٍ الخزاعىُّ ، ولاهزُ بنُ قُريظٍ التَّميمىُّ ، وقَحْطَبةُ بنُ شَبيبٍ الطائىُّ ، وموسى بنُ كعبٍ التميمىُّ ، وخالدُ بنُ إبراهيمَ أبو داودَ (٢ مِن بنى ٢) عمرِو بنِ شيبانَ بنِ ذُهْلٍ ، والقاسمُ بنُ مجاشعٍ التَّميمىُّ ، وعمرانُ بنُ إسماعيلَ أبو النجمِ - مولًى لآلِ أبى مُعَيْطٍ - ومالكُ بنُ الهيثمِ الخُزاعىُّ ، وطلحةُ بنُ زُرَيْقٍ الخُزاعىُّ ، وعمرُو (٣ بنُ أعْيَنَ ٣) أبو حمزةَ - مولًى لخزاعةَ - وشِبْلُ بنُ طَهْمانَ أبو علىٍّ الهَرَوِىُّ - مولًى لبنى حنيفةَ - وعيسى[4] بنُ أَعْيَنَ مولَى خزاعةَ أيضًا . واختار منهم سبعين رجُلًا أيضًا . وكتَب إليهم محمدُ بنُ علىٍّ كتابًا يكونُ لهم مثالًا وسيرةً يقتَدُونَ بها ويسيرونَ بها .

وقد حجَّ بالناسِ فى هذه السنةِ أبو بكرِ بنُ محمدِ بنِ عمرِو بنِ حزمٍ ، نائبُ المدينةِ . والنُّوّابُ على الأمصارِ هم المذكورون فى التى [١٦٨/٧و] قبلَها ، سوى مَن ذكَرْنا ممَّن عُزِلَ وتولَّى غيرُه . واللَّهُ أعلمُ .

ولم يَحُجَّ عمرُ بنُ عبدِ العزيزِ فى أيامِ خلافتِه لشغلِه بالأمورِ ، ولكنَّه كان يُبرِدُ البريدَ إلى المدينةِ ، فيقولُ له : سلِّم على رسولِ اللَّهِ ﷺ عنِّى . وسيأتى بإسنادِه إن شاءَ اللَّهُ .

ومِمَّن تُوفِّى فيها من الأَعيانِ :

---

(١) سقط من : م .
(٢ - ٢) فى ا ٢ : « من » . وفى ب ، ص : « بن » . وانظر تاريخ الطبرى ٦/ ٥٦٢.
(٣ - ٣) فى الأصل ، ا ٢ ، ب ، ص : « ابن أبى أعين » . وانظر تاريخ الطبرى ٦/ ٥٦٢، والكامل ٥/ ٥٤.
(٤) فى الأصل، ا ٢، ب ، ص : « موسى » . وانظر المصدر السابق .

سالمُ بنُ أبى الجعدِ الأشجعىُّ[1] ، مولاهم الكوفىُّ ، أخو زيادٍ ، وعبدِ اللَّهِ ، وعبيدِ اللَّهِ ، وعمرانَ ومسلمٍ ، وهو تابعىٌّ جليلٌ ، روَى عن ثوبانَ[2] ، وجابرٍ ، وعبدِ اللَّهِ بنِ عمرَ ، وعبدِ اللَّهِ بنِ عمرٍو ، والنعمانِ بنِ بشيرٍ ، وغيرِهم ، وعنه قتادةُ ، والأعمشُ ، وآخَرونَ ، وكان ثقةً نبيلًا جليلًا[3] ، [4]تُوفِّى فى هذه السنةِ على المشهورِ[4] .

أبو أُمامةَ بنُ[5] **سَهلِ بنِ حُنيفٍ ، الأنصارىُّ الأوسىُّ المدنىُّ** ، وُلِد فى حياةِ النبىِّ ﷺ ورآه ، وحدَّث عن أبيه ، وعمرَ ، وعثمانَ ، وزيدِ بنِ ثابتٍ ، ومعاويةَ ، وابنِ عباسٍ . وعنه الزهرىُّ ، وأبو حازمٍ ، وجماعةٌ ، قال الزهرىُّ[6] : كان مِن عِلْيةِ الأنصارِ وعلمائِهم ، ومِن أبناءِ الذين شهِدوا بدرًا . وقال يوسفُ بنُ الماجشونِ ، عن عُتبةَ بنِ مسلمٍ ، قال[7] : آخرُ خَرجةٍ خرَجها عثمانُ بنُ عفانَ ، رَضِى اللَّهُ عنه ، إلى الجمُعةِ ، حصَبَه الناسُ وحالوا بينَه وبينَ الصلاةِ ، فصلَّى بالناسِ يومَئذٍ أبو أُمامةَ بنُ سَهلِ بنِ حُنيفٍ . قالوا[8] : تُوفِّى سنةَ مائةٍ . واللَّهُ أعلَمُ .

---

(١) انظر ترجمته فى : طبقات ابن سعد ٦/ ٢٩١، وطبقات خليفة ١/ ٣٥٩، وتهذيب الكمال ١٠/ ١٣٠، وسير أعلام النبلاء ٥/ ١٠٨، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٨١ - ١٠٠هـ) ص ٣٦١، والوافى بالوفيات ١٥/ ٩٥.

(٢) قال محمد بن يحيى الذهلى : سمعت أحمد بن حنبل يقول : لم يسمع سالم من ثوبان ولم يلقه ، وبينهما معدان بن أبى طلحة ، وليست هذه الأحاديث بصحاح . تهذيب الكمال ١٠/ ١٣٢.

(٣) قال الذهبى فى ميزان الاعتدال ٢/ ١٠٩: من ثقات التابعين ، لكنه يدلس ويرسل .

(٤ - ٤) سقط من : ا ٢، ب ، م ، ص .

(٥) سقط من : م ، ص ، وانظر ترجمته فى : الاستيعاب ٤/ ١٦٠٢، وأسد الغابة ٦/ ١٨، والإصابة ١/ ١٨١.

(٦) تاريخ دمشق ٨/ ٣٣٣، ٣٣٤.

(٧) أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ٣٤٤/٨ عنه به .

(٨) تاريخ دمشق ٨/ ٣٢٩، ٣٣١، ٣٣٢، ٣٣٥، ٣٣٦، وتهذيب الكمال ٢/ ٥٢٦.

أبو الزّاهريَّةِ حُدَيْرُ بنُ كُرَيبٍ الحِمْصِىُّ[1] ، تابعىٌّ جليلٌ ، سمِع أبا أُمامةَ ؛ صُدَىَّ بنَ عَجْلانَ ، وعبدَ اللَّهِ بنَ بُسرٍ ، ويقالُ[2] : إنّه أدرَك أبا الدرداءِ . والصحيحُ أنَّ روايتَه عنه ، وعن حذيفةَ مُرسَلةٌ[3] ، وقد حدَّث عنه جماعةٌ مِن أهلِ بلدِه ، وقد وثَّقه ابنُ مَعِينٍ ، وغيرُه . ومِن أغربِ ما رُوِى عنه قولُ قُتَيْبةَ[4] : ثنا شهابُ بنُ خِراشٍ عن حميدِ بنِ[5] أبى الزاهريَّةِ ، قال : أغفَيتُ فى صخرةِ بيتِ المقدسِ ، فجاءتِ السَّدَنَةُ ، فأغلَقوا علىَّ البابَ ، فما انتبَهتُ إلّا بتَسبيحِ الملائكةِ ، فوثَبْتُ مَذْعُورًا ، فإذا الملائكةُ صفوفٌ ؛ فدخَلتُ معَهم فى الصفِّ . قال أبو عبيدٍ[6] ، وغيرُه[7] : مات سنةَ مائةٍ .

أبو الطُّفيلِ عامرُ بنُ واثلةَ بنِ عبدِ اللَّهِ بنِ عمرٍو اللَّيْثِىُّ الكِنانىُّ[8] ، صحابىٌّ ، وهو آخِرُ مَن رأى النبىَّ ﷺ وفاةً بالإجماعِ ، (9)روَى عن(9) النبىِّ ﷺ ، (10)أنّه رآه(10) يَستلِمُ الرُّكْنَ بمِحْجَنِه[11] ، وذكَر صفةَ النبىِّ ﷺ ، وروَى عن أبى بكرٍ ، وعمرَ ، وعلىٍّ ، ومعاذٍ ، وابنِ مسعودٍ ، وحدَّث عنه الزهرىُّ ، وقتادةُ ، وعمرُو بنُ دينارٍ ، وأبو الزبيرِ ، وجماعةٌ مِن التابِعينَ . وكان مِن أنصارِ

---

(1) طبقات ابن سعد ٧/ ٤٥٠، وطبقات خليفة ٢/ ٧٩٦، وتاريخ دمشق ١٢/ ٢٤٣، وتهذيب الكمال ٥/ ٤٩١، وسير أعلام النبلاء ٥/ ١٩٣، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٨١ - ١٠٠هـ) ص ٥١٧.

(2) تاريخ دمشق ١٢/ ٢٤٦، وسير أعلام النبلاء ٥/ ١٩٣.

(3) المراسيل لابن أبى حاتم ص ٤٩.

(4) أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ١٢/ ٢٤٧، والذهبى فى سير أعلام النبلاء ٥/ ١٩٣. كلاهما من طريق قتيبة به .

(5) فى ب ، م ، ص : «عن» .

(6) فى النسخ : «أبو عبيدة» . والمثبت من مصادر الترجمة .

(7) تاريخ دمشق ١٢/ ٢٤٩، ٢٥٠.

(8) الاستيعاب ٢/ ٧٩٨، وأسد الغابة ٣/ ١٤٥، والإصابة ٧/ ٢٣٠.

(9 - 9) فى ا ٢، ب ، م ، ص : «قال رأيت» .

(10 - 10) سقط من : ا ٢، ب ، م ، ص .

(11) تقدم تخريجه فى ٧/ ٥٤٦، ٥٤٧.

عليٌّ بنِ أبى طالبٍ ، شهِد معه حروبَه كلَّها ، لكنْ نقَم بعضُهم عليه كونَه كان معَ المختارِ بنِ أبى عبيدٍ ، ويقالُ : [١٦٨/٧ظ] إنَّه كان حاملَ رايتِه . وقد رُوِى أنَّه دخَل على معاويةَ ، فقال له[(١)] : ما أبقَى لك الدهرُ مِن ثُكْلِك عليًّا ؟ فقال : ثُكْلَ العجوزِ المِقْلاتِ[(٢)] والشيخِ الرَّقُوبِ . قال : كيف حبُّك له ؟ قال : حبُّ أُمِّ موسى لموسى ، وإلى اللَّهِ أشكو التقصيرَ . قيل : إنه أدرَك مِن حياةِ النبىِّ ﷺ ثمانَ سنينَ ، ومات سنةَ مائةٍ . وقِيل : سنةَ سبعٍ ومائةٍ . [(٣)]وقيل : سنةَ عَشْرٍ ومائةٍ[(٣)] . فاللَّهُ أعلمُ . قال مسلمُ[(٤)] بنُ الحجَّاجِ : وهو آخِرُ مَن مات مِن الصحابةِ مُطلَقًا ، ومات سنةَ مائةٍ .

أبو عثمانَ النَّهْدِىُّ[(٥)] ، واسمُه عبدُ الرحمنِ بنُ مَلٍّ[(٦)] البصرىُّ ، أدرَك الجاهليةَ وحجَّ فى زمنِ الجاهليةِ مرَّتين ، وأسلَم فى حياةِ النبىِّ ﷺ ولم يرَه ، وأدَّى فى زمانِه الزكاةَ ثلاثَ سنينَ إلى عمالِ النبىِّ ﷺ ؛ ومثلُ هذا يسمِّيه أئمةُ الحديثِ مُخَضْرَمًا ، وهاجَر إلى المدينةِ فى زمانِ عمرَ بنِ الخطابِ ، فسمِع مِنه ، ومِن علىٍّ وابنِ مسعودٍ ، وخَلْقٍ مِن الصحابةِ ، وصحِب سَلْمَانَ[(٧)] الفارسىَّ ثِنْتَىْ عَشْرةَ سنةً حتى دفَنَه ، وروَى عنه جماعةٌ مِن التابعين وغيرِهم ، منهم أيوبُ ، وحميدٌ الطويلُ ، وسليمانُ بنُ طرخانَ التَّيْمىُّ . وقال عاصمٌ الأحولُ[(٨)] : سمِعتُه يقولُ : أدرَكتُ فى الجاهليةِ يَغُوثَ ؛ صنمًا مِن رَصاصٍ يحُمَلُ على جَمَلٍ أَجْرَدَ ،

---

(١) تاريخ دمشق ٢٦/ ١١٦، ١١٧، وسير أعلام النبلاء ٣/ ٤٦٩.
(٢) المقلات : هى التى لم يبق لها ولد ، وكذلك الشيخ الرقوب .
(٣ - ٣) سقط من : ا ٢، ب ، م ، ص . وانظر تاريخ دمشق ٢٦/ ١٧٤.
(٤) فى م : « مسلمة » . وانظر تهذيب الكمال ١٤/ ٨١ بنحوه .
(٥) الاستيعاب ٢/ ٨٥٣، وأسد الغابة ٣/ ٤٩٧، والإصابة ٥/ ١٠٨.
(٦) بميم مثلثة ولام ثقيلة . وانظر مصادر الترجمة ، وتهذيب الكمال ١٧/ ٤٢٤.
(٧) فى ص : « سليمان » .
(٨) تاريخ دمشق ١٠/ ٢١٨ (مخطوط) ، وسير أعلام النبلاء ٤/ ١٧٦.

فإذا بلَغ واديًا برَك فيه ، فيقولون : قد رَضِى ربُّكم لكم هذا الوادِىَ ، فينزِلُونَ فيه . قال[1] : وسمِعتُه وقد قِيل له : أدرَكتَ النبىَّ ﷺ ؟ فقال : نعم ، أسلَمتُ على عهدِه ، وأدَّيْتُ إليه الزكاةَ ثلاثَ مراتٍ ، ولم ألقَهُ ، وشهِدتُ اليرموكَ ، والقادِسيَّةَ ، وجلولاءَ ، ونَهاوَنْدَ ، [2]وتُسْتَرَ ، وأذْرَبيجانَ ، ورُسْتَمَ . وقال غيرُه[3] : كان البشيرَ إلى عمرَ فى فتحِ نَهاوَنْدَ . قالوا[4] : و[2] كان أبو عثمانَ [5]صوَّامًا قوَّامًا ؛ يسرُدُ الصومَ ، ويَقومُ الليلَ[5] لا يترُكُه ، وكان يُصَلِّى حتى يُغشَى عليه . وحجَّ ستين مرةً ما بينَ حَجةٍ وعُمرةٍ . قال سليمانُ التَّيْمِىُّ[6] : إنِّى لأَحسَبُه لا يصيبُ ذنبًا ؛ لأنَّه كان ليلَه قائمًا ونهارَه صائمًا . وقال بعضُهم[7] : سمِعتُ أبا عثمانَ النهدىَّ يقولُ : أتَتْ علىَّ ثلاثونَ ومائةُ سنةٍ ، وما مِنِّى شىءٌ إلَّا وقد أنكَرتُه خَلا أملى فإنى أجِدُه كما هو . وقال ثابتٌ البُنانىُّ ، عن أبى عثمانَ ، قال[8] : إنِّى لأَعْلَمُ حينَ يذكُرنى اللَّهُ عزَّ وجلَّ . قال : فنقولُ له : مِن أين تعلَمُ ذلك ؟ فيقولُ : قال اللَّهُ تعالى : ﴿ فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ ﴾ [البقرة : ١٥٢] . فإذا ذكَرتُ اللَّهَ ذكَرنى . قال : وكنَّا إذا دَعَوْنا اللَّهَ قال : واللَّهِ لقد استجابَ اللَّهُ لنا ، قال اللَّه تعالى :

---

(١) تاريخ بغداد ١٠/ ٢٠٣، ٢٠٤، وتاريخ دمشق ١٠/ ٢١٦ (مخطوط) ، وسير أعلام النبلاء ٤/ ١٧٦، ١٧٧.

(٢ - ٢) سقط من : ا ٢، ب ، م ، ص .

(٣) سير أعلام النبلاء ٤/ ١٧٧.

(٤) سير أعلام النبلاء ٤/ ١٧٧ بنحوه .

(٥ - ٥) فى الأصل : « صواما بالنهار يسرده قوامًا بالليل » .

(٦) تاريخ دمشق ١٠/ ٢٢١ (مخطوط) ، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٨١ - ١٠٠هـ) ص ٥٣٦.

(٧) تاريخ بغداد ١٠/ ٢٠٤، وتاريخ دمشق ١٠/ ٢٢٠، ٢٢٣ (مخطوط) ، وتهذيب الكمال ١٧/ ٤٢٧، وسير أعلام النبلاء ٤/ ١٧٧.

(٨) أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ١٠/ ٢٢١، ٢٢٢، (مخطوط) ، والمزى فى تهذيب الكمال ١٧/ ٤٢٨.

﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ [غافر: ٦٠]. قالوا[١]: وعاش مائةً وثلاثين سنةً. [٢]وقيل: وأربعين سنةً[٢]. قاله هشيمٌ وغيرُه. قال المدائنيُّ وغيرُه[٣]: تُوفِّى سنةَ مائةٍ. وقال الفلَّاسُ[٤]: تُوفِّى سنةَ خمسٍ وتسعين. والصحيحُ سنةَ مائةٍ. واللَّهُ أعلمُ.

وفيها تُوفِّى عبدُ الملكِ بنُ عمرَ بنِ عبدِ العزيزِ، وكان يَفْضُلُ على والدِه فى العبادةِ والانقطاعِ عن الناسِ، وله كلماتٌ حِسانٌ مع أبيهِ ووَعْظِه إيَّاه.

---

(١) تاريخ بغداد ١٠/ ٢٠٥، وتاريخ دمشق ١٠/٢٢٤ (مخطوط)، وتهذيب الكمال ١٧/ ٤٢٩.
(٢ - ٢) سقط من: م. وانظر تاريخ بغداد ١٠/ ٢٠٥، وتهذيب الكمال ١٧/ ٤٢٩.
(٣) تاريخ بغداد ١٠/ ٢٠٥، وتاريخ دمشق ١٠/٢٢٤ (مخطوط)، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٨١ - ١٠٠هـ) ص ٥٣٦.
(٤) المصادر السابقة.

[٧/١٦٩و] ثم دخلت سنة إحدى ومائة

فيها كان هرَبُ يزيدَ بنِ المُهلَّبِ مِن السجنِ حينَ بلَغه مرضُ عمرَ بنِ عبدِ العزيزِ، فواعَد غِلمانَه يلقَونَه بالخيلِ[1] في بعضِ الأماكنِ، وقيل[1]: بإبلٍ له. ثم نزَل مِن مَحبسِه، ومعه جماعةٌ وامرأتُه عاتكةُ بنتُ الفراتِ العامريةُ، فلما جاءه غلمانُه ركِب رواحِلَه وسار، وكتَب إلى عمرَ بنِ عبدِ العزيزِ: إنِّى واللَّهِ ما خرَجتُ مِن سجنِك إلا حينَ بلَغنى مرضُك، ولو رجَوتُ حياتَك ما خرَجتُ، ولكنِّى خشِيتُ من يزيدَ بنِ عبدِ الملكِ؛ فإنه يتوعَّدُنى بالقتلِ. وكان يزيدُ بنُ عبدِ الملكِ يقولُ: لئِنْ ولِّيتُ لأقطَعنَّ مِن يزيدَ بنِ المهلَّبِ طائفةً. وذلك أنَّه لما وُلِّى العراقَ[2] عاقَب أصهارَه، آلَ أبى عقيلٍ، وهم بيتُ الحجاجِ بنِ يوسفَ الثقفيِّ، وكان يزيدُ بنُ عبدِ الملكِ مزوَّجًا ببنتِ[3] محمدِ بنِ يوسفَ أخِى الحجاجِ، وله مِنها ابنُه الوليدُ بنُ يزيدَ الفاسقُ المقتولُ، كما سيأتى. ولما بلَغ عمرَ بنَ عبدِ العزيزِ أنَّ يزيدَ بنَ المهلَّبِ هرَب من السجنِ، قال: اللهمَّ إن كان يريدُ بهذه الأمةِ سوءًا فاكْفِهم شرَّه، وارْدُدْ كيدَه فى نحرِه.

ثمَّ لم يزَل المرضُ يتزايدُ بعمرَ بنِ عبدِ العزيزِ حتى مات، وهو بخُناصِرةَ، من دَيرِ سَمعانَ بين حَماةَ، وحَلَبَ، فى يومِ الجمُعةِ. وقيل: فى يومِ الأربعاءِ لخمسٍ بقِينَ[4] مِن رجبٍ مِن هذه السنةِ - أعنى سنةَ إحدى ومائةٍ - عن تسعٍ وثلاثينَ

---

(١) سقط من: الأصل. وانظر تاريخ الطبرى، ٦/ ٥٦٤.

(٢) يعنى: يزيد بن المهلّب.

(٣) فى الأصل: «بأم الحجاج بنت».

(٤) بعده فى الأصل: «وقيل: لعشر بقين».

سنةً وأشهرٍ. وقيل: إنه جاوَز الأربعينَ بأشهرٍ. فاللَّهُ أعلمُ.

وكانت خلافتُه، فيما ذكَر غيرُ واحدٍ[1] سنتين وخمسةَ أشهرٍ وأربعةَ أيامٍ، وكان حَكَمًا مُقسِطًا، وإمامًا عادِلًا (٢ ورِعًا ديِّنًا، لا تأخُذُه فى اللَّهِ لومةُ لائمٍ، رحِمه اللَّهُ تعالى ٢).

وهذه ترجمةُ عمرَ بنِ عبدِ العزيزِ الأُمَوِىِّ[3] الإمامِ المشهورِ، رحِمه اللَّهُ (٤ وأكرَم مثواه ٤)

هو عمرُ بنُ عبدِ العزيزِ بنِ مروانَ بنِ الحكمِ بنِ أبى العاصِ بنِ أُميَّةَ بنِ عبدِ شمسِ بنِ عبدِ منافٍ، أبو حفصٍ القرشىُّ الأُمَوىُّ[5] أميرُ المؤمنين، وأُمُّه أمُّ عاصمٍ ليلى بنتُ عاصمِ بنِ عمرَ بنِ الخطابِ، ويقال له: أشجُّ بنى مروانَ. وكان يُقالُ: الأشجُّ والناقصُ أعدلا بنى مروانَ. فهذا هو الأشجُّ، وسيأتى ذكرُ الناقصِ.

كان عمرُ تابعيًّا جليلًا، روَى عن أنسِ بنِ مالكٍ، والسائبِ بنِ يزيدَ، ويوسفَ بنِ عبدِ اللَّهِ بنِ سلامٍ، ويوسفُ صحابىٌّ صغيرٌ. وروَى عن خلقٍ مِن

---

(٣) تاريخ الطبرى ٦/ ٥٦٥، وتاريخ دمشق ١٣/ ٣٢٥، ٣٢٨، (مخطوط)، وسيرة عمر لابن الجوزى ص ٣٢٧، ٣٢٨. وانظر ترجمة عمر بن عبد العزيز فيما هو آت.

(٢ - ٢) سقط من: الأصل، ب.

(٣) انظر ترجمته فى: طبقات ابن سعد ٥/ ٣٣٠، وطبقات الشيرازى ٦٤، وتاريخ دمشق ٢٥٧/١٣ (مخطوط)، وسيرة ومناقب عمر بن عبد العزيز لابن الجوزى، وتهذيب الأسماء واللغات ١/٢/١٧، وتهذيب الكمال ٢١/ ٤٣٢، وسير أعلام النبلاء ٥/ ١١٤، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ١٠١ - ١٢٠ هـ) ص ١٨٧.

(٤ - ٤) سقط من: م.

(٥) بعده فى م: «المعروف».

التابعينَ . وعنه جماعةٌ مِن التابعين ، وغيرِهم . قال الإمامُ أحمدُ بنُ حنبلٍ[1] : لا أرى[2] قولَ أحدٍ من التابعين حُجَّةً إلا قولَ عمرَ بنِ عبدِ العزيزِ .

بُويِع له بالخلافةِ بعدَ ابنِ عمِّه سليمانَ بنِ عبدِ الملكِ ، عن عهدٍ منه له بذلك ، كما تقدَّم ، ويقالُ : [١٦٩/٧ظ] كان مولدُه فى سنةِ إحدى وستين - وهى السنةُ التى قُتِل فيها الحسينُ بنُ علىٍّ ، رضِى اللَّهُ عنهما - بمصرَ . قاله غيرُ واحدٍ[3] . وقال محمدُ بنُ سعدٍ[4] : وُلِد سنةَ ثلاثٍ وستين . وقيل : سنةَ تسعٍ وخمسينَ . فاللَّهُ أعلمُ .

وكان له جماعةٌ مِن الإخوةِ ، ولكنِ الذين هم مِن أبويه ؛ أبو بكرٍ ، وعاصمٌ ، ومحمدٌ ، وقال أبو بكرِ بنُ أبى خيثمةَ[5] عن يحيى بنِ معينٍ ، عن يحيى بنِ بُكيرٍ ، عن الليثِ ، قال : بلَغنى أنَّ عمرانَ بنَ عبدِ الرحمنِ بنِ شُرَحْبِيلِ بنِ حسَنةَ كان يحدِّثُ أن رجلًا رأَى فى المنامِ ليلةَ وُلِد عمرُ بنُ عبدِ العزيزِ - أو ليلةَ وَلِىَ الخلافةَ ، شكَّ [6]أبو بكرٍ[6] - أنَّ مناديًا بينَ السماءِ والأرضِ ينادِى : أتاكم اللِّينُ ، والدِّينُ ، وإظهارُ العملِ الصالحِ فى المصلِّين . فقلتُ : ومَنْ هو ؟ فنزَل فكتَب فى الأرضِ عمر . وقال آدمُ بنُ [7]أبى إياسٍ[7] : [8]ثنا ضَمرَةُ[8] ، ثنا أبو علىٍّ ثروانُ مولَى

---

(١) انظر سيرة عمر لابن الجوزى ص ٧٣ .

(٢) فى م : « أدرى » .

(٣) انظر تاريخ خليفة ١/ ٢٨٦، وتهذيب الكمال ٢١/ ٤٣٦.

(٤) طبقات ابن سعد ٥/ ٣٣٠.

(٥) أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ٢٦٠/١٣ (مخطوط) ، من طريق أبى بكر بن أبى خيثمة به .

(٦ - ٦) فى مصدر التخريج : « ابن بكير » .

(٧ - ٧) فى م : « إياس » . وأخرجه ابن عساكر فى المصدر السابق، من طريق آدم بن أبى إياس به .

(٨ - ٨) سقط من : م .

عمرَ بنِ عبدِ العزيزِ ، قال : دخَل عمرُ بنُ عبدِ العزيزِ إلى إصطبلِ أبيه [1] وهو غلامٌ [1] فضرَبه فرسٌ ، فشَجَّه ، فجعَل أبوه يمسَحُ عنه الدَّمَ ، ويقولُ : إنْ كنتَ أشجَّ بنى أميَّةَ إنَّك إذًا لسعيدٌ . رواه الحافظُ ابنُ عساكرَ مِن طريقِ هارونَ بنِ معروفٍ ، عن ضَمْرَةَ [2] . وقال نُعَيْمُ بنُ حمادٍ [3] : ثنا ضِمامُ بنُ إسماعيلَ ، عن أبى قَبيلٍ أنَّ عمرَ ابنَ عبدِ العزيزِ بكَى ، وهو غلامٌ صغيرٌ ، فبلغ ذلك [4] أمَّه فأرسَلتْ إليه ، فقالتْ : ما يُبكيكَ ؟ قال : ذكرتُ الموتَ . فبكتْ أُمُّه . وكان قد جمَع القرآنَ وهو غلامٌ [4] صغيرٌ ، وقال الضحاكُ بنُ عثمانَ الحِزاميُّ [5] : كان أبوه قد جعَله عند صالحِ بنِ كيسانَ يؤدِّبُه ، فلمَّا حجَّ أبوه اجتازَ به فى المدينةِ ، فسأَله عنه ، فقال : ما خَبَرتُ أحدًا اللَّهُ أعظمُ فى صدرِه مِن هذا الغلامِ .

ورَوَى يعقوبُ بنُ سفيانَ [6] أن عمرَ بنَ عبدِ العزيزِ تأَخَّر عن الصَّلاةِ مع الجماعةِ يومًا ، فقال صالحُ بنُ كيسانَ : ما شغَلك ؟ فقال : كانت مُرجِّلتى تُسَكِّنُ شَعْرى . فقال له : أقدَّمتَ ذلك على الصلاةِ ؟ وكتَب إلى أبيه ، وهو على مصرَ يُعلِمُه بذلك ، فبعَث أبوه رسولًا فلم يُكلِّمْه حتى حلَق رأسَه . وكان عمرُ بنُ عبدِ العزيزِ يختلِفُ إلى عبيدِ اللَّهِ بنِ عبدِ اللَّهِ يسمَعُ منه ، فبلَغ عبيدَ اللَّهِ أنَّ عمرَ ينتقِصُ

(١ - ١) سقط من : م .

(٢) لم نجد هذا الطريق فى تاريخ دمشق (مخطوط) ، إنما هو فيه من طريق آدم السابق ، وأما من طريق هارون فقد أخرجه الأصفهانى فى الأغانى ٩/ ٢٥٤، وانظر سير أعلام النبلاء ٥/ ١١٦.

(٣) أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ٢٦١/١٣ (مخطوط) ، من طريق نعيم بن حماد به .

(٤) سقط من : ١٢، ب، م، ص .

(٥) فى الأصل : « الحرامى » . وفى م : « الخزامى » . وانظر تهذيب الكمال ١٣/ ٢٧٢. والخبر أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ٢٦١/١٣ (مخطوط)، بسنده عن الضحاك به .

(٦) المعرفة والتاريخ ١/ ٥٦٨، ٥٦٩.

عليًّا ، فلمَّا أتاه عمرُ أعرَض عبيدُ اللَّهِ عنه ، وقام يصلِّى ، فجلَس عمرُ ينتظِرُه ، فلمّا سلَّم أقبَل على عمرَ مُغضَبًا ، وقال له : متى بلَغَك أنَّ اللَّهَ سخِط على أهلِ بدرٍ بعدَ أنْ رضِىَ عنهم ؟ قال : ففهِمها عمرُ ، وقال : معذرةً إلى اللَّهِ ثم إليك ، واللَّهِ لا أعودُ . قال : فما سُمِع بعدَ ذلك يذكُرُ عليًّا إلَّا بخيرٍ .

وقال أبو بكرِ بنُ أبى خيثمةَ[1] : ثنا [٧/١٧٠و] أبى ، ثنا المَفَضَّلُ بنُ عبدِ اللَّهِ ، عن داودَ بنِ أبى هندٍ ، قال : دخَل علينا عمرُ بنُ عبدِ العزيزِ مِن هذا البابِ - [2]يعنى بابًا[2] من أبواب مسجدِ النبىِّ ﷺ - فقال رجلٌ مِن القومِ : بعَث إلينا الفاسقُ بابنِه هذا يتعلَّمُ الفرائضَ والسُّنَنَ ، ويزعُمُ أنَّه لن يموتَ حتى يكونَ خليفةً ، ويسيرَ بسيرةِ عمرَ بنِ الخطَّابِ . قال داودُ : فواللَّهِ ما مات حتى رأَينا ذلك فيه .

وقال الزبيرُ بنُ بكارٍ[3] : حدَّثنى العتبىُّ ، قال : إنَّ أوَّلَ ما استُبينَ مِن[4] عمرَ ابنِ عبدِ العزيزِ حرصُه على العلمِ ، ورغبتُه فى الأدبِ . قال : إنَّ أباه وَلِىَ مصرَ وهو حديثُ السنِّ يُشَكُّ فى بلوغِه ، فأراد إخراجَه معه ، فقال : يا أبه ، أوَ غيرُ ذلك لعلَّه يكونُ أنفَعَ لى ولك[5] ؟ تُرحِّلُنى إلى المدينةِ فأقعُدَ إلى [6]فقهاءِ أهلِها[6] ، وأتأدَّبَ بآدابِهم . فوجَّهه إلى المدينةِ[7] ، فقعَد مع مشايخِ قريشٍ ، وتجنَّبَ شبابَهم ، وما زال ذلك دأبَه حتى اشتُهِر ذكرُه ، فلمَّا مات أبوه أخَذه عمُّه

---

(١) أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ١٣/٢٦١ - ٢٦٢ (مخطوط) ، من طريق أبى بكر بن أبى خيثمة به .

(٢ - ٢) فى ا ٢، ب ، م ، ص : « وأشار إلى باب » .

(٣) الأخبار الموفقيات ص ٢٠٨.

(٤) بعده فى ا ٢، م : « رشد » .

(٥) بعده فى ا ٢، ب ، م ، ص : « قال : وما هو؟ قال : » .

(٦ - ٦) فى ا ٢، ب ، م ، ص : « فقهائها » .

(٧) بعده فى ا ٢، ب ، م ، ص : « وأرسل معه الخدام » .

أميرُ المؤمنين عبدُ الملكِ بنُ مروانَ فخلَطه بولدِه ، وقدَّمه على كثيرٍ منهم ، وزوَّجه بابنتِه فاطمةَ ، وهى التى يقولُ فيها الشاعرُ :

بنتُ الخليفةِ والخليفةُ جَدُّها   أختُ الخلائِفِ والخليفةُ زوجُها

قال : ولا نعرِفُ امرأةً بهذه الصِّفةِ إلى يومِنا هذا سواها .

قال العتبىُّ[1] : ولم يكنْ حاسدُ عمرَ بنِ عبدِ العزيزِ ينقِمُ عليه شيئًا سوى متابعتِه فى النعمةِ ، والاختيالِ فى المِشيَةِ . وقد قال الأحنفُ بنُ قيسٍ[1] : الكاملُ مَن عُدَّتْ هفَواتُه ، ولا تُعَدُّ إلَّا مِن قِلَّةٍ[2] .

ودخَل يومًا على عمِّه عبدِ الملكِ ، وهو يتجانَفُ فى مِشيَتِه ، فقال له : يا عمرُ ما لك تمشِى غيرَ مِشيتِك ؟ قال : إنَّ فِيَّ جُرحًا ، فقال : وأين هو مِن جسدِك ؟ قال : بين الرَّانِفةِ[3] والصَّفَنِ - يعنى بين طرفِ الأَلْيَةِ وجلدةِ الخُصيةِ - فقال عبدُ الملكِ لرَوحِ بنِ زِنباعٍ : باللَّهِ لو رجلٌ مِن قومِك سُئِل عن هذا ما أجاب هذا الجوابَ .

قالوا[4] : ولمَّا مات عمُّه عبدُ الملكِ حزِنَ عليه ، ولبِس المُسُوحَ تحت ثيابِه سبعين يومًا . ولمَّا ولِى الوليدُ عامَله بما كان أبوه يعامِلُه به ، وولَّاه المدينةَ ، ومكةَ ، والطائفَ من سنةِ ستٍّ وثمانين إلى سنةِ ثلاثٍ وتسعين ، وأقامَ للناسِ الحجَّ سنةَ تسعٍ وثمانين ، وسنةَ تسعين ، وحجَّ بالناسِ الوليدُ سنةَ إحدى وتسعين ، ثم حجَّ بالناسِ عمرُ سنةَ ثِنتين وثلاثٍ وتسعين .

---

(١) تاريخ دمشق ٢٦٢/١٣ (مخطوط) . وانظر مختصر تاريخ دمشق ١٩/ ١٠١.

(٢) بعده فى ا ٢، ب ، م ، ص : « وقد ورث عمر من أبيه من الأموال والمتاع والدواب هو وإخوته ما لم يرثه غيره فيما نعلم كما تقدم ذلك » .

(٣) فى الأصل ، ا ٢، ص ، وتاريخ دمشق (مخطوط) : « الراتقة » ، وفى م : « الرانقة » . والرانفة : ما سال من الألية على الفخذين . تاج العروس (ر ن ف) .

(٤) تاريخ دمشق ٢٦٢/١٣، ٢٦٣ (مخطوط).

وبنَى فى مدَّةِ ولايتِه هذه مسجدَ النبىِّ ﷺ [١٧٠/٧ظ] ، ووسَّعه عن أمرِ الوليدِ له بذلك ، فدخَل فيه (١ قبرُ النبىِّ ﷺ ١) ، وقد كان فى هذه المدَّةِ مِن أحسنِ الناسِ معاشرةً ، وأعدلِهم سيرةً ؛ كان إذا وقَع له أمرٌ مُشكِلٌ جمَع فقهاءَ المدينةِ عليه ، وقد عيَّن عشرةً منهم ، وكان لا يقطَعُ أمرًا بدونِهم أو مَن حضَر منهم ، وهم : عروةُ ، وعبيدُ اللَّهِ بنُ عبدِ اللَّهِ بنِ عتبةَ ، وأبو بكرِ بنُ عبدِ الرحمنِ بنِ الحارثِ بنِ هشامٍ ، وأبو بكرِ بنُ سليمانَ بنِ (٢ أبى حَثْمةَ ٢) ، وسليمانُ بنُ يسارٍ ، والقاسمُ بنُ محمدٍ (٣) ، وسالمُ بنُ عبدِ اللَّهِ ، وعبدُ اللَّهِ بنُ عامرِ بنِ ربيعةَ ، وخارجةُ بنُ زيدِ بنِ ثابتٍ .

وكان لا يخرُجُ عن قولِ سعيدِ بنِ المسَيَّبِ ، وقد كان سعيدُ بنُ المسيَّبِ لا يأتى أحدًا مِن الخلفاءِ ، وكان يأتى إلى عمرَ بنِ عبدِ العزيزِ ، وهو بالمدينةِ . (٤ قال ابنُ وهبٍ ، عن عبدِ الجبارِ الأيلىِّ ، عن ٤) إبراهيمَ بنِ أبى (٥) عبلةَ : قدِمتُ المدينةَ وبها ابنُ المسيَّبِ ، وغيرُه ، وقد ندَبهم عمرُ (٦ يومَئذٍ رأيًا ٦) .

وقال ابنُ وهبٍ (٧) : حدَّثنى الليثُ ، حدَّثنى قادمٌ البربرىُّ أنه ذاكَر ربيعةَ بنَ أبى عبدِ الرحمنِ شيئًا مِن قضايا عمرَ بنِ عبدِ العزيزِ إذ كان بالمدينةِ ، فقال له ربيعةُ (٨) : كأنَّك تقولُ : أخطأ . والذى نفسِى بيدِه ما أخطأ قطُّ . وثبَت من غيرِ وجهٍ عن أنسٍ

(١ - ١) فى الأصل : « الحجرة النبوية » .
(٢ - ٢) فى الأصل ، ا ٢ ، ص : « أبى حزم » ، وفى م : « خيثمة » . وانظر تهذيب الكمال ٩٣/٣٣ .
(٣) بعده فى م : « بن حزم » .
(٤ - ٤) فى ا ٢ ، م ، ص : « قال » .
(٥) سقط من : م . وانظر سير أعلام النبلاء ٣٢٣/٦ .
(٦ - ٦) فى ا ٢ ، م ، ص : « يوما إلى رأى » .
(٧) أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ٢٦٤/١٣ (مخطوط) ، من طريق ابن وهب به .
(٨) فى م : « الربيع » .

ابنِ مالكٍ[1] ، قال : ما صلَّيتُ وراءَ إمامٍ أشبهَ صلاةً برسولِ اللَّهِ ﷺ مِن هذا الفتى - يعنى عمرَ بنَ عبدِ العزيزِ حين كان على المدينةِ .

قالوا : وكان يتِمُّ الركوعَ والسجودَ ، ويخفِّفُ القيامَ والقعودَ ، [2] وفى روايةٍ صحيحةٍ[3] : أنَّه كان يُسبِّحُ فى الركوعِ والسجودِ عشْرًا عشْرًا[2] . وقال ابنُ وهبٍ[4] : حدَّثنى الليثُ ، عن أبى النضرِ المدنىِّ ، قال : لقِيتُ[5] سليمانَ بنَ يسارٍ خارجًا مِن عندِ عمرَ بنِ عبدِ العزيزِ ، فقلتُ له : مِن عندِ عمرَ خرجتَ ؟ قال : نعم. قلتُ : تُعلِّمونه ؟ قال : نعم ، فقلتُ : هو واللَّهِ أعلمُكم . وقال مجاهدٌ[6] : أتَيناه نعلِّمُه فما برِحنا حتى تعلَّمنا منه . وقال ميمونُ بنُ مِهرانَ[7] : كانت العلماءُ عندَ عمرَ بنِ عبدِ العزيزِ تلامذةً . وفى روايةٍ[7] ؛ قال ميمونٌ : كان عمرُ بنُ عبدِ العزيزِ معلِّمَ العلماءِ . وقال الليثُ[8] : حدَّثنى رجلٌ كان قد صحِب ابنَ عمرَ وابنَ عباسٍ ، وكان عمرُ بنُ عبدِ العزيزِ يستعمِلُه على الجزيرةِ ، قال : ما التمَسنا عِلمَ شىءٍ إلا وجَدنا عمرَ بنَ عبدِ العزيزِ أعلمَ الناسِ بأصلِه وفرعِه ، وما كان العلماءُ عندَ عمرَ بنِ عبدِ العزيزِ إلا تلامذةً .

وقال عبدُ اللَّهِ بنُ طاوسٍ[9] : رأيتُ أبى تواقَف هو وعمرُ بنُ عبدِ العزيزِ مِن

---

(١) أخرجه النسائى (٩٨٠) . والإمام أحمد فى المسند ٣/ ١٤٤، ٢٢١، ٢٢٥، ٢٥٤، ٢٥٩، وابن عساكر فى تاريخ دمشق ٢٦٥/١٣ (مخطوط) . صحيح (صحيح سنن النسائى ٩٣٨) .

(٢ - ٢) زيادة من : ١، ب ، م ، ص .

(٣) أخرجه أبو داود (٨٨٨) ، والنسائى (١١٣٤) ، والإمام أحمد فى المسند ٣/ ١٦٢ . ضعيف (ضعيف سنن أبى داود ١٨٩) .

(٤) أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ٢٦٧/١٣ (مخطوط) ، من طريق ابن وهب به .

(٥) فى م : « رأيت » .

(٦) أخرجه ابن عساكر فى المصدر السابق ، من طريق مجاهد به .

(٧) أخرجهما ابن عساكر فى المصدر السابق ، من طريق ميمون به ، وانظر سيرة عمر لابن الجوزى ص ٣٥ .

(٨) أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ٢٦٧/١٣ (مخطوط) ، من طريق الليث به .

(٩) أخرجه ابن عساكر فى المصدر السابق ٢٦٨/١٣ (مخطوط) ، من طريق عبد اللَّه بن طاوس به .

بعدِ صلاةِ العشاءِ حتى أصبَحنا ، فلمَّا افترَقا ، قلتُ : يا أبه ، مَن هذا الرجلُ ؟ قال : هذا عمرُ بنُ عبدِ العزيزِ ، وهو مِن صالحِى هذا البيتِ ، يعنى بنى أُميَّةَ . وقال عبدُ اللَّهِ بنُ [٧/١٧١و] كثيرٍ[١] : قلتُ لعمرَ بنِ عبدِ العزيزِ : ما كان بدْءُ إنابتِكَ ؟ قال : أرَدتُ ضرْبَ غلامٍ لى ، فقال لى : اذكُرْ ليلةً صبيحتُها يومُ القيامةِ .

وقال الإمامُ مالكٌ[٢] : لمَّا عزِل عمرُ بنُ عبدِ العزيزِ عن المدينةِ - يعنى فى سنةِ ثلاثٍ وتسعين - وخرَج منها التفَت إليها وبكَى ، وقال لمولَاه : يا مزاحمُ ، نخشَى أن نكونَ مِمَّن نفَتِ المدينةُ . [٣]يعنى أنَّ المدينةَ تنفِى خبثَها كما ينفِى الكِيرُ خبثَ الحديدِ ، وتنصَعُ[٤] طيبَها[٣] .

قلتُ : خرَج مِن المدينةِ ، فنزَل بمكانٍ قريبٍ منها يقالُ له : السويداءُ[٥] . حينًا ، ثم قدِم دمشقَ على بنى عمِّه .

قال محمدُ بنُ إسحاقَ[٦] ، عن إسماعيلَ بنِ أبى حكيمٍ ، قال : سمِعتُ عمرَ ابنَ عبدِ العزيزِ ، يقولُ : خرَجتُ مِن المدينةِ وما مِن رجلٍ أعلمَ مِنِّى ، فلمَّا قدِمتُ الشامَ نسِيتُ .

وقال الإمامُ أحمدُ[٧] : حدَّثنا عفَّانُ ، ثنا حمادُ بنُ زيدٍ ، عن معمرٍ ، عن الزهريِّ ، قال : سهِرتُ مع عمرَ بنِ عبدِ العزيزِ ذاتَ ليلةٍ فحدَّثتُه ، فقال : كلُّ ما

---

(١) أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ٢٦٨/١٣ (مخطوط) ، من طريق عبد اللَّه بن كثير به ، وفيه : (قيل) . بدل : (قلت) .

(٢) أخرجه ابن عساكر فى المصدر السابق ، بسنده عن مالك بنحوه .

(٣ - ٣) زيادة من : ١ ، ٢ ، ب ، م ، ص .

(٤) تنصع : من النصوع وهو الصفاء والجلاء والوضوح . انظر تاج العروس (ن ص ع) .

(٥) السويداء : تصغير سوداء ، موضع على ليلتين من المدينة على طريق الشام . معجم البلدان ١٩٧/٣ .

(٦) أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ٢٦٨/١٣ ، ٢٦٩ (مخطوط) ، من طريق محمد بن إسحاق به .

(٧) أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ٢٦٩/١٣ (مخطوط) ، من طريق الإمام أحمد به .

حدَّثتَ فقد سمِعتُه ، ولكن حفِظتَ ونسِيتُ .

وقال ابنُ وهبٍ[1] ، عن الليثِ ، عن عقيلٍ ، عن الزهرىِّ ، قال : قال عمرُ بنُ عبدِ العزيزِ : بعَث إلىَّ الوليدُ ذاتَ ساعةٍ مِن الظهيرةِ ، فدخَلتُ عليه فإذا هو عابسٌ ، فأشار إلىَّ أن اجلِسْ ، فجلَستُ (٢ بينَ يدَيه ٢) ، فقال : ما تقولُ فيمَن يسُبُّ الخلفاءَ ، أيُقْتَلُ ؟ فسكَتُّ ، ثم عاد ، فسكَتُّ ، ثم عاد ، فقلتُ : أَقَتَل يا أميرَ المؤمنين ؟ قال : لا ، ولكن سَبَّ . فقلتُ : ينكِّلُ به ، فغضِب وانصرَف إلى أهلِه ، وقال لى ابنُ الريانِ السيافُ : اذهَبْ . قال : فخرَجتُ مِن عندِه ، وما تهُبُّ ريحٌ إلَّا وأنا أظُنُّ أنَّه رسولٌ يردُّنى إليه .

وقال عثمانُ بنُ زُفَرَ[3] : أقبَل سليمانُ بنُ عبدِ الملكِ ، وهو أميرُ المؤمنين ، ومعه عمرُ بنُ عبدِ العزيزِ على معسكَرِ سليمانَ ، وفيه تلك الخيولُ والجمالُ والبغالُ والأثقالُ والرجالُ ، فقال سليمانُ : ما تقولُ يا عمرُ فى هذا ؟ فقال : أرَى دنيا يأكُلُ بعضُها بعضًا ، وأنت المسئولُ عن ذلك كلِّه . فلمَّا اقترَبوا مِن المعسكرِ ، إذا غرابٌ قد أخَذ لقمةً فى فِيه مِن فسطاطِ سليمانَ وهو طائرٌ بها ، ونعَب[4] نَعبةً ، فقال له سليمانُ : (٥ ما تقولُ فى هذا يا عمرُ ٥) ؟ فقال : لا أدرِى . فقال : ما ظنُّك أنَّه يقولُ ؟ قال[6] : كأنَّه يقولُ : مِن أين جاءتْ ؟ وأين يُذهَبُ بها ؟ فقال له

---

(١) أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ٢٦٩/١٣ (مخطوط)، من طريق ابن وهب به.

(٢ - ٢) سقط من : م.

(٣) فى النسخ : «زير». والمثبت من المصدر السابق، والأثر أخرجه ابن عساكر من طريق عثمان بن زفر به بنحوه. وانظر تهذيب الكمال ١٩/ ٣٧٣.

(٤) نعب الغراب : صوت أو مد عنقه وحرك رأسه فى صياحه. القاموس المحيط (ن ع ب).

(٥ - ٥) فى م : «ما هذا يا عمر».

(٦) فى م : «قلت».

سليمانُ : ما أعجَبَك ؟ فقال عمرُ : أعجَبُ (١ منّى مَن ١) عرَف اللَّهَ فعصاه ، ومَن عرَف الشيطانَ فأطاعه (٢) .

وتقدَّم (٣) أنَّه لما وقَف سليمانُ وعمرُ بعرفةَ ، وجعَل سليمانُ يعجَبُ مِن كثرةِ الناسِ ، فقال له عمرُ : هؤلاء رعيَّتُك اليومَ ، وأنت مسئولٌ عنهم غدًا . وفى روايةٍ : وهم خصماؤُك يومَ القيامةِ . فبكَى سليمانُ ، وقال : باللَّهِ أستعينُ . وتقدَّم (٣) أنَّهم لمَّا أصابهم (٤ فى بعضِ الأسفارِ رعدٌ [١٧١/٧ظ] شديدٌ وبرقٌ وظلمةٌ شديدةٌ ، فجعَل عمرُ يضحَكُ مِن ذلك ٤) ، فقال له سليمانُ : أتضحَكُ (٥ ونحن فيما ترَى ٥) ؟ فقال : نعم ، هذه آثارُ رحمتِه ، ونحن فى هذه الحالِ ، فكيف بآثارِ غضبِه وعقابِه (٦) ؟

وذكَر الإمامُ مالكٌ (٧) أن سليمانَ وعمرَ تقاولا مرةً ، فقال له سليمانُ فى جملةِ الكلامِ : كذَبتَ . فقال : تقولُ لى : كذَبتَ ؟ واللَّهِ ما كذَبتُ منذُ عرَفتُ أن الكذِبَ يضُرُّ أهلَه ، ثم هجَره عمرُ وعزَم على الرحيلِ إلى مصرَ ، فلم يمكِّنْه سليمانُ ، ثم بعَث إليه فصالحَه ، وقال له : ما عرَض لى أمرٌ يهُمُّنى إلا خطَرتَ على بالى .

وقد ذكَرنا أنَّه لما حضَرت سليمانَ بنَ عبدِ الملكِ الوفاةُ ، أوصَى بالأمرِ مِن بعدِه إلى عمرَ بنِ عبدِ العزيزِ ، فانتظَم الأمرُ على ذلك ، وللَّهِ الحمدُ .

(١ - ١) فى م : « ممن » .
(٢) بعده فى ا ٢، ب ، م ، ص : « ومن عرف الدنيا فركن إليها » .
(٣) تقدم فى ١٧٩/٩.
(٤ - ٤) فى ا ٢، ب ، م ، ص: « ذلك المطر والرعد فزع سليمان وضحك عمر » .
(٥ - ٥) سقط من : ا ٢، ب ، م ، ص .
(٦) بعده فى ا ٢، ب ، م ، ص: « ونحن فى تلك الحال » .
(٧) أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ٢٧٠/١٣ (مخطوط) ، من طريق مالك به بنحوه مطولًا .

فصلٌ[1]

قال أبو داودَ الطيالسيُّ[2] : حدَّثنا عبدُ العزيزِ بنُ عبدِ اللَّهِ بنِ أبى سلَمةَ الماجشونُ ، ثنا عبدُ اللَّهِ بنُ دينارٍ ، قال : قال ابنُ عمرَ : ياعجَبًا ! يزعُمُ الناسُ أنَّ الدنيا لا تنقضِى حتى يلِىَ رجلٌ مِن آلِ عمرَ يعمَلُ بمثلِ عملِ عمرَ . قال : فكانوا يرونه بلالَ بنَ عبدِ اللَّهِ بنِ عمرَ . قال : وكان بوجهِه أثرٌ ، فلم يكُنْ هو ، وإذا هو عمرُ بنُ عبدِ العزيز ، وأمُّه ابنةُ عاصمِ[3] بنِ عمرَ بنِ الخطابِ .

وقال البيهقىُّ[4] : أنبأ الحاكمُ ، أنا أبو حامدٍ أحمدُ[5] بنُ علىٍّ المقرى ، ثنا أبو عيسى الترمذىُّ ، ثنا أحمدُ بنُ إبراهيمَ ، ثنا عفَّانُ بنُ مسلمٍ ، ثنا عثمانُ بنُ عبدِ الحميدِ بنِ لاحقٍ ، عن جويريةَ بنِ أسماءَ ، عن نافعٍ ، قال : بلَغنا أن عمرَ بنَ الخطابِ ، قال : إن مِن ولدِى رجلًا بوجهِه شَيْنٌ[6] يَلِى ، فيملأُ الأرضَ عدلًا .

قال نافعٌ مِن قِبَلِه : ولا أحسَبُه إلَّا عمرَ بنَ عبدِ العزيزِ .

ورَواه مباركُ بنُ فَضالةَ[7] ، عن عبيدِ اللَّهِ ، عن نافعٍ ، قال : كان ابنُ عمرَ يقولُ : ليت شِعرى ، مَن هذا الذى مِن ولدِ عمرَ فى وجهِه علامةٌ يملأُ الأرضَ عدلًا ؟ وقال وُهيبُ بنُ الوردِ : بينَما أنا نائمٌ ، رأيتُ كأنَّ رجلًا دخَل مِن بابِ بنى

---

(١) بعده فى ا ٢، ب ، م ، ص : « وقد كان منتظرا فيما يؤثر من الأخبار » .

(٢) أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ٢٧٠/١٣ (مخطوط) ، من طريق أبى داود الطيالسى به .

(٣) بعده فى ا٢، ب ، م ، ص : « بن عبد الله » .

(٤) أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ٢٧٠/١٣ (مخطوط) ، من طريق البيهقى به .

(٥) سقط من : ا ٢، ب ، م ، ص .

(٦) فى ا ٢، ص : « شجين » . وفى م : « شجان » .

(٧) أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ٢٧١/١٣ (مخطوط) ، من طريق مبارك بن فضالة به .

شيبةَ ، وهو يقولُ : يا أيُّها الناسُ ، ولِّى عليكم كتابُ اللَّهِ . فقلتُ : مَن ؟ فأشار إلى ظَهْرِه[1] ، فإذا مكتوبٌ عليه : ع م ر . قال : فجاءتْ بيعةُ عمرَ بنِ عبدِ العزيزِ . وقال بقيَّةُ[2] ، عن عيسى بنِ أبى رَزينٍ ، حدَّثنى الخزاعىُّ ، عن عمرَ بنِ عبدِ العزيزِ أنَّه رأَى رسولَ اللَّهِ ﷺ فى روضةٍ خضراءَ ، فقال له : « إنَّك ستلِى أمرَ أُمَّتى فزَعْ عن الدَّمِ[3] ، فإنَّ اسمَك فى الناسِ عمرُ بنُ عبدِ العزيزِ ، واسمُك عندَ اللَّهِ جابرٌ » .

وقال أبو بكرِ بنُ المقرِى[4] : ثنا أبو عَروبةَ الحسينُ بنُ محمدِ بنِ مودودٍ الحرَّانىُّ ، ثنا أيوبُ بنُ محمدٍ الوزَّانُ [١٧٢/٧و] ، ثنا ضَمْرةُ بنُ رَبيعةَ ، ثنا السَّرِىُّ بنُ يحيى ، عن رياحِ بنِ عبيدةَ ، قال : خرَج عمرُ بنُ عبدِ العزيزِ إلى الصلاةِ ، وشيخٌ متوكِّئٌ على يدِه ، فقلتُ فى نفسى : إنَّ هذا الشيخَ جافٍ ، فلمَّا صلَّى ودخَل لحِقتُه ، فقلتُ : أصلَح اللَّهُ الأميرَ ، مَن الشيخُ الذى (٥كان متكئًا على٥) يدِك ؟ فقال : يا رياحُ رأيتَه ؟ قلتُ : نعم . قال : ما أحسَبُك يا رياحُ إلا رجلًا صالحًا ، ذاك أخى الخَضِرُ ، أتانى فأعلَمنى أنِّى سألِى أمرَ هذه الأمَّةِ ، وأنِّى سأعدِلُ فيها .

وقال يعقوبُ بنُ سفيانَ[6] : حدَّثنا أبو عميرٍ ، ثنا ضمرةُ ، عن علىِّ بنِ (٧أبى حَمَلَةَ٧) ، عن أبى الأعْيَسِ[8] ، قال : كنتُ جالسًا مع خالدِ بنِ يزيدَ بنِ معاويةَ ،

---

(١) فى ا ٢، ب ، م ، ص : « ظفره » .
(٢) أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ٢٧١/١٣ (مخطوط) ، من طريق بقية به .
(٣) بعده فى الأصل ، ب ، م ، ص : « فزع عن الدم » . و زع عن الدم : كُفَّ عنه .
(٤) أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ٢٧٠/١٣ (مخطوط) ، من طريق أبى بكر بن المقرى به . وانظر سيرة عمر لابن الجوزى ص ٥٤، ٥٥.
(٥ - ٥) فى ا ٢، ب ، م ، ص : « اتكأته » .
(٦) المعرفة والتاريخ ٥٧٨/١، وأخرجه ابن عساكر ، فى تاريخ دمشق ٢٧١/١٣ (مخطوط) ، من طريق يعقوب بن سفيان به . وانظر سيرة عمر لابن الجوزى ص ٧٥.
(٧ - ٧) فى م : « خولة » ، وهو خطأ . وانظر تهذيب الكمال ٣١٧/١٣.
(٨) فى م : « عنبس » ، وفى مصدر التخريج : « الأخنس » . وانظر تهذيب الكمال ١٧/ ١٥٠.

فجاء شابٌّ عليه مُقَطَّعاتٌ[1] ، فأخَذ بيدِ خالدٍ ، فقال : هل علينا مِن عينٍ ؟ فقال أبو الأعْيَسِ : فقلتُ : عليكُما مِن اللَّهِ عينٌ : بصيرةٌ وأذنٌ سميعة ، قال : فترَقْرَقتْ عينا الفتى . فأرسَل يدَه مِن يدِ خالدٍ وولَّى ، فقلتُ : مَن هذا ؟ قال : هذا عمرُ بنُ عبدِ العزيزِ ، ابنُ أخى أميرِ المؤمنين ، ولَئن طالتْ بك حياةٌ لترَيَنَّه إمامَ هدًى . قلتُ : قد كان عندَ خالدِ بنِ يزيدَ بنِ معاويةَ شيءٌ جيِّدٌ مِن أخبارِ الأوائلِ وأقوالِهم[2] .

وقد ذكَرنا فى ترجمةِ سليمانَ بنِ عبدِ الملكِ[3] أنَّه لمَّا حضَرتْه الوفاةُ [4]عزَم أن يكتبَ العهدَ باسمِ أحدِ أولادِه ، فمازال به وزيرُه الصَّادقُ رجاءُ بنُ حيوةَ حتى صرَفه عن ذلك ، وأشار عليه أن يجعَلَ الأمرَ مِن بعدِه لأصلحِ النَّاسِ لهم ، فألهم اللَّهُ الخليفةَ رشدَه ، فعيَّن لها ابنَ عمِّه عمرَ بنَ عبدِ العزيزِ فجوَّد رأيَه رجاءُ بنُ حيوةَ وصوَّبَه[4] ، فكتَب سليمانُ العهدَ فى صحيفةٍ ، وختَمها ، ولم يشعُرْ بذلك عمرُ ، ولا أحدٌ مِن بنى مَروانَ سوى سليمانَ ورجاءٍ ، ثم أمَر صاحبَ الشرطةِ بإحضارِ الأمراءِ ، ورءوسِ الناسِ مِن بنى مروانَ وغيرِهم ، فبايَعوا سليمانَ على ما فى الصحيفةِ المختومةِ ، ثم انصرَفوا ، ثم لمَّا مات الخليفةُ استدعاهم رجاءُ بنُ حيوةَ ، فبايَعوا ثانيةً ، قبلَ أن يعلَموا موتَ الخليفةِ ، ثم فتَحها فقرَأها عليهم ، فإذا فيها البيعةُ لعمرَ بنِ عبدِ العزيزِ ، فأخَذوه فأجلَسوه على المنبرِ وبايَعوه ، فانعقَدتْ له البيعةُ .

وقد اختلَف العلماءُ فى مثلِ هذا الصَّنيعِ فى الرَّجلِ يوصِى الوصيةَ فى كتابٍ ويُشهِدُ على ما فيه مِن غيرِ أن يُقرأَ على الشُّهودِ ، ثم يشهَدون على مافيه فينفُذُ ،

---

(١) مقطعات : أى ثياب قصار ، لأنها قطعت عن بلوغ التمام . تاج العروس (ق ط ع) .

(٢) بعده فى ا ٢، ب ، م ، ص : « وكان ينظر فى النجوم والطب » .

(٣) تقدم فى ٦٥٠/١٢ .

(٤ - ٤) فى ا ٢، ب ، م ، ص : « أراد أن يعهد إلى بعض أولاده فصرفه وزيره الصالح رجاء بن حيوة عن ذلك ، ومازال به حتى عهد إلى عمر بن عبد العزيز من بعده وصوب ذلك رجاء » .

فسوَّغ ذلك جماعاتٌ مِن أهلِ العلمِ ؛ قال القاضى أبو الفرجِ المعافَى بنُ زكريا الجريرىُّ[1] : أجاز ذلك وأمضاه وأنفَذ الحُكمَ به جمهورُ أهلِ الحجازِ .

ورُوِى ذلك عن سالمِ بنِ عبدِ اللَّهِ ، وهو مذهبُ مالكٍ ، ومحمدِ بنِ مسلمةَ المخزومىِّ ، ومكحولٍ ، ونُميرِ بنِ [١٧٢/٧ظ] أوسٍ ، وزرعةَ بنِ إبراهيمَ ، والأوزاعىِّ ، وسعيدِ بنِ عبدِ العزيزِ ، ومَن وافَقهم مِن فقهاءِ الشَّامِ .

وحكَى نحوَ ذلك خالدُ بنُ يزيدَ بنِ أبى مالكٍ ، عن أبيه وقضاةِ جندِه ، وهو قولُ الليثِ بنِ سعدٍ فى مَن وافَقه مِن فقهاءِ أهلِ مصرَ والمغربِ ، وهو قولُ فقهاءِ أهلِ البصرةِ وقضاتِهم .

ورُوِى عن قتادةَ ، وعن سوَّارِ بنِ عبدِ اللَّهِ ، وعبيدِ اللَّهِ بنِ الحسينِ[2] ، ومُعاذِ ابنِ مُعاذٍ العنبرىِّ فى مَن سلَك سبيلَهم ، وأخَذ بهذا عددٌ كثيرٌ مِن أصحابِ الحديثِ ، منهم ؛ أبو عبيدٍ ، وإسحاقُ بنُ راهويه .

قلتُ : وقد اعتَنَى به البخارىُّ فى « صحيحِه » .

قال المعافَى[3] : وأبَى ذلك جماعةٌ مِن فقهاءِ العراقِ ، منهم ؛ إبراهيمُ ، وحمَّادٌ ، والحسنُ ، وهو مذهبُ الشَّافعىِّ ، وأبى ثورٍ . قال : وهو قولُ شيخِنا أبى جعفرٍ ، وكان بعضُ أصحابِ الشافعىِّ بالعراقِ يذهَبُ إلى القولِ الأوَّلِ . قال الجريرىُّ : وإلى القولِ الأولِ نذهَبُ .

---

(١) تاريخ دمشق ٢٧٤/١٣ (مخطوط) .

(٢) فى ب ، م ، ص : « الحسن » . والمثبت موافق لما فى تاريخ دمشق .

(٣) المصدر السابق . وانظر تفصيل هذه المسألة فى كتاب الشرح الكبير مع المقنع والإنصاف ١٧/ ٢٠٥، ٢٠٦، بتحقيقنا .

وتقدَّم[1] أن عمرَ بنَ عبدِ العزيزِ لمَّا رجَع مِن جنازةِ سليمانَ أُتِىَ بمراكبِ الخلافةِ ليركَبَها ، فامتَنع مِن ذلك ، وأنشَأ يقولُ :

فلولا التُّقَى ثم النُّهَى خشيةَ الرَّدَى لعاصيتُ فى حُبِّ الصِّبا كلَّ زاجرِ
قضَى ما قضَى فيما مضَى ثم لا تُرَى له صبوةٌ أخرَى الليالى الغوابرِ

ثم قال : ما شاء اللَّهُ لا قوةَ إلا باللَّهِ ، قدِّموا إلىَّ بغلتِى . ثم أمَر ببيعِ تلك المراكبِ الخليفيةِ[2] فى مَن يريدُ ، وكانت مِن الخيولِ الجيادِ المثمَّنةِ ، فباعَها ، وجعَل أثمانَها فى بيتِ المالِ .

قالوا[3] : فلما رجَع مِنَ الجنازةِ ، وقد بايَعه الناسُ ، واستقرَّتْ الخلافةُ باسمِه ، انقلَب وهو مغتَمٌّ مهمومٌ ، فقال له مولاه : ما لك هكذا مغتمًّا مهمومًا ، وليس هذا بوقتِ هذا ؟ فقال : ويحك ! وما لى لا أغتمُّ ، وليس أحدٌ مِن أهلِ المشارقِ والمغاربِ مِن هذه الأمةِ إلا وهو يطالِبُنى بحقِّه ؛ أن أُؤَدِّيَه إليه ، كتَب إلىَّ فى ذلك أو لم يكتُبْ ، طلَبه مِنِّى أو لم يطلُبْ . قالوا[4] : ثم إنَّه خيَّر امرأتَه فاطمةَ بينَ أن تُقيمَ معه على أنَّه لا فراغَ له إليها ، وبينَ أن تلحَقَ بأهلِها ، فبكَتْ وبكَى جواريها لبكائِها ، فسُمِعتْ ضجةٌ فى دارِه ، ثم اختارتْ مقامَها معه على كلِّ حالٍ ، رحِمها اللَّهُ . وقال له رجلٌ[4] : تفرَّغْ لنا يا أميرَ المؤمنين . فأنشَأ يقولُ :

قدْ جاءَ شغلٌ شاغلٌ وعدَلتُ عن طرقِ السَّلامهْ
ذهَب الفراغُ فلا فرا غَ لنا إلى يومِ القيامهْ

(١) تقدم ذلك فى ص ٦٧٤ مختصرًا ، ولم يرد فيه الشعر ، وانظر الخبر بتمامه فى تاريخ دمشق ٢٧٦/١٣ (مخطوط) .

(٢) فى الأصل ، ب ، ص : « الخليفتية » .

(٣) تاريخ دمشق ٢٧٧/١٣ (مخطوط) .

(٤) المصدر السابق .

وقال الزبيرُ بنُ بكارٍ[1] : حدَّثنى محمدُ بنُ سلَامٍ ، عن سلَّامِ بنِ سُلَيْمٍ ، قال : لمَّا ولِى عمرُ بنُ عبدِ العزيزِ [١٧٣/٧و] صعِد المنبَرَ ، وكان أوَّلَ خطبةٍ خطَبها حمِد اللَّهَ ، وأثنى عليه ، ثم قال : أيُّها الناسُ ، مَنْ صحِبنا فلْيَصحبْنا بخمسٍ ، وإلا فلْيُفارقْنا ؛ يرفعُ إلينا حاجةَ مَنْ لا يستطيعُ رفعَها ، ويعينُنا على الخيرِ بجهدِه ، ويدُلُّنا مِن الخيرِ على ما لا نهتَدِى إليه ، ولا يغتابَنَّ عندَنا الرعيةَ ، ولا يَعرِضَنَّ فيما لا يَعنِيه . فانقشَع عنه الشعراءُ والخطباءُ ، وثبَت معه الفقهاءُ والزهادُ ، وقالوا : ما يسعُنا أن نفارقَ هذا الرجلَ حتى يخالفَ فعلُه قولَه .

وقال سفيانُ بنُ عيينةَ[2] : لما ولِى عمرُ بنُ عبدِ العزيزِ بعَث إلى محمدِ بنِ كعبٍ ورجاءِ بنِ حيوةَ وسالمِ بنِ عبدِ اللَّهِ ، فقال لهم : قد ترون ما ابتُلِيتُ به وما قد نزَل بى ، فما عندَكم ؟ فقال محمدُ بنُ كعبٍ : اجعلِ الشيخَ أبًا ، والشابَّ[3] أخًا ، والصغيرَ[4] ولدًا ، فبَرَّ أباك ، وصِلْ أخاك ، وتَعطَّفْ على ولدِك . وقال رجاءٌ : ارضَ للناسِ ما ترضَى لنفسِك ، وما كرِهتَ أن يُؤتَى إليك فلا تأتِه إليهم ، واعلمْ أنَّك أوَّلُ خليفةٍ تموتُ . وقال سالمٌ : اجعَلْ الأمَر يومًا[5] واحدًا صُمْ فيه[6] عن شهواتِ الدنيا ، واجعَلْ آخِرَ فِطرِك[7] فيه الموتَ ، فكأنْ قد . فقال عمر : لا حولَ ولا قوةَ إلا باللَّهِ .

---

(١) تاريخ دمشق ٢٧٧/١٣ ، ٢٧٨ (مخطوط) .
(٢) المصدر السابق ٢٧٨/١٣ (مخطوط) .
(٣) فى الأصل : « الضعيف » ، وفى مصدر التخريج : « النَّصَفُ » . والنصف : الكهل .
(٤) فى الأصل ، ومصدر التخريج : « الشاب » .
(٥) سقط من : م .
(٦) فى مصدر التخريج : « صرفته » .
(٧) فى مصدر التخريج : « نظرك » .

وقال غيرُه[1] : خطَب عمرُ بنُ عبدِ العزيزِ يومًا الناسَ فقال ، وقد خنقَتْه العَبْرةُ : أيُّها الناسُ ، أصلِحوا آخرَتَكم تصلُحْ لكم دنياكُم ، وأصلِحوا سرائرَكم[2] تصلُحْ لكم علانيتُكم ، واللَّهِ إنَّ عبدًا ليس بينَه وبينَ آدمَ أبٌ ، إلا قد مات ، إنه لمُعْرَقٌ[3] له فى الموتِ . وقال فى بعضِ خطبِه[4] : كم مِن عامرٍ مؤنَّقٍ[5] عمَّا قليلٍ يخرَبُ ، وكم مِن مقيمٍ مغتبطٍ عمَّا قليلٍ يظعَنُ ، فأحسِنوا ، رحِمكم اللَّهُ ، [6]مِن الدُّنيا[6] الرحلةَ بأحسنِ ما بحضرتِكم[7] من النقلةِ ، بينما ابنُ آدمَ فى الدنيا ينافِسُ فيها قريرَ العينِ قَانِعًا[8] ، إذ دعاه اللَّهُ بقدَرِه ، ورماه بيومِ[9] حتفِه ، فسلَبه آثارَه ودنياه ، وصيَّرَ لقومٍ آخرين مصانعَه ومغناه ، إنَّ الدنيا لا تسُرُّ بقدرِ ما تضُرُّ ، تسُرُّ قليلًا ، وتُحزِنُ طويلًا .

وقال إسماعيلُ بنُ عياشٍ[10] ، عن عمرِو بنِ مُهاجرٍ ، قال : لمَّا استُخلِف عمرُ ابنُ عبدِ العزيزِ قام فى الناسِ ، فحمِد اللَّهَ وأثنَى عليه ، ثم قال : أيُّها الناسُ ، إنَّه لا كتابَ بعدَ القرآنِ ، ولا نبيَّ بعدَ محمدٍ ، عليه السلامُ ، وإنِّى لستُ بقاضٍ ولكنِّى منفِّذٌ ، وإنِّى لستُ بمبتدِعٍ ولكنِّى متبِعٌ ، إنَّ الرجلَ الهاربَ مِن الإمامِ الظَّالمِ ليس بظالمٍ ، أَلَا إنَّ الإمامَ الظَّالمَ هو العاصى ، ألا لا طاعةَ لمخلوقٍ فى معصيةِ الخالقِ

---

(١) تاريخ دمشق ٢٧٩/١٣ (مخطوط) .

(٢) فى م : «أسراركم» .

(٣) أى : إن له فيه عِرقًا ، وإنه أصيل فى الموت . اللسان (ع ر ق) .

(٤) تاريخ دمشق ٢٧٩/١٣ (مخطوط) .

(٥) فى ١ ٢ ، م : «موثق» . والمؤنق : كل ما زين وزخرف حتى أعجب . الوسيط (أ . ن . ق) .

(٦ - ٦) فى الأصل : «بها» ، وفى تاريخ دمشق : «منها» .

(٧) فى ب ، ص : «يحضرنكم» . وفى م : «يحضر بكم» .

(٨) فى ١ ٢ ، ب ، م : «يانع» . وفى ص : «يافع» .

(٩) فى ١ ٢ ، ب ، م ، ص : «بسهم» .

(١٠) أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ٢٧٩/١٣ (مخطوط) ، من طريق إسماعيل بن عياش به .

عزَّ وجلَّ . وفى روايةٍ[1] أنَّه قال فيها : وإنِّى لستُ بخيرٍ مِن أحدٍ منكم ولكنِّى أثقَلُكم حملًا ، ألا لا طاعةَ لمخلوقٍ فى معصيةِ اللَّهِ ، ألا هل أسمَعتُ ؟

وقال أحمدُ بنُ مروانَ[2] : ثنا أحمدُ بنُ يحيى الحلوانىُّ ، ثنا محمدُ بنُ عبيدٍ ، ثنا إسحاقُ بنُ سليمانَ ، عن شعيبِ بنِ صفوانَ ، حدَّثنى ابنٌ لسعيدِ بنِ [٧/١٧٣ظ] العاصِ ، قال : كان آخرَ خطبةٍ خطَبها عمرُ بنُ عبدِ العزيزِ ، حمِد اللَّهَ وأثنى عليه ، ثم قال : أمَّا بعدُ فإنَّكم لم تُخلَقوا عبثًا ، ولن تُترَكوا سدًى ، وإنَّ لكم مَعادًا ينزِلُ اللَّهُ فيه للحكمِ فيكم والفصلِ بينكم ، فخاب وخسِر مَن خرَج مِن رحمةِ اللَّهِ ، وحُرِم جنةً عرضُها السمواتُ والأرضُ ، ألم تعلَموا أنَّه لا يأمَنُ غدًا إلَّا مَن حذِر اليومَ الآخِرَ وخافَه ، وباع نافِدًا بباقٍ ، وقليلًا بكثيرٍ ، وخوفًا بأمانٍ ؟ ألا ترَون أنَّكم فى أسلابِ الهالِكيـنَ ، وستكونُ مِن بعدِكُم للباقِيـنَ ، كذلك حتى نُرَدَّ إلى خيرِ الوارثينَ ؟ ثم إنَّكم فى كلِّ يومٍ تُشَيِّعون غاديًا ورائحًا إلى اللَّهِ[3] ، قد قضَى نَحْبَه حتى تُغيِّبوه فى صَدعٍ مِن الأرضِ ، فى بطنِ صَدعٍ غيرَ مُوَسَّدٍ ولا مُمَهَّدٍ ، قد فارَق الأحبابَ ، وباشَر الترابَ ، وواجَه الحسابَ ، فهو مُرتهَنٌ بعملِه ، غنىٌّ عمَّا ترَك ، فقيرٌ إلى ما قدَّم ، فاتَّقوا اللَّهَ ، قبلَ[4] انقضاءِ مراقبتِه و[4] نزولِ الموتِ بكم ، أما إنِّى أقولُ هذا . ثم وضَع طرفَ ردائِه على وجهِه فبكَى وأبكَى مَن حولَه . وفى روايةٍ[5] : وايمُ اللَّهِ ، إنِّى لأقولُ قولى هذا ، وما أعلَمُ عندَ أحدٍ منكم مِن الذنوبِ أكثرَ مما أعلَمُ مِن نفسِى ، ولكنها سننٌ مِن اللَّهِ عادلةٌ ؛ أمَر

---

(١) تاريخ دمشق ١٣/٢٧٩ (مخطوط) .

(٢) أخرجه ابن عساكر فى المصدر السابق ١٣/ ٢٧٩، ٢٨٠، من طريق أحمد بن مروان .

(٣) بعده فى ا ٢، ب ، م ، ص : « لا يرجع » .

(٤ - ٤) فى ا ٢ : « انقضاء مراقبه قبل » . وفى م : « القضاء راقبوه قبل » . وفى ص : « القضاء مراقبه قبل » .

(٥) تاريخ دمشق ١٣/٢٨٠ (مخطوط) .

فيها بطاعتِه ، ونهَى فيها عن معصيتِه . واستغفَر اللَّهَ ، ووضَع كمَّه على وجهِه فبكَى حتى بلَّ لحيتَه ، فما عاد لمجلسِه حتى مات رحمِه اللَّهُ .

وروَى أبو بكرِ بنُ أبى الدنيا[1] ، عن عمرَ بنِ عبدِ العزيزِ أنَّه رأَى رسولَ اللَّهِ ﷺ فى النومِ ، وهو يقولُ : « ادنُ ياعمرُ » . قال : فدنوتُ حتى خشِيتُ أن أصيبَه ، فقال : « إذا وُلِّيتَ فاعمَلْ نحوًا من عملِ هذينِ » . وإذا كهلانِ قد اكتنَفاه ، فقلتُ : ومَن هذان ؟ قال : « هذا أبو بكرٍ ، وهذا عمرُ » . ورُوِّينا[2] أنه قال لسالمِ بنِ عبدِ اللَّهِ بنِ عمرَ : اكتُبْ لِىَ سيرةَ عمرَ حتى أعمَلَ بها ، فقال له سالمٌ : إنَّك لا تستطيعُ ذلك . قال : ولِمَ ؟ قال : إنَّك إنْ عمِلتَ بها كنتَ أفضلَ مِن عمرَ ؛ لأنَّه كان يجِدُ على الخيرِ أعوانًا ، وأنت لا تجِدُ مَن يعينُك على الخيرِ .

وقد رُوِى[3] أنَّه كان نقشُ خاتَمِه : لا إلهَ إلا اللَّهُ وحدَه لا شريكَ له . وفى روايةٍ[4] : آمنتُ باللَّهِ . وفى روايةٍ[4] : الوفاءُ عزيزٌ . وقد جمَع يومًا رءُوسَ الناسِ فخطَبهم ، فقال : إنَّ فَدَكَ كانت بيدِ رسولِ اللَّهِ ﷺ يضعُها حيث أراه اللَّهُ ، ثم وليَها أبو بكرٍ ، وعمرُ كذلك . قال الأصمعىُّ[5] : وما أدرى ما قال فى عثمانَ . قال : ثم إنَّ مروانَ أَقْطَعها فحصَل لى منها نصيبٌ ، ووهبَنى الوليدُ وسليمانُ نصيبَهما ، ولم يكن مِن مالى شىءٌ (6)أَرَدَّ [١٧٤/٧و] علىَّ(6) منها ، وقد رَددتُّها فى بيتِ المالِ على ما كانتْ عليه فى زمانِ رسولِ اللَّهِ ﷺ . قال : فيئِس الناسُ عندَ

---

(١) أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ٢٨١/١٣ (مخطوط)، من طريق ابن أبى الدنيا به .
(٢) أخرجه ابن عساكر فى المصدر السابق بنحوه .
(٣) المصدر السابق .
(٤) المصدر السابق ١٣/ ٢٨٢.
(٥) أخرجه ابن عساكر فى المصدر السابق ، من طريق الأصمعى بنحوه .
(٦ - ٦) فى م : « أرده أغلى » .

ذلك من المظالمِ ، ثم أخَذ[1] أموالَ جماعةٍ مِن بنى أميةَ فردَّها إلى بيتِ المالِ ، وسمَّاها أموالَ المظالم ، فاستشفعُوا إليه بالنَّاسِ ، وتوسَّلوا إليه بعمَّتِه فاطمةَ بنتِ مروانَ فلم ينجَعْ فيه[2] ولم يرُدَّه عن الحقِّ شىءٌ[2] ، وقال لهم : واللَّهِ لتدعُنِّى ، وإلا ذهَبتُ إلى مكةَ فنزَلتُ عن هذا الأمرِ لأحقِّ الناسِ به . وقال : واللَّهِ لو أقمتُ فيكم خمسين عامًا ما أقمتُ فيكم[3] ما أريدُ مِن العدلِ ، وإنِّى لأريدُ الأمرَ فما أنفِذُه إلا مع طمَعٍ مِن الدُّنيا حتى تسكُنَ قلوبُهم .

وقال الإمامُ أحمدُ[4] ، عن عبدِ الرَّزاقِ ، عن أبيه ، عن وهبِ بنِ مُنبِّهٍ ، أنَّه قال : إنْ كان فى هذه الأُمَّةِ مهدىٌّ فهو عمرُ بنُ عبدِ العزيزِ . ونحوَ هذا قال قتادةُ ، وسعيدُ بنُ المسيَّبِ ، وغيرُ واحدٍ[5] . وقال طاوسٌ[6] : هو مهدىٌّ وليس به ، إنَّه لم يستكملِ العدلَ كلَّه ، إذا كان المهدىُّ تِيبَ[7] على المسىءِ مِن إساءتِه ، وزِيدَ المحسنُ فى إحسانِه ، سمَحٌ بالمالِ ، شديدٌ على العمّالِ ، رحيمٌ بالمساكينِ . وقال مالكٌ[8] ، عن عبدِ الرحمنِ بنِ حرملةَ ، عن سعيدِ بنِ المسيَّبِ أنَّه قال : الخلفاءُ ، أبو بكرٍ والعُمَرانِ . فقيل له : أبو بكرٍ وعمرُ قد عرَفناهما ، فمَن عمرُ الآخرُ ؟ قال : يوشِكُ إن عشتَ أن تعرِفَه . يريدُ عمرَ بنَ عبدِ العزيزِ . وفى روايةٍ أخرى عنه أنه قال : هو أشجُّ بنى مروانَ . وقال عبادٌ السَّماكُ[9] - وكان يجالسُ

---

(1) سقط من : ا ٢، ص . وفى م : « أمر بـ » .

(٢ - ٢) سقط من : م .

(3) بعده فى م : « إلا » .

(4) أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ٢٨٧/١٣ (مخطوط) ، من طريق الإمام أحمد به .

(5) انظر المصدر السابق ٢٨٧/١٣ ، ٢٨٨.

(6) المصدر السابق ١٣/ ٢٨٨.

(7) فى م ، ص : « ثبت » .

(8) أخرجه ابن عساكر فى المصدر السابق ٢٨٨/١٣ ، ٢٨٩، من طريق الإمام مالك به .

(9) أخرجه ابن عساكر فى المصدر السابق ٢٨٩/١٣ من طريق عباد السماك بنحوه .

سفيانَ الثوريَّ -: سمِعتُ الثوريَّ يقولُ: الخلفاءُ خمسةٌ؛ أبو بكرٍ، وعمرُ، وعثمانُ، وعليٌّ، وعمرُ بنُ عبدِ العزيزِ. وهكذا رُوِى عن أبى بكرِ بنِ عَيَّاشٍ، والشافعيِّ، وغيرِ واحدٍ[1]. وأجمَع العلماءُ قاطبةً على أنَّه من أئمةِ العدلِ، وأحدُ الخلفاءِ الراشدين والأئمةِ المهديين. وذكَره غيرُ واحدٍ فى الأئمةِ الاثنَىْ عشَرَ، الذين جاءَ فيهم الحديثُ الصحيحُ[2]: «لا يزالُ أمرُ هذه الأمةِ مستقيمًا حتى يكونَ فيهم اثنا عشَرَ خليفةً كلُّهم مِن قريشٍ».

وقد اجتهَد رحِمه اللَّهُ فى مدَّةِ ولايتِه - مع قِصَرِها - حتى ردَّ المظالمَ، وصرَف إلى كلِّ ذى حقٍّ حقَّه، وكان مناديه فى كلِّ يومٍ ينادى: أين الغارمون؟ أين الناكحون؟ أين المساكينُ؟ أين اليتامى؟ حتى أغنَى كلًّا مِن هؤلاء. وقد اختلَف العلماءُ أيُّهما[3] أفضلُ هو أو معاويةُ بنُ أبى سفيانَ؟ ففضَّل بعضُهم عمرَ لسيرتِه ومَعْدِلتِه وزهدِه وعبادتِه، وفضَّل آخرونَ معاويةَ لسابقتِه وصحبتِه، حتى قال بعضُهم: لَيومٌ شهِدَه معاويةُ مِن رسولِ اللَّهِ ﷺ خيرٌ مِن [٧/١٧٤ظ] عمرَ بنِ عبدِ العزيزِ، وأيامِه، وأهلِ بيتِه.

وذكر الحافظ ابنُ عساكرَ فى «تاريخِه»[4] أنَّ عمرَ بنَ عبدِ العزيزِ كان يعجِبُه جاريةٌ مِن جوارى زوجتِه فاطمةَ بنتِ عبدِ الملكِ، فكان يسألُها إيَّاها؛ إمَّا بيعًا أو هبةً، فكانت تأبى عليه ذلك، فلمَّا ولِىَ الخلافةَ ألبسَتْها وطيَّبتْها وأهدَتْها إليه

---

(١) تاريخ دمشق ١٣/٢٨٩، ٢٩٠ (مخطوط).

(٢) تقدم فى ٩/١٤٣، ٢٨٤ فما بعدها.

(٣) فى الأصل: «أى الرجل». وفى م: «أيهم».

(٤) تاريخ دمشق ١٣/٢٩١ (مخطوط)، بنحوه، وفيه: «عبد الملك»، بدلًا من: «الوليد». ومعروف أن موسى بن نصير كانت له فتوحات فى بلاد المغرب أيام عبد الملك وأخرى أيام الوليد، ولكن الوليد هو الذى ولاه إمرة المغرب جميعه والله أعلم.

ووهَبتها لهَ[1] ، فلمّا أخلَتها به أعرَضَ عنها ، فتعرَّضَتْ له فصدَف عنها ، فقالت له : ياسيدى ، فأين ما كان يظهَرُ لى من محبّتِك إيّاى ؟ فقال : واللّهِ إنَّ محبَّتَكِ لباقيةٌ كما هى ، ولكن لا حاجةَ لى فى النساءِ ، فقد جاءنى أمرٌ شغَلنى عنكِ ، وعن غيرِكِ . ثم سألَها عن أصلِها ، ومن أين جلَبوها ، فقالت : يا أميرَ المؤمنين إنَّ أبى أصاب جنايةً ببلادِ المغربِ ، فصادَره موسى بنُ نصيرٍ فأُخِذْتُ فى الجنايةِ ، وبُعِث بى إلى الوليدِ فوهَبنى الوليدُ لأختِه فاطمةَ زوجتِك ، فأهدَتنى إليك . فقال عمرُ : إنَّا للّهِ وإنَّا إليه راجعون ، كِدْنا واللّهِ نفتضِحُ ونهلِكُ ، ثمَّ أمَر بردِّها مكرَّمةً إلى بلادِها وأهلِها .

وقالت زوجتُه فاطمةُ[2] : دخَلتُ يومًا عليه وهو جالسٌ فى مصلاه واضعًا خدَّه على يدِه ، ودموعُه تسيلُ على خدَّيه ، فقلتُ : ما لك ؟ فقال : ويحكِ يا فاطمةُ ، إنّى قد ولِّيتُ مِن أمرِ هذه الأمةِ ما ولِّيتُ ، فتفكَّرتُ فى الفقيرِ الجائعِ ، والمريضِ الضائعِ ، والعارى المجهودِ ، واليتيمِ المكسورِ ، والأرملةِ الوحيدةِ ، والمظلومِ المقهورِ ، والغريبِ ، والأسيرِ ، والشيخِ الكبيرِ ، وذى العيالِ الكثيرِ والمالِ القليلِ ، وأشباهِهم فى أقطارِ الأرضِ وأطرافِ البلادِ ، فعلِمتُ أنَّ ربِّى عزَّ وجلَّ سيسألُنى عنهم يومَ القيامةِ ، وأنَّ خَصمِى دونَهم محمدٌ ﷺ ، فخشِيتُ أنْ لا يثبُتَ لى حُجةٌ عندَ خصومتِه ، فرحِمتُ نفسى فبكَيتُ . وقال ميمونُ بنُ مهرانَ[3] : ولَّانى عمرُ بنُ عبدِ العزيزِ عمالةً ، ثم قال لى : إذا جاءَك كتابٌ منِّى

---

(١) فى النسخ : « منه » .وما أثبتناه هو المقتضى . وانظر مصدر التخريج .

(٢) تاريخ دمشق ١٣/٢٩١ (مخطوط) .

(٣) المصدر السابق ١٣/ ٢٩٣.

على غيرِ الحقِّ فاضرِبْ به الأرضَ . وكتَب إلى بعضِ عمّالِه[1] : إذا دعَتك قدرتُك على الناسِ إلى ظلمِهم ، فاذكُرْ قدرةَ اللَّهِ عليك ، ونفادَ ما تأتى إليهم ، وبقاءَ ما يأتون إليك . وقال عبدُ الرحمنِ بنُ مهديٍّ ، عن جريرِ بنِ حازمٍ ، عن عيسى بنِ عاصمٍ ، قال[2] : كتَب عمرُ بنُ عبدِ العزيزِ إلى عديِّ بنِ عديٍّ : إنَّ للإسلامِ سُننًا وشرائعَ وفرائضَ ، فمَن استكمَلها استكمَل الإيمانَ ، ومَن لم يستكمِلْها لم يستكمِلِ الإيمانَ ، فإنْ أعشْ أُبيِّنْها لكم لتعمَلوا بها ، وإن أمُتْ فواللَّهِ ما أنا على صحبتِكم بحريصٍ . وذكَره البخاريُّ فى « صحيحه » تعليقًا مجزومًا به[3] .

وذكَر الصُّوليُّ[4] أنَّ عمرَ كتَب إلى بعضِ عمَّالِه : عليكَ بتقوى اللَّهِ ، فإنَّها هى التى لا يُقبَلُ غيرُها ، ولا يُرحمُ إلا أهلُها ، ولا يُثابُ إلا عليها ، وإنَّ الواعظينَ بها [١٧٥/٧و] كثيرٌ ، والعاملين بها قليلٌ . وقال أيضًا : مَن علِم أنَّ كلامَه مِن عملِه أقلَّ منه[5] إلا فيما[6] ينفعُه ، ومَنْ أكثَر ذكرَ الموتِ اجتزأ مِن الدنيا باليسيرِ . وقال أيضًا : مَن لم يعُدَّ كلامَه مِن عملِه كثُرت خطاياه ، ومَن عبَد اللَّهَ بغيرِ علمٍ كان ما يُفسِدُه أكثرَ مما يصلِحُه . وكلَّمه رجلٌ يومًا حتى أغضَبه فهمَّ به عمرُ ثم أمسَك نفسَه ، ثم قال للرجلِ : أردتَ أنْ يَستفزَّنى الشيطانُ بعزةِ السُّلطانِ فأنالَ منك ما تنالُه منِّى غدًا ! قمْ عافاك اللَّهُ ، لا حاجةَ لنا فى مقاولتِك . وكان يقولُ : إنَّ أحبَّ الأمورِ إلى اللَّهِ القصدُ فى الجِدِّ ، والعفوُ فى المقدرةِ ، والرفقُ فى الولايةِ ،

---

(١) تاريخ دمشق ٢٩٤/١٣ (مخطوط) .

(٢) أخرجه ابن عساكر فى المصدر السابق ٢٩٥/١٣ (مخطوط) ، من طريق ابن مهدى به .

(٣) فتح البارى ١/ ٤٥، كتاب الإيمان ، باب قول النبى ﷺ : « بنى الإسلام على خمس » .

(٤) أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ٢٩٥/١٣ (مخطوط) ، من طريق الصولى به .

(٥) فى ا ٢، ب ، م ، ص : « كلامه » .

(٦) بعده فى ا ٢، ب ، م ، ص : « يعنيه و » .

وما رفَق عبدٌ بعبدٍ فى الدُّنيا إلا رفَق اللَّهُ به يومَ القيامةِ .

وخرَج ابنٌ له وهو صغيرٌ يلعَبُ مع الغلمانِ فشجَّه صبىٌّ منهم ، فاحتمَلوا الصبىَّ الذى شجَّ ابنَه وجاءُوا به إلى عمرَ ، فسمِع الجلَبةَ فخرَج إليهم ، فإذا مُرَيْئةٌ[1] تقولُ : إنَّه ابنى ، وإنه يتيمٌ . فقال لها عمرُ[2] : أَلَه عطاءٌ فى الديوانِ ؟ قالت : لا ، قال : فاكتبوه فى الذُّريةِ . فقالت زوجتُه فاطمةُ[3] : فعَل اللَّهُ به وفعَل ، إن لم يشجَّ ابنَك ثانيةً . فقال : ويحَكِ ، إنكم[4] أفزَعتُموه .

وقال مالكُ بنُ دينارٍ[5] : يقولون : مالكٌ زاهدٌ . أىُّ زهدٍ عندى ! إنما الزاهدُ عمرُ بنُ عبدِ العزيزِ ، أتته الدنيا فاغرةً فاها فترَكها[6] . قالوا[7] : ولم يكنْ له سوى قميصٍ واحدٍ فكان إذا غسَلوه جلَس فى المنزلِ حتى ييبَسَ . وقد وقَف مرَّةً على راهبٍ ، فقال له[8] : ويحَكَ عِظْنى . فقال له : عليكَ بقولِ الشاعرِ :

تجرَّدْ مِن الدنيا فإنَّكَ إنَّما ... خرجتَ إلى الدنيا وأنتَ مُجرَّدُ

قالوا[9] : فكان يُعجِبُه ويكرِّرُه وعمِل به حقَّ العملِ .

قالوا[10] : ودخَل على امرأتِه يومًا فسَألها أن تُقرِضَه درهمًا أو فلوسًا يَشترى

---

(١) مريئة : تصغير امرأة . تاج العروس (م ر أ) .
(٢) بعده فى ا ٢، ب ، م ، ص : « هونى عليك ، ثم قال لها عمر » . وانظر تاريخ دمشق ٢٩٧/١٣ (مخطوط) .
(٣) بعده فى ا ٢، ب ، م ، ص : « أتفعل هذا به وقد شج ابنك » .
(٤) فى ا ٢، ب ، م ، ص : « إنه يتيم وقد » .
(٥) تاريخ دمشق ٢٩٧/١٣ (مخطوط) .
(٦) بعده فى ا ٢، ب ، م ، ص : « جملة » .
(٧) انظر المصدر السابق ١٣/ ٢٩٨.
(٨) المصدر السابق .
(٩) فى ا ٢، ب ، م ، ص : « قال » .
(١٠) المصدر السابق ١٣/ ٣٠٠.

له بها عنبًا ، فلم يجدْ عِندَها شيئًا ، فقالتْ له : أنت أميرُ المؤمنينَ وليس فى خزانتِك ما تشتَرى به عنبًا ؟! فقال : هذا أيسرُ مِن معالجةِ الأغلالِ والأنكالِ غدًا فى نارِ جهنَّمَ .

قالوا[1] : وكان سراجُ بيتِه على ثلاثِ قصَباتٍ فى رأسِهنَّ طينٌ . قالوا : وبعَث يومًا غلامَه ليشوِىَ له لحمةً فجاءَه بها سريعًا مشويَّةً ، فقال : أين شوَيتَها ؟ قال : فى المَطْبخِ . فقال : فى مَطْبخِ المسلمينَ ؟ قال : نعم . فقال : كُلْها فإنِّى لم أُرزَقْها ، هى رزقُك . وسخَّنوا له ماءً فى المطبخِ العامِّ فردَّ بدلَ ذلك بدرهمٍ حطبًا . وقالت زوجتُه[2] : ما جامَع ولا احتلَم وهو خليفةٌ .

قالوا[3] : وبلَغ عمرَ بنَ عبدِ العزيزِ عن أبى سلَّامٍ الأسودِ أنَّه يُحدِّثُ عن ثوبانَ فى[4] الحوضِ ، فبعَث إليه فأحضَره على البريدِ ، وقال له كالمتوجِّعِ : ما أردْنا المشقَّةَ عليكَ يا أبا سلَّامٍ ، ولكن أردتُ أن تُشافِهَنى بالحديثِ مشافَهةً . فقال : سمِعتُ [١٧٥/٧ظ] ثوبانَ ، يقولُ : قال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « حوضِى ما بينَ عَدَنَ إلى عمَّانَ البلقاءِ ، ماؤُه أشدُّ بياضًا مِن اللَّبنِ ، وأحلى مِن العسلِ ، أكاويبُه[5] عددُ نجومِ السماءِ ، مَن شرِب منه شَربةً لم يظمَأْ بعدَها أبدًا ، وأوَّلُ الناسِ ورودًا عليه فقراءُ المهاجرينَ ، الشُّعْثُ رؤسًا ، الدُّنْسُ ثيابًا ، الذين لا ينكِحون المتنعِّماتِ ، ولا

---

(١) تاريخ دمشق ٣٠٠/١٣ (مخطوط) .

(٢) المصدر السابق .

(٣) أخرجه ابن عساكر فى المصدر السابق ١٣/ ٣٠١، وبهذا السياق أيضا أخرجه الترمذى (٢٤٤٤) ، وابن ماجه (٤٣٠٣) والإمام أحمد ٥/ ٢٧٥، ٢٧٦. صحيح المرفوع منه (صحيح سنن الترمذى ١٩٨٩) .

(٤) فى ١ ٢، ب ، م : « بحديث » .

(٥) فى م : « وأكوابه » .

تُفتَحُ لهم السُّدَدُ » . فقال عمرُ : لكنِّى نكَحتُ المتنعِّماتِ ، فاطمةَ بنتَ عبدِ الملكِ ، (1) وفُتِحتْ لى السُّدَدُ (1) فلا جرَم لا أغسِلُ رأسى حتى يشعَثَ ، ولا أُلقِى ثوبى حتى يتَّسِخَ .

قالوا[2] : وكان له سراجٌ يكتُبُ عليه حوائجَه ، وسراجٌ لبيتِ المالِ يكتُبُ عليه مصالحَ المسلمين ، لا يكتُبُ على ضوئِه لنفسِه حرفًا . وكان يقرَأُ فى المصحفِ كلَّ يومٍ أوَّلَ النَّهارِ ، ولا يُطيلُ القراءةَ ، وكان له ثلاثُمائةِ شُرطىٍّ ، وثلاثُمائةِ حرسىٍّ ، وأهدَى له رجلٌ من أهلِ بيتِه تفَّاحًا فاشْتَمَّه ثم ردَّه مع الرسولِ ، وقال له : قُلْ له : قد بلغَتْ محلَّها . فقال له رجلٌ : يا أميرَ المؤمنين ، إنَّ رسولَ اللَّهِ ﷺ كان يقبَلُ الهديةَ ، وهذا رجلٌ من أهلِ بيتِكَ . فقال : إن الهديةَ كانت لرسولِ اللَّهِ ﷺ هديةً ، فأمّا نحن فهى لنا رِشوةٌ .

قالوا : وكان يُوسِّعُ على عمّالِه فى النفقةِ ؛ يعطى الرجلَ منهم فى الشهرِ مائةَ دينارٍ ، ومائتى دينارٍ ، وكان يتأوَّلُ أنهم إذا كانوا فى كفايةٍ تفرَّغوا لأشغالِ المسلمين ، فقالوا له : لو أنفقتَ على عيالِك كما تنفِقُ على عمّالِك ؟ (3) فقال : لا أمنَعُهم حقًّا لهم ، ولا أُعطِيهم حقَّ غيرِهم (3) . وكان أهلُه قد بقُوا فى جهدٍ عظيمٍ فاعتذَر بأنَّ معهم سلفًا كثيرًا مِن قبلِ ذلك ، وقال يومًا لرجلٍ من ولدِ علىٍّ : إنِّى لأستحِى من اللَّهِ أن تقفَ ببابى ولا يؤذَنَ لك . (3) وقال لآخَرَ منهم : إنِّى لأستحِى مِن اللَّهِ وأرغَبُ بك أن أدنِّسَك بالدنيا لِمَا أكرَمكم اللَّهُ به (3) . وقال أيضًا : كنَّا نحن وبنو عمِّنا بنو هاشمٍ ، مَرَّةً لنا ومرَّةً علينا ، نلجَأُ إليهم ويلجَئون إلينا ، حتى

(1 - 1) سقط من : م .

(2) تاريخ دمشق ١٣/٣٠١ (مخطوط) .

(3 - 3) سقط من : الأصل .

طلَعتِ شمسُ الرسالةِ فأكسَدت كلَّ نافقٍ ، وأخرَست كلَّ منافقٍ ، وأسكَتَت كلَّ ناطقٍ .

وقال أحمدُ بنُ مروانَ[1] : ثنا أبو بكرٍ أخو[2] خطابٍ ، ثنا خالدُ بنُ خِداشٍ ، ثنا حمادُ بنُ زيدٍ ، عن موسى بنِ أعْيَنَ[3] الرَّاعِى - وكان يرعَى الغنَمَ لمحمدِ بنِ أبى[4] عُيينةَ - قال : كانت الغنمُ والأُسدُ والوحشُ ترعَى فى خلافةِ عمرَ بنِ عبدِ العزيزِ فى موضعٍ واحدٍ ، فعرَض[5] لشاةٍ منها ذئبٌ ، فقلتُ : إنا للَّهِ ، ما أرَى الرجلَ الصالحَ إلا قد هلَك . قال : فحسَبناه فوجَدناه قد هلَك فى تلك الليلةِ . ورواه غيرُه عن حمادٍ ، فقال : كان يرعَى الشاةَ بكَرْمَانَ ، فذكَر نحوَه . وله شاهدٌ من وجهٍ آخرَ[6] .

ومِن دعائِه : اللهمَّ ، إنَّ رجالًا أطاعوك فيما أمَرتَهم ، وانتَهَوا عما نهَيتَهم ، اللهمَّ ، وإنَّ توفيقَك إيَّاهم كان قبلَ طاعتِهم إياكَ ، فوَفِّقْنى . ومنه : اللهمَّ ، إنَّ عمرَ [٧/١٧٦و] ليس بأهلٍ أن تنالَه رحمتُك ، ولكنَّ رحمتَك أهلٌ أن تنالَ عمرَ .

وقال له رجلٌ : أبقاكَ اللَّهُ ما كان البقاءُ خيرًا لك . فقال : هذا شىءٌ قد فُرِغ منه ، ولكن قُلْ : أحياكَ اللَّهُ حياةً طيبةً ، وتوَفَّاكَ مع الأبرارِ . وقال له رجلٌ[6] : كيف أصبحتَ يا أميرَ المؤمنين؟ فقال : أصبحتُ بطيئًا بطينًا ، متلوِّثًا بالخطايا ، أتمنَّى على اللَّهِ ، عزَّ وجلَّ .

---

(١) أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ٣٠٤/١٣ (مخطوط) ، من طريق أحمد بن مروان به .
(٢) فى ا ٢، ب ، م : « ابن أخى » .
(٣) فى ا ٢، ب ، م : « أيمن » .
(٤) سقط من : ا ٢، ب ، م .
(٥) بعده فى ا ٢، ب ، م : « ذات يوم » .
(٦) المصدر السابق .

ودخَل عليه رجلٌ، فقال[1] : يا أميرَ المؤمنيـنَ، إنَّ مَن كان قبلَك كانت الخلافةُ لهم زَيْنٌ، وأنت زَينُ الخلافةِ، وإنما مثلُك يا أميرَ المؤمنين، كما قال الشاعرُ[2] :

وإذا الـدُّرُّ زانَ حُسـنَ وجـوهٍ كانَ للدرِّ حسنُ وجهِكَ زَيْنَا

قال: فأعرَض عنه عمرُ. وقال رجاءُ بنُ حَيْوَةَ[1] : سمَرتُ عندَ عمرَ بنِ عبدِ العزيزِ ذاتَ ليلةٍ فعَشِيَ السراجُ فقلتُ: ألا أنبِّهُ هذا الغلامَ يصلِحُه؟ فقال: لا، دعْه ينامُ[3] . فقلتُ: أفلا أقومُ أُصلِحُه؟ فقال: لا، ليس من [4]مروءةِ الرجلِ استخدامُ ضيفِه[4] . ثم قام بنفسِه فأصلَحه، وصبَّ فيه زيتًا، ثم جاء وقال: قمتُ وأنا عمرُ بنُ عبدِ العزيزِ، وجئتُ[5] وأنا عمرُ بنُ عبدِ العزيزِ. وقال: أكثِروا ذكرَ النِّعمِ فإن ذكرَها شكرُها. وقال: إنه ليمنَعُنى من كثرةِ الكلامِ مخافةُ المباهاةِ. وبلَغه أنَّ رجلًا من أصحابِه تُوفِّى، فجاء إلى أهلِه ليعزِّيَهم فيه، فصَرخوا فى وجهِه بالبكاءِ عليه، فقال: مَهْ، إن صاحبَكم لم يكُنْ يرزُقُكم، وإن الذى يرزُقُكم حىٌّ لا يموتُ، وإنَّ صاحبَكم هذا، لم يسُدَّ شيئًا من حُفَرِكم، وإنما سدَّ حفرةَ نفسِه[6] ، وإنَّ لكلِّ امرئٍ مِنكم حفرةً لابدَّ واللَّهِ أن يسُدَّها، إنَّ اللَّهَ عزَّ وجلَّ لمَّا خلق الدنيا حكَم عليها بالخرابِ، وعلى أهلِها بالفناءِ، وما امتلأَتْ دارٌ حَبرةً إلا امتلأَتْ عَبرةً، ولا اجتمَعوا إلا تفرَّقوا، حتى يكونَ اللَّهُ هو الذى يرِثُ الأرضَ ومَنْ عليها، فمَن كان مِنكم باكيًا فليبكِ على نفسِه، فإنّ الذى صار إليه

---

(١) تاريخ دمشق ١٣/٣٠٥ (مخطوط).
(٢) البيت فى العقد الفريد ٢/١٣٤، والتمثيل والمحاضرة ص ٢٨٦.
(٣) بعده فى ا ٢، ب، م: «أحب أن أجمع عليه عملين».
(٤ - ٤) فى ا ٢، ب، م: «المروءة استخدام الضيف».
(٥) فى م: «جلست». وفى ابن عساكر: «رجعت».
(٦) بعده فى م: «ألا».

صاحبُكم ، كلُّكم يصِيرُ إليه غدًا .

وقال ميمونُ بنُ مِهرانَ[1] : خرَجتُ معَ عمرَ إلى القبورِ ، فقال لى : يا أبا أيوبَ ، هذه قبورُ آبائى بنى أميةَ ، كأنَّهم لم يشارِكوا أهلَ الدنيا فى لذَّتِهم وعيشِهم ، أما تراهم صَرعَى قد خلَتْ فيهم[2] المَثُلاتُ ، واستحكَم فيهم البلاءُ ؟ ثم بكَى حتى غُشِى عليه ، ثم أفاق ، فقال : انطلِقوا بنا فواللَّهِ لا أعلمُ أحدًا أنعَمَ ممَّن صار إلى هذه القبورِ ، وقد أمِن من عذابِ اللَّهِ[3] .

وقال غيرُه[4] : خرَج عمرُ بنُ عبدِ العزيزِ فى جنازةٍ ، فلمّا دُفِنتْ قال لأصحابِه : قِفوا حتى آتِىَ قبورَ الأحبةِ . فأتاهم فجعَل يبكِى ويدعو ، إذ هتَف به التُّرابُ ، فقال : يا عمرُ ألَا تسألُنى ما فعلتُ فى الأحبةِ ؟ قال قلتُ : وما فعَلتَ بهم ؟ قال : مزَّقتُ الأكفانَ ، وأكَلتُ اللحومَ ، وشدَختُ [١٧٦/٧ظ] المقلتين ، وأكَلتُ الحدَقتين ، ونزَعتُ الكفَّين مِن الساعدين ، والساعدين مِن العضُدين ، والعَضُدين مِن المنكِبين ، والمنكِبين مِن الصُّلبِ ، والقدمين مِن الساقين ، والساقين مِن الفخذين ، والفخذين مِن الورِكِ ، والوركَ من الصُّلبِ (٥وعمرُ يبكِى٥) . فلمَّا أراد أن يذهَبَ قال له : يا عمرُ ، ألا أدُلُّكَ على أكفانٍ لا تبلَى ؟ قال : وما هى ؟ قال : تقوى اللَّهِ ، والعملُ الصالحُ .

وقال مرَّةً لرجلٍ من جلسائِه : لقد أرِقتُ الليلةَ مفكرًا . قال : وفيمَ يا أميرَ

---

(١) تاريخ دمشق ٣٠٨/١٣ ، ٣٠٩ (مخطوط) .

(٢) فى ا ٢، ب ، م ، ص : « بهم » .

(٣) بعده فى ا ٢، ب ، م ، ص : « ينتظر ثواب اللَّه » .

(٤) المصدر السابق ٣٠٩/١٣ (مخطوط) .

(٥ - ٥) سقط من : م .

المؤمنينَ ؟ قال : فى القبرِ وساكنِه ، إنَّك لو رأيتَ الميتَ بعدَ ثالثةٍ[1] فى قبرِه[2] ، لاستوحَشتَ مِن قُربِه بعد طولِ الأُنسِ منك بناحيتِه ، ولرأيتَ بيتًا تجولُ فيه الهَوامُ ، ويجرى فيه الصديدُ ، وتخترِقُه الديدانُ ، مع تغيُّرِ الرِّيحِ ، وبِلَى الأكفانِ بعدَ حسنِ الهيئةِ ، وطيبِ الريحِ ، ونقاءِ الثوبِ . قال : ثم شهِق شهقةً خرَّ مَغشِيًّا عليه .

وقال مقاتلُ بنُ حيانَ[3] : صلَّيتُ وراءَ عمرَ بنِ عبدِ العزيزِ فقرأ : ﴿ وَقِفُوهُمْۖ إِنَّهُم مَّسْـُٔولُونَ ﴾ [الصافات : ٢٤] . فجعَل يكرِّرُها وما يستطيعُ أن يُجاوزَها . وقالت امرأتُه فاطمةُ[3] : ما رأيتُ أحدًا أكثرَ صلاةً وصيامًا منه ، ولا أحدًا أشدَّ فرَقًا مِن ربِّه مِنه ، كان يصلِّى العشاءَ ثم يجلسُ يبكِى حتى تغلِبَه عينُه[4] ، ثم ينتبهُ فلا يزالُ يبكِى حتى تغلِبَه عينُه . قالت : ولقد كان يكون معى فى الفراشِ فيذكرُ الشىءَ من أمرِ الآخرةِ ؛ فينتفِضُ كما ينتفِضُ العصفورُ فى الماءِ ، ويجلِسُ يبكِى ، فأطرَحُ عليه اللحافَ رحمةً له ، وأنا أقولُ : يا ليتَ كان بينَنا وبينَ الخلافةِ بُعدَ المشرقينِ ، فواللَّهِ ما رأينا سرورًا منذ دخَلنا فيها .

وقال علىُّ بنُ زيدٍ[5] : ما رأيتُ رجلين كأنَّ النارَ لم تُخلَقْ إلا لهما مثلَ الحسنِ ، وعمرَ بنِ عبدِ العزيزِ . وقال بعضُهم[5] : رأيتُه يبكِى حتَّى بكَى دمًا . قالوا[6] : وكان إذا أوَى إلى فراشِه قرأ : ﴿ إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ

---

(١) فى ا ٢، ص : « ثلاثة » وفى م : « ثلاث » .

(٢) بعده فى ا ٢، ب ، م ، ص : « وما صار إليه » .

(٣) تاريخ دمشق ٣١٠/١٣ (مخطوط) .

(٤) فى ا ٢، ب ، م ، ص : « عيناه » .

(٥) المصدر السابق ٣١١/١٣ (مخطوط) .

(٦) المصدر السابق ٣١٢/١٣ (مخطوط) .

وَٱلْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ﴾ الآية [الأعراف: ٥٤]. ويقرأُ: ﴿أَفَأَمِنَ أَهْلُ ٱلْقُرَىٰٓ أَن يَأْتِيَهُم بَأْسُنَا بَيَٰتًا وَهُمْ نَآئِمُونَ﴾ [الأعراف: ٩٧]. ونحوَ هذه الآياتِ، وكان يجتمِعُ كلَّ ليلةٍ إليه أصحابُه من الفقهاءِ فلا يذكُرون إلا الموتَ والآخرةَ، ثم يبكُون حتى كأنَّ بينهم جِنازةً[1].

وقال أبو بكرٍ الصوليُّ، [2]عن المبردِ[2]: كان عمرُ بنُ عبدِ العزيزِ يتمثَّلُ بقولِ الشاعرِ:

فما تزوَّدَ مما كانَ يجمَعُه ... سوى حنوطٍ غداةَ البينِ فى خِرَقِ

وغيرَ نفحةِ أعوادٍ تُشَبُّ له ... وقلَّ ذلكَ من زادٍ لمنطلقِ

بأيِّما بلدٍ كانتْ منيَّتُهُ ... إن لا يسِرْ طائعًا فى قصدِها يُسَقِ

[١٧٧/٧و] ونظَر عمرُ بنُ عبدِ العزيزِ، وهو فى جنازةٍ، إلى قومٍ قد تلثَّموا من الغبارِ والشمسِ، وانحازوا إلى الظلِّ، فبكَى وأنشدَ:

من كان حين تصِيبُ الشمسُ جبهَتَه ... أو الغبارُ يخافُ الشَّينَ والشعَثا

ويألفُ الظلَّ كى تبقَى بشاشَتُه ... فسوفَ يسكُنُ يومًا راغمًا جدَثا

فى قعرِ مُظلِمةٍ غبراءَ مُوحشةٍ ... يطيلُ فى قعرِها تحتَ الثَّرى لُبثا

تجهَّزِى بجهازٍ تبلُغينَ به ... يا نفسُ قبلَ الرَّدَى لم تُخلَقى عبثًا[3]

وقال [4]المفضَّلُ بنُ غسَّانَ الغلَّابىُّ[4]: كان عمرُ بنُ عبدِ العزيزِ لا يجِفُّ فوه

---

(١) تاريخ دمشق ٣١٢/١٣ (مخطوط).

(٢ - ٢) سقط من: م. وقد أخرجه ابن عساكر فى المصدر السابق (مخطوط) ١٣/ ٣١٣، من طريق المبرد به.

(٣) بعده فى ا ٢، م، ص زيادة تقع فى ورقتين من المطبوع.

(٤ - ٤) فى ا ٢، ب، ص: «الفضل بن عساف العلا»، وفى م: «الفضل بن عباس الجلبى». والمثبت موافق لما فى تاريخ دمشق ٣١٤/١٣ (مخطوط). وانظر الأنساب ٤/ ٣٢١.

مِن هذا البيتِ :

ولا خيرَ فى عيشِ امرئٍ لم يكُنْ له مِنَ اللَّهِ فى دارِ القرارِ نصيبُ

وزاد غيرُه معه بيتًا حسنًا ، وهو قولُه :

فإن تُعجبِ الدنيا أُناسًا فإنَّها متاعٌ قليلٌ والزوالُ قريبُ[1]

ومن شعرِه الذى أنشَده ابنُ الجوزىِّ[2] :

أنا ميِّتٌ وعزَّ مَن لا يموتُ قد تيقَّنتُ أنَّنى سأموتُ

ليسَ مُلكٌ يُزيلُه الموتُ مُلكًا إنَّما المُلكُ مُلكُ من لا يموتُ

وقال عبدُ اللَّهِ بنُ المباركِ[3] : كان عمرُ بنُ عبدِ العزيزِ يقولُ :

تُسَرُّ بما يَبْلى[4] وتَفرَحُ بالمُنَى كما اغترَّ باللذاتِ فى النومِ حالمُ

نهارُك يا مغرورُ سهوٌ وغفلةٌ وليلُكَ نومٌ والرَّدَى لكَ لازمُ

وسعيُكَ فيما سوف تكرَهُ غِبَّهُ كذلكَ فى الدُّنيا تعيشُ البهائمُ

وقال محمدُ بنُ كثيرٍ[5] : قال عمرُ بنُ عبدِ العزيزِ يلومُ نفسَه ويعاتبُها :

أيقظانُ أنتَ اليومَ أم أنتَ نائمُ وكيفَ يُطيقُ النومَ حيرانُ هائمُ

فلو كنتَ يقظانَ الغداةَ لحرَّقتْ مدامعَ[6] عينيكَ الدموعُ السواجمُ

[7]نهارُك يا مغرورُ سهوٌ وغفلةٌ وليلُك نومٌ والرَّدَى لك لازمُ[7]

---

(١) فى تاريخ دمشق نسبها لعمر بن عبد العزيز من قوله .

(٢) سيرة عمر ٢٧٠.

(٣) أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ٣١٤/١٣ (مخطوط) ، من طريق ابن المبارك به .

(٤) فى ا ٢، ب ، م، ص: «يفنى» .

(٥) أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ٣١٤/١٣ (مخطوط) ، من طريق محمد بن كثير به .

(٦) فى ا ٢، ب ، م، ص: «محاجر» .

(٧ - ٧) سقط من: ا ٢، ب ، م، ص .

(١ بل (٢) اصبحتَ فى النومِ الطويلِ وقد دنَتْ إليكَ أمورٌ مُفظِعاتٌ عظائمُ ١)

وشغْلُكَ (٣) فيما سوفَ تكرهُ غِبَّهُ كذلكَ فى الدنيا تعيشُ البهائمُ (٤)

وروَى ابنُ أبى الدنيا (٥) بسندِه عن فاطمةَ بنتِ عبدِ الملكِ، قالت: انتبَه عمرُ [١٧٧/٧ظ] ذاتَ ليلةٍ، وهو يقولُ: لقد رأيتُ (٦) رؤيا معجِبَةً (٧). فقلتُ: أخبِرْنى بها. فقال: حتى نُصبحَ. فلمَّا صلَّى الصبحَ (٨) بالمسلمين دخَل فسألتُه عنها، فقال: رأيتُ كأنِّى دُفِعتُ إلى أرضٍ خضراءَ واسعةٍ كأنَّها بِساطٌ أخضرُ، وإذا فيها قصرٌ كأنَّه الفضَّةُ، فخرَج منه خارجٌ فنادَى: أين محمدُ بنُ عبدِ اللَّهِ؟ أين رسولُ اللَّهِ ﷺ؟ إذ أقبَل رسولُ اللَّهِ ﷺ حتى دخَل ذلك القصرَ، ثم خرَج آخرُ فنادَى: أين أبو بكرٍ الصِّدِّيقُ؟ فأقبَل فدخَلَ، ثم خرَج آخرُ فنادَى: أين عمرُ بنُ الخطَّابِ؟ فأقبلَ فدخَل، ثم خرَج آخرُ فنادَى: أين عثمانُ ابنُ عفَّانَ؟ فأقبلَ فدخَل، ثم خرَج آخرُ فنادَى: أين علىُّ بنُ أبى طالبٍ؟ فأقبَلَ فدخَل، ثم خرَج آخرُ فنادَى: أين عمرُ بنُ عبدِ العزيزِ؟ فقمتُ فدخَلْتُ فجَلَسْتُ إلى جانبِ أبى عمرَ بنِ الخطَّابِ، وهو عن يسارِ رسولِ اللَّهِ ﷺ، وأبو بكرٍ عن يمينِه، وبينَه وبينَ رسولِ اللَّهِ ﷺ رجلٌ، فقُلْتُ لأبى: مَن هذا؟ قال: هذا عيسى ابنُ مريمَ. ثم سمِعتُ هاتفًا يهتِفُ، بينى وبينَه نورٌ لا أَراه، وهو يقولُ:

(١ - ١) زيادة من ا ٢، ب، م، ص. وانظر صفة الصفوة ٢/ ١٢٥.

(٢) سقط من: م.

(٣) فى ا ٢، ب، م، ص: «تكدح».

(٤) بعده فى ا ٢، ب، ، ص: «فلا أنت فى النوام يومًا بسالمٍ ولا أنت فى الأيقاظِ يقظانُ حازمُ».

(٥) أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ٣١٦/١٣، ٣١٧ (مخطوط)، من طريق ابن أبى الدنيا به.

(٦) بعده فى ا ٢، ب، م، ص: «الليلة».

(٧) فى ا ٢، ب، م، ص: «عجيبة».

(٨) سقط من: ا ٢، ب، م، ص.

يا عمرُ بنَ عبدِ العزيزِ ، تَمَسَّكْ بما أنتَ عليه ، واثبُتْ على ما أنتَ عليهِ . قال[1] : ثم كأنَّه أذِن لى فى الخُرُوجِ فخرَجتُ ، فالتفَتُّ فإذا عثمانُ بنُ عفَّانَ وهو خارجٌ مِن القصرِ ، وهو يقولُ : الحمدُ للَّهِ الذى نصَرنى ربِّى ، وإذا علىٌّ فى إثْرِه ، وهو يقولُ : الحمدُ للَّهِ الذى غفَر لى ربِّى .

فصل

وقد ذكَرْنا[2] فى « دلائلِ النبوةِ » الحديثَ الذى رواه أبو داودَ فى سُننِه أنَّ رسولَ اللَّهِ ﷺ قال : « إنَّ اللَّهَ يبعَثُ لهذه الأُمَّةِ على رأسِ كلِّ مائةِ سنةٍ مَن يُجدِّدُ لها أمْرَ دينِها » . فقال جماعةٌ مِن أهلِ العلمِ منهم أحمدُ بنُ حنبلٍ - فيما ذكَره ابنُ الجوزىِّ[3] وغيرُه -: إنَّ عمرَ بنَ عبدِ العزيز كان على رأسِ المائةِ الأُولى . [4]وقال آخَرون : هو مِن جملةِ مَن جدَّد اللَّهُ به أمرَ الدينِ على رأسِ المائةِ الأُولى[4] ، وإن كان هو أَوْلى مَن دخَل فى ذلك وأحقَّ ؛ لإمامتِه ، وعمومِ ولايتِه ، واجتهادِه وقيامِه فى تنفيذِ الحقِّ ، فقد كانت سيرتُه شبيهةً بسيرةِ عمرَ بنِ الخطَّابِ ، وكان كثيرًا ما يتشبَّه به . وقد جمَع الشَّيخُ أبو الفرجِ ابنُ الجوزىِّ سيرةَ العُمرين[5] ؛ عمرَ بنِ الخطابِ ، وعمرَ بنِ عبدِ العزيزِ ، وقد أفرَدْنا سيرةَ عمرَ بنِ الخطَّابِ فى مجلدٍ على حِدَةٍ ، ومسندُه فى مجلَّدٍ ضخمٍ ، وأما سيرةُ عمرَ بنِ

---

(١) سقط من : ا ٢، ب ، م، ص .
(٢) تقدم فى ٩/ ٣٠٣.
(٣) صفة الصفوة ٢/ ١١٣.
(٤ - ٤) سقط من : ا ٢، ب ، م، ص .
(٥) سقط من : ا ٢، م .

عبدِ العزيزِ فقد ذكَرنا منها طرفًا صالحًا هنا ، يُستدَلُّ به على ما لم نذكُرْه .

وقد كان عمرُ رحِمه اللَّهُ يُعطِى مَنِ انقطَع إلى المسجدِ الجامعِ ، مِن بلدِه وغيرِها ، للفقهِ [١٧٨/٧و] ، ونشرِ العلمِ ، وتلاوةِ القرآنِ ، فى كلِّ عامٍ من بيتِ المالِ مائةَ دينارٍ ، وكان يكتُبُ إلى عمالِه أن يأخذوا الناسَ[1] بالسُّنَّةِ ، ويقولُ : إن لم تُصلِحْهم السُّنةُ فلا أصلَحهم اللَّهُ . وكتَب إلى سائرِ البلادِ أن لا يركَبَ ذميٌّ مِن اليهودِ والنصارى وغيرِهم على سَرْجٍ ، ولا يلبَسَ قَبَاءً ولا طيلسانًا[2] ولا السراويلَ[3] ولا يمشِيَنَّ أحدٌ منهم إلا بزُنَّارٍ من جلدٍ ، وهو مقرونُ الناصيةِ ، ومن وُجِد منهم فى منزلِه سلاحٌ أُخِذَ منه . وكتَب أيضًا أن لا يُستعمَلَ على الأعمالِ إلا أهلُ القرآنِ ، فإنْ لم يكنْ عندَهم خيرٌ فغيرُهم أولى أن لا يكونَ عندَه خيرٌ . وكان يكتُبُ إلى عمالِه : اجتنبوا الأشغالَ عند حضورِ الصلواتِ ، فإنَّ مَن أضاعَها فهو لِمَا سواهامِن شرائعِ الإسلامِ أشدُّ تضييعًا . وقد كان يكتُبُ الموعظةَ إلى العاملِ مِن عمالِه فينخلعُ[4] بها قلبُه[4] ، وربما عزَل بعضُهم نفسَه عن العمالةِ[5] مِن شدَّةِ ما تقعُ موعظَتُه منه ، وذلك أنَّ الموعظةَ إذا خرَجت مِن قلبِ الواعظِ دخلتْ قلبَ الموعوظِ . وقد صرَّح كثيرٌ مِن الأئمةِ بأنَّ كلَّ مَن استعمَله عمرُ بنُ عبدِ العزيزِ ثقةٌ ، وقد كتَب إليه الحسنُ البصريُّ بمواعظَ حِسانٍ ولو تقصَّينا ذلك لطال هذا الفصلُ ، ولكن قد ذكرنا ما فيه إشارةٌ إلى ذلك . وكتَب إلى بعضِ

---

(١) سقط من : م .

(٢) الطيلسان : ضرب من الأوشحة يلبس على الكتف أو يحيط بالبدن خال عن الخياطة . أو هو ما يعرف فى العامية المصرية بالشال . الوسيط (ط ل س) .

(٣) بعده فى الأصل : « ذات حدبه » .

(٤ - ٤) فى ا ٢، ب ، م ، ص : « منها » .

(٥) بعده فى ا ٢، ب ، م ، ص : « وطوى البلاد » .

عمالِه[1] : [2]أما بعدُ ، فإنّى[2] أذكِّرُك ليلةً تمخَّضُ بالساعةِ فصباحُها القيامةُ ، فيا لَها من ليلةٍ ويا لَه مِن صباحٍ ، وكان يومًا على الكافرين عسيرًا . وكتَب إلى آخرَ[3] : أذكِّرُك طولَ سهرِ أهلِ النارِ فى النارِ مع خلودِ الأبدِ ، وإياك أن يُنصَرَفَ بك من عندِ اللَّهِ فيكونَ آخرَ العهدِ بك ، وانقطاعَ الرجاءِ منك . قالوا : فخلَع هذا العاملُ نفسَه مِن العمالةِ ، وقدِم على عمرَ ، فقال له : ما لك ؟ فقال : خلَعتَ قلبى بكتابِك يا أميرَ المؤمنين ، واللَّهِ لا أعودُ إلى ولايةٍ أبدًا .

فصـــلٌ

وقد ردَّ جميعَ المظالمِ كما قدَّمنا ، حتى إنَّه ردَّ فَصَّ خَاتَمٍ كان فى يدِه ؛ قال : أعطانيه الوليدُ مِن غيرِ حقِّه . وخرَج مِن جميعِ ما كان فيه مِن النَّعيمِ فى الملبَسِ والمأكلِ والمتاعِ ، حتى إنَّه ترَك التمتُّعَ بزوجتِه الحسناءِ ، فاطمةَ بنتِ عبدِ الملكِ ، يقالُ : كانت مِن أحسنِ النساءِ[4] . ويقالُ : إنَّه ردَّ جهازَها وما كان من أموالِها إلى بيتِ المالِ . واللَّهُ أعلمُ . وقد كان دَخْلُه فى كلِّ سنةٍ قبلَ أن يلِىَ الخلافةَ أربعين ألفَ دينارٍ ، فترَك ذلك كلَّه حتى لم يبقَ له دَخْلٌ سوى أربعِمائةِ دينارٍ فى كلِّ سنةٍ ، وكان حاصلُه فى خلافتِه ثلاثَمائةِ درهمٍ ، وكان له مِن الأولادِ جماعةٌ ، وكان ابنُه عبدُ الملكِ أجلَّهم ، فمات فى حياتِه فى زمنِ خلافتِه ، [٧/١٧٨ظ] حتى يقالَ[5] : إنَّه كان خيرًا من أبيه . فلما مات لم يَظْهَرْ عليه حزنٌ ،

(١) سيرة ومناقب عمر بن عبد العزيز لابن الجوزى ص ١٢٣.

(٢ - ٢) سقط من : ا ٢، ب ، م ، ص .

(٣) المصدر السابق ص ١٢٠.

(٤) فى الأصل : « الناس وبنت عم أمير المؤمنين عبد الملك بن مروان » .

(٥) المصدر السابق ص ٢٩٩.

وقال[1] : أمرٌ رَضِيَه اللَّهُ فلا أكرهُه . (٢وكان قبلَ الخلافةِ يُؤتَى بالقميصِ الرفيعِ اللينِ جدًّا ، فيقولُ : ما أحسنَه لولا خشونةٌ فيه . فلمَّا ولِى الخلافةَ٢) كان بعدَ ذلك يلبَسُ القميصَ الغليظَ المرقوعَ ولا يغسِلُه حتى يتسِخَ جدًّا ، (٢ويقولُ : ما أحسنَه لولا لينُه٢) . وكان يلبَسُ الفروةَ الغليظةَ ، وكان سِراجُه على ثلاثِ قصباتٍ فى رأسِهنَّ طينٌ ، ولم يبنِ شيئًا فى أيامِ خلافتِه . وكان يخدُم نفسَه بنفسِه ، وقال : ما تركتُ شيئًا مِن الدنيا إلا عوَّضَنى اللَّهُ ما هو خيرٌ منه . وكان يأكُلُ الغليظَ (٣من الطعامِ أيضًا٣) ، ولا يُبالى بشىءٍ مِن النَّعيمِ ، ولا يُتْبِعُه نفسَه ولا يودُّه ، حتى قال أبو سليمانَ الدارانىُّ[4] : كان عمرُ بنُ عبدِ العزيزِ أزهدَ من أُوَيسٍ القرنىِّ ؛ لأن عمرَ ملَك الدنيا بحذافيرِها وزهِد فيها ، ولا ندرِى حالَ أويسٍ لو ملَك ما ملَكه عمرُ كيف يكونُ ؟ ليس مَن جرَّب كمنْ لم يجرِّبْ . وتقدَّم قولُ مالكِ بنِ دينارٍ : (٣الناسُ يقولون : مالكٌ زاهدٌ٣) . إنما الزاهدُ عمرُ بنُ عبدِ العزيزِ ؛ (٣أتته الدنيا فاغرةً فاها فردَّها٣) . وقال عبدُ اللَّهِ بنُ دينارٍ : لم يكنْ عمرُ يرتزِقُ مِن بيتِ المالِ شيئًا .

وذكروا أنَّه أمَر جاريةً تروِّحُه حتى ينامَ فروَّحته ، فنامت هى ، فأخَذ المروحةَ مِن يدِها وجعَل يروِّحُها ، ويقولُ : أصابكِ مِن الحرِّ ما أصابنى . وقال له رجلٌ : جزاكَ اللَّهُ عن الإسلامِ خيرًا . فقال : بل جزَى اللَّهُ الإسلامَ عنِّى خيرًا . ويقالُ : إنه كان يلبَسُ تحت ثيابِه مِسْحًا غليظًا من شعرٍ ، ويضَعُ فى رقبتِه غُلًّا إذا قام يصلِّى من الليلِ ، (٥ثم إذا أصبَح وضعَه فى مكانٍ وختَم عليه فلا يشعُرُ به أحدٌ ، وكانوا يظُنُّونه مالًا أو جوهرًا من حرصِه عليه ، فلما مات فتَحوا ذلك المكانَ فإذا فيه غُلٌّ ومِسْحٌ٥) .

---

(١) سيرة ومناقب عمر بن عبد العزيز لابن الجوزى ص ٣٠٤ بنحوه.

(٢ - ٢) زيادة من : ا ٢، ب ، م ، ص ، وانظر سيرة ومناقب عمر لابن الجوزى ص ١٧٦.

(٣ - ٣) سقط من : ا ٢، ب ، م ، ص .

(٤) سيرة ومناقب عمر بن عبد العزيز لابن الجوزى ص ١٨٤.

(٥ - ٥) زيادة من : ا ٢، ب ، م ، ص .

وكان يبكِى حتى بكَى الدمَ مع[1] الدموعِ ، ويقالُ : إنه بكَى فوقَ سطحٍ حتى سالَ دمعُه من الميزابِ . وكان يأكلُ من العدسِ ليرقَّ قلبُه وتغزُرَ دمعتُه ، وكان إذا ذكَر الموتَ اضطَرَبتْ أوصالُه ، وقرأ رجلٌ عندَه : ﴿ وَإِذَآ أُلْقُوٓا۟ مِنْهَا مَكَانًا ضَيِّقًا مُّقَرَّنِينَ ﴾ الآية [الفرقان : ١٣] . فبكَى بكاءً شديدًا ثم قام فدخَل منزلَه وتفرَّق الناسُ عنه ، وكان يُكثِرُ أن يقولَ : اللهمَّ سلِّمْ سلِّمْ . وكان يقولُ : اللهمَّ أصلِحْ مَن كان فى صلاحِه صلاحٌ لأمةِ محمدٍ ﷺ ، وأهلِكْ مَن كان فى هلاكِه صلاحُ أمةِ محمدٍ ﷺ . وقال[2] : أفضلُ العبادةِ أداءُ الفرائضِ ، واجتنابُ المحارمِ . وقال : لو أنَّ المرءَ لا يأمرُ بالمعروفِ ولا ينهى عنِ المنكرِ حتى يُحْكِمَ أمرَ نفسِه[3] لذهَب الأمرُ بالمعروفِ والنهىُ عن المنكرِ ، ولقلَّ الواعظون والساعون للَّهِ بالنصيحةِ . وقال : الدنيا عدوةُ أولياءِ اللَّهِ ، و[4] أعداءِ اللَّهِ ، أما الأولياءُ فغمَّتهم[5] ، وأما الأعداءُ فغرَّتهم[6] . وقال[7] : قد أفلَح من عُصِم من المِراءِ والغضبِ والطمعِ . وقال لرجلٍ : من سيِّدُ قومِك ؟ قال : أنا . قال : لو كنتَ كذلك [١٧٩/٧و] لم تقُلْه . وقال : أزهدُ الناسِ فى الدنيا علىُّ بنُ أبى طالبٍ . وقال : لقد بُورِك لعبدٍ فى حاجةٍ أكثرَ فيها مِنَ الدعاءِ ، أُعطى أو مُنِع . وقال : قيِّدوا العلمَ بالكتابِ . وقال لرجلٍ : علِّمْ ولدَك الفقهَ الأكبرَ : القناعةَ وكفَّ الأذى . وتكلَّم رجلٌ عندَه فأحسَن ، فقال : هذا هو السِّحرُ الحلالُ . وقصَّتُه مع

---

(١) فى م : « من » .
(٢) حلية الأولياء ٥/ ٢٩٦ .
(٣) بعده فى ا ٢ ، ب ، م ، ص : « لتواكل الناس الخير » .
(٤) بعده فى م : « ولية » .
(٥) بعده فى ا ٢ ، ب ، م ، ص : « وأحزنتهم » .
(٦) بعده فى ا ٢ ، ب ، م ، ص : « وشتتهم وأبعدتهم عن اللَّه » . وانظر جمهرة رسائل العرب ٢/ ٣١٨ .
(٧) حلية الأولياء ٥/ ٢٩٠ ، وسيرة ومناقب عمر بن عبد العزيز لابن الجوزى ص ٢٧٣ .

أبى حازمٍ مطَّولةً[1] حين رآه خليفةً[2] وقد شحَب وجهُه من التقشُّفِ، وتغيَّر حالُه، فقال له: ألم يكن ثوبُك نقيًّا؟ ووجهُك وضيًّا؟ وطعامُك شهيًّا؟ ومركبُك وطيًّا؟ فقال له: ألم تُخبِرْنى عن أبى هريرةَ أنَّ رسولَ اللَّهِ ﷺ قال: «إنَّ مِن ورائِكم عقبةً كئودًا لا يجُوزُها إلا كلُّ ضامرٍ مهزولٍ»؟ ثم بكَى حتى غُشِيَ عليه، ثم أفاق فذكَر أنَّه رأى فى غشيتِه تلك أنَّ القيامةَ قد قامتْ، وقد استُدعِيَ بكلٍّ من الخلفاءِ الأربعةِ، فأُمِر بهم إلى الجنةِ، ثم ذكَر مَن بينه وبينهم فلم يدرِ ما صُنع بهم، ثم دُعِىَ هو فأُمِر به إلى الجنةِ، فلما انفصَل لقِيَه سائلٌ فسَأله عمَّا كان من أمرِه فأخبَره، ثم قال للسائلِ: فمَن أنت؟ قال: أنا الحجَّاجُ ابنُ يوسفَ، قتَلَنى ربى بكُلِّ قَتلةٍ قَتلةً، ثم ها أنا أنتظِرُ ما ينتظِرُه الموحدون. وفضائِلُه ومآثرُه كثيرةٌ جدًّا، وفيما ذكرنا كفايةٌ، وللَّهِ الحمدُ والمِنَّةُ وهو حسبُنا ونعمَ الوكيلُ.

ذكرُ سببِ وفاتِه رَحِمه اللّهُ

كان سببُها السلَّ[3]، وقيل[4]: سببُها أن مَولًى له سمَّه فى طعامٍ، أو شرابٍ، وأُعطِى على ذلك ألفَ دينارٍ. فحصَل له بسببِ ذلك مرضٌ، فأُخبِر أنَّه مسمومٌ، فقال: لقد عَلِمتُ يومَ سُقِيتُ السُّمَّ. ثم استَدعَى مولاه الذى سقاه، فقال له:

(١) حلية الأولياء ٥/ ٢٩٩. وسيرة ومناقب عمر ص ٢٧٩.
(٢) فى الأصل: «فى زمن الخلافة».
(٣) تاريخ دمشق ١٣/ ٣٣٠ (مخطوط).
(٤) تاريخ دمشق ١٣/ ٣١٨ (مخطوط).

ويْحَك ، ما[1] حمَلك على ما صنَعتَ ؟ فقال : ألفُ دينارٍ أُعطِيتُها . فقال : هاتِها . فأَحضَرها فوضَعها فى بيتِ المالِ ، ثم قال له : اذهَبْ حيثُ لا يراك أحدٌ فتهلِكَ .

ثم قيل لعمرَ[2] : تدارَكْ نفسَك . فقال : واللَّهِ لو أنَّ شفائى أنْ أمسَحَ[3] شحمةَ أُذُنى ، أو أُوتَى بطيبٍ فأَشُمَّه ما فعلتُ . فقيل له[4] : هؤلاءِ بَنُوك - وكانوا اثنَىْ عشَرَ - ألَا تُوصِى لهم بشىءٍ ؛ فإنَّهم فقراءُ ؟ فقال : ﴿ إِنَّ وَلِـِّۧىَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْكِتَٰبَ وَهُوَ يَتَوَلَّى ٱلصَّٰلِحِينَ ﴾ [الأعراف : ١٩٦] . واللَّهِ لا أُعطِيهم حقَّ أحدٍ ، وهم بينَ رجُلينِ ؛ إمَّا صالحٌ فاللَّهُ يتولَّى الصالحينَ ، وإمّا غيرُ صالحٍ فما كنتُ لأعينَه على فسقِه - وفى روايةٍ[5] : فلا أُبالى فى أىِّ وادٍ هلَك . وفى روايةٍ[6] : أفأدَعُ له ما يستعينُ به على معصيةِ اللَّهِ ، فأكونَ شريكَه فيما يعمَلُ بعدَ الموتِ ؟ ما كنتُ لأفعَلَ - ثم استدعَى بأولادِه فودَّعهم وعزّاهم بهذا ، وأوْصاهم بهذا الكلامِ ، ثم قال : انصرِفوا عصَمَكمُ اللَّهُ ، وأحسَن الخلافةَ عليكم . قال[7] : فلقد رأَينا بعضَ أولادِ عمرَ بنِ عبدِ العزيزِ يحمِلُ على ثمانين فرَسًا فى سبيلِ اللَّهِ ، وكان بعضُ أولادِ سليمانَ بنِ عبدِ الملكِ - مع كثرةِ ما ترَك لهم من الأموالِ - يتعاطَى ويسألُ مِن أولادِ عمرَ بنِ عبدِ العزيزِ ؛ لأنَّ عمرَ وكَل ولدَه إلى اللَّهِ عزَّ وجلَّ ، وسليمانُ وغيرُه إنَّما يَكِلون أولادَهم إلى ما يدَعون لهم مِن الأموالِ الفانيةِ ، فيضِيعون وتذهَبُ أموالُهم فى شهواتِ أولادِهم .

---

(١) بعده فى ا ٢، ب ، ص : « الذى » .
(٢) تاريخ دمشق ١٣/٣١٧، ٣١٨ (مخطوط) .
(٣) فى م : « أمس » .
(٤) حلية الأولياء ٥/ ٣٣٣، ٣٣٤، وتاريخ دمشق ١٣/٣١٨، ٣١٩ (مخطوط) .
(٥) تاريخ دمشق ٣١٨/١٣ (مخطوط) بنحوه .
(٦) تاريخ دمشق ٣١٩/١٣ (مخطوط) بنحوه .
(٧) سيرة عمر لابن الجوزى ص ٣٣٨ وفيه : « ولا من ولد هشام بدلًا من بعض أولاد سليمان » .

وقال يعقوبُ بنُ سفيانَ[1] : ثنا أبو النعمانِ ، ثنا حمّادُ بنُ زيدٍ ، عن أيوبَ ، قال : قيل لعمرَ بنِ عبدِ العزيزِ : يا أميرَ المؤمنين ، لو أتيتَ المدينةَ ، [١٧٩/٧ظ] فإن قضَى اللَّهُ موتًا دفِنتَ فى القبرِ الرابعِ مع رسولِ اللَّهِ ﷺ ، وأبى بكرٍ ، وعمرَ . فقال : واللَّهِ لأن يُعذِّبَنى اللَّهُ بكلِّ عذابٍ ، إلّا النارَ - فإنّه لا صبرَ لى عليها - أحبُّ إلىَّ مِن أن يعلَمَ اللَّهُ مِن قلبى أنِّى لذلك الموضِعِ أهلٌ .

قالوا[2] : وكان مرضُه بدَيرِ سمعانَ مِن قُرى حِمصَ ، وكانت مدةُ مرضِه عشرين يومًا .

ولـمّا احتُضِر قال[3] : أجلِسونى . فأجلَسوه ، فقال : إلَهى ، أنا الذى أمَرتَنى فقصَّرتُ ، ونهَيتَنى فعصَيتُ - ثلاثًا - ولكنْ لا إلهَ إلّا اللَّهُ . ثم رفَع رأسَه فأحَدَّ النظرَ ، فقالوا : إنَّك لتنظُرُ نظرًا شديدًا يا أميرَ المؤمنين . فقال : إنِّى لأرَى حضَرةً ما هم بإنسٍ ولا جانٍّ . ثم قُبِض مِن ساعتِه . وفى روايةٍ أنَّه قال لأهلِه : اخرُجوا عنِّى . فخرَجوا وجلَس على البابِ مسلَمةُ بنُ عبدِ الملكِ ، وأختُه فاطمةُ ، فسمِعوه يقولُ : مرحبًا بهذه الوجوهِ التى ليست بوجوهِ إنسٍ ولا جانٍّ ، ثم قرأ : ﴿ تِلْكَ ٱلدَّارُ ٱلْأَخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴾ [القصص : ٨٣] . ثم هدَأ الصوتُ ، فدَخَلوا عليه فوجَدوه قد غمَّض ، وسوِّى إلى القِبلةِ ، وقبِض .

وقال أبو بكرِ بنُ أبى شيبةَ[4] : ثنا عبدُ الملكِ بنُ عبدِ العزيزِ ، عن الدَّراوَرْدِىِّ ،

---

(١) المعرفة والتاريخ ١/ ٦٠٨.

(٢) طبقات ابن سعد ٥/ ٤٠٨ بنحوه .

(٣) حلية الأولياء ٥/ ٣٣٥.

(٤) أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ١٣/ ٣٢٢ (مخطوط) ، من طريق أبى بكر بن أبى شيبة به .

عن عبدِ العزيزِ بنِ أبى سلَمةَ ، أن عمرَ بنَ عبدِ العزيزِ لمّا وضِع عندَ قبرِه هبَّتْ ريحٌ شديدةٌ ، فسقَطتْ صحيفةٌ بأحسنِ كتابٍ فقرَءوها فإذا فيها : بسم اللَّهِ الرَّحمـٰنِ الرحيمِ ، براءةٌ مِن اللَّهِ لعمرَ بنِ عبدِ العزيزِ مِن النارِ . فأدخَلوها بينَ أكفانِه ، ودفَنوها معَه . وروِى نحوُ هذا مِن وجهٍ آخرَ[1] .

ورَوَى ابنُ عساكِرَ فى ترجمةِ عبدِ الصمدِ بنِ إسماعيلَ بسندِه[2] ، عن عميرِ ابنِ الحُبَابِ[3] السُّلَمىِّ ، قال : أسِرتُ أنا وثمانيةٌ فى زمانِ بنى أميَّةَ ، فأمَر ملِكُ الرومِ بضربِ رقابِنا ، فقتِل أصحابى ، وشفَع فىَّ بِطْريقٌ مِن بطارقةِ الملكِ ، فأطلَقنى له ، فأخَذنى إلى منزلِه ، وإذا له ابنةٌ مثلُ الشمسِ ، فعرَضها علىَّ ، وعلى أن يُقاسِمَنى نعمتَه ، وأدخُلَ معه فى دينِه ، فأبَيتُ ، وخلَتْ بى ابنتُه فعرَضتْ نفسَها علىَّ فامتنَعتُ ، فقالت : ما يمنَعُك مِن ذلك ؟ فقلتُ : يمنَعُنى دِينى ، فلا أترُكُ دِينى لامرأةٍ ولا لشىءٍ . فقالت : تريدُ الذَّهابَ إلى بلادِكَ ؟ قلتُ : نعم . فقالت : سِرْ على هذا النَّجمِ بالليلِ ، واكمُنْ بالنَّهارِ ؛ فإنَّه يُلقِيك إلى بلادِك . قال : فسِرتُ كذلك . قال : فبينَا أنا فى اليومِ الرابعِ مُكمِنٌ ، وإذا بخَيلٍ مُقبِلةٍ فخشِيتُ أن تكونَ فى طلَبى ؛ فإذا أنا بأصحابى الذين قتِلوا ، ومعهم آخَرون على دوابَّ شُهْبٍ ، فقالوا : عُميرٌ ؟ فقلتُ : [٧/١٨٠و] عُميرٌ ، فقلتُ : أَوَ ليس قد قتِلتُم ؟ قالوا : بلى ، ولكنَّ اللَّهَ ، عزَّ وجلَّ ، نشَر الشهداءَ ، وأذِن لهم أن يشهَدوا جِنازةَ عمرَ بنِ عبدِ العزيزِ . قال : ثم قال لى بعضُهم : ناوِلْنى يدَك يا عُميرُ ، فأردَفنى ، فسِرْنا يسيرًا ، ثم قذَف بى قَذْفةً وقَعْتُ قُرْبَ مَنزِلى بالجَزيرةِ ، مِن غيرِ

---

(١) طبقات ابن سعد ٥/ ٤٠٧، وسير أعلام النبلاء ٥/ ١٤٣.

(٢) تاريخ دمشق ١٠/ ٣٢٩ (مخطوط) عنه به .

(٣) فى النسخ : « حبيب » . والمثبت من مصدر التخريج ، وانظر معجم الشعراء ص ٧٤، والإكمال ٢/ ١٤٥.

أن يكونَ لحِقَنى شرٌّ.

وقال رجاءُ بنُ حيْوةَ[1] : كان عمرُ بنُ عبدِ العزيزِ قد أوصَى إلىَّ أن أغسِّلَه وأُكفِّنَه ، [2]وأدفِنَه[2] فإذا حلَلتُ عُقدةَ الكفَنِ ، أنْ أنظُرَ فى وجهِه ، قال : فلمّا فعلتُ ذلك إذا وجهُه كالقراطيسِ بياضًا ، وكان قد أخبرَنى أنَّه [3]دَفَن ثلاثةً[3] مِن الخلفاءِ فيَحُلُّ عن وجوهِهم فإذا هى مسودَّةٌ.

وروَى ابنُ عساكرَ فى ترجمةِ يوسفَ بنِ ماهكٍ قال[4] : بينَما نحن نسوِّى الترابَ على قبرِ عمرَ بنِ عبدِ العزيزِ ، إذ سقَط علينا مِن السماءِ كتابٌ فيه : بسمِ اللَّهِ الرحمنِ الرحيمِ ، أمانٌ مِن اللَّهِ لعمرَ بنِ عبدِ العزيزِ مِن النارِ . ساقه مِن طريقِ إبراهيمَ بنِ بشّارٍ ، عن عبّادِ بنِ عمرٍو ، عن محمدِ بنِ يزيدَ البصرىِّ ، عن يوسفَ ابنِ ماهكٍ فذكَره ، وفيه غرابةٌ شديدةٌ . واللَّهُ أعلَمُ . وقد رئِيتْ له مناماتٌ صالحةٌ ، وتأسَّف عليه الخاصةُ والعامةُ ، لاسيَّما العلماءُ والزهادُ والعُبّادُ . ورثاه الشعراءُ ؛ فمِن ذلك ما أنشَده أبو عمرٍو الشَّيبانىُّ لكُثيِّرِ عزَّةَ يرثِى عمرَ بنَ عبدِ العزيزِ[5] :

عمَّت صنائِعُه فعَمَّ هلاكُه ... فالناسُ فيه كُلُّهم مأجُورُ
والناسُ مأتَمُهم عليه واحدٌ ... فى كُلِّ دارٍ رَنَّةٌ وزفيرُ
يُثْنِى عليكَ لسانُ مَن لم تُولِه ... خيرًا لأنكَ بالثَّناءِ جديرُ
ردَّتْ صنائعُه عليه حياتَه ... فكأنَّه مِن نَشْرِها منشورُ

(1) طبقات ابن سعد ٥/ ٤٠٧.
(٢ - ٢) سقط من : م .
(٣ - ٣) فى ا ٢، ب ، م، ص : « كل من وقته قبله » .
(٤) مختصر تاريخ دمشق ٢٨/ ٩٢.
(٥) شرح ديوان كثير عزة ص ٥٢٩، مع تقديم وتأخير فى الأبيات واختلاف فى بعض ألفاظها .

وقال جريرٌ يرثِى عمرَ بنَ عبدِ العزيزِ، رحِمه اللَّهُ تعالى[1]:

ينعَى النعاةُ أميرَ المؤمنيـنَ لنا يا خيرَ مَن حجَّ بيتَ اللَّهِ واعتمَرا

حمِّلتَ أمرًا عظِيمًا[2] فاضطلعتَ به[2] وقمتَ فيهِ بأمرِ اللَّهِ يا عُمَرَا

الشَّمسُ كاسِفةٌ[3] ليستْ بطالِعةٍ[4] تبكِي عليك نجومَ الليلِ والقَمرَا

وقال مُحاربُ بنُ دِثارٍ[5] رحِمه اللَّهُ يرثِى عمرَ بنَ عبدِ العزيزِ، رحِمه اللَّهُ تعالى:

لو أعظَمَ الموتُ خَلْقًا أن يواقِعَهُ لعَدلِه لم يُصبْكَ الموتُ يا عمرُ

كم مِن شريعةِ عدلٍ قد نعَشتَ لهمْ كادتْ تموتُ وأخرَى مِنك تُنتظَرُ

يا لهفَ نفسى ولهفَ الواجدينَ معى على العُدولِ التى تَغْتالُها الحفَرُ

ثلاثةٌ ما رأتْ عينى لهم شبَهًا تضُمُّ أعظُمَهمْ فى المسجدِ الـحُفَرُ

وأنتَ تتبَعُهمْ لم[6] تألُ مجتهِدًا سُقيًا[7] لها سنَنٌ بالحقِّ تفتقِرُ

لو كنتُ أملِكُ والأقدارُ غالبةٌ تأتِى رَواحًا وتِبيانًا وتبتكِرُ

صرَفتُ عَن عمرَ الخيراتِ مصرَعَهُ بدَيرِ سمعانَ لكنْ يغلِبُ القدرُ

قالوا[8]: وكانت وفاتُه بدَيرِ سمعانَ مِن أرضِ حِمصَ، يومَ الخميسِ، وقيل:

---

(١) شرح ديوان جرير ص ٣٠٤.

(٢ - ٢) فى الديوان: «فاضطربت له».

(٣) فى الأصل: «طالعة».

(٤) فى الأصل: «كاسفة».

(٥) تاريخ دمشق ٣٢٥/١٣ (مخطوط)، وسيرة ومناقب عمر ص ٥٣٥.

(٦) فى الأصل، ١ ٢، ب، ص: «لا»، والمثبت موافق لسيرة ومناقب عمر.

(٧) فى سيرة عمر: «سعيا».

(٨) تاريخ الطبرى ٥٦٥/٦، وتاريخ دمشق ٣٢٦/١٣ - ٣٢٨ (مخطوط)، وتاريخ الخلفاء ٢٤٦.

الجُمُعةِ لخمسٍ مضَين . وقيل : بقِين مِن رجبٍ . وقيل : لعشْرٍ بقِين من رجبٍ سنةَ إحدى . وقيل : ثنتين ومائةٍ . [١] واللَّهُ أعلمُ .

وقال الهيثمُ بنُ عدِيٍّ[٢] : توفِّي في جُمادَى سنةَ ثنتين ومائةٍ[١] . وصلى عليه ابنُ عمِّه مسلمةُ بنُ عبدِ الملكِ . وقيل : صلَّى عليه يزيدُ بنُ عبدِ الملكِ . وقيل : ابنُه عبدُ العزيزِ بنُ عمرَ بنِ عبدِ العزيزِ . وكان عمرُه يومَ مات تسعًا وثلاثين سنةً وأشهُرًا ، وقيل : إنه جاوز الأربعين بأشهرٍ . وقيل : بسنةٍ . وقيل : بأكثرَ . وقيل : إنه عاش ثلاثًا وثلاثين[٢] سنةً . وقيل : ستًّا وثلاثين . وقيل : سبعًا وثلاثين . وقيل : ثمانٍ وثلاثين سنةً . وقيل : ما بينَ الثلاثين إلى الأربعين ولم يبلُغْها .

وقال أحمدُ عن عبدِ الرزاقِ عن معمرٍ[٤] : مات عمرُ[٣] على رأسِ خمسٍ وأربعين سنةً . قال ابنُ عساكرَ : وهذا وهمٌ ، والصحيحُ الأوَّلُ ، يعنى[٣] تسعًا وثلاثين سنةً وأشهرًا . وكانت خلافتُه سنتين وخمسةَ أشهرٍ وأربعةَ أيامٍ . وقيل : وأربعةَ عشَر يومًا . وقيل : سنتان ونِصفٌ .

وكان رحِمه اللَّهُ أسمرَ دقيقَ الوجهِ حسَنَه ، نحيفَ الجسمِ حسَنَ اللحيةِ ، غائرَ العينين ، بجبهتِه أثرُ شَجَّةٍ ، وكان قد شاب وخضَب ، رحِمه اللَّهُ ، واللَّهُ سبحانه أعلمُ[٧] .

(١ - ١) سقط من : م .
(٢) تهذيب الكمال ٢١/ ٤٤٦.
(٢) في م : « وستين » .
(٣) سقط من : م .
(٤) تاريخ دمشق ١٣/ ٣٣٠ (مخطوط) .
(٧) بعده في : م ، ص زيادة وهى من زيادات الناسخ .

خلافةُ يزيدَ بنِ عبدِ الملكِ[1]

بويع له بعهدٍ مِن أخيه سليمانَ بنِ عبدِ الملكِ ، أن يكونَ وليَّ العهدِ مِن بعدِ عمرَ بنِ عبدِ العزيزِ ، فلمّا توفِّى عمرُ فى رجبٍ مِن هذه السنةِ - أعِنى سنةَ إحدى ومائةٍ - بايعَه الناسُ البيعةَ العامَّةَ ، وعمرُه إذ ذاك تسعٌ وعشرون سنةً ، فعزَل فى رمضانَ منها عن إمرةِ المدينةِ أبا بكرِ بنَ محمدِ بنِ عمرِو بنِ حزمٍ ، وولَّى عليها عبدَ الرحمنِ بنَ الضَّحَّاكِ بنِ قيسٍ ، فجَرت بينَه وبينَ أبى بكرِ بنِ حزمٍ ، منافساتٌ وضغائنُ ، حتى آلَ الأمرُ إلى أنِ استدرَك عليه حكومةً فحدَّه حدَّين فيها .

وفيها كانت وقعةٌ بينَ الخوارجِ ، وهم أصحابُ بِسطامَ الخارجىِّ ، وبينَ جندِ الكوفةِ ، وكانتِ الخوارجُ جماعةً قليلةً ، وكان جيشُ الكوفةِ نحوًا مِن عشَرةِ آلافِ فارسٍ ، فكادتِ الخوارجُ أن تكسِرَهم ، فتذامَروا فيما بينَهم ، فطحَنوا الخوارجَ طحنًا عظيمًا ، وقتَلوهم عن آخرِهم ، فلم يُبْقُوا منهم ثائرًا[2] .

وفيها خرَج يزيدُ بنُ المهلَّبِ ، فخلَع يزيدَ بنَ عبدِ الملكِ ، واستحوَذ على البصرةِ ، وذلك بعدَ محاصرةٍ طويلةٍ وقتالٍ طويلٍ ، فلمّا ظهَر عليها بسَط [٧/١٨١و] العدلَ [3]فى أهلِها[3] ، وبذَل الأموالَ ، وحبَس عامِلَها عدىَّ بنَ أرطاةَ ؛ لأنه كان قد حبَس آلَ المهلَّبِ الذين كانوا بالبصرةِ ، حينَ هرَب يزيدُ بنُ المهلبِ مِن

---

(١) انظر ترجمته فى تاريخ دمشق ٣٣٧/١٨ (مخطوط) ، والإنباء فى تاريخ الخلفاء ٥١، وسير أعلام النبلاء ٥/ ١٥٠، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ١٠١ - ١٢٠هـ) ص ٢٧٩، وفوات الوفيات ٤/ ٣٢٢، وتاريخ الخلفاء ٢٤٦.

(٢) فى ا ٢، ب ، م، ص: «ثائرة» .

(٣ - ٣) زيادة من: ا ٢، ب ، م، ص.

محبسِ عمرَ بنِ عبدِ العزيزِ، كما ذكَرنا، وكان لمَّا ظهَر على قصرِ الإمارةِ[1] أُتِى بعدىِّ بنِ أرطاةَ، فدخَل عليه وهو يضحَكُ، فقال له يزيدُ بنُ المهلَّب: إنِّى لأتعجَّبُ مِن ضحِكِك؛ لأنَّك هرَبتَ مِن القتالِ كما تهرُبُ النساءُ، وإنَّك جئتَنى وأنت تُتَلُّ[2] كما يُتَلُّ العبدُ. فقال عدىٌّ: إنِّى لأضحَكُ؛ لأن بقائى بقاءٌ لك، وإنَّ مِن ورائى طالبًا لا يترُكُنى. قال: ومَن هو؟ قال: جنودُ بنى أميةَ بالشامِ لا يترُكونك، فتدارَكْ نفسَك قبلَ أن يرمِىَ إليك البحرُ بأمواجِه فتطلُبَ الإقالةَ فلا تقالُ. فردَّ عليه يزيدُ جوابَ ما قال، ثم سجَنه كما سجَن أهلَه.

واستقرَّ أمرُ يزيدَ بنِ المهلَّبِ بالبصرةِ، وبعَث نوّابَه فى النواحى والجهاتِ، واستناب فى الأهوازِ، وأرسَل أخاه مدركَ بنَ المهلَّبِ على نيابةِ خراسانَ، ومعه جماعةٌ مِن المقاتِلةِ، فلمَّا بلَغ خبرُه الخليفةَ يزيدَ بنَ عبدِ الملكِ جهَّز ابنَ أخيه العباسَ بنَ الوليدِ بنِ عبدِ الملكِ فى أربعةِ آلافٍ، مقدِّمةً بينَ يدَىْ عمِّه مسلمةَ بنِ عبدِ الملكِ، وهو فى جنودِ الشامِ، قاصدين البصرةَ لقتالِه، ولمَّا بلَغ يزيدَ بنَ المهلَّبِ مخرَجُ الجيوشِ قاصِدَةً إليه، خرَج مِن البصرةِ، واستَناب عليها أخاه مروانَ بنَ المهلَّبِ، وجاء حتى نزَل واسطًا، واستَشار مَن معه مِن الأمراءِ فى ماذا يعتمدُه؟ فاختَلفوا عليه فى الرأىِ، فأشار عليه بعضُهم بأن يسيرَ إلى الأهوازِ ليتحصَّنَ فى رءوسِ الجبالِ، فقال: إنما تريدون أن تجعَلونى طائرًا فى رأسِ جبلٍ؟ وأشار عليه رجالُ أهلِ العراقِ أن يسيرَ إلى الجزيرةِ فينزِلَها، [3]ويتحصَّنَ بأجودِ[3]

---

(1) تاريخ الطبرى ٦/ ٥٨٢.

(2) تَلَّه يتُلُّه: إذا قاده.

(٣ - ٣) فى ا٢، ب، م، ص: «بأحصن».

حصنٍ فيها ، (١ويبعِّضَ عليه رجالَ أهلِ العراقِ١) ، ويجتمعُ عليه أهلُ الجزيرةِ ، فيقاتِلَ بهم أهلَ الشامِ(٢) .

وانسلَخَتْ هذه السنةُ وهو نازلٌ بواسطٍ ، وجيشُ الشامِ قاصدُه .

وحجَّ بالناسِ فى هذه السنةِ عبدُ الرحمنِ بنُ الضحاكِ بنِ قيسٍ أميرُ المدينةِ . وعلى مكةَ عبدُ العزيزِ بنُ عبدِ اللَّهِ بنِ خالدِ بنِ أَسيدٍ ، وعلى الكوفةِ عبدُ الحميدِ ابنُ عبدِ الرحمنِ بنِ زيدِ بنِ الخطابِ ، وعلى قضائِها عامرٌ الشعبىُّ ، وعلى البصرةِ يزيدُ بنُ المهلَّبِ ، قد استَحوذ عليها وخلَع أميرَ المؤمنين يزيدَ بنَ عبدِ الملكِ .

وفيها توفِّى مع(٣) عمرَ بنِ عبدِ العزيزِ ، **رِبعىُّ بنُ حِراشٍ**(٤) ، (٥**ومسلمُ بنُ يسارٍ**(٦)٥) .

وأبو صالحٍ السَّمَّانُ(٧) ، (٨وكان عابدًا صادقًا ثَبْتًا٨) ، وقد ترجَمناه [٧/١٨١ظ] فى كتابِنا « التكميلِ » . واللَّهُ سبحانَه أعلمُ .

(١ - ١) سقط من : ا ٢، ب ، م ، ص .

(٢) بعده فى الأصل : « فى شعر دقيق رخيص » .

(٣) سقط من : م .

(٤) فى ا ٢، ب ، م ، ص ، أسد الغابة ، وحلية الأولياء « خراش » .

وانظر ترجمته فى : طبقات ابن سعد ٦/ ١٢٧، وحلية الأولياء ٤/ ٣٦٧، وأسد الغابة ٢/ ٢٠٤، وتهذيب الكمال ٩/ ٥٤، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ١٠١ - ١٢٠هـ) ص ٧٩.

(٥ - ٥) سقط من : ا ٢، ب ، م ، ص . وقد تبع ابن كثير شيخه الذهبى ، حيث أورده الذهبى ضمن وفيات الطبقة العاشرة ، فى تاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٨١ - ١٠٠هـ) ص ٤٧٥، ثم عاد فأورده فى وفيات الطبقة الحادية عشرة ، فى تاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ١٠١ - ١٢٠هـ) ص ٢٥٨. وقد تقدمت ترجمته فى ٩/ ١٨٦.

(٦) بعده فى ص زيادة وهى من زيادات الناسخ .

(٧) انظر ترجمته فى طبقات ابن سعد ٥/ ٣٠١، والتاريخ الكبير ٣/ ٢٦٠، وتهذيب الكمال ٨/ ٥١٣، وسير أعلام النبلاء ٥/ ٣٦، والعبر ١/ ١٢١.

(٨ - ٨) سقط من : الأصل .

ثم دخلت سنةُ ثنتين ومائةٍ

ففيها كان اجتماعُ مسلمةَ بنِ عبدِ الملكِ مع يزيدَ بنِ المهلَّبِ ، وذلك أن يزيدَ ابنَ المهلَّبِ ركِب مِن واسطٍ ، واستخلَف عليها ابنَه معاويةَ ، وسار هو فى جيشٍ ، وبين يدَيهِ أخوه عبدُ الملكِ بنُ المهلَّبِ ، حتى بلَغ مكانًا يقالُ له : العَقْرُ[1] . وانتهى إليه مسلمةُ بنُ عبدِ الملكِ فى جنودٍ لا قِبلَ ليزيدَ بها ، وقد التقتِ المقدِّمتان أولًا ، فاقتَتلوا قتالًا شديدًا ، فهزَم أهلُ البصرةِ أهلَ الشامِ ، ثم تذامَر أهلُ الشامِ ، فحمَلوا على أهلِ البصرةِ فكشَفوهم[2] ، فهزموهم ، وقَتَلوا منهم جماعةً مِن الشجعانِ ، منهم المنتوفُ ، وكان شجاعًا مشهورًا ، وكان مِن موالى بكرِ بنِ وائلٍ : فقال فى ذلك الفرزدقُ[3] :

تُبَكِّى على المُنْتوفِ بكرُ بنُ وائلٍ ... وتنهَى عن ابنَىْ مِسْمَعٍ مَنْ بَكَاهما

فأجابه الجَعْدُ بنُ درهمٍ مولى الثوريِّين مِن هَمْدانَ ، وهذا الرجلُ هو أوّلُ الجهميةِ ، وهو الذى ذبَحه خالدُ بنُ عبدِ اللَّهِ القسرىُّ يومَ عيدِ الأضحى ، فقال الجعدُ[4] :

نُبَكِّى على المَنْتوفِ فى نصرِ قومِه ... ولَسنا[5] نُبَكِّى الشائدَين[6] أباهما

---

(١) وهو عقر بابل قرب كربلاء قتل عنده يزيد بن المهلب بن أبى صفرة معجم البلدان ٣/ ٤٩٥.

(٢) سقط من : ا ٢، ب ، م ، ص .

(٣) البيت فى شرح ديوان الفرزدق : ٧٦٢، الكامل للمبرد ١/ ٢١٩، وتاريخ الطبرى ٦/ ٥٩١.

(٤) تاريخ الطبرى ٦/ ٥٩١.

(٥) فى م : « ليتنا » .

(٦) فى الأصل ، ا ٢، ص : « السايين » ، وفى ب : « الشامتين » .

أراد فِناءَ الحيِّ بكرِ بنِ وائلٍ فعِزٌّ[1] تميمٍ لو أُصِيب[2] فِناهُما[3]

فلا لقِيَا رَوحًا مِن اللّهِ ساعةً ولا رَقَأَتْ عينا شَجِيٍّ[4] بَكَاهما

[5]أفى الغِشِّ[5] نبكى إنْ بكَينا عليهما[6] وقد لقِيا بالغِشِّ[7] فينا رَدَاهما

ولمّا اقترب مسلمةُ ، وابنُ أخيه العباسُ بنُ الوليدِ من جيشِ يزيدَ بنِ المهلَّبِ ، خطَب يزيدُ بنُ المهلَّبِ الناسَ ، وحرَّضهم على القتالِ - يعنى على قتالِ أهلِ الشامِ - وكان مع يزيدَ نحوٌ من مائةِ ألفٍ وعشرين ألفًا قد بايَعوه على السمعِ والطاعةِ ، وعلى كتابِ اللّهِ وسنَّةِ رسولِه ﷺ ، وعلى أن لا تطأَ الجنودُ بلادَهم ، وعلى أن لا تعادَ عليهم سيرةُ الفاسقِ الحجاجِ ، ومَن بايَعنا على ذلك قبِلنا منه ، ومَن خالَفنا قاتَلْناه .

وكان الحسنُ البصرىُّ فى هذه الأيامِ يحرِّضُ الناسَ على الكفِّ ، وتركِ الدخولِ فى الفتنةِ ، وينهاهم أشدَّ النهيِ ، وذلك لِما وقَع مِن الشرِّ[8] الطويلِ العريضِ فى أيامِ ابنِ الأشعثِ ، وما قتِل بسببِ ذلكَ مِن النفوسِ العديدةِ ، وجعَل الحسنُ يخطُبُ الناسَ ، ويعِظُهم فى ذلك ، [9]ويحرِّضُهم على الكفِّ[9] ، فبلَغ

---

(١) فى ا ٢، ب ، ص : « لعز » .
(٢) فى الأصل : « قد أصبت » ، وفى ا ٢، ب ، ص : « أصبت » .
(٣) فى الأصل ا ٢، ب ، ص : « مناهما » .
(٤) بعده فى الأصل ، ا ٢، ب ، ص : « من » .
(٥ - ٥) فى الأصل : « إن العين » . وفى ا ٢، ص : « إلى العين » . وفى ب « أفى العين » .
(٦) فى الأصل ، ا ٢، ب ، ص : « عليهم » .
(٧) فى الأصل ، ب ، ص : « بالعيش » . وفى ا ٢: « بالعين » .
(٨) فى م : « القتال » .
(٩ - ٩) فى م : « ويأمرهم » .

ذلك نائبَ البصرةِ مروانَ[(١)] بنَ المهلَّبِ، فقام فى الناسِ خطيبًا فأمَرهم بالجِدِّ والجهادِ والنفيرِ[(٢)] إلى القتالِ، ثم قال: ولقد بلَغنى أن هذا الشيخَ الضالَّ المُرائىَ - ولم يسمِّه - يثبِّطُ الناسَ عنّا[(٣)]، أمَا واللّهِ ليكُفَّنَّ عن ذلك، أو لأفعَلنَّ ولأفعَلنَّ، وتوعَّد [١٨٢/٧و] الحسنَ، فلما بلَغ الحسنَ قولُه، قال: أمَا واللّهِ ما أكرَهُ أن يُكرِمَنى اللّهُ بهوانِه. فسلَّمه اللّهُ منه حتى زالت دولتُهم، وذلك أنَّ الجيوشَ لمّا تواجَهتْ تبارَز الناسُ قليلًا، ولم تنشَبِ الحربُ شديدًا، [(٤)]فلم يثبُتْ أهلُ العراقِ حتى فرّوا[(٤)] سريعًا، وبلَغهم أنَّ الجسرَ الذى جاءوا عليه قد حرِق فانهزموا، فقال يزيدُ بنُ المهلَّبِ: ما بالُ الناسِ؟ ولم يكنْ مِن الأمرِ ما يُفَرُّ مِن مثلِه، فقيل له: إنه بلَغهم أن الجسرَ[(٥)] قد حرِق. فقال: قبَّحهم اللّهُ.

ثم رام أنْ يرُدَّ المنهزمين فلم يُمكِنْه ذلك، فثبَت فى عصابةٍ مِن أصحابِه، وجعَل بعضُهم يتسلَّلون منه حتى بقِى فى شِرذمةٍ منهم قليلةٍ، وهو مع ذلك يسيرُ قُدُمًا لا يمُرُّ بخيلٍ إلّا هزَمهم، وأهلُ الشامِ ينحازون[(٦)] عنه يَمينًا وشِمالًا، وقد قُتل قبلَه أخوه حبيبُ بنُ المهلَّبِ، فازداد حَنَقًا وغضَبًا[(٧)]، وهو على فرسٍ له أشهَبَ، ثم قصَد نحوَ مسلَمةَ بنِ عبدِ الملكِ لا يريدُ غيرَه، فلمّا واجَهه حمَلتْ عليه خيولُ الشامِ فقتَلوه، وقَتلوا معه أخاه محمدَ بنَ المهلَّبِ، وقتَلوا

---

(١) فى النسخ: «عبد الملك». والمثبت من تاريخ الطبرى ٦/ ٥٩٤، وانظر الكامل ٥/ ٨٠.
(٢) فى م: «النفر».
(٣) سقط من: م.
(٤ - ٤) فى ١، ٢، ب، م، ص: «حتى فر أهل العراق».
(٥) بعده فى م: «الذى جاءوا عليه».
(٦) فى م: «يتجاورون».
(٧) فى م: «غيظا».

السَّمَيْدَعَ ، وكان مِن الشُّجعانِ ، وكان الذى قتَل يزيدَ بنَ المهلَّبِ رجلٌ يقالُ له : القَحْلُ[1] بنُ عيّاشٍ . فقتِل إلى جانبِ يزيدَ بنِ المهلَّبِ ، وجاءوا برأسِ يزيدَ ابنِ المهلبِ إلى مسلَمةَ بنِ عبدِ الملكِ ، فأرسَله مع خالدِ بنِ الوليدِ بنِ عقبةَ بنِ أبى مُعَيطٍ إلى أخيه أميرِ المؤمنين يزيدَ بنِ عبدِ الملكِ ، واستحْوَذ مسلَمةُ على ما فى معسكرِ يزيدَ بنِ المهلَّبِ ، وأسَر منهم نحوًا من ثلاثِمائةٍ ، فبعَث بهم إلى الكوفةِ ، وبعَث إلى أخيه فيهم ، فجاء [2]كتابُ يزيدَ أميرِ المؤمنين[2] بقتلِهم ، وسار مسلمةُ فنزَل الحيرةَ .

ولمّا انتهَت هزيمةُ يزيدَ بنِ المهلَّبِ إلى ابنِه معاويةَ ، وهو بواسطٍ ، عمَد إلى نحوٍ مِن ثلاثين أسيرًا فى يدِه فقتَلهم ؛ مِنهم[3] عدىُّ بنُ أرطاةَ ، رحمِه اللَّهُ ، وابنُه[4] ، ومالكٌ ، وعبدُ الملكِ ابنا مِسْمَعٍ ، [5]وجماعةٌ مِن الأشرافِ ، ثم أقبَل حتى أتَى البصرةَ ، ومعه الخزائنُ من الأموالِ ، وجاء[6] عمُّه[5] المفضَّلُ بنُ المهلَّبِ[7] ، فاجتمَع آلُ المهلّبِ بالبصرةِ ، فأعدّوا السفنَ ، وتجهَّزوا أتمَّ الجهازِ ، واستعدوا للهرَبِ ، فساروا بعيالِهم وأثقالِهم ، [8]فلم يزالوا سائرِين[8] ، حتى أتَوْا جبالَ كَرْمان فنزَلوها ، واجتمَع عليهم جماعةٌ ممَّن فلَّ ممَّن[9] كان مع يزيدَ بنِ

---

(١) فى ا ٢، ب ، ص : « النجل » . وانظر الطبرى ٦/٥٩٧ والإكمال ٧/ ٥٤، والكامل ٥/ ٨٣.
(٢ - ٢) فى ا ٢، ب ، م، ص: « كتابه » .
(٣) بعده فى ا ٢، م ، ص : « نائب أمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز » .
(٤) سقط من : الأصل، ا ٢، ب ، ص وانظر تاريخ الطبرى ٦/ ٦٠٠.
(٥ - ٥) فى ا ٢: « جماعه » .
(٦) بعده فى م: « معه » .
(٧) بعده فى الأصل، ا ٢، ب ، م : « إليه » .
(٨ - ٨) سقط من : ا ٢، ب ، م، ص .
(٩) فى ا ٢، ب ، م، ص : « من الجيش الذى » .

المهلَّبِ ، وقدْ أمَّروا عليهم [1] المفضَّلَ بنَ المهلَّبِ ، فأرسَل مسلمةُ بنُ عبدِ الملكِ جيشًا عليهم هلالُ بنُ أَحوزَ[2] المازنيُّ[3] فى طلبِ آلِ المهلَّبِ ، ويقالُ : إنَّهم أمّروا[4] عليهم رجلًا يقال له : مدركُ بنُ ضَبٍّ الكلبيُّ[1] . فلحِقهم بجبالِ كَرْمانَ فاقتتَلوا هنالك قتالًا شديدًا ، فقتِل جماعةٌ من أصحابِ المفضَّلِ ، وأسِر جماعةٌ مِن أشرافِهم ، وانهزَم بقيتُهم ، ثم لحِقوا المفضَّلَ فقتَلوه ، [١٨٢/٧ظ] وحمِل رأسُه إلى مسلمةَ بنِ عبدِ الملكِ ، وأقبَل جماعةٌ مِن أصحابِ يزيدَ بنِ المهلّبِ ، فأخَذوا لهم أمانًا من أميرِ الشامِ ؛ منهم مالكُ بنُ إبراهيمَ بنِ الأشترِ النَّخَعيُّ ، ثم أرسَلوا بالأثقالِ والأموالِ والنساءِ والذُّرِّيَّةِ فورَدت على مسلمةَ بنِ عبدِ الملكِ ، ومعهم رأسُ المفضّلِ ، ورأسُ عبدِ الملكِ ابنَي المهلَّبِ ، فبعَث مسلمةُ بالرُّءوسِ ، وتسعةٍ مِن [5] الصبيانِ الأحداثِ الحسانِ[5] إلى أخيه يزيدَ ، فأمَر بضربِ أعناقِ أولئك ، ونصِبت رءوسُهم بدمشقَ ثم أرسَلها إلى حلبَ فنصِبت بها ، وحلَف مسلَمةُ بنُ عبدِ الملكِ ليبيعنَّ ذرارِيَّ آلِ المهلَّبِ ، فاشتراهم بعضُ الأمراءِ إبرارًا لقَسَمِه بمائةِ ألفٍ ، فأعتَقهم وخلَّى سبيلَهم ، ولم يأخُذْ مسلَمةُ مِن ذلك الأميرِ شيئًا .

وقد رثا الشعراءُ يزيدَ بنَ المهلَّبِ بقصائدَ ذكَرها ابنُ جريرٍ[6] .

(١ - ١) فى الأصل : « رجلا يقال له : مدرك بن ضب الكلبى ، فأرسل مسلمه جيشا عليهم هلال بن الماخور المازنى فى طلب آل المهلب » .

(٢) فى ا ٢: « الماجور » . وفى ب ، ص : « الماجور » . والمثبت من تاريخ الطبرى ٦/ ٦٠٢. وانظر جمهرة أنساب العرب ص ٢١١، والإكمال ١/ ٣٢، وتبصير المنتبه ١/ ٩.

(٣) فى ا ٢، ب ، م ، ص : « المحاربى » . وانظر جمهرة أنساب العرب الموضع السابق .

(٤) يعنى جيش مسلمة .

(٥ - ٥) فى الأصل : « الأحداث » .

(٦) تاريخ الطبرى ٦/ ٦٠٣، ٦٠٤.

ولايةُ مسلمةَ على بلادِ العراقِ وخراسانَ

وذلك أنَّه لمَّا فرَغ مِن حربِ آلِ المهلَبِ كتَب إليه أخوه يزيدُ بنُ عبدِ الملكِ بولايةِ الكوفةِ والبصرةِ وخراسانَ فى هذه السنةِ ، فاستناب على الكوفةِ وعلى البصرةِ ، وبعَث على خراسانَ ختَنَه - زوجَ ابنتِه - سعيدَ بنَ عبدِ العزيزِ بنِ الحارثِ ابنِ الحكمِ بنِ أبى العاصِ ، الملقَّبِ بخُذَينةَ ، فسار إليها فحرَّض أهلَها على الصبرِ والشجاعةِ ، وعاقَب عمالًا ممَّن كان ينوبُ (١) ليزيدَ بنِ (١) المهلَّبِ ، وأخَذ منهم أموالًا جزيلةً ، ومات بعضهم تحتَ العقوبةِ .

ذكرُ وقعةٍ جرَت بينَ التُّركِ والمسلمين

وذلك أنَّ خاقانَ الملكَ الأعظمَ ملكَ التركِ ، بعَث جيشًا إلى الصُّغدِ لقتالِ المسلمين ، عليهم رجلٌ منهم يقالُ له : كُورصُولُ (٢) . فأقبَل حتى نزَل على قصرِ الباهلىِّ فحصَره وفيه خلقٌ مِن المسلمين ، فصالَحهم نائبُ سمرقندَ - وهو عثمانُ ابنُ عبدِ اللَّهِ بنِ مطرِّفٍ - على أربعينَ ألفًا ، ودفَع إليهم سبعةَ عشَرَ دِهقانًا رهائنَ عندَهم ، ثم ندَب عثمانُ الناسَ فانتدَب رجلٌ يقال له : المسيَّبُ بنُ بشرٍ الرياحىُّ فى أربعةِ آلافٍ . فساروا نحوَ التركِ ، فلمّا كان ببعضِ الطريقِ خطَب الناسَ ، فحثَّهم على القتالِ ، وأخبَرهم أنَّه ذاهبٌ إلى الأعداءِ لطلبِ الشهادةِ ، فرجَع عنه أكثرُ مِن ألفٍ ، ثم لم يزَلْ فى كلِّ منزلٍ يخطُبُهم ، ويرجِعُ عنه بعضُهم ، حتى

(١ - ١) فى م : « لآل » .

(٢) فى ا ٢، ص : « كوصول » . وانظر تاريخ الطبرى ٦/ ٦٠٨.

بقِى فى سبعِمائةِ مقاتلٍ، فسار بهم حتى غالَق جيشَ الأتراكِ، وهم محاصِرو ذلك القصرِ، وقد عزَم المسلمون الذين هم فيه على قتلِ [١٨٣/٧و] نسائِهم وذبحِ أولادِهم أمامَهم، ثم ينزِلون فيقاتلون حتى يُقْتَلوا عن آخرِهم، فبعَث إليهم المسيَّبُ يثبِّتُهم يومَهم ذلك، فثبَتوا ومكَث[(١)] المسيَّبُ حتى إذا كان وقتُ السحَرِ كبَّر، وكبَّر أصحابُه، وقد جعَلوا شعارَهم يا محمدُ، ثم حمَلوا على التركِ حملةً صادقةً، فقتَلوا منهم[(٢)] خلقًا كثيرًا، وعقَروا دوابَّ كثيرةً، ونهَض إليهم التركُ، فقاتَلوهم قتالًا شديدًا، حتى فرَّ أكثرُ المسلمين، وضرِبتْ دابَّةُ المسيَّبِ فى عَجُزِها فترجَّل عنها[(٣)]، وترجَّل معه الشجعانُ، فقاتَلوا، وهم كذلك قتالًا عظيمًا، والتفَّتِ[(٤)] الجماعةُ بالمسيَّبِ، وصبَروا حتى فتَح اللَّهُ عليهم، وفرَّ المشركون بين أيديهم هاربين لا يلْوُون على شىءٍ، وقد كان الأتراكُ فى غايةِ الكثرةِ، فنادَى منادِى المسيَّبِ: أن لا تتبَعوا أحدًا مِنهم[(٣)]، وعليكم بالقصرِ وأهلِه. فاحتمَلوهم وحازوا ما فى معسكرِ أولئك الأتراكِ مِن الأموالِ والأشياءِ النفيسةِ، وانصرَفوا راجعين سالمين بمَن معهم مِن المسلمين الذين كانوا محصورين، وجاءتِ التركُ مِن الغدِ (٥إلى القصرِ٥) فلم يجِدوا به داعيًا ولا مجيبًا، فقالوا (٦فيما بينَهم٦): هؤلاءِ الذين لقُونا بالأمسِ لم يكونوا إنسًا، إنَّما كانوا جنًّا. (٥ثم غزا سعيدٌ الملقَّبُ بخُذينةُ أميرُ خراسانَ بلادَ الصُّغْدِ، وذلك لأنَّهم أعانوا الكفارَ على المسلمين فى هذه٥)

---

(١) فى الأصل: «تلبث».
(٢) فى ا ٢: «منها».
(٣) سقط من: م.
(٤) فى ا ٢: «التقوا».
(٥ - ٥) سقط من: م.
(٦ - ٦) فى ا ٢، ب، م، ص: «فى أنفسهم».

(1) الغزوةِ التى ذكرناها ، فسار إليهم فقاتَلهم قتالًا شديدًا حتى نصَره اللَّهُ عليهم ، وولَّوا مدبرين ، وأخَذ منهم أموالًا جزيلةً ، وقبَض ما وجَد لهم مِن الأموالِ والحواصلِ .

وفيها عزَل أميرُ المؤمنين يزيدُ بنُ عبدِ الملكِ أخاه مسلمةَ عن إمرةِ العراقِ وخراسانَ ، وذلك لأنَّه كان يصرِفُ أموالَ الغنيمةِ فيما يريدُ ولم يصرفْ إلى أخيه يزيدَ شيئًا فى هذه المدَّةِ ، وطمِع فى أخيه فعزَله عنها ، وولَّى عليها بدلَه عمرَ بنَ هُبيرةَ على العراقِ وخراسانَ .

وحجَّ بالناسِ فيها أميرُ المدينةِ عبدُ الرحمنِ بنُ الضحاكِ بنُ قيسٍ (1) .

(2) **وفيها توفِّى عدىُّ بنُ أرطاةَ الفَزارىُّ** (3) ، نائبُ عمرَ بنِ عبدِ العزيزِ على البصرةِ ، وهو الذى قبَض على يزيدَ بنِ المهلبِ ، وبعَث به مقيَّدًا إلى عمرَ بنِ عبدِ العزيزِ ، فلمَّا قدِم عليه أمَر بسَجنِه ، فلمّا مرِض عمرُ هرَب مِن السجنِ ، فلما توفِّى عمرُ ظهَر يزيدُ بنُ المهلبِ ، ونصَب راياتٍ سودًا ، وطلَب البصرةَ وملكَها ، وجرَت له فصولٌ قد ذكَرها ابنُ جريرٍ (4) ، ثم إنَّ معاويةَ بنَ يزيدَ بنِ المهلبِ لمَّا بلَغه قتلُ أبيه أخرَج عدىَّ بنَ أرطاةَ هذا مِن الحبسِ وقتَله ، وقتَل معه جماعةً نحوَ ثلاثين إنسانًا .

يزيدُ بنُ المهلَّبِ (5) ، كان مِن الشجعانِ المشهورين ، وله فتوحاتٌ كثيرةٌ ، (2)

(1 - 1) سقط من : م .

(2 - 2) زيادة من : ب ، ص .

(3) انظر ترجمته فى : طبقات خليفة 2/ 798 ، وتاريخ دمشق 11/ 462 (مخطوط) ؛ وتهذيب الكمال 19/ 520 ، وسير أعلام النبلاء 5/ 53 ، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات 101 - 120هـ) ص 162 .

(4) تاريخ الطبرى 6/ 578 - 604 .

(5) انظر ترجمته فى : المعارف 400 ، ووفيات الأعيان 6/ 278 ، وسير أعلام النبلاء 4/ 503 ، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات 101 - 120) ص 282 ، وشذرات الذهب 1/ 124 .

[1] وكان جوَادًا مُمَدَّحًا ، له أخبارٌ فى الكرمِ والشجاعةِ ، وآخرُ أمرِه أنَّه قتِل ، وقتِل مِن إخوتِه وأولادِه جماعةٌ ، وأخِذت أموالُه ونساؤه وأولادُه ، وزال ما كان فيه ، وقد كانوا نحوَ ثمانين نفسًا آلَ المهلَّبِ بنِ أبى صفرةَ ، وقد جمَعوا شيئًا كثيرًا مِن الأموالِ والجواهرِ ، فما أفادَهم ذلك شيئًا بل سلِبوا ذلك جميعَه .

قال[(2)1] : **ومَّن توفِّى فيها من الأعيانِ والسادةِ :**

الضَّحّاكُ بنُ مُزاحمٍ الهلالىُّ[3] أبو القاسمِ - ويقالُ : أبو محمدٍ - الخراسانىُّ ، كان يكون ببَلْخَ وسمرقندَ ونَيْسابورَ ، وهو تابعىٌّ جليلٌ ، روَى عن أنسٍ ، [4] وابنِ عباسٍ[4] وابنِ عمرَ ، وأبى هريرةَ ، وجماعةٍ مِن التابعين ، وقيل : إنَّه لم يصحَّ له سماعٌ مِن الصحابةِ حتى ولا مِن ابنِ عباسٍ[5] ، وإن كان قد روِى عنه أنَّه جاوَره سبعَ سنين .

وكان الضحاك إمامًا فى التفسيرِ ، قال الثورىُّ[6] : خُذوا التفسيرَ عن أربعةٍ ؛ مجاهدٍ ، وعكرمةَ ، وسعيدِ بنِ جُبيرٍ ، والضحاكِ . وقال الإمامُ أحمدُ[7] : هو ثقةٌ [8] مأمونٌ . وقال ابنُ معينٍ ، وأبو زُرعةَ[9] : وهو ثقةٌ[8] . وأنكَر شعبةُ [١٨٣/٧ظ]

(١ - ١) زيادة من : ب ، ص .
(٢) تاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ١٠١ - ١٢٠هـ) ص ٨.
(٣) ترجمته فى : طبقات ابن سعد ٦/ ٣٠٠، وطبقات خليفة ١٢/ ٧٩٧، ٨٣٢، وتهذيب الكمال ١٣/ ٢٩١، وسير أعلام النبلاء ٤/ ٥٩٨، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ١٠١ - ١٢١هـ) ص ١١٢، وطبقات المفسرين ١/ ٢١٦.
(٤ - ٤) سقط من : م .
(٥) بعده فى ا ٢، ب ، ص : « رواية » وبعده فى م « سماع » .
(٦) الكامل فى الضعفاء ٤/ ١٤١٥.
(٧) العلل ومعرفة الرجال للإمام أحمد ١/ ٣٦٢.
(٨ - ٨) سقط من : ا٢ ، ب ، م ، ص .
(٩) الجرح والتعديل ٤/ ٤٥٨، ٤٥٩.

سماعَه مِن ابنِ عباسٍ ، وقال[1] : إنَّما أخَذ عن سعيدٍ عنه . وقال ابنُ سعيدٍ القطّانُ[2] : كان ضعيفًا .

وذَكَره ابنُ حبانَ فى « الثقاتِ »[3] ، وقال : لم يشافِهْ أحدًا مِن الصحابةِ ، ومَن قال : إنَّه لقِىَ ابنَ عباسٍ فقد وهِم .

وحمَلت به أمُّه سنتين ، ووضعته وله أسنانٌ ، وكان يعلِّمُ الصبيانَ حِسبَةً ، [4]وقيل[5] : إنَّه كان فى مكتبِه ثلاثةُ آلافِ صبىٍّ ، وكان يركَبُ حمارًا ، ويدورُ مِن العَلياءِ عليهم[4] . وقيل : إنَّه مات سنةَ خمسٍ . وقيل : سنةَ ستٍّ ومائةٍ[6] . [7]وقد بلَغ الثمانين[7] . واللَّهُ أعلمُ .

أبو المتوكلِ [8]علىُّ بنُ داودَ النّاجىُّ[8] ، تابعىٌّ جليلٌ ، ثقةٌ ، رفيعُ القدرِ[9] .

---

(١) الكامل فى الضعفاء ٤/ ١٤١٤.

(٢) المصدر السابق ٤/ ١٤١٥.

(٣) الثقات ٦/ ٤٨٠.

(٤ - ٤) سقط من : ا ٢، ب، م، ص.

(٥) تهذيب الكمال ١٣/ ٢٩٥.

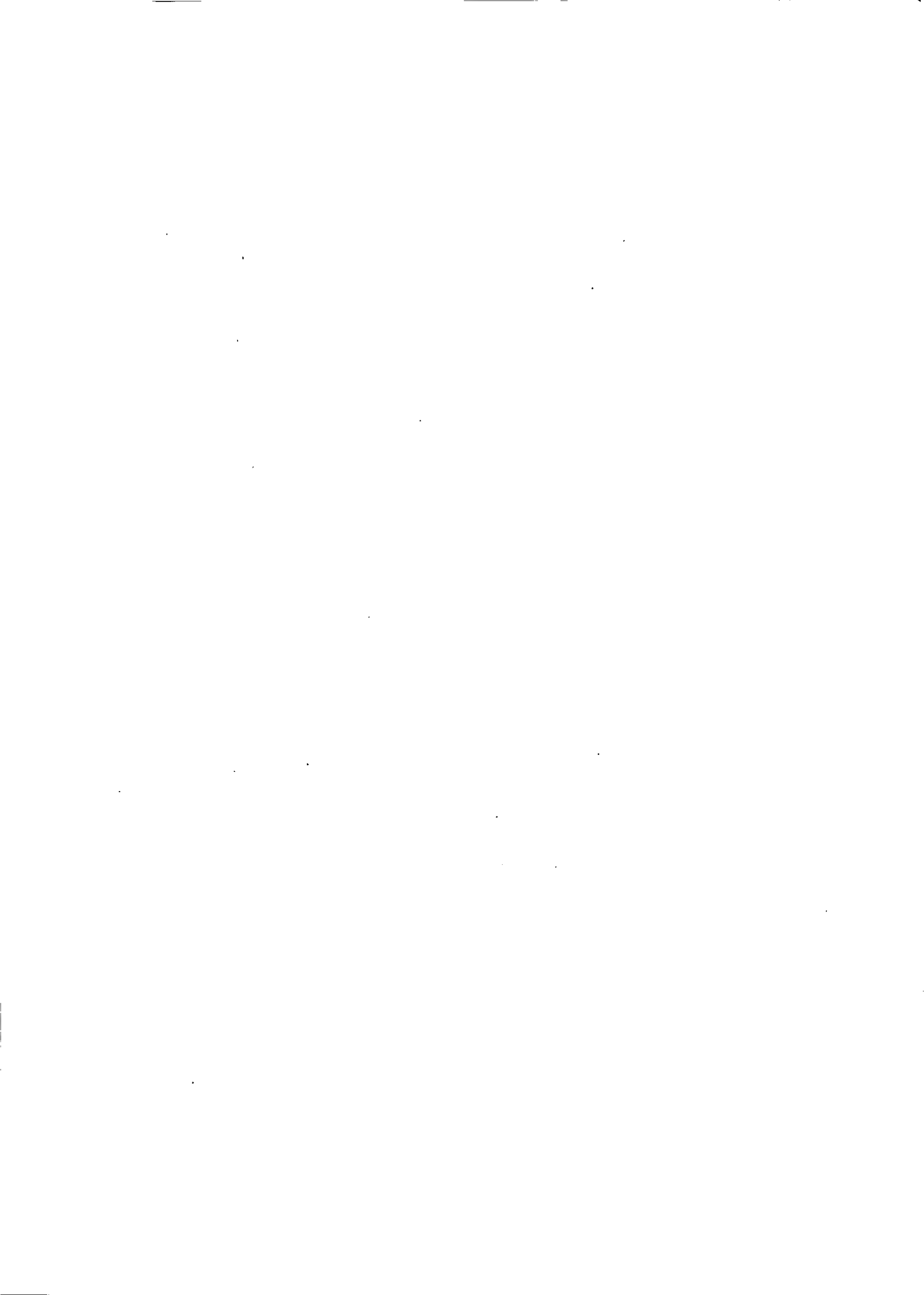
(٦) بعده في ب ، ص : « كان الضحاك إذا أمسى بكى ، فيقال له : ما يبكيك ؟ فيقول : لا أدرى ما صعد إلى اللّه اليوم من عملى » .

(٧ - ٧) سقط من : ا ٢، ب، م، ص. وانظر سير أعلام النبلاء ٤/ ٦٠٠.

(٨ - ٨) فى ا ٢، ب ، م، ص: « الناجر اسمه على بن البصرى » .

وانظر ترجمته فى : طبقات ابن سعد ٧/ ٢٢٥، وطبقات خليفة ١/ ٤٩١، وتهذيب الكمال ٢٠/ ٤٢٥، وسير أعلام النبلاء ٥/ ٨، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ١٠١ - ١٢٠هـ) ص ٢٩٨. وفيه « التاجى » .

(٩) بعده فى ا ٢، ب، م، ص: « مات وقد بلغ الثمانين رحمه اللّه تعالى » .



فهرس

الجزء الثانى عشر من « البداية والنهاية »

الموضوع | الصفحة

تم بحمد اللّٰه وتوفيقه الجزء
الثانى عشر ويليه الجزء الثالث عشر
وأوله : ثم دخلت سنة ثلاث ومائة



رقم الإيداع ٩٨/٥٣٩٠ ١٩
I . S . B . N : 977 - 256 - 176 - x

هجـر
للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان
المكتب : ٤ ش ترعة الزمر – المهندسين – جيزة
☎ ٣٢٥٢٥٧٩ – فاكس ٣٢٥١٧٥٦
المطبعة : ٢ ، ٦ ش عبد الفتاح الطويل
أرض اللواء – ☎ ٣٢٥٢٩٦٣
ص . ب ٦٣ إمبابة